الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

الروايات الأوربية - الاغريقية واللاتينية

(الحملة الرابعة)

١ - الاستيلاء على القسطنطينية - لفيلهاردين

٢ - سقوط القسطنطينية الصليبيين - لروبرت دي كلاري

٣ - تاريخ المورة

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

دمشق

١٩٩٥ - ١٤١٦هـ

الجزء العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئه :

يلاحظ المتتبع لتاريخ أوربا وشعوبها طوال عصور التاريخ أن شعوب هذه القارة اتحدت اراديا وأجمعت على هدف واحد ، مرة واحدة ، هي فترة الحروب الصيبية ، ففي أيامنا هذه ، على الرغم من جميع الجهود الاعلامية المبذولة وسواها لم يتوفر الاجماع الشعبي الأوربي للموافقة على الوحدة الأوربية.

إن ظاهرة التوحد لخوض الحروب الصليبية بحماس منقطع النظير فريدة في بابها ، جديرة بالدرس من قبل الذين يرون أن التاريخ هو تاريخ ما تصنعه الشعوب لا تاريخ السلاطين والملوك.

ومما لا شك فيه أن المحرك الأساسي لقيام هذه الظاهرة هو العاطفة الدينية ، وليس الاقتصاد والمنافع المتبادلة والتأثير السياسي والاجتماعي ، إنما قد يرى المتفحص لتاريخ الحروب الصليبية أنها بدأت شعبية لكن مع الأيام أخذت تتحول الى حروب رسمية ،وهكذا انتهت ، وهنا قد يكمن أحد أسباب الاخفاق النهائي لللصليبيين.

هذا من الجانب الأوربي ، أما الجانب العربي فقد بدأ التصدي للغزاة الصليبيين رسميا ، ومع الأيام أخذ هذا التصدي يتحول الى عمل شعبي مجمع عليه ، فعدد المتطوعة يوم حطين فاق عدد الجند المحترفين ، والشعب العربي هو الذي جاهد حقا وبشكل جماعي وطوال قرنين لم تتوقف فيهما الحرب لحظة واحدة ، ونحن نواجه في المصادر العربية من تواريخ وكتب تراجم وجهاد وفضائل مدن وبلدان مواد ثمينة جدا جديرة بالتعمق بالدراسة ، ففي عصر الحروب

الصليبية صنف ابن الجوزي أكثر من كتاب عن فضائل القدس ، وفي هذا العصر صنف ابن عساكر تاريخ دمشق وضمن المجلدة الأولى من هذا الكتاب العملاق مواد هامة عن فضائل الشام ، وابن عساكر نفسه صنف بالجهاد ، وحرض نور الدين وشجعه لتوحيد صفوف المسلمين في سبيل تحرير القدس وطرد الغزاة ، وقد خاطبه بعد توحيد مصر وبلاد الشام بقصيدة منها قوله:

وإن بذلت لفتح القدس محتسبا
للأجر جوزيت أجرا غير محتسب

ولست تعذر في ترك الجهاد وقد
أصبحت تملك من مصر الى حلب

وصاحب الموصل الفيحاء ممتثل
لما تريد فبادر فجأة النوب

وطهر المسجد الأقصى وحوزته
من النجاسات والاشراك والصلب

ومن الملاحظ من الجانب الأوربي أنه منذ ما يعرف باسم الحملة الثانية بدأ الحماس الشعبي يضعف بعض الشيء ويزداد مع الأيام في حين ازداد التورط الرسمي للبارونات والملوك والأباطرة والمؤسسات التجارية البحرية خاصة الايطالية منها ، فقد سعت الدويلات الايطالية الى استثمار الحروب الصليبية وجني الأرباح بأي صورة كانت ، سواء بالتعاون مع الأوربيين أو بالتعامل الخفي أو الظاهري مع المسلمين ثم إن الحماس الديني الذي قاد الى قيام الحروب الصليبية ، وقد ترافق مع التعصب الشديد ، أدى ـ فيما أدى اليه ـ الى تعميق الانفصال بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية ، ومن غرائب الأمور أن هدف الحروب الصليبية الأول كان القضاء على الاسلام والعرب وتحويل بلاد الشام الى وطن لاتيني فيما وراء البحار ، وكذلك كان بين الأهداف توحيد الكنائس المسيحية ، لكن الذي تحقق هو العكس تماما ٠

كان جل سكان مدن بلاد الشام قبل الحروب الصليبية مسيحيين ، لكن كان من بين نتائج هذه الحروب انقلاب المعادلة بشكل حاسم بحيث صارت الأكثرية الساحقة مسلمة ، والشيء نفسه حدث عندما استولت الكنيسة اللاتينية على القسطنطينية مقر الكنيسة الأرثوذكسية ، وتم هذا الاستيلاء في الحملة الرابعة .

ليس بودي الحديث عن أسباب هذه الحملة ووقائعها ونتائجها ففي مقدمات النصوص التالية فضلا عن محتويات هذه النصوص ما يكفي من شرح وبيان ، ونصوصنا وثائقية المعلومات وهي ثلاثة حوت أكثر التفاصيل وأدقها عن هذه الحملة التي طالت ضربات ساحقة للامبراطورية البيزنطية ، مهدت ـ بلا شك ـ الطريق للقضاء على هذه الامبراطورية فيما بعد لصالح الاسلام والمسلمين ، وتحويل القسطنطينية من مدينة قسطنطين الى « اسلام بول » كرسي الاسلام ، وهنا ايضا واحد من دروس الحروب الصليبية ، خاصة إذا ماشينا الدراسات الحديثة حول أصول الدولة العثمانية الجهادية الشعبية.

والنصوص الأوربية حول الحملة الرابعة هي الأخيرة من نوعها في هذه المرحلة من العمل بموسوعتنا وكلي أمل أن أتمكن في مستقبل الأيام من استكمال هذا المشروع والله المستعان ومنه جل وعلا أستمد التوفيق فله الحمد دائما وأبدا ، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى وعلى آله وأصحابه أجمعين.

دمشق غره ذي الحجة ١٤١٣
٢٢ / ٥ / ١٩٩٣.

الاستيلاء على القسطنطينية

فلهاردين

مقدمة

قليل من الاحداث في التاريخ كان أكثر اصطباغا بالخيال الرومانسي من تلك السلسلة من الحملات الى الأرض المقدسة التي تعرف بالحروب الصليبية .إن الرسم بالذات يستحضر صورة فرسان شجعان قد الهموا بالحماس الديني الهدف يتركون بيوتهم وبلادهم ليباشروا حربا شرسة مقدسة ضد أعداء العقيدة المسيحية، والحولية المعروضة هنا هي من تأليف رجل ممن شارك في احدى هذه الحملات وهو يقدم صورة صادقة لمغامرة يظهر فيها الجانب الأكثر ظلاما والجانب الأكثر اشراقا للطبيعة البشرية في اعمال الذين حملوا شارة الصليب،وعلى أي حال طالما أن هذه الحولية تتعامل فقط مع احدى الحملات الصليبية فانه ربما كان من الجيد في هذه المقدمة أن نضعها في اطارها حيث تصور بعضا من الصراع بين المسيحيين والمسلمين لامتلاك الأرض المقدسة الذي استمر لما يقرب من مائتي سنة .

لقد كانت القدس المدينة المقدسة مركز الحج من أزمنة قديمة جدا . وقد ترك المسيحيون بعد فتحها من قبل الخليفة عمر في سنة ٦٣٨ أحرارا في ممارسة دينهم وبقيت الظروف هكذا حتى ١٠٧٦ عندما انتقلت القدس الى ايدي الاتراك السلاجقة ، الذين روي انهم انتهكوا الاماكن المقدسة وعاملوا نصارى المدينة بقسوة فالقوا ببعضهم في السجن وذبحوا آخرين وعاد الحجاج الذين تدبروا أمر شق طريقهم الى الأرض المقدسة بقصص مثيرة للشفقة عن أحوال ابناء دينهم في الشرق وخطرت فكرة الحرب المقدسة للثأر لهذه الأخطاء للبابا غريغوري السابع وخليفته فيكتور الثالث ولكن شعوب النصرانية الغربية التي كانت منشغلة بشؤونها الخاصة في الوطن قد ألقت بالا قليلا لمناشدتها،ومع ذلك فإن اعمال تبشير الناسك بولس فعلت الكثير في التأثير على الرأي العام شيئا فشيئا وعندما في مجمع

كلير مونت في تشرين الثاني ١٠٩٥ دعا البابا أوربان الثاني - الفرنسي المولد - أهل بلاده أن ينضموا الى حملة دولية لاستعادة القدس لقى استجابة حماسية ٠ وفي ١٠٩٦ انطلقت حملتان وأخذتا طريقهما نحو الشرق واحدة بقيادة بطرس الناسك وكانت تتكون من الدهماء غير المنظمين وقد أبيدت تقريبا عن بكرة أبيها من قبل الأتراك في تشرين الأول من تلك السنة ، وكانت الاخرى مكونة من قوات منظمة بشكل صحيح تحت بارونات من شمال فرنسا وفلاندرزوشمال ايطاليا ، وقد وصلت الى القسطنطينية في كانون الأول وهنا انضمت الى قوات الامبراطور البيزنطي وبمرورها من آسيا الصغرى عاونت الروم في الاستيلاء على نيقية وهزمت الأتراك في دور يليوم وفي النهاية دخلت سورية ٠

وفي أثناء ثورة شعب الاقليم الشمالي من الرها ضد حاكمهم الأرمني وجهوا الدعوة إلى بلدوين دي بوليون ليحل محله في آذار ١٠٩٨ ، وفي حزيران من تلك السنة استولى الصليبيون على انطاكية ، وفي تموز ١٠٩٩ أخذوا القدس بعد حصار دام ستة أسابيع فقط ، ويأسف المرء أن يقول أن هذا النصر قد اعقبه ذبح بلا رحمة لجميع السكان داخل المدينة بلا تمييز باللون أو الأصل أو العقيدة ، وكنتيجة لهذه الحملة الأولى انشئت دول مسيحية ثلاث : في سورية:امارتا الرها وانطاكية ومملكة القدس ، وشاعت معرفة جميع تلك الأراضي المفتوحة باسم « بلاد ما وراء البحار » ٠

وتدبر بارونات ما وراء البحار لسنوات بالاحتفاظ بحرب هجومية دفاعية ضد العدو المحيط بهم ، أمر الثبات في الأراضي التي كسبوها دون طلب معونة كبيرة من الغرب ، وفي ١١٤٤ مع ذلك عندما استرد المسلمون اقليم الرها ، أرسلت الملكة الوصية على عرش القدس وقد خشيت بعد رؤيتها لانكشاف الحدود الشمالية لأنطاكية من سقوط هذه الامارة مع أقليمها ، ارسلت مسرعة مناشدة ملحة الى البابا يوجينيوس الثالث ليبدأ حملة صليبية جديدة وأحال البابا الأمر الى الملك لويس السابع ملك فرنسا وهو رجل

عرف بورعه،وكان قد حمل شارة الصليب ١١٤٦ في اجتمـــاع فيزلي حيث دفعت بلاغة القديس برنارد بكثير من الفرنسيين لحـــذو حـــذو ملكهم وبرحيله الى المانيا حث القديس بـــرنارد الامبـــراطور كونراد على الانضمام للحملة،وفي ١١٤٧ انطلق جيش بقيادة حاكمي فرنسا والمانيا في الحملة الصليبية الثانية وقـــد صـــمما على القيام بـــأعمال عظيمة.

وفي النهاية مع ذلك قام الصليبيون بدلا من التقـــدم نحـــو الرهـــا بمحاولة غير ناجحة للاستيلاء على دمشق،ثـــم عادوا أدراجهـــم دون انجاز أي شيء.

وفي هذه الأثناء كان المسلمون في الشرق يزدادون قوة والمسيحيون يزدادون ضعفا ، وكان الحجاج الذين يأتـــون الى الأراضي المقـــدسة كثيرا مايصدمون بالترف وبالحياة الفاسقة في مـــا وراء البحـــار ، وبددت الخلافات الداخلية بين بارونات الأرض الطاقة التي يمكن أن تستخدم في الدفاع عنها وترك موت الملك عموري ملك القدس في ١١٧٤ المملكة دون خليفة جديد ، وبعد قليل تـــولى صـــلاح الدين الســـلطة كرئيس لدولة مسلمة موحدة . وفي ١١٨٧ عانى المسيحيون من أعظم كارثة نزلت بهم عندما هزم صلاح الدين جيشهم ودمـــره عند قـــرني حطين في ٣ تموز ،ثم استرد طبرية ويافا وعسقلان وغزة وفي النهاية دخل القدس . وكانت معاملة المسلمين الانسانية للسكان المسيحيين في تضاد ملحوظ مع سلوك الصليبيين الذين اســـتولوا على المدينة في ١٠٩٥

ومرة أخرى استثيرت النصرانية الغربية للعمل. وفي ١١٨٩ أعدت حملة صليبية بقيادة ثـــلاثة ملوك : فـــريدريك بـــربروسا ملك ألمانية وفيليب اغسطس ملك فرنسا ورتشارد الأول ملك انكلترا للمضي الى ماوراء البحار ، وغرق بربروسا الذي انطلق أولا في نهـــر صـــفير وهو في طريقه عبر آسيا الصغرى في ١٠ حزيران ١١٩٠،وتبدد جيشه وقد ثبطت همته حتى تخلفت عنه فقط فرقة صغيرة ، وفي وقت مبكر

من السنة التالية أبحر فيليب ورتشارد من مسينا ليمضيا الى مساعدة الملك الاسمي للقدس ، الذي كان مع جيش صغير يرثى له يحاصر قوات صلاح الدين في عكا ، وكان جيشهما شركة غير مستقرة منذ البداية ولاختلاف المزاج – كان رتشار د حاد المزاج متهورا وعنيفا وكان فيليب داهية وباردا – وكانت علاقاتهما معقدة أكثر مع ذلك بسبب حقيقة أن الملك الانكليزي كدوق لنورماندي لم يكن تابعا مطيعا جدا ، بينما كان الملك الفرنسي من جانبه يغار من سلطة رتشارد.

ووصل فيليب الى أمام عكا في ٢٠ نيسان ١١٩١ ، أما رتشارد الذي أعاقته عاصفة في البحر ، وصل الى هناك بعد ذلك بسبعة اسابيع ، وعندما استسلمت عكا في ١٢ تموز رفع الملكان أعلامهما على الجدران ووضع ليوبولد ملك النمسا ، وكان الآن يتولى قيادة القوات الألمانية علمه هناك أيضا ، ولكنه فقط ليمزق ويلقي به في الخندق ، وهي إهانة وقع من أجلها انتقام قاس فيما بعد ، ويلقي ذبح رتشارد لأسراه من المسلمين بعد استسلام عكا ظلا أكثر سوادا على اسمه .

وفي آب ١١٩١ عاد الملك الفرنسي بعدما تعب من الحرب الصليبية ، وبسبب قلقه على حالة الأمور في مملكته إلى فرنسا ، وتولى رتشارد القيادة على بقية القوات وتابع الحملة . ومع أنه هزم صلاح الدين في أرسوف في أيلول ١١٩١ واستولى بنجاح على يافا في آب من السنة التالية ، وأصبحت القدس في متناول يده ، أغمض عينيه عن رؤيتها ، ولم يجرؤ على محاولة الاستيلاء عليها ، وكان الانجاز الوحيد لهذه الحملة الصليبية عقد هدنة خمس سنوات مع صلاح الدين الذي منح المسيحيين ملكية المدن الساحلية الرئيسة إلى مسافة في الجنوب تصل إلى يافا ، ومنح للحجاج حق حرية الدخول إلى القدس .

وهكذا نأتي إلى الحملة الصليبية الرابعة ، التي روى قصتها

فيلها ردين في كتابه الاستيلاء على القسطنطينية وهو عمل متميز بين أشياء أخرى لحقيقة أنه أول سجل يعتمد عليه عن هذه الحمـلات ، يكتب بالفرنسية ، وإنه لصحيح أن الحملات الصليبية الأقدم كان لها مؤرخوها ، ولكن هؤلاء الذين قد نلحظ بينهـم بشـكل خـاص وليم رئيس أساقفة صور قد أعطوا رواياتهم باللاتينية.هذا ولم يكن هناك نقص في سيل شعر معين يتعلق بمآثر الصـليبيين في بـلاد مـاوراء البحار ولكن أيا من هـذا لم يكن له أي قيمـة تـاريخية ، ويعـطي غرنيدوردي دواي،وكان يكتب في النصف الأول من القرن الثاني عشر رواية مليئة بالحيوية في أنشودة أنطاكية وأنشودة القـدس عن أخـذ هاتين المدينتين في الحملة الصليبية الأولى ، ولكنه من جـانب آخـر كان لديه تصور صغير وراء الحملة ، ومعرفة منقـوصة جـدا حـول الأحداث الرئيسة ، وما هو أقل أهلية للاعتماد ذلك التقليد للمـلاحم الفرنسية القديمة من مثل « غودفري دي بـوليون » أو « الفـارس المقدس » الذي يأخذ فيه الخيال الجامح مكان الحقيقـة ، ويعـطي النورمندي جونفلير في تاريخه « تاريخ الحـرب المقـدسة » سـجلا دقيقا للحرب الصليبية الثالثة ، ولكن من موقعه كحاج متـواضع بين الصفوف ليس لديه أكثر من نظرة خارجية للأحداث التي يؤرخ لها . وبقي للعامل الرئيس من الحملة الصليبية الرابعة أن يقدم التـاريخ الأول الجديد والمستكمل للمعلومـات عن مثـل هـذه الحملة بلغتـه الوطنية ونثرا .

ولد مؤلف «الاستيلاء على القسطنطينية» في وقت مابين ١١٥٠ و ١١٥٤ وكان والده فيلان دي فيلها ردين رجلا نبيلا من شـامبين ولديه ممتلكات في الجزء الجنوبي مـن الأقليم ، غير بعيد عن مـدينة تروييس الرئيسة ، ولم يكن جيوفري أكبر أولاد فيلان ولكن بفضـل روابطه بالمولد وفيما بعد بالزواج مع كثير من عائلات شامبين النبيلة والأقاليم المجاورة ، وبلا شـك أيضـا في قـوة شـخصيته القيادية وأهليته للاقدام أصبح في ١١٨٥ مارشالا لشـامبين . وفي تلك الأيام عندما كان القتال بين البارونات المتحـاربين احتمـالا كان واجـب المارشال أن يعمل على أن يكون كل شيء في وضعه الصحيح للمقاومة

أو الهجوم ، فإذا قامت الحرب كان عليه أن يتخذ كل الترتيبات الضرورية للحملة ، وفي غياب الأمير يتولى القيادة ، وإضافة لذلك كان نائبا للأمير في كل ما يتعلق بالادارة في الاقليم ، ولم يكن فيلهاردين على حد ما نعرف في الخدمة الفعالة قبل أن يذهب إلى ماوراء البحار ، ولكن هناك دليل على دوره العام الذي شغله كحكم في المنازعات ضمن الاقليم وكممثل لأميره في المفاوضات مع ملك فرنسا . وفي مجال واجباته أصبح على معرفة مع كثير من تلك الشخصيات البارزة النبيلة التي وردت أسماؤها في حوليته ، ولقي كمارشال للاقليم خبرة هيأته للمهام التي كانت تنتظره في حقل أوسع ، وفي حين أن عمله الذي كان يتبع ترتيبا زمنيا ليس سجلا للأحداث المعروفة من يوم ليوم ، فإنه كان بالأحرى نوعا من التاريخ الرسمي للحملة الصليبية الرابعة ، وقد تم تأليفه بعد بضع سنوات من نهاية الحملة المجهضة من قبل امرىء ممن استطاع أن يردف مذكراته هو عنها بالرجوع إلى الوثائق الموجودة ـ رسائل : معاهدات قوائم الجيش وهكذا ـ التي أمكنه الوصول إليها كمارشال لرومانيا ، وتكلم فيلهاردين كرجل ذي سنوات ناضجة وخبرة واسعة ومن موقع الثقة في الذين نظموا أو تولوا جزءا قياديا في الحملات المختلفة والأحداث الأخرى التي ادخلها وحتى ولو ـ كما بالنسبة لكل التواريخ التي كتبت قبل زمانه قد وضع الأحداث في منظورها الكامل ـ أن تفسيره كان أحيانا متحيزا ، إنه أعطى إجمالا روايات أمينه وجيدة جدا حول عمل بدأ جيد جدا وانتهى بشكل مفجع جدا .

والشيء نفسه لم تنج الدقة والجودة لعرض فيلهاردين لتاريخه من التحدي من نواح معينة فبعض ناقديه مثلا يؤكد أنه في القاء المسؤولية عن انحراف الحملة الصليبية إلى زارا وفيما بعد إلى القسطنطينية على الرجال الذين أخفقوا في تقديم تقاريرهم إلى البندقية لم يأخذ بعين الاعتبار بعض المؤامرات التي كانت تحاك خلف الكواليس ، وادعى آخرون أنه بفعله ذلك قد رتب عن عمد قصته هكذا ليحرر بعض قادة الحملة من اللوم ، ومثل هذا النقد

يمكن الاجابة عليه بسهولة ، فلا شك أن أهل البندقية وجدوا بحالة منحتهم فرصة زيادة نفوذهم في حوض البحر المتوسط ، ولاشك في أن فيليب صاحب سوابيا كان متلهفا على جعل صهره اليكسيوس يستعيد سلطته ، وفي حين أن هذا قد يكون كذلك إنه من الصعب تخيل أن الصليبيين الفرنسيين كان يمكن أن يوافقوا على تأييد مقاصد البندقية وألمانيا لو أنهم في ظروفهم الصعبة والمقيدة رأوا أي طريقة أخرى للنجاح في مغامرتهم ، وأما بالنسبة لفكرة أن فيلها ردين عمل كمدافع رسمي فهذا يمكن استبعاده بسرعة نظرا لروايته الأمينة للأعمال عن الدور نفسه لهؤلاء القادة في تاريخ لاحق . وقد اتهم فيلها ردين أيضا بالقسوة المفرطة في حكمه على الرجال الذين أخفقوا في الانضمام إلى الجيش أوفروا منه ، إنه قاس بالتأكيد ولكننا يجب أن نأخذ الظروف في الاعتبار فلقد قيد البارونات أنفسهم في مجلس مكتمل بالالتزام بأي اتفاق يتوصل إليه مبعوثوهم في البندقية ، وبعادة إقطاعية كان كل من رهنوا أنفسهم بالمضي مع الحملة ملتزمين بالدرجة نفسها ، وكرجل شريف هونفسه ، مع مفهوم عال لواجباته العسكرية وجد فيلها ردين أنه لايتصور أن أي رجل يستحق اسم فارس يمكن أن يحنث بوعده ، أو يمتنع عن المضي إلى حيث يأمر قائده ، لماذا ـ هكذا تعجب ـ تخلف مثل هذا العدد الكبير من الفرسان ؟ وفي سخطه بسبب الضرر الذي سببه هذا الارتداد عن هذه المغامرة ، بدا له أنهم ربما قد اعتقدوا أنه من الأسلم أن يذهبوا إلى سورية حيث كان المسيحيون مايزالون يحتفظون بمدن معينة بدلا من مواجهة مخاطر شن حملات على بلد كان بكامله في أيد مسلمة ، ومع ذلك ومع مراعاة التقلب البشري في رواية مصير الذين ذهبوا إلى سورية أنه لم يكن الشجاعة بل نقص الحكمة هو مالامه فيلهاردين ، والكلام هنا من منطلق الاشفاق بدلا من الغضب إنه قدم التقدير لذكرى الفرسان الجيدين ويأسف فقط لأنهم وقعوا في خيار سيء وتحملوا العقوبة على حمقهم الآثم .

أما بالنسبة للزعم بأن فيلها ردين في روايته حول الخلافات في الجيش أو الفرار بالتالي منه لم يترك مجالا للشكوك الدينية للذين

احتجوا ضد شن الحرب على المسيحيين ، من الصعب في هذه الفسحة من الزمن تقدير إلى أي حد كانت هذه الاحتجاجات مخلصة وإلى أي مدى قدمت كذريعة لحل الجيش ، وفي حالة راعي دير فو هناك بعض الأسباب للشك لأن هذا الأكليركي الذي كان نشيطا جدا في إثارة الخلافات في جيش الصليبيين ، والذي تركه في النهاية بذريعة الشكوك الدينية ، لم يبد مثل هذه الحساسية في ١٢٠٩ عندما شغل دورا قياديا في الحملة الصليبية ضد الألبانيين الذين لم يكونوا أقل نصرانية من الروم .

وفي كل الأمور المدروسة إنه من الصعب الشك بأن فيلها ردين وقد كان مقتنعا بأن الأمل الوحيد في استرداد القدس يكمن في الابقاء على وحدة الجيش ، كان قليل الصبر مع الذين رغبوا في حله ، وقليل التعاطف مع الذين ردوا على الشكوك الدينية ، أو لم يمنح البابا نفسه ــ وقد روع في البداية بالهجوم على المدينة المسيحية زارا ، الغفران للصليبيين على أساس أنهم قد تصرفوا تحت الاضطرار والاكراه وحثهم على الابقاء على وحدة الجيش ؟ علاوة على أنه في الوقت نفسه الذي كان فيه راعي دير فو يثير المتاعب كان قداسته اعتمادا على وعد اليكسيوس قد عمل على جعل الكنيسة اليونانية تحت سلطة روما ، وأخيرا وبعد بعض التردد أعلم الصليبيين أنه لن يعارض في الحملة على القسطنطينية طالما أنها كانت تدار بطريقة تؤدي إلى إعادة توحيد الكنيستين الرومانية والأرثوذكسية .

ولم يكن لهذا الأمل أن يتحقق مطلقا ، ولم يكن لهذا الجيش أن يبلغ مطلقا المدينة المقدسة ومن الوقت الذي قدم فيه الفرنجة إنذارهم إلى الأمبراطور اليكسيوس الرابع في شباط ١٢٠٤ كانت كل الأفكار حول حملة صليبية قد غابت عن الأنظار في سلسلة من النزاعات بين الفرنجة والروم ، والمتاعب الكثيرة التي أعقبت إنشاء الأمبراطورية اللاتينية لرومانيا بقوة السلاح ، وفي هذا القسم الأخير من الحولية أن انحياز فيلها ردين يجب أن يؤخذ في الاعتبار ، وبرواية الأحداث من وجهة النظر الفرنسية إنه يفسرها إلى حد ما يستطيع مع

الاجحاف بالروم الذين اليهم كانت تعزى المحاولة الباسلة لأمة مهزومة لاكتساب استقلالها المفقود ، وكانت في عينيه برهانا على أنهم كانوا بالطبيعة غير مخلصين وخونة ، وبصرف النظر عن هذا الانحياز تعطي حوليته رواية حية عن الصراع الطويل المأساوي بين مسيحي الشرق والغرب ، وهو صراع يمكن أن نستمد منه استنتاجاتنا .

ومن الحقائق التي يضعها فيلها ردين أمامنا تبين أنه من أول توليهم للسلطة وقع الغزاة في الخطأ المميت بالاقلال من شأن المقاومة التي قد يجدوها ، واثقين من أنه بعد الانهيار المفاجيء للمقاومة في القسطنطينية كان اخضاع بقية الامبراطورية أمرا سهلا ، وعلى مايبدو إنهم كانوا غير مدركين للكراهية المرة التي ثارت في عرق مثقف بفعل بربر متغطرسين برعونة نهبوا مدينتهم الجميلة وحطموها بعدما كانت واحدة من أجمل المراكز الحضارية في العالم ، ثم أن الفرنجة لم يقوموا بأي محاولة لاسترضاء الروم .

وفي البداية بدا كما لو كانت ثقتهم كان لها ما يسوغها وبصرف النظر عن بعض المدن المعزولة التي كانت مازالت صامدة ضد الغزاة ، كانت الأرض على الجانب الشمالي من المضايق قد استسلمت للحكم الأجنبي ، ومع ذلك فكر البارونات كما يقول فيلها ردين نفسه بدلا من حكم الأراضي الخصبة لهم بحق فقط في أي مكسب يمكن أن يحصلوا عليه لأنفسهم ، وكانت هذه الاثارة الأخيرة كثيرة جدا بالنسبة للروم وبقيامهم بالثورة دفعوا بالفرنجة خارج أدرنة وديموتيكا واستولوا على هاتين المدينتين الهامتين ، وفي تلهفهم على طرد الغازي بكل الوسائل الممكنة دخلوا في تحالف مع الملك القوي لوالاشيا وبلغاريا ، وثبت في النهاية أن جوهانيتزا كان حتى أكثر بعدا عن الترحيب من الفرنجة .

ولكن إذا كان للروم من سبب للأسف من مجيئه ، كذلك فعل قاهروهم عندما أخذت قوات جوهانيتزا تجتاح الأمبراطورية ،

وتستولي على المدن الجبلية في رومانيا وتدمرها حتى بقي اثنتان منها فقط بجانب القسطنطينية في أيدي الفرنجة .

وفي الوقت نفسه كان على الجانب الآخر من المضايق في آسيا الصغرى ثيودور لاسكاريس زوج ابنة اليكسيوس الثالث يعمل ما في وسعه لمنع الفرنجة من الاستيلاء على الأراضي المخصصة لهم ، وأخيرا كما يخبرنا فيلها ردين نجح في تحقيق أهدافه ، وبالاعتراف به منذ البداية من قبل الروم في آسيا الصغرى وأولئك الذين اصطفوا إلى جانبه من العدوة الأخرى كحاكم شرعي لهم : توج امبراطورا في ١٢٠٦ وكان لامبراطورية نيقية أن تبقى كمركز قيادة للملكة الرومية حتى مع سقوط الأمبراطورية اللاتينية في ١٢٦١ عاد أحد أبناء سلالة الأمبراطور تيودور لحكم القسطنطينية .

وتنتهي حولية فيلهاردين فجأة نوعا ما بموت المركيز دي مونت فرات في ١٢٠٧ وحقيقة أن هنري فالانسيان في كتاب (تاريخ الامبراطور هنري) قد أكمل حكاية رومانيا من النقطة ذاتها التي انقطعت عندها رواية فيلها ردين ، توحي بأن النهاية المفاجئة للاستيلاء على القسطنطينية تعود إلى وفاة المؤلف ، وتاريخ هذا الأمر غير مؤكد ، وهناك أدلة على أن فيلها ردين كان مايزال حيا في ١٢١٢ وكان مايزال في رومانيا حيث يحتمل أنه بقي بقية حياته ، والوثائق المتعلقة بالتبرعات في ذكراه وذكرى زوجته تقدم الدليل .

على أنه قد توفي في وقت ما قبل حزيران ١٢١٨ وفي كل الأحوال فإنه قد عاش بما يكفي لكي يرى الامبراطور هنري أكثر حكمة وبعد نظر من أخيه سيء المصير ، وقد استرضى الروم باعطائهم حصة جيدة من التمجيد والمناصب وبتحقيق السلام في هذا الجزء من الامبراطورية الذي ما زال باقيا له .

إن الاستيلاء على القسطنطينية هو أحد مصادرنا الرئيسة للمعلومات حول مجرى أحداث الحملة الصليبية الرابعة (١) ولكنه

أيضا تذكاري لائق لواحد ممن كانت ممارستهم المستمرة لفضائل الفروسية من الولاء والشجاعة تعطيهم مكانا بين أنبل الشخصيات في أيامه ، رجل ذو مبادىء دينية ثابتة ، وكان واجب فيلهاردين تجاه الرب كما رآه هو أن يخدمه بالاخلاص الذي يخدم به التابع الجيد أميره ، وفوق وبعد كل ذلك الاعتراف بأن كل الأحداث ، سواء كأدلة على رضا الرب أو عدم رضاه هي بمشيئته ، والاخلاص للرب علاوة على ذلك يستتبع الوحدة التامة للسلوك ، وكل خرق للعقيدة ، وكل الأعمال السرية وأفعال الخيانة وكل الاشتهاء والجشع والبحث عن الذات ، ليست فقط مضادة لقوانين الفروسية بل انتهاكات للقانون الالهي ، فإذا كان الرب الذي يخدمه فيلهاردين « هو رب المعارك » وإذا كان يقبل دون سؤال تصديق ممثل البابا على الحرب ضد المسيحيين الروم كحرب عادلة ومقدسة ، مع أننا قد نأسف على المكان الصغير الذي يحتله الحب والرحمة في دينه ، إننا لا يمكننا أن نشك في الاخلاص في عقيدته ٠

وبالقدر نفسه في خدمته للذين يدين لهم بولائه الدنيوي فإن فيلهاردين يفسر واجبه بأنه شيء أكثر من الطاعة العمياء ، رجل ذو أخلاق قوية وحكم راسخ ، إنه لايخشى أن يظهر عدم موافقته على الخلاف بين الامبراطور بلدوين والمركيز دي مونتفرات ، ولكنه يتدخل بشهامة ليرأب الصدع ، وفي هذا كما في أمثلة أخرى في كل الحولية كان همه أن يعمل من أجل الخير المشترك للجميع .

وكانت الشجاعة تلك الصفة الأساسية الأخرى للفارس كما فهمها هي نشاط منظم ، انها لم تتكون من اغماض المرء عينيه أمام المخاطر ، وهناك الكثير من التلميحات في عمله إلى المخاطر التي تعرض لها هو وزملاؤه الصليبيون ، وهي لا تختلط وتتشوش مع الجفاف ، الذي كما كان في حالة القتال المفجع في أدرنة يقود الرجال للمجازفة ليس فقط بحياتهم بل بالمغامرة التي التزموا بها ، انها في الواقع المقدرة على القيام بتقويم هادىء ومتوازن للخطر دون الاستسلام للخوف ، ومثل هذه الشجاعة هي شجاعة فيلها ردين ،

ومع ذلك هي ثابتة بشكل طبيعي حتى أنه كان يأخذها على أنها ليست شيئا يتباهى به ، وقد روى كل مغامرة كانت تتعلق به كواحدة كان لرفاقه البواسل حصة كاملة فيها .

وكان رجلا ذو حكم واضح متوازن صارم متزمت صموت أو كتوم بطبيعته ، لقد تميز فليها ردين بالبساطة ووضوح الفكر في عمله لا اقحام لشخصيته ولا تحليق في الخيال ولا أوصاف طويلة تصويرية كتلك التي كان يسر معاصره روبرت دي كلاري بها وتتدخل لتقطع خط القصة الواضح الذي يفرض اهتمامنا بعرضه البارع للحقائق ، وكرجل دولة في فهمه لتحولات حملة بدأت كحملة صليبية وانتهت كحرب ضد المسيحيين واضح وظاهر باختياره الماهر ومعالجته لمادته ، والمضمون السياسي لكل تحول في الأحداث لكي يؤدي إلى فعل آخر ، وهذا دون حاجة لتعليق أكثر مما يلزم ليجعله واضحا ، لقد كان جنديا كما كان رجل دولة وهذا الشعور بالترتيب والنظام كان جزءا ملازما لرجال مهنته ، وهو يبدو بوضوح وبساطة في روايته الصريحة والدقيقة عن الخلافات ضمن الجيش وأيضا عن الانشغال الكثير في النزاع الطويل بين الفرنجة والروم .

ومع ذلك من أجل الرصانة العامة في شرحه للمجرى غير الثابت للحملة الصليبية الرابعة ، لا ينقص عمله بأي حال الحيوية ، وعندما على سبيل المثال تنتقل قصته من المؤتمرات والأمور الروتينية الأخرى إلى ذكريات الجيش في الحملة إن التضاد بين تصويره الحي الدراماتيكي لأقدارها وعرضه الأكثر هدوءا للأحداث الأخرى في عمله ، يعطي الضوء والظل لحولية لا تختلف مطلقا في بساطتها بل تغير نغمتها وايقاعها كما تتطلب المناسبة ، وبالنظر إلى هذه الحولية ككل مع تذكر أن فيلها ردين كرائد بين المؤرخين الفرنسيين لم يكن لديه دليل آخر فيما عدا نزعته المحلية الأصيلة يمكننا فقط أن نعجب من مهارة ذلك الجندي ورجل الدولة الذي ينظم وينشر الوقائع مثلما يفعل القائد الخبير بقواته ليضع هذه القصة ذات الآمال العالية الخائبة بمثل هذه الحيوية أمام أعيننا .

وبعد اخفاق الحملة الصليبية الرابعة في بلوغ هدفها الأول ، انقضى بعض الوقت قبل القيام بمحاولة أخرى لكسر قوة المسلمين ، ثم في ١٢١٨ عبر جين دي بريين الملك الاسمي للقدس والحاكم الفعلي لملكة عكا الصغيرة البحر إلى مصر ، وبعد حصار طويل استولى على دمياط في تشرين الثاني من السنة التالية ، وبعد ذلك بعامين،وكان قد حقق القليل في ذلك الوقت،أحضر جيشه إلى الخليج حيث غمر سلطان مصر الأراضي المنخفضة في حوض النيل فاضطر إلى الاستسلام واعادة دمياط إلى المسلمين ، ولم يعط أي بابا بركته للحملة الصليبية السادسة ولم تباشر بناء على أي باعث ديني ، وكان قائدها الامبراطور فريدريك امبراطور المانيا الذي كان محكوما عليه بالحرمان الكنسي في ذلك الوقت قد أبحر إلى عكا في أيلول ١٢٢٨ ليطالب بمملكة القدس لنفسه بحق زواجه من ابنة وريثة جين دي بريين . لقد كان جيشه صغيرا ، وقد استقبل استقبالا فاترا من قبل بارونات بلاد ما وراء البحار ، ولكن ما لم يستطع أخذه بقوة السلاح تدبر أمر تأمينه بالدبلوماسية . وفي شباط ١٢٢٩ بعد مفاوضات طويلة نوعا ما مع السلطان وقعت اتفاقية يافا ، التي أعطت فريدريك ملكية كل القدس باستثناء مسجد عمر واستعادة المسيحيين ليافا وبيت لحم والناصرة إلى جانب السيادة على تيرون وصيدا .

وهز هذا التسليم الاعتباطي لمدنهم المسلمين وصدمهم ولم يكن المسيحيون من جانبهم أقل غضبا من الشروط التي مكنت الكفار من الوصول إلى القدس مع تركها غير محصنة ، وبقي العداء بين المسلمين والفرنجة ، وفي ١٢٤٢ سقطت المدينة مرة أخرى في أيدي المسلمين .

وبعد أن بلغت أخبار هذه الكارثة إلى أوربا بوقت قصير ، سقط الملك لويس التاسع ملك فرنسا مريضا بشكل ميئوس منه وعلى فراش مرضه نذر أنه إذا استرد عافيته بمعونة الرب فسيمضي بنفسه في حملة صليبية لاستعادة القدس . وكانت هناك شؤون ضاغطة

يجب تسويتها في الوطن أولا ، وهكذا انقضت أربع سنوات قبل أن يترك باريس في آب ١٢٤٨ في المرحلة الأولى من رحلته إلى الشرق ٠

ولم تصل هذه الحملة الصليبية السابعة مثل معظم الحملات التي تقدمتها إلى القدس ، فعلى الرغم من شجاعته الشخصية وقدرته على إلهام شجاعة مماثلة للاخرين ثبت أن مهمة اخضاع المسلمين في مصر كبيرة جدا على رجل كان قديسا اكثر منه عسكريا حقيقيا ، ومرة أخرى غرقت أمال الصليبيين في النيل ، ووصلت حملة الملك التالية الى الأراضي المقدسة إلى نهاية مفاجئة ، بالمتاعب في مملكته التي حتمت عودته إلى فرنسا ، حتى لو أنه بقي هل كان محتملا أن يتمكن من تحقيق شيء . إن بارونات ما وراء البحار المتعجرفين والمستغلين لم يتقبلوا قط بشكل طبيعي التدخل من الغرب . وبعد أن أفادوا من مساعدة الملك الفرنسي في استعادة بعض مدنهم واعادة تحصينها ، أصبحوا فقط مستعدين جدا ليؤكدوا له بأنهم ليسوا في حاجة لمزيد من مساعدته ، علاوة على أن النبلاء الفرنسيين وقد تعبوا من الحرب التي لم يروا فيها أي نفع مأمول لانفسهم ، كانوا لزمان طويل يحثون الملك على العودة إلى فرنسا وبعضهم وبينهم أخوة الملك كانوا قد تركوا الشرق من قبل .

وبعد سنوات عديدة جعل استرداد انطاكية ١٢٦٨ الملك لويس يفكر في حملة صليبية جديدة ، وكان أخوه شارل وقد أصبح الآن ملك صقلية ، لديه مطامع في أن يصبح هو نفسه حاكما لامبراطورية متوسطية فحرض الملك الساذج غير النزاع إلى الشك بدرجة كبيرة على أن يبدأ بهجوم على المسلمين من شمال أفريقيا . وكان هذا في الحقيقة أمرا شريرا أن يشجع رجلا في مثل هذه الحالة من الضعف الصحي على القيام بأي حملة .

وفي تموز ١٢٧٠ نزل الملك لويس وهو مريض إلى الشاطىء في قرطاج ولكنه سرعان ما سقط ضحية الطاعون ومات في تونس في ٢٥ آب ، وروع شارل وعاد إلى صقلية ، وكان الأمير ادوارد

أمير انكلترا (الذي أصبح فيما بعد ادوارد الأول) قد وعد بالانضمام إلى الملك لويس في تونس وقد وصل بالفعل إليها بينما كان الفرنسيون يغادرونها ، وبعد ذلك بقليل أبحر إلى عكا ولكنه وجد حالة الأمور في بلاد ما وراء البحار سيئة جدا بدرجة لا تسمح له بأن يقوم بأي شيء هناك سوى المساعدة على تنظيم هدنة مدتها عشر سنوات مع المسلمين ، ومن ذلك الوقت وما بعد استمر القتال بين المسلمين والمسيحيين في الشرق ، ولكنه لم يجذب سوى القليل من الاهتمام في الغرب وحدد سقوط عكا في ١٢٩١ نهاية الحكم المسيحي في بلاد ما وراء البحار .

وفي السنوات التي أعقبت موت الملك لويس ظهر أكثر من تقرير حول حكمه الخير وحياته القدسية ، وكتب اثنان من التواريخ من قبل كاهن اعتراف الملك وليم دي بوليو الذي كتب باللاتينية ورواية بالفرنسية تم تأليفها بعد بضع سنوات نقلا عن الروايات الأخرى من قبل واحد اسمه غوليوم دي نانجيس وقد بقيت نصف منسية على رفوف المكتبات العلمية ، وهناك ثالثة مازالت معروفة على نطاق واسع ومقروءة ، وترجمت من قبل عدة مرات إلى الانكليزية وهي المقدمة هنا في نص جديد بعنوان « حياة القديس لويس » ، وكان مؤلف هذه الحولية مثل فيلهار دين مواطنا من شامبين والابن الثاني لسيمون أمير جوانفيل ، وهو رجل نبيل ذو منزلة رفيعة كوكيل أمير الاقليم ، ولد في حصن امارة والده فوق مدينة جوانفيل الصغيرة على المارن ولم يكن الأول في أسرته الذي يذهب في حملة صليبية ،فقد كان جده جيوفردي ضمن الجيش الذي حاصر عكا في ١١٨٩ ومات هناك قبل أن يستولي الصليبيون على المدينة . وانضم اثنان من أعمامه جيوفروي وروبرت إلى الحملة الصليبية الرابعة وصحب روبرت وهو الذي التقى به فيلهاردين وهو في طريقه عائدا من البندقية غوتييردي بريين الى ابوليا ، ويقال إنه مات هناك ، وذهب جيوفري إلى سورية وقتل في ١٢٠٣ في معركة قلعة القرن . ويثني شعر من تأليف غي دي بروفنس على شجاعته الرائعة . وحافظ الصبي الذي استمع إلى قصص مآثر أقربائه في

حياته التالية على تمجيد ذكراهم . وفي عودته من حملته في بلاد ما وراء البحار أحضر درع عمه جيوفري ليعلقه في كنيسة سانت لوران في جوانفيل ووضع لوحة هناك نقش عليها بكلماته اطراء للأعمال الجيدة للرجال من أسرته في الوطن وفي الحروب الصليبية .

وسيمون والد مؤلفنا الذي خلف أخاه جيوفري أميرا على جوانفيل قد شارك في الحملة الصليبية ضد الألبان وحارب فيما بعد مع جيش جين دي بريين في مصر ، وكان هناك عندما سقطت دمياط ويذكر ابنه قصص أبيه حول ذلك الحصار الصعب ويقارنه بالاستيلاء السهل على دمياط من قبل الملك لويس ، وبين ذكريات أخرى حول طفولته في ليلة معينة في ١٢٣٠ عندما ترك سيمون الحصن وأسرع لاغاثة ترويس ، وكان الصبي في أوائل العقد الثاني عندما توفي ابوه وكان ابن سيمون الأكبر قد توفي من قبل ، وهكذا أصبح جين أميرا على جوانفيل وأدارت أرملة سيمون التي يبدو أنها كانت امرأة ذات شخصية قوية الأملاك خلال فترة حداثة ولدها ، وأعدته للوقت الذي سيصبح فيه كبيرا بدرجة تكفي لمزاولة واجبات أمير شامبين وهو منصب كان يشغله أمراء جوانفيل لأجيال عديدة . وفي هذا التاريخ بالذات لم تكن مثل هذه الواجبات مرهقة ، ولم يعد يدعى لادارة العدل ضمن الاقليم أو للتحكم في الترتيبات الداخلية في قصر أميره ، وكانت وظيفة نائب الأمير الرئيسة هي أن يقف على خدمة أميره في مناسبات الاحتفالات الخاصة ، بالاضافة إلى أن يعرف كيف تدار مثل هذه الشؤون مع انتباه متوجب للأمور ذات الأولوية ، وللطرق الصحيحة للسلوك ، والطراز المناسب للباس ٠

وكان الفتى وهو بعد أصغر من أن يصبح فارسا يقوم بقطع اللحم للكونت دي شامبين في الوليمة في القاعة الكبرى في سومور في ١٢٤٧ ، وكان على معرفة جيدة سالفة بواجبات منصبه ، وفي السنوات التالية سيظهر تاثير تدريبه المبكر كنائب للأمير في تسجيله لكثير من الأمور الغريبة التي رآها وسمع بها خلال مدة اقامته في الشرق .

وعلى مايبدو أنه كان في سومور أن حصل جوانفيل على النظرة الأولى الى الرجل الذي كان له أن يحدث مثل هذا الأثر في حياته ، ولكنه حتى الآن الى حد مانعتقد لم يكن قد أصبح في تماس شخصي وثيق مع الملك لويس حتى أصبحا معا في الحملة الصليبية ، وعندما قرر الانضمام الى الحملة الصليبية ، في ١٢٤٨ كان هناك شك صغير في أن رغبته في اتباع المثل الذي وضعه الأمراء السالفون لجوانفيل كان العامل المحدد في خياره . وفي هذا الوقت كان مايزال يعتبر نفسه تابعا للكونت دي شامبين . ورفضه الخروج على العادة الاقطاعية بأداء قسم الولاء للحاكم الذي على رأس أميره دلالة واضحة على علاقته مع الملك لويس قبل أن يلتقيا في قبرص . وكان ارتباطه الوثيق بالملك مقدرا له أن يأتي وأن يوحي بكتابة تاريخه .

وتختلف حياة سانت لويس كثيرا في خصائها وتركيبها ومحتواها عن رواية فيلها ردين المرتبة المتسمة بالحكمة عن الحملة الصليبية الرابعة ، وبصرف النظر عن القسم الذي يتعامل مع الأحداث الأولى في حكم الملك فإن تفاصيل قليلة مثل الأوامر الموجهة لحكومة مملكته وكلماته الأخيرة لابنه ، وحفنة من الحكايات قد استعارها جوانفيل جميعا من الحوليات الأقد م وهي بالأحرى مجموعة من الذكريات والخبرات الشخصية الماضية أكثر منها تاريخا بالمعنى الصحيح للكلمة . وترتيب جوانفيل لعمله علاوة على ذلك في القسم الأول مليء بصور لورع الملك ولادارته العادلة ، ويتبعها تغطية ثانية مفصلة تقريبا ، لقصة حكم الملك لويس ولاجازته الأخيرة كقديس وهي قصة لامفر من أن تؤدي الى تكرار كثير .

وبعض الخلاف بين هاتين الحوليتين يمكن بلا شك أن يعزى الى حقيقة أن الأقدم منهما هي من عمل رجل في ربيع الحياة والأخيرة من عمل رجل يزيد كثيرا عن الثمانين . وباعتراف الجميع كان جوانفيل كثيرا مايكون ثرثارا كما هم المسنون ويميل كالعجائز الى تكرار نفسه ومع ذلك كما ينظر المحارب المحنك الى الوراء عبر نصف قرن وأكثر الى الأيام حيث حارب وعانى الى جانب ملكه المحبوب

فإن جدة وحيوية سجله للخبرات الماضية يجعلنا ننسى عمره ، انه مايزال في الواقع ذلك الفارس الفتى العنيف المتلهف الذي خرج منذ زمان طويل في رحلة الى ماوراء البحار ، ومايميز عمله بشكل خاص في الواقع عن عمل فيلهاردين هو في الحقيقة خلاف في المزاج ووجهة النظر بين هذين المؤلفين أكثر منه هو فارق بين سنواتهما .

وخلافا للمؤرخ الأقدم ، الذي كان عمله مصمما لبيان الاهمية السياسية للاحداث ، وقد بذل إهتماما فقط للاعمال التي شغلت واجهة المسرح واهتمام جوانفيل الأكثر في تأثير الأحداث على الناس الذين كانوا يشاركون فيها يملأ خلفية تركها فيلهاردين غامضة ، وهكذا في تصوير معركة ، بدلا من أن يعطي كما فعل فيلهاردين نظرة عامة عن تقدمها ، يأخذنا جوانفيل الى قلب الصراع ليبين في سلسلة من الحوادث الصغيرة التي تؤثر على الأفراد أو جماعات الناس ردود الفعل المختلفة للناس الذين قاتلوا في تلك الحملة الشرقية المريرة ، واذا حدث في احدى المناسبات أن تحدث عن مؤتمر فانه لايقنع بتسجيل القرار النهائي ، بل يوسع ماقد يورده فلهاردين في جملة موجزة الى رواية تفيض بالحيوية للتبادل في الرأي بين الناس ذوي العلاقة ، وفي الحقيقة نجده يلح في سائر مواد حوليته على الجانب الانساني في قصته ولكونه المراقب الفضولي من الجنس البشري في أي شكل أو صورة وجد جوانفيل بجد متسعا في عمله لمثل تلك الأشياء كالعادات الغريبة وملابس العدو وعلوم الدين لدى الانسان القديم الجبلي ، وتدريب حرس السلطان أو عادات الدفن البدائية للكومان ، ولم يقتصر اهتمامه على الكائنات البشرية اذا لفت أي شيء انتباهه عرضيا اهتم به وتحدث عنه وليكن ذلك سمكة مستحاثة أو منابع النيل الاسطورية أو قوس ونشاب عتيق الطراز ، فقد كان هذا الرجل وهو نصف صليبي ، نصف رحالة باحث .

وللمنهج الوقتي الذي يتبعه في كل حوليته مساوئه ولكن هذا يمكن

أن يعوض بالصورة المليئة بالحيوية التي يعطيها لزمانه ولطرق الحياة في الشرق ٠

ومن الحوليات التي تختلف في طرق كثيرة جدا فان من المعقول ان يتوقع المرء أن تظهر صورة مختلفة نوعا ما لكل مؤلف . وهذه هي الحالة الى الحد الذي يقدم فيه فيلهاردين الشخصية المثالية لفارس في سلاحه الكامل في حين يكشف جوانفيل عن الرجل الطبيعي في داخله . ان الطريقة الصريحة والبسيطة التي يتكلم بها عن حزنه عند رحيله عن قصره وأطفاله وعن الشكوك والمخاوف التي ساورته في مجرى القتال وتراجعه عن الموت بأيدي المسلمين ، يضع في دائرة الضوء انفعالات شائعة ولكن لايعترف بها الناس بأمانة ، الناس ذوي المشاعر من الذين عانوا من محنة الحرب الصعبة ، وفي روايته المتواضعة عن دورة في مختلف العمليات في الشرق واطراء الشجاعة التي أبداها رفاقه برهان على أنه كان بالطبيعة شجاعا وكريما بقدر ماكان حساسا ومخلصا ، واذا أخذنا في الاعتبار أيضا ولاء جوانفيل الذي لم يفتر للملك الذي كان يخدمه ، وقوة الشخصية التي أظهرها في أكثر من مناسبة ، والعناية المفرطة التي تندر في رجل من طبقته نحو الصليبيين الأكثر تواضعا الذين بقوا في الأسر ، واحساسه بالمسؤولية من أجل رخاء الناس في ممتلكاته الخاصة فيه برهان أن هذا المؤرخ العجوز المختلف جدا عن فيلهاردين في طريقته في معالجة مادته ، كان رجلا متماسكا بكمال ومع أنه انساني أكثر حرارة لم يكن فارسا أقل شهامة .

وتحوي حياة القديس لويس عند النظر اليها ككل ، الكثير مما ليس له ارتباط ، أو كان قليل الارتباط بالموضوع الذي قدمه جوانفيل في تكريسه المبدأي ، ومع ذلك ومع كل تلوينه حقق العمل أهدافه في اعطاء الشرف الكامل لذكرى ذلك الملك الصالح ، وفي الحقيقة ان شدة تلهف هذا الصديق والحواري للقديس لويس على اضفاء التقدير الموائم على أميره المتوفى ، والذي يصبه في حوليته صورة بعد صورة عن فضائله الكثيرة ـ كان نصفها ـ أكثر من

كاف ، وهذه الزيادة في الحماس أكثر ظهورا في الأجزاء من العمل التي يتعامل مع حياة الملك في الوطن والتي يظهر فيها ورعه الدائم وعبادته الله في السر والعلن ، واحسانه وسخاء يده وحبه لشعبه ، المجال الواسع الذي يمنحه للعدل في مفهومه لواجبات الحاكم ، وقد سجل لها بتطويل أكثر من اللازم ، وفي القسم الذي يتعامل مع الأحداث في بلاد ماوراء البحار تظهر شخصية الملك بشكل اكثر درامية من الأحداث التي تصور ، بين اشياء أخرى ، شجاعته المقدامة في المعركة ، وتحمله الصابر للمرض وثباته في وجه الهزيمة ، ومحاكمات الأسر القاسية وهو هنا في الحقيقة كما يصوره جوانفيل قائد يضع مثاله الشجاعة في القلوب الواهنة ويلهم حبه لرجاله ويبعث فيهم اخلاصا مشابها ، وهو ايضا ملك لايستند على هيبته بل هو رجل يمكن التحدث معه لابل حتى المزاح كصديق .

هكذا كان الملك الذي أحبه جوانفيل وبجله ولكن ليس بشكل أعمى ، ولكونه دائما الخادم الوفي لسيده احتفظ بحقه في الحكم على أعمال سيده وهكذا في حين وافق بشكل عام على سمات شخصية ملكه المستقلة كما بدت مثلا في رفضه أن يدع ضميره لحكم الأكليروس ، لم يكن جوانفيل متأكد تماما من أنها كانت حكمة من أميره أن يتجاهل النصيحة من الذين الحوا عليه في أن يتبع « العادات الطيبة للأراضي المقدسة » في توزيع الغنائم في دمياط ومع امتلائه بالاعجاب بورع ملكه كما كان ، مع ذلك اعتبر أنه غير لائق به البقاء متعبدا في كنيسته عندما كانت الطيبة والكياسة تتطلب منه أن يذهب للقاء زوجته عند وصولها الى صيدا بعد وقت قصير من وضعها مولودا ، وبالمناسبة فإنه لم يتردد حتما في التحدث بصراحة مع ملكه كما على سبيل المثال عندما وافق على البقاء فترة أطول في خدمته شريطة ان يتحكم الملك من جانبه في مزاجه في تلك الفترة نفسها،وهكذا أيضا عندما أهدى راعي دير كلوني الملك مهرين جميلين ثم جاءه في اليوم التالي ليعرض أمامه قضيته ويسأل جوانفيل أميره عما اذا كان حكمه قد تأثر بتلك الهدية ، وعندما سمع أنه قد تأثر اغتنم جوانفيل فرصته بأن نصح الملك بأن يمنع كل

من له علاقة بادارة العدل في مملكته من قبول هدايا من أشخاص ممن يمثلون أمامهم للتقاضي لئلا يتأثروا بالطريقة نفسها .

وفي حين تساعدنا هذه الأمثلة على أن نرى في بطل جوانفيل كائنا بشريا أكثر منه قديسا مهيبا انها ليست موجهة ولايجب ان تفسر هكذا ـ للقدح في ذكرى أمير مبجل وصديق ، وتقف قصة جوانفيل حياة القديس لويس كوفاء وتقدير جدير بملك ، ومايجب ان يحمل الفارس نفسه عليه ، وكيف يحكم رجل في السلطة الشعب الموكل اليه ، ولم يكن كل حبه واحترامه لهذا الملك اقل من حزنه على فقد مثل هذا الصديق العزيز الذي يجد تعبيرا ساميا في حلم جوانفيل بالقديس لويس والذي يأتي كخاتمة مناسبة لهذا الكتاب .

ويأخذنا كتابا فيلهاردين وجوانفيل وفق ماقاله السير فرانك مارزيالس الى الوراء مسرورين الى وسط أمور قديمة منسية قد مضى زمانها ومع ذلك فلن أمضي بعيدا جدا الى حد التمسك مع ذلك المترجم الأقدم بأن الاهتمام بالنسبة لنا اليوم يكمن كليا تقريبا في اشارته الحية للماضي،ولا أنا اتفق معه في الاعتقاد بأن النص « يتبع الاسلوب الفرنسي بشكل اقرب مايمكن باستعمال اسلوب ادارة الكلام ومجموعة المفرادات القديمة أو التي توحي بالقدم » بل هو محسوب بالشكل الأفضل ليعطي القارىء الحديث انطباعا كاملا وحقيقيا عن كتابيهما .

وبالنسبة لفكري انه بصرف النظر عن أهميتهما التاريخية الحقيقية جدا ، لهاتين الحوليتيين القديمتين قيمة دائمة كوثائق بشرية ، نجد فيها كم هو قليل التغيير الذي ألم على مر العصور بروح الانسان وطرازه السلوكي في أزمنة الطوارىء ، وصحيح أن لهما سمات معينة تميزهما عن المؤلفات التي تكتب اليوم ، ولكن كم هو في الواقع مقدار هذه الفروق ؟ إنها قليلة بدرجة كافية في أعمال فيلهاردين ، حيث أن طريقته الصريحة الواضحة في الرواية عن الحملات القديمة والطرز العتيقة للحرب وثيقة القرابة مع الطريقة

المتبعة من قبل قائد جيش يكتب مذكراته عن الحرب العالمية الثانية ، حتى أن حاجزا رقيقا فقط يبدو أنه يفصل بين فرسان ذلك القرن البعيد وبين رجال العلمين ، ولم تعد نظرة الاستغراب من حين لآخر لدى جوانفيل في اطلالته على العالم من حوله ، وقبوله الساذج للأفكار شائعة في عصرنا الأكثر تعقيدا والأكثر علمية في تفكيره ، وهي باقرار الجميع اصداء لماضي بعيد ، وبالنسبة لبقية حوليته مع ذلك ان مثل تلك الأضواء الجانبية الهامة كما تسلطها على المواقف الفكرية في القرن الثالث عشر تقع في مكان بشكل تفصيلات الخلفية ، وفي الواجهة لدينا قصة مثل قصة فيلهاردين تضع امامنا الفكرة النموذجية لخدمة الفروسية التي عليها تأسست مفاهيمنا عن الانسان المتحضر ، وايضا في روايته المثيرة عن جيش سيق الى الهزيمة والأسر ، إنها تصور مخاطر الحرب بألوان حية واضحة لم يستطيع مرور الزمان أن يفقدها بريقها ٠

والكثير بالنسبة لمحتوى هاتين الحوليتين أي صورة هي الأفضل لنقل معناها الى القارىء الحديث ؟

في رأيي إن الرواية التي تحاول تقليد اسلوبها العتيق الذي فيه بين اشياء اخرى مجموعة الألفاظ محدودة جدا حتى ان الكلمات نفسها تعاد بتواتر رتيب والعبارات كثيرا ماتكون غير محكمة البناء وتربط ببعضها بما لايحصى من ــ و ــ بعيدة جدا عن ان تعطي انطباعا عن قيمتها الثابته ، ويمكن فقط ان تؤكد بافراط الفروق العرضية بين عصرهم وعصرنا ، وبالتالي ، وبتشجيع من المثل الذي قدمه المترجم الخبير السيد تويل كوغيل في روايته المعصرنة من قصص كونتربري صنفت على النمط نفسه ترجمتي بلغة اليوم محتفظا فقط ببعض الاصطلاحات العتيقة حيث لايوجد مكافىء لها في الانكليزية الراهنة ، ومنوعا مجموعة الالفاظ باستعمال حر للمترادفات ، وعندما تدعو الحاجة معطيا للعبارة تحولا اكثر حداثة ، وحاولت مع تغيير طفيف في الصياغة الاصلية بقدر

الامكان ، ومع انتباه دقيق لحفظ النبرة الصحيحة والمعنى ، تقديم هاتين الحوليتين القديمتين بالاسلوب الدارج في الحياة اليومية .

وأقول دارجة لأن كلا من هذين العملين قد أملي (١) وبالتالي يحمل سمة لغة التكلم وكان المؤلفان كلاهما رجلان من ذوي النشأة المهذبة ، ولكن كلاهما يختلف في نغمته تبعا للمزاج والحالة لكل متكلم ، وهكذا نجد في عمل فيلهاردين الطراز الوقور الموزون ، وأحيانا الطراز الرسمي للكلام الذي يناسب رجل له شخصيته الصارمة في المنصب الرفيع ، في حين جوانفيل المتحرر من هذه الاهتمامات الأمر الذي لم يكن غالبا هو الحال بالنسبة لمارشال رومانيا ، يعطي تعبيرا عن طبيعته الأكثر أعتدالا في اسلوب سهل اكثر الفة مشابها للحديث الودي بين رجال حول مائدة عشاء ، أو قرب المدفأة والى أي مدى نجحت في المهمة الدقيقة في التوفيق بين الصور والخلافات في هذه الترجمة ، ان هذا يجب ان يترك للقارىء للحكم عليه .

وفي الختام أحب أن أقول كم أنا مدين للدكتور ي . ف . ريو محقق كلاسيكيات بنغوين الفصيحة الحكيمة ، حول المبادىء العامة والمساعدة الطيبة التي قدمها لي في صعوبات خاصة قامت في مسار عملي

م . س . ى . س

الفصل الاول

الاحتشاد للحملة الصليبية الرابعة

١١٩٩ ـ ١٢٠١

في سنة ١١٩٨ لتجسيد ربنا ، عندما كان انوسنت بابا في روما ، وكان فيليب ملكا لفرنسا وريتشارد ملكا على انكترا كان يعيش في فرنسا رجل ذو شخصية قديسة يدعى فولك وكان في المراتب المقدسة وكاهنا في ابرشية نويلي وهي مدينة صغيرة تقع بين باريس ولاغني على المارن ، وبدأ فولك هذا نفسه في الوعظ بكلمة الرب في كل انحاء الجزيرة الفرنسية وفي الاقاليم الاخرى المحيطة واخرج الرب معجزات عديدة من اجله •

ان الروايات عن مواعظ ذلك الرجل الطيب كانت متداولة على نطاق واسع ، حتى ان اخبارها وصلت الى البابا انوسنت الذي ارسل بناء عليه رسالة الى فرنسا يامر فيها الكاهن الفاضل ان يدعو الى حملة صليبية باسمه ، وبعد ذلك بقليل ارسل البابا واحدا من كرادلته ، هو المونسنيور بيترو داكابوا الذي كان قد حمل شارة الصليب من قبل ليعلن نيابة عن قداسته تعهدا صنع على الشكل التالي : كل الذين يحملون الصليب ويبقون في خدمة الرب في الجيش سنة واحدة سوف ينالون الغفران عن اي خطيئة ارتكبوها ، طالما انهم اعترفوا بها ، وقد تاثرت قلوب الناس بدرجة عظيمة بالتعابير الكريمة لهذا الغفران ، واندفع عدد كبير منهم بناء على ذلك للانضمام للحملة ، وفي بداية حلول السنة التي اعقبت تلك السنة التي بلغ فيها فولك الفاضل رسالة الرب نظمت مباراة للفرسان قرب قلعة اكرى في مقاطعة شامبين،وفي تلك المناسبة حدث بفضل الرب ان ثيبوت كونت شامبين وبري انضم إلى الحملة الصليبية بصحبة

الكونت لويس دي بلوا،وكان الكونت ثيبوت شابا في الثانية والعشرين من عمره ، في حين كان الكونت لويس في السابعة والعشرين تماما ، وكان الكونتان كلاهما احفاد وابناء ملك فرنسا واحفاد ملك انكلترا ايضا ، وقد اتبع مثلهما سيمون دي مونتفرات .

ورينو دي مونت ميرال وهما نبيلان من ارقى طبقة ، وكان الناس من كل انحاء البلاد متأثرين جدا عندما انضم للحملة رجال لهم مثل هذه المنزلة .

وكان الذين من مقاطعات الكونت ثيبوت واتبعوه هم : غارنير اسقف ترويس والكونت غوتيير ديبريين وجيوفري دي جوانفيل ونائب امير شامبين واخوه روبرت وغوتير دي فينوري وغوتييه دي مونتبليا رد ويوستاش دي كونفلاس واخوه غي دي بليزيير وهنري دي ارز بليير واوغيير دي سانت شيرون وجيوفري دي فيلها ردين ووليم دي نللى ، وغوتير دي فولغني وايفرارد دي مونتغي ، ومانسيير دي ليل وما كائبردي سانت مينهولد ، ومليون لوبر بانت وغي دي شاب وابن اخيه كليرمبود ، ورينودي دامبير وجين فواستون وكثير من الشجعان الاخرين واصحاب الجدارة الذين لم تسجل اسماؤهم هنا .

وكان الذين انضموا للحملة مع الكونت لويس جير فيه دي شاتيل وابنه هيرفيه وجين دي فيرسين واوليفين دي روشفورت ، وهنري دي مونتري ، وبائين دي اورليانز ، وبير دي براسيو ، واخوه هوغز ووليم دي سانز ، وجين دي فرييز ، وغوتيير دي غودنفيل وهوغ دي كورميري ، واخوه جيوفري ، وهيرفيه دي بوفوار وروبرت دي فروفيل واخوه بيير ، واورى دي ليل ، وروبت دي كارتيير وكثيرون اخرون لم يذكروا هنا بالاسم .

وانضم للحملة في جزيرة فرنسا نيفلون اسقف سواسون بصحبة

ماثيودي مونتموركي وابن اخيه غي ، وشاتلان دي كوسي ، وروبرت دي روزنسوا ، وفيري دي بيير ، واخوه جين ، وغوتيير دي سانت دينيس ، واخوه هنري ووليم دي اونوا ودريه دي كريسو نساك ، وبرناردي موريل ، وانفراند دي بوف ، واخوه روبرت ، وعدد من الناس الطيبين والشجعان الذين لم ترد اسماؤهم هنا .

وفي يوم أربعاء الرماد لحظة بداية الصوم الكبير التالي في مدينة بروغ انضم الكونت بولدوين دي فلاندر ، ودي هينوت الى الحملة مع زوجته الكونتسه ماري وهي اخت الكونت دي شامبين ، واتبع مثالهم اخو الكونت بلدوين هنري وابن اخيه تييري وابن الكونت فيليب دي فلاندرز ، وكذلك ايضا وليم ومحامي بيثوم واخوه كونون ، وجين دي نسليس ، وحاكم بروغ ورنيير دي تريت ، وابنه رينيه وما تيودي والنكورث ، وجاك دي فيسنس ، وبلدوين دي بوفوار ، وهوغ دي بوميتز وجيرارد دي ما نسيكورت وبوردي هام ووليم دي كومنغيس ، ودريزدي بيوتران وروجيرده مارك ويوستاش دوسوبرويك وفرانسوا دي كوليمي وغوتييردي بوسي وارنيير دي موذس وغويتير دي تومب وبرناردي سوبربخيان ، وعدد كبير جدا من الوجهاء ممن لم يذكروا هنا بالاسم .

وبعد ذلك بقليل انضم للحملة الكونت هوغ دي سانت بول ومعه ابن اخيه بيير دي اميانس ، ويوستاش دي كانتلو ، ونيكولاس دي ماميلي ، وانسو دي كايو ، وغي دي هودان وغوتيير دي نيل واخوه بيير وعدد من الرجال الاخرين ممن لااعرف اسماءهم .

وبعد ذلك ايضا انضم للحملة الكونت جيوفري دي برش مع اخيه اتين ، وروترودي مونتفرات وايف دي لاجايل وايمري دي فيلروا وجيو فري دي بومونت واخرون عديدون لااعرفهم بالاسم .

وبعد ذلك عقد البارونات مؤتمراً في سواسون ليقرروا متى يشرعون بالحملة وفي اي اتجاه يسيرون ، وفي ذلك الوقت مع ذلك لم يكونوا

قادرين على الوصول الى قرار لانه لم يكن بـدأ لهـم انه حتـى ذلك الحين قد انضم عدد كاف من الناس الى الحملة ، وقبل شهرين من انقضاء تلك السنة نفسها اجتمعـوا مـرة اخـرى في مـؤتمر في شامبين ، وكان كل الكونتات والبـارونات الذين انضـموا للحملة حاضرين في هذا الاجتماع الذي عرضت خـلاله عدة وجهـات نظـر مختلفة ودرست ، وفي النهاية تم الاتفاق على انهم سيرسلون افضل مايمكنهم ايجاده من المبعوثين ليقوموا بـكل التـرتيبات لهـم مـع تفويض تام باقرار مـايجب فعله ، تمـاما كمـا لو كان امـراؤهم موجودين باشخاصهم ، وكان من المبعوثين المختارين اثنان عينهما ثيبوت كونت دي شامبين ودي بري ، واثنان عينهما الكونت بلدوين دي فـلاندرز ودي هينوت واثنان عينهمـا الكونت لويس دي بلوا ، وكان مبعـوثا الكونت بلدوين همـاكونون دي بيتـون والاردمـاكير ومبعوثا الكونت لويس همـا : جين دي فرييز وغوتير دي غود نفيل .

ووضع البـارونات ادارة الامـر كله كلية في ايدي هؤلاء المبعـوثين الست ، وتأكيداً لذلك اعطوهم صكوكا مرتبة كما ينبغي مع اضافة الاختام ، ولضمان التزام كل البارونات بدقة بأيما اتفاق قد يدخل فيه مبعوثوهم في اي من الموانىء البحرية او الامـاكن الاخـرى قـد يحدث ان يذهبوا اليه .

وهكذا انطلق المبعوثون الست في مهمتهم ، وبعد مناقشة الامر بين انفسهم وافقوا بالاجماع على انهم سيجدون عدداً اكبر من السفن في البندقية مما في اي ميناء اخر ، وعليه امتطوا خيولهم وركبوا يومـا بعد يوم حتى بلغوا غايتهم في الاسبوع الاول من الصوم الكبير .

الفصل الثاني

معاهدة مع البنادقة

نيسان ١٢٠١

كان دوج البندقية رجلا قديرا بالغ الحكمة يدعى انتكيو داندولو وقد منح المبعوثين الفرنسيين شرفا عظيما ورحب هو والناس في مقره بهم ترحيبا قلبيا ، ومع ذلك عندما سلمت الرسائل التي كانت معهم في حينه كان فضول أهل البندقية شديدا لمعرفة ما هو العمل الذي جاء بهؤلاء المبعوثين إلى بلادهم اذ ان الوثائق التي قدموها كانت مجرد كتب اعتماد تذكر فقط ان حامليها يجب أن يعتبروا كما لو كانوا الكونتات بأشخاصهم ، وأن هؤلاء سيقبلون بأي اتفاقات يرى مبعوثوهم الست أنها يصح اتخاذها ، وطبقا لذلك قال الدوج للمبعوثين : أيها السادة لقد قرأت رسائلكم ونحن نعترف تماما بأن امراءكم هم أعلى طبقات الرجال باستثناء الملوك فقط ، وهم يطلبون منا أن نثق بكل ما تقولونه وأن نعتقد بأنهم سيؤكدون أي ترتيبات تتخذونها معنا . لذا يرجى أن تتحدثوا بحرية وتعلمونا بما تريدون .

أجاب المبعوثون : سيدي اننا بتواضع كبير نرجوك أن تدعو مجلسكم حتى نضع رسالة امراءنا أمامه ولتكن الدعوة غدا اذا ناسبكم ذلك ، وأجاب الدوج بأنه يحتاج إلى أربعة أيام ليفعل ذلك ورجاهم أن ينتظروا تلك الفترة الطويلة حتى يتسنى لمجلسه الاجتماع ، وعندها يمكنهم أن يقولوا ما يشاؤون .

وانتظر المبعوثون حتى اليوم الرابع كما حدد الدوج ، ثم عادوا إلى القصر الذي كان بناء فائق الجمال وفاخر الأثاث ، وهناك

وجدوا الدوج ومجلسه مجتمعون في قاعة ، وقدموا رسائلهم لهـذه الغاية وقالوا : سادتنا لقد جئنا اليكم نيابـة عن بـارونات فـرنسا العظام ، الذين حملوا شارة الصليب للثـأر للاعتـداء الذي عاناه ربنا واذا أراد الرب لنسترد القدس ، وطالما أن أمـراءنا يعـرفون أنه ليس هناك شعب يمكن أن يساعدهم بشكل جيد جدا مثل شعبكم فانهم يتوسلون إليكم باسم الرب أن تشفقوا على الأرض التـي فيما وراء البحار للعدوان الذي عاناه ربنا وأن تتكرموا ببذل مـا في وسعكم لتزويدنا باسطول من السفن الحربية ، ووسائط النقل ، وسأل الدوج:«وكيف يمكن أن يتم ذلك »؟ فأجاب المبعوثون« بـأي طريقة يمكنم النصح بها أو اقتراحها طالما أن أمـراءنا يمـكنهم أن يقبلوا شروطكم ويتحملوا التكاليف » ، وقال الدوج : « حقا ان أمراءكم يطلبـون منا الكثير ، ويبـدو لي أن أمـامهم مشروع كبير للغاية » وأننا سنعطيكم جوابنا خلال أسبوع ، ولا تندهشوا مـن مثل هذا التأخير الطويل حيث أن مثل هـذا الأمـر الهـام يتـطلب دراستنا الكاملة » .

وفي نهاية الزمن المحدد من قبل الدوج عاد المبعوثون مرة أخرى إلى القصر .

ولا أستطيع أن أخبركم هنا بالكثير من الأشياء التـي قيلت في تلك المناسبة ، ولكن الحصيلة النهائية للاجتماع كانت كما يلي : قـال الدوج : « أيها السادة سـنخبركم بمـا اتفقنا على فعله طـالما أننا بالطبع نستطيع أن نحث مجلسنا الكبير وعامة هـذه الدولة على أن يعطوا موافقتهم ، وفي هذه الاثناء ، انكم مـن جـانبكم يجـب أن تتشاوروا معا لتـروا اذا كان بـامكانكم قبـول شروطنا وتحمـل التكاليف .

اننا سنبني وسائط لنقل ٥٠٠ ر٤ حصانا ، و ٩٠٠٠ من حاملي الدروع وسفنا أخرى لايواء ٥٠٠ ر٤ فـارسا و ٠٠٠ ر٢٠ مـن السرجندية المشاة ، وسنضمن عقدنا تمـوينا لتسـعة شـهور مـن

المقننات الغذائية لكل هؤلاء الرجال والعلف لكل الخيول ، هـذا مـا سنفعله لكم ، وليس أقل ، شريطة أن تدفعوا لنا خمس مـاركات عن كل حصان وماركين عن كل رجل .

وعلاوة على ذلك سوف نلتـزم بشروط الميثـاق الذي نضـعه الآن أمامكم على مدى سنة واحدة مـن اليوم الذي نبحـر فيه مـن ميناء البندقية لنعمل في خـدمة الرب والنصرانية أينمـا كان ، والتـكاليف الاجمالية لكل ما أجملناه تبلغ ٠٠٠ ٨٥ مارك .

وسنفعل أكثر من هذا سوف نعد محبة للرب وفي سبيله خمسـين من الشواني المسلحة شريطة أن يكون لنا طيلة دوام تحالفنا النصف ولكم النصف الآخر من كل ما نكسبه سواء في البحـر أو في البـر ، والآن يبقى لكم أن تفكروا اذا ما كنتم من جانبكم تستطيعون القبول والوفاء بشروطنا » .

واستأذن المبعوثون قائلين أنهم سيتشاورن معا وسيعطون جوابهم في اليوم التالي ، ودرسوا الأمر مـطولا تلك الليلة ، واتفقـوا في النهاية على قبول شروط أهل البندقية ، وهكذا مثلوا في الصباح بين يدي الدوج ، وقالوا : سيدي اننا مستعدون لعقد هـذه الاتفـاقية وبناء على ذلك أخبرهم الدوج بأنه سيستشير شعبه ، وطبقا لقراره سيدعهم يعرفون كيف انتهت الأمور :

وفي اليوم التالي أي بعد ثلاثة أيام من ايجاز الدوج لاقتـراحاته ، استدعى رجل الدولة الحكيم والقـدير مجلسـه الاسـتشاري الكبير الذي كان يتألف من أربعين رجلا من بين الأحـكم والأقـدر في دولة البندقية ، وبممارسة حسه الطيب وذكائه الحاذق وهـي مـؤهلات كان يمتلك أعلى درجة منها جعلهم يوافقون ويتفقـون على الميثـاق المقترح وفعل هذا تدريجيا ، حيث حث بعضهم أولا ثم المزيد ثم أكثر من ذلك حتى عبر كل أعضـاء مجلسـه في النهـاية عن مـوافقتهم ورضاهم ، وبعد ذلك جمع مـا ينوف على عشرة آلاف مـن عامـة

الشعب في كنيسة سان ماركو وهي أجمل كنيسة في العالم – حيث دعاهم للاستماع إلى قداس للروح القدس ، وأن يصلوا للرب من أجل الهداية فيما يتعلق بالطلب الذي تقدم به المبعوثون اليهم ، وفعل كل الناس هذا عن طيب خاطر .

وحالما انتهى القداس استدعى الدوج المبعوثين ، وطلب منهم أن يطلبوا من الناس بكل تواضع موافقتهم على ابرام الاتفاقية ، ودخل المبعوثون الكنيسة فاجتذبوا الحملقة الفضولية لكثير من الناس الذين لم يروهم من قبل ، وبالرغبة والموافقة من رفاقه شرح جيوفري فيلهاردين مهمتهم فقال : أيها السادة ان أنبل وأقوى البارونات في فرنسا قد أرسلونا اليكم ، وهم يناشدونكم بلهفة أن تشفقوا على القدس وهي الآن تحت نير عبودية الترك ، ويلتمسون منكم باسم الرب أن تكونوا من الطيبة بحيث تنضمون اليهم في الثأر للاهانة التي وجهت إلى ربنا .

ولقد اختاروا أن يلجأوا اليكم لأنهم يعرفون أنه مامن شعب آخر لديه مثل هذه القوة التي لديكم على البحر ، ولقد أمرونا على أي حال أن نركع عند أقدامكم وأن لاننهض حتى توافقوا على أن تشفقوا على الأرض المقدسة فيما وراء البحار ، وعليه ركع المبعوثون الست وهم في فيض من الدموع عندأقدام الناس المحتشدين وانفجر الدوج وكل أهل البندقية الحاضرين أيضا في البكاء وهم يرفعون أيديهم نحو السماء وصرحوا في الموافقة في صوت واحد : نوافق نوافق . وكان هناك مثل الزئير وجلبة يمكن معها أن نظن أن العالم كله قد تقوض إلى قطع ، وما أن سكنت الجلبة العظيمة وموجة الاشفاق وكان هذا أعظم مما أمكن لأي انسان أن يشهده – أخيرا صعد دوج البندقية الرجل الحكيم الفاضل حسبما كان ، صعد درجات المنبر وتحدث إلى الناس وقال : أيها السادة انظروا الشرف الذي أضفاه الله عليكم بأن ألهم أروع أمة في العالم أن يدعوا كل الناس الآخرين وأن يختاروا للانضمام إليهم في ذلك العمل الرفيع وهو تحرير ربنا .

واستطيع أن أقول لكم هنا كل الكلمات الطيبة والنبيلة التي تفوه بها الدوج في تلك المناسبة ، وكان زبدتها أن أهل البندقية قد وافقوا على أن شروط ومواد الميثاق يجب أن تبرم في اليوم التالي ، وقد تم هذا طبقا لذلك ، وأعدت الوثائق في خطوطها الأولى ، وبعد اختتام هذا العمل ، بقيت حقيقة أن الحملة كانت ذاهبة إلى القاهرة ، لأن هناك يمكن سحق الأتراك بسهولة أكثر من أي جزء آخر من أراضيهم ، سرا محفوظا بدقة ، وبالنسبة للشعب العريض اكتفى بمجرد الاعلان ، اننا ذاهبون إلى ما وراء البحار ، وكنا الآن في الصوم الكبير ، وبحلول يوم القديس يوحنا في السنة التالية — أي في عام ١٢٠٢ — كان على البارونات وبقية الصليبيين أن يجتمعوا في البندقية ، حيث ستكون السفن جاهزة تنتظر استقبالهم عند وصولهم .

وحالما أبرمت الصكوك ووقعت وختمت أحضرت إلى الدوج في قصره العظيم ، حيث اجتمع المجلس الكبير والخاص كليهما ، وما ان سلم هذه الوثائق للمبعوثين ركع الدوج على ركبتيه ، وبينما كانت الدموع على وجهه أقسم بالانجيل المقدس أن ينفذوا كل الشروط المدرجة فيها ، وهكذا فعل كل أعضاء المجلس ، وعددهم ست وأربعون ، وأقسم المبعوثون بدورهم بأن يفوا بميثاقهم وأن يحافظوا بكل اخلاص على الايمان الذي أقسموها عن أنفسهم ونيابة عن أمرائهم،وأهرق الكثير من دموع الاشفاق في هذا اللقاء الذي بعده فورا أرسل كل من الطرفين المعنيين رسلا إلى البابا أنوسنت في روما حتى يصادق على الميثاق ، وقد فعل ذلك عن طيب خاطر ورغبة كبيرة جدا .

واقترض المبعوثون ٥٠٠٠ مارك فضي من اهل المدينة وسلموها للدوج حتى يمكن البدء ببناء الاسطول ، وبعد ذلك استأذنوا في العودة الى الوطن ، ثم ركبوا عدة ايام حتى بلغوا بياشنزا في لومبارديا ، وهنا ترك جيوفري مارشال شامبين والارد ماكرو

الاخرين وذهبا رأسا الى فرنسا ، في حين اخذ رفاقهم طريقهم نحو جنوا وبيزا ليقفوا على نوع المساعدة التي يمكن ان يقــدمها الناس هناك لهم من اجل الارض فيما وراء البحار .

-٤٤٠٣-

الفصل الثالث

الجيش يبحث عن قائد

(ايار – ايلول ١٢٠١)

عندما كان غودفري دي فيلهاردين يعبر فوق جبل سينيس ، حدث ان التقى بغـوتيير دي بـريين ، الذي كان في طـريقه الى ابـوليا ، لاسترداد بعض الأراضي العائدة لزوجته . ابنة الملك تـانكرد التـي تزوج منها بعدما حمل الصليب ، وكان معه عددا من الصليبيين ، من بينهم غوتيير دي مونتبليارد ، يوستاش دي كونفـلانس ، وروبـرت دي جوانفيل ، واعدادا أخرى كبيرة من الرجال ذوي المكانة العـالية في شامبين

ولدى سماعهم من المارشال اخبار ماقام بـه الرسـل ، اعتـرى السرور المسافرين ، وعبـروا عن كثير مـن الامتنان بشـأن سـير الامور ، وقالوا: نحن الآن ماضون في سبيلنا ، وعندما ستأتون الى البندقية ستجدوننا جاهزين تماما ، ومهما يكن الحال ، فقد سـارت الأمور وفق مشيئة الرب ، وفي النهـاية وجـدوا مـن غير الممـكن الالتحاق ، بالجيش ، وهذا محزن جدا ، لأنهم جميعا كانوا رجـالا جيدين وشجعان.

وهكذا افترقوا ، وذهب كل منهم في سبيله ، فقد سافر فيلهاردين لعدة ايام حتى وصل الى ترويس في شـامبين ، حيث وجـد مـولاه الكونت مريضا وفي حالة مترديـة ، ومع ذلك فقـد سر الكونت سرورا عظيما بسبب وصوله ، وحالما اخبره غودفري بمـا انجـزه ، غلبـه السرور الى حد انه قال بأنه مستعد للسفر وسيقوم بـذلك ، الامـر

الذي لم يقم به منذ زمن طويل ،وواأسفاه كم هو محزن انه باستثناء هذه المناسبة الوحيدة لم يتمكن من امتطاء صهوة حصانه ثانية.

وازداد وضعه سوءا ، واشتد مرضه حتى انه قام بصنع وصيته النهائية مع الاعتراف ، ومن ثم قسم المال الذي كان سيأخذه معه الى الحج بين اتباعه واصحابه ، وكان له بالواقع العديد من الاصدقاء الصدوقين بينهم ، الى حد انه ما من واحد من معاصريه امتلك مثلما امتلكه ، وامر بوصيته ان كل منتفع عليه اثر استلامه لحصته من المال ، ان يقسم على الانجيل المقدس ، بأنه سيلتحق بالجيش في البندقية ، مثلما وعد هو نفسه ان يفعل ، وعلى كل حال هناك عدد كبير اخفق مؤخرا بالوفاء بوعده ، وتحمل لوما كثيرا لهذا الحنث ، وامر الكونت ايضا بوضع شطر من ماله جانبا لارساله الى الجيش ، حيث يصرف وفق الوجه الذي يرى هو الافضل.

وهكذا مات الكونت ثيبوت ، وقليل هم الرجال في هذا العالم الذي صنعوا نهاية افضل ، ولقد فارق هذه الحياة وحوله حشد كبير من اقربائه ومواليه ، وفيما يتعلق بالنحيب بسبب موته واثناء دفنه ، انني لاأجرؤ على المغامرة بوصف ذلك ، لانه ما من انسان بجل مثلما تم تبجيله ، وقددفن الى جانب والده في كنيسة القديس ايتين في ترويس ، وخلف من بعده زوجته الأميرة بلانشي ، التي كانت سيدة جميلة وجيدة ، وهي كانت بالوقت نفسه ابنة ملك نافار ، وقد ولدت له ابنة صغيرة وكانت على وشك ان تحمل له ابنا.

وبعد وفاة الكونت اقبل ماثيو دي مونتمورنسي ، وسيمون دي مونتفورت ، وغودفري دي جوانفيل مقدم شامبين ، وغودفري المارشال ، على الدوق يودس دي بورغونون وقالوا له: يمكنك يا مولانا باسم الرب ، ان تحمل الصليب وتقدم لمساعدة تلك الأرض في مكانه ، وسندفع اليك جميع امواله وسنقسم لك على الانجيل المقدس ، ونجعل الآخرين يفعلون الشيء نفسه ، في اننا سنخدمك باخلاص ، مثلما توجب علينا ان نخدمه.

وعلى كل حال لم يكن الدوق راغبا في قبول عرضهم(وفي رأيي لعله اراد اظهار المزيد من الحكمة) ، وبناء عليه صدرت التعليمات الى غودفري دي جوانفيل في ان يقدم عرضا مماثلا الى الكونت دي بارلى دوك ، الذي كان ابن عم الكونت ثيبوت المتوفى ، ورفض هذا ايضا.

وسببت وفاة الكونت ثيبوت انخفاضا في معنويات الحجاج والذين اقسموا على القتال في خدمة الرب ، والتقوا في بداية الشهر في مؤتمر في سواسون لاتخاذ قرار حول ماينبغي عليهم القيام به ، وكان من بين الحضور الكونت بلدوين دي فلاندرز وهيذوت ، والكونت لويس بليوس ودي كارترين والكونت غودفري دوبيرش ، والكونت هوغس دي سينت بول ، وعدد كبير آخر من الرجال ذوي المكانة الرفيعة والاحترام.

وتولى غودفري دي فيلهاردين شرح الموقف ، واخبرهم بالعرض الذي قدم الى كل من دوق دي بورغوذون والدوق دي بارلى دوك ، وكيف قام كل واحد منهما بدوره برفضه ، ثم قال:« ايها السادة اصغوا الي ولسوف اقترح سبيلا للعمل ، اذا ماوافقتم على الاخذ به ، إن المركيز بونيفيس دي مونتفرات رجل فهيم وقادر ، وهو من اعظم الرجال الأحياء مكانة ، واذا ما طلبتم منه القدوم الى هنا وحمل الصليب ، ووضع نفسه في محل كونت دي شامبين المتوفى مع منحه من قبلكم اشرافا تاما على الجيش ، انا متأكد من انه سيقبل عرضكم فورا.

وكان هناك انقسام كبير في المواقف تجاه هذا الاقتراح ، إنما في النهاية وافقوا على الأخذ به ، وذلك بعد نقاش طويل شارك فيه الناس من اعلى المراتب الى ادناها ، وتمت كتابة الرسالة الضرورية وجرى اختيار السفراء للذهاب وجلب المركيز ، ولقد وصل في اليوم

المعد عبر طريق شامبين وجـزيرة فـرنسا ، وقـدم له الكثير مـن الناس ، وخاصة ملك فرنسا ، ابن عمه ، الترحيب الكبير.

وتوجه المركيز للمشاركة في مؤتمر عقد في سوا سون ، حضره عدد كبير من الكونتات والبارونات والصليبيين ، وما ان سمع الحضـور بقدومه حتى خرجوا لاستقباله ، ورحبوا به تـرحيبا كبيرا ، وعقـد المؤتمـر في اليوم التـالي في حـديقة عائدة الى دير نوتـردام دي سوا سون ، وتـوسل كل واحـد في هـذا الاجتمـاع الى المركيز للاستجابة لطلبهم ، ورجوه ، من اجـل الرب ان يحمـل الصليب ويتولى قيادة الجيش ، حتى يمكنه احتلال مـكان كونت ثيبـوت دي شامبين المتوفى ، وان يتولى أيضا الاشراف على امـواله ورجـاله ، وسقطوا على قدميه والدموع تنهمر من اعينهم ، وركع هـو بـدوره امامهم وقال انه سيفعل ماطلبوه منه بكل سرور.

وهكذا استجاب المركيز لتوسلاتهم ، وتولى قيادة الجيش ، واثر ذلك مباشرة قام اسقف سوا سون يرافقه واحد من الاتقياء مع اثنين من الرهبان من اقطاعيته بمرافقة المركيز الى كنيسـة نوتـردام ، حيث ربطوا الصليب على كتفه وبهـذا انتهـى المؤتمـر ، وفي اليوم التالي استأذن البارونات قبل عودتـه الى اقـطاعيته ليتـولى حـل مشاكله ، ونصح كل منهم بالقيام بتنظيم امـوره وتـرتيب نفسـه ، وقال انه سيلتقي بهم في البندقية.

ومضى المركيز من سوا سون لحضور قداس يعقد في سيتوكس كل عام في يوم الصليب المقدس في شهر ايلول ، ووجـد هناك عددا كبيرا من رعاة الديرة والبارونات واناس اخـرين مـن بـورغندي ، وكان هناك ايضا فولكس اوف نويلي التبشير بالحروب الصليبية ، وحمل في تلك المناسبة العديد من الحضور الصـليب بمـا فيهـم يودس دي شامبين دي شامبليت مع اخيه غليوم ، ورتشـارد دي دامبـري مـع اخيه يودس ، وغي دي بسمس مـع اخيه ايمـون وغي كونفـلانس

-٤٤٠٧-
وعدد من البيرغنديين الاخرين ، من ذوي المكانة العالية ، الذين لم تذكر اسماءهم هنا ، وجاء آثرهم اسقف اوتون ، وكونت غوغنز دوفورز والهوغان صاحبا بيرغي ، الأب والابن ، وهوغزدي كولوني ، وجاء بالوقت نفسه من الجنوب من بروفانس بيير دي برومونت مع آخرين كثر لم اعرف اسماءهم ، فهم ايضا حملوا الصليب.

وهكذا بات الناس في جميع ارجاء البلاد يتجهزون للمضي الى الحج ، وأسفاه من سوء الحظ الذي توجب ان يعانوا منه في السنة التالية ، قبل موعد الانطلاق ، فقد وقع الكونت غوديفري دوبيرش مريضا وحمل الى فراشه ، تاركا تعليماته في وصية اوجبت على اخيه ايتين القيام بأخذ امواله ومن ثم تولي قيادة رجاله في الجيش (ولا شك ان الحجاج كانوا اعظم سرورا بعدم وقوع هذا التغيير ، لو ان الرب لم يقض به) وهكذا وصل الكونت الى نهايته ، وكان هذا في الحقيقة خسارة عظيمة ، ولأنه كان نبيلا ، وله منزلة رفيعة ، ونظر اليه بتقدير كبير بحكم كونه فارسا شجاعا وجيدا ، فقد بكاه الناس في جميع بلاده بحزن وحرقة.

الفصل الرابع

تأخيرات وخيبة الامل

حزيران ـ ايلول ١٢٠٢

وبعد عيد الفصح ونحو اسبوع العنصرة ، بدأ الصليبيون يتركون اقاليمهم المختلفة ، وسالت دموع كثير كما يمكنك ان تتخيل اسفا على الرحيل عن اراضيهم ، وشعبهم واصدقائهم ، وفي رحلتهم نحو الجنوب ركبوا عبر بيرغندي ، فوق الالب ومونت سنيس ثم تابعوا عبر لومبارديا ، وبدأوا يتجمعون في البندقية حيث اخذوا مراكزهم فوق جزيرة سان نيكولودي ليدو

وفي نحو ذلك الوقت أبحر اسطول من السفن التي كانت تحمل فرقة كبيرة من الرجال المسلحين من فلاندرز لتدور بمحاذاة الساحل وحوله ، وكان الرجال المسؤولين عن هذا الاسطول هم جين دي نسلس ، حاكم بروج وثيري ابن الكونت فيليب دى فلاندرز ونيكولاس دى مايلى . وقد وعدوا جميعا الكونت بلدوين ، والزموا انفسهم بالقسم على الانجيل المقدس بان يبحروا عبر مضايق المغرب، وان ينضموا الى الكونت والجيش الذي كان يتجمع في حينه في البندقية في اي مكان قد يسمعون انه ذهب اليه ، وعلى هذا الاساس عهد اليهم الكونت بلدوين واخوه هنري ببعض سفنهم المحملة بالثياب ، والطعام ومواد التموين الاخرى .

وكان هذا الاسطول جيد جدا وحسن التجهيز ، وكان الكونت دى فلاندرز وزملاؤه الصليبيون يعتمدون عليه بدرجة عظيمة ، لانه كان يحمل معظم افضل رجالهم من السرجندية . ولكن الرجال المسؤلين وكل الناس الذين معهم حنثوا بالوعد الذي قطعوه لانهم مثل عدد

كبير اخرين من نوعهم ، كانوا خائفين من مواجهة الاخطار العظيمة للمغامرة التي تعهد بها الجيش في البندقية .

وحدث كثيرا انه بمثل هذه الطريقة قد اخفق اسقف اوتون في الحفاظ على عهده والبقاء معنا ، ومثله فعل الكونت جونييس دى فورز ، وبيير برومونت وعدد كبير اخر ، وقد وجه لوم شديد لهؤلاء على عملهم ، ولم ينجزوا سوى القليل في المكان الذي ذهبوا اليه وكان من بين هؤلاء من الجزيرة الفرنسية ممن خذلنا : برنارد دي موريل ، وهوغ دي شامونت ، وهنري دي اريتز ، وجين دي فيلرز ، وغوتيير دي سانت دنس واخوه هوغ ، ومعهم عدد كبير آخر تجنبوا جميعا القدوم الى البندقية بسبب المخاطرة العظيمة التي ينطوي عليها ذلك،وأبحروا بدلا من ذلك من ميناء مرسيليا . وكانوا موضع ازدراء كبير ولوم عظيم بسبب هذا ونتيجة لسلوكهم السيء لقيهم كثير من الحظ السيء فيما بعد .

وسأترك الكلام الآن عن هؤلاء الرجال لأخبركم بشيء حول الحجاج ، الذين كان قسم عظيم منهم قد سلف ووصل الى البندقية ، وكان الكونت بلدوين دي فلاندرز هناك ، وعدد كبير آخر ، وعندما وصلتهم الاخبار بان عددا كبيرا من رفاقهم كانوا يسافرون على طرق مختلفة الى موانىء اخرى ، وقد اقلق هذا البارونات بشكل خطير ، لانه كان يعني انهم لن يستطيعون الوفاء بوعودهم لاهل البندقية ، ولن يدفعوا الاموال المترتبة .

وبعد الاجتماع معا قرروا ارسال مبعوثين يمكن الاعتماد عليهم لمقابلة الكونت لويس دي بلوا والصليبين الاخرين الذين لم يصلوا بعد من اجل ان يرجوهم ان يستجمعوا شجاعتهم وان يتوسلوا اليهم ان يشفقوا على الارض فيما وراء البحار وان يبينوا في الوقت نفسه انه ليس من طريق اخر سوى طريق البندقية يمكن أن يكون فيه اي نفع لهم .

وكان الرجال الذين اختيروا لهذه المهمة هم الكونت هوغ دي سان بول ، وجيوفري دي فيلها ردين ، فركبوا نحو الشمال حتى وصلا الى بافيا ، في لومبارديا ، حيث وجد الكونت لويس مع مجموعة عظيمة من الفرسان الاكفاء والرجال الاخرين من ذوي المنزلةالطيبة ، وبفضل التشجيع والتوسل حثوا عددا جيدا من هؤلاء ـ ممن كانوا بغير ذلك سيتخذون طريقا مختلفا ويذهبون الى انحاء اخرى ـ ليركبوا الى البندقية .

ومع ذلك ، عند الوصول الى بياسنزا ، انحرف عدد كبير من الرجال الجيدين جانبا ليسافروا بمفردهم الى ابوليا ، وكان بينهم فيلين دي نويلي ، وهو واحد من اوائل الفرسان في العالم ، وهنري دي ارز يلبير ، ورينودي دامبيير ، وهنري دي لونغشامب ، وجيل دي تراسيئيير ، واخر هؤلاء كان قد اقسم يمين الولاء للكونت بلدوين الذي كان قد اعطاه من جيبه الخاص خمسمائة قطعة من النقود لكي يصحبه في هذه الرحلة ، ومع هؤلاء الرجال ذهبت جمهره كبيرة من الفرسان والمشاة لم تسجل اسماؤهم في هذا الكتاب .

وكان معنى هذا كله نقص خطير في عدد الذين كان يجب ان يحضروا للانضمام الى القوات في البندقية ، ونتيجة لذلك ، كان الجيش في مأزق بالغ التعاسة كما ستسمعون قريبا .

واخذ الكونت لويس والبارونات الاخرون معه طريقهم الى البندقية .وهناك استقبلوا ببهجة كبيرة وبالولائم بينما كانوا يتخذون مراكزهم على جزيرة سان نيكولو الى جانب الصليبيين الاخرين . لقد كان جيشا عظيما حقا ، مشكل من رجال مدربين شديدي البراعة ، ولم يسبق لاحد مطلقا ان رأى مثل هذه القوات المقاتلة ولاواحدة بهذه الهيبة ايضا ، ونصب اهل البندقية سوقا من اجلهم زود بوفرة بكل مايمكن ان يرغب فيه المرء من كل شيء يلزم لاستعمال الرجال والخيل ، وكان الاسطول الذي اعدوه ممتازا جدا ، وحسن

التجهيز بشكل لم يسلف في كل ارض النصرانية ان شـوهد مـطلقا واحدا يفوقه ، وكان يتألف من عدد عظيم جدا من السفن الحـربية والشواني ووسائط نقل كان يمكنها ان تؤدي بسهولة ثلاثة اضعاف الرجال الذين كانوا في كل الجيش . ولكن اه اي ضرر ممـا لايمـكن قياسه سببه الذين رحلوا الى موانىء اخـرى في حين كان يجـب ان يأتوا الى البندقية ! ولو انهم فعلوا ذلك لتعززت النصرانية وتضاءلت اراضي الترك ، وقد وفى اهل البندقية باخلاص بكل تعهداتهم ، فوق واعلى مما هو ضروري ، وحيث انهم كانوا الان مستعدين للبدء فقد دعوا الكونتات والبارونات ليفوا بتعهداتهم بدفع المال المترتب .

ودعي كل رجل في الجيش ليدفع تكاليف رحلته ، وقـال عدد كبير جدا بانهم غير قادرين على دفع كامل الحساب ، وهكذا اخذ منهـم البارونات ما امكنهم تحصيله . من مال ، وبناءعليه دفعه كل رجـل ماامكنه دفعه ، ومع ذلك بعد ان طلب البـارونات تـكاليف رحلة كل رجل واسهم كل واحـد بشيء لم يبلغ المال المجمـوع الا الي مـادون النصف بكثير من اجمالي المبلغ المطلوب .

واجتمع البارونات لمناقشة الحالة . وقال اهل البندقية بانهم قـد التزموا باخلاص بشروط اتفاقيتهم معنا ، وبسخاء ايضـا ، ولكن ليس هنا مايكفي منا ليتدبر الامر بدفع تكاليف عبـورنا ، والوفـاء بعقدنا معهم ، وهذا خطأ الذين ذهبوا الى موانىء اخـرى ، ومـن اجل الرب عليه لندع كل واحد منا يسهم ببعض من ماله الخـاص ، حتى نفي بالوعود الذي قطعناه .

وسيكون في الواقع افضل لنا ان يعطى كل واحد مـامعه مـن ان نتخلف عن الوفاء ونفقد كل ماسلف ان دفعناه فضلا عن اخفاقنا من الوفاء باتفاقاتنا لان حملتنا اذا لم تنفذ ، فان خطتنا لتحرير الارض فيما وراء البحار ستنتهي الى لاشيء .

وقد قوبل هذا الاقتراح برفض مفعم بالحيوية والحماس من قبـل

الاغلبية العظمى من البارونات والحضور الاخـرين وقـالوا :« لقـد دفعنا من اجـل رحلتنا ، واذا كان اهـل البندقية راغبين في اخـذنا فنحن على استعداد للذهـاب ، واذا لم يكن الامـر كذلك فسنتدبر الامر بانفسنا ونذهب بطريقة اخرى ما ».(لقد قالوا هذا كامر واقع ، لانهم كانوا يحبون أن ينحل الجيش ويصـبح كل رجـل حـرا في العودة إلى الوطن).

ومن جانب اخر اعلنت اقلية قائلة : حري بنا أكثر أن نعـطى كل مالدينا ونمضي مع الجيش كالناس الفقراء بدلا من ان نراه محـطما وان تكون عمليتنا مخفقة . لان الرب بلا شك سيجزينا ويعـوضنا في وقت طيب سيختاره .

وفور انتهاء هذا الاجتماع بدأ كونت دى فلاندرز يدفع كل مـاكان لديه او كان قادرا على اقتراضه . وفعل الكونت لويس الشيء نفسه ، وهكذا فعل المركيز دي مونتفرات ، وكذلك فعل ايضـا الكونت هـوغ دي سانت بول ، واولئك الذين كانوا في حزبه ، وكان مدهشا ان نرى الكثير من ادوات المائدة الذهبية الدقيقة الصنع من الذهب والفضـة تحمل الى قصر الدوج لتشكل القيمة المستحقة . ومع ذلك بعد ان ادى كل واحد حصته التي اسـهم بهـا كانت الكمية مـاتزال اقـل بـ ٠٠٠ر ٣٤ مارك مـن القيمـة المطلوبـة . وكان الذين امسـكوا ممتلكاتهم في غاية الابتهاج ورفضوا ان يضيفوا شيئا مما يخصهم ، حيث كانوا الان على ثقة تامة بـان الجيش سـيتحطم وان القـوات ستتشتت ، ولكن الربَ الذي يعطى الناس الامل من اعمـاق اليأس لم يكن يريد لهذا ان يحدث .

وعند هذه النقطة تحدث الدوج الى شعبه قائلا « ايها السادة ان هؤلاء الرجال ليس بامكانهم ان يدفعـوا لنا اي شيء فـوق هـذا ، وحيث انهم عاجزون عن الوفـاء بـالاتفاق الذي عقـدوه معنا فـانه بامكاننا ان نحتفظ بما دفعوه لنا بالفعل . وان حقنا في ذلك مع هـذا

لن يعترف به في كل جزء من العالم ، واذا مارسناه فاننا ودولتنا سنكون موضع لوم كبير ، لذا دعونا نعرض عليهم بعض الشروط .

لقد اخذ منا ملك هنغاريا مدينتنا زارا في سكلافونيا وهي احدى اقوى الاماكن في العالم ولن نتمكن مطلقا من استردادها حتى بكل القوات التي تحت تصرفنا ، الا بمساعدة الفرنسيين ، لذا دعونا نطلب منهم مساعدتنا على اعادة احتلالها وسنسمح لهم بان يؤجلوا دفع الـ ٣٤ ٠٠٠ ، مارك فضي التي يدينون بها لنا حتى ذلك الحين الذي يسمح به الرب فيه لقواتنا المشتركة بان تربح هذا المال بالغزو » وبناء عليه طرح هذا الاقتراح على البارونات فاثار الذين كانوا يريدون للجيش ان يتحمل كثيرا من الاعتراضات ومع ذلك تم التوصل الى الاتفاق وتصديقه في النهاية .

وبعد ذلك بوقت قصير اجتمع حشد كبير من الناس في يوم احد في كنيسة سان ماركو ، وكان كل واحد في دولة البندقية حاضرا ، وهكذا كان معظم البارونات والصليبيين الاخرين ، وقبل البدء بالصلاة الكبرى ارتقى انريكو داندولو دوج البندقية درجات المنبر ووجه خطابا الى جموع المصلين وقال : «ايها السادة انكم تلتقون بافضل واشجع الناس في العالم في أروع مهمة تولاها اي انسان ، وانا الان رجل مسن ، وضعيف وفي حاجة الى الراحة وصحتي تضعف ، واني ادرك مع ذلك ان احدا لايستطيع ادارتكم وتوجيهكم افضل من نفسي ، انا اميركم ، فاذا وافقتم على انضمامي للحملة الصليبية حتى اتمكن من حمايتكم وتوجيهكم وسمحتم لابني ان يبقى هنا في مكاني لحراسة هذه الدولة فاني ساذهب لاحيا او اموت معكم ومع الحجاج» .

وعند سماع كلمات الدوج صرخ كل اهل البندقية بموافقة واحدة « اننا نرجوك باسم الرب ان تاخذ شارة الصليب وان تذهب معنا » وعند هذه اللحظة كانت قلوب كل الحاضرين من الفرنسيين واهل البندقية على السواء متاثرة بعمق ، وانهمرت دموع كثيرة تعاطفا مع

هذا الرجل الطيب الفاضل الذي كان لديه مثل تلك الاسباب الكثيرة للتخلف والقعود ، ومع كبر سنه جدا ومع ان عينيه كانتا تبدوان لامعتين وصافيتين فانه مع ذلك كان اعمى تماما ، وكان قد فقد بصره بسبب جرح في الراس ، وكان رجلا شهما كبير القلب ، اه كم كانوا صغارا امامه اولئك الذين ذهبوا الى موانىء اخرى للفرار من الخطر !

ونزل الدوج عن المنبر ، واتجه الى المذبح وركع امامه وهو يبكي بمرارة وخاطوا الصليب على مقدمة قبعته الكبيرة القطنية لأنه اراد ان يراه الجميع وبدا الان اعداد من اهل البندقية يفدون في جموع كبيرة للانضمام للحملة .

وحتى ذلك التاريخ كان القليل منهم قد فعل ذلك ، واما بالنسبة لرجال حملتنا فقد شاهدوا انضمام الدوج الى الحملة بحبور وعاطفة عميقة ، وقد تاثروا بدرجة عظيمة بالحكمة والشجاعة اللتان ظهرتا من هذا الرجل المسن .

وباسرع ما يمكن بعد ذلك بدا اهل البندقية يسلمون السفن الحربية والشواني ووسائط النقل للبارونات حتى يمكنهم ان يبدأوا اخذ طريقهم ، ولكن الان كان وقت كبير قد انقضى بالفعل ، وكان قد مضى شطر كبير من ايلول .

وهنا دعوني اخبركم عن واحدة من اروع الاحداث التي سمعتم بها مطلقا ، ففي القسطنطينية قبيل الوقت الذي كنت اتحدث عنه ، كان هناك امبراطور يدعى اسحق ، وكان له اخ يدعى اليكسيوس من ، كان قد افتداه من الاسر لدى الاتراك ، وفيما بعد القى اليكسيوس هذا القبض على اخيه والقاه في السجن وسمل عينيه ، وبمثل هذه الخيانة جعل من نفسه امبراطورا في مكان اسحق ، وقد ابقى اخاه زمانا طويلا في الحجز الشديد مع ابنه الذي كان ايضا يدعى اليكسيوس ، وفر الامير الشاب من السجن وهرب في سفينة

الى مدينة على الساحل تـدعى انكونا ومـن هناك انطلق الى المانيا لزيارة الملك فيليب ، الذي كان اخو زوجته ، وفي رحلته عبر ايطـاليا توقف في فيرونا ، حيث مكث لبعض الوقت والتقى بعدد من الحجـاج والناس الاخرين الذين كانوا في طريقهم للانضمام للجيش .

وكان اولئك الذين ساعدوه على الهرب مايزالون معه وقـد قـالوا له :

« سيدي : ان هناك جيشا على مقربة منا جـدا في البندقية وهـو مشكل من اناس من ارفع طبقة ومن اشجع الفـرسان في العـالم ، وهم على وشك السفر الى بلاد ما وراء البحار ، فلماذا لا نناشدهم ان يشفقوا عليك وعلى ابيك ، الذي طرد ظلما ؟ انه من الممكن جـدا ان يتأثروا بحالتك » فاجاب الامير الشاب انه سـيفعل بسرور كمـا قالوا ، طالما ان نصيحتهم جيدة .

وهكذا عين مبعوثين وارسلهم الى كل من الماركيز دي مونتفرات الذي كان يتولى قيادة الجيش ، والى البارونات الاخرين ، وبعد ان قابل الامراء الفرنسيون هؤلاء المبعوثين ملئوا دهشة مـن قصـتهم وقالوا لهم : «اننا نفهم الحالة تماما ، وطالما ان الامير اليكسـيوس في طريقه لرؤية الملك فيليب فسنرسل بمبعوثينا معـه ، فـاذا وافـق اميركم الشاب على مساعدتنا على استرداد القدس ، فاننا بـدورنا سنساعده على استعادة امبراطوريته ، التي كما نعرف قد اخذت منه ومن والده ظلما » وهكذا جرى ارسال مبعوثين الى المانيا ولكل مـن امير القسطنطينة ، والملك فيليب .

وقبل الاحداث التي رويتهما لتوى بقليل كان البارونات وكل بقية الجيش كانوا قد حزنوا من اخبار وفـاة فـولك الطيب الورع ، الذي كان اول من دعا للحملة وبشر بها ، ولكن بعد ان ارسل اليكسـيوس مبعوثيه الى البندقية بوقت قصير انتعشت ارواحهم بوصول رفـاق من المانيا بينهم رجال عديدون من الطبقة والمنزلة الراقية مـن مثـل

- ٤٤١٦ -

اسقف هلبيرستاوت وغراف برتولد فون كاتز يلنبوعن وغارينير فون بور لاند ، وديتريش فون لوس ،وهنريش فـونألمن ، وروجيرفـون سوستيرن ، والكسندر فون فيلرز ،واوري فون دون .

الفصل الخامس

حصار زارا

تشرين اول ـ تشرين الثاني ١٢٠٢

والان جاء الوقت كي يعين البارونات السفن الحربية ووسائط النقل لقادتهم المختلفين ، ياالهي ، أي خيول قريبة جميلة وقوية كانت هناك تحت ظهر السفن ، وما ان حملت السفن تماما بالاسلحة والمؤن وصعد الفرسان والمشاة الى ظهر السفن ، حتى علقت الدروع على جوانب السفن وحول المعاقل ، في المقدمة والخلف ، في حين ان الاعلام الكثيرة الجميلة قد ارتفعت عاليا .

ويمكن ان اؤكد لكم ان السفن الحربية قد حملت اكثر من ٣٠٠ من المنجنيقات والعرادات اضافة الى مؤونة وافرة من جميع انواع هذه الاجهزة الالية اللازمة للاستيلاء على مدينة ، ولم يكن هناك اسطولا اروع من هذا الاسطول من السفن قد ابحر مطلقا من اي ميناء ، ووقع وقت رحيلهم من البندقية ضمن اليوم الثامن بعد عيد سانت ريميغوس في السنة الميلادية ١٢٠٢ لتجسيد الرب .

ووصل جيشنا الى زارا في سكلافونيا عشية عيد سانت مارتن ، وراى المدينة محاطة باسوار عالية وابراج مرتفعة . وانك لتبحث عبثا عن مكان اكثر جمالا ، او مكان محمي بقوة اكثر من ذلك ، او اكثر رخاء ، وما ان وقعت انظار الحجاج عليها حتى ملأتهم الدهشة وقالوا لبعضهم : كيف يمكن لمثل هذه المدينة ان تؤخذ بالقوة ، الا بمساعدة الرب نفسه ؟

وكانت اول سفينة وصلت الى زارا قد القت مرساتها وانتظرت

الاخريات وفي صباح اليوم التالي بزغ الفجر ساطعا وصافيا ، ووصلت الشواني ووسائط النقل مع السفن الاخرى التي كانت متخلفة ، واقتحم كامل الاسطول الذي كان يتقدم معا السلسلة الغليظة جيدة الصنع التي تقع امام الميناء ، وتم اقتحام الميناء والاستيلاء عليه بالقوة ، ثم نزل الجيش الى البر بطريقة استهدفت ابقاء الميناء بينه وبين المدينة ، وما اعقب ذلك كان منظرا بالغ الروعة ، حيث اندفع الفرسان والسرجندية كالاسراب من السفن الحربية ، واخرج العديد من الخيول الحربية القوية من وسائط النقل ، وكانت خيام جميلة وسرادقات لاحصر لها قد انزلت واصبحت جاهزة لتنصب ، وهكذا عسكرت قواتنا امام زارا ، التي بداوا يحاصرونها في يوم القديس مارتن .

(١١ تشرين الثاني)

وحتى الان مع ذلك لم يكن كل البارونات قد وصلوا ، فكان المركيز مونتفرات مثلا غائبا ، حيث تخلف ليشرف على بعض اعماله ، وترك اتين دي بيرش وماتيو دي مونتمو رنسي مريضين في البندقية ، وحالما عوفيا عاد الاخير للانضمام الى قوات زارا ، ولم يكن سلوك دي بيرش جيدا لانه فر من الجيش وذهب ليمضي بعض الوقت في ابوليا ، ومعه ذهب روترو دي مونتفورت ، وايف دي لاجايل الى جانب اخرين عددهم كبير ، وقد وجه اليهم لوم كثير من اجل نلوصهم وابحر هؤلاء الرجال في الربيع التالي يريدون سورية .
وفي الصباح التالي ليوم سانت مارتن خرج عدد معين من اهالي زارا من المدينة وذهبوا للتحدث مع دوج البندقية في فسطاطة ، وقالوا له انهم مستعدون لان يضعوا المدينة وكل ممتلكاتهم تحت تصرفه طالما حفظت ارواحهم ، واجاب الدوج بانه لايستطيع ان يوافق على مثل هذه الشروط وفي الواقع ولاعلى غيرها ، دون مشاورة البارونات اولا ، وانه سيبحث الامر معهم على الفور .

وبينما كان في طريقه للاجتماع بالبارونات جاءت تلك المجموعة

من الرجال التي ذكرتها من قبل ، والذين كانوا يريدون ان ينحل الجيش وتكلموا مع موفدي زارا وسالوهم قائلين : « لماذا تريدون تسليم مدينتكم ان الفرنسيين على اي حال لن يهاجموكم ، ولاشيء تخشونه منهم ، واذا امكنكم فقط ان تدافعوا عن انفسكم ضد اهل البندقية ، فانه لن يكون لديكم سبب للقلق » .

والتقط بعض صانعي المتاعب واحدامنحزبهم يدعى روبرت دي بوفيس حيث صعد الى اسوار المدينة وكرر كلماتهم وبناء عليه عاد الموفدون الى زارا وتركوا امر وضع الشروط معلقا ، وفي تلك الاثناء قابل الدوج البارونات وتحدث معهم قائلا : سادتي ان اهل هذه المدينة على استعداد لوضعها تحت تصرفي شريطة الحفاظ على ارواحهم ، ومع ذلك لن اصنع سلاما معهم على هذه الشروط او اي شروط اخرى دون موافقتكم ، واجابه البارونات : سيدنا اننا ننصح ، لابل حتى نرجوك بقبول الشروط الي يعرضونها ، وقال : الدوج انه سيفعل كما اشاروا ، وهكذا عادوا معا الى فسطاط الدوج لانجاز الاتفاق ، لكن فقط ليجدوا ان الموفدين قد ذهبوا بناء على نصيحة الذين ارادوا حل الجيش وعند هذه النقطة نهض راعي ديرفو من رتبة الرهبان البندكتيين ، نهض واقفا على قدميه وقال :

سادتي باسم البابا في روما أمنعكم من مهاجمة هذه المدينة لأن الناس فيها مسيحيون وانت تلبسون شارة الصليب ، وتحول الدوج وهو منزعج جدا ومغيظ من هذا الاحتجاج الى الكونتات والبارونات وقال : سادتي لقد اعطيت سلطة لاصنع اي شروط احب مع هذه المدينة ، والان اخذها شعبكم مني ومع ذلك انكم قد اعطيتموني وعدكم بمساعدتي على الاستيلاء عليها ، وانا الان ادعوكم للمحافظة على كلمتكم ، وبناء عليه انسحب الكونتات والبارونات مع الذين يؤيدونهم للاجتماع معا ، وقالوا : ان الرجال المسؤولين عن تحطيم المفاوضات قد تصرفوا بشكل مشين ، انهم لم يتركوا يوما يمر دون ان يحاولواتحطيم جيشنا ، والان يمكننا ان نعتبر انفسنا مجللين بالعار ان لم نساعد في الاستيلاء على المدينة ، وبناء

عليه ذهبوا الى الدوج وقالوا : سيدنا اننا سنساعدك على اخذ زارا رغما عن اولئك الذين حاولوا منعنا من ذلك .

هكذا كان قرارهم ، وفي الصباح التالي عسكرت القوات امام ابواب المدينة ونصبوا عراداتهم ومنجنيقاتهم والات الحرب الاخرى التي كان لديهم منها تموين وافر ، وخلال ذلك من الجانب المواجه للبحر ورفعت السلالم المعدة لتسلق الاسوار من كل السفن التي في الميناء ، وبدأت المنجنيقات الان في قذف الاسوار والابراج في زارا ، واستمر هذا الهجوم نحو خمسة ايام . ثم بدأ المهندسون العسكريون بالعمل في احد الابراج ، وبدأوا في لغم السور ، ومان رأى الناس داخل المدينة ماكان يجري حتى بادروا بعرض الاستسلام وفق الشروط ذاتها التي رفضوها من قبل وبناء على نصيحة اولئك الذين ارادوا حل الجيش

وهكذا اصبحت زارا بين يدي الدوج على شرط المحافظة على حياة كل الاهالي وبعد ذلك اتجه الدوج الى البارونات وقال : بفضل الرب وبمعونتكم اخذنا هذه المدينة ، وقد حل الشتاء بالفعل ولايمكننا ان نتحرك من هنا حتى عيد الفصح ، لانه لن تتوفر لنا الفرصة للحصول على المؤن في اي مكان اخر ، في حين ان هذه المدينة من جانب اخر غنية جدا ، ومموّنة جدا بكل مايمكن ان نحتاج اليه ، وبناء عليه اننا سننقسم الى قسمين ، وسنحتل نصفامن المدينة بينما تأخذون انتم النصف الاخر ، ومضى كل شيء حسب الخطة ، واحتل اهل البندقية نصف المدينة المواجه للميناء ، حيث كانت ترسو سفنهم ، واخذ الفرنسيون النصف الاخر ، ووزعت المنازل الجميلة في كل نصف من زارا حسب ماكان يبدو مناسبا ونصب الجيش خيامه واتخذ مراكز له بداخل المدينة . وبعد ثلاثة ايام ، وعندما اوى كل واحد كما ينبغي ، حدث بصورة غير مباشرة وقت صلاة العشاء انّ واجهت قواتنا متاعب خطيرة حيث اشتبك بعض الفرنسيين واهل البندقية في مشادة بالايدي ضارية ومريرة ، وهرع الرجال من كل جزء من المدينة الى السلاح ، وتزايد الشجار

الى حد انه سرعان مااصبحت شوارع قليلة جدا لم يكن بها صدام شرس بالسيوف والرماح والسهام والحراب وقتل كثيرمن الناس او جرحوا . .

وعلى كل حال لم يصمد اهل البندقية للقتال ، وبدأوا يعانون من خسائر خطيرة ، وعندما بلغت الامور هذا المستوى جاء الرجال الرئيسيين في الجيش ، الذين لم يكونوا يريدون حدوث اي ضرر ، جاءوا بكامل سلاحهم الى وسط الشجار ، وبدأوا في الفصل بين المتعاركين ، ولكنهم كانوا ماان يوقفوا القتال في مكان حتى ينفجر في مكان اخر .

واستمر الصراع هكذا شطرا كبيرا من الليل لكن مع ذلك وبعد جهود كثيرة وقدر كبير من المتاعب توقف أخيرا. ان مثل هذا النزاع يمكنني ان اقول كان اعظم سوء حظ حدث قط لاي جيش ، وكان لجيشنا في الواقع منفذ ضيق جدا نجا بوساطته من الفناء الكامل ، لكن الرب لم يكن ليسمح بمثل هذه الكارثة ، وعانى كلا الجانبين من خسائر ثقيلة ، وكان بين الذين قتلوا جيلزدي لانداس وهو نبيل فلمنكي من الطبقة الرفيعة وكان قد ضرب في عينيه ومات من جرحه في مجرى الشجار ، وكانت هناك خسائر اخرى كثيرة ، ولكن هذه اثارت انتباها قليلا ، وبذل الدوج والبارونات قصارى جهدهم خلال ماتبقى من الاسبوع لتهدئة المشاعر المريرة التي اثارها القتال وعملوا بشكل فعال حتى استعيد السلام ، وكل الشكر للرب على ذلك .

- ٤٤٢٢ -

الفصل السادس

نزاع في الجيش

كانون اول ١٢٠٢ ـ كانون ثاني ١٢٠٣

وبعد اسبوعين وصل المركيز دي مونتفرات ، الذي لم يكن بعد قد عاد للانضمام للجيش الى زارا وصل بصحبة ماثيو دي مونتمورنسي وببير دي براسيو وعدد كبير من الرجال الطيبين ، وبعد اسبوعين من ارسال المبعوثين من المانيا من قبل الملك فيليب ، وولي عهد القسطنطينية وصلوا بدورهم ، واجتمع البارونات في قصر كان دوج البندقية يسكنه في حينه وهنا سلم المبعوثون رسالتهم وقالوا : سادتنا لقد ارسلنا اليكم من قبل الملك فيليب واخي زوجته نجل امبراطور القسطنطينية ، ويقول جلالته في خطابه اليكم:

سادتي اني مرسل اليكم اخا زوجتي الذي اضعه بين يدي الرب فليحفظه من الموت كما اضعه بين ايديكم ، وحيث انكم على الطريق لخدمة الرب ومن اجل الحق والعدل من واجبكم الى الحد الذي تستطيعونه ان تعيدوا الملكية لمن جردوا منها ظلما ، وسيعرض الامير اليكسيوس عليكم افضل الشروط التي قدمت على الاطلاق لاي شعب ، وسيعطيكم اقوى دعم في فتح بلاد ماوراء البحار :

اولا اذا اراد الرب لكم ان تستردوا ميراثه له فانه سيضع كامل امبراطويته تحت سلطة روما التي أقصيت عنها زمانا طويلا

ثانيا ، طالما انه يعرف انكم قد انفقتم كل اموالكم ، وليس لديكم شيء منها الان انه سيعطيكم ٢٠٠٠٠٠ مارك فضي ، ومؤنا لكل رجل في جيشكم من القادة والرجال على السواء ، علاوة على أنه هو نفسه سيذهب في صحبتكم الى مصر ، مع عشرة الاف رجل ، او

اذا فضلتم ان يرسل العدد نفسه من الرجال معكم ، وعلاوة على ذلك فإنه طيلة حياته سيحتفظ على نفقته بخمسمائة من الفرسان للمرابطة في اراضي ماوراء البحار .

ثم استطرد المبعوثون قائلين : سادتنا ان لدينا السلطة العامة لابرام هذه الاتفاقية اذا كنتم من جانبكم تريدون قبول شروطها ، ويمكننا ان نبين ان مثل هذه الشروط المواتية لم تقدم من قبل لاحد ، والانسان الذي يمكنه رفض قبولها تكون رغبته قليلة في الاستيلاء على اي شيء بالمرة ، واجاب البارونات انهم سيبحثون في الامر ، ورتب لعقد مؤتمر في اليوم التالي ، وحين حضر الناس جميعا للاجتماع طرحت امامهم الشروط ، وكان هناك تشتت كبير في الرأي في الاجتماع ، وكان لدى راعي الدير البندكتي في فو شيء ليقوله بشكل مشترك مع الذين كانوا متلهفين على حل الجيش ، وأعلن الجميع بانهم لن يعطوا مطلقا موافقتهم ، طالما انها تعني الزحف ضد المسيحيين ، وأنهم لم يتركوا أوطانهم ليفعلوا مثل هذا الشيء ، وبالنسبة لهم انهم يريدون الذهاب الى سورية.واجاب الطرف الاخر : ايها السادة الطيبون ، لايمكنكم ان تحققوا شيئا في سورية كما يمكنكم أن تروا بسهولة اذا فكرتم في مصير اولئك الذين تخلوا عنا ليبحروا من موانيء اخرى ، ويجب ان نصر انه فقط عن طريق مصر واليونان يمكننا ان نأمل في استعادةالارض فيما وراء البحار ، اذا حدث هذا قط بالمرة ، واذا رفضنا هذه الاتفاقية سيكون ذلك عارا ابديا لنا .

وهكذا حدث نزاع في الجيش ، ولايمكننا ان نعجب اذا كان عامة الناس في نزاع ، وعندما كان الرهبان البندكتيون الذين صحبوا القوات بشكل مساو في خلاف مع بعضهم بعضا ، ووعظ راعي دير لوس الذي كان مقدرا لطيبته وحكمته القوات كما فعل رعاة الاديرة الاخرون من حزبهم ، واخذوا كلهم يحضونهم بحماس باسم الرب أن يبقوا على اجتماع شمل الجيش مع قبول الاتفاقية المتقدمة لانها ــ هكذا الحوا ــ كانت تقدم افضل فرصة لاسترداد الارض

فيما وراء البحار . ومن جانب اخر خاطب راعي دير فو مع الاكليوس الذين كانوا يؤيدونه الجيش في مناسبات عديدة معلنين ان خطط الطرف الاخر لم تكن جيدة بالمرة وانه احرى بهم ان يتجهوا الى سورية ، وان يفعلوا هناك ما بامكانهم ان يفعلوه .

وعند هذه النقطة تدخل المركيز دي مونتفرات والكونت بلدوين دي فلاندرودي هينوت ، والكونت لويس دي بلوا ودي كارنان ، والكونت هوغ دي سانت بول ، الى جانب اخرين ممن وقفوا في جانبهم تدخلوا في النزاع ليعلنوا من جانبهم أنهم قد عقدوا العزم على قبول الاتفاقية ، ذلك انهم يخجلون من رفضها وهكذا ذهبوا الى قصر الدوج ، وبعد استدعاء المبعوثين تم تأكيد الميثاق على الشروط نفسها التي سلف ذكرها بعقود تم توقيعها بالشكل المناسب وختمها .

ويجب ان اخبركم هنا ان اثني عشر شخصا فقط في المجموع قد اقسموا نيابة عن الفرنسيين ، ولم يكن بالامكان حث المزيد على اتباعهم ، وكان اول من اقسم هو المركيز دي مونتفرات ، وبعده الكونت بلدوين دي فلاندرز والكونت لويس دي بلوا ، والكونت دي سانت بول ثم الثمانية الاخرون من حزبهم ، وهكذا جرى التصديق على الميثاق وابرمت العقود ، وحدد بعد ذلك يوم لوصول امير القسطنطينية ، وكان قد قرر لذلك بعد عيد الفصح باسبوعين من السنة التالية .

وامضى الجيش كامل ذلك الشتاء في زارا مستنفرا ضد ملك هنغاريا ، ويمكنني ان اوكد لكم أن قلوب شعبنا لم تكن في سلام ، لان احد الطرفين كان يعمل باستمرار على حل الجيش ، والاخرعلى الابقاء على اجتماع شمله .

وخلال ذلك الوقت فر رجال كثيرون من المراتب الدنيا من الجيش،

وهربوا على سفن تجارية ، ورحل نحو خمسمائة منهم على سفينة واحدة .

ولكنهم جميعا ماتوا غرقا ، وهربت مجموعة اخرى عن طريق البر معتقدين انهم سيسافرون بامان عبر سكلافونيا ، ولكن اهالي تلك البلاد هاجموهم وقتلوا عددا كبيرا منهم ، واما الذين نجوا فغادروا مسرعين الى الجيش نفسه ، وهكذا كانت قواتنا تتضاءل من يوم الى يوم ، وفي الوقت نفسه احتال غارنيير فون بورلاند الذي جاء الينا من المانيا وشغل مرتبة عالية في جيشنا ليحصل على حق السفر على ظهر سفينة تجارية ، ومن ثم هرب وقد وجه إليه لوم شديد على هذا السلوك ، وبعد ذلك بوقت غير طويل توسل احد بارونات فرنسا الكبار ويدعى ريذو دي مونتميرال بالحاح شديد حتى امكنه برغم من الكونت لويس ان يرسل في مهمة الى سورية على احدى سفن الاسطول ، وكان هو وكل الفرسان الذين قد اقسموا على الانجيل المقدس على انهم سيعودون للانضمام الى الجيش بعد وصولهم الى سورية وتسليم رسالتهم ، وذلك بما لايتجاوز اسبوعين وعلى هذا الشرط سمح لريذو بالذهاب فأخذ معه ابن اخيه هرفيه دي شاتيل ووليم موثق العقود وجيوفري دي بومونت ، وجين دي فردفيل ، واخاه بيير وعدد كبير اخر ، لكنهم لم يحافظوا على قسمهم ايضا ، لانهم لم يعودوا مطلقا الى الجيش ، وبعد قليل سرت قواتنا كثيرا بسماع انباء بان الاسطول من فلاندرز والذي سلف وتكلمت عنه قد وصل الى مرسيليا ، وبعث جين دي نسلس حاكم بروغ الذي كان يتولى قيادة هذا الجيش مع ابن الكونت فيليب دي فلاندرز ابنه تيري ونيكولاس دي ميلين برسالة يخبرون بها اميرهم الكونت بلدوين دي فلاندرز انهم كانوا يشتون في ذلك الميناء ، وطلبوا منه ان يخبرهم بما لديه من اوامر لهم ، مؤكدين له في الوقت نفسه بانهم سيفعلون كل ما يأمرهم به أيا كان ، وبعد التشاور مع دوج البندقية والبارونات الفرنسيين طلبوا اليهم ان يبحروا عند اخر اذار وان يأتوا لمقابلتهم في ميناء مثيون في رومانيا ، وللاسف اساءوا التصرف جدا ، لانهم حنثوا بكلامهم وأبحروا بدلا من ذلك الى

سورية ، حيث لابد انهم لم يكونوا قادرين على فعل شيء يستحق الذكر ، ويمكنني ان اؤكد لكم ايها السادة بان الرب لو لم يكن يحب جيشنا ، لما تماسك عندما اراد به كل هؤلاء الناس السوء .

وخلال الشتاء اجتمع البارونات معا وقرروا ارسال نواب عنهم لرؤية البابا ، الذي كان مستاء لدرجة كبيرة بسبب استيلائهم على زارا ، وقد اختاروا المبعوثين فارسين ورجلين من ذوي المراتب المقدسة ممن عرفوا فيهم الصلاحية لمثل هذه المهنة ، وكان احد رجلي الاكليروس نيفلون اسقف سواسون والثاني جين دي نويون مستشار الكونت بلدوين دي فلاندرز ، وكان الفارسان هما جين دي فرييز وروبرت دي بوف ، واقسم هؤلاء الرجال الاربعة على الانجيل المقدس بانهم سينفذون مهمتهم بوفاء واخلاص ، ثم يعودون للانضمام للجيش .

والتزم ثلاثة منهم بكل دقة بقسمهم ، وبرهن الرابع روبرت دي بوف على انه غير اهل للثقة ، وفي الواقع انه لم يكن لينفذ مهمته باسوأ مما فعل ، لانه حنث بقوله ومضى الى سورية ، كما فعل اخرون قبله ، وادى الثلاثة الباقون واجبهم بضمير ، وسلموا رسالتهم للبابا ، كما وجه البارونات ـ قائلين :« ياصاحب القداسة ان امراءنا يرجونكم ان تنظروا نظرة رحيمة لاستيلائهم على زارا ، وان تروا انهم قد تصرفوا كأناس لم يكن لديهم خيار أفضل ، سواء من خلال خطأ الذين ذهبوا الى موانيء اخرى أو لانه لم تكن لديهم طريقة اخرى للابقاء على وحدة الجيشين ، وهم بناء على ذلك يطلبون منكم باعتباركم اباهم الطيب ان تعلموهم مايسركم ان تأمروا به ، وسيطيعون بكل سرور ، واخبر البابا المبعوثين بانه كان مدركا تماما بانهم قد اضطروا بالتصرف بهذه الطريقة بسبب خطأ شعبهم ، وانه قد شعر بعطف كبير عليهم ، وهكذا ارسل رسالة جوابية يحيي فيها البارونات والصليبيين الاخرين ويمنحهم بركاته ، ويبلغهم انه قد منحهم الغفران كأبناء له ، ورجاهم وأمرهم ان يحافظوا على وحدة الجيش وتماسكه اذ انه كان يعرف جيدا انه

بدون مثل هذه القوات لن تتحقق خدمة الرب ، وفي الوقت نفسه أعطى سلطة كاملة لاسقف سواسون وجين دي نويون لربط الحجاج وتسريحهم حتى يأتي الوقت الذي يصل فيه كارد يناله ليزور الجيش.

وفي ذلك الحين كان قدر كبير من الوقت قد انقضى ، حتى انه قد حل الصوم الكبير بالفعل ، وكان الصليبيون قد بدؤوا بوضع اسطولهم في حالة تاهب للابحار في عيد الفصح ، وفي يوم الاثنين من عيد الفصح بعد ان حملت السفن عسكرت قواتنا بقرب الميناء ، في حين ازال اهل البندقية المدينة ، عن وجه الارض ، ومع كل الاسوار والابراج ، وعند هذه النقطة وقع حدث كان له شأن خطير للجيش هو أن سيمون دي مونتفورت أحد البارونات العظام في قيادة الجيش كان قد ابرم اتفاقية سرية خاصة مع عدونا ملك هنغاريا ، فانتقل الان الى صفه ، وتخلى عنا ونهب معه اخوه غي دي مونتفورت وسيمون دي نوفل ، وروبرت موفوازان ، ودرو دي كرسناك ، وراعي الدير البندكتي في فو ، وعدد كبير اخر ، ولم يمض وقت طويل حتى تركنا نبيل آخر من المراتب العالية في الجيش يدعى انغراند دي بوف ، واخذ معه اخاه هوغ وأكبر عدد استطاع تحريضه من ولايته على اصطحابهم .

وكان مثل هذا الارتداد خطأ سيئا للجيش وعارا عظيما للذين تركوه ، وكانت السفن الحربية ووسائط النقل جاهزة للتحرك ، وقد تمت الموافقة على وجوب لجوئها الى ميناء كورفو ، وهي جزيرة ضمن امبراطورية القسطنطينية حيث تنتظر اول المراكب وصولا المتأخر منها حتى تتجمع عليها ، وحدث هذا حسب الخطة .

وقبل ان ينطلق الدوج والمركيز دي مونتفرات من زارا مع الشواني وصل الى المدينة الكيسوس ابن الامبراطور اسحق امبراطور القسطنطينية الذي ارسله الى هناك الملك فيليب ملك المانيا ، وقد استقبل بحبور عظيم وتشريف ، واعطاه الدوج من الشواني والمراكب الاخرى بقدر ما كان يحتاج ، وهكذا غادروا

ميناء زارا تحملهم ريح مواتيه الى الامام حتى ابحروا بعد زمان طويل الى داخل ميناء دورازو ، وحالما رأى اهل هذا المكان اميرهم الشاب يصل سلموا عن طواعية مدينتهم ووضعوها بين يديه واقسموا يمين الولاء له .

وبمغادرة دورازو ابحر الامير الكسيوس وجماعته الى كورفو وعند وصولهم وجدوا الجيش مخيما امام المدينة ، وكانت الخيام والسرادقات قد نصبت بالفعل واخرجت الخيول من سفن النقل لتهويتها ، وفي اللحظة التي سمعت فيها قواتنا ان ابن امبراطور القسطنطينية قد وصل الى الميناء شوهد حشد كبير ، واضفوا عليه تشريفا عظيما وامر الامير بان تنصب خيمته في وسط القوات تماما في حين امر المركيز دي مونتفرات ، الذي كان الملك فيليب قد وضع اخا زوجته الشاب في عهدته بخيمته فنصبت على مقربة منها ، ومكث الجيش ثلاثة اسابيع في كورفو التي كانت جزيرة خصبة جدا ، ووافرة التموين بالغذاء ، وخلال هذا الوقت وقعت حادثة بالغة التعاسة والالم حيث ان عددا كبيرا من الذين كانوا يسعون لحل الجيش ، والذين عملوا في مناسبات سالفة ضد مصالحه تجمعوا الان معا وأعلنوا أن المغامرة التي باشروها بدت لهم غير محتملة الطول والخطورة الشديدة ، وانهم بناء عليه سيبقون على الجزيرة ويتركون بقية القوات تذهب بدونهم ، ثم انهم حالما يغادر الجيش سيعملون بمساعدة اهل كورفو على ان يبعثوا برسالة الى الكونت غوثيير دي بريين الذي كان في ذلك الوقت يحتل برنديزي يطلبون منه ان يرسل اليهم سفنا لتعيدهم الى مدينته ، ولايمكنني ان اذكر لكم اسماء الذين كان لهم يد في هذا الامر ، ولكنني ساذكر عددا من الذين شغلوا دورا رئيسا فيه ، وهؤلاء كانوا يودس دي شامبليت ، وجاك دي افنس وبيير دى اميان ، وغي شاتلان دي كوسي ، واوغيير دي سانت شيرون ، وغي دي شاب ، وابن اخيه كليرمبود ، ووليم دي اونوا ، وبيير كواسو ، وغي دي برذس ، واخوه ايمون ، وغي دي كونفلانس ، ورتشارد دي دامبيير ، واخوه يودس ، وغير هؤلاء ، كان هناك عدد كبير اخر ممن اتفقوا سرا بالانضمام الى

حزبهم ، ولكنهم لم يجرؤوا على الاقرار بذلك علنا ، لانه امر مخجل جدا ، وفي الحقيقة انه لصحيح القول ان اكثر من نصف الرجال في الجيش كانوا بالعقلية نفسها ، وحالما ادرك المركيز دي مونتفرات والكونت بلدوين دي فلاندرز والكونت لويس والكونت دي سانت بول ، والبارونات الذين اتفقوا معه ، الحالة اضطربوا بشكل خطير وقالوا : « سادتنا ، اننا في موقف يائس جدا ، واذا تركنا هؤلاء الناس كما فعل عدد كبير جدا من قبل في مناسبات مختلفة ، سيكون الجيش قد هلك ، ولن ننتصر على شيء ، فلماذا لا نذهب ونرجوهم للرب ليظهروا بعض الاهتمام بانفسهم وبنا ، ولايشينوا انفسهم ولايحرمونا من الفرصة لتحرير الارض فيما وراء البحار » .

وقرروا ان يفعلوا ذلك ، وذهبوا جميعا في مجموعة الى واد حيث اجتمع الطرف الآخر في مؤتمر ، واخذوا معهم امير القسطنطينية الشاب وكل الاساقفة الذين كانوا مع القوات ، وحالما وصلوا الى هناك ترجلوا عن خيولهم ، في حين ترجل الآخرون وقد رأوهم يحضرون عن احصنتهم أيضا ، وجاءوا للقائهم ، وخر المركيز والذين معه على اقدام الطرف الآخر وهم يبكون بمرارة ، وقالوا انهم لن ينهضوا ثانية حتى يعد اولئك الرجال ان لايذهبوا ويتركوهم .

وعندها تأثر الذين كانوا يعتزمون الفرار بعمق وتفجرت دموعهم بمرأى امرائهم ، واقاربهم واصدقائهم وهم راكعين امامهم ، وهكذا قالوا انهم سيتشاورون معا ، وانسحبوا الى مسافة قصيرة ليتناقشوا في الامر ، وكانت نتيجة دراستهم انهم قرروا البقاء مع الجيش حتى عيد القديس ميكائيل كبير الملائكة شريطة ان يؤدي الآخرون القسم في حينه على الانجيل المقدس انه من ذلك الوقت فصاعدا في اي لحظة يطلب منهم سيزودونهم بكل اخلاص وبدون نفاق بالسفن الكافية ليذهبوا فيها الى سورية ، وذلك خلال اسبوعين من تقديم مثل هذا الطلب .

وبالتالي جرى الاتفاق ووثق بالقسم وعم على الفور فرح عظيم في كل الجيش ، وصعد كل الناس الى ظهور السفن ووضعت الخيول في داخل سفن النقل .

الفصل السابع

رحلة الى سكوتاري

أيار ـ حزيران ١٢٠٣

ابحر الجيش من ميناء كورفو عشية عيد الحصاد في سنة ١٢٠٣ لتجسيد ربنا ، وكان كل الاسطول مجتمعا هناك : الشواني وسفن النقل والسفن الحربية وأيضا عدد كبير جدا من السفن التجارية التي كانت تصاحب القوات ، وكان اليوم جميلا ومشمسا ، والرياح لطيفة ومواتيه ، وكانت السفن قد نشرت أشرعتها للنسيم .

ويشهد جيوفري دي فيلهاردين ، مارشال شامبين ومؤلف هذا العمل ـ الذي لم يضع شيئا قط حسب معرفته بشكل يعارض الحقيقة ، والذي كان علاوة على ذلك حاضرا كل المؤتمرات التي سجلت في صفحاته ـ هنا أن مثل هذا المنظر الجميل لم يشاهد من قبل ، وبدا حقا أنه يوجد هنا أسطول يمكن أن يفتح البلدان لأنه على المدى الذي يمكن أن تصل اليه العين لم يكن هناك شيء يرى سوى الأشرعة المنشورة على كل هذا العدد الكبير من السفن حتى أن قلب كل رجل كان مليئا بالبهجة لهذا المنظر ، وأبحرت السفن عبر امتداد واسع من الماء ، حتى وصلت الى رأس ماليا عند الطرف البعيد للمضايق بين امتدادين من عرض البحر ، هنا حدث أن لقيت سفننا سفينتين وهما في طريقهما عائدتين من سورية وهما مليئتان بالفرسان والسرجندية والحجاج الذين كانوا جزءا من المجموعة التي ذهبت الى تلك البلاد عن طريق مرسيليا ، وبرؤيتهم لأسطولنا بهذه الروعة وحسن التجهيز غلب على هؤلاء الرجال العار حتى أنهم لم يجرؤوا على اظهار وجوههم ، وأرسل الكونت بلدوين دي فلاندرز فارسا من سفينته ليستعلم عن عملهم وليخبر بمن كانوا ، وانزلق

احد السرجنتية من واحدة تلك السفن على جانبها ، والقى بنفسه في قارب الكونت ، وصاح في الذين تركهم على السطح : بامكانكم ايها الرجال أن تفعلوا ما تحبون بكل شيء تركته خلفي ، فأنا ذاهب مع هؤلاء الناس ، لانه يبدو لي بالتأكيد انهم سيربحون بعض الارض لانفسهم ، وقد أعطي هذا الرجل ترحيبا جميلا جدا من قبل القوات ، وقد اعتقد الجميع أنه رجل جيد جدا ، وفوق كل شيء وكما كان الناس ينزعون للقول إنه لا يهم كم يخطيء المرء لانه يستطيع دائما أن يعود الى طريق الصواب في النهاية ، وابحر الاسطول مكملا برنامجه حتى بلغ الى خليج نغروبونت الذي تطل عليه مدينة جميلة جدا تحمل الاسم نفسه ، وهنا عقد البارونات مؤتمرا ، أبحر بعده الماركيز بونيفيس دي مونتفرات والكونت بلدوين دي فلاندرز متجهين نحو الجنوب مع قسم كبير من الشواني ، وسفن النقل حتى بلغوا جزيرة أندروس حيث رسوا ، وسلح الفرسان انفسهم واجتاحوا المنطقة حتى ناشد أهل أندروس أخيرا ابن الامبراطور أن يشفق عليهم وأعطوه الكثير من اموالهم وسلعهم حتى تدبروا أمر السلام معه ، ثم عاود الفرسان ضم سفنهم وأبحروا متابعين طريقهم ، ولكن خلال الرحلة عانوا من محنة كبيرة لأن غي أمر قلعة كونسي ، وهو رجل نبيل رفيع المنزلة جدا في الجيش مات وألقي به في البحر ودفن فيه .

وفي تلك الاثناء دخلت السفن التي لم تتبع المسار المتجه جنوبا ، دخلت قنال ابيدوس حيث تلتقي مضايق سان جورج بعرض البحر ، وابحروا في المضايق صعودا حتى أبيدوس ، وهي مدينة جميلة جدا حسنة الموقع الى جوار الماء الاقرب لتركيا ، وهنا تركت القوات سفنها في الميناء ونزلت الى البر ، وخرج شعب أبيدوس للقائهم وسلموا المدينة لهم فورا كرجال لا تتوفر لديهم الشجاعة الكافية للدفاع عن أنفسهم ، وعلى أي حال فقد نظم الجيش حراسة جيدة على المدينة حتى أن الناس في المدينة لم يفقدوا ما يساوي أصغر قطعة نقد متداولة بينهم ،وبقيت القوات هناك مدة أسبوع في انتظار تلك السفن الحربية والشواني وسفن النقل التي لم تكن قد وصلت

بعد لتنضم اليهم ، وخلال هذا الوقت استولوا على القمح بينما كان يحصد لأنه كان موسم الحصاد ، وكانوا في حاجة ماسة لمثل هذه المؤن حيث لم يبق لديهم سوى القليل من المخزون ، وبحلول نهاية الاسبوع ، وحيث منحهم الرب طقسا جميلا فإن كل المراكب الباقية وبقية البارونات وصلوا الى أبيدوس ، وابحر كل الاسطول بعد ذلك معا من الميناء ، وفي لحظة الرحيل بدت مضايق (البوسفور) سانت جورج في اتجاه الشرق مع الحشد الكامل من السفن الحربية والشواني ومراكب النقل كما لو كانت مزهرة ، لقد كانت حقا تجربة رائعة رؤية مثل هذا المنظر الجميل ، وأبحرت السفن متجهة الى أعلى المضايق حتى وصلت عشية يوم القديس يوحنا المعمدان الى حذاء دير القديس ستيفن ، وهو دير كان يقع على بعد أربعة أو خمسة أميال من القسطنطينية ، ومن تلك النقطة كان أمام جميع الذين كانوا على ظهر السفن كامل منظر المدينة ، وهنا دخل الأسطول الميناء ، وألقت السفن مراسيها ، ويمكنني أن أؤكد لكم أن كل من لم يسلف له أن رأى القسطنطينية مطلقا من قبل كان يحملق بتركيز الى المدينة ، وهم لا يتخيلون مطلقا أنه يمكن أن يكون هناك مثل هذا المكان الجميل في كل الدنيا ، ولاحظوا الاسوار العالية والأبراج الباذقة التي تحيط بها ، وقصورها الفخمة ، وكنائسها الشاهقة التي كان يوجد فيها كثير جدا ، حتى أن أحدا كان لا يمكنه أن يصدق أن هذا حقيقي لو لم يره بأم عينيه ، ويرى طول المدينة وعرضها التي يحكم بسمو فوق كل المدن الأخرى ، وفي الحقيقة لم يكن هناك رجل مهما بلغت به الشجاعة والجرأة لم يرتجف جسده رعبا من هذا المنظر ، ولا كان هذا مما يثير العجب لأنه لم يسلف مطلقا أن نفذ مثل هذا العمل الكبير من قبل أي شعب منذ خلق الدنيا ، وبعد أن نزل البارونات ودوج البندقية الى الشاطىء عقدوا مؤتمرا في دير القديس ستيفن ، ظهرت خلاله كثير من الخلافات في الرأي ، ولا أقترح أن أخبركم هنا بكل الخطب التي ألقيت في تلك المناسبة ، ولكن أعتقد أنه من المناسب أن أروي كيف أنه في حوالي انتهاء المفاوضات نهض الدوج على قدميه ، وخاطب الاجتماع قائلا : « سادتي إني أعرف عن الاحوال في هذه الاجزاء أكثر مما

تعرفون ، حيث أني كنت هنا من قبل ، إنكم الآن منشغلون بأعظم وأخطر مغامرة تولاها أي شعب آخر حتى يومنا هذا على الاطلاق ، وبناء عليه إنه من الاهمية البالغة لنا أن نتصرف بحكمة وحذر ، ودعوني أبين أنه اذا ذهبنا بطريق البر فإن هناك اصقاعا هائلة من الريف علينا قطعها ، في حين ان جماعتنا في عجز مالي وليس لديهم سوى القليل للأكل ، وبالتالي إنهم سيتبعثرون في كل الاتجاهات بحثا عن الغذاء ، والآن إن كل هذه المنطقة كثيفة السكان وليس بامكاننا أن نضع رقابة صارمة على رجالنا حتى لا نفقد بعضهم على الطريق وهذا ما لا نقدر عليه ، لانه ليس لدينا سوى القليل جدا من الرجال لهذا المشروع الذي بين أيدينا .

إن هناك جزرا قريبة – ويمكنكم رؤيتها من هنا – يسكنها اناس تنتج مزارعهم القمح واللحم وسلع أخرى من مثل ذلك ، واقترح أن ندخل سفننا الى الميناء هناك لنجمع ما يمكن أن تمدنا به تلك الجزر من القمح والمؤن الاخرى ، وعندما نكون مخزوننا كافيا من الطعام نتخذ موقفنا تجاه المدينة ونبلي ما قدر الرب لنا من بلاء ، لأن الرجل الذي يجد شيئا يأكله يقاتل بحرص أكبر للفوز من ذلك الذي لا شيء في معدته ، ووافق البارونات على فعل ما أشار به الدوج ، ثم تفرق الجمع للعودة الى سفنهم .

واستراح الجيش تلك الليلة ، وفي الصباح الذي كان يوم يوحنا المعمدان رفعت الاعلام والرايات البحرية على صواري السفن ، ونزعت الأغطية عن الدروع وعلقت حول كل جوانب السفن ، واهتم كل رجل بأن يتأكد من أن كل الاسلحة والتجهيزات التي سيستعملها في حالة صالحة ، لأن كل منهم كان يدرك جيدا بأنها ستكون لازمة له قبل مضي وقت طويل .

ورفع البحارة المراسي ونشروا قلوعهم في وجه الريح ، وأعطاهم الرب نسيما طيبا فيما بعد كما كانوا يحتاجون ، ومر الأسطول أمام القسطنطينية قريبا جدا من أسوارها وأبراجها حتى أنه كان بامكان

الرجال أن يقصفوا الكثير من السفن الرومية ، واحتشد كثير من الناس على شرفات الاسوار حتى بدا كما لو أنه لم يعد هنا المزيد في بقية العالم من يمكن جمعهم معا ، وهكذا حدث بمشيئة الرب أن تخلى البارونات مضطرين عن الخطة المتفق عليها في اليوم السالف في الابحار في اتجاه الجزر ، حتى أنه بتأثير ذلك بدا الأمر كما لو أن أحدا في الواقع لم يسمع مطلقا بذكر مثل هذا المشروع ، وكانوا الآن يتجهون نحو الأرض الرئيسة بأقصى ما يمكن أن تسمح به سفنهم من حركة باتجاه مستقيم ، وأمر الأسطول بالرسو تجاه قصر كان يعود للامبراطور الكسيوس في مكان يدعي تشالسيدون ، كان يقع مباشرة مقابل القسطنطينية على جانب المضيق الاقرب الى تركيا ، وكان هذا القصر واحدا من أجمل ما يمكن أن تراه العين وأكثره سحرا على الاطلاق ، وفيه من المباهج كل ما يمكن أن يتمناه الانسان ، أو ما يجب أن يكون في بيت أمير .

وبعد النزول الى البر أخذ البارونات مراكزهم في القصر ، أو في المدينة حوله ، ونصب القسم الاكبر منهم سرادقهم ، وعندما أصبح الجميع مستعدين أخرجت الخيول من مراكب النقل ، في حين نزل الفرسان والمشاة بتجهيزاتهم الكاملة من الاسلحة ، حتى لم يبق أحد في السفن سوى البحارة ، وكان الريف حول تشالسيدون جميلا وخصبا وزاخرا بوفرة ، وبمؤن جيدة من كل الانواع والاصناف ، وكان القمح الذي جرى جنيه للتو مكوما ومخزنا في الحقول في العراء ، حتى أن كل من كان في حاجة ماسة اليه يمكنه أن يأخذ كل ما يحتاجه .

وأمضى البارونات اليوم التالي في تخوم القصر ، وبعد يومين وعندما أرسل الرب لهم ريحا مواتيه رفع البحارة المراسي ، ونشروا القلوع لتتلقى النسيم وعبروا المضيق حتى أكثر من بضعة فراسخ فوق القسطنطينية الى حيث كان يوجد قصر آخر كان يعود الى الامبراطور اليكسيوس في مكان كان يدعى سكوتاري ، وهنا ألقت جميع السفن بما فيها الشواني ومراكب النقل مراسيها ، وفي الوقت

نفسه كان الفرسان جميعا قد تمركزوا في القصر وحوله وشقوا طريقهم سيرا على طول الشاطيء ، وهكذا عسكر الجيش الفرنسي على مضائق سانت جورج في كل مكان من سكوتاري وعلى مسافة أبعد على الشاطيء ، وما أن علم الامبراطور اليكسيوس بتحركاته حتى أحضر جيشه الى خارج القسطنطينية ، واتخذ موقعه على الجانب الآخر من المضيق في مواجهة معسكر الجيش الفرنسي مباشرة ، وهناك نصب خيامه كي يكون مستعدا لمقاومة أي محاولة من جانبنا ، للنزول العاصف الى البر ، وبقيت القوات الفرنسية حيث كانت للأيام التسع التالية ، وحصل كل من كان في حاجة للمؤن عليها بأنفسهم ، وكان هذا يعني كل رجل في الجيش ٠

الفصل الثامن

الاستعداد للهجوم

٢٦ حزيران ـ ٤ تموز ١٢٠٣

وبينما كانت القوات في سكوتاري خرجت مجموعة من الرجال الجيدين الموثوقين الذين كان واجبهم البقاء خارج المعسكر لحراسة الجيش ضد أي هجوم مفاجيء ، وحماية الكشافة الذين خرجوا في يوم ما لاستكشاف الريف حولهم ، وكان بين هذه المجموعة يودس دي شامبليت وأخوه وليم وأوغيير دي سانت خيرون ومانسيير دي آيل . والكونت جيرارد ، وهو نبيل من لومبارديا كان تابعا للمركيز دي مونتفرات ، وكان معهم حوالي ثمانين من الفرسان الجيدين الشجعان .

وخلال فترة استطلاعهم لمحوا بعض السرادقات المنصوبة عند سطح جبل على بعد بضعة فراسخ من المعسكر ، وكانت هذه تعود الى أمير البحر التابع لامبراطور القسطنطينية ، الذي كان معه حوالي خمسمائة فارس رومي ، وحالما لمح أصحابنا هذا المعسكر وزعوا رجالهم الى أربع مجموعات بقصد مهاجمته ، وعندها سحب الروم بدورهم قواتهم ، واتخذوا تشكيلا قتاليا ووزعوهم أمام السرادق في انتظار الهجوم ، وتقدم رجالنا وهاجموهم بقوة .

وبعون الرب لم تدم هذه المعركة طويلا ، لأن الروم بعد فترة قصيرة أداروا ظهورهم وهربوا ، لقد هزموا من أول مواجهة ، ولاحقهم رجالنا لما يزيد عن فرسخ وفي هذه المصادفة كسب المنتصرون عددا جيدا من الخيول الحربية ، والخيول القوية ، والخيول الصغيرة والبغال وغنائم أخرى مما هو معتاد في

مثل هذه الأمور ، وبعد ذلك عادوا الى المعسكر وجرى لهم ترحيب حار من قبل رفاقهم الذين اقتسموا معهم غنائمهم بطريقة موائمة وصحيحة ، وفي اليوم التالي ارسل الامبراطور رجلا موثوقا هنو نيكولاس رو ، وكان من اهل لومبارديا ، ارسله كمبعوث لمعسكرنا مع خطاب موجه للكونتات والبارونات ، فوجدهم في مؤتمر في قصر سكوتاري الجميل ، وبعد ان حياهم نيابة عن الامبراطور الكسيوس إمبراطور القسطنطينية ، سلم رسالته الى المركيز دي مونتفرات ، فأخذها المركيز وقرأها بصوت مرتفع في حضور كل البارونات ، وكانت تحوي كثيرا من الأشياء المختلفة لن يرويها هذا الكتاب ، ملاحظا فقط بأنها كانت متبوعة بتصريح يشهد بأمكانية الاعتماد على الحامل نيكولاس رو ، مع طلب إعطاء الثقة والاعتماد لما يقوله. وخاطبه المركيز قائلا :

سيدي الطيب لقد لاحظنا محتويات رسالتك ، وهي تطلب منا أن نعطي المصداقية لما تقول ، وأن نعتمده وهذا ما سنفعله بالتأكيد ، لهذا تكلم بحرية ودعنا نعرف مالذي في فكرك .

وأجاب المبعوث الواقف أمام البارونات هكذا : سادتي لقد أرسلني الامبراطور ألكسيوس لأقول أنه مدرك تماما أنكم بعد الملوك ، انتم انبل الرجال الأحياء ، وأنكم أنتم من أفضل بلاد العالم ، وهو بناء عليه يتعجب بشكل جدي لماذا ولأي سبب دخلتم هذه البلاد التي يحكمها ، لأنكم مسيحيون تماما مثله ، وهو يعرف جيد جدا أنكم تركتم بلادكم لتحرير الأرض المقدسة ، فيما وراء البحار ، وصليب الصلبوت المقدس ، والضريح المقدس ، فاذا كنتم فقراء وفي حاجة الى المؤن فانه سيعطيكم حصة من مؤنه وأمواله طالما أنكم ستنسحبون من أرضه ، واذا رفضتم المغادرة فانه سيكون مكرها لايقاع الأذى بكم ، ذلك أنه بإمكانه أن يفعل ذلك لأنكم لو كنتم عشرين ضعف ماأنتم عليه ، فإنكم لن ـ بفرض أنه اختار ايذاءكم ـ تستطيعوا ترك هذه البلاد دون فقد الكثير من رجالكم الى جانب معاناة الهزيمة .

وبإرادة وموافقة البـارونات الآخـرين ، ودوج البندقية ، نهض فارس حكيم فاضل ومتحدث بليغ لاجابة المبعوث ، فقال :« سـيدي الطيب لقد أخبـرتنا أن أميركم يتعجـب كثيرا مـن أن أمـراءنا وباروناتنا قد دخلوا ولايته ، وجوابنا هو أننا لم نكن لندخل ولاياته لولا أنه قد تملك ظلما هـذه الأرض ، ودفـاعا عن الرب ، والحـق والعدل ، أنها تعود لابـن أخيه الذي يجلس هنا على عرش بيننا ـ أنه ابن أخيه ـ الامبـراطور اسـحق ، وعلى أي حـال انا وافـق أميركم على أن يضع نفسه تحت رحمـة ابـن أخيه ، وأن يعيد اليه تاجه وامبراطوريته ، فاننا سـنرجو الأمير أن يمنحـه مـالا كافيا ليعيش بأسلوب ثري ، ولكن مالم تعودوا لاعطائنا مثل هذه الرسالة المطلوبة ، أدعوا الرب الا تغامروا بالمجيء الى هنا مرة أخـرى » ، وهكذا غادر المبعـوث ، وعاد الى القسـطنطينية ليرى الامبـراطور اليكسيوس •

وفي اليوم التالي اجتمع البارونات معا واتفقـواعلى أن يظهـروا الكسيوس الشاب الامبراطور صاحب الحق في القسطنطينية لشـعب المدينة ، ولهذا أصدروا الأوامر لكل الشواني بـالتسليح ، وصـعد دوج البندقية ، والمركيز دي مونتفرات الى ظهر احداها ، وأخـذوا معهم الأمير الكسيوس ، بينما دخـل أكبـر عدد ممـن رغب مـن الفرسان والبارونات في مصاحبتهم الى السفن الأخرى .

ومروا على طول محـاذاة أسـوار القسـطنطينية وعلى مقـربة منها ، وأظهروا الأمير الشاب للروم ، وقالوا : هـذا هـو أميركم الطبيعي ، ونطلب منكم أن تصـدقوا أننا لم نحضر لايذائكم ، بـل على العكس لحمايتكم والدفـاع عنكم ، طـالما تتصرفـون كمـا يجب ، ان الذي تـطيعونه الآن كملك يحـكم بينكم دون حـق عادل مشروع ، ليكون امبراطورا لكم يدافـع عن الرب والحـق ، وأنتـم تعرفون جيدا كيف تصرف بشكل خياني تجاه الرجل الذي هو أميره وأخوه ، وسمل عينيه ، وبشـكل فـظيع وظـالم أخـذ منه الامبراطورية ، هذا هو أميركم الحقيقي وسيدكم ، فاذا وقفتـم في

جانبه فانكم تفعلون مايجب فعله لكن اذا أحجمتم اننا سنفعل أسوأ مايمكننا فعله ، ومع ذلك فمن مطلق الخوف والرعب من الامبراطور الكسيوس لم يجرؤ رجل واحد من تلك الأرض أو في المدينة أن يظهر أنه في جـانب الأمير الشـاب ، وهـكذا عاد البـارونات الى المعسكر ، وذهب كل رجل الى موقعه .

وفي اليوم التالي بعد حضـور القـداس اجتمعـوا في مجلس استـشاري معـا ، وكان الجميع على ظهـور الخيل في العـراء في الحقول ، كانت تشاهد هناك أعداد كبيرة من الخيول الحربية القوية والعديد من الفرسان الجيدين فوق ظهورها وكان هـدف الاجتمـاع ترتيب وتنظيم الفرق وإعداد تشكيلاتها وكانت هناك مناقشات كثيرة في أمور مختلفة بالتفصيل ، ولكن في النهاية تمت التسـوية على أنه طالما أن الكونت بلدوين دي مونتفرات لديه وتحت إمرته العدد الأكبر من الرجال ذوي الخبرة ورماة السهام وحملة القوس والنشاب مـن أي أمير آخر في الجيش فانه يجب أن يولى على المقدمة .

وبعد ذلك تم ترتيب أن يشكل أخو الكونت هنري مـع مـاثيو دي والنكورت ، وبلدوين دي بـوثوار ، وكثير مـن الفـرسان الجيدين الذين جاءوا معهم من ولايتهم الفرقةالثانية ووضعت الثالثة بإمرة الكونت هوغ دي سانت بول الذي كان معه ابـن أخيه بيير دي أميان ويوسـتاش دي كانتلون وأنسـو دي كايو وكثير مـن الفـرسان الجديرين من الاقليم نفسه .

وجعل الكونت لويس دي بلوا مسؤولا عن الفرقة الرابعة ، وهذه كانت فرقة كبيرة جدا وقوية ومهيبة لأنها كانت تضم عددا كبيرا جدا من الفرسان الشجعان ومن رجال آخرين ذوي كفاءة قتالية جيدة .

وشكل رجال شامبين تحت قيادة ماثيو دي مونتمورنسي الفرقة الخامسة ، وكان جيوفري مارشال شـامبين في هـذه الفـرقة مـع أوغيير دي سـانت خيرون ، ومـانسيير دي آيل ، وميلون لى

برابارنت . وماكير دي سانت مينوهولد . وجين فواستون وغي دي شاب ، وابن أخيه كلير مبود ، وروبرت دي رنسوا ، وقد ضمت كما يمكن القول عددا كبيرا من الفــرسان الجيدين ، وكون البيرغنديون الفرقة السادسة وبينهــم كان يودس دي شــامبليت ، وأخــوه وليم ورتشارد دي دامبيير ، وأخوه يودس وغي دي بزم وأخــوه ايمــون وأوتو دي لاروش ، وغي دي كونفلانس الى جانب رجال من الاقليم نفسه ومن مقاطعاتهم العديدة ، والفرقة السابعة وكانت كبيرة جــدا وكان يقــودها المركيز دي مــونتفرات ، وكان فيهــا اللومبــارديين والتوسكانيين والألمان والرجال من كل الأراضي الممتدة مــن مــونت سنيس الى ليون على الرون ، وقد رتب أن تــكون هــذه الفــرقة في الساقة .

وقد حدد الآن اليوم الذي تحمل فيه القــوات على ســفنها وتمضي لأخذ الأرض بالقوة وتعيش أو تموت ، وكانت هــذه ويمــكنني أؤكد لكم ، إحدى أكثر المغامرات التي تــم تــوليها مــن قبــل هؤلاء على الاطلاق ، وخاطب الأساقفة ورجــال الاكليروس الآخــرين مبينين الحاجة الى أن يقوم كل رجل بالاعتراف وكتابة وصيته بما أن مامن أحد يمكنه أن يعرف هدف الرب المختص بــه ، وقــد نفــذت هــــذه التعليمات طواعية وبورع من قبل كل رجل في الجيش .

الفصل التاسع

الحصار الأول للقسطنطينية

٥ - ١٧ تموز ١٢٠٣

وحل اليوم المحدد وكان جميع الفرسان وخيولهم الحربية على ظهر الناقلات ، وكان كل رجل كامل التسليح وخوذته مربوطة ، وفرسه مسرجة بالشكل المناسب ، وسرجه مكسو بغطاء مزركش ، وكان الناس من المراتب الأدنى كرجال من النسق التالي في المعركة متمركزين فوق السفن الحربية ، وكانت كل واحدة من الشواني مسلحة ومتأهبة .

وكان الصباح الباكر فور شروق الشمس جميلا صافيا ، وعلى الجانب الآخر من المضيق وقف الامبراطور ألكسيوس ينتظر الهجوم ، وقد وزع جيشه الى فرق عديدة ومزودة بكل التجهيزات اللازمة للمعركة ، وصدحت الأبواق ، وكانت كل سفينة نقل مربوطة بحبل جر الى شيني حتى تصل الى الجانب الآخر بسهولة أكثر ، ولم يسأل أحد أي سفينة تذهب أو لابل أي سفينة يمكنها أن تقلع أسرع ، وتصل الى البر قبل البقية .

ونزل الفرسان من سفن النقل وقفزوا في البحر وخاضوه حتى خصورهم ، وهم بكامل سلاحهم وخوذهم مشدودة ورماحهم في أيديهم ، وبطريقة مشابهة نزل رماة سهامنا والسير جندية وحاملي القوس والنشاب كل في جماعته نزلوا الى البر حالما لمست سفينتهم الأرض .

وبدا الروم وهم مستعدون ليقوموا بعرض جيد للمقاومة ، ولكن

ما أن خفض الفرسان رماحهم حتى استداروا جميعا وفروا وتخلوا عن الشاطيء لرجالنا ، ويمكنني أن أقول أن أي ميناء لم يؤخذ بأكثر من هذا الفخار ، وبدأ البحارة الآن يفتحون الأبواب في جوانب سفن النقل ، ويقودون الخيول الى خارجها وامتطاها الفرسان بسرعة ، بينما بدأت الفرق في التقدم وفق النظام المعين .

وتقدم الكونت بلدوين دي فلاندرز ودي هينو الذي كان يقود المقدمة على رأس قواته بينما تبعتهم الفرق الأخرى حسب النظام المعين لها ، حتى وصلت جميعا الى المكان الذي كان يعسكر فيه الامبراطور ألكسيوس ، وكان على أي حال قد تراجع باتجاه القسطنطينية تاركا خيامه وسرادقاته منصوبة ، وحصل رجالنا على كمية كبيرة من الأسلاب هناك .

وقرر باروناتنا أن يعسكروا على طول الميناء تجاه برج غلاطية الذي كان عند أحد طرفي السلسلة التي كانت تمتد من القسطنطينية عبر مدخل الميناء ، والآن أصبحت كل سفينة تريد دخول الميناء يمكنها أن تفعل ذلك فقط باجتياز هذه السلسلة .

وأدرك باروناتنا بوضوح أنهم إن لم يأخذوا ذلك البرج ويحطموا تلك السلسلة فإنهم سيكونون في وضع رهيب ، وكأنهم أموات ، لذلك أمضوا تلك الليلة أمام البرج في حي يدعى استانور ، وكان في الواقع مدينة صغيرة وجميلة وغنية .

وبقي الجيش متيقظا جدا تلك الليلة ، وفي الصباح في حوالي الساعة التاسعة شن الروم في برج غلاطية بدعم من آخرين ممن جاءوا في مراكب من القسطنطينية هجوما علينا ، وهرولت قواتنا الى أسلحتها ، وكان جاك دي أفنسس ورجاله وكلهم من المشاة أول من اشتبك مع العدو ، ولقي كما يمكنني القول مقاومة ضارية وجرح في وجهه بطعنة رمح ، وكان في وضع خطير قريب من القتل المباشر ، عندما قفز أحد فرسانه ويدعى نيكولاس دي جنليان الى

ظهر حصان ونجح في انقاذ اميره من الخطر ، وقد أبلى هذا الفارس نفسه بلاء حسنا في المواجهة حتى أنه كسب مديحا عظيما من أجل سلوكه المقدام .

وأطلقت الدعوة الى السلاح في المعسكر واصطف رجالنا على كل الجوانب ودفعوا بالعدو الى الوراء بقوة ، حتى أن العديد منه قتل أو أخذ أسيرا ، وركض عدد من الروم بدلا من التراجع نحو البرج ، ونزلوا الى المراكب التي جاءوا بها وغرق كثير منهم ، ولكن بعضهم تمكن من النجاة بنفسه ، أما بالنسبة للذين عادوا باتجاه البرج مضت قواتنا في أعقابهم مسرعة حتى أنهم لم يتمكنوا من اغلاق الباب ، وجرى مزيد من القتال العنيف عند المدخل ، بيد أن رجالنا سيطروا على الموقف بالقوة وجعلوا من الذين كانوا بداخل البرج سجناء ، وقتل كثير من الروم أو أخذوا أسرى في مجرى هذه الأحداث .

وهكذا تم الاستيلاء على حصن غلاطية ، وتم كسب المدخل الى ميناء القسطنطينية بقوة السلاح ، وابتهجت قواتنا بدرجة كبيرة بهذا النجاح ، وشكروا الرب بقلوب ممتنة ، وكان أهل المدينة من جانب آخر في غاية الكآبة ، وفي اليوم التالي أحضر كامل اسطولنا من السفن الحربية والشواني ومراكب النقل الى الميناء ، وعند هذه النقطة اجتمع قادة الجيش في مؤتمر لدراسة أي خطة للعمل يجب أن يتبعوها فيما اذا كانوا سيهاجمون من البحر أو من البر ، وكان أهل البندقية متمسكين بقوة بالرأي القائل بأن سلالم تسلق الأسوار يجب أن تمد فوق السفن ، وأن يتم الهجوم من البحر ، واحتج الفرنسيون من جانبهم بأنه لايمكنهم أن يعتمدوا على البحر كما يفعل أهل البندقية ، ولكنهم ماأن يصلوا الى الأرض مع خيولهم وتجهيزاتهم المناسبة بإمكانهم أن يقدموا خدمات أفضل ، وهكذا تقرر في النهاية أن يشن أهل البندقية هجومهم من البحر في حين يقاتل البارونات وجيشهم العدو في البر .

وبقيت القوات في المعسكر للأيام الأربعة التالية ، وفي اليوم الخامس استعد كل الجيش وتقدمت الفرق على ظهور الخيل كل في ترتيبها المعين على طول الجانب الشمالي الشرقي من الميناء حتى أصبحوا أمام قصر بلاشيرين ، وفي الوقت نفسه أبحرت السفن في الميناء الى أقصى طرف بالضبط في مقابل المكان حيث تمركزت القوات الفرنسية وهنا يصب نهر في البحر ويمكن عبوره فقط بجسر حجري ، وقد حطم الروم هذا الجسر ، وعليه أمر البارونات الجيش بالعمل كل ذلك اليوم والليلة التالية في اصلاحه .

وفي صباح اليوم التالي وحالما أصبح الجسر في حالة صالحة ، سلحت الفرق وركبت وفق النظام المحدد الواحدة خلف الاخرى لتأخذ مواقعها أمام المدينة .

ولم تخرج نفس واحدة لمهاجمتها ، وكان هذا مدهشا حقا ، حيث أنه مقابل كل رجل كان لدينا في الجيش كان هناك على الاقل مائتين في القسطنطينية .

وقرر البارونات أن يعسكروا بين قصر بلاشرين وقلعة بوهموند التي كانت في الواقع ديرا محاطا بأسوار عالية ، وهنا نصبوا خيامهم وسرادقاتهم ، لقد كان منظرا يملأ القلب بالفخر والرهبة ، لأن مدينة القسطنطينية كان لها واجهة تمتد في الأرض نحو ستة أو سبعة أميال ونيف ، وكان جيشنا كله كبيرا فقط بما يكفي لمحاصرة إحدى بواباتها ، وكان في الوقت نفسه أهل البندقية وهم في سفنهم على الماء ، قد رفعوا سلالمهم ونصبوا عراداتهم ومنجنيقاتهم ، ووضعوا كل شيء في نظام رائع للهجوم ، وأعد البارونات من جانبهم عراداتهم ومنجنيقاتهم واستعدوا للهجوم من البر .

وخلال كل هذا الوقت ربما أقول ، إن جيشنا لم يكن بأي حال متروكا في هدوء وسلام ، ولم يكن هناك في الواقع ساعة واحدة من

النهار والليل لم يكن فيها على واحدة من فرقنا أن تقف وهي كاملة التسليح امام بوابة بلاشرين ، لتقوم بالحراسة على الآلات وترد غارات المحاصرين من داخل المدينة ، وعلى الرغم من كل هذه الاحتياطات ، لم يتقاعس الروم عن القيام بهجمات متكررة من المدينة ، من هذه البوابة أو البوابات الأخرى ، واعطوا قواتنا القليل جدا من الراحة حتى أن كامل المعسكر كان يدعى للسلاح حوالي ست أو سبع مرات في اليوم ، ولم يكن احد فضلا عن ذلك قادرا على الحركة للبحث عن الطعام لمسافة أبعد من أربع غلوات سهم عن المعسكر وكنا في عجز شديد في المؤن ، سوى بالنسبة للدقيق ولحم الخنزير وكان هذان في الواقع قليلين جدا ٠

ولم يكن لدى القوات لحم طازج بالمرة ، سوى ما كانوا يحصلون عليه من الخيول التي تقتل وكان هناك في الواقع في كل معسكر طعام كاف فقط للاسابيع الثلاثة التالية ، وهكذا كان جيشنا في حالة بائسة للغاية حيث أنه لم يحدث مطلقا في أي مدينة أن حوصرت مثل هذه الكثرة بمثل هذه القلة .

وعند هذه النقطة وضع البارونات خطة رائعة للدفاع ، فحصنوا المعسكر باحاطته بسياج قوي من الألواح الخشبية الجيدة السميكة مع أعمدة متعارضة وبذلك جعلوا أنفسهم أقوى بكثير ، وأمن من قبل ، واستمر الروم مع ذلك في القيام بمثل تلك الهجمات المتكررة حتى أنهم لم يعطوا القوات أي راحة ، وكان رجالنا في المعسكر يصدونهم بقوة ، وفي كل مناسبة كان الروم يعانون خسائر فادحة .

وفي أحد الأيام بينما كان البيرغنديون في الحراسة قامت مجموعة من افضل القوات في الجيش الرومي ، باغارة مفاجئة من داخل المدينة وانقضت عليهم ، وطار رجالنا بدورهم تجاه العدو وهاجموهم بضراوة شديدة حتى صدوهم الى الوراء ، وفي ملاحقتهم للروم تبعوهم حتى قرب البوابة حتى أن الرجال فوق الاسوار القوا احجارا ثقيلة وكبيرة فوقهم ، وفي هذا الأمر أسر احد رجال الروم في

المدينة ، وكان يدعى كونستنتين لاسكارس وهو ما يزال فوق حصانه على يد غوتيير دي نويلي ، واثناء القتال كسر ذراع وليم دي شامبليت بحجر ، وكان هذا مما يدعو للأسف الشديد ، لأنه كان فارسا شهما وجيدا ، وأنا لا أقترح أن أخبركم بكل الضربات التي وجهت ووقعت في هذه المواجهة ، ولا بعدد القتلى والجرحى ، وسأذكر على كل حال أنه قبل أن ينتهي القتال ، جاء فارس كان في خدمة هنري أخي الكونت بلدوين للانضمام الى القتال ، ولم يكن لديه ما يقيه سوى سترة مبطنه ، وخوذة من الصلب ، ودرع معلق في العنق ، ومع ذلك فقد أبلي بلاء حسنا حتى أنه كسب شرفا عظيما .

وكان هناك من الأيام القليل مما لم ترو عن وقائعه الحكايات ، ولكني لا أستطيع أن أسجلها ويكفي القول بأن الروم استمروا في الضغط بقوة على رجالنا حتى أنهم لم يستطيعوا النوم أو الأكل أو الراحة ، سوى وهم مسلحون بالكامل ، وربما يمكنني أن أذكر اغارة واحدة من احدى البوابات التي على طول الجدران التي خسر فيها العدو مرة أخرى بشكل فادح ، وقتل أحد فرساننا ويدعى وليم دي جي في هذه المواجهة ، وفي المناسبة نفسها تميز ماثيودي والذكورت ولكنه فقد حصانه ، الذي قتل فوق الجسر المتحرك أمام البوابة . وقد أبلى فرسان آخرون عديدون أيضا بلاء حسنا . وعلى البوابة من الجانب الآخر قصر بلاشرين التي أغار الروم منها كثير جدا ، كسب بييردي براسيو لنفسه شرفا أكبر من أي واحد آخر وبشكل رئيسي لأن مراكزه كانت الأقرب منها حتى انه أمكن له أكثر أن يساهم في القتال .

وقد تعرض جيشنا لهذه المخاطر ولمحن اختبار القوة لنحو عشرة أيام ، حتى يوم خميس عندما بات كل شيء مع سلالم تسلق الأسوار معدا للهجوم الرئيسي ، ففي هذه الأثناء كان أهل البندقية قد أتموا استعدادهم فوق الماء ونظم أمر الهجوم بحيث يترك ثلاث فرق للحراسة خارج المعسكر ، في حين تتقدم أربع فرق أخرى للهجوم على المدينة ، وبقيت قوات المركيز دي مونتفرات الأخرى للحراسة في

المخيم في الجانب المواجه للريف الواسع ، تدعمها الفرقة البير غنية ورجال شامبين بقيادة ماثيودي ونتمـورنسي ، وقـاد الكونت بلدوين دي فلاندرز ودي هيذوت فرقته في الهجوم بـرفقة الذين كانوا تحـت قيادة أخيه هنري ، والكونت لويس دي بلوا ودي كارتـران والكونت هوغ دي سانت ـ بول .

ونصب الفرنسيون سلمين على شرفات جدار الحصـن الأمـامي المتاخم للبحر ، وكان الجدار في هذا الجانب يتحكم فيه بقوة الانكليز والدانمـركيون ، وكان الصراع الذي أعقـب ذلك شـديدا وقـاسيا وضاريا وبعد بذل المزيد من الجهود العنيفة والقوية تـدبر فـارسان واثنان من السرجندية صعود السلالم وسيطروا على الجدار وصـعد مايذوف على خمسة عشر رجلا الى أعلى ، وسرعان ما اشـتبكوا في عراك بـالسيوف والبلط ، واسـتجمع الروم في داخـل الحصـن شجاعتهم ودافعوا بضراوة حتى دفعوا برجالنا الى الخـارج بينمـا احتجزوا اثنين كأسرى ، واقتيد هؤلاء الى الامبراطور أليكسـيوس الذي كان مفرط السرور برؤيتهم ، وهكذا كانت حصيلة الهجوم فيما يتعلق بالفرنسيين وجرح العديد وترك العديد بأطراف مكسورة ، وقد انزعج البارونات بدرجة كبيرة بسبب هذا الوضـع والوقـائع ، وفي هذه الأثناء لم يتوقف دوج البندقية عن اداء دوره ذلك أنه شكل جميع سفنه في وضع القتال في خط يمتد بطول ثلاث رميات سهام ، وبعـد ذلك بدأ أهل البندقية في الاقتراب من الشاطيء من القسـم الذي كان يقع تحت الأسوار والابـراج ، وبعـدها كان بـامكانك أن تـرى منجنيقاتهم تقذف بالأحجار من فوق ظهور المراكب الحربية ومراكب النقل مع رشقات السهام من أقواسهم وهي تطير عبـر الماء ، وكان رماة السهام يرسلون رشقة بعد رشقة من السهام ، وكان الروم من جانبهم يدافعون بضراوة عن المدينة من أعلى شرفات الأسـوار مـع اقتراب سلالم التسلق التي على ظهـور السـفن حتـى أنه في بعض الأماكن كانت السيوف والرماح تتصادم الواحد مع الآخر .

وكانت الجلبة هائلة حتى بدا كما لو أن كلا من البر والبحـر كان

يتفتتان قطعا ، وكانت الشواني على أي حال لا تجرؤ على الاقتراب من الشاطىء .

ودعني أخبرك هنا بعمل رائع من أعمال البسالة : وقف دوج البندقية مع أنه كان رجلا مسنا وأعمى بالمرة تحت قوس سفينته ، وعلم القديس مارك (مرقص) منشور أمامه وصاح في رجاله لينزلوه الى الشاطىء وإلا فإنه سيتعامل معهم كما يستحقون واطاعوه على الفور حيث مست السفينة الأرض وقفز الرجال منها الى الشاطىء وهم يحملون علم القديس مارك الى الشاطىء ، أمام الدوج وحالما رأى أهل البندقية الآخرون العلم فوق البر وأن سفينة أميرهم تمس الأرض أمامهم شعر كل رجل منهم بالخزي ونزل الجميع الى الشاطىء،وقفز الرجال من مراكب النقل وخاضوا في الماء ، في حين نزل الذين كانوا في سفن أكبر الى القوارب وكان كل واحد منهم يتنافس مع الآخر مسرعين للوصول الى البر ، ثم بدأ هجوم رائع كبير على المدينة ، ويؤكد جيوفري دي فيلهاردين مؤلف هذا التاريخ ، هنا أن أكثر من أربعين شخصا قد أكدوا له بشكل لا ريب فيه أنهم قد رأوا علم القديس مارك يخفق فوق أحد الأبراج ، ولكن أحدا منهم لم يعرف من غرسه هناك ، والآن دعوني أخبركم بحدث رائع جدا حتى أنه يمكن أن يسمى معجزة ، لقد هرب الناس الموجودون في المدينة وتخلوا عن الأسوار لأهل البندقية ، واندفع هؤلاء جميعا من خلال البوابات وكل واحد منهم يحاول أن يسبق الآخرين واستولوا على خمس وعشرين برجا كانت مشحونة برجالهم ، وطلب الدوج احضار قارب لارسال رسل بأسرع ما يمكن ليخبروا البارونات بأنه قد تم الاستيلاء على خمس وعشرين برجا وليؤكدوا لهم أنه لا يمكن استعادتها مطلقا ، وكان البارونات من جانبهم في بهجة مفرطة حتى أنهم لم يستطيعوا التصديق أن الأخبار كانت صحيحة ، وفي هذه الأثناء بدأ أهل البندقية بارسال القوارب الى المعسكر الفرنسي محملة ببعض الخيول والدواب التي أخذوها كغنائم في القسطنطينية .

وعندما رأى الامبراطور اليكسيوس أن أهل البندقية قد تمكنوا من دخول المدينة ، بدأ يرسل القوات ضدهم بأعداد كبيرة حتى وجدوا أنه من المستحيل أن يصمدوا أمام العدو ، وبناء عليه أشعلوا النار في الأبنية التي بينهم وبين الروم ، وحيث أن الريح في ذلك الوقت كانت تهب من الجانب البندقي أصبحت النار تدريجيا كبيرة حتى أن الروم لم يعودوا يستطيعون رؤية خصومهم ، وهكذا أصبح هؤلاء قادرين على الانسحاب بسلام الى الابراج التي استولوا عليها وغزوها من قبل .

وعند هذه النقطة أخرج الامبراطور اليكسيوس كل قواته الموجودة خارج المدينة عن طريق بوابات على بعد فرسخ من معسكرنا ، وجاء عدد هائل جدا منهم يتدفقون حتى ليخيل اليك أن العالم كله قد احتشد هناك ، وبعد أن نظم فرقه فوق السهل ، ركب الامبراطور وزحف معهم نحو المعسكر الفرنسي ، وفي ذلك اليوم كان هنري أخو الكونت بلدوين دي فلاندرز واقفا في نوبة حراسة على الآليات ، برفقة ماثيودي والذكورت وبلدوين دي بوفوار والرجال الذين في فرقتهم ، ووضع الامبراطور اليكسيوس في مقابلهم فرقة كبيرة من قواته ومعهما أوامر بأن يخرج رجالها من خلال ثلاث بوابات ويشنوا هجوما على المعسكر من جانب آخر .

وزحفت فرقنا الست الأخرى الآن خارجة من المعسكر حسب الخطة واصطفت في صفوف أمام الطوق ، وكان السرجندية وحملة الدروع على أقدامهم ووقفت خلفهم خيولهم مباشرة ، بينما كان حملة الاقواس ورماة السهام في الأمام ، وكان يرافقهم أيضا جماعة من الفرسان على أقدامهم ، لأن مائتين منهم على الاقل قد فقدوا خيولهم ، ووقف الجميع في هدوء أمام الطوق وبحكمة أيضا لأنهم لو تقدموا لمهاجمة العدو في السهل لاغرقهم الروم في وسطهم ، ذلك أنهم كانوا أعدادا كبيرة جدا ، وبدا كما لو أن السهل كله كان مغطى بالقوات التي كانت تتقدم ببطء وبنظام جيد ، وكان يبدو أننا في حالة يائسة جدا حيث أنه لم يكن لدينا أكثر من ست فرق ، في حين

كان لدى الروم ما يقرب من ستين فرقة ، وكانت كل واحدة أكثر من فرقنا ، ومع ذلك كانت قواتنا موزعة بطريقة تجعل من غير الممكن مهاجمتها إلا من الامام ، واخرج الامبراطور اليكسيوس الآن رجاله متقدما بحيث يمكن لكل جانب أن يرمي في اتجاه الجانب الآخر ، وبسماع هذا بعث دوج البندقية بأوامر الى رجاله قضت بأن ينزلوا من الأبراج التي استولوا عليها ، وأعلن أنه سيحيا أو يموت في صحبة الحجاج ، وهكذا جاء مبحرا نحو المعسكر بأكبر عدد من الرجال أمكنه أن يحضرهم معه ، وكان أول من وضع قدمه على الشاطىء ولفترة طويلة نوعا ما وقفت جيوش الصليبيين والروم تواجه بعضها بعضا ، لأن الروم لم يجرؤوا على الاندفاع نحو صفوفنا ، ولم يكن رجالنا يبتعدون عن طوقهم ، وعندما أدرك الامبراطور الحالة بدأ بسحب قواته ، وحالما جمعهم أدارهم باتجاه المدينة ، واذ رأى ذلك جيش الصليبيين أخذ يزحف ببطء نحوهم وأخذ الروم يبتعدون ، وفي النهاية تراجعوا الى قصر فيلوباتريون ٠

ويمكنني أن أؤكد أن الرب لم ينقذ قط شعبا من خطر عظيم كان حقا أعظم من الخطر الذي أنقذ منه شعبا ذلك اليوم ، ولم يكن هنالك أي رجل في الجيش مهما كان مقداما أو شجاعا لم يمتلىء قلبه بالسرور وهكذا توقفت المعركة ذلك اليوم وبمشيئة الرب لم يحدث شيء آخر ، لقد عاد الامبراطور اليكسيوس الى المدينة وعاد رجالنا الى المعسكر مرهقين ومنهكين كليا ، حيث خلعوا دروعهم ووضعوا سلاحهم وأكلوا وشربوا قليلا بسبب العجز الشديد في التموين .

ودعوني الآن أطلب منكم التأمل في معجزات ربنا وكم هي رائعة عندما يسره أن يقوم بها ، وفي تلك الليلة بالذات جمع الامبراطور اليكسيوس من الأموال والأشياء الثمينة ما أمكنه أن يحمله معه ، وأخذ معه من الناس من رغب في الذهاب معه وهرب تاركا المدينة ، وكان أهل القسطنطينية مذهولين تماما ، وذهبوا الى السجن حيث كان الامبراطور اسحق الذي كانت عيناه مسمولتين محتجزا ،

والبسوه ثيابه الامبراطورية ، وحملوه الى القصر الكبير في بلاشرين حيث اجلسوه على عرش مرتفع وادوا له قسم الولاء كأمير لهم ، ثم بموافقة الامبراطور اسحق أرسل الرسل ليخبروا الأمير اليكسيوس والبارونات بأن مغتصب العرش قد هرب ، وأن شعب القسطنطينية قد أعاد تنصيب أخيه بمثابة امبراطور شرعي لهم .

وحالما سمع الأمير الشاب الأخبار أرسل المركيز دي مونتفرات الذي استدعى على الفور البارونات جميعا من كل المعسكر ، وحالما اجتمعوا جميعا في فسطاط ابن الامبراطور اسحق ، وأخبرهم الأمير بالأنباء كان سرورهم بسماعها بالغا لدرجة لا يمكن وصفها ، لا بل إن سرورا أعظم من ذلك لم يشعر بمثله أحد قط في هذا العالم ، وانضمت الجماعة كلها في أداء شكر جليل وخاشع للرب لتحريرهم في هذا الوقت القصير جدا ، ورفعهم الى هذه الدرجة من ذلك الوضع المتدني ، وبناء عليه يمكن للمرء أن يقول بحق : « من أراد الرب مساعدته لا يمكن لأي رجل آخر الحاق الأذى به » .

الفصل العاشر

ميثاق الامبراطور

تموز ـ تشرين الثاني ١٢٠٣

ومع اقتراب فجر ذلك اليوم بدأ رجالنا في ارتداء دروعهم وتحضير أسلحتهم وكان كل واحد في المعسكر يفعل ذلك ، لأن أحدا لم يكن يثق في الروم ، وبدأت الرسل تخرج من المدينة وكلهم مع القصة نفسها التي تحكى . وقرر البارونات بالاشتراك مع دوج البندقية أن يرسلوا مبعوثيهم الخاصين الى القسطنطينية ليروا كيف كانت الأمور حقيقة ، فإذا كان ما قيل لهم صحيحا فإنها سيطلبون من الأب تصديق الميثاق الذي أبرمه ابنه ، وإلا فإنهم لن يسمحوا للابن بدخول المدينة ، وكان المبعوثون المختارون لهذه المهمة هم ماثيودي مونتمورنسي ، وجيوفري دي فيلهاريين مع اثنين من أهل البندقية عينهما الدوج .

واقتيد هؤلاء الرجال الأربعة الى قصر بلاشيرين وحالما فتحت البوابة نزلوا عن خيولهم ، وكان الروم قد وضعوا حراسا من الرجال الانكليز والدانمركيين مزودين بالفؤوس الحربية (البلط) عند البوابة وعلى طول الطريق حتى الباب الرئيسي للقصر ، وعند دخولهم المبنى وجدوا الامبراطور اسحق مكتسيا بأردية غالية ، حتى لكأن المرء يبحث عبثا ليجد رجلا في أي مكان يلبس بمثل هذا الغنى ، والى جانبه جلست الامبراطورة زوجته ، وهي امرأة جميلة جدا ، وكانت أخت ملك هنغاريا ، وكان هناك أيضا الكثير جدا من اللوردات والسيدات العظام حتى لقد كان هناك بالكاد مكان للتلفت ، وكانت السيدات بشكل خاص مكتسيات ومتزينات بثراء حتى أنه لم يكن يمكن أن يكون هناك من هن أجمل ، وكل الذين

كانوا في اليوم السالف ضد الامبراطور كانوا الآن شديدي الرغبة أن يضعوا انفسهم تحت تصرفه ، وجاء المبعوثون ووقفوا بين يدي الامبراطور في حين اضفى هو وبقية الحاشية عليهم شرفا كبيرا ، وقالوا للامبراطور إنهم يرغبون في التحدث معه بشكل خاص نيابة عن ابنه وبارونات الجيش ، فنهض ومضى الى غرفة اخرى ولم يأخذ معه أحد سوى الامبراطورة ومستشاره ومترجمه والمبعوثين الاربعة ، وبموافقة مشتركة من رفاقه عمل جيوفري فيلهاردين مارشال شامبين بمثابة ناطق باسمهم فخاطبه :«ياصاحب الجلالة الامبراطورية إنك تعرف أي خدمات قدمنا لابنك ، وتدرك أننا قد التزمنا بشروط اتفاقنا معه ، وأننا مع ذلك لا يمكننا أن نسمح له بالمجيء الى هنا ما لم يعطنا ضمانة للاتفاق الذي أبرمه معنا وهو بناء على ذلك كابن لك يطلب منكم أن تصدقوا على هذا الميثاق كما فعل هو نفسه ، وسأل الامبراطور : ما هي شروط هذا الميثاق ؟ فأجاب المبعوث : سأخبركم إن الشروط كما يلي : « أول كل شيء أن تضعوا كامل هذه الامبراطورية تحت سلطة روما التي انفصلت عنها منذ زمان طويل ، ثانيا أن تعطوا ٠٠٠ ر٢٠٠ مارك فضي للجيش مع تموين لمدة سنة من المؤن للرجال من كل المراتب ، وأن تنقلوا ٠٠٠ ر ١٠ رجل في سفنه الى مصر ، وأن تبقوهم هناك تحت تصرفه لمدة عام ، وان تحتفظوا طيلة حياته وتحت تصرفه بمجموعة من ٥٠٠ فارس في أراضي ما وراء البحار لحراستها ، إن هذا هو الميثاق الذي أبرمه ابنكم معنا ، وقد تم تأكيده بالقسم وبعقود مختومة ، وضمن علاوة على ذلك ومن قبل صهركم الملك فيليب ملك المانيا ، ونرغب الآن أن تؤكدوه أنتم

ورد عليه الامبراطور كما يلي : إن هذه شروط قاسية جدا ولا ارى حقا كيف يمكننا أن نضعها موضع التنفيذ وفي الوقت نفسه إنكم قدمتم لابني ولي تلك الخدمات الرائعة ، وحتى لو أننا قدمنا لكم كل امبراطوريتنا فلن تكون أكثر مما تستحقون ، وتم ابداء آراء مختلفة من كلا الجانبين خلال المقابلة ، ولكن في النهاية صدق الامبراطور على الاتفاق بدقة كما أبرمه ابنه وأكده بالقسم وبالعقود مع الاختام

الذهبية المضافة ، واعطيت إحدى تلك الوثائق للمبعوثين ، الذين بعد أن استأذنوا من الامبراطور اسحق عادوا الى المعسكر ليخبروا البارونات بأنهم قد أنجزوا المهمة.

وبناء عليه أمتطى البارونات خيولهم ، وأعادوا الشاب بابتهاج عظيم الى والده في القسطنطينية ، وعند وصوله فتح الروم له أبواب المدينة ، واحتفلوا بعودته بابتهاج عظيم ، وكثير من الولائم ، وكان السرور المشترك للأب والابن عظيما لأنهما لم يريا بعضهما منذ زمن طويل ، ولأنهما بعون الرب ، وبدعم الصليبيين قد انقذا من تلك الحالة من الفقر والبؤس ، ورفعا الى ذلك المستوى من القوة ، وهكذا كان هناك سرور في القسطنطينية ، ولم يكن السرور أقل في معسكر الصليبيين في الخارج ، بسبب الشرف والنصر الذي منحه الرب لقواتهم .

وفي اليوم التالي رجا الامبراطور وابنه البارونات باسم الرب أن يذهبوا ويعسكروا في الطرف الأبعد في اتجاه استاذور ، حيث أنهم إذا أخذوا مراكزهم في القسطنطينية هناك مخاطرة بتفجر منازعات ستقوم بينهم وبين الروم ، ربما تدمر المدينة بسببها ، وأجاب البارونات بأنهم قد خدموا الأمير ووالده من قبل بطرق مختلفة جدا ، وهم اليوم لن يرفضوا أي طلب يمكن أن يطلباه ، وبناء عليه نصبوا خيامهم على الجانب الآخر من الميناء حيث عاشوا في هدوء وسلام مع تموين جيد ووفرة من الطعام .

ويمكنني أن أقول أن كثيرا من رجالنا ذهبوا لزيارة القسطنطينية لمشاهدة الكثير من القصور الفخمة والكنائس الشاهقة ، وليروا كل الثراء الرائع للمدينة ، التي كانت أفخم من أي مدينة أخرى منذ بداية الزمان ، أما بالنسبة للآثار فإن هذه كانت تفوق كل وصف ، لأنه كان هناك في ذلك الوقت من الكثرة في القسطنطينية بقدر ما كان في بقية العالم منها ، وهكذا أصبح الروم والفرنسيون

على وفاق مع بعضهم بعضا في كل النواحي بما في ذلك التجارة والأمور الأخرى .

وبموافقة مشتركة من الفرنسيين والبنادقة والروم تقرر أن يتوج الأمبراطور الجديد في يوم القديس بطرس في بداية شهر أب ، هكذا تقرر وهكذا كان ، وتم الاحتفال بتتويج ابن الامبراطور اسحق بالجلال نفسه والتشريف كما كانت عادة أباطرة الروم في تلك الأيام ، وبعد ذلك بوقت قصير بدأ الامبراطور يدفع بعض المال المترتب ووزع هذا بين القوات بطريقة خصص فيها لكل رجل المبلغ الذي دفعه لرحلته من البندقية

وكثيرا ما كان الامبراطور الجديد يأتي لزيارة البارونات في معسكرهم ، ويضفي عليهم شرفا عظيما بقدر ما كان يستطيع حقا ، وكان هذا بالطبع موافقا فقط بالنظر الخدمة العظيمة التي قدموها له وجاء يوما الى المعسكر ليجري مقابلة خاصة مع البارونات في مقر الكونت بلدوين دي فلاندرز ، ودعي دوج البندقية والبارونات الكبار سرا لهذا الاجتماع حيث قدم الامبراطور اقتراحا عرضه بقوله :« سادتي إنني امبراطور بفضل الرب وفضلكم ، وقد قدمتم لي أعظم خدمه قدمها أي شعب آخر على الاطلاق لأي رجل مسيحي ، وأحب أن تعرفوا أن عددا من شعبي لا يحبني مع أنهم يتظاهرون جيدا بذلك ، والروم ككل مليئون بالاستياء لأنه بمساعدتكم استعدت امبراطوريتي

إن تحالفكم مع أهل البندقية سيستمر فقط حتى عيد القديس ميكائيل ، وأنتم على وشك الرحيل قريبا ، ولا يمكنني أن آمل في تنفيذ كل ما وعدت بعمله من أجلكم في خلال هذه الفترة القصيرة ، ويجب أن اخبركم بأن الروم يكرهونني بسببكم وإذا تركتموني سأفقد امبراطوريتي وسيقتلونني ، ولهذا أطلب منكم هذا : إذا بقيتم هنا حتى آذار ، سأبقي اسطولكم في خدمتي لسنة أخرى ، تبدأ من عيد القديس ميكائيل ، ولن أتحمل فقط تكاليف

ابقاء أهل البندقية هنا ، بل سأعطيكم أيضا مثل تلك الاشياء التي تكونون في حاجة إليها حتى عيد الفصح ، وبحلول هذا الوقت أكون قد وطدت الأمور في امبراطوريتي بحيث لا أفقدها مرة أخرى ، وهكذا أكون قادرا على المحافظة على معاهدتي معكم ، لأنني سأكون قد تلقيت الاموال التي سترد الي من كل اراضي ، وسأتزود أيضا بالسفن حتى أتمكن من أن أذهب معكم بنفسي ، أو أرسلها مع جيشكم تماما كما وعدت ٠

وهكذا يكون لديكم كامل الصيف الذي يمكنكم فيه شن الحرب ضد العرب المسلمين وأجاب البارونات أنهم يحبون أن يتباحثوا في الأمر بشكل منفرد ، وكانوا يعرفون بوضوح تام بأن الامبراطور قد اعطاهم صورة حقيقية للحالة ، وكانوا مدركين تماما بأن مثل هذا المنهاج كما اقترحه كان أفضل سواء بالنسبة له أو لهم ، وقالوا له إنهم مع ذلك لا يمكنهم أن يوافقوا عليه إلا بالموافقة العامة للجيش ، وهم بناء عليه سيتحرون رأي الجيش في هذا الأمر ، وسيحيطونه علما بما يحدث ، وهكذا ذهب الامبراطور وعاد الى القسطنطينية ، وبقي البارونات في المعسكر وعقدوا في اليوم التالي مؤتمرا دعوا إليه الأمراء الكبار وقادة الجيش إلى جانب معظم الفرسان ، ونقل إليهم هنا طلب الامبراطور بالضبط كما طرحه .

وأدى هذا الاقتراح إلى الكثير من الخلاف في الاجتماع ، بالكثرة نفسها التي حدثت في مناسبات كثيرة أخرى أثارها الذين كانوا يريدون حل الجيش ، حيث أن الأمر كله بدا لهم أنه قد استمر طويلا ، وذكر الطرف الذي أثار الخلاف في كورفو والآخرين الآن بقسمهم ، وقالوا :« أعطونا السفن كما أقسمتم ان تفعلوا لأننا نريد أن نذهب الى سورية ٠

ورجاهم آخرون أن يصبروا وقالوا : « سادتنا لأجل الرب لا تدعو الشرف الذي منحنا إياه يصبح بلا جدوى ، فإذا ذهبنا الى

سورية الآن فإننا سنصل الى هناك في بداية الشتاء حيث يكون من المتعذر شن الحرب ، وهكذا فإن عمل الرب سيبقى دون تنفيذ ، ولكن إذا انتظرنا الى آذار فسنترك هذا الامبراطور راسخا بسلام ، ونمضي ونحن مزودين جيدا بالمال والمؤن ، وعندئذ يمكننا أن نذهب الى سورية ، ومن هناك نمضي في حملتنا على مصر ، وسيبقى اسطولنا على أي حال هنا معنا حتى عيد القديس ميكائيل وفي الواقع من عيد القديس ميكائيل ، الى عيد الفصح حيث أن البنادقة لا يمكنهم تركنا طالما كان الشتاء مستمرا ، وهذه هي الطريقة التي يمكننا بها الاستيلاء على أراضي ما وراء البحار ، ولم يبال الذين يريدون حل الجيش بأدنى شيء سواء أكانت هناك أسباب جيدة أو سيئة لفعل ذلك طالما أنه سيحدث ، ولكن الذين كانوا يريدون الابقاء على وحدة الجيش عملوا بفعالية كبيرة حتى أنه في النهاية بعون الرب عقد البنادقة اتفاقا جيدا وثق بالقسم ليبقي الاسطول في خدمتنا سنة أخرى ، مقدرة من عيد القديس ميكائيل ، ويجب أن اضيف أن الامبراطور أليكسيوس قد دفع لهم ما يكفي ويستحق عناءهم ، وأقسم الصليبيون من جانبهم قسما مغلظا أن يبقوا في تحالف مع البنادقة كما كانوا من قبل وللوقت نفسه ، وهكذا ترسخ السلام والوفاق في الجيش.

وبعد ذلك بوقت قصير عانينا من الحظ السيء ، فقد وقع ماثيو دي مونتمورنسي ، وهو أحد أفضل الفرسان في كل المملكة الفرنسية وواحدا من الذين كانوا يتمتعون بالحب والاحترام العميق فريسة المرض ، وتوفي وكان هناك حداد كبير على وفاته ، لأنها كانت خسارة كبيرة للجيش ، وكانت من أعظم الكوارث التي عانى منها حتى الآن بسبب موت أي رجل ، ودفن في كنيسة القديس يوحنا صاحب مشفى القدس .

وبعد ذلك بقليل وبناء على نصيحة الروم والفرنسيين غادر الامبراطور أليكسيوس مع حاشية كبيرة القسطنطينية بهدف توطيد السلام في كل أنحاء امبراطوريته ، وجعلها تحت سلطته ، وكان عدد

كبير من البارونات معه ، في حين تخلف الباقون لحراسة المعسكر ، وكان بين من صحبوا الامبراطور المركيز دي مونتفرات ، والكونت دي سانت بول ، وأخو الكونت بلدوين ، هنري دي فلاندرز ، وجاك دي افنس ووليم دي شامبليت وهوغ دي كولني ، وعدد جيد من الآخرين الذين لم يذكروا هنا بالاسم ، وبقي الكونت بلدوين دي فلاندرز ودي هيذوت في المعسكر مع الكونت لويس دي بلوا ودي شاتران والقسم الأعظم من الصليبيين .

وفي أثناء رحلة الامبراطور في مقاطعاته جاء كل الروم على كلا جانبي المضيق ليضعوا انفسهم تحت سلطته ويقسموا قسم الولاء له ، وأن يؤدوا له البيعة كسيد وأمير عليهم ، ولقد فعل الجميع هذا باستثناء جوهانيتزا ملك والاشيا وهنغاريا

وكان هذا الملك من اهل والاشيا ، وثار ضد أبيه وعمه وحاربهما عشرين عاما ، وفي النهاية كسب الكثير من أراضيهما منهما ، حتى اصبح ملكا قويا جدا ، وقد غزا في الواقع كثيرا من الاراضي على الجانب الشمالي والغربي من المضيق الذي كان يملك الان نصفه تقريبا ، ولم يحضر جوهانيتزا الى حيث كان الامبراطور ليضع نفسه تحت تصرفه ، ولم يعترف بسلطته •

وبينما كان الامبراطور الكسيوس غائبا في رحلته وقعت حادثة كانت لها نتائج مفجعة جدا في القسطنطينية ، فقد تورط الروم واللاتين الذين كانوا يعيشون في المدينة — وكان هناك الكثير جدا من الآخرين — في نزاع واشتبكوا في شجار ، وقام اشخاص معينون لايمكنني أن أقول من كانوا — باشعال النار في المدينة حقدا وتعمدا للأذى ، وامتدت النار واصبحت مريعة جدا لدرجة أن أحدا لم يتمكن من إطفائها أو التحكم فيها . وعندما رأى البارونات من معسكرهم على الجانب البعيد من الميناء المدينة وهي تلتهب ، غلبهم الأسى والاشفاق وهم يرقبون الكنائس الكبيرة والقصور الاميرية تتقوض وتتحول الى خرائب ، والشوارع الواسعة حيث كانت حوانيت

التجار واللهب يبتلعها ، ولكن لم يكن هناك ما يمكن عمله أمام هذا وتقدمت النار فوق الميناء وهي تقتحم الاجزاء المكتظة بالسكان من المدينة ، وتمتد نحو البحر على الجانب الآخر على مقربة كبيرة من كنيسة سانت صوفيا القديمة ، واستمرت في هياجها اسبوعا كاملا ولم يتمكن أحد من إطفائها ، وبرؤيتها من الامام وهي تتدحرج متقدمة بلهب كان عرضها يتجاوز فرسخا ، وأي أضرار وقعت أو أي ثروات وممتلكات دمرت في اللهب كان يفوق قدرة الانسان على الحساب ، وكان لايمكن للمرء أن يذكر عدد الرجال والنساء والاطفال الذين هلكوا في ذلك الوقت لان العديدين احترقوا حتى الموت .

وبعد الكارثة لم يتجرأ أحد من اللاتين المقيمين في القسطنطينية بصرف النظر عن البلد الذي جاء منه على البقاء في المدينة بعد ذلك ، بل حاولوا مع زوجاتهم وأطفالهم وبعض ممتلكاتهم النجاة من النار فاتجهوا الى الميناء للاتجاه الى معسكر الصليبيين ، ولم يكن عددهم صغيرا بأي حال ، فلقد كان هناك في الواقع نحو خمسة عشرة الفا ، منهم من كل مراتب الحياة ، وفيما بعد ثبت أن وصولهم كان له مزية كبيرة لنا ، وفي ذلك الوقت على أي حال قد أوجد شرخا بين الروم والفرنجة الذين لم يعودوا مطلقا مرة أخرى الى مثل علاقاتهم الودية التي كانت من قبل ، ولم يعرف أي جانب منهما من يلوم على هذا البرود ، وقد كان ذلك عبئا ثقيلا على عقول كلا الطرفين .

وحول هذا الوقت كان البارونات وبقية الجيش في شدة الاسى بسبب حادث حزين هو موت راعي نير لويس ، وهو راهب حكيم قدسي من مرتبة الرهبان البندكتيين الذين كانت لم دائما اهتمامات قلبية بالجيش .

الفصل الحادي عشر

الدعوة للسلاح

تشرين الثاني ١٢٠٣ ــ شباط ١٢٠٤

وغاب الامبراطور الكسيوس زمانا طويلا في رحلته في أنحاء الامبراطورية ، ولم يعد في الواقع الى القسطنطينية حتى عيد سانت مارتن ، وكان هناك سرور عظيم لدى وصوله ، وركب أمراء الروم وسيداتهم منطلقين من المدينة في مواكب طويلة لتحية أصدقائهم ، وجاءت جماعتنا أيضا للقاء رفاقهم الصليبيين ورحبوا بهم بحبور عظيم ، وبعد دخول القسطنطينية ، عاد الامبراطور الى قصر بلاشرين وعاد المركيز دي مونتفرات والبارونات الآخرون الى المعسكر .

وسريعا جدا شعر الامبراطور الشاب الذي تدبر أموره بشكل جيد جدا بالثقة في أنه قد كسب الآن اليد العليا مما ملأه عجبا ، واتخذ موقفا متعجرفا مع البارونات والذين قدموا له تلك الخدمة العظيمة ، ولم يعد يأتي لزيارتهم في المعسكر كما كان يفعل من قبل . وكانوا يرسلون اليه باستمرار يرجونه أن يدفع لهم باقي المال المستحق ، واستمر من جانبه في تسويفهم ومن آن لآخر كان يرسل اليهم مبالغ تافهة محددة ، ولكنه في النهاية انقطع عن دفع أي شيء لهم بالمرة .

وذهب المركيز دي مونتفرات الذي فعل الكثير من أجل الامبراطور وكان على علاقات ودية به أفضل من بقية البارونات الآخرين مرارا لرؤيته ، وكثيرا مالامه في تلك المناسبات على الخطأ الذي كان يقع فيه تجاههم ، ولم يتوقف مطلقا عن بيان أنهم قدموا له من

الخدمات أعظم مما قدم لأي رجل آخر، ولكن الامبراطور كان دائما يطلب مهلة جديدة، ولم يحافظ مطلقا على أي من وعوده ، حتى أن البارونات اضطروا في النهاية الى الادراك بأنه أيا كانت مقاصده تجاههم فإنها كانت أي شيء آخر الا أن تكون طيبة .

وعند هذه النقطة عقدوا اجتماعا مع دوج البندقية ، قالوا فيه إنهم قد توصلوا الآن الى ادراك أن الامبراطور ليس في نيته الوفاء بأي اتفاق أبرمه معهم ، وأنه لم يخبرهم بالحقيقة ، وبناء عليه قرروا أن يرسلوا مبعوثين موثوقين ، لمواجهته وتذكرته بالخدمات التي قدموها له وطالبوه بالوفاء بعهده فاذا عرض أن يفعل مايطالبونه فان مبعوثيهم سيقبلون ذلك ، وان لم يفعل فانهم سيضطرون لتحديه وسيدعونه يعرف أن البارونات سيفعلون كل مافي مقدرتهم لاسترداد المال المستحق .

وكان المبعوثون المختارون لهذه المهمة بموافقة عامة هم راهب دي بيثون وجيوفري دي فيلهاردين ، ومارشال دي شامبين ، وميلون لوبربانت دي بروفان الى جانب ثلاثة من مستشاري دوج البندقية الرئيسيين الذين عينهم للذهاب مع المجموعة وركبوا جميعهم خيولهم معا والسيوف على جذوبهم الى قصر بلاشرين ، ولاحاجة القول بالنسبة للطبيعة الخيانية للروم . فقد وجدوهم قد شرعوا في تنفيذ مهمة صعبة وخطرة .

وترجلوا عند البوابة ودخلوا القصر حيث وجدوا الامبراطور الكسيوس ووالده الامبراطور اسحق يجلسان على عرشين جنبا الى جنب ، وعلى مقربة منهما تجلس الامبراطورة زوجة الاب وخالة الامبراطور الابن ، وهي سيدة طيبة وجميلة وكانت اخت ملك هنغاريا ، وكان عدد كبير من المرتبة الراقية حاضرين معطية الاجتماع كل السمات الموحية ببلاط قوي .

وبموافقة مشتركة من المبعوثين الآخرين عمل راهب دي بيثون ، وهو رجل عالي الذكاء زلق اللسان ، كناطق رسمي لهم ، وشرع

يقول : ياصاحب الجلالة الامبراطورية لقد جئناكم نيابة عن بارونات الجيش ودوج البندقية ، وهم يريدون منا أن نذكركم بالخدمات التى قدموها لكم وهي معروفة للجميع ، ومعترف بهـا مـن الجميع وقـد اقسمتم انتم ووالدكم على الوفاء بميثاقكم معهم ولديهم عقودكم التي تثبت ذلك ، وأنكم مع ذلك ، لم تنفذوا هذا الاتفاق كما تـوجب عليكم ان تفعلوا .

وقد دعاكم يامولانا أمراؤنا مرات عديدة كي تفعلوا ذلك ، ونحـن الآن ندعوكم باسمهم وبحضور كل نبلائكم أن تنفذوا العقـد المبـرم بيننا وبينكم فإذا فعلتـم ذلك سـيكونون في غاية السرور ، وان لم تفعلوا فانهم لن يعودوا يعتبـرونكم اميرا وصـديقا لهـم بـل سيستخدمون كل وسيلة في وسعهم للحصول على استحقاقهم ، وقد طلبوا منا أن نخبركم انهم لن يفعلوا شـيئا يصـيبكم أو يضر بـأي شخص لخر بدون إنذار مشروع بنواياهم في بدء الخصومة ، لانهـم لم يتصرفوا مطلقا بشكل خياني ، فهذه ليست العادة في بلادهم ، لقد سمعتم الآن ماعلينا أن نقوله والامر لكم لتقرير اي إجراء تـريدون اتخاذه .

وكان الروم في غاية الدهشة وصـدموا بعمـق بهـذه الرســالة الصريحة في تحديها ، واعلنوا انه مامن احد حتـى الان بلغـت بـه الجرأة حد القيام بمثل هذا لامبـراطور في القسـطنطينية في قـاعته وعبس الامبراطور الكسيوس نفسه الذي كثيرا جدا مـا حياهـم في الماضي بوجه باسم ، لقد قطب الان وحدق بضراوة في المبعوثين وكذلك فعل كل الروم الاخرين .

وملأ ضجيج الاصوات الغـاضبة القـاعة ـــ وتحـول المبعـوثون للانصراف ، وأخذوا طريقهم نحو البوابة وامتطوا خيولهم ولم يكن احد بينهم الا بالغ السرور إذ وجد نفسـه في الخـارج ولم يكن هـذا مدهشا بالمرة اذ انهم بالكاد قد نجوا من خطر كبير جدا سواء بالقتل او السجن ، وفي عودتهم الى المعسكر اخبروا البارونات كيف نفذوا مهمتهم .

و هكذا بدأت الحرب وبذل كل جانب قصارى جهده لايذاء الاخـر سواء في البر أو البحر ، وحارب الجيشان ضد بعضهما بعضا في أماكن عديدة مختلفة ولكن ـ ولله الحمد ـ إنهم لم يلتقوا مـطلقا في معركة بدون خسائر اكبر من الجانب الرومـي منهـا مـن الجـانب الفرنسي ، وا ستمرت الحرب زمانا طويلا جـدا ، في وسـط الشـتاء بالضبط ·

وأخيرا فكر الروم في وضع خطة مـرعبة جـدا مـوضع التنفيذ ، فأخذوا سبع عشرة سفينة عظيمة ومـلأوها تمـاما بـكتل الخشـب والنشارة والقار وخيوط الكتان والبراميل الخشبية ، ثـم انتـظروا حتى أخذت الريح تهب من جانب الماء الذي هـم فيه ، وفي السـاعة الثانية عشرة من إحدى الليالي اشـعلوا النار في السـفن وتـركوها تنساب وجميع أشرعتها منشورة للرياح ، وارتفع اللهب منهـا عاليا جدا حتى بدا كما لو أن الدينا كلها كانت مشتعلة ·

واتجهت السفن مبحرة في اتجاه اسطول الصليبيين ، وصـدحت أبواق الانذار وقفز الرجال من كل مكان في المعسكر الى السـلاح ، وأسرع البنادقة والآخرون الذين كانت لديهم سـفن الى ظهـورها ، وكافحوا بكل قوتهم البدنية لاخراجها مـن مجـال الخـطر . ويؤكد جيوفري دي فيلهاردين الذي صنف هذا التاريخ ، وكان شاهد عيان لهذه الحادثة ، أنه لم يدافع أي رجال عن أنفسهم مـطلقا في البحـر بشهامة أكثر مما فعل البنادقة في تلك الليلة ، لقد وثبوا الى الشواني والى المراكب الطويلة وفي وجه العدو ، أمسكوا بسفن النار وكلهـا متأججة باللهب بكلابات حديدية وأخذوا يجرونها بقـوة الى خـارج الميناء في التيار الرئيس المضيق ، وتركوها لتتجـرف محتـرقة الى البحر ·

وجاء كثير من الروم الى حافة الماء حتـى بـدا أنهـم بـلا نهاية ، وكانت الجلبة التي صدرت عنهم عظيمة حتى لتـظن أن كلا من الارض والبحر ابتلعـا ، وتسـاقوا أي قـارب أمـكنهم أن

يجدوه ، وأخذوا يطلقون سلاحهم نحو رجالنا كما لو كانوا يحاربون اللهب ، حتى أن كثيرا منهم قد جرح .

وحالما سمعوا الدعوة الى حمل السلاح ، تأهب كل الفرسان في المعسكر وانتظمت كتائبنا الآن في نظام عشوائي نوعا ما ، تبعا للمسافة التي كانت تفصلهم عن مراكزهم ، وكانوا يخشون أن يتقدم الروم من ذلك الاتجاه لمهاجمتهم .

وتحمل رجالنا كل هذا الكدح والكرب حتى ظهر الضوء ، ولكننا بعون الرب لم نفقد شيئا سوى سفينة تجارية محملة ببضائع من بيزا اشتعلت فيها النيران وغرقت ، لقد كنا جميعا في خطر محدق تلك الليلة ، لأنه لو احترق اسطولنا لضاع كل شيء منا ولما تمكنا من النجاة سواء بطريق البحر أو البر ، وهكذا كان الجزاء الذي أراده الامبراطور الكسيوس لنا عن الخدمات التي قدمناها له .

والآن وقد أبدى الروم مثل هذا الموقف العدائي للفرنجة أدرك بعضهم أنه لاأمل هناك في السلام ، لهذا تآمروا معا سرا على خيانة أميرهم ، وكان بينهم واحد كان موضع اعتبار الامبراطور ، وكان قد فعل الكثير ليوقع بينه وبين الفرنجة أكثر من أي واحد آخر ، وكان اسم ذلك الرجل مرزوفلوس .

وبالعمل بنصيحة وموافقة الآخرين ، وفي احدى الليالي وفي نحو الساعة الثانية عشرة ، وبينما كان الامبراطور الكسيوس نائما في غرفته انتزع مرزوفلوس وآخرون ممن كان يفترض أنهم يحرسونه ، انتزعوا الامبراطور من فراشه واقتادوه الى السجن والقوا به في برج محصن ، ثم بمساعدة وموافقة الروم الآخرين ارتدى مرزوفلوس الأحذية القرمزية ، وجعل من نفسه امبراطورا ، وتوج فيما بعد في سانت صوفيا ، وهل سمعت أبدا بشعب ارتكب مثل هذه الخيانة الشنيعة !

وعند سماع أن ابنه قد أخذ سجينا وأن مرزوفلوس قد توج بدلا

عنه ، غلب على الامبراطور اسحق الخوف حتى وقع في المرض وتوفي في برهة قصيرة من الزمن ، أما بالنسبة لابن اسحق الذي وضعه مرزو فلوس في السجن ، فانه قد أمر باعطائه السم مرتين أو ثلاثة ولكن لم تكن مشيئة الرب أن يموت بهذه الطريقة ، وفيما بعد ذهب مرزو فلوس الى الشاب وخنقه ، ثم أطلقت بالتالي رواية في كل مكان بأن وفاته كانت لأسباب طبيعية ، وأمر مرزوفلوس بدفنه باحتفال وأبهة كما يليق بامبراطور وأقام عرضا عظيما من الحداد على وفاته ولكن القتل لا يمكن اخفاؤه ، وسرعان ما علم كل من الروم والفرنسيين بأن مثل هذه الجريمة قد ارتكبت ، وبالطريقة التي ذكرتها ، وعقد بارونات الجيش ودوج البندقية مؤتمرا حضره أيضا الأساقفة والاكليروس .

واتفق كل الاكليروس ولاسيما الذين كان لديهم تفويض خاص من البابا على أن يبينوا للبارونات والصليبيين الآخرين أن كل من حمل إثم مثل هذا القتل لاحق له في امتلاك الاراضي ، في حين أن الذين وافقوا على مثل هذا الشيء كانوا شركاء في هذه الجريمة ، وفوق كل شيء إن الروم كشعب قد انسحب من كنيسة روما ، ونحن بناء على ذلك نخبركم ، هكذا قال رجال الاكليروس ، بأن هذه الحرب عادلة ومشروعة ، واذا حاربتهم بالاستيلاء على هذه الارض بالنية السليمة لوضعها تحت سلطة روما ، فان كل من يموت منكم بعد الاعتراف سيفيد من الغفران الذي منحه البابا ، وقد ارتاح البارونات وكل الصليبيين الاخرين وتشجعوا كثيرا بهذا التأكيد .

واحتدمت الحرب بضراوة بين الفرنجة والروم واستمرت بلا هوادة وهي تزداد عنفا ، حتى انه كان لايمضي يوم دون اشتباك سواء في البر او البحر ، وعند احدى المراحل ركب اخو كونت فلاندرز هنري في عملية استطلاع ، واخذ معه قسما كبيرا من افضل الرجال في المعسكر وكان بينهم جاك دي أفنسس وبلدوين دي بوفوا ويودس دي شامبليت وأخيه غوليوم ، وأخرين من قسمهم نفسه من البلد ، وغادروا المعسكر حوالي الساعة السادسة من احدى الامسيات ،

وركبوا طول الليل ، وفي وقت متأخر من صباح اليوم التالي ، وصلوا الى مدينة فيليا الجميلة ، التي استولوا عليها .

وغنموا هناك كثيرا من الاسلاب في صورة ماشية وملابس اضافة الى عدد كبير من الاسرى ، ووضعوا هؤلاء في قوارب وارسلوهم عبر المضيق الى المعسكر ، لان تلك المدينة كانت تقع على شواطىء بحر بوكسين ، وأمضوا يومين في فيليا ، يتمتعون بالوفير من طلب الغذاء ، لان المدينة كانت وفيرة الامداد بالطعام ، وفي اليوم الثالث غادروها مع الماشية والغنائم الأخرى وبدأوا عائدين الى المعسكر ، وكان الامبراطور مرزو فلوس قد سمع تلك الاثناء انباء تحركاتهم ، وهكذا غادر القسطنطينية ليلا مع جيش كبير من القوات ، ونصبوا كمينا على الطريق الذي كان على رجالنا أن يسيروا فيه في رحلة عودتهم ، وراقبهم وركبهم يمر مع حيواناتهم وأسلابهم ، جماعة بعد أخرى حتى وصلت المؤخرة التي كانت تحت قيادة هنري دي فلاندرز ، وكانت مشكلة من شعبه ممن جاء الى مسرح الاحداث ، ثم اندفع مرزوفلوس من الكمين ليهاجمهم بينما كانوا يدخلون في غابة ، واستدار الفرنسيون لمواجهتهم ووقعت معركة شرسة ، وبمعونة الرب هزم مرزوفلوس وتمكن بصعوبة بالغة من النجاة من الأسر ، وفقد علمه الامبراطوري وأيقونة كان يحملها دائما أمامه ، وكانت أيقونة وضع فيها هو والروم الاخرون ثقة كبيرة لأنها كانت تحمل صورة سيدتنا العذراء ، والى جانب هذا قتل نحو عشرين من فرسانه .

ومع أن مرزوفلوس عانى من الهزيمة استمرت الحرب بين قواته والفرنجة في الاندلاع بضراوة ، وفي هذا الوقت كان قد مضى قسم كبير من الشتاء ، وكان الوقت الان قريبا من عيد تطهير مريم العذراء وكان الصوم الكبير وشيكا .

الفصل الثاني عشر

الحصار الثاني للقسطنطينية

شباط نيسان ١٢٠٤

ولهذه اللحظة سأتحول من الجيش المخيم أمام القسطنطينية ، لأتحدث عن الرجال الذين ذهبوا الى موانيء أخرى ، وأولئك الذين كانوا في الاسطول الفلمنكي الذي أمضى الشتاء في مرسيليا ، فقد أبحر كل هؤلاء الى سورية حالما حل طقس أدفأ ، وقد فاق عددهم عدد الذين اشتبكوا في القتال مع الروم ، ودعني أقول وأسفاه إنهم لم يأتوا للانضمام الى جيشنا ولو أنهم فقط فعلوا ذلك لكسبت قضية المسيحية منافع دائمة ، ولكن بسبب آثامهم لم يسمح الرب بها ، وأثبت مناخ سورية أنه مهلك لبعضهم وعاد آخرون الى بلادهم ، ولم يفعل واحد منهم شيئا مفيدا أو ذا قيمة في الأرض التي ذهبوا اليها .

وانطلقت مجموعة واحدة منهم وكلها من الرجال الجيدين جدا الى أنطاكية ، للانضمام الى بوهمند أمير أنطاكية وكونت طرابلس الذي كان في حرب مع الملك ليون ملك أرمينيا ، وقد أرادوا أن يخدموا الأمير كجنود مرتزقة ، وما أن سمع أتراك تلك البلاد بمجيئهم حتى نصبوا كمينا عند النقطة التي سيمرون بها ، وحالما جاءوا اليها هاجموهم وكان نصيب الفرنسيين هو الاسوأ في هذا القتال ، حتى أنه لم ينج منهم أحد ، وجميعهم إما قتل أو أسر .

وكان بين القتلى في تلك المواجهة فيلين دي نللي ، وكان واحدا من أفضل الفرسان في العالم ، واجليز دي ترا سيفني وعدد كبير آخر ، وكان بين الأسرى والسجناء برنارد دي موريل ، وريذود دي دامبير ، وجين دي فيللير ، وغوليوم دي نيللي أحد النفوس الحية والأكثر براعة ، وفي الحقيقة إنه من بين الثمانين فارسا الذين كونوا

هذه المجموعة لم ينج احد كما قلت ، ويعطي هذا الكتــاب في الواقــع براهين وفيرة على أنه مــن بين أولئك الذين تــوانوا عن الانضــمام للجيش في البندقية لم يكن هناك واحد لم يعان ضررا أو جلب لنفسه العار ، وهذا هو السبب في أن المرء يمكن أن يقول إن الرجل حــكيما عندما يختار اتباع المسار الافضل ويلتزم به .

وسأترك هذا الموضوع الآن وأعود الى القوات التــي كانت أمــام القسطنطينية ، لقد وضع هؤلاء كل آلاتهم في وضع العمــل ونصــبوا عرادعتهم ومنجنيقاتهم وكل جهاز آخــر ذا فــائدة للاســتيلاء على المدينة ، وكل سفنهم الحربية وسفن النقل ، ورفعوا ســلالم تســلق الأسوار عالية على عوارض السفن ذات الأشرعة مثلثــة الشــكل ، حتى لقد كان المنظر مثيرا العجب .

أما الروم من جانبهم وقد رأوا هذه الاستعدادات الجارية ، فقــد بدأوا في تقوية دفاعات المدينة التي كانت بالفعل جيدة التحصين خلف الأسوار العالية والأبراج ، ومع ذلك لم يكن هناك برج عال جــدا لم يضيفوا اليه طابقين خشبيين أو ثلاثة اليه لتعليته أكثر ، وفي الواقع ما من مدينة حصنت قط بشكل جيد مثلها ، وبهذه الطريقة اســتنفد كل من الروم والفرنجة وقتهم وهم يعملون بــاستمرار أثناء القســم الأعظم من الصوم الكبير .

وعقد البارونات الآن مؤتمرا لمناقشة أي خطة عمل يمكن تبنيها ، وقدمت اقتراحات مختلفة عديدة ، ولكن في النهاية اتخذت القــرارات التالية : اذا تمكنوا بفضل الرب من شق طريقهم بــالقوة الى داخــل المدينة فانهم سيجمعون الغنائم في مكان واحد ، ويقسمونها بشــكل صحيح وعادل بين القوات ، واذا أحرزوا بالاضافة الى ذلك سيطرة تامة على المدينة فانهم سيختارون ستة رجال مــن الجيش الفــرنسي وستة من بين البنادقة ، وســيطلب مــن كل منهــم أن يقســم على الانجيل المقدس بأنهم سينتخبون كامبراطور لهم الرجل الذي يعدونه أكثر صلاحا للحكم لافضل مصالح الدولة ، وأيا كان من ســينتخب

هكذا امبراطورا ستكون حصته ربع الغنائم سواء مع المدينة او بدونها ، وسيملك ايضا قصر بوكليون وبلاشرين ، أما الارباع الثلاثة الباقية من الغنيمة فستقسم الى قسمين متساويين يخصص احدهما للبنادقة والثاني للفرنسيين ، وبعد ذلك سينتخبون اثني عشر من أحكم وأقدر الرجال في الجيش الفرنسي ، واثني عشر بالقدر نفسه والمكانة والاهلية من البنادقة ، ليكونوا مسؤولين عن تخصيص الاقطاعات والمناصب ، وتحديد اي خدمات يجب أن تقدم للامبراطور من أجل هذه الامتيازات والتشريعات ، وقد تأكد هذا الاتفاق بالقسم من جانب الفرنسيين والبنادقة على السواء ، مع اشتراط أنه عند نهاية آذار من السنة التالية إن كل من يريد أن يترك يكون حرا في أن يذهب الى حيث يحب ، وسيصبح الذين يبقون تحت سلطة الامبراطور ليؤدوا له من الخدمات ما يتطلب ،

ولانهاء الميثاق أضيفت عبارة ختامية تنص على أن أي شخص يخفق في الالتزام بشروطه يقع تحت طائلة الحرمان من الكنيسة .

وكان الاسطول الآن حسن التجهيز والتسلح ، وتم تحميل كل المؤن التي قد يحتاج اليها الصليبيون ، وفي يوم الخميس الذي تلا احد منتصف الصوم الكبير صعدت جميع القوات الى السفن الحربية ، ووضعت الخيول في سفن النقل ، وكان لكل فرقة سفنها الخاصة ، وقد صفت الواحدة بجانب الأخرى ، وكانت السفن الحربية تتناوب مع الشواني وسفن النقل ، وأؤكد لكم لقد كان منظرا رائعا :

أن نرى الاسطول وقد وضع في تشكيل القتال في خط ممتد الى ما يزيد عن فرسخ فرنسي بكثير ، وفي صباح الجمعة اقتربت السفن الحربية والشواني والمراكب الاخرى من المدينة في النظام المحدد وبدأت بشن هجوم ضار مصمم ، ونزل الصليبيون في أماكن عديدة الى البر وتقدموا رأسا نحو الاسوار وفي مواضع كثيرة أخرى أصبحت سلالم التسلق التي كانت على السفن قريبة جدا من شرافات الاسوار ، حتى أن الذين كانوا على الاسوار والابراج

تشابكت حرابهم يدا بيد مع مهاجمتهم ، واستمر الهجـوم سريعـا وضاريا وقويا في أكثر من مائة مكان حتى نحو الساعة الثالثة بعـد الظهر ، ولكن بسبب ذنوبنا صدت قواتنا في هـذا الهجـوم ، وتـم ارغام أولئك الذين نزلوا من الشواني وسفن النقل على التراجع الى ظهور السفن ويجب أن أقر أنه في ذلك اليوم فقد جيشنا من الرجال أكثر مما فقد الروم ، وأن الآخرين كانوا مبتهجين جـدا وانسـحب بعض رجالنا من الهجوم وخرجوا بسفنهم من المعركة وترك آخرون سفنهم راسية بمراسيها قريبا جدا من أسـوار المدينة حتـى أن كل جانب كان بامكانه أن يقذف بـالأحجار مـن عراداتـه ومنجنيقـاته الطرف الآخر .

وذلك المساء في نحو الساعة السادسة اجتمـع البـارونات ودوج البندقية في مؤتمر في كنيسة في الطرف الأقصى في الميناء ، قريب مـن حيث كانوا يعسكرون ، وتم تبادل الكثير من وجهات النظر المختلفـة وفي ذلك الاجتماع كان الفرنسيون بشكل خاص مكتئبين جدا بسـبب التراجع الذي عانوا معه ذلك اليوم ، ونصح عدد كبير من الحاضرين بالقيام بهجوم على المدينة من جانب آخـر ، مـن مـكان تـكون فيه الدفاعات أضعف ، وبين البنادقـة الذين كانت لديهـم خبـرة أكثـر بالبحر أنهم إذا ذهبـوا الى ذلك الجـانب فإن التيار سـيجرفهم في المضيق وسيعجزون عن ايقاف سفنهم ، وكان هناك كمـا يجـب أن أقول أناس معينون في الجماعة كان يمكن أن يكونوا مسرورين جـدا فقط لو أن التيار جرفهم في المضيق ، أو أن الريح فعلت ذلك ، لأنهم لم يكونوا يبالون أين يذهبون ، طالما أنهـم سـيتركون تلك الأرض وراءهم ، ويمضون في سبيلهم ، ولم يكن هذا مثار العجب لأننا كنا في خطر شديد في ذلك الوقت .

وبعد كثير من النقاش ، تـم اتخـاذ القـرار بتمضـية اليوم التالي ، وكان يوم أحد ، كله في اصلاح الأضرار التي لحقت بالسفن والتجهيزات ، وتجديد الهجـوم يوم الاثنين . وفي هـذه المرة كانوا سيربطون السفن التي تحمل سلالم التسلق كل اثنتين معا ، حتـى

إن كل زوج يمكنه أن يقوم بهجوم مشترك على برج واحد . وثم تبنى هذه الخطة ، لأنهم في اشتباك ذلك اليوم لاحظوا أنه عندما تهاجم سفينة واحدة فقط كل برج ، كان عدد الرجال على البرج أكبر من عدد الرجال على السلم ، وهذا ما كان يجعل تلك المهمة أثقل من أن تتولاها سفينة وحدها ، وبناء على ذلك كان من المعقول الافتراض بأن سفينتين معا ستكونان أقدر على احداث ضرر أكثر مما تحدثه واحدة ، ونفذت هذه الخطة لربط السفن في أزواج بينما كانت القوات تتأهب يومي السبت والأحد .

وفي هذه الأثناء جاء الامبراطور مرزوفلوس ليعسكر بكل قواته في العراء في مواجهة خطوطنا مباشرة ، ونصب خيامه القرمزية هناك ، وهكذا بقيت الأمور حتى صباح الاثنين ، حيث أعد كل الرجال على مختلف السفن أسلحتهم ومعداتهم ، وكان أهالي القسطنطينية الآن أقل خوفا بكثير من قواتنا منهم في وقت هجومنا الأول ، وكانوا في الواقع في مزاج ينطوي على الثقة حتى أنه على طول الأسوار والأبراج لم يكن يرى سوى الناس ، ثم بدأ الهجوم ، هجوم ضار عظيم ، بينما كانت كل سفينة توجه في مسار مستقيم نحو الامام ، وقد أوجدت الصيحات المنبعثة من المعركة ضجيجا بدا معه كما لو أن الأرض جميعها قد تقوضت الى قطع .

وقد استمر الهجوم زمانا طويلا حتى هيأ الرب لنا ريحا تدعى البورياس دفعت بالسفن الى مسافة أبعد نحو الشاطيء واقتربت سفينتان من السفن المربوطة معا واحدة تدعى الحج والثانية الفردوس الى درجة كبيرة من أحد الابراج واحدة ، من جانب والثانية من الجانب الآخر ، وبينما كان الرب والريح يدفعان بهما الى الأمام اتصل سلم الحج بالبرج ، وعلى الفور شق أحد البنادقة طريقه برفقة أحد الفرسان الفرنسيين ويدعى اندريه ديربواز نحو الداخل وبدأ الرجال الآخرون يتبعونهما ، وفي النهاية تمت هزيمة المدافعين واخراجهم وفي اللحظة التي رأى فيها الفرسان الذين كانوا

على ظهر سفن النقل هذا يحدث نزلوا ، وبرفع سلالمهم على الجدار صعدوا الى القمة واخذوا برجين آخرين ثم بدأت بقية القوات تقفز من السفن الحربية والشواني وسفن النقل باندفاع كل بأسرع ما يستطيع ، وحطموا نحو ثلاثة من الابواب ودخلوا المدينة ، ثم اخرجت الخيول من سفن النقل وركب الفرسان وساروا مباشرة نحو المكان حيث كان معسكر الامبراطور مرزوفلوس ، وكان قد صف كتائبه امام الخيام ، ولكنهم ما أن رأوا الرجال يحملون عليهم على ظهور الخيل حتى تراجعوا في فوضى وهرب الامبراطور نفسه عبر شوارع المدينة الى قصر بوكليون ، وتبع ذلك مشهد مذبحة ونهب وفي كل مجال كان الروم عاجزين ، واخذت خيولهم وأمهارهم وبغالهم وممتلكاتهم الأخرى كغنائم ، وكان عدد القتلى والجرحى عظيما حتى المرء ليعجز عن احصائهم ، وهرب قسم كبير من النبلاء الروم باتجاه بوابة بلا شرين ولكن بحلول هذا الوقت كانت الساعة بعد السادسة مساء وكان رجالنا قد أصبحوا منهكين من القتال والذبح ، وبدأت القوات تتجمع في ساحة كبيرة بداخل القسطنطينية ، ثم اقتناعا بأنه يلزمهم على الاقل شهر لاخضاع كل المدينة بكل كنائسها الكبيرة وقصورها والناس بداخلها ، قرروا أن يستقروا قرب الأسوار التي استولوا عليها من قبل .

وتم كل شيء حسب الخطة ، وعسكر القسم الرئيسي من الجيش على مقربة من السفن خارج شرافات الأسوار ، وأقام الكونت بلدوين دي فلاندرز في الخيام القرمزية التي تركها الامبراطور مرزوفلوس منصوبة ، وتمركز أخوه هنري أمام قصر بلاشرين ، في حين بقي المركيز دي مونتفرات ورجاله قرب الأجزاء الأكثر ازدحاما بالسكان في المدينة . وهكذا تمركز كامل الجيش داخل وحول القسطنطينية التي أخذتها قواتنا يوم الاثنين قبل أحد سعف النخيل ، ويجب أن أضيف أن الكونت لويس دي بلوا كان يعاني كل الشتاء من حمى الربع (الملاريا أو البرداء) ولم يكن معافى بدرجة كافية ليتسلح كالباقين ، وكان هذا سوء حظ كبير للجيش ، حيث

أنه كان فارسا جيد جدا وباسلا ، وقد لزم الفراش في احدى سفن النقل .

واستراحت قواتنا المجهدة بل المنهكة تماما في هدوء تلك الليلة ، ولكن الامبراطور مرزوفلوس لم يسترح ، وبدلا من ذلك جمع قواته وقال إنه سيهاجم الفرنجة ، ولكنه على أي حال لم يفعل ذلك كما أعلن ، ولكنه ركب على طول شوارع معنية أبعد ما يمكن من تلك التي كان جيشنا يحتلها حتى وصل الى باب يدعى الباب الذهبي حيث هرب عبره ، وهكذا غادر المدينة ، وتبعه في هروبه كل الروم الذين أمكنهم تدبر ذلك ، ولكن جيشنا لم يعلم شيئا مطلقا عن كل هذا .

وخلال تلك الليلة ، وقرب المكان الذي عسكر فيه المركيز دي مونتفرات أشعل بعض الناس المجهولين ، وقد خشوا من أن يداهمهم العدو النار في الأبنية ، الواقعة بينهم وبين الروم .

وبدأت النار تمسك بالمدينة ، التي سرعان ما أصبحت تلتهب بضراوة وراحت تحترق كل تلك الليلة وطيلة اليوم التالي حتى المساء وكان هذا هو الحريق الثالث للقسطنطينية منذ أن وصل الفرنسيون والبنادقة الى الأرض ، وقد احترق من البيوت في تلك المدينة أكثر من عدد البيوت الموجودة في أي ثلاثة من أكبر المدن في مملكة فرنسا

ومضت تلك الليلة وجاء اليوم التالي ، وكان يوم خميس وفي الصباح الباكر من هذا اليوم تسلحت كل القوات من فرسان ومشاة على السواء ومضى كل رجل للانضمام إلى فرقته ، وتركوا مراكزهم وهم يعتقدون بأنهم سيلاقون مقاومة أقوى من تلك التي واجهوها في اليوم السالف ، إذ أنهم لم يعلموا أن الامبراطور قد هرب خلال الليل ، ولكنهم لم يجدوا أحدا يقاومهم .

وركب المركيز دي مونتفرات مباشرة على طول الشاطىء الى قصر بوكوليون ، وحالما وصل الى هناك سلم له المكان ، شريطة

الايقــاء على حياة الناس الموجــودين فيه ، وبين هؤلاء كانت أعداد كبيرة جدا من الســيدات مـــن أعلى المراقـــب الذين التجـــأوا هناك ، وبينهم الامبراطورة أغنس أخت ملك فرنسا ، والامبراطورة ماري أخـــت ملك هنغـــاريا ، وعدد مـــن الســـيدات النبيلات الاخريات ، وتعوزني الكلمات عندما آتي الى وصــف الكنوز التــي وجدت في ذلك القصر ، لانه كان هناك مخزون من الاشياء الثمينة لا يمكن للمرء أن يحصيه ، وفي الطريقة نفسها التي ســلم فيهــا قصر بوكليون للمركيز مونتفرات سلم قصر بلاشرين لهنري أخــي الكونت دي فلاندرز ووفق الشروط نفسها ، وهناك ايضا وجد مخزون كبير من الكنوز لا يقل عما كان في قصر بــوكوليون وقــد وضــع كل مــن المركيز دي مــونتفرات وهنري دي فــلاندرز حــاميه في القصر الذي استسلم له ووضع حرسا على الكنوز .

وانتشرت بقية الجيش في انحاء المدينة وغنموا الكثير حقــا مــن الاسلاب ، حتى أن احدا لم يتمكن من تقــدير مقــدارها أو قيمتهــا وشملت الذهب والفضة وادوات المائدة والاحجــار الثمينة والحــرير والساتين ، وعباءات فراء السنجاب والقــاقم والفــراء الأبيض أو المنقط بالبياض وكل شيء منقـــى يمـــكن أن يوجــد على هـــذه الأرض ، ويعلن جيوفري دي فيلهــاردين هنا أنه حســب علمــه لم تجمع مطلقا غنائم بهذه الكثرة من أي مدينة منذ خلق العالم ، واتخذ كل واحــد مــركزا حيث يريد ولم يكن هناك أي نقص في المســـاكن الجميلة في تلك المدينة ، لذا نزلت قــوات الصــليبيين والبنادقـــة في مساكن مناسبة وابتهجوا جميعــا واتجهــوا بــالشكر للرب لاشرف والنصر الذي منحه لهم ، حتى أن الذين كانوا فقراء باتوا يعيشــون الآن في غنى وترف وهكذا احتفلوا بأحد السعف ويوم الفصــح الذي تلاه بقلوب عامرة بالسرور للمنافــع التــي وهبهــا ربنا ومخلصــنا لهم ، لانهم يجب أن يحمدوه جيدا ، إذ أن جيشهم الذي كان لا يعد اكثر مــن عشرين الف رجــل قـــد انتصر على اربعمـــائة الف أو اكثر ، وذلك في أعظم وأقوى واكثر مدينة تحصينا في العالم .

الفصل الثالث عشر

انتخاب الامبراطور

نيسان – أيار – ١٢٠٤

أصدر المركيز مونتفرات القائد الأعلى للجيش الآن نيابة عن البارونات ودوج البندقية أمرا عاما للقوات أن يجمعوا وأن يحضروا كل الغنائم كما تم الاتفاق المؤكد بالقسم وتحت طائلة الحرمان من الكنيسة ، وخصصت ثلاث كنائس لاستقبال الغنائم وعين بعض أبرز الموثوقين من الرجال بين الفرنسيين ، والبنادقة في كل منها العمل كحراس وبدأ كل رجل في احضار الغنائم كما أخذها ، وأدى بعضهم هذا الواجب بضمير وآخرون بدافع الشهرة وهي مصدر الشر الذي لا يخيب أبدا واثبتوا أنهم أقل أمانة ، ومنذ البداية الأولى بدأ الذين كانوا ميالين لهذا الاثم في حجب بعض الأشياء وأصبحوا بالتالي أقل ارضاء للرب ، آه أيها الرب كم كانوا مخلصين في تصرفهم حتى الآن ، وحتى الآن في كل ما تعهدوا به أظهر الرب عنايته الكريمة لهم ، ورفعهم فوق كل الشعوب الأخرى ، ولكن كل من يفعلون الصواب عليهم أن يعانوا كثيرا بسبب سوء أعمال الخاطئين .

وفي هذه الحالة عندما تجمع مكاسب الجيش من مال وعين ، كان يحدث أن لا تسلم كل الكمية ، وكان هناك الكثير في الواقع ممن كانوا يغلون دون رادع من الحرمان الكنسي من قبل البابا ، وكان كل ما يجلب الى الكنيسة يوضع مع بعضه ، ويقسم الى أجزاء متساوية بين الفرنسيين والبنادقة حسب الاتفاق المدعم بالقسم ، وبعد أن تلقى الصليبيون نصيبهم سلموا أولا ٥٠ر٠٠٠ ماركا فضيا البنادقة ، ثم قسموا ١٠٠ر٠٠٠ أخرى بين شعبهم ، وخصصت

الاموال على النحو التالي : تلقى كل واحد من السرجنديين الخيالة ضعف ما أخذ السرجندي من الرجال ، ولكل فارس ضعف السرجندي الخيال ، ولم يعط أي رجل أيا كانت مرتبته أو أهليته الشخصية قدر الأكبر ، الا بناء على ترتيب خاص - إن لم يكن قد سرقه .

وفي حالات السرقة كان الجزاء الصارم يقع على من ثبت ادانتهم وكان العديد من هؤلاء يشنق وشنق الكونت دي سانت - بول واحدا من فرسانه ودرعه معلق بعنقه بسبب حجبه غنائم معينة ، وكان هناك مع ذلك كثير من الرجال من كل المراتب ممن غلوا دون أن يكشف أمرهم ، ومع ذلك فإن القيمة الاجمالية للغنائم كانت عظيمة لانه بصرف النظر عما سرق وعما دفع للبنادقة ، كان ما بقي من أجل التوزيع قد بلغ نحو اربعمائة ألف ماركا فضيا إضافة الى عشرة آلاف حصان من مختلف السلالات وبهذه الطريقة وزعت غنائم القسطنطينية بين المنتصرين ، وبعد انجاز هذه المهمة دعي كل الجيش الى مؤتمر حيث أعلنت كل القوات التي لها راي واحد أنه يجب انتخاب امبراطور ، كما تم الاتفاق عليه من قبل واستمرت المناقشات ربحا طويلا حتى ، أن أمر اختيار اثني عشر شخصا يكونون مسؤولين عن انتخاب امبراطور أجل الى يوم آخر ، وطبيعي حيث يتعلق الأمر بمثل هذا المنصب الرفيع فإنه لا يمكن أن يكون هناك قلة من الرجال الذين يطمحون اليه ، أو يطمعون في نيل هذا الشرف ومع ذلك فإن الخلاف الأعظم في الاجتماع كان حول مسألة عما اذا كان الكونت بلدوين دي فلاندرز أو المركيز دي مونتفرات هو الذي سيختار لان كل واحد كان يقول ينبغي اختيار واحد أو الآخر منهما ، وعندما رأى الرجال الكبار في الجيش كيف كان الناس منقسمين حول هذه النقطة ، بعضهم يؤيد الكونت وآخرون يؤيدون المركيز ، اجتمعوا معا وقالوا : « اذا انتخبنا واحدا من هذين الرجلين العظيمين فإن الآخر سيترك الجيش ويأخذ جماعته معه » ، وعندها سنفقد هذه الأرض ، تماما كما فقدت القدس منذ وقت قريب ، بعد الاستيلاء عليها وانتخاب غودفري دي بوليون ملكا ،

ففي هذا الوقت امتلأ الكونت صنجيل بالحقد والحسد حتى انه حرض البارونات الآخرين وكل من استطاع تحريضه ، على الانسحاب من الجيش ، وتحرك كثير من الناس وبقي القليل جدا ، حتى انه لو لم يأخذهم الرب تحت حمايته لضاعت أرض القدس ، وعليه يجب أن نحتاط في أن نرى مثل هذا الحظ السيء لن يصيبنا .

والأحرى بنا أن نجد طريقة لكي نبقي كلا من هذين الاميرين في الجيش ، لهذا دعوا أيا منهما ينتخب بمشيئة الرب امبراطورا يفعل كل ما في استطاعته ليكون الآخر راضيا ، ولندعه على سبيل المثال يكسب ولاء الآخر بمنحه كل الاراضي عبر المضيق في اتجاه تركيا ، وأيضا جزيرة اليونان على هذا الجانب ، وبمثل هذه الوسيلة سنبقيهما معا ، وقوبل هذا الاقتراح بالتأكيد من الجميع وأعطى كلا من الرجلين المعنيين موافقته الطوعية عليه .

وحل اليوم المعين للمؤتمر النهائي ، وحضر الكل واختير اثني عشر ناخبا ، ستة منهم فرنسيون والستة الآخرون من البنادقة ، واقسم هؤلاء جميعا على الكتاب المقدس أن ينتخبوا بضمير واخلاص الرجل الذي سيخدم بشكل أفضل مصالح الدولة ويحكم الامبراطورية بأكبر جدارة .

وبعد اختيار المنتخبين حدد يوم لانتخاب الامبراطور وفي هذا اليوم اجتمع الاثنا عشر رجلا في قصر جميل جدا ، واحد من أجمل قصور العالم ، حيث كان دوج البندقية ينزل فيه في حينه ، وتجمع حشد مدهش من الناس هناك ، لأن كل انسان كان يريد أن يرى من الذي سينتخب ، واستدعي الناخبون الاثني عشرة وادخلوا في كنيسة فاخرة التأسيس جدا بداخل القصر ، واقفل الباب حتى يبقوا وحدهم ، وفي هذه الأثناء كان البارونات والفرسان ينتظرون في قصر عظيم على مسافة صغيرة من الكنيسة ، واستمر المجلس حتى اتفق جميع الناخبين ، ثم بموافقة مشتركة عينوا واحدا من بينهم هو نيفلون أسقف سواسون ليعمل كناطق ، وخرجوا جميعا من الكنيسة

وذهبوا الى حيث كان يجتمع البارونات ودوج البندقية ، وتحول من العيون بقدر ما تتخيل نحو الاثني عشر ، لأن كل واحد كان متلهفا لسماع نتيجة الانتخاب ، وبلغ الأسقف رسالته فقال : « سادتي بفضل الرب اتفقنا على اختيار امبراطور ، وقد أقسمتم جميعا على أن الرجل الذي سننتخبه سيقبل من قبلكم وأنكم ستقفون الى جانبه ضد كل من يجرؤ على تحدي انتخابه ، ونحن نسميه الآن في الساعة نفسها التي ولد فيها ربنا ، إنه الكونت بلدوين دي فلاندرز ودي هينوت .

وترددت هتافات البهجة في القصر ، واصطحب الكونت الى خارج المبنى وحمل الى الكنيسة ، وكان المركيز دي مونتفرات من جانبه أول ، من بايعه وقدم له كل التقدير والتشريف الذي أمكنه ، وهكذا انتخب الكونت بلدوين دي فلاندرز ودي هينوت امبراطورا وحدد يوم تتويجه بعد ثلاثة أسابيع من عيد الفصح ، وصنع رداء فاخر جدا يمكن أن أقول خصيصا لهذه المناسبة ، ولم يكن هناك نقص في الاموال من أجل الانفاق على صنعه .

وقبل اليوم المحدد للتويج تزوج المركيز بونيفيس دي مونتفرات السيدة التي كانت زوجة للامبراطور اسحق ، وكانت أخت ملك هنغاريا . وفي نحو ذلك الوقت سقط يودس دي شامبليت وهو أحد أنبل البارونات في الجيش مريضا وتوفي ، وأعلن أخوه وليم وأصدقاؤه الحداد عليه وبكوه بشدة ومرارة ، ودفن بتشريف كبير في كنيسة الرسل المقدسين .

وجاء يوم التتويج وتوج الامبراطور بلدوين ببهجة كبيرة ومهابة عظيمة في كنيسة سانت صوفيا في العام ١٢٠٤ لتجسيد ربنا ، ولا حاجة بي للحديث عن الابتهاج والولائم التي جرت مع هذا الحدث سوى القول بأن البارونات والفرسان قد فعلوا كل ما بوسعهم لتمجيد تلك المناسبة ، وأعطى المركيز بونيفيس دي مونتفرات والكونت لويس دي بلوا ودي كارتران البيعة للامبراطور الجديد

كامير لهم بعد تتويجه البهيج ، واصطحب الامبراطور في أبهة عظيمة وفي موكب كبير الى قصر بوكوليون الاميري ، وهو بناء أكثر فخامة من أي بناء سلفت رؤيته على الاطلاق ، وهنا حالما انتهت الولائم جلس ليشرف على الاعمال .

وزار المركيز دي مونتفرات الآن الامبراطور ليطالبه بالوفاء بالعهد الذي قطعه وأن يعطيه كما التزم بأن يفعل ملكية الارض الواقعة عبر المضيق في اتجاه تركيا وجزيرة اليونان ، واعترف الامبراطور بالتزامه وقال بأنه سيفي به بكل سرور ، وأما المركيز وقد رآه مستعدا وراضيا بالمحافظة على كلامه ، فقد سأله عما اذا كان في مقابل تلك الاراضي يمكن أن يعطيه مملكة سالونيك لأنها تقع على مقربة من أراضي ملك هنغاريا الذي تزوج أخته .

وبعد كثير من المناقشات الجادة ، وبين لعل وعسى ، منح الامبراطور في النهاية أرض سالونيك للمركيز الذي بايعه بناء على ذلك ومقابلها كأمير عليه ، وعند ذاك جرى احتفال عظيم في الجيش لأن المركيز كان أحد أعلى الفرسان قدرا في العالم ، وكان واحدا ممن أحبه رفاقه الفرسان جدا ، لأن أحدا لم يكن سخي اليد وكريما أكثر منه ، وهكذا جرى اقناع المركيز على أن يبقى في الامبراطورية .

- ٤٤٨١ -

الفصل الرابع عشر
حالة علاقات متوترة
أيار ـ أيلول ١٢٠٤

ولم يكن الامبراطور مرزوفلوس قد مضى بعد الى أبعد من مسيرة أربعة أيام من القسطنطينية . وأخذ معه زوجته وابنة الكسيوس أخي الامبراطور أسحق وكانتا قد هربتا من المدينة قبل ذلك بزمان طويل ، وكان الآن يعيش في موزينوبولس مع الذين هربوا معه ، ومايزال يحتفظ بقسم كبير من الأرض .

وفي هذا الوقت ترك نبلاء معينين من الروم من أعلى مرتبة القسطنطينية وعبر عدد كبير منهم المضيق الى ذلك الجزء من الامبراطورية الواقع على حدود تركيا . واستولى كل منهم على الأرض بقدر مايحب لاستخدامها لمصلحته الخاصة . وكان الشيء نفسه يحدث في أجزاء مختلفة أخرى من الامبراطورية .

ولم ينتظر الامبراطور مرزوفلوس طويلا قبل أخذ مدينة تكرلو التي سلمت من قبل للامبراطور بلدوين وقد أخذها في هجوم مباغت عاصف ونهبها واستولى على كل شيء وجده هناك ، وعندما وصلت أخبار ذلك إلى الامبراطور بلدوين استشار البارونات ودوج البندقية فاتفقوا بالاجماع على نصحه بالسير خارج القسطنطينية بكل القوات التي لديه ، ليخضع الأرض تاركا فقط حامية كافية في المدينة لتأمين سلامتها حيث أنها كانت مأخوذة حديثا وكانت كثيفة السكان من الروم .

وتم تبني هذه الخطة ، وبعد تجمع القوات أعطيت الاوامر للذين كان عليهم حراسة القسطنطينية بالبقاء ، وكان بين الذين

تخلفوا الكونت لويس دي بلوا الذي لم يكن حتى ذلك الحين قد أبـل من مرضه والدوج الدسن للبندقية، وترك راهب دي بيثـوم ليتـولى، شؤون قصري بلاشرين وبوكليون ولحراسة المدينة مع جيوفـري دي فيلهاردين وميلون دي برابانت ومانا سـيير دي ايل وكل رجـالهم ، واستعد الباقون للذهاب في جيش الامبراطور .

وقبل أن يشرع الامبراطور بلدوين بمغادرة القسطنطينية أعطـى اخاه هنري أوامر بأن يمضي قدماً مع مائة من أجود الفرسان ، فركب مع جماعته من مدينة الى مدينة وفي كل مكان جاءه ، اقسم السـكان بالولاء للامبراطور ، ومضى حتى وصل الى أدرنة وهي مدينة جميلة جدا وغنية حيث قدم الناس له ترحيبا قلبيا جدا ، وبدورهم اعترفوا بالامبراطور أميرا عليهم ، وبقي في المدينة حتى وصـل الامبـراطور بلدوين ، وبسـماع أن الجيش كان يتقـدم لم يجـرؤ الامبـراطور مرزوفلوس على انتظار وصوله بل عمـل على أن يبقـى دائمـا على مسيرة يومين أو ثلاثة أمامه ، واستمر على هـذه الطـريقة حتـى اصبح قريبا من مـوزنيوبولس حيث كان الامبـراطور ألكسـيوس يقيم ، ثم أرسل الرسل أمامه ليخبروا ألكسيوس بـأنه سـيساعده وبأنه سيفعل كل مايطلبه ، وأجـاب الكسـيوس بـأنه سـيرحب بمرزوفلوس كما لو كان ابنا له وانه سيزوجه ابنتـه ليصـبح ابنا له حقا ، وعليه فقد عسكر مرزوفلوس خارج موزينوبولس بكل خيامـه وسرادقاته ، في حين بقي الكسيوس في المدينة ثم تقابلا واجتمعا معا وبعد هذا زوج الكسيوس ابنته لمرزوفلوس ، ودخلا في تحـالف مـع بعضهما معلنين انهما سيكونان كواحد .

وبقي الامبراطوران حيث كانا وقتـا غير محـدود ، واحـدا في معسكره والثـاني في المدينة حتـى دعا الكسـيوس في أحـد الأيام مرزوفلوس ليأتي للعشاء معه ، ثـم يذهـب معـه بعـد ذلك الى الحمامات ، وقبلت الدعوة ووصل مرزوفلوس دون موكب ومـع قليل جدا من الحاشية كما طلب منه ، وحـالما وصـل الى المنزل سـحبه الكسيوس الى غرفة خاصة حيث طرح أرضا وأمر بعينية فسملتا من

راسه ، واحكموا بانفسكم بعد سماع هذه الخيانة اذا ماكان الناس الذين يمكنهم ان يعاملوا بعضهم بمثل هذه القسوة الوحشية يكونون صالحين لامتلاك الاراضي او فقدها ؟ وعندما سمعت القوات التابعة للامبراطور مرزوفلوس تفرق معظمهم في كل اتجاه:بعضهم الى هنا وبعضهم الى هناك ، ومضى بعضهم على اي حال الى الامبراطور الكسيوس وبقوا معه واطاعوه كامير عليهم .

وفي هذه الأثناء كان الامبراطور بلدوين قد ترك القسطنطينية مع جيشه وركب حتى بلغ ادرنة حيث التقى باخيه هنري ورفاقه من الفرسان ، وخرج كل الناس من الاماكن التي مربها للقائه ووضعوا أنفسهم تحت تصرفه والاعتراف بسلطانه ، وبينما كانت القوات في أدرنة سمعوا كيف ان الامبراطور الكسيوس قد سمل عيني الامبراطور الآخر ، وجرى حديث كثير حول الحادثة ، واعلن الجميع بصراحة بان كل من يخونون بعضهم بعضا هذه الخيانة لاحق لهم في امتلاك الاراضي ، واعتزم الامبراطور بلدوين ان يركب راسا الى موزينوبولس حيث كان الامبراطور الكسيوس يعيش ، ورجاه الروم في أدرنة كامير لهم ان يترك حامية في مدينتهم لان جوهانيتزا ملك والاشيا وبلغاريا قد اخضعهم لهجمات متكررة ، وترك الامبراطور معهم يوستاس دي سوبرويك ، وهو فارس فلمنكي شجاع جدا وجدير ، مع اربعين من اجود الفرسان ومائة من السرجندية الخيالة ، ثم ترك الامبراطور المدينة ، وركب نحو موزينوبولس حيث توقعا أن يجدا الامبراطور الكسيوس ، وجاءه كل الناس من المناطق التي عبرها للاعتراف بسلطانه وليضعوا أنفسهم تحت حكمه ، وبسماع ذلك سحب الامبراطور الكسيوس كل قواته من موزينوبولس وهرب ، وركب الامبراطور بلدوين وسار حتى وصل الى المدينة وخرج أهل هذا المكان للقائه وسلموه له كامير لهم ، وأعلن الامبراطور بلدوين الآن عزمه على البقاء في موزينوبولس في انتظار المركيز مونتفرات ، الذي لم يكن قد وصل بعد الى المعسكر ، وكان هذا بسبب أنه كان يحضر زوجته معه ، ولم يكن بناء عليه قادرا على السفر بالمعدل نفسه

للامبراطور ، ومع ذلك فقد ركب هو وجماعته بصورة مستمرة حتى بلغوا موزينوبولس ، التي تقع على نهر ، ونصبوا خيامهم وسرادقاتهم بجانب الجدول ، وفي اليوم التالي ذهب المركيز لرؤية الامبراطور ، والتحدث معه وتذكيره بوعده قائلا :« ياصاحب الجلالة أن لدي أنباء من سالونيك تخبرني أن أهل مملكتي مستعدون وراغبون في استقبالي كامير لهم ، وكتابع لكم وأني اذ أتسلم هذه الأرض منكم ارجوكم الاذن لي بالذهاب الى هناك ، وحالما أضع يدي على أرضي فاني ساعود لكم بكل المؤن التي تحتاجونها ، وأجيء وأنا مستعد للقيام بكل ماترغبون ، ولكن لاتنهبوا وتخربوا مملكتي لي بل اذا ماكان الامر التالي يلقى موافقتكم ، فسيروا معي ضد جوهانيتزا ملك والاشيا وبلغاريا والذي وضع يده ظلما على جزء من أراضي .

ولاأدري بناء على نصيحة من عمل الامبراطور عندما أجاب بأنه كان مصمما على الرغم من كل شيء على أن يسير الى سالونيك ثم يقف بعد ذلك على شؤونه الأخرى ، فقال المركيز : « ياصاحب الجلالة اني ارجوكم بحرارة طالما أني قادر على وضع يدي على ارض دون مساعدتكم أن لاتدخلوها ، فإن فعلتم لن أشعر بأنكم تعملون لخيري ، وسأخبركم بوضوح أني لن اذهب معكم ، بل سأنفصل عنكم وعن جيشكم ».

واأسفاه أي نصيحة سيئة لكليهما ، وكم كان الخطأ شديدا من جانب الذين سببوا هذا الانشقاق بينهما ! ولانه لولا رحمة الرب بكليهما ، لفقدا كل الأراضي التي غنماها .ولتعرضت النصرانية نفسها للخطر ، وهكذا بسبب فرصة غير محظوظة ومشورة غير حكيمة دفع الامبراطور والمركيز الى فك صحبتهما والافتراق .

وركب الامبراطور بلدوين نحو سالونيك كما خطط مع كل حاشيته وقواته ، في حين عاد المركيز دي مونتفرات في اتجاه آخر ، آخذا معه عددا كبيرا من الرجال الطيبين ، وكان بين الذين مضوا

معـــه جـــاك دي افنس ووليم دي شـــامبليت ، وهـــوغ دي كوليني ، وغراف برتولد فون كاتزينلبوغن ، مع القسم الأعظم مـن الرجال من امبراطورية المانيا ، وكانوا جميعـا في جـانب المركيز ، وركب المركيز حتى بلغ حصن ديموتيكا وهـو بناء جميل جـدا وآسر ومحصن بقوة ، وبعد ان سلم احد الروم في المدينة المهاجمة الحصن له دخله ووضع حامية هناك ثم لأن زوجتـه الامبـراطورة السـالفة كانت معروفة لهم ، بدأ الروم يقفون في صفه ويجيئون من كل الريف المحيط على مسيرة يوم أو يومين من ديموتيكا ليعترفوا به كأمير لهم.

وفي هذه الاثناء بينمـا كان الامبـراطور بلدوين مـاضيا نحـــو سالونيك وصل الى حصن كريستوبولس ، وهو واحـد مـن أقـوى القلاع في العالم ، وقد تسلم هذا الحصـن واقسـم كل أهـالي المدن المتاخمة قسم الولاء له وفيما بعد وصل الى مكان آخر يدعى لابلاذش وهي مدينة مزدهرة جيدة التحصين وسـلمت هـذه ايضـا وبـايعه الناس ، ومن هناك ركب الى سيرس وهي مدينة على الدرجة نفسها من الازدهار وجيدة التحصين ، وهنا أيضا اعترف الناس بسـلطته واقسموا على طاعته كأمير لهـم ، ووصـل في النهـاية الى مـدينة سالونيك وبقي ثلاثة ايام معسكرا خارجها ، وسلم أهل المدينة التي كانت في ذلك الوقت واحدة مـن أجمـل وأغنى المدن في كل النصرانية المكان له شريطة أن يحكمهم وفق العادات والأعراف المرعية من قبل كل أباطرة الروم .

حتـى ذلك اليوم . وبينمـا كان الامبـراطور بلدوين في جـــوار سالونيك والناس من كل الناحية يضعون انفسهم في خدمته ويقبلون به كأمير عليهم ، كان المركيز دي مونتفرات مع كل رجاله وعدد كبير مـن الروم الذين ناصروه يسـير الى ادرنة حيث نصـب خيامـه وسرادقاته حول المدينة وبدأ في إحـكام الحصـار حـولها ، وبـدأ يوستاس دي سوبرويك الذي كان بداخلها مع الرجال الذين تـركهم الامبراطور هناك على الفور في توزيع الرجال على الأسوار والأبراج واستعد للدفاع عن المدينة .

وبعد ذلك استدعى رسولين وارسلهما الى القسطنطينية وهما يركبان ليل نهار، لقد ذهبا لرؤية دوج البندقية والكونت لويس والبارونات الآخرين الذين امرهم الامبراطور بالبقاء في المدينة ، فأخبرا هؤلاء الامراء أن يوستاس دي سوبرويك أراد أن يعلمهم بأن الامبراطور والمركيز قد تحاربا ، وأن المركيز قد استولى على ديموتيكا التي كانت واحدة من اجمل واقوى حصون الامبراطورية ، وانه قد بدأ الآن في محاصرة رجال الامبراطور في أدرنة ، وعندما سمع أولئك الذين في القسطنطينية هذا اضطربوا لدرجة معتقدين بشكل مؤكد بأن كل ماكسبوه سيضيع .

وبناء عليه اجتمع دوج البندقية والكونت لويس وبقية البارونات في القسطنطينية في قصر بلاشرين وهم في غاية القلق والاهتياج من الاخبار التي تلقوها ، ونددوا بأشد المرارة بالذين أثاروا المشاعر السيئة بين الامبراطور والمركيز ، وبناء على طلب دوج البندقية والكونت لويس ، ذوشد جيوفري دي فيلهاردين مارشال شامبين الذي كان على علاقات ودية مع المركيز ، وسيكون له كما اعتقدوا التأثير الاكبر عليه من اي شخص آخر ، أن يمضي الى الحصار المضروب حول أدرنة وينهي اذا امكن هذا النزاع ، ومن جانبه قد تأثر بتوسلاتهم وادراكهم للحاجة الملحة الى تسوية للنزاع ، أجاب بأنه كان راغبا جدا في الذهاب ، وأخذ معه ماناسيير دي ليل الذي كان واحدا من أفضل فرسان الجيش وأكثرهم رفعة في المقام .

وانطلقوا من القسطنطينية حيث ركبوا عدة أيام حتى بلغوا المدينة المحاصرة ، وحالما سمع المركيز بأنهم يقتربون خرج من المعسكر ومضى للقائهم مصحوبا بمستشاريه الرئيسيين . جاك دي افنس وغوليوم دي شامبليت ، وهوغ دي كولني وأوثون دي لاروش وعند رؤية المبعوثين حياهم المركيز بلطف شديد ودماثة .

وتحدث المارشال جيوفري كصديق مقرب ذي حظوة مؤنبا المركيز بصراحة كبيرة على الطريقة التي احتل بها أراضي الامبراطور ،

وعلى محاصرة شعبه في أدرنة ، وذلك دون شرح الحالة لاصدقائه في القسطنطينية الذين كانوا سيساعدونه بالتأكيد في الحصول على التعويض اذا كان الامبراطور قد الحق به اي غبن ، وفعل المركيز على أي حال كل مافي وسعه ليبرىء نفسه ، وعلى أنه عمل فقط بهذه الطريقة بسبب الخطأ الذي ألحقه الامبراطور به ومع ذلك عمل المارشال جاهدا لاقناعه أنه بدون الحرب وبمساعدة أولئك البارونات الذين كانوا موضع ثقة أميرهم وأخلصوا له ، فتلقى التأكيدات بأن المركيز سيضع القضية بين يدي دوج البندقية ، والكونت لويس وراهب دي بيثون والمارشال نفسه ، ونتيجة لذلك عقدت هدنة بين الجيش في المعسكر والرجال في المدينة .

وعند رحيلهم وجه شكر حار لجيوفري دي فيلهاردين ومانسيير دي ليل من قبل كل من رجال المعسكر ، والذين كانوا يحاصرونهم لأن كلتا الجماعتين كانتا متدفقتين في رغبتهما في السلام ، ولكن اذا كان الفرنسيون مبتهجين فإن الروم كانوا بالقدر نفسه محزونين وخائبي الأمل لانهم كانوا سيبتهجون كثيرا عندما يرون قواتنا في خلاف ويحارب بعضهم بعضا . وهكذا رفع الحصار عن أدرنة وعاد المركيز بكل رجاله الى حصن ديموتيكا حيث ترك زوجته .

وعاد المبعوثون الى القسطنطينية ليرووا ما فعلوا وكان دوج البندقية . والكونت لويس والآخرون كلهم مبتهجين بسماع أن المركيز قد وكلهم بالتفاوض على السلام ، وهكذا كتبوا رسالة وأرسلوها بواسطة رسول يمكن الاعتماد عليه الى الامبراطور بلدوين ليعلموه بأن المركيز قد أحال المسألة موضوع الخلاف اليهم ، مع التأكيد بأنه سيلتزم بقرارهم ، وأضافوا أنه في رأيهم أن الامبراطور كان حتى أكثر ارتباطا بالالتزام بفعل الشيء نفسه وحيث أنهم من جانبهم لن يقروا بحرب من هذا النوع تحت أي ذريعة أيا كانت فقد رجوه أن يفعل كما طلبوا ، وأن يعد بقبول تحكيمهم كما فعل المركيز .

وبينما كان هذا كله يجري كان الامبراطور بلدوين يسوي الامور كما يجب في سالونيك ، وغادر المدينة بعد أن وضع حاميته هناك تحت أمرة رينييه دي مونز وهو فارس جيد جدا وشجاع ، وبلغته الاخبار بأن المركيز قد أخذ ديموتيكا ، وإضافة الى توطيد مركزه هناك غزا قسما عظيما من الاراضي المحيطة بها ، وكان يحاصر شعب الامبراطور نفسه في أدرنة وبسماع ذلك .

استشاط الامبراطور غضبا وصمم على الفور ان يذهب لاغاثة ادرنة وفك الحصار عنها ، وان يلحق بالماركيز كل مايمكن من اذى ، آه اي ضرر كان يمكن ان ينجم عن هذا الخلاف،ولو لم يتدخل الرب لتصحيح الامور لكان هذا يعني خراب النصرانية .

وانطلق الامبراطور بلدوين قاصدا ادرنة وهو يركب يوما بعد يوم ، وفي حين كان الجيش معسكرا امام سالونيك ، ومع امر بالغ التعاسة وقد تفشى المرض المفاجيء في الصفوف واضطر العديدون التزام الفراش ، وخلال الرحلة بلغ المرض بعدد كبير الى حد لم يسمح لهم بالتقدم ، فتركوا في الحصون على طول طريق الامبراطور ، وحمل اخرون وهم في شدة الالم والتعب في محفات ، وتوفي عدد كبير في سيريس وبينهم مستشار الامبراطور جين دي نويون وكان كاهنا عالما وقديسا وكان وعظه البليغ بكلمة الرب يريح ويعزز قواتنا وكان كبار رجال الجيش في غايه الاسى لموته ...

ولم يمض وقت طويل قبل ان يعاني الجيش من تعاسة اكبر وفوق كل شيء بوفاة بيير دي أمين وهو نبيل عظيم وقوي وفارس جيد باسل ، وحزن عليه الكونت هوغ دي سانت بول بشدة وكان ابن عم له وكان كل رجل في الجيش صادق الاسى عندما توفي ، وبعد ذلك بوقت قصير جاء موت جيراردي مانسيكو ، وكان هذا حزنا عظيما اخر للقوات اذ انه كان فارسا يحبه الجميع ويقدرونه ، ومات ايضا جيل دي انسو وعدد كبير من الرجال الجيدين خلال تلك الرحلة وفقدنا في الواقع نحو اربعين فارسا في المجموع ، وضعف الجيش

بدرجة كبيرة لموتهم ، وكان الامبراطور بلدوين الذي كان يقطع عدة مراحل يومية قد غطى حتى الان مسافة لقي عندها الرسل الذين بعثوا اليه من القسطنطينية وهم قادمون لملاقاته ، وكان احدهم فارسا يدعى بيغ دي فرانسور جاء من الاراضي التابعة للكونت لويس دي بلوا ، وكان تابعا له ، وكان رجلا ثاقب الفكر ذلق اللسان ، فسلم الرسالة الواردة من سيده والبارونات الاخرين بحيوية كبيرة وشجاعة قائلا :

« ياصاحب الجلالة ان دوج البندقية وسيدي الكونت لويس والبارونات الاخرون الموجودون الان في القسطنطينية يرسلون اليكم بتحياتهم كأمير لهم ، وهم يرغبون ان يشكوا الى الرب واليكم اولئك المسؤولين عن اثارة النزاع بينكم وبين المركيز الذي كاد ان يجلب الخراب للنصرانية ، وقد طلبوا مني ايضا أن اقول انكم تصرفتم دون حكمه جدا باستماعكم لمثل تلك النصيحة ، وهم يريدون منكم الان ان تعرفوا ان : المركيز قد أحال هذا النزاع بينكم وبينه إليهم ، وهم يرجونكم كأمير لهم ان تفعلوا الشيء نفسه بدوركم وان تعدوا بالالتزام بحكمهم ، وهم يريدون منكم ان تفهموا انهم لن يوافقوا مطلقا على مضيكما الى الحرب ضد بعضكما بعضا على اي اساس كان »، وقال الامبراطور : إنه سيعطي جوابه للمبعوثين قريبا ومضى ليدعو مجلسه الاستشاري وبين هذه الجماعة كان هناك عديدون ممن ساعدوا على اثارة النزاع ، وقال الذين اعتبروا الان الرسالة من القسطنطينية قطعه مذهلة من الوقاحة : « ياصاحب الجلالة سمعت ما اعلنه هؤلاء الناس : من انهم في الواقع لن يسمحوا لكم بمعاقبة عدو اخطأ معك ، ويبدو انكم اذا رفضتم ان تفعلوا كما قالوا لكم سينقلبون ضدكم »، وجرى التعبير عن كثير من الاراء المتغطرسة في مجرى المؤتمر ولكن في النهاية وحيث ان الامبراطور لم يكن يرغب في فقد صداقة دوج البندقية والكونت لويس والناس المهمين الاخرين في القسطنطينية ، وافق المجلس على اعطاء الجواب التالي للمبعوثين : « اني لا اضمن احالة النزاع الى اولئك الذين ارسلوكم ،

ولكنى سأذهب الى القسطنطينية بدون ان افعل شيئا للاضرار بالمركيز ».

وهكذا ذهب الامبراطور الى القسطنطينية وخرج البارونات وكل الناس الاخرين للقائه ورجعوا به بتشريف كبير كأمير لهم .

وخلال اربعة ايام من وصوله توصل الامبراطور لان يفهم بوضوح بانه قد اسيء نصحه للمنازعة مع المركيز ، وعند هذه النقطة جاء دوج البندقية والكونت لويس لرؤيته حيث قالا : ياصاحب الجلالة اننا نرجوكم ان تحيلوا هذا الامر الينا كما فعل الماركيز ، واجاب الامبراطور بانه سيكون مسرورا جدا اذ يفعل هذا ، واختير المبعوثين عندئذ لاحضار الماركيز الى القسطنطينية ، وكان احد هؤلاء المبعوثون هو جيريه دي شاتل ، والثاني رنيير دي تري ، والثالث جيوفري دي فيلها ردين وارسل دوج البندقية اثنين من شعبه معهم ، وركب المبعوثون يوما بعد يوم حتى وصلوا اخيرا الى ديموتيكا وهناك وجدوا المركيز مع زوجته وعدد كبير من الناس ذوي المنزلة الطيبة ، وبعد ان اخبروه انهم قد جاءوا للعودة به رجاه جيوفري دي فيلها ردين ان يحضر الى القسطنطينية كما وعد ، وان يسوى نزاعة مع الامبراطور بالطريقة التي يقررها الذين احيل إليهم هذا النزاع ، وان المبعوثين يضمنون له مواكبته ووصولا آمنا له ، وكذلك ايضا لكل من قد يذهب معه .

وسأل المركيز بماذا يشيرون ووافق بعضهم على ان يذهب ، ونصحه بعضهم بعدم الذهاب ، ومع ذلك وبعد بعض النقاش ذهب الى القسطنطينية مع المبعوثين مصحوبا بنحو مائة من فرسانه ، وركبوا عدة ايام حتى بلغوا المدينة حيث تم الترحيب بهم بحرارة ، وخرج الكونت لويس دي بلوا ودوج البندقية للقاء المركيز ومعهما عدد كبير من الناس الاخرين من المراتب الراقية في الجيش ، والذين كانوا جميعا من اصدقائه المخلصين .

وبعد ذلك عقد مؤتمر نوقشت فيه الاتفاقية المبرمة من قبل الامبراطور والمركيز . وكنتيجة اعيدت مدينة ومملكة سالونيك للمركيز شريطة ان يعيد ديموتيكا . التي استولى عليها ، الى جيوفري دي فيلها ردين الذي وعد ان يحتفظ بها حتى يسمع سواء من رسول معتمد أو برسائل مسجلة ، بان المركيز قد وضع بالفعل يده على مملكته ، وعندها يعيد المارشال ديموتيكا الى الامبراطور ويضعها تحت سلطته ، وهكذا تحقق السلام بين الامبراطور والمركيز ، وكان هناك ابتهاج عظيم في كل الجيش بهذه التسوية السعيدة ، لان ضررا عظيما ربما كان سينتج عن هذا النزاع .

واستأذن المركيز من اصدقائه وركب بصحبة مبعوثي الامبراطور نحو سالونيك مع زوجته وشعبه . ومع مرورهم من حصن الى حصن كان كل بدوره وبكل مقاطعاته يسلم للمركيز باسم الامبراطور .

وعندما وصل الى مدينة سالونيك سلم له كل الذين كانوا يسيطرون على المكان لصالح الامبراطور بالطريقة نفسها ، وكان حاكم المكان واسمه رينير دي مونزا قد توفي حديثا ، وكان رجلا طيبا جدا وكانت وفاته خسارة حزينة .

وبالتدريج بدأ الرجال في كل المملكة خطوة خطوة بوضع اراضيهم وانفسهم تحت سلطة المركيز ، حتى اعترف عدد كبير جدا من الناس في النهاية به كأمير عليهم . وكان الاستثناء الوحيد رومي معين من المرتبة الراقية جدا ، وكان اسمه ليون سفور وكان هذا الرجل وقد كسب ملكية كورنث ونوبليا وهما مدينتان على الساحل وكانتا من بين الاقوى تحت السماء ، قد رفض ان يقسم قسم الولاء للمركيز ، وعلى العكس بدأ في شن الحرب ضده ، ووقف عدد كبير جدا من الروم في جانبه ، وكان هناك رومي اخر يدعى ميكا نيلس وكان قد جاء من القسطنطينية مع الماركيز واعتقد الاخير بانه صديق له ، ولكنه رحل فجأة دون ان يقول كلمة ، الى مدينة ارتا حيث تزوج ابنة

-٤٤٩٢-

رومي ثري حصل على ارضه من الامبراطور ، وبعد ان استولى على هذه الارض لنفسه بدأ بشن الحرب على المركيز .

وفي هذا الوقت كانت كل الارض من القسطنطينية حتى سالونيك في سلام والطريق من المدينة للاخرى سالما ، حتى مع انه كان يلزم اثني عشر يوما كاملة لقطع المسافة بينهما ، كان الناس يستطيعون المجيء والذهاب كما يحلو لهم وقد مضى وقت طويل الان حتى اصبحنا في نهاية ايلول ، وحكم الامبراطور في القسطنطينية ، وكانت الارض هادئة تحت حكمه ولم يحدث شيء ذو أهمية في المدينة سوى وفاة اثنين من اجود الفرسان هما يوستاش كانتلو وايمري دي فيلروا وكان هذا موضع اسى عظيم لاصدقائهما .

الفصل الخامس عشر

حرب ضد الروم

تشرين أول ١٢٠٤ ـ أذار ١٢٠٥

وبدا الان تقسيم الاراضي ضمن الامبراطورية ، واخذ البنادقة حصتهم المستحقة ، وتسلم الفرنسيون حصتهم . ولكن ما ان حاز كل رجل على ارضه حتى بدأت الشهوة للتملك التي كانت السبب في كثير من الشرور في العالم ومنعت الناس من ان يعيشوا في سلام ، وبدا الكل بدرجة اكبر او اصغر ، في ادارة مقاطعاتهم بقليل من الاهتمام بحقوق الاخرين ، حتى بدا الروم يكرهونهم ويضمرون الاستياء والسخط ضدهم في قلوبهم ،

واعطى الامبراطور بلدوين للكونت لويس دوقية نيقية التي كانت تقع على جانب المضيق المواجة لتركيا ، وكانت احد اهم اقطاعات الامبراطورية ، ولم تكن الارض على جانب المضيق على اي حال قد وضعت بعد تحت ادارة الامبراطورية بل كانت مناهضة له . وبعد ذلك بوقت قصير اعطى الامبراطور دوقية فيليبو بولس لرنييزدى تريت

وارسل الكونت لويس نحو مائة وعشرة من فرسانه للاستيلاء على اراضيه له ، مع بيير دي براسيو ومع بابين دي أور ليانز كقائد فتركوا القسطنطينية يوم عيد جميع القديسين وابحروا عبر (البوسفور) مضيق سان جورج الى ابيدوس ثم مضوا الى سبيغا وهي مدينة على الساحل يسكنها اللاتين ومن هناك بدأوا في شن الحرب ضد الروم .

وفي نحو هذا الوقت هرب الامبراطور مرزوفلوس الذي سملت

عيناه ــ وهو نفسه الذي قتل ابن الامبراطور اسـحق اليكسـيوس والذي كان الصليبيون قد احضروه معهم ــ الى القسطنطينية سرا عبر المضيق مع عدد قليل من البطانة مـن الرجـال ، ولكن نتيريش فون لويس ، وقد سمع بهروبه من بعض مـن بلغ عنه ضـده ، أمـر باعتقاله واعادتـه الى الامبـراطور بلدوين في القسـطنطينية ، وسر الامبراطور باعتقاله وسأل شعبه ماذا يفعل برجل قتـل اميره بمثـل هذه الخيانة .

وتم اقرار ايقاع العقاب التالي : في اتجاه مـركز القسـطنطينية كان يقوم عمود رخامي من اعلى الاعمدة واجملها ، حيث لم تر عين انسان أجمل على الاطلاق وكان على مرزوفلوس ان يؤخذ الى قمـة هذا العمود ويدفع الى القفز منه على مرأى كل الناس ، لان مثل هذا العمل من القصاص الموائم يجب ان يشـاهد مـن قبـل كل الناس ، واقتيد مرز وفلوس الى العامود واخذ الى القمة ، في حين تحشد كل الناس في المدينة ليروا هذا المنظر المدهش ، ثم القى به الى الاسـفل وسقط من مثل هذا الارتفاع حتى ان كل عظم في جسمه قـد تحـطم حالما وصل الى الارض .

والان دعوني اخبركم بمصادفة مدهشة فعلى ذلك العـامود الذي سـقط منه مـرز وفلوس كانت هناك رسـوم مـن مختلف الانواع محفورة في الرخام وبينها كان رسم يمثل امبراطور يسقط ناكسـا ، فقد كانت هناك نبوءة تحدثت قبل وقت طويل بان امبراطورا سـيلقى به من فوق العامود نفسه ، وهكذا تحققت النبوءة التي صـورت على الرخام تماما .

وحدث في نحو هذا الوقت ان الماركيز دي مونتفرات فيمـا كان في جوار سالونيك انقض على الامبراطور اليكيسوس وهو نفسـه الذي سمل عيني اخيه ، وسجنه مع زوجة الامبراطور ، وارسـل المركيز الحذاء القرمزي والاردية الامبراطورية الخـاصة بـاليكسيوس الى أميره الامبراطور بلدوين في القسطنطينية ، وهـي مجـاملة لطيفـة

اكسبته عرفان الامير وامتنانه ، وفيما بعد ارسل الماركيز الامبراطور اليكسيوس الى مونتفرات ليودع السجن هناك ، وبعد ذلك بوقت غير بعيد يوم عيد القديس مارتن ترك هنري أخو الامبراطور القسطنطينية ومعه نحو مائة وعشرين من اجود الفرسان وسار بمحاذاه الضيق الى قناة ابيدوس ومن هناك ابحر عبر الماء الى مدينة ابيدوس التي وجدها جيدة التموين الوفير من الاشياء الجيدة مثل القمح واللحم وكل شيء اخر يمكن للانسان ان يحتاج اليه ، وبعد أخذ المدينة مركز رجاله هناك ثم بدا هو ايضا في شن الحرب ضد الروم من حوله ، وبدأ الارمن من تلك المناطق ، وكانوا اكثر الناس هناك بالانضواء تحت لوائه لانهم كانوا يمقتون الروم.

وفي نحو هذا الوقت نفسه غادر رنيير دي تريت القسطنطينية مع فرقة اخرى من مائة وعشرين فارسا وذهب صوب فيلبو بوليس التي اعطاها له الامبراطور ، فركب لعدة ايام حتى نقطة في مكان ما وراء ادرنة حيث بلغ غايته ، ورحب به اهل فيلبو بوليس كامير لهم وسروا برؤيته وكانوا في ذلك الوقت في أمس الحاجة للمساعدة لان الملك جوها نيتزا ملك والاشيا كان يشن هجمات وحشية عليهم ، وجاء رينيه دي تريت لمساعدتهم بفعالية جعلت منه سيدا على قسم كبير من الارض ، وتحول عدد كبير ممن كانوا يقفون من قبل جانب جوها نيتزا اليه ، وفي ذلك القسم من الامبراطورية ايضا كان القتال ضاريا جدا ، وفي هذه الاثناء كان الامبراطور قد ارسل نحو مائة فارس عبر مضيق سان جورج الى القسم من الامبراطورية المقابل للقسطنطينية ، وكان يتولى القيادة ماكير - دي سانت - مينهول يساعده ماثيو - دي النكورت وروبرت دي ردنسوا وبعد نزولهم الى البر ركبوا في اتجاه نيقو ميديا التي تقع على شواطىء الخليج وهي على مسيرة يومين بالبحر من القسطنطينية ، وحالما سمع الروم انهم يتقدمون اخلوا نيقوميديا وهربوا وهكذا اخذ رجالنا مراكزهم في المدينة واقاموا حامية فيها ، واصلحوا التحصينات ومن هذه المنطقة بدأوافي شن الحرب على الروم كما كان الاخرون يفعلون

في كل مكان وكان على الارض الواقعه عبر المضيق رومي يدعى تيودور لاسكارس كامير عليها ، وكان متزوجا من ابنة ذلك الامبراطور اليكسيوس الذي سمل عيني اخاه ، والذي فر من الفرنجة فيما بعد من القسطنطينية ، وترك لاسكارس الارض في عهدة زوجته وتابع الحرب ضد الفرنسيين على الجانب البعيد من المضيق حيثما كانوا .

وبقي الامبراطور بلدوين نفسه في القسطنطينية مع الكونت لويس وفرقة صغيرة كما كان ايضا الكونت هوغ دي سانت بول
الذي كان يعاني من هجمة شديدة من النقرس (داء المفاصل) اصابت ركبته وقدميه ، ودوج البندقية الذي كان اعمى تماما ولم يمض وقت طويل على اي حال قبل ان يأتي جيش كبير جدا من الرجال بينهم الذين تركوا الجيش وابحروا من مواني أخرى عبر البندقية بطريق البحر عائدين من سورية وكان بينهم اتين دي برش ورنيو دي مونتميريل .

وكان كلاهما ابنا عم للكونت لويس الذي رحب بهما بلطف كبير وعبر عن سروره بوصولهما ورحب بمجيئهما ايضا الامبراطور بلدوين وبقية الناس في القسطنطينية ، لان كليهما كان من رجال الطبقة الراقية جدا ، ومن ذوي النفوذ الكبير ، وكانا قد احضرا معهما اعداد كبيرة جدا من الناس الجيدين الاخرين ، وبين هؤلاء هوغ صاحب طبرية وتيير دي تنبر موند الى جانب عدد كبير من القوات السورية ، فرسان ، وخيالة سريعة ومشاة ، وبعد وصولهم بوقت قصير منح الامبراطور دوقية فيلاد لفيا لايتين دي برش

وسبب موضوع واحد بين الاخبار التي بلغت في ذلك الوقت للامبراطور بلدوين كآبه عظيمة ، ذلك ان زوجته الكونتيسة مارى وكانت عاجزة عن الذهاب معه في الحملة الصليبية لانها كانت حاملا
تخلفت في فلاندرز حيث ولدت له ابنة ، وحالما استردت عافيتها من الولادة انطلقت للحاق بزوجها في بلاد ماوراء البحار ، وابحرت من

ميناء مرسيليا ، وكانت قد نزلت لتوها في عكا عندما جلب لها المرسل من القسطنطينية الخبر بان المدينة قد تم الاستيلاء عليها ، وان اميرها قد انتخب امبراطورا ، مما كان مبعث سرور لكل الناس من المسيحيين ، وبسماع هذه الاخبار قررت السيدة ان تلحق بزوجها على الفور ، ولكنها وقعت فريسة للمرض وتوفيت ، واصيب كل النصرانية بالحزن على وفاتها لانها كانت سيدة طيبة حقا وكانت موضع تقدير كبير من الجميع .

ونقلت انباء هذا الحدث المحزن الى القسطنطينية من قبل الناس الذين وصلوا لتوهم بطريق البحر فكانت شجنا عظيما للامبراطور بلدوين كما كان لكل البارونات في الامبراطورية لانهم كانوا يتطلعون بشوق لتكون امبراطورة عليهم .

وفي هذه الاثناء حصن الرجال الذين ذهبوا الى سيفا بامرة بييردي براسيكو دي اورليانز قلعة بانورموس وتركوا حامية لحراستها ثم ركبوا متجهين للاستيلاء على الارض ، وجمع تيودور لاسكارس من جانبه اكبر قوة ممكنة ، وفي يوم عيد سانت نيكولاس الذي يتقدم عيد حمل العذراء المباركة التقى الجيشان في سهل تحت قلعة بومانيوس وبدات معركة كان رجالنا فيها في وضع سيء غير موات لدرجة كبيرة لانه كان لدى الروم عدد مذهل حقا من الرجال ، في حين انه من جانبنا بصرف النظر عن عدد من السرجندية الخيالة لم يكن لدينا اكثر من مائة واربعين فارسا ، ولكن الله يسير الامور كما يشاء ، وبارادته الطيبة تغلب الفرنسيون على الروم وألحقوا بقواتهم الهزيمة ، واوقعوا بهم خسائر فادحة وخلال الاسبوع سلموا قسما كبيرا من الاراضي لجيشنا ، وسلموا قلعة بومانيوس القوية التحصين ، ومدينة لوباديوم التي كانت واحدة من اجمل مدن تلك الارض وابولونيا التي كانت تستقر على شاطىء بحيرة المياه العذبة ، وكانت واحدة من اقوى الحصون واكثرها جاذبية مما يمكن ان يوجد في اي مكان ، وباختصار تحول كل شيء لصالح جماعتنا وبمعونة الرب نجحوا في اخضاع الارمن لارادتهم ، وبعد ذلك بوقت

قصيز وبناء على نصيحة الارمن خرج هنري اخو الامبرطور بلدوين من ابيدوس ، بعد ان ترك حامية في المدينة وركب متجهـا الى ادراميتيوم ، وهي مدينة على الساحل على مسيرة يومين ، واستسلم له هـذا المكان وكذلك الكثير من المنطقة المحيطة ، فمركزقواته في ادراميتيوم لانها كانت جيدة التموين بالقمح واللحم والمؤن الاخرى ، ومن تلك القاعدة شن الحرب على الروم في الريف في تلك الاحواز .

وبعد هزيمته في بومانينوس حشد تيودور لاسكارس من الناس بقدر ما يستطيع حتى جمع جيشا عظيما . ووضعه تحت قيادة اخيه كونستانتين ، وكان واحدا من اقدر رجال الروم في الامبراطورية ، الذي ركب بعد ذلك رأسا في اتجاه ادراميتيوم ، وما ان سمع هنري اخو الامبراطور من الارمن بان قوة عظيمة كانت تسير ضده تأهب لملاقاة العدو ، ونظم قواته في تشكيل قتالي وكان معه بعض الرجال الجيدين جدا منهم على سبيل المثال بلدوين دي بوفوار ونيكولاس دي ميلي وانسودي كايو وبيتر يشفون لوس وتبيرى دي تيرموند

وفي عشية منتصف الصوم الكبير وصل كونستانين لاسكارس وجيشه الكبير الى امام ادراميتيوم ، وحالما سمع هنري انه قد جاء دعا قادة جيشه معا واخبرهم انه لن يسمح بأي حال بأن يحاصر في المدينة ، ولكنه سيذهب لملاقاة العدو ، وتقدم الروم بكل قوتهم في مجموعات كبيرة من الخيالة والمشاة ، وسار رجالنا نحو خارج المدينة وبدأوا في مهاجمتهم ، وجرى قتال ضار كبير مع مواجهة يدا بيد ولكن بمعونة الرب هزم الفرنسيون الروم وردوهم في فوضى ، وقتل واسر العديد وأخذت غنائم كثيرة .

وبعد ذلك عاش الفرنسيون في سلام وراحة مع مؤونة وافرة من الطعام لان اهل الارض انحازوا الى جانبهم ، وبدأوا يجلبون لهم بعض المنتجات من مقاطعاتهم .

ولندع للحظة الكلام عن الناس من القسطنطينية ولنعد الى المركيز دي مونتفرات ، لقد ذهب كما تعرفون الى سالونيك ثم سار ضد ليون سفور الذي كان يحتفظ بنوبليا وكورنث وهما من اقوى المدن في العالم ، وبدا رجاله في فرض الحصار على كلا المكانين في الوقت نفسه ، وبقي جاك افافسنس مع كثير اخرون من الرجال امام كورنث ، وعسكر الباقون امام نوبليا وحاصروها .

دعوني اخبركم الان بشيء وقع في تلك المنطقة حوالي الوقت نفسه غادر جيوفري فيلها ردين الشاب وهو ابن اخي جيوفري الاخر الذي كان الان مارشال رومانيا وشامبين سورية في صحبة الذين وصلوا حديثا الى القسطنطينية ، وحدث بالصدفة ان حملت الريح سفينته الى ميناء ميثون حيث اصيب باضرار كبيرة حتى انه اضطر الى قضاء الشتاء في تلك الاجزاء ، وما ان سمع رومي معين كان نبيلا كبيرا في تلك البلاد بوصوله ، حتى جاء لرؤيته وحياه بلطف كبير جدا ، وقال سيدي لقد غزا الفرنجة القسطنطينية وانتخبوا امبراطورا فاذا انضممت الي فاني اعد ان اكون صديقا مخلصا لك وسنستولي على كثير من هذه الاراضي معا ، وهكذا عقدا حلفا وثق بالقسم واستوليا معا على قسم كبير من البلاد ، ووجد جيوفري دي فيلهاردين دائما في هذا الرومي حليفا مخلصا جدا .

ولكن الاحداث تتحول حسب مشيئة الرب ، فقد مرض الرومي وتوفي وثار ابنه ضد جيوفري فيلهاردين وخرق العهد معه ، وتحولت معظم الحصون التي وضع بها جيوفري حاميات ضده ، ووصلت الانباء الى الشاب بان المركيز دي مونتفرات كان يحاصر نوبليا ، فذهب الى هناك للانضمام اليه باكبر عدد من الرجال أمكنه جمعه ، وبعد ان ركب عبر الارض ستة ايام في خطر عظيم وصل الى معسكر المركيز ، حيث رحب به ترحيبا حارا وعومل بأكبر لطف من قبل المركيز ، وكل من كانوا معه ، وكان هذا صحيحا ومناسبا فقط بسبب انه كان فارسا شجاعا وشريفا جدا .

وكان يمكن للمركيز ان يمنحه منحة كريمة من الاراضي والاموال ليبقيه في خدمته ، ولكن لم يكن ليقبل شيئا ، وبدلا من ذلك ذهب الى غوليوم دي شامبليت الذي كان صديقا حميما له وقال له : « لقد جئت لتوي ياسيدي من ارض مزدهرة جدا تدعى الدورة فاجمع من الرجال بقدر ما تستطيع واترك هذا الجيش وبمعونة الرب سنذهب لغزوها وعندما تستولي عليها سأخذ منك اي جزء يسرك ان تعطيه لي وسأخدمك كتابع لك »

وذهب وليم دي شامبليت الذي كان له ثقة عظيمة في جيوفرى وكان معجبا به إلى المركيز ليخبره بما اقترح ، وسمح المركيز لكليهما بالذهاب إلى الدورة وهكذا غادر وليم دي شامبليت وصديقه الشاب معسكر المركيز ، وأخذا معهما حوالي مائة فارس إضافة إلى عدد جيد من الخيالة ودخلا أرض الدورة وركبا متابعين مسيرهما حتى وصلا إلى ميثون ، وسمع ميكاليس بأنهما وصلا إلى الدورة مع مجموعة صغيرة من الرجال فقط ، وهكذا جمع عددا مدهشا من شعبه وركب وراءهما معتقدا أنهما قد أصبحا بحكم الأسرى بالفعل وفي يديه .

وعندما سمع رجالنا بأنه قادم أصلحوا الاسوار بسرعة حول ميثون ، وكانت خربة لزمان طويل مضى ، وتركوا أمتعتهم في المدينة مع الخدم لحراستها ، ثم ركبوا مسيرة يوم عن المدينة ، واتخذوا وضع الاستعداد للمعركة بأكبر قدر من الرجال لديهم ، وبدا كما لو أن الارجحية كانت ضدهم ، لانه لم يكن لديهم أكثر من خمسمائة من الخيالة في حين أن خصومهم كان لديهم فوق خمسة آلاف بكثير ، ومع ذلك حيث أن سير الحوادث يجري بأمر الرب ومشيئته ، فإن رجالنا عندما قاتلوا الروم ردوهم وهزموهم وقد خسر العدو كثيرا في هذه المواجهة ، في حين أننا من جانبنا ربحنا عددا عظيما من الخيول والأسلحة والدروع ، إضافة إلى كمية كبيرة من الغنائم الاخرى . وهكذا عاد شعبنا إلى ميثون وهو مبتهج جدا وراض تماما .

وركبوا فيما بعد إلى كورون وهي مدينة صغيرة على الساحل ، وأحكموا الحصار حولها ، ولم يكونوا قد حاصروها طويلا قبل أن يستسلم المكان ، وأعطاها وليم لجيوفري فيلهاردين الذي أصبح هكذا تابعا له ، ووضع جيوفري حامية فيها . ونهبوا بعد ذلك إلى حصن كلاماتا وكان جميلا جدا وجيد التحصين وكان أخذه عملا طويلا شاقا ، ولكنهم مكثوا أمامه حتى استسلم لهم ، وبعد ذلك بدأ الروم في المورة يستسلمون بأعداد أكبر مما حدث من قبل مطلقا .

وكان المركيز دي مونتفرات مايزال يحاصر نوبليا ، ولكن دون أدنى نجاح لأن المكان كان محصنا بقوة جدا ، وفي جهودهم لأخذه أنهك كثير من رجاله تماما واستمر جاك دي افسنس من جانبه في محاصرة كورنث حيث نزل مع المركيز . ولاحظ سغور الذي بقي في المدينة وكان رجلا داهية جدا ومخادعا أن لدى جاك جيش صغير فقط من الرجال ، ولم يكن لديه حراسة جيدة ، وهكذا خرج في فجر ذات صباح من المدينة بكل قوته ، ومضى بعيدا إلى حيث الخيام وقتل عددا كبيرا من رجالنا قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى سلاحهم .

وبين أولئك الذين قتلوا كان درو دي استرون وكان فارسا جيد جدا وباسلا وقد كان الحداد على وفاته عظيما ، وجرح جاك دي افسنس الذي كان يتولى القيادة جرحا بليغا في الساق ولكن الذين كانوا معه في تلك المناسبة أكدوا أنهم جميعا مدينون بنجاتهم لسلوكه الشهم ، لقد كانوا في الواقع قد أصبحوا قريبين جدا من فقد أرواحهم ، ولكنهم بعون الرب أجبروا العدو على التراجع إلى القلعة .

والآن كان الذين بطبيعتهم كانوا قادرين مايزالون يضمرون أفكارا خيانية في قلوبهم وكانوا يعتقدون في ذلك الوقت أن الفرنسيين كانوا مبعثرين جدا في الأرض ومشغولين بانهماك شديد عن الاهتمام بأي شيء خارج شؤونهم الخاصة ، واعتقدوا أنه يمكنهم بسهولة أن يتمكنوا منهم بشكل أفضل بوسائل المكر

والخداع ، لهذا اختاروا سرا مبعوثين من كل المدن الامبراطورية وارسلوهم إلى الملك جوهانيتزا ، بصرف النظر عن انه كان لزمان طويل عدوا لهم ، وكان مايزال في حرب معهم ، واخبر هؤلاء المبعوثون جوهانيتزا أن الروم يقترحون جعله امبراطورا وانهم سيضعون أنفسهم كلية بين يديه ، وسيقتلون كل الفرنسيين والبنادقة في الامبراطورية ، واقسموا نيابة عن الروم أن يطيعوه كأمير لهم ، طالما أنه من جانبه سيلتزم بالدفاع عنهم وحمايتهم كما يحمي رعاياه ، وصدق هذا الميثاق من قبل كلا الطرفين ، وفي نحو هذا الوقت كان شعبنا في القسطنطينية يعاني من خسارة عظيمة فالكونت هوغ الذي كان مصابا بشدة بالنقرس كان ملتزما للفراش منذ زمان طويل ، وزاد مرضه جدا حتى توفي ، وسبب هذا الحدث المؤسف فراغا عظيما ، وكان في الواقع كارثة شديدة ، وبكى أصدقاؤه ورجاله بحرارة موته ودفن في كنيسة سانت جورج في مانغانا .

وكان الكونت خلال فترة حياته أميرا على معقل ديموتيكا الجميل جدا ، والجيد التحصين وكان قد وضع كحامية فيه بعضا من فرسانه ومشاته ، بعد وفاته بوقت قصير قام الروم في مواصلة التزامهم بقسمهم للملك والاشيا بهجوم غادر على الرجال في هذا الحصن وقتلوا العديد وأخذوا أعداد كبيرة أسرى ، ونجا القليل ، وهرب الذين نجوا بحياتهم إلى أدرنة التي كان البنادقة يحتفظون بها في ذلك الوقت .

وبعد ذلك بوقت غير طويل هب الروم في أدرنة في ثورة مسلحة ، وفر الرجال الذين كانوا متمركزين هناك لحراسة المدينة منها بسبب الخطر العظيم على حياتهم ، وبلغت أنباء ذلك الامبراطور بلدوين الذي كان في القسطنطينية مع الكونت لويس وحفنة صغيرة من الرجال ، وتركتهم مضطربين جدا وفزعين ، ومن ذلك الوقت وماتلاه بدأت أخبار بالقدر نفسه من الكراهة تصل يوميا بأن الروم كانوا يثورون في كل مكان ، وحيثما كانوا يجدون الفرنسيين والبنادقة الذين يحتلون الأرض كانوا يقتلونهم .

وذهب الرجال الذين هربوا من أدرنة من كل من البنادقة والآخرين ممن كانوا معهم إلى تكرلو وهي مدينة كانت ماتزال في يد الامبراطور بلدوين وهناك وجدوا وليم دي بلانفيل ، الذي كان يحرس المكان لاميره ، وبفضل المساعدة والتشجيع اللذين قدمهما لهم ، ولأنه وافق أيضا على أن يصحبهم مع أكبر عدد من الرجال أمكنه تأمينه عادوا إلى مدينة كانت تبعد نحو اثنى عشر فرسخا وتدعى أركاديوبولس ، وكانت تابعة للبنادقة ، وإذ وجدوها خالية دخلوها واحتلوها .

وخلال ثلاثة أيام تجمع روم تلك المنطقة معا . ومن كل مكان ضمن نطاق مسيرة يوم من أركاديوبولس ، وتحشدوا لمحاصرة المدينة ، ثم بدأوا بهجوم ضار مرعب من كل الجوانب . ودافع رجالنا عن أنفسهم بشكل رائع ، وفتحوا البوابات واندفعوا خارجين منها بكل قوة لمهاجمة العدو ، وبمشيئة الرب هزم الروم وبدأ رجالنا يصرعونهم ويقتلونهم ثم مع هروب العدو ، لاحقوه مسافة فرسخ كامل وهم يقتلون أعدادا إضافية أيضا ويستولون على عدد عظيم من الخيول وكثير من الغنائم الاخرى .

وهكذا عادوا والسرور يملأهم إلى أركاديوبولس وأرسلوا أنباء انتصارهم إلى الامبراطور بلدوين في القسطنطينية الذي ابتهج كثيرا بسماعها ، ومع ذلك لم يتجرأ رجالنا على احتلال المدينة بل تابعوا مسيرتهم في اليوم التالي وتركوها مهجورة ، وعادوا إلى تكرلو وهناك بقوا في حالة كبيرة من الخوف ، وهم يخشون من الروم الذين في المدينة بقدر ماكانوا يخشون الذين خارجها ، حيث أن هؤلاء الناس قد اشتركوا في القسم الذي أدي لملك والاشيا ، والتزموا بخيانة كل الفرنجة ، والواقع أن عددا غير قليل من شعبنا لم يجرؤ على البقاء في تكرلو ، بل أخذوا طريقهم عائدين إلى القسطنطينية .

وعند هذه النقطة التقى الامبراطور بلدوين والكونت لويس ودوج البندقية ، وقد أدركوا انهم يفقدون تدريجيا كل الامبراطورية لمناقشة

الامور ، وكنتيجة اتفقوا على أن على الامبـراطور أن يأمـر أخـاه هنري الذي كان في حينه في ادراميتيوم بأن يتخلى عن كل ما استولى عليه ، وأن يأتي لمعاونتهم ، وأرسل الكونت لويس من جانبه رسالة إلى بابين دي أورليانز وبيير دي براسيو ، وكل الرجال الذين كانوا معهم وأخبـروهم أن يتخلوا عن كل مـا استولوا عليه سـوى المدينة الساحلية سبيغا ، وكان عليهم أن يتركوا فيها حامية مـن أقـل عدد ممكن من الرجال في حين يأتـي البقية لتعـزيز القـوات التـي على الجانب الآخر من المضيق .

وبعد ذلك أصدر الامبراطور تعليماته إلى ماكيردي سانت مينهولد ومـاثيودي والنكورت ، وروبـرت دي رونسـوا ، الذين كانوا في نيقوميديا مع نحو مائة فارس بأن يتركوا ويحضروا لمساعدتهم .

وبناء على أوامر الامبراطور ترك جيوفري نيفيلها ربين مارشال رومانيا وشامبين ترك القسطنطينية مع مـانسيير دي أيل ، وأكبـر عدد أمكنهما جمعه من الرجال ، وكانوا قلة إذا أخذنا بـالاعتبار أن كامل الامبراطورية كانت في طريق الضياع ، وركبوا إلى تكرلو وهي على مسيرة نحو ثلاثة أيام من القسـطنطينية ، فـوجدوا هناك وليم دي بلانفيل وكل الناس الذين معهم في حالة عظيمة من الخوف ، مـع أنهم اطمأنوا كثيرا بوصول المارشال ورفاقه ، وأمضى الزوار أربعة أيام في تكرلو ، وبينما كانوا هناك أرسـل الامبـراطور بلدوين مـن التعزيزات بقدر مايستطيع مـن القـوات التـي قـدمت الآن إلى القسـطنطينية ، حتـى أنه بحلول اليوم الرابـع كان هناك ثمـانين فارسا في المدينة .

ثم انطلق جيوفري فيلهاردين مرة أخـرى مـع مـانسيير دي أيل ورجالهما ، وركبوا حتى وصلوا إلى أركاديوبولس ، حيث تـوقفوا تلك الليلة ، وأمضوا يوما هناك قبـل أن يتحـركوا نحـو بـورغار فيغون، وكان الروم قد أخلوا هـذه المدينة ، وهـكذا أمضـوا الليلة هناك ، وفي اليوم التالي تابعوا الركوب إلى نيكيتزا ، وهـي مـدينة

جميلة جدا وجيدة التحصين ومزودة بوفرة بكل مايمكن أن يحتـاجه المرء ، فوجدوا أن كل الروم قد تـركوا المكان وذهبـوا إلى أدرنة ، ولكن حيث أن نيكيتزا كانت على بعد تسعة فراسخ فقط مـن المدينة التي تجمع فيها عدد عظيم من أفراد العدو ، قـرروا الانتـظار حيث كانوا حتى يصل الأمبراطور بلدوين ٠

ودعوني أخبركم الآن بحادثة اسـتثنائية ، إن رينيردي تـريت ، الذي كان في فيلبوبولس على مسـيرة تسـعة أيام تمـاما مـن القسطنطينية ، مع نحو مائة من الفرسان هجره ابنه رنيير وأخـوه جيلز وابن أخيه جاك دي بونديز وصهره أكاردي فيردون وأخـذوا معهم نحو ثلاثين من فرسانه وتركوه كما يمكنك أن تتخيل في خـطر عظيم ، وكان هؤلاء الرجال قد اعتقـدوا أنه بإمـكانهم أن يصـلوا سالمين إلى القسطنطينية ، ولكنهم وجدوا أهل البلاد في ثورة ضدهم وهزموا في المعركة وأخذهم الروم أسرى وسلموهم فيما بعد الى ملك والاشيا حيث أمر بقطع رؤوسهم ، وقد شعر شعبنا كما يمـكنني أن أؤكد لكم بشفقة قليلة على هؤلاء الرجال الذين تفـرقوا بمثـل هـذه الطريقة المشينة بالنسبة لرجل كانوا ملتزمين بواجب معاملته بطريقة أخرى تماما ٠

وعندما رأى بعض فرسان رنيير الآخـرون تخلي الآخـرين عنه هكذا ، وهم الذين كانوا مرتبطين به بروابط أوثق من روابطهم هـم به ، شعروا بخشية أقل من الخجل ، وفر نحو ثمانون منهم جمـاعة ومضوا من طريق آخر ، وهكذا ترك رنيير دي تريت محاصرا من قبل الروم مع القليل جدا من رجاله ، لأنه لم يكن معه في الواقع أكثر من خمسة عشر فارسا في المجموع في فيليبو بولس وفي سـتينماكا وهـو حصن قوي جدا كان تحت يده ، حيث بقي محاصرا فيما بعد زمـانا طويلا جدا.

الفصل السادس عشر

حصار أدرنه

آذار ـ نيسان ١٢٠٥

وسنتحول الآن من رنبيردي تريت لنتحدث مرة أخرى عن الامبراطور بلدوين الذي تركناه في القسطنطينية مضطربا جدا وقلقا مع فرقته من الرجال القلائل جدا ، وكان هناك ينتظر أخاه هنري وكل القوات من الجانب الآخر من المضيق ، وكان أول القادمين من نيقوميديا : ماكير دي سانت مينهولد وماتيو دي والنكورت ، وروبرت دي رونسوا مع جماعتهم وكانوا يعدون في الاجمال نحو مائة فارس.

وكان الامبراطور بالغ السرور لرؤيتهم وبالتشاور مع الكونت لويس دي بلوا استقر الرأي على أنهم يجب أن يغادروا القسطنطينية مع أكبر عدد ممكن من الرجال المتوفرين ليتبعوا جيوفري دي فيلها ردين ، الذي كان غادر قبل ذلك ببعض الوقت ، والأسفاه أي أمر مؤسف إنهم لم ينتظروا حتى ينضم اليهم كل الرجال الذين جاؤوا من الجانب الآخر من المضيق ، وقد رأوا مدى صغر القوه التي كان عليها أن تتغلب على مخاطر هذه الحملة.

وغادروا القسطنطينية مع نحو مائة وأربعين فارسا ، وركبوا يوما بعد يوم حتى بلغوا حصن نيكيتزا حيث كان المارشال جيوفري قد اتخذ مواقفه ، واجتمعوا تلك الليلة في مؤتمر واجمعوا على الذهاب واقامة معسكر لهم في مواجهة أدرنة في اليوم التالي وتطويقها ، وهكذا رتبوا لتشكيل كتائبهم ، وفعلوا ما وسعهم بأولئك الناس الذين كانوا معهم.

وفي صباح اليوم التالي وحالما اكتمل ارتفاع الشمس ركبوا حسب ترتيبهم نحو ادرنه ، واخذوا مواقعهم أمام المدينة ووجدوها محمية بشكل جيد جدا ، ورأوا أعلام جوهانيتزا ملك والاشيا وبلغاريا ترفرف على اسوارها وابراجها ، وكانت في الحقيقة مدينة قوية مزدهرة ومكتظة بالناس ، وبدأ رجالنا بشن الهجوم بجيشهم الصغير على اثنتين من بواباتها ، وكان هذا يوم الثلاثاء قبل أحد السعف ، ومكثوا ثلاثة أيام أمام المدينة في قلق عظيم وفي وضع سيء جدا من ناحية نقص الرجال.

وفي هذه الآونة جاء انريكو داندولو دوج البندقية ، الذي لم يمنعه سنه وفقد بصره ، للانضمام اليهم ، وأحضر معه من الرجال بقدر ما كان عنده ، وعسكر البنادقة أمام احدى البوابات ، وفي اليوم التالي انضم اليهم ، وكانت قواتنا في حالة عجز في المؤن ، لأن الذين كانوا عادة يبيعونهم المؤن لم يكونوا قادرين على المجيء معهم ، ولم يكونوا قادرين على الرعي والتماس المؤن بأنفسهم لوجود عدد كبير جدا من الروم في الريف حولهم ، حتى أن أحدا لم يكن يجرؤ على ترك المعسكر ، وفي هذه الأثناء كان الملك جوهانيتزا يتقدم لاغاثة أدرنه معه جيش عظيم ، ذلك أنه لم يكن قد أحضر معه الوالاشيين والبلغار فقط بل ايضا نحو أربعة عشر ألفا من الكومان الراكبين الذين لم يعمدوا مطلقا.

وفي النهاية وبسبب العجز الشديد في الغذاء ذهب الكونت لويس للرعي والتماس المؤن في يوم أحد السعف ، وأخذ معه أخا الكونت دي برش آتيين ورينارد دي مونتميراريل الذي كان أخا للكونت هنري دي نيفير وجيرفيه دي شاتيل ، وأكثر من نصف رجال المعسكر ، وذهبوا الى حصن بوتزا الذي وجدوه محميا تماما من قبل الروم ، وبذلوا جهدا يائسا لاخذه بهجوم مباغت عاصف ، ولكنهم لم يلقوا نجاحا ، وكان عليهم أن يعودوا من حملتهم صفر اليدين ، وخلال الاسبوع المقدس بقيت القوات ساكنه تبني آلات من مختلف الانواع من ألواح الخشب ، ويقدمون الملغمين الذين

كانوا لديهم للقيام بالحفر تحت الأرض لزعزعة الاسوار ، واحتفلوا وهم في مثل هذه الظروف بعيد الفصح ، وقد عسكروا أمام أدرنة مع عدد قليل جدا من الرجال للعمل الذي بين أيديهم وأقل مما يكفي لاطعامهم .

ثم جاءت الاخبار بأن الملك جوهانيتزا كان يسير نحوهم لتحرير المدينة ، لهذا قاموا بالاستعدادات الضرورية لمواجهته ، ورتبوا حتى يبقى جيوفري دي فيلهاردين ومانا سيردي أيل لحراسة المعسكر في حين يخرج الامبراطور بلدوين وبقية القوات لمواجهة جوهانيتزا إذا هدد بمهاجمتهم ، وبقي الجيش متيقظا في حذر حتى يوم الأربعاء من أسبوع الفصح ، وبحلول هذا الوقت اقترب جوهانيتزا جدا حتى أن معسكره كان بالكاد على بعد خمسة فراسخ ، ثم أرسل الكومان ليهاجموا معسكرنا ، وصدرت الدعوة الى السلاح ، واندفع رجالنا في اضطراب ، ولاحقوا الكومان فرسخا كاملا أو أكثر وكان هذا عملا أحمقا من جانبهم ، لأنهم عندما أرادوا الاستدارة للعودة أطلق الكومان عاصفة حقيقية من السهام عليهم ، وجرحوا الكثير من خيولهم.

وعندما عادوا أخيرا الى المعسكر دعا الامبراطور بلدوين البارونات الى مركزه ، وناقشوا الحادثة واقر كل المعنيين بها بأنهم قد تصرفوا بدون حكمه لمتابعتهم لمثل هذه المسافة جيشا من القوات بهذا التسليح الخفيف ، وفي النهاية تقرر أنه إذا هاجم جوهانيتزا مرة أخرى فإنهم سيخرجون ويصطفون أمام المعسكر في انتظار مجيئه ، ولن يتحركوا من هذا الموقع ، ثم صدرت تعليمات عامة للقوات تمنع أي أحد من أن يتهور بالتغافل عن هذا الامر أيا كان أمر الدعوة للسلاح ، أوأي صخب من أي نوع قد يسمعه.

ومرت تلك الليلة وفي الصباح ، وكان يوم خميس في اسبوع الفصح حضرت كل القوات القداس ، ثم تناولوا وجبة الغذاء وجاء الكومان مغيرين على خيامهم ، وارتفعت صيحة وهرول كل واحد

الى سلاحه وخرجوا من المعسكر وكل الكتائب في الترتيب الصحيح حسب الخطة.

وخرج الكونت لويس بكتيبته أولا ، وأرسل رسالة للامبراطور يحث على اتباعه وبدا على الفور في ملاحقة الكومان واأسفاه كم كان قليلا ما احتفظ به جيشنا من منهج العمل الذي أمر به في الليلة السالفة.

وبدلا من البقاء قرب المعسكر لاحق رجالنا الكومان نحو فرسخين ، وهاجموهم على مقربة من مراكزهم ، واستمروا في المطاردة زمانا طويلا ، وفي النهاية استدار الكومان وهاجموهم وهم يطلقون صيحات نافذه ويرشقونهم بسهامهم.

وكان في جيشنا مجموعات من الرجال دون رتبه الفرسان ، كانت لديهم خبره قليلة في القتال ، فبدأ الآن يتملكهم الذعر والانهيار ، وكان الكونت لويس الذي كان البادىء بالهجوم قد جرح جرحا بليغا في مكانيين ، وكان الكومان والوالاشيون قد بدأوا في الضغط على قواتنا بشده ، وسقط الكونت لويس عن حصانه ، ولكن أحد فرسانه نزل وعاونه على الاستقرار فوق سرجه.وقال كثير من رجال الكونت له : أميرنا عد الى المعسكر إنك مصاب بجرح بليغ ، ولكنه كان يجيب دائما إن الرب لا يسمح ، إنني سأعير دائما بالهرب من الميدان والتخلي عن امبراطوري.

أما الامبراطور الذي وصل بصعوبة بالغة اليه للوقوف الى جانبه ، فقد جمع رجاله حوله ، وأخبرهم بأنه من جانبه لن يوافق على الهرب وأنه كان عليهم أن يبقوا معه ، وكل الذين كانوا موجودين في حينه يمكنهم أن يشهدوا أن أي فارس لم يدافع عن نفسه ببسالة أكثر منه.

واستمرت هذه المعركة زمانا طويلا جدا ، وصمد بعضهم

بشجاعة في المواجهة ، وعمد بعضهم للفرار ، وفي النهاية طالما أن الرب يسمح بحدوث مثل هذه الكوارث ، فقد هزم الفرنسيون ، وأما الامبراطور بلدوين فلم يكن ليوافق مطلقا على الهرب ، وبقي في الميدان كما فعل الكونت لويس ، وأخذ الواحد حيا وكان الثاني بين الموتى.

وا أسفاه أي خسارة عانيناها في ذلك اليوم ، وكان بين الذين سقطوا بيير أسقف بيت لحم ، وايتين دي بيرش ، وريذودي مونتميرال أخو الكونت دي نفر وماثيو دي والنكورت وروبرت دي رنسوا ، وجين فرييز ، وغونيير دي نويلي ، وتيري دي بيرس ، واخوه جين ويوستاس دي هيومونت وأخوه جين ، وبلدوين دي نيوفيل ، وعدد كبير آخر لم تسجل اسماؤهم هنا ، وأما الذين تدبروا أمر الهرب فقد طاروا عائدين الى المعسكر.

وحالما سمع جيوفري دي فيلهاردين الذي كان يقوم بالحراسة عند إحدى بوابات المدينة بهذه الكارثة ترك المعسكر بأسرع ما يمكن مع كل الرجال الذين كانوا معه ، وأرسل رسالة الى مانا سيردي ايل ، الذي كان يقوم بالحراسة عند بوابة أخرى يطلب منه أن يتبعه وركب المارشال بكل سرعته على رأس كتيبة ليواجه الهاربين ، الذين تحشدوا حوله عندما رأوه ، وجاء ماناسيردي ايل بأسرع ما استطاع للانضمام اليهم حيث انهم شكلا معا جيشا أقوى بكثير ، حيث أن كل الذين خرجوا هاربين من الميدان والذين تمكنوا من ايقافهم أعيدوا الى الصفوف.

وفيما بين الساعة الثالثة والسادسة كان الاضطراب قد سكن ، ولكن معظم الهاربين كانوا في ذعر لدرجة أنهم هربوا مارين بقوات فيلهاردين ليجدوا ملاذا بين الخيام والسرادقات ، وهكذا كانت نهاية التراجع وتوقف الوالاشيون والروم أمام كتائبنا التي ارهقوها بشكل مستمر بالغارات ، وبعرض مستمر من الرشق بالاقواس والسهام ، وعلى أي حال وقف رجالنا بلا حراك ووجوههم متجهة

نحو العدو ، وبقي الجانبان كذلك حتى سقط الليل حيث بدأ الكومان والوالاشيون في الاستراحة.

وارسل جيوفري دي فيلهاردين مارشال شامبين ورومانيا رسالة الى المعسكر يطلب من الدوج ، الذي رغم سنه وعماه كان حكيما جدا وشجاعا ومليئا بالطاقة ، ان يأتي الى السهل حيث كان هو نفسه يتمركز مع كتيبته ، وفعل الدوج كما طلب منه وحالما رآه المارشال اخذه جانبا ليتشاور معه على انفراد.

وقال له :« سيدي انك ترى أي كارثة عانيناها ، لقد فقدنا لامبراطور بلدوين والكونت لويس اضافة الى اغلب رجالنا وبعضا من افضلهم أيضا ويجب ان نفكر الآن كيف ننقذ من بقي لأن الرب ان لم يرحمهم فاننا سنكون في حكم المفقودين ».

وفي النهاية قررا ان يعود الدوج الى المعسكر لانعاش قلوب القوات ، واعطاء كل رجل الاوامر بان يرتدي درعه وان يبقى هادئا في خيمته أو سرادقه ، وفي هذه الاثناء يبقى المارشال خارج المعسكر مع قواته في نظام القتال حتى يحل الظلام حتى لايراهم العدو وهم يغادرون ، ثم عندما يكتمل الظلام يتحرك الجيش كله من موقعه امام المدينة ويذهب دوج البندقية أولا ، ويشكل المارشال مع رجاله قوات المؤخرة .

وانتظر الجيش حتى حل الليل حيث غادر دوج البندقية المعسكر كما سبق ترتيبه في حين اخرج جيوفري دي فيلهاردين المؤخرة ، وانطلقوا في خطوة السير مع كل القوات بالنسبة للمشاة وللخيل ، ومعهم الجرحى الى جانب من لم يصب . ولم يترك منهم احدا ، واخذوا طريقهم نحو رود ستو، وهي مدينة على الساحل على مسيرة ثلاثة ايام من ادرنة وهكذا خلفوا تلك المدينة خلفهم ومضوا في طريقهم ، وحدث كل هذا في السنة ١٢٠٥ لتجسيد ربنا .

وخلال الليلة التي غادر فيها الجيش ادرنة حدث ان احدى

الكتائب انفصلت عن البقية ، على أمل الوصول الى القسطنطينية في وقت ابكر بأخذ طريق اكثر استقامة ، ويمكنني القول بان مثل هذا السلوك لقي رفضا عاما وكان في هذه الكتيبة احد كونتات لومبارديا الذي جاء من مقاطعات المركيز دي مونتفرات ، وذهب معه يودس دي هام .الذي كان اميرا لحصن بهذا الاسم في فيرماندواز ونحو خمسة وعشرين فارسا لم تعط اسماؤهم هنا ٠

ومضوا بسرعة كبيرة بعد هزيمة قواتنا ، التي حدثت مساء الخميس ، حتى انهم بحلول ليلة السبت التالي وصلوا الى القسطنطينية ، مع أنه في الظروف العادية كانت الرحلة تتم في خمسة أيام كاملة واخبروا بانباءهم كاردينال بيترو كابوا الذي كان هناك كموفد رسمي من البابا في روما ، وكذلك راهب دي بيتوم الذي كان يحرس المدينه ، وميلون لوبر يبانت والرجال القادة الاخرين ، وفزع الجميع فزعا عظيما بسماع انباء الكارثة واعتقدوا يقينا ان كل الاخرين الذين تركهم هؤلاء الرجال امام ادرنة قد فقدوا ، اذ انهم لم يتلقوا اي انباء عنهم

وفي الوقت الراهن لن نتحدث اكثر عن الناس في القسطنطينية الذين كانوا الان في كرب عظيم ، بل نعود الى دوج البندقية والمارشال جيوفري ، فقد ركب هؤلاء خلال الليلة التي غادروا فيها ادرنة حتى فجر اليوم التالي ، حتى وصلوا الى مدينة بامفيل ، والان انصتوا وستسمعون كيف ان الاحداث كلها تترتب بمشيئة الرب ، ففي تلك المدينة بالذات امضى بيير دي براسيو وباين دى اورليانز الليلة مع كل الرجال من مقاطعات الكونت لويس ، وكانوا نحو مائة من الفرسان الجيدين الاقوياء ، ومائة واربعين من السرجندية الخيالة ، وكانوا قد وصلوا من الجانب الاخر من المضيق في طريقهم للانضمام الى الجيش في ادرنة ، وفي اللحظة التي شاهدوا فيها قواتنا تتقدم اسرعوا الى السلاح ، إذ ظنوا أننا من الروم ، وحالما تسلح القادمون الجدد ارسلوا الكشافين ليعرفوا من نكون ، واكتشف هؤلاء اننا من شعبهم ، واننا نتراجع بعد

الهزيمة ، وهكذا عاد المستطلعون ليخبروا اصدقاءنا بان الامبراطور بلدوين قد فقد وان الكونت لويس الذي جاءوا من اراضيه والذي كان قائدهم قد قتل في المعركة .

ولايمكن ان تكون قد وصلتهم مطلقا انباء اكثر حزنا،وانهمرت دموع كثيرة ، والتوت اياد كثيرة في حزن وكرب ، وركبت كل المجموعة منطلقة وكلها مسلحة حتى وصلوا الى حيث كان المارشال جيوفري يقوم بحراسة المؤخرة ، وكان القلق قد غلبه لان الملك جوهانيتزا قد وصل عند الفجر امام ادرنة مع كل جيشه ، وعندما وجد أننا رحلنا ركب وراءنا ، ولحسن الحظ جدا انه لم يكتشف أين كنا ولو انه لحق بنا لما كان هناك مفر من ضياعنا .

وخاطب بييردي براسيو وباين دي اورليانز المارشال قائلين : سيدي المارشال قل ماذا تريد أن نفعل وسنقوم به ، واجابهما المارشال قائلا يمكنكما ان تريا في اي حالة نحن ، انكما مرتاحان وكذلك خيولكما ، لذا يمكنكما حراسة المؤخرة ، بينما أمضي لكي ابقى مسيطرا على الرجال ، انهم فزعون وقد فقدوا صوابهم من الخوف ، وهم في حاجة ماسة لكلمة تشجيع ، ووافق الرجلان بسرعة على فعل ماطلب ، وهكذا مضيا الى المؤخرة ، ولكونهما ومن معهما فرسانا جيدين وشرفاء ادوا واجباتهم بكفاءة وضمير عاليين جدا كرجال عرفوا جيدا ان مثل هذه الامور يجب فعلها ٠

وركب المارشال جيوفري في الامام ، وقاد الجيش الى مدينة تدعى كاريوبولس ، وعندما رأى ان الخيول منهكة بعد السير طول الليل دخل المدينة ووضع الخيول في الاسطبل حتى الظهر ، وعمل الرجال في إطعام خيولهم ، ثم أعدوا وجبة لأنفسهم مما وجدوه من طعام وكان قليلا جداً ومكثوا في كاريوبولس كامل ذلك اليوم حتى حلول الليل ، ثم بما ان جوهانيتزا كان يتبعهم طول النهار على طول الطريق الذي سلكوه ، وكان الان معسكرا على بعد فرسخين منهم ، تسلحت كل القوات وغادروها عندما حل الظلام ، وقاد المارشال

جيوفري طليعة الجيش ، في حين ان اولئك الذي عملوا كحرس للمؤخرة اثناء النهار تشكلوا خلف الجيش ، وركبوا طوال الليل وكامل اليوم التالي ، وقد أزعجهم الخوف وأنهكهم المجهود الذي بذلوه حتى وصلوا في النهاية الى رودوستو ، وهي مدينة مزدهرة قوية التحصين يسكنها الروم ، وعلى اي حال لم يحاول هؤلاء الناس الدفاع عن انفسهم وهكذا دخلت قواتنا واخذت مراكز هناك ، وأخيرا اصبحت في امان وبهروبهم هكذا بعد هزيمتهم في ادرنة اجتمع قادة الجيش في مؤتمر في رودوستو وكان الرأي العام في الاجتماع انه كان لديهم سبب اكبر للخوف على اصدقائهم في القسطنطينية منه على انفسهم ، وعليه فقد اختاروا رسلا يمكن الاعتماد عليهم وارسلوهم بطريق البحر مع اوامر بالسفر ليلا ونهارا دون توقف ليخبروا جماعتهم في المدينة بان لايقلقوا عليهم إذ أنهم هربوا ، وليؤكدوا لهم بأن القوات الموجودة الان في رودوستو ستعود لتنضم اليهم في القسطنطينية باسرع مايمكنهم .

وفي الوقت نفسه الذي وصل فيه هؤلاء الرسل الى القسطنطينية كان هناك خمس سفن جميلة عظيمة من اسطول البندقية في الميناء هناك مع حشد من الحجاج والسرجندية على ظهورها ، وكانوا يغادرون تلك الارض للعودة الى بلادهم .

وكان هناك على الاقل سبعة الاف رجل مسلح في هذه السفن وكان غوليوم المحامي عن بيتوم هناك مع بلدوين دي اوبني وجين دي فيرسان الذي جاء من مقاطعات الكونت لويس وكان تابعا له والى جانب هؤلاء كانماينوف على مائة فارس لن اذكرهم بالاسم .

وذهب نيافة الكاردينال ممثل البابا انوسنت بيترودي كابوا وراهب دي بيتوم الذي كان يتولى امر القسطنطينية وميلون دي بريبانت مع عدد من الرجال الاخرين من ذوي المنزلة في وفد الى السفن الخمسة وبالدموع في عيونهم توسلوا للرجال على ظهورها ان يشفقوا على رفاقهم المسيحيين وعلى امرائهم ايضا الذين ماتوا في

المعركة وان يبقوا هناك على حب الرب ، ومع ذلك فقد اعارهم الرجال الذين على ظهور السفن اذانا صماء لتوسلاتهم ، وغادروا الميناء ونشرت السفن اشرعتها ومضى هؤلاء الرجال في طريقهم ليصلوا كما قدر الرب حيث حملتهم الرياح الى ميناء رودوستو وحدث هذا في اليوم التالي لذلك اليوم الذي وصل فيه الرجال الذين نجوا من هزيمتهم في ادرنة الى هذا المكان .

ووجهت التوسلات نفسها التي رافقتها الدموع التي وجهت الى هؤلاء الرجال في القسطنطينية ، وحياهم الان في رودوستو المارشال جيوفري ، وتوسل اليهم اولئك الذين كانوا معه ان يشفقوا على الامبراطورية ، وان يبقوا هناك لانهم لن يستطيعوا مطلقا تقديم المساعدة الى اي ارض تحتاج اليها بالحاح اكثر من ارضنا ، وأجاب الرجال بانهم سيفكرون في الامر وان يعطوا الاخرين جوابهم في اليوم التالي .

وهنا دعوني اخبركم بحادثة جرت في رودوستو خلال الليل ، لقد كان في مجموعتنا فارس من مقاطعات الكونت لويس يدعى بيير دى فروفيل ، الذي حظي بشرف انه رجل جيد الشخصية والسمعة ، ومع ذلك فقد تسلل هربا في الليل تاركا امتعته وراءه ، وصعد الى ظهر السفينة التي كان يقودها جين دي فيرسان الذي كان ايضا تابعا للكونت لويس ، ونشر اولئك الرجال الذين كانوا على ظهر السفن ، والذين كان يفترض أنهم سيعطون جوابهم لجيوفري دي فيلهاردين ودوج البندقية في الصباح،اشرعتهم حالما رأوا ان فجر اليوم بدأ يبزغ ، ومضوا دون كلمة لأي انسان ، وقد انتقدوا بشدة لسلوكهم هذا سواء في الارض التي ذهبوا اليها ، أو الارض التي غادروها ، واكثر النقد كان لبييردي فروفيل ، حيث انه كما يقول عقلاء الناس : ان الرجل يأتي بشيء احمق عندما يرتكب من خلال خوفه من الموت عملا يكون عارا يلام عليه الى الابد .

الفصل السابع عشر

قيام وصاية على العرش

نيسان ـ حزيران ـ ١٢٠٥

عند هذه النقطة سأحول انتباهي إلى مكان آخر ، وبترك الجيش في رودوستو سـأخبركم بشيء أكثر عن هنري أخي الامبراطور بلدوين ، وكان في هذا الوقت قد غادر ادراميتيوم مسرعا نحو أدرنه ليذهب لمعاونة أخيه الامبراطور ، وعبر المضيق مع مجموعة كبيرة من أولئك الأرمن الذين ساعدوه ضد الروم . وكانوا في مجموعهم حوالي عشرين ألفا بما في ذلك زوجاتهم وأطفالهم . الذين لم يجرؤوا على البقاء بعدهم ٠

وفي طريقه إلى أدرنه علم من بعض الروم الموثوقين ممن هربوا من المعركة التي هزم فيها جيشنا أن أخاه الامبراطور بلدوين مفقود ، وأن الكونت لويس وكثير من البارونات الآخرين قد قتلوا ، وفيما بعد تلقى أخبارا من أولئك الذين هربوا وكانوا في رودوستو ، مع طلب بأن يسرع بالانضمام اليهم بأسرع ما يستطيع ، وحيث أنه كان متلهفا على أن يصل اليهم بأسرع ما يمكن ترك الأرمن والذين كانوا يسافرون على الأقدام مع أمتعتهم وعرباتهم وزوجاتهم وأطفالهم ليتابعوا سيرهم خلفه ، وحيث أنهم لم يستطيعوا مواكبة رجاله ، ولأنه اعتقد أنه يمكن أن يسافروا في أمان ودون خوف من أي خطر ، مضى قبلهم وعسكر في قرية تدعى كورتوكوبولس ٠

وفي ذلك اليوم نفسه انضم اليه انسودي كورسل أحد أبناء أخي جيوفري دي فيلهاردين الذين استدعاهم المارشال من ذلك الجزء من الامبراطورية الذي تقع فيه ماكري اترجانوبولس ودير بيرا والذي

أعطي لانسوا كممتلكات خاصة ، وجاء معهم عدد من الرجـال مـن فيليبوبولس ممن تخلوا عن رينييه دي تريت

وضمت المجموعة حوالي مائة من الفرسان الجيدين وخمسمائه من السرجندية الخيالة ، وكانوا جميعا في طريقهم إلى أدرنه لمساعدة الامبراطور بلدوين ، ولكن الأنباء وقد ، بلغتهم كما بلغت الآخـرين عن هزيمة الامبراطور ، فانهم تحولوا في اتجاه رودوستو ، وهـكذا جاءوا ليعسكروا في كورتوكوبولس القرية نفسها حيث نصـب هنري أخو الامبراطور خيامه .

وعندما رآهم هنري ورجاله يقتربون هبوا إلى أسلحتهم ظنا منهـم بأنهم من الروم ، وظن الآخرون من جـانبهم الشيء نفسـه فيهـم ، وتقدم كلا الطرفين حتى أصـبحوا قـريبين بـدرجة كافية ليعـرفوا بعضهم بعضا ، ثـم تبـادلوا التحيات بسرور وشـعر كل منهـم بالاطمئنان أكثر ، وعليه فإنهم عسكروا معـا في القـرية تلك الليلة ، وفي اليوم التالي انطلق الجميع مرة أخرى ، وركبوا مبـاشرة نحـو رودوستو التي وصلوها في ذلك المساء ، وهناك وجـدوا دوج البندقية مع المارشال جيوفري ، وكل الآخـرين الذين هـربوا مـن الكارثـة الأخيرة ، وحيا هؤلاء القادمين الجدد بحرارة كبيرة ، ولكن دمـوعا كثيرة انهمرت حزنا على موت أصدقائهم ، واأسـفاه وأي أسى ، إن عودة اتحاد القوات لم يتم في أدرنه عندمـا كان الامبـراطور بلدوين فيها ، لأنه في تلك الحالة لم يكن ليضيع شيء ، ولكن هذا لم يكن مـا يريده الرب .

وامضت المجموعة كلهـا اليومين التـاليين معـا في رودوسـتو ، وخلال هذا الوقت رأوا الحالة ، وقرروا ما يجب عمله ، وبين أشياء أخرى قبلوا بأن يكون هنري أخو الامبراطور بلدوين أميرا عليهـم ، وجعلوه وصيا على عرش الامبرطورية ليتابع تسيير الأمور في مكان أخيه ، وفي الوقت نفسه لحقت بالأرمن الذين كانوا يتبعون هنري دي فلاندز بهم كارثة فقد تجمع الناس في تلك الأجزاء معا وتغلبوا عليهم

حتى أنهم جميعا كانوا إما أسرى أو قتلوا مباشرة ، وفي هذه الأثناء تمكن الملك جوهانيتزا الذي كان في الأرض مع كل قواته من احتلال هذه الأرض بالكامل تقريبا وجاء إليه الناس من كل مكان في الريف والمدن والحصون ، واجتاح رجاله من الكومان كل الاراضي حتى أبواب القسطنطينية واجتمع الوصي على العرش ودوج البندقية والمارشال الذين كانوا ما يزالون في رودوستو التي تقع على مسيرة ثلاثة أيام من العاصمة في مؤتمر .

وكنتيجة أقام دوج البندقية حامية من رجاله في رودوستو ، التي كانت تابعة للبنادقة ، وفي اليوم التالي اجتمعت كل القوات في كتائبها وركبوا على مراحل تدريجية إلى القسطنطينية .

وعندما وصلوا إلى سيلمبريا وهي مدينة كانت على مسيرة يومين من العاصمة ، وكانت تابعة للامبراطور بلدوين أقام هنري دي فلاندرز فيها حامية من قواته ، ثم ركب مع بقية الرجال إلى القسطنطينية وهناك تم الترحيب بهم بحرارة لأن الناس في المدينة كان يشلهم الخوف ، ولكن مايثير العجب أننا فقدنا هذا القدر من الامبراطورية حتى أنه خارج القسطنطينية فإن رودوستو وسيلمبريا ، فقط هما اللتان بقيتا تحت أيدينا ، وكانت بقية الأرض في يدي الملك جوها نيتزا ، وعلاوة على ذلك كان عبر المضيق حصن سبيغا فقط هو الذي تحت سيطرتنا ، وبصرف النظر عن هذا فإن كامل الأراضي كانت تحت يد تيودور لاسكاريس ، وقرر البارونات الآن أن يرسلوا في طلب المساعدة من البابا أنوسنت في روما وفي فرنسا وفلاندرز ومن بلاد أخرى ، وكان المبعوثون المختارون لهذه المهمة هم نيفلون وأسقف سواسون خونيكولاس دي ميلي وجين بليو وبقي الباقون في القسطنطينية في كآبة ذهنية كرجال يخشون أنهم على وشك فقد أراضيهم ، وبقوا في هذه الحالة التعسة حتى أسبوع العنصرة ، وأثناء تلك الفترة كانوا في خسارة عظيمة من خلال موت أنريكو داندولو بسبب المرض ودفن بتشريف كبير في كنيسة سانت صوفيا ، وبحلول عيد العنصرة فعل الملك جوها نيتزا

تقريبا كل ما كان يريد فعله في الأرض ، ولكنه لم يتمكن بعد ذلك من جمع شمل الكومان فقد وجدوا استحالة في متابعة الحرب أثناء الجو الحار ، وعليه فقد عادوا إلى بلادهم ، وسار جوها نيتزا بجيشه المكون من روم وبلغار لمهاجمة المركيز دي مونتفرات في سالونيك ، وكان المركيز الذي سمع في هذا الوقت بهزيمة الامبراطور بلدوين فراودته فكرة رفع الحصار عن نوبليا وأخذ معه أكبر عدد أمكنه جمعه من الرجال ، وأسرع إلى سالونيك وأدارها بقوته . وسار هنري دي فلاندرز من جانبه بعد أن جمع من القوة بقدر ما استطاع أن يدبر لمهاجمة الروم في تكورلو ، التي كانت على مسيرة ثلاثة أيام من القسطنطينية ، واستسلمت المدينة ، وأقسم الروم قسم الولاء لهنري الوصي على العرش ، ولكن مثل هذا القسم في تلك الأيام كثيرا ما كان يساء الوفاء به ، وسار بعد ذلك إلى أركاد يوبولس ، التي وجدها مهجورة ، لأن الروم لم يجرؤوا على انتظار مجيئه ، وأكمل طريقه حتى وصل إلى بيرو ، وهي مدينة قوية كان فيها حامية جيدة ، واستسلم هذا المكان أيضا ، وركب بعد ذلك إلى أبروس ، وكان فيها أيضا حامية مساوية في القوة للدفاع عنها ، وبينما كانت المفاوضات تتقدم حقق رجالنا خرقا إلى داخل المدينة من جانب آخر ، وتم هذا دون علم الوصي على العرش والآخرون المعنيون في المفاوضات ، وجعلهم في غاية الضيق ، وبدأ الفرنسيون يذبحون الروم ويستولون على كل ماله قيمة في المدينة ويخطفون كل ما تصل إليه أيديهم ، وقتل العديد من الروم وأسر العديد ، وهكذا أخذت ابروس ، وبعد ذلك قضى الجيش ثلاثة أيام في المدينة ، وكان الروم اجمالا فزعين من هذه المذبحة التي لحقت بأبناء جلدتهم حتى أنهم هجروا كل المدن والحصون في الأرض وهربوا بحثا عن ملاذ في أدرنه وديموتيكا ، وكل منهما مدينة جميلة جدا ، وقوية التحصين ٠

وفي نحو هذا الوقت وصل ملك والاشيا وبلغاريا الذي كان يسير لمهاجمة المركيز دي مونتفرات بكل قواته إلى أمام مدينة سيريس ، وكان المركيز قد وضع حاميه قوية في تلك المدينة حيث كان هوغ دي كولين ، وهو فارس قدير وشجاع جدا من الطبقة الرفيعة ، يتولى

القيادة هناك يدعمـه غوليوم دي أرلر ، ومـارشال الماركيز ، وعدد كبير من أفضل رجاله ، وحاصرهم الملك جوها نيتزا في تلك المدينة ، ولم يمض عليه،وقت طويل جدا قبل أن يأخذ المدينة بهجوم عاصف . وخلال الاستيلاء عليها كان المدافعون عنها سيئي الحظ فقدوا هوغ دي كولين الذي لقى مصرعه بسبب جرح في العين .

وعندما قتل هذا الرجل الذي كان أفضلهم جميعا أنهـارت معنويات باقي الجماعة ، ولجأوا إلى القلعة التي كانت قوية التحصين ، وأعد جوها نيتزا آلاته لمهاجمة هذا الحصن وحـاصرهم هناك ولم يفعـل ذلك زمانا طويلا حتى بدأ الرجال بداخله يطلبون الشروط للتسليم ، وهو عمل كان له أن يلقي وصـمة عار على سـمعتهم فيمـا بعـد ، ووافقوا على تسليم القلعة لجوهانيتزا ، وقام هو من جانبه بجعـل خمسة وعشرين رجلا من أعلى طبقة في جيشه يقسمون لهـم بـأنهم سيعطون مرافقة آمنة مع خيولهم ، وكل معـداتهم إلى سـالونيك أو القسطنطينية أوهنغاريا ـ أيا من الثلاثة كانوا يفضلون ٠

وبهذه الشروط سلمت سيريس وأمر جـوها نيتـزا كل المدافعين عنها بالخروج والعسكرة بجانب الجيش في الحقول ، وفي البداية قدم عرضا من الصداقة تجاههم ، وحتى أرسل لهم الهدايا ولكن بعـد معاملتهم بهذه الطريقة مدة ثلاثة أيام تصرف بشكل مخـادع وأخـل بكل وعوده وأمر باعتقالهم وتجريدهم من كل ممتلكاتهم واقتـادوهم إلى والاشيا عراة حفاة سيرا على الأقدام ، وأما أولئك الذين كانوا فقراء أو من مولد منحط ، وعليه كانوا من غير ذوي الشأن ، فقـد أرسلوهم إلى هنغاريا ، أما بالنسبة للبقية فقد أمر بقطع أيديهـم ، وهكذا كانت خيانة الملك جوهانيتزا الشائنة التي أمـكنه ارتـكابها وعانى الجيش في تلك المناسبة واحدة من أعظم الكرب التي حلت بـه مطلقا ، وأمر جوها نيتزا بهدم كلتا المدينتين والقلعـة إلى الأرض ، وبعد هذا مضى في طريقه ليتعامل مع المركيز .

وركب هنري الوصي على عرش الامبـراطورية مـع كل قـواته إلى

أدرنه وحاصرها ، وبفعل ذلك وضع نفسه وجيشه في خطر عظيم لأن كثيرا جدا من الناس سواء ضمن المدينة أو خارجها طوقوه من كل الجوانب ، حتى أن رجاله كانوا نادرا ما يستطيعون مغادرة المعسكر لشراء المؤن أو يتمكنون من القيام سوى برعي قليل ، أو التزود بقليل من المؤن ، ولكنهم لكي يجعلوا أنفسهم أكثر أمنا أحاطوا معسكرهم بسياج وبوابات محصنة بقوة ، وأمروا قسما من رجالهم بالحراسة في الداخل ، في حين خرج الباقون لمهاجمة المدينة وبنوا أيضا آلات من مختلف الأنواع ، وأعدوا سلالم التسلق والأشياء الأخرى التي تفيد في الهجوم ، وباختصار وضعوا أنفسهم في قدر عظيم من المتاعب من أجل الاستيلاء على المدينة ولكنهم لم يستطيعوا أخذها لأن المكان كان قويا جدا ، ومحميا بوفرة بقوات للدفاع عنه ، وعلى العكس كان كل شيء ضدهم وجرح الكثير من رجالهم ، وضرب واحد من أفضل فرسانهم ، وهو بيير دي براسيو على جبهته بحجر من منجنيق ، وكاد يقتل على الفور ، ومع ذلك وبمشيئة الرب أفاق وحمل بعيدا على محفة .

وعندما رأى في النهاية أن كل جهودهم للاستيلاء على المدينة كانت غير مثمرة ، سحب الوصي على العرش قواته وغادرها ، وخلال تراجعهم كانوا يضايقون باستمرار من قبل الروم وأهل الأرض التي كانوا يمرون عبرها ، وركبوا يوما بعد يوم حتى وصلوا إلى بامفيل حيث وجدوا مراكز لهم ومكثوا مدة شهرين ، ومن هناك قاموا بغزوات كثيرة في اتجاه ديموتيكا والأماكن المحيطة الأخرى ، وحازوا بهذه الوسيلة على عدد عظيم من الماشية ومخزون جيد من الغنائم الأخرى ومكثوا في هذه الأجزاء حتى بداية الشتاء في حين كانت المؤن ترسل إليهم من رودوستو والأماكن الأخرى ، عبر الساحل .

الفصل الثامن عشر

الملك جوهانيتزا يخرب الامبراطورية

حزيران ١٢٠٥ ـ حزيران ١٢٠٦

وسأتحول للحظة من هنري الوصي على عرش الأمبراطورية الكلام بشكل أكثر خصوصية عن جوهانيتزا ملك والاشيا وبلغاريا الذي كما تعرفون قد استولى على سيريس ، ونقل بالخيانة أوائك الذين إستسلموا له . وسار بعد ذلك إلى سالونيك وأمضى وقتا طويلا في ذلك الجوار مخربا قسما كبيرا من الأرض ، وفي هذه الأثناء بقي المركيز دي مونتفرات في مدينته العاصمة وقد ملأه الأسى بسبب خسارة سيده الأمبراطور بلدوين والبارونات الذين ماتوا في أدرنة ، وكان في كآبة مريرة بسبب الاستيلاء على حصنه في سيريس وأسر رجاله .

وعندما رأى جوهانيتزا أنه قد فعل كل ما بإمكانه في سالونيك عاد أدراجه نحو بلاده آخذا جيشه معه ـ وسمع الروم في فيليبوبولس التي أعطاها الامبراطور لرنييردي تريت ـ كيف فقد الامبراطور بلدوين العديد من باروناته وكيف أخذ جوهانيتزا سيريس من المركيز ، وعرفوا أيضا أن أقارب رنيير دي ترتيت بما فيهم ابنه وابن أخيه قد تخلوا عنه وأنه لم يبق له سوى القليل من الناس ، وبالاعتقاد بناء عليه أن الفرنسيين لن تكون لديهم مرة أخرى اليد العليا ، ذهب عدد من الأهالي الذين كانوا ينتمون للطائفة البوليسية الى جوهانيتزا ليستسلموا له وقالوا : ياصاحب الجلالة • اركب الى فيليبوبولس أو ابعث جيشك وسنضع كامل المدينة بين يديك »•

وعندما سمع رنيير دي تريت ، الذي كان في فيليبيـوبولس بهـذا العرض ، كان خائفا جدا من أن يفعل هؤلاء الرجال كما قـالوا ، وعليه ففي ذات صباح عند الفجر غادر منزله ، ومع أكبـر عدد مـن شعبه توفر له ، ذهب إلى ضاحية للمدينة يسكنها البـوليسيين الذين استسلموا لجوهانيتزا ، وأشعل فيها النار حتى لقد احتـرق الكثير من هذا الحي ، ثم غادر فيليبوبولس وذهب إلى حصـن سـتينيماكا الذي كان على بعد ثلاثة فراسخ عن المدينة ، وكانت فيه حامية مـن رجاله ، وبقي هو وجماعته هناك زمانا طويلا جدا ، نحو ثلاثة عشر شهرا على وجه الاجمال في التخوم القريبة ، تحت ظروف بائسة وفي كرب نفسي عظيم . وفي عجز شديد في الطعام ، حتى أنه كان عليهـم أن يأكلوا خيولهـم ، وكان علاوة على ذلك على بعـد تسـعة فراسخ من القسطنطينية ، حتى أن أي تبادل في الأخبار بين الحصن والمدينة كان خـارج الموضـوع ، وبينمـا كان رنيير ورجـاله في ستينيماكا جاء الملك جوهانيتزا مع جيشه ليحاصر فيليبـوبولس ولم يمكث هناك طويلا جدا قبل أن استسلم الناس في المدينة له ، بعد أن وعد بأن يعفو عن أرواحهم ، ولكن على الرغم من هذا الضمان أعدم رئيس أساقفة المدينة أولا ، ثم أعطى الأوامر بسـلخ أناس معينين من ذوي المنزلة وهم أحياء ، وبقطع رأس آخرين واقتيد باقي أهـل المدينة بالسلاسل ، وبعد ذلك أمر بهدم كل أسوار وأبراج المدينة إلى الأرض ، وبحرق قصورها العظيمة ومنازلها الجميلة حتى أصـبحت رمادا ، وهكذا دمرت مدينة فيليبوبولس النبيلة ، وكانت هي واحـدة من أجمل ثلاث مدن في كل إمبراطورية القسطنطينية تماما .

بهذا انهى قصة فيليبوبولس واذا الترك بلايري تـريت سـجينا في ستينيماكا ، أعود الى هنري أخي الامبراطور بلدوين الذي بقـي في بافيل حتى بداية الشتاء وحالما حل الطقس البارد استشار رجـاله وباروناته ، الذين نصحوه بأن يضع حامية في مدينة روسيون التـي تقع في ناحية خصيبة جدا ، وكانت تشغل موقعا مركزيا في الأرض ، وكان الرجال الذين كلفوا بهذه الحامية ، تيتريش فـون لوس الذي عمل كحـاكم للمـدينة ، وتييري دي تيرمـوند الذي اعطـى قيادة

القوات . واعطاهم الوصي على العرش نحو مائة واربعين فارسا وكثيرا من الخيالة ، وامرهم بمتابعة الحرب ضد الروم وأن يقيموا الحراسة على النواحي النائية.

ونهب هو نفسه مع بقية رجاله الى بيرو وترك حامية من نحو مائة وعشرين وعددا جيدا من الخيالة في تلك المدينة ، مع اندسودي كايو في القيادة ، ووضعت حامية أخرى من البنادقة في مدينة أخرى هياركانيوبولس ، وفي الوقت نفسه اعاد الوصي على العرش ابروس لثيو دور براناس وهو رومي كان متزوجا من اخت ملك فرنسا وكان في الواقع الوحيد من مواطنيه الذي بقي في جانبنا ، واستمرت القوات في كل هذه المدن في شن الحرب ضد الروم ، وقاموا بغارات عديدة في اراضيهم وقام الروم من جانبهم بهجمات مفاجئة عليهم بالكثرة نفسها ، وكان هنري نفسه في هذا الوقت قد عاد الى القسطنطينية مع بقية رجاله.

وفي هذه الاثناء لم يبق الملك جوهانيترا مع انه الآن قوي جدا وسيدا على ممتلكات عظيمة كسولا بل اقام جيشا كبيرا من الكومان والوالا شيين وبعد عيد الميلاد بثلاثة اسابيع ارسل هؤلاء الرجال الى امبراطورية القسطنطينية لمساعدة الروم في ادرنة وديموتيكا وبعد وصول هذه التعزيزات ازدادت جرأة اعدائنا وشنوا غارات على قواتنا بثقة اكبر.

وقبل عيد قداس الشموع (في الثاني من شباط) بأربعة ايام خر . تييري دي موند قائد القوات في روسيون في غارة استطلاع ونهب وركب طول الليل وأخذ معه نحو مائة وعشرين فارسا وترك قليلا من الرجال لحراسة المدينة وبحلول الفجر وصلوا الى قرية حيث كانت تعسكر فرقة من الكومان والوالا شيين.

وأخذوهم تماما بالمفاجأة حتى أن أحدا من القوات التي في المكان لم يكن لديه أي فكرة عن مجيئهم ، وقتل الفرنسيون عددا كبيرا من

رجال جوهانيتزا ، واستولوا على نحو أربعين من خيولهم ، وبعد أن ألحقوا بالعدو مثل هذا الضرر تحولوا عائدين إلى روسيون .

وفي الليلة ذاتها التي خرج فيها جماعتنا في تلك الحملة زحف جيش كبير من الكومان والوالاشيين فيه نحو سبعة آلاف فرد خارجا بهدف الحاق بعض الأضرار بنا ، وفي الصباح وصل إلى أمام روسيون ومكث هناك وقتا طويلا ، وأقفلت الفرقة الصغيرة جدا من الرجال التي تركت لحراسة المدينة البوابات واعتلى أفرادها الأسوار ، وعندها استدار الكومان والوالاشيون وبدأوا في الانسحاب إنما لم يبتعدوا أكثر من فرسخ ونصف الفرسخ عن المدينة عندما قابلوا القوات الفرنسية التي بقيادة تيير دي تيرموند ، وحالما رأى هؤلاء فرق العدو تتقدم شكلوا أنفسهم في أربع فرق وقرروا الانسحاب نحو روسيون ولكن بأبطأ خطوة ممكنة مدركين أنه إذا أمكنهم بفضل الرب أن يصلوا إلى المدينة سيكونون في أمان ، وأقبل الكومان والوالاشيون مع الروم من أهل المنطقة نحوهم وهاجموهم بكل قوتهم وانقضوا على قوات المؤخرة وبدأوا هجومهم بوحشية شديدة ، وكانت هذه الفرقة مكونة من رجال يتبعون الحاكم ديريش فون لوس وكان قد عاد إلى القسطنطينية ، لهذا كان أخاه فيلان الآن يتولى القيادة وضغط عليهم العدو بشدة وجرح كثيرا من خيولهم . وانطلقت صيحات عالية وازدادت الجلبة عنفا ، حتى أن قوات المؤخرة في النهاية أنهكت وغلبت على أمرها بالتفوق العددي وأكرهت على الارتداد إلى الفرقة التي كان يقودها أندريه دي يوربواز وجين دي كوازي وهكذا تراجع الفرنسيون وهم يحاولون الحفاظ على مقاومة ثابتة ضد العدو لوقت طويل .

ثم جدد العدو هجومه بضراوة حتى أنهم دفعوا بالفرق التي سلف لها الاشتباك لترتد إلى الفرقة التي يقودها تييري دي تيرموند . ولم يمض وقت طويل أيضا قبل أن يدفعوا بهذه الفرقة حتى إلى مسافة أبعد لترتد إلى الفرقة التي يقودها شارل دي فرين ، أما الفرنسيون الذين كانوا مايزالون يقاتلون بعناد فإنهم تراجعوا الآن إلى حد أنه

بات بإمكانهم أن يروا أسوار روسيون التي تبعد فقط نصف فرسخ ، وضغط عليهم الأعداء أكثر فأكثر حتى أن الارجحية كانت بدرجة كبيرة ضدهم ، وجرح العديد من الرجال وكذلك من خيولهم ، وفي النهاية ، حيث أنها كانت مشيئة الرب بأن تحدث مثل هذه الكوارث ، لم يعد بإمكانهم أن يقاوموا أكثر وهزموا ، وبشكل رئيس لأن تسليحهم كان ثقيلا وتسليح خصومهم خفيفا ، ثم بدأ العدو بذبحهم

وا أسفاه أي يوم حزين للنصرانية ، فمن المائة وعشرين فارسا في المعركة لم ينصح سوى عشرة من أن يقتلوا أو يؤسروا ، أما القلائل الذين هربوا فقد عادوا مسرعين للانضمام من جديد إلى أصدقائهم في روسيون ، وكان بين القتلى تييري دي تيرموند وذلك الفارس الجيد أوري دي آيل الذي كان كل واحد قدره ، وكذلك أيضا جين دي بومبون ، وأندريه دي أوبيوس وجين دي كويزي ، وغي دي كونفلانس ، وشارل دي فرين ، وفيلان أخو ديتريس فون لوس. حاكم المدينة ، وليس هناك متسع في هذا الكتاب لاعطائكم أسماء كل من قتلوا أو أسروا ، وفي ذلك اليوم البالغ الحزن منينا بأقسى الخسائر وعانينا من إحدى أسوأ الكوارث التي عاناها شعب الأمبراطورية المسيحي على الاطلاق ، وكانت أكثرها جدارة بالرثاء أيضا ، أما الكومان والوالاشيون وقد الحقوا مثل هذا الضرر البالغ بأرضنا كما أرادوا أن يفعلوا ، فإنهم قد انسحبوا الآن كل واحد إلى بلده ، وقد حدثت هذه الكارثة لجيشنا في اليوم الذي سلف على ليلة قداس الشموع ، وتسلل الرجال الذين فروا بعد هزيمتهم مع الذين كانوا في روسيون خارجين من المدينة حالما حل الظلام ، وهربوا خلال الليل ليصلوا في صباح اليوم التالي إلى رودستو .

وبلغت الأخبار الحزينة لهذه الهزيمة هنري الوصي على عرش الأمبراطورية وهو خارج في موكب إلى ضريح سيدة بلاشرين في عيد قداس الشموع ، وقد سببت جزعا عظيما في المدينة التي كانت مقتنعة الآن بأن امبراطورية القسطنطينية قد ضاعت .

ووجد الوصي أن من الحكمة أن يضع حامية في سيلمبريا وهي على مسيرة يومين من القسطنطينية ، لذلك أرسل ماكائيردي سانت مينهولد مع مجموعة من خمسين فارسا ليقوموا على حراسة المدينة ٠

وكان الملك جوهانيتزا من جانبه مبتهجا عندما سمع أخبار كيف أن جماعته قد نجحوا ، وأكثر لأنهم قتلوا قسما عظيما جدا من أفضل الرجال في الجيش الفرنسي ، لهذا أرسل الدعوات في كل أرضه تدعو أكبر عدد من الرجال يمكن جمعه معا ، وبعد أن أنشأ جيشا عظيما من الكومان والروم والوالاشيين غزا الأمبراطورية ، وانحاز معظم الناس في المدن والحصون إلى صفه ، حتى أنه في النهاية أصبح يملك من القوة بحيث فاق كل اعتقاد .

وعندما سمع البنادقة أنه قادم بقوة كبيرة هجروا أركاديوبولس ، وتقدم جوهانيتزا بكل قواته حتى بلغ ابروس ، التي كانت محمية من قبل الروم واللاتين ، وكانت تابعة لبراناس الذي كما تعرفون قد تزوج أخت ملك فرنسا ، وكان الرجل الرئيس بين اللاتين هوبيغ دي فرانسور وهو فارس من بلاد بوفيزيز .

وشن ملك والاشيا هجوما عاصفا على المدينة واجتاحها ، وكان عدد السكان الذين نبحوا عظيما جدا ، حتى أنه يجل عن الوصف ، وأحضر بيغ فرانسور أمام جوهانيتزا الذي أمر بقتله على الفور مع كل الروم واللاتين ، الذين كانوا من نوي المكانة أيا كانت ، أما كل الناس الذين من أصل وضيع وكانوا لاشأن لهم مع كل النساء ، والأطفال فقد أخذوا بناء على أوامره إلى والاشيا ، وبعد ذلك أمر بالمدينة بكاملها – وهي مدينة جميلة جدا ومزدهرة وفي جزء خصب جدا من البلاد – أن تدمر حتى الأرض ، وهكذا تم تنفيذ خراب ابروس .

وعلى بعد إثني عشر فرسخا على الساحل تقع رودستو وهي

مدينة كبيرة جدا وغنية وقوية التحصين ومحمية بشكل جيد من قبل البنادقة ، وإلى جانب كل هذا كان جيشا من السرجندية مؤلفا من نحو ألفي خيال ، قد وصل حديثا للمساعدة في حراسة المدينة ، وعندما سمع هؤلاء الرجال بأن أبروس قد أخذت بالقوة وأن جوهانيتزا قد قتل كل أهل المدينة غلبهم الخوف ، حتى أنهم تخلوا عن القتال قبل أن يبدأ ، وبما أن الرب يسمح بأن تنزل مثل هذه البلية بالرجال اندفع البنادقة شذرا مذرا إلى ظهور سفنهم وكل منهم يحاول أن يسبق الآخرين ، وبفوضى حتى كادوا أن يغرق الواحد منهم الآخر ، وهرب السرجندية الخيالة الذين جاءوا من فرنسا وفلاندرز والبلاد الأخرى بطريق البر .

اي كارثة في الواقع إنها واحدة لم يكن هناك حاجة مطلقا لأن تحدث ، لقد كانت المدينة قوية التحصين ومحاطة تماما بأسوار قوية وأبراج لم يكن لأحد على الاطلاق أن يغامر بمهاجمتها ، ولم يكن جوهانيتزا قد فكر مطلقا في أن يوجه جيشه في هذا الطريق ، ولكن حالما سمع هذا الملك الذي كان في حينه على بعد مسيرة نصف يوم من رودوستو ، أن حاميتها قد هربت تقدم نحو المدينة ، وسلم الروم الذين بقوا هناك : المكان له فأمر بأسرهم على الفور أيا كانت منزلتهم ، واقتادهم الى والاشيا ، إلا القليل الذي هرب ، ثم امر بتدمير المدينة حتى الأرض ، آه أي مأساة مروعة لأن رودستو كانت واحدة من أجمل المدن وأفضلها عمرانا في الامبراطورية .

وكانت هناك مدينة أخرى ليست بعيدة عن رودستو تدعى بيندور وقد سلمت هذه أيضا لجوهانيتزا ، وقد أمر بتدميرها نهائيا واقتيد سكانها أسرى الى والاشيا مثل مدينة رودستو ومن هناك ركب الى هيركليا وهي مدينة على الساحل كانت تابعة للبنادقة وكان لها ميناء جيد جدا ومع ذلك كان البنادقة قد تركوها مع حامية ضعيفة جدا فقط ، وعلى هذا أخذها جوهانيتزا بالقوة ، وهناك أيضا أعقب مذبحة عامة ، وأخذ الذين نجوا بحياتهم الى والاشيا في حين دمرت المدينة كما حدث للأخريات .

ومن هناك سار جوهانيتزا الى داأونيوم وكانت هذه مدينة جميلة جدا وجيدة التحصين ، ولكن أهلها لم يجرؤوا على الدفاع عنهـا ، وهكذا دمرت بعد أن استسلمت ، حتى الأرض ، ثم مضى الى تـكرلو التي سلمت له من قبل ، وأمر رجاله بتحويل المدينة الى خرائب وأخذ الناس أسرى ، وكان كلما سلمت له حصون أو مـدن تعـامل معهـا بالطريقة نفسها ، حتى ولو كان قد وعد أهلها بـالامان وأمـر بـكل واحد من هذه الامـكنة فـدمر ، واقتيد كل الرجـال والنسـاء الى الأسر ، وباختصار لم يحافظ على أي ميثاق أبرمه .

وقبل مضي وقت طويل اجتاح الكومان والوالاشيون الأرض حتى أبواب القسطنطينية ، حيث كان الوصي على العرش مع أكبر عدد من الرجال الذين كانوا تحت قيادته يقيمون في حينه ، وكان يشعر بحزن شديد وقلق بالغ لكونه غير قادر على تـأمين عدد كاف مـن الرجـال للدفاع عن أرضه ، وبسـبب ذلك كان الكومـان يسـتولون على كل الماشية في الريف ، ويأخـذون الرجـال والنسـاء والأطفـال حيث يجدونهم ، ويدمرون الحصون والمدن التي يمرون بها وهم يحـدثون مثل هذا الخراب في كل مكان ، الخراب الذي لم يسمع أن أحدا أخبر بشيء يفوقه .

وفي النهاية وحتى نصف قطر يعـادل مسـيرة خمسـة أيام مـن القسطنطينية لم يبق شيء لم يدمر ، سوى مـدينتي بيزو وسـلمبريا التي كانت محمية من قبل الفرنسيين وكان انسو دي كايو في بيزو مع مائة وعشرين فارسا ، وكان ماكائير دي سانت مينهولد مع خمسين فـارسا في سـيلمبريا ، وكان هنري أخـو الامبـراطور بلدوين في القسطنطينية مع باقي القوات مع مدينتين فقط خارج القسـطنطينية بقيتا في أيديهم ، وأكاد ألا أكون محتاجا لأن أقول لكم بأن حـظوظ الفرنسيين كانت في أدنى أحوالها .

وفي مناسبة واحدة اجتمعوا أمام أثيرا وهي مدينة تبعد نحو اثني عشر فرسخا عن القسطنطينية ، وكان هنري قد أعطاها لبـايين دي

اوليانز ، وكان هذا المكان يضم عددا كبيرا جدا من الناس لان أهل الريف من المناطق المحيطة قد لجأوا اليها ، وهاجمها الكومان واخذوها بالقوة وهنا كانت المذبحة كبيرة حتى إنه لم يوجد ما يفوقها في المدن التي تقدم حدوثها فيها ، وخلال هذا الوقت كما قلت قبلاً دمر كل حصن أو مدينة سلمت لجوهانيتزا بوعد الامان حتى الارض واقتيد أهله أسرى الى والاشيا .

وعندما رأى الروم الذين كانوا في جيش جوهانيتزا - أو كما يقال الذين استسلموا له وثاروا ضد الفرنجة - كيف دمر مدنهم وقلاعهم وخرق كل وعد قطعه لهم ، شعروا بأنهم كانوا ضحية الخيانة وأنهم استسلموا للضياع ، وبعد مناقشة الامور فيما بينهم توصلوا الى نتيجة أنه حالما يعود جوهانيتزا الى أدرنة وديموتيكا فانه سيتعامل معهم كما تعامل مع الاماكن الاخرى ، واذا أزيلت هاتان المدينتان فان الامبراطورية ستكون بالنسبة لهم قد فقدت الى الابد . وهكذا اختاروا رسلا سرا ، وأرسلوهم الى ابن جلدتهم براناس في القسطنطينية يتوسلون اليه ان يدافع عن قضيتهم عند هنري أخي الامبراطور ، ومع البنادقة حتى يساعدوهم وهم بدورهم سيعيدون أدرنه وديموتيكا الفرنجة وسيعطون دعمهم الكامل للوصي على العرش حتى يمكن للروم والفرنجة أن يعيشوا معا كأصدقاء ٠

وبالتالي جرى عقد مؤتمر في القسطنطينية وجرى فيه جدل كثير سواء مع الاقتراح أو ضده ، ولكن في النهاية تمت التسوية على أن أدرنة وديموتيكا مع كل الأراضي التابعة لهما يجب أن تمنح لبراناس وزوجته ، وأن براناس يجب أن يخدمهم لصالح الامبراطور والامبراطورية ، ووضع مشروع اتفاقية بهذا المعنى وقعها كلا الطرفين وهكذا عاد توطيد السلام بين الروم والفرنجة ٠

أما الملك جوهانيتزا الذي أمضى وقتا طويلا في الامبراطورية مخربا البلاد خلال كامل فترة الصوم الكبير ، ولفترة طويلة بعد عيد

الفصح فقد تحول الآن نحو أدرنة وبيموتيكا ، وهو يذوي التعامل مع هاتين المدينتين كما فعل مع المدن الاخرى في البلاد ، وحالما رأى الروم الذين كانوا معه أنه كان يتحرك نحو أدرنة بدأوا يتسللون هاربين في الليل والنهار في عشرين أو ثلاثين واربعين أو مائة في كل مرة ٠

وعندما وصل جوهانيتزا أمام أدرنة دعا الناس ليدعوه يدخل كما فعل في كل مكان آخر ، فأخبروه بأنهم لن يدعوه يفعل ذلك ووجهوا له القول التالي : سيدي عندما وضعنا أنفسنا بين يديك أقسمت أن تحمينا باخلاص وأن تحافظ على سلامتنا ، ومع ذلك لم تفعل هذا بل ضربت امبراطوريتنا ، ونحن نعرف جيدا أنك ستتعامل معنا كما فعلت مع أبناء جلدتنا ، وعندما سمع جوهانيتزا هذا مضى فأحكم الحصار على بيموتيكا ونصب ست عشرة عرادة كبيرة حول المدينة وبدأ في بناء آلات من كل نوع لاستعمالها في الهجوم ، ثم بدأ في تخريب كل الريف المحيط ، وأرسل أهل أدرنة وبيموتيكا رسلا الى القسطنطينية مع تعليمات بالتوسل للوصي على العرش وبراناس باسم الرب ليأتوا لاغاثة بيموتيكا التي حوصرت ، وعند استلام هذه الرسالة عقد جماعتنا في القسطنطينية مؤتمرا لتقرير أي عمل يقومون به لاغاثة المدينة ، ولم يجرؤ كثير من الحاضرين على النصح بارسال أي قوات خارج القسطنطينية ، وبذلك يعرضون أرواح المسيحيين القلائل الباقين للخطر ، ومهما يكن من أمر تقرر في النهاية أن يسير الجيش الى خارج القسطنطينية ويمضي الى سيلمبريا ، ووعظ الكاردينال الذي عينه البابا كممثل له في القسطنطينية القوات ووعد بغفران كامل لكل من يذهب في فترة هذه الحملة ويواجه الموت في المعركة ، وهكذا سار هنري خارج المدينة بكل الرجال الذين تحت تصرفه وركب معهم الى سيلمبريا حيث عسكر خارج المدينة وبقي هناك مدة أسبوع ، وكانت الرسل تأتيه من أدرنه كل يوم تتوسل اليه ان يشفق على شعبها وأن يأتي لاغاثتهم لانه اذا أخفق في ذلك فانهم ومدينتهم سيضيعون .

وبعد استشارة باروناته قرر هنري بناء على نصيحتهم أن يتحرك الى بيزو التي كانت مدينة جميلة جدا وجيدة التحصين ، ووفق هذه الخطة سار الجيش الى هناك ونصب خيامه خارج الاسوار عشية عيد القديس يوحنا المعمدان في حزيران ، وفي اليوم نفسه الذي عسكروا فيه وصل الرسل من أدرنة ليتحدثوا مع الوصي على العرش قائلين : سيدي هكذا لقد جئنا لنخبرك بأنك إن لم تسعف ديموتيكا فإنها لا يمكن أن تصمد أكثر من أسبوع لأن عرادات جوهانيتزا قد خرقت دفاعاتنا في أربعة أماكن ، وقد وصل رجاله مرتين الى الاسوار ، وسأل هنري رجاله ماذا يجب أن يفعل ، وجرى قدر كبير من الجدل حول الموضوع ولكنهم في النهاية قالوا : حيث أننا جئنا الى هذا المدى يا سيدي فإنه سيكون عارا أبديا لنا أن لا نذهب ونغيث ديموتيكا لهذا فاننا نطلب من كل واحد أن يقوم بالاعتراف وأن يأخذ المناولة ، وعند ذلك نضع القوات في ترتيب التعبئة ، وحسبوا أن لديهم في الاجمال نحو أربعمائة فارس وليس أكثر ، وعليه فقط أرسلوا في طلب الرسل القادمين من أدرنة واستعلموا منهم عن عدد الرجال الذين كانوا في جيش جوهانيتزا ، وأجاب الرسل بأن لديه نحو أربعين ألف رجل مسلح دون احصاء المشاة الذين كان عددهم غير معروف ، لقد كانت في الحقيقة معركة خطرة أن يتولاها مثل هذا العدد القليل ضد مثل هذا العدد الكبير جدا .

وفي صباح عيد القديس يوحنا المعمدان قدم كل واحد اعترافه وتلقى المناولة ، وساروا قدما في اليوم التالي ، وقاد جيوفري دي فيلهاردين مارشال رومانيا وشامبين طليعة الجيش مع ماكائيردي سانت مينهولد وراهب دي بيثوم ، وميلون لوبربانت في قيادة الجيش الثاني ، وكان الثالث تحت قيادة باين دي اورليانزوبيير دي براسيو ، والرابع بقيادة دي كايو ، والخامس تحت قيادة بلدوين دي بوفيير والسادس بقيادة هوغ دي بوميتز ، وكان هنري الوصي على عرش الامبراطورية يقود الجيش السابع ، وكان الجيش الثامن يتألف من قوات فلمنكية وكان تحت قيادة غوتيير دي اسكورناي وكان وكيل الامير ديزيتر فون لوس يتولى قيادة قوات المؤخرة .

وهكذا ركبوا مدة ثلاثة أيام في نظام الزحف المحدد ، ولم يتقدم جيش مطلقا يسعى الى معركة في ظروف أكثر خطورة ، وكانوا في خطر من ناحيتين أولا لانهم كانوا على هذه القلة وكان هؤلاء هم الذين كانوا على وشك مهاجمتهم في مثل هذه الكثرة ، وثانيا لانهم لم يكونوا يصدقون بأن الروم الذين توصلوا مؤخرا جدا الى السلام معهم سيعطونهم دعما من أعماق القلب ، وعلى العكس فانهم كانوا يخشون من أن الجيش اذا تعرض للمصاعب فان الروم سينضمون الى جوهانيتزا ، الذي كان الآن قريبا جدا من الاستيلاء على ديموتيكا .

ومع ذلك عندما سمع جوهانيتزا بأن الفرنسيين قادمون لم يجرؤ على انتظار وصولهم ، بل أشعل النار في آلاته ونقض خيامه وهكذا انسحب من ديموتيكا ، واعتقد الجميع بأنها كانت معجزة عظيمة ، وفي اليوم الرابع بعد خروج الجيش وصل هنري الوصي على عرش الامبراطورية الى أدرنة ، ونصب معسكره بجانب النهر في بعض أجمل المروج في العالم ، وحالما رأى الناس في المدينة الفرنسيين يصلون خرجوا في مواكب يحملون كل صلبانهم ، وأظهروا من السرور ما لم يشاهد من قبل مطلقا وحق لهم أن يبتهجوا ، حيث أنه حتى ذلك الحين كانوا في وضع أبعد ما يكون عن أن يكون مريحا .

الفصل التاسع عشر

هجوم وهجوم مضاد

٢٩ حزيران ١٢٠٦ ـ ٤ شباط ١٢٠٧

وفي اليوم التالي لتحرير أدرنه سمع الفرنسيون بأن الملك جوهانيتزا قد اتخذ مراكز له في حصن قريب يدعى رودستويك ، وعليه خرجت القوات في الصباح وركبت الى هناك لملاقاته .

وعلى أي حال قوض جوهانيتزا معسكره وبدأ السير عائدا الى بلاده ، وسار الفرنسيون في اعقابه حوالي أيام خمسة ولكنه حرص دائما على أن يبقى متقدما امامهم ، وفي اليوم الخامس عسكروا في بقعة جميلة جدا بجانب حصن يحمل اسم فرايم وأمضوا الايام الثلاث التالية هناك ، وبينما كانوا هناك انفصل عدد من الرجال ممن قدموا خدمة جيدة في الجيش عن البقية بسبب بعض الخلاف بينهم وبين الوصي على العرش ، وكان قائد هذه الجماعة هو بلدوين دي بوثوار وفرقته ، وهوغ ـ دي بوميتز معه ، وكذلك فعل غوليوم دي كومينيز ودور دي بورين ، وعلى وجه الاجمال فقد غادر نحو خمسين فارسا في هذه المجموعة ، ولم يفكروا مطلقا في أن البقية ستجرؤ على البقاء في هذا الجزء من البلاد وتحدي العدو .

ومع ذلك فقد استشار هنري البارونات المتبقين معه فنصحوه بأن يمضي قدما ، وعلية فقد ركبوا متقدمين لمدة يومين ، ثم نصبوا معسكراتهم في واد جميل جدا قرب قلعة تدعى مونياك التي استسلمت لهم ، وبعد أن مكثوا هناك نحو خمسة أيام ، قرروا المتابعة واسعاف رنييه دي تريت ، الذي كان ما

يزال تحت الحصار في ستيناماكا حيث ظل محصورا مدة ثلاثة عشر شهرا ، ومكث الوصي على العرش في المعسكر مع قسم كبير من القوات في حين مضى الباقون إلى ستيتنماكا كالنجدة لانقاذ رنيية دي تريت ٠

وبالكاد احتاج الى القول بأن الرجال الذين ذهبوا في هذه الحملة قاموا بذلك في مخاطرة عظيمة بأنفسهم في الواقع ، حيث أنه كان عليهم أن يركبوا أياما ثلاثة كاملة عبر بلاد يحتلها العدو ، وكانت نجاة قليلة الاحتمال ممكن حدوثها في مثل هذه المخاطر ، وكان الذين شاركوا في هذه المهمة راهب دي بيثوم وجيوفري دي فيلهاردين وفليون اوبريبانت وبيير دي براسيو وباين دي اورليانز وانسو دي كايو وغوليوم دي براسو ، وجيش من البنادقة بقيادة اندريا فاليرا ، وركب الجميع باصرار قدما باتجاه قلعة ستينمياكا ولم يتوانوا في اطلاق العنان حتى اصبحوا على مرأى منها ولمح رنييه دي تريت الذي كان على السور الخارجي للقلعة قوات المقدمة التي يقودها المارشال جيوفري والفرق الأخرى تتابع من خلفه في ترتيب جيد جدا ، ولكنه في البداية لم يستطع أن يعرف من يكونون ، وفي الحقيقة حيث أنه لم يكن يدري بأخبارنا منذ زمان طويل فقد كان مدهشا بالكاد انه شعر ببعض الشك حولنا وتساءل فيما لوكنا من الروم نتقدم لحصاره ، واستدعى جيوفري دي فلهاردين واحدا من فرسان التوركبلي مع رماة القوس والنشاب من الصفوف وارسلهم في المقدمة ليتفقدوا اوضاع الحصن لانه طالما ان الجيش لم يكن لديه معرفة بشاغلية منذ زمان طويل مضى فان احدا من لم يكن يدري ما اذا كانوا احياء او اموات ، وفي اللحظة التي وصل فيها هؤلاء الناس الى امام الحصن عرف رنييه ورجاله انهم كانوا رجالنا ويمكنك ان تتخيل جيدا كم كانوا مبتهجين ، لقد اندفعوا خارجين من البوابات واسرعوا القاء أصدقائهم وتم تبادل تحيات من القلب بين الطرفين وتمركز البارونات في مدينة جميلة تقع اسفل القلعة وكانت تستخدم

كقاعدة لمهاجمتها ، وفي مجرى الحادثات قالوا انهم سمعوا رواية متواترة بأن الامبراطور بلدوين قد مات في احد سجون جوهانيتزا ولكنهم تخلوا عنها على انها مجرد شائعة واخبرهم رنييه بان خبر وفاته كان صحيحا وصدقوه ، وكان العديد منهم في حزن شديد وتمنوا من كل قلوبهم ان لاتكون هذه الخسارة مما لايمكن تداركه ٠

ونامت القوات تلك الليلة في المدينة ، وفي الصباح خرجت المجموعة كلها وتركوا حصن ستيميناكا مهجورا ، وركبوا يومين كاملين وفي الثالث وصلوا الى معسكر تحت حصن مونياك ، والذي يقع على نهر ارتا حيث كان هنري اخو الامبراطور ينتظرهم ، وابتهج كل الناس في المعسكر عندما علم أن رنييه دي تريت قد حرر في احتجازه القسري ، وكان الامتنان الذين بمخاطرتهم الكبيرة بأنفسهم اعادوا له الامن والسلامة ، وقرر البارونات الان الذهاب الى القسطنطينية واتخاذ الترتيبات لتتويج هنري دي فلاندرز كامبراطور ، وفي مكان اخيه ، وتركوا في الوقت نفسه براناس لحراسة الأرض بمساعدة الروم في هذا الجزء من الامبراطورية مع اربعين فارسا يقدمهم الوصي على العرش ، وهكذا غادر هنري الوصي على العرش الامبراطوري مصحوبا بالبارونات الاخرين الى القسطنطينية ، وركبوا عدة أيام حتى بلغوا العاصمة حيث رحب بهم كل الناس بحبور ، وفي آب يوم الجمعة بعد عيد رفع مريم العذراء توج أخو الملك المتوفى امبراطورا بتشريف كبير ووسط بهجة عظيمة في كنيسة سانت صوفيا ، وكان هذا في السنة ١٢٠٦ لتجسيد ربنا ٠

وعندما سمع الملك جوهانيتزا أن امبراطورا جديدا قد توج في القسطنطينية وبأن براناس قد ترك في هذا الجزء من الامبراطورية حول أدرنه وديموتيكا ، جمع أكبر قوة أمكنه جمعها ، ولم يكن براناس قد أعاد بناء أسوار ديموتيكا في الاماكن التي تم

اختراقها بواسطة عرادات جوهانيتزا ومنجنيقاته ، كما أنه قد ترك حامية غير مناسبة جدا ، وعليه فقد سار جوهانيتزا نحو ديموتيكا ، وأخذها ودمرها وهدم أسوارها الى الأرض ، وبعد ذلك اجتاح كامل المنطقة وأخذ الرجال والنساء والأطفال من بيوتهم والماشية من الحقول ، وباختصار انهمك في تخريب بالجملة حيث ذهب ، وعليه فإن أهل أدرنة وقد رأوا الطريقة التي خربت فيها ديموتيكا توسلوا الى الامبراطور هنري بأن يأتي لانقاذهم ٠

وبعد أن دعا الامبراطور من الرجال بقدر ماكان تحت تصرفه ، غادر العاصمة وركب باصرار ماضيا في اتجاه أدرنة وكل قواته في تعبئة الترتيب القتالي ، وعندما سمع الملك جوهانيتزا الذي كان ما يزال جوار أدرنة بأن الامبراطور كان يتقدم استدار عائدا الى بلاده ، وتابع الامبراطور هنري ركوبه حتى بلغ أدرنة حيث نصب معسكره في حرج خارج المدينة ٠

وجاء الروم في تلك الناحية وأخبروه كيف كان جوهانيتزا يأخذ الرجال والنساء والأطفال ، وبأنه قد دمر ديموتيكا ، وخرب كل الريف المحيط ، وأضافوا أنه كان مايزال على مسيرة يوم واحد فقط ، وقرر الامبراطور أن يمضي في أثره وإذا وجده ينتظر فإنه سيشتبك في قتال معه ، وينقذ الرجال والنساء الذين أسرهم وأخذهم معه ، وعليه فقد ركب في أثر جوهانيتزا الذي تراجع بقدر ماتقدم الامبراطور ، وبعد انقضاء أربعة أيام في ملاحقته وصلت قواتنا الى مدينة تدعى بيرو ٠

وعندما رأى الناس في تلك المدينة جيش الامبراطور هنري يقترب هربوا جميعا الى الجبال تاركين المكان مهجورا ، وجاء الامبراطور وعسكر مع كل قواته خارج المدينة التي وجدوها جيدة التموين بالقمح واللحم وكل المؤن السارة ، ومكثوا هناك مدة يومين حتى أرسل الامبراطور رجاله ليطوفوا بالريف

المحيط ، فتدبروا أمر تأمين عدد كبير من الثيران والأبقار والجاموس والماشية الاخرى ، ثم ترك الامبراطور بيرو مع كل الغنائم التي جمعها رجاله ، وركب الى مدينة أخرى تدعى بيلزم التي كانت على مسافة مسيرة يوم واحد فقط ، وتماما كما هجر الروم من أهل بيرو مدينتهم ، هكذا هجر أهل بيلزم مدينتهم وإذ وجد الامبراطور المكان ممونا بشكل جيد بكل شيء يمكن أن يحتاج اليه رجاله عسكر خارجها .

وبينما كانوا هناك جاءتهم الاخبار بأن الرجال والنساء الذين اخذهم جوهانيتزا كانوا جميعا في واد على بعد ثلاثة فراسخ من المعسكر مع ماشيتهم وعرباتهم ، وعليه فقد رتب الامبراطور أن يمضي الروم من أدرنة وديموتيكا مع مجموعتين من الفرسان سيؤمنهم هو نفسه في أثر الاسرى لاعادتهم ، ونفذت هذه الخطة في اليوم التالي ، ونصب أخو الامبراطور يوستاس قائدا لاحدى مجموعتي الفرسان ، وتولى ماكائير دي سانت مينهولد قيادة الاخرى .

وخرج الجميع من فرنسيين وروم معا وركبوا حتى وصلوا الى الوادي الذي أخبروا به ، وهناك وجدوا الاسرى واشتبكت قوات جوهانيتزا مع قوات الامبراطور ، وتبع ذلك صراع قتل فيه رجال وخيول أو جرحوا من كلا الجانبين ، ولكن بقدرة الرب القوية كسب رجالنا اليد العليا وانقذوا الناس الذين أخذهم جوهانيتزا ثم استداروا عائدين نحو المعسكر ، وأعادوا الرجال والنساء الذين حرروهم في صف طويل أمامهم ، وفي تنفيذ هذا الانقاذ يمكنني أن أوكد أن جماعتنا لم ينجزوا عملا عاديا ، لقد كان الاسرى يعدون بما يفوق على عشرين ألف رجل وامرأة وطفل معا ، وكان هناك الى جانب ذلك نحو ثلاثة آلاف عربة محملة بالملابس والمقتنيات الأخرى ، ولا تقول شيئا عن العدد الكبير من الماشية ، وبينما كانوا ينتقلون من الوادي للمعسكر كان رتل الناس والعربات والماشية يغطي نحو فرسخين .

وكان الوقت ليلا عندما وصلوا الى المعسكر ، وكان الامبراطور هنري مسرورا برؤيتهم وكذلك كان كل البارونات ، واعطى هؤلاء الناس مراكز بعيدة عن مراكز القوات ، ووضعت عليهم وعلى امتعتهم حراسة مشددة حتى انهم لم يفقدوا مايساوي بنسا واحدا مما كانوا يملكون ، وفي اليوم التالي مكث الامبراطور في المعسكر في هدوء من أجل الذين حررهم ، وفي اليوم الذي تلاه ترك الناحية وتابع السير عدة أيام حتى وصل اخيرا الى أدرنة ٠

وعند وصولهم الى هناك أعطى الناس الذين حررهم الاذن بالذهاب الى حيث يريدون ، وعليه فقد ذهبوا في طرقهم المتعددة سواء الى المكان الذي ولدوا فيه أو أي مكان آخر ، ووزع مخزون الغنائم الوفيرة بالشكل المناسب كما ينبغي بين القوات ، وبعد تمضية خمسة أيام في أدرنة ركب الامبراطور هنري الى ديموتيكا لرؤية مدى الضرر الحادث وليتبين ما اذا كان بالامكان اصلاح التحصينات ، وعسكر خارج المدينة وأدرك هو وباروناته أن أسوارها كانت في حالة سيئة حتى انه كان لافائدة من محاولة اعادة تحصينها ٠

وبينما كان الامبراطور هناك ، وصل احد بارونات المركيز دي مونتفرات ويدعى أوتون دي لاروش ليراه ومعه رسالة من سيده ، لقد جاء ليتحدث عن موضوع زواج كان قيد البحث بين ابنه المركيز والامبراطور هنري ، وجاء بأخبار بأن السيدة قد حضرت من لومبارديا بعد أن أرسل أبوها في طلبها ، وبأنها كانت الان في سالونيك واتفق على أن يوثق الزواج من قبل الطرفين ، وبناء عيه عاد مبعوث المركيز الى سالونيك ٠

وعاد الامبراطور الذي كان رجاله مشغولون في تخزين الغنائم التي أخذوها في بيرو في مكان امين من المعسكر الآن إلى تجميع جيشه ، وغادر أدرنة وبعد السير عدة أيام دخل

مقاطعات جوهانيتزا بقواته ، ووصلوا الى مدينة تدعى ثيرمي واستولوا عليها ودخلوا المكان وجمعوا قدرا كبيرا من الاسلاب ، وامضوا ثلاثة ايام في ثيرمي اجتاحوا خلالها الريف المحيط ، وبالاضافة الى الحصول على قدر عظيم من الغنائم دمروا مدينة أخرى تدعى أكيلو ٠

وبعد ذلك بأربعة ايام تركوا ثيرمي وكانت مدينة جميلة جدا في موقع جيد جدا ، وفيها أجمل الينابيع الحارة التي يمكن أن توجد في العالم ، وبعدما جمع رجاله كميات هائلة من الغنائم في صورة ماشية واشياء أخرى ذات قيمة يمكنهم أخذها معهم ، وامرهم الامبراطور بطرح النار في المدينة وتدميرها ، ثم غادر الجيش وبعد بضعة أيام من المسير وصل عائدا الى ادرنة وبقيت قواتنا في الناحية حتى عيد جميع القديسين عندما جعل اقتراب الشتاء ومتابعة الحرب مستحيلة وعليه استدار الامبراطور هنري وكل باروناته الذين كانوا متعبين تماما من شن الحملات استداروا عائدين الى العاصمة تاركا واحدا من رجاله ويدعى بير دي راديذغيم وبين الروم في ادرنة ومعه عشرة من الفرسان وكانت هناك في تلك الفترة هدنة بين الامبراطور هنري وتيودور لاسكارس الذي كان يسيطر على الارض الواقعة على الجانب الجنوبي من المضيق ، ولكن هذا الرومي بدلا من أن يرعى شروط الهدنة أخل بوعده وانتهكها ، وعليه ارسل الامبراطور بعد استشارة باروناته فرقة من القوات عبر المضيق الى سبيغا ، وكان قائد الحملة بيردي براسيو الذي عين له جزءا من الارض هناك . وذهب معه باين دي اورليانز وانسودي كايو ويوستاش اخو الامبراطور ، وصحبهم قسم كبير من افضل الرجال في جيش الامبراطور حتى بلغوا مائة واربعين فارسا . وبدأ هؤلاء الحرب بجد صارم ضد تيودور لاسكارس واوقعوا بارضه ضررا عظيما .

وركبوا الى سيزيكوس وهو مكان محاط بالبحر من كل

الجوانب فيما عدا واحد ، وكان الوصول اليه لزمان طويل مضى محميا بسلسلة من التحصينات تشمل الاسوار والابراج والخنادق المائية ، ولكن هذه قد لحقها البلى تقريبا ، واحتلتها القوات الفرنسية ، وبدأ بييردي براسيو الذي أعطي هذا الجزء من الأرض في تجديد الدفاعات وبنى قلعتين لكل منهما بوابة ذات قضبان قوية ، ومن هناك اجتاحت القوات الاراضي التي يسيطر عليها لاسكارس حيث جمعت كثيرا من الاسلاب والعديد من رؤوس الماشية التي جلبوها معهم وهم عائدون الى مأواهم في الجزيرة ، وقام لاسكاس من جانبه بغزوات متكررة على سيزيكس حتى أن الجيشين كثيرا ما التقيا وحارب بعضهما بعضا ، وكانت هناك خسائر من الجانب الواحد والآخر وكانت الحرب في تلك الاجزاء ضارية ومليئة بالمخاطر .

وهنا سأترك رجال سيزيكوس لاتكلم لحظة عن نائب الأمير ديتريس فون لوس الذي كان يجب أن تتبعه نيقوميديا ، وكانت هذه المدينة على مسافة مسيرة يوم واحد من نيقية المدينة العاصمة لأرض ثيودور لاسكارس ، وقام ديتريس بحملة على المكان مع عدد عظيم من رجال الامبراطور ، ووجد أن الحصن قد هدم ، فقام بتسوير وتحصين كنيسة سانت صوفيا التي كانت بناء عاليا جميلا جدا ، واستخدمها كقاعدة لمتابعة الحرب في المناطق المجاورة لنيقوميديا .

وفي الوقت نفسه غادر المركيز دي مونتفرات سالونيك الى سيريس التي كان جوهانيتزا قد دمرها ، فأعاد بناء الدفاعات فيها ، ثم ذهب لتحصين قلعة دراما في وادي فيليبي ، وسلمت له كل البلاد المحيطة وقبله الناس كأمير لهم .

وفي هذه الاثناء كان قد مضى وقت طويل حتى أن عيد الميلاد قد انقضى ، وجاء الآن رسل من المركيز ، إلى الامبراطور ليخبروه نيابة عن أميرهم بأنه قد أرسل ابنته في شيني كبيرة الى

ايذوس ، وعليه فقد اناب الامبراطور جيوفيري دي فيلهاردين وميلون لي برابانت ، ليذهبا لاحضار السيدة ، وركب الاثنان خارجان من المدينة ووصلا خلال بضعة ايام الى ايذوس ، ومن هناك ذهبا لرؤية ابنة المركيز ، وكانت سيدة طيبة جدا وجميلة وحيياها نيابة عن سيدهما الامبراطور هنري ، ثم عادا بها بعد ذلك بتشريف كبير الى القسطنطينية ، واحتفل بزواجها من الامبراطور هنري في ابهة عظيمة وبهجة كبيرة في كنيسة سانت صوفيا ، في يوم الاحد الذي يلي قداس الشموع ، وارتدى كل من العريس والعروس تاجا وتبعت الاحتفال ولائم زواج فاخرة في قصر بوكليون حضرها كل نبلاء تلك الارض ، وبهذه الطريقة احتفلت القسطنطينية بزواج الامبراطور هنري وابنة المركيز التي أصبحت الان الامبراطورة أغنس ٠

الفصل العشرون

الحرب على جبهتين

آذار ـ أيار ١٢٠٧

وفي مجرى حرب تيودور لاسكارس مع الامبراطور هنري أرسل الأول رسلا الى الملك جوهانيتزا ليخبروه بأن كل رجال الامبراطور كانوا مشتبكين في قتال الروم في جانب المضيق المواجه لتركيا ، وبأن الامبراطور نفسه بقي في القسطنطينية مع قليل جدا من الناس ، وفي مثل هذه الظروف كما قال لاسكارس تكون لدى جوهانيتزا فرصة جيدة للثأر ، وأنه هو نفسه ، هكذا أضاف ، سيهاجم الفرنسيين على جانب واحد من المضيق فإذا هاجمهم جوهانيتزا من الجانب الآخر لن يكون الامبراطور قادرا على الدفاع عن نفسه ضدهما معا ، وكما حدث كان الملك جوهانيتزا قد انشغل من قبل في اعداد جيش عظيم من الكومان كان في طريقه للانضمام اليه وقد جمع الآن قوة عظيمة من الوالاشيين والبلغار بقدر ما أمكنه ، وكان قد مضى الآن وقت طويل حتى أننا أصبحنا في بداية الصوم الكبير وكان ما كاثير دي سانت مينهولد قد بدأ في تحصين قلعة في كاراكي تقع على شاطىء خليج على بعد نحو ستة فراسخ من نيقوميديا وتواجه القسطنطينية ، وبدأ غوليوم دي سانز في تحصين قلعة أخرى في كيبوتوس على الجانب الأبعد من خليج نيقوميديا في اتجاه نيقية وكان لدى الامبراطور هنري من الأعمال الكثير بقدر ما يمكنه عمله في الريف المحيط بالقسطنطينية ، وهكذا كان كل البارونات على ذلك الجانب من المضيق ، ولم يتردد جيوفري دي فيلهاردين مارشال رومانيا وشامبين مؤلف هذا التاريخ في تأكيد أنه لم يكن لأي شعب في أي لحظة من تاريخه أن يحمل مثل هذا العبء الثقيل من الحرب بسبب أن قواتهم كانت مبعثرة في أماكن عديدة مختلفة ، وغادر

جوهانيتزا الآن والاشيا بكل قـواته ، وبينهـا الجيش الكبير مـن الكومان الذي جاء للانضمام اليه وبدأ في غزو الامبراطورية واجتاح الكومان البلاد حتى أبواب القسطنطينية في حين أحـكم الملك نفسـه الحصار على ادرنة ، ونصب ثلاثين مـن العـرادات الكبيرة حـول المدينة كانت تقذف أسوارها وأبراجها بـالحجارة ، وبـداخل أدرنه كان هناك الروم فقط ومعهم بيير دي ابينفام الذي بقـي هناك بناء على أوامر الأمبراطور ومعه عشرة من الفرسان ، وعليه أرسـل كل من الروم والفـرنسيين معـا الى الامبـراطور ليخبـروه كيف أن جوهانيتزا قد حاصرهم وتوسلوا اليه أن يحضر لنجدتهم .

وعندما تلقى رسالتهم كان الامبراطور ذاهلا تمـاما فجنوده على الجانب الآخر كانوا مشتتين على نطاق واسع ، وكانوا في كل مكان منشغلين بشده حتى أنه لا يمكنهم أن يفعلوا أكثر مما كانوا يفعلونه بالفعل ، في حين أنه هو نفسه كان لديه جيش صغير جدا من القوات في القسطنطينية ، ومع ذلك فقد أنطلق زاحفا خارجا من المدينة مـع أكبر عدد من الرجال أمكنه جمعه خلال الأربعة عشر يوما التـي تلت عيد الفصح ، ومع ما خطط له أرسل الى سيزيكس حيث كان معظم شعبه يخبر الرجال هناك أن يحضروا للانضمام اليه ، وانطلق أخوه يوستاس مع انسو دي كايو والقسم الرئيسي من رجالهما على الفور عبر الماء حتى أن بيير دي براسيو ، وبـاين دي أوليانز فقـط مـع القليل من القوات هما اللذان بقيا في سيزيكس .

وعندما سـمع تيودور لاسـكارس بـأن أدرنه محـاصره وأن الامبراطور هنري من منطلق الحاجة الملحة ، كان يدعو رجاله وكان علاوة على ذلك مثقلا بشدة الحرب على كل الجوانب حتى أنه لم يكن يعرف في أي طريق يتجه ، دعا هذا الرومي أكبر عدد ،أمكنه جمعـه من شعبه لتعزيز جيشه ، ثم جاء ونصب خيامه وسرادقـاته أمـام بوابات سيزيكس واشتبك الفرنسيون والروم في كثير من المناوشات خـارج المدينة ، مـع تحقيق مـكاسب وخسـائر على كلا الجانبين ، وحالما رأى لاسـكارس بـأن هناك قليل مـن الرجـال

المتبقين في سيزيكس ، وضع جزءا كبيرا من جيشه في أكبر عدد من المراكب التي توفرت له في البحر ، وارسلهم الى قلعة كيبوتس التي كان غوليوم دي سانز يحصنها ، وحاصرت هذه القوات القلعة من البر والبحر في يوم السبت الذي ساف أحد منتصف الصوم الكبير .

وكان بداخل القلعة أربعين فارسا كلهم من أحسن الرجال وعلى رأسهم ماكائير دي سانت مينهولد ، وكان المكان نفسه على أي حال لم يستكمل بعد تحصينه القوي ، وعليه كان بامكان العدو أن يصل الى الدفاعات ويهاجمهم بالرماح والسيوف ، وهاجم الروم القلعة بعنف وضراوة شديدين من كل من البحر والبر ، واستمر هذا الهجوم الضاري كامل يوم الأحد ودافع رجالنا عن أنفسهم بشكل رائع ، وفي الواقع إن مؤلف هذا الكتاب قد أكد بأنه ما من فرقة من أربعين فارسا قد قاومت قط هجوما بصورة أكثر بسالة ووقفت في وجه نزاع مماثل ، وأن هذا هو الحال واضح من حقيقة أنه من أربعين فارسا كان هناك خمسة تقريبا فقط جرحوا وقتل واحد ، وكان هذا هو ابن أخ ميلون لوبريبانت .وكان اسمه جيلز .

وفي صباح السبت قبل بدء هذا الهجوم جاء رسول بأقصى سرعة إلى القسطنطينية ووجد الامبراطور هنري على العشاء في قصر بلا شرين فخاطبه قائلا : ياصاحب الجلالة إن رجالك في كيبوتوس محاصرين من البر والبحر فإذا لم ترسل لهم مساعدة على الفور يؤخذون جميعا ويقتلون .

وكان مع الامبراطور راهب دي بيتوم وجيوفري دي فيلهاردين وميلون لوبريبانت وقليل آخرون ، واجتمعوا معا فترة قصيرة ثم نزل الامبراطور إلى الأرض المحاذية الرصيف في الميناء وصعد الى ظهر شيني كبيرة في حين أخذ كل من الآخرين أول سفينة أمكنه أن يجدها ، وبعد ذلك أعلن في أنحاء المدينة أن كل رجل هناك عليه أن يتبع الامبراطور في حاجة ملحة وأن يمضي معه لانقاذ رجاله الذين سيفقدون بغير ذلك ، وعلى الفور كانت مدينة القسطنطينية مستعدة

تعج بالنبادقة والبيازنة ورجال البحر الآخرين من ذوي الخبرة وكلهم يتعثر في الآخر من عجلتهم للوصول إلى سفنهم .

وصعد الفرسان معهم وهم في كامل تسليحهم إلى السفن وكل من أصبح جاهزا أولا كان الأسرع في الخروج من الميناء في أعقاب الامبراطور ، وجذف المجذفون ما وسعهم الجهد كل المساء بقدر ما بقي الضوء ، وتابعوا خلال الليل حتى فجر اليوم التالي وكان الامبراطور هنري نفسه شجعهم على مجهودهم حتى أنهم وصلوا بعد شروق الشمس بقليل الى مرمى البصر من كيبوتوس ورأوا العدو يطوقها من البر والبحر ، ولم ينم الرجال داخل القلعة تلك الليلة بل داوموا على الحراسة كل الوقت فيما كانوا مرضى أو جرحى بلا أمل كرجال لا يتوقعون شيئا سوى الموت .

ورأى الامبراطور أن الروم قد اقتربوا جدا من الاسوار وكانوا على وشك تجديد هجومهم ، في حين أنه حتى ذلك الحين كان لديه القليل فقط من شعبه معه ، بينهم كان المارشال جيوفري الذي كان في سفينة أخرى وميلون لوبريبانت وبعض أهل بيزا وعدد من الفرسان ، وفي الاجمال كان لدينا نحو سبع عشرة سفينة من أحجام مختلفة وبعضها صغير ، في حين كان لدى العدو نحو الستين .

ومع ذلك أدرك رجالنا أنهم إذا انتظروا البقية حتى يصلوا وتركوا الروم يهاجمون كيبوتوس فإن اصدقاءهم بالداخل سيقتلون جميعا أو يؤخذون أسرى ، لهذا قرروا أن يشاغلوا العدو في الماء .

وأبحروا نحو سفن الروم وكل سفنهم تسير جنبا الى جنب وكان كل رجل فوق سطح السفن كامل التسليح والخوذ مربوطة ، وحالما رآنا الروم الذين كانوا عند نقطة الهجوم على القلعة قادمين عرفوا بسرعة بأننا كنا جماعة مذقنة وقادوا سفنهم مبتعدين عن القلعة ليأتوا لملاقاتنا وفي الوقت نفسه تشكل الجيش الكبير من الخيالة والمشاة الذي نظموه على البر في صف على طول الشاطيء . وعندما

رأى الذين كانوا على ظهور سفن الأعداء أن الامبراطور وجماعته كانوا بالتصميم نفسه على مهاجمتهم انسحبوا باتجاه قواتهم التي على البر حتى تعطيهم هذه دعما بسهامها ومنجنيقاتها .

وشغلهم الامبراطور هكذا في الخليج بسفنه السبعة عشر حتى بدأت صيحات القادمين من قسطنطينية تصله ، وقبل سقوط الليل وصل عدد كبير جدا من هذه السفن حتى أن الفرنجة في كل مكان اصبحوا بقوة أعظم من قوة العدو في البحر ، وبعد القاء المراسي ، رقد الرجال الذين على ظهورها بكامل سلاحهم كل الليل ، وقرروا أنه حالما يحل الضوء سيندفعون الى الشاطيء للاشتباك مع العدو والاستيلاء على سفنه أيضا ، ومع ذلك سحب الروم في منتصف الليل كل سفنهم الى البر وأشعلوا النار فيها واحرقوها جميعا ثم قوضوا مخيمهم وهربوا .

وكان الامبراطور هنري ورجاله مسرورين جدا لأن الرب قد منحهم هذا النصر ، وسعداء لشعورهم بأنهم قد انقذوا اصدقاءهم ، وعندما طلع الصباح ذهبوا جميعا الى قلعة كيبوتوس ، حيث وجدوا شاغليها في غاية المرض ، والقسم الاعظم جرحى بجروح خطيرة ، وتفحصوا حالة القلعة ورأوا أنها كانت من الضعف بحيث لا تستحق الاحتفاظ بها ، وعليه فقد أخذوا كل رجالهم الى ظهور السفن وتركوا المكان مهجورا .

وكان الملك جوهانيتزا في هذه الاثناء يحاصر أدرنه ولا يعطي السكان فيها ولا يعطي نفسه أي راحة ، وكانت عراداته تعمل ليلا ونهارا ، وكان لديه منها الكثير ، كانت مستمرة في إمطار أسوار المدينة وابراجها بوابل من الحجارة وقد الحقت بها ضررا كبيرا ، وأطلق نقابيه للغم الاسوار وضايقوا المدافعين بهجمات متكررة وقاوم الرجال بداخل ادرنه سواء من الروم أو اللاتين بشجاعة ، ولكنهم كذلك أرسلوا رسائل متكررة للامبراطور هنري يتوسلون اليه أن يأتي لاغاثتهم ، ويحذرونه من أنه إذا لم يفعل ذلك

فإنهم سيضيعون تماما كلهم . وقد أقلقت هذه الرسائل الامبـراطور الغاية حيث كلما كان على وشك الذهاب لمساعدة رجـاله على أحـد جوانب المضيق ، كان تيودور لاساكرس يشغل معظم رجاله بشـدة على الجانب الآخر حتى يضطر للتراجع بحكم الضرورة .

وخلال كامل شهر نيسان بقـي جـوهانيتزا أمـام أدرنه ، وكان قريبا جدا من أخذها حتى أنه خرق التحصينات في مكانين وهـدمها الى الارض الى حد أن رجاله كانوا قـادرين على القتـال بـالايدي بالسيوف والرماح ضد الموجودين بداخل المدينة ، ومره بعد أخـرى كان يخضع أدرنه للهجوم ولكن المدافعين كانوا يصدونهم بشجاعه ، وكانت هناك اصابات كبيرة على كلاالجانبين ، وعلى أي حال طالما أن الاحداث تجري بأمر الرب ومشيئته فقد حدث أن الكومـان الذين ارسلهم جوهانيتزا لاجتياح الأرض ، اعلنوا عند عودتهم للمعسـكر مع كل اسلابهم أنهم لم يكونوا ينوون البقاء طويلا في الجيش ، بـل أنهم سيعودون الى بلادهم ، وعليه فقد انفصـلوا عن جـوهانيتزا ، وحيث أنه دون مساعدتهم لم يكن يجرؤ على البقاء أمام ادرنه فقـد سحب قواته وغادر ، وان ملكا بهذه القـوة يتخلى عن مـدينة كانت وشيكة السقوط بـدا وكأنه ليس بعيدا عن المعجـزة للمحـاصرين ، ولكن ما يريده الرب محتم الحـدوث ، ومـع ذلك فإن أهـل ادرنه لم يضيعوا وقتا في التوسل للامبراطور في محبة الرب أن يأتـي اليهـم حالما يمكنه على الاطـلاق ، لانهـم كمـا بينوا له لو أنه حـدث أن جوهانيتزا عاد لقتلوا جميعا أو وقعوا في الأسر .

وكان الامبراطور يستعد للذهاب الى ادرنه باكبر عدد من الرجال توفر له ، عندما تلقى الاخبار المزعجة جـدا أن جـون سـيتريون ، والذي كان أمير البحر الرئيس في اسطول لاسكارس ، قد دخـل الى قناة ابيدوس في مضيق سانت جورج مع سـبع عشرة شـيني كبيرة ووصل الى أمام سيزيكس التي كان يسيطر عليها بيير دي بـرا سيو وباين دي اورليانز ، وكان الآن يحاصر المكان من البحر في حين كان لاسكارس يهاجمه من البر ، وعلاوة على ذلك ثار أهل تلك المنطقـة

ضد بيير دي براسيو كما فعل أهل مرمره التي كانت ايضا تابعة له ، وقد الحقوا به ضررا كبيرا وقتلوا عدد كبيرا من رجاله .

وعندما وصلت هذه الاخبار الى القسطنطينية سببت الكثير من الفزع ، واستشار الامبراطور هنري رجاله الرئيسيين وباروناته والبنادقة ايضا ، واتفق الجميع على انهم ان لم يذهبوا لمساعدة بيير دي براسيو وباين دي اورليانز فان كليهما سيقتل وستضيع الارض التي يسيطران عليها ، وعليه فقد جرى تسليح اربع عشرة شيني كبيرة على الفور ، وصعد الى ظهورها الرجال من ذوي الطبقة العليا من البنادقة ، ومعهم بارونات الامبراطور .

وكان راهب دي بيثوم ورجاله في سفينة واحدة ، وجيوفري دي فيلهاردين ورجاله في اخرى ، وما كائيردي سانت مينهولد ورجاله في ثالثة ، وميلون لوبر يبانت في الرابعة ، وانسودي كايو في خامسة ، ونائب الامير ديترس فون لوس في سادسة ، وغوليوم دي بيرشوا في سابعة ، واخو الامبراطور ، يوستاس في ثامنة ، وهكذا دواليك ، وهكذا وزع الامبراطور هنري بين هذه الشواني افضل الرجال الذين كانوا لديه ، وعندما ابحروا الى خارج ميناء القسطنطينية قال الجميع بانهم لم يروا مطلقا سفنا افضل تسليحا ، او تدار من قبل رجال اكثر مهارة ، وعليه بدا السير الى ادرنة مرة اخرى بمغادرة الميناء .

وأبحرت السفن وجميع الرجال على ظهورها في المضيق ، متجهة الى سيزيكس ، لكن كيف علم ستيريون اميرال سفن لاسكارس بذلك ، لاادري ، ولكنه سحب سفنه من امام سيزيكس ، وهرب بها الى مكان ابعد في المضيق ، وتابعته سفننا ليومين وليلتين ، عبر قناة ابيدوس وماوراءها باربعين ميلا ، وعندما رأوا انهم لن يتمكنوا من اللحاق به ، استدار رجالنا وذهبوا الى سيزيكس ، حيث وجدوا بيير دي براسيو ، وباين دي اورليانز ، وكان تيو دور لاسكارس قد سحب من قبل قواته من امام المدينة وعاد الى اراضيه ، وهكذا

تحررت سيزيكس ، وعاد رجال الامبـراطور الى القسـطنطينية في سفنهم واعدوا مرة اخرى للسير الى ادرنة .

وارسل تيودور لاسكارس الان القسـم الرئيسي مـن قـواته الى ارض نيقوميديا وارسل رجال بيتـريس فـون لوس الذين حصـنوا كنيسة سانت صوفيا ، وكانوا في تلك اللحظة يحتلونها الى سـيدهم الامبراطور يتـوسلون اليه ان يسـاعدهم ، اذ انه اذا لم يات احـد لاغاثتهم فانهم لن يستطيعوا الصمود ، سـيما وانه ليسـت لديهـم مؤن ، ومن منطلق الضرورة المحضة اضطر الامبراطور ورجاله مرة اخرى للتخلي عن خطتهم بالتخلي عن ادرنة والصعود الى الجـانب الجنوبي من مضيق سانت جورج لاغاثة اصدقائهم في نيقوميديا .

وعندما سمعت قوات لاسكاريس ان الامبراطور قادم انسـحبت من هذا القسم من البلاد وتـراجعت نحـو نيقـيـة ، ومـا ان علم الامبراطور بذلك دعا باروناته معا لاستشارتهم ، فقرروا ان يتركوا بيتريس فون لوس في نيقوميديا مع كل فـرسانه وخيالتـه لحـراسة المدينة والريف المحيط بهـا ، في حين يتمـركز مـاكائيردي سـانت مينهولد في كاراكس وغليوم دي بيرشوا في سـتريكس ليحـرس كل منهم الارض في جواره المباشر .

وبعد ذلك عاد الامبراطور هنري وبقية جيشه الى القسـطنطينية للتحضير مرة اخرى للسير الى ادرنة ، وبينما كان كل منهما هـكذا ترك بيترس فون لوس نيقوميديا وذهب مع غوليوم دي بيرشوا وكل رجالهما يوماً في حملة للرعي والتماس المؤن ، وانتهز رجـال تيودور لاسكارس هذه الفرصة وقـاموا بهجـوم مبـاغت وكان الروم الآن كثيرون جدا ، ورجالنا قليلون جـداً وبـدات معـركة واشـتبك كلا الجانبين في قتال بالايدي ، ولكن قبل مضي وقت طـويل لم تعـد القلة قادرة على الصمود امام الكثرة .

وقاتل بيترس فون لوس بشجاعة كبيرة وهكذا فعل كل رجـاله ،

واسقط مرتين عن جواده وفي كل مرة كان رجاله يجدون صعوبة في اعادته الى ظهره واسقط غوليوم دي بيرس ايضا عن جواده ، ولكنه ايضا سوعد على العودة الى مكانه وانقذ من قبل رجاله ، وفي النهاية اثبت ضغط التفوق العددي انه اقوى من طاقة الفرنسيين وهزموا وجرح بيتريس فون لوس جرحا بليغا في وجهه حتى اقترب من الموت ، واخذ هو واكبر قسم من رجاله أسرى في هذه المواجهة ، وهرب القليل وهرب غوليوم دي بيرشوا وهو مجروح في يده من الميدان على كوب وهو جواد قوي قصير القوائم ، ولجا الذين هربوا بعد هزيمتهم الى كنيسة سانت صوفيا ، وسمع مؤلف هذه الحولية لوما على هذه الكارثة يرتبط - سواء بحق او بغير حق لايمكن القول - بفارس معين يدعى انسودي ريمي الذي مع انه كان واحدا من اتباع دتيرس فون لوس ويتولى قيادة رجاله تخلى عن سيده في القتال ، واما الذين تدبروا امر العودة الى كنيسة سانت صوفيا في نيقوميديا - اي غوليوم دي بيرشوا - وانسودي ريمي فقد ارسلوا رسولا باقصى سرعة الى الامبراطور هنري في القسطنطينية يحمل التفاصيل الكاملة عن المعركة ، واخبروه كيف ان نائب الامير دتيرس فون لوس قد اخذ هو ورجاله وكيف حوصروا هم انفسهم في كنيسة سانت صوفيا في نيقوميديا ، واضافوا بانه كان لديهم من الطعام مايكفيهم خمسة ايام ، وبانه اذا لم يات لنجدتهم فانهم سيقتلون جميعا بلا شك او يؤخذون اسرى ، وجوابا لهذه الصيحة المكروبة عبر الامبراطور ورجاله مضيق سانت جورج في عجلة يائسة وكل واحد يحاول ان يصل الى هناك باسرع ما يمكنه لانقاذ الرجال في نيقوميديا ، وهكذا اجلت حملة أدرنة مرة اخرى .

- وحالما عبر الامبراطور المضيق ، نظم قواته ثم ساروا قدما حتى وصلوا بعد مسيرة عدة ايام الى نيقوميديا ، ولم يكد تيودور لاسكارس واخوته الذين كانوا يديرون الحصار يسمع بوصوله حتى انسحبوا الى الجانب الابعد من الجبل الواقع خارج نيقوميديا في اتجاه نيقية ، وعسكر الامبراطور بجانب المدينة في مرج جميل بجوار نهر ، وبعد ان نصبت خيامه وسرادقاته عند سفح المنحدرات الاقرب

من الجبل ، ارسل قواته ليطوفوا بالريف المحيط بنيقـوميديا ، لان الناس في تلك المنطقة قد ثاروا ضـد الفـرنسيين حـالما سـمعوا ان بيترس فون اوس قد اخذ أسيرا ، وجمع رجـال الامبـراطور عددا كبيرا من الماشية واخذوا العديد من الاسرى .

ومكث الامبراطور خمسـة ايام في المرج المجـاور لنيقـوميديا ، وبينما كان هناك ارسل تيودور لاسكارس مبعوثين لرؤيته مع عرض لعقد هـدنة معـه لمدة عامين ، على شرط ان يسـمح الروم بتـدمير سيزيكس وكنيسة سانت صوفيا المحصـنة في نيقـوميا ، ويتعهـد لاسكارس من جـانبه بـاعادة الاسرى الذين اخـذهم في الهـزيمة الاخيرة لرجال الامبراطور ، او في مناسبات اخرى ، وكان لديه عدد عظيم منهم .

واستشار الامبراطور جماعته ، الذين قالوا له أنهم لايستطيعون الاشتغال بالحرب على جبهتين في الوقت نفسـه وانه مـن الافضـل قبول فقدان هذين المكانين بدلا من المخاطرة بفقدان ادرنة ، والقسم الرئيس من الامبراطورية ، الى جانب انه بالموافقة على هذه الهـدنة فانهم سيمزقون التحالف بين عدويهـم كليهمـا ، الملك جـوهانيتزا وتيودور لاسـكارس اللذان كانا في تلك الحـقبة صـديقين يدعم كل منهما الاخر في الحرب .

وهكذا سوي الامر وتأكدت الهـدنة ، وبعـد هـذا اسـتدعى الامبراطور هنري بيير دي براسيو من سيزيكس ، وعند وصـوله ، تدبر الامبـراطور ، مـع ان ذلك لم يكن بـدون بعض المتـاعب ، ان يحرضه على ان يضع سيزيكس بين يديه ، وكان الامبراطور نفسـه قد سلم هذه المدينة ، وكذلك كنيسـة سـانت صـوفيا في نيقـوميديا لتيودور لاسكارس ، ليدمرهما ، وهـكذا تـاكدت الهـدنة ، وهـدم الحصنان الى الارض ، وحـرر بيتـريس فـون اوس وكل الاسرى الاخرين .

الفصل الحادي والعشرون

رحلات خارج الامبراطورية

تموز ـ ايلول ١٢٠٧

وبعد ابرام اتفاق الهدنة عاد الامبراطور هنري الى القسطنطينية ، واعلن على الفور مشروعه بالذهاب الى ادرنة مع اكبر قوة كبيرة توفرت له ، وتحت قيادته ، وجمع جيشه في سيلمبريا ، ولكن وقتا طويلا جدا مضى الى حد ان هذا لم يحدث حتى بداية تموز ، بعد اسبوع او نحوه من عيد يوحنا المعمدان ، وانطلق الامبراطور وبعد مسيرة عدة ايام وصلوا الى ادرنة ـ حيث نصب مخيمه في المروج خارج المدينة .

وخرج اهل ادرنة الذين طال شوقهم لمجيئه ، للقائه في مواكب ، ورحبوا به بحماس عظيم ، وتجمع الروم من كل الريف المحيط ايضا هناك لتحيته .

وبقي الامبراطور يوما واحدا فقط معسكرا خارج ادرنة وهو الوقت الكافي بالضبط ليرى اي ضرر احدثته عرادات جوهانيتزا ونقابوه في اسوار المدينة وابوابها ، وتبين ان هذه كانت بالغة جدا . وخرج مرة اخرى في اليوم التالي وسار نحو بلاد جوهانيتزا ، واستغرقه الطريق اربعة ايام ، وفي اليوم الخامس وصل الى سفح الجبال الوالاشية ، حيث كانت توجد مدينة تدعى يولوي ، كان جوهانيتزا قد اعاد إسكانها حديثا . وحالما رأى السكان الجيش الفرنسي قادما هربوا من المدينة ولجأوا الى الجبال .

وعسكر الامبراطور وجيشه امام المدينة ، وانطلقت مجموعات

البحث عن المؤن والعلف تتجول في الارض ، وامدوا عددا كبيرا من الثيران ، والابقار ، والجاموس ، اضافة الى الحيوانات الاخرى ، وكان بعض الناس من ادرنة قد احضروا عرباتهم معهم ، حيث انهم كانوا فقراء وفي حاجة الطعام حملوا هذه المركبات بالقمح والحبوب الاخرى ، ومكث الجيش هناك ثلاثة ايام ، وكانت مجموعات البحث عن المؤن تطوف بالريف للبحث عن الغنائم ، ولكن الارض في تلك الاجزاء كانت جبلية وعرة جدا ، وكانت هناك شعاب عميقة كثيرة ، حتى ان الجيش فقد عددا من رجال التموين لانهم كانوا مغامرين اكثر مما يجب ولم ينظروا اين يذهبون .

وفي النهاية وضع الامبراطور هنري اخاه يوستاس وابن اخيه تيري دي فلاندرز ، وغوتيير دي اسكورتاي ، وجين بلايود كلا في قيادة مجموعة ، وارسلهم تحت قيادة انسودي كايو ليحرسوا رجال التموين ، وفي احد الايام دخلت هذه المجموعات الاربعة خلال تأديتها لمهمتها ، في منطقة ريفية جبلية ووعرة جدا ، وعندما انهى رجال التموين طوافهم في الارض ، وارادوا العودة الى المخيم وجدوا الشعاب محروسة جيدا بقوة من قبل الوالاشيين في تلك المنطقة ، الذين تجمعوا هناك ، وهاجم هؤلاء الفرنسيين محدثين اضرارا كثيرة سواء في الرجال او الخيل ، وتمكن رجالنا بمشقة من النجاة ومن الهزيمة الى حد انه في الواقع ان الفرسان اضطروا النزول عن خيولهم ، والقتال على اقدامهم ، ومع ذلك فبفضل الرب تدبروا امر العودة الى المعسكر وان لم يكن ذلك بدون معاناة خسائر كبيرة .

وفي اليوم التالي ترك الامبراطور هنري وجيشه يولوي وعادوا بالطريق الذي جاءوا منه ، حتى انه بعد مسير عدة ايام وصلوا الى ادرنة ، حيث خزنوا القمح والمؤن الاخرى التي جلبوها معهم ، وامضى الامبراطور الاسبوعين التاليين في المروج خارج المدينة .

وفي حوالي هذا الوقت شن المركيز دي مونتفرات ، الذي كان في

سيريس التي اعاد بناءها وتحصينها غارات على كل الريف المحيط حتى ميزونوبولس ، وجعل تدريجيا كل الارض تحت حكمه ، وعندما تم ذلك بعث بالرسل الى الامبراطور هنري ليقول بأنه يرغب في التحدث معه ، وانه سيقابله بجانب النهر الذي يجري تحت ابسالا ، ولم يكن لدى الرجلين فرصة للكلام وجها لوجه ، منذ الغزو الفرنسي للامبراطورية ، لان كثيرا من الخصوم كانوا بينهما حتى انه كان من المستحيل عليهما ان يلتقيا ، وعليه عندما سمع الامبراطور ومستشاروه بان المركيز كان في ميزونوبولس ابتهجوا ، وأرسل الامبراطور مع الرسل بأنه سيأتي لمقابلة المركيز في اليوم الذي حدده .

وانطلق الامبراطور هنري في طريقه ، تاركا راهب دي بيثوم مع مائة فارس في ادرنة ليحمي الريف المحيط ، وفي اليوم المحدد وصل هو ورجاله الى مكان الاجتماع الذي كان في مرج قرب مدينة ابسالا ، واقترب الامبراطور من المكان من جانب واحد ، والمركيز من الاخر ، وعبر كلاهما عن اعظم السرور باللقاء . ولم يكن هذا مدهشا ، حيث انهما لم يريا احدهما الاخر طيلة هذا الوقت الطويل .

وسأل المركيز عن اخبار ابنته الامبراطورة اغنس ، وسر عندما اخبره الامبراطور بانها تنتظر طفلا ، وعليه اعطى المركيز البيعة للامبراطور (هنري) واصبح رجله وعليه ان يحصل على اراضيه منه ، كما حصل عليها من الامبراطور المتوفى اخيه ، وعرض المركيز بالتالي على جيوفري فيلها ردين مارشال رومانيا وشامبين الخيار بين مدينتين ، موزونوبولس ، مع كل توابعها او سيريس ، ايهما يفضل - لتكون ملكا خاصا له ، وهكذا اصبح المارشال تابعا للمركيز ، ولكن بدون اضرار بالولاء الذي كان يدين به لامبراطور القسطنطينية .

وامضى المركيز والامبراطور يومين سعيدين جدا معا في الميدان

الواقع تحت ابسالا ، وقالا لبعضهما انه كما سمح الرب لهما باللقاء معا ، فقد يواجهان معا اعداءهما ويضايقانهما مرة اخرى ، واتفقا على اللقاء في نهاية الصيف ، في شهر تشرين اول مع كل قواتهما ، في المرج الواقع خارج ادرنة وان يشنا الحرب على ملك والاشيا وهكذا افترقا ، وكلاهما سعيد جدا ، وفي افضل مزاج. وعاد المركيز الى موزنوبولس وعاد الامبراطور هنري الى القسطنطينية .

ولم يمض على المركيز خمسة ايام في مدينته ، قبل ان يركب خارجا منها بناء على نصيحة الروم في تلك الاحواز بالقيام بحملة الى جبل موزونوبولس ، الذي كان على مسيرة يوم واحد ، وبعد ان ركب عبر الاراضي ، وكان يأخذ طريق العودة الى مقره ، تجمع البلغار وبملاحظة ان لديه قوتين صغيرتين فقط ، جاءوا من كل الريف المحيط ، وهاجموا قوات المؤخرة وفي اللحظة التي سمع فيها رجاله يطلقون صيحة التحذير ، قفز على حصانه وكان غير مسلح بالمرة ومعه فقط رمح في يده ، وعندما وصل الى المكان الذي كان البلغار فيه على بعد قاب قوسين من قوات المؤخرة اندفع رأسا بينهم وردهم مسافة بعيدة .

وبينما كان مندفعا خلفهم ، جرح المركيز جرحا مميتا في سمك الذراع تحت الكتف ، وبدأ ينزف دما ، وعندما رأى رجاله ماحدث ، بدأت شجاعتهم تندحر ، وتدهورت معنوياتهم وبدأوا ينهارون . وامسك القريبون من المركيز به ورفعوه ، وكان قد فقد دماء كثيرة حتى بدأ في الاغماء ، وبادراك انهم لايمكن ان يتوقعوا مزيدا من المساعدة من قائدهم ، استسلم رجاله للفزع وبدأوا يتخلون عنه ، وعليه نتيجة لمصادفة منحوسة هزموا واما الذين بقوا مع المركيز – وكانوا قليلين جدا – فقتلوا ، وقطع البلغار رأس المركيز وارسلوه الى جوهانيتزا ، وكان هذا واحدا من اعظم المسرات التي استمتع بها ملك والاشيا على الاطلاق .

- ٤٥٥٧ -

واأسفا ، اي كارثة مأساوية للامبراطور هنري ، ولكل الرجال في الامبراطورية من الفرنسيين والبنادقة على السواء ، بفقد مثل هذا الرجل في مثل هذه الحادثة المشؤومة ، لقد كان رجلا من انبل البارونات واكبرهم جميعا قلبا ، وواحدا من اشجع الفرسان في كل الدنيا ! وحدثت هذه الواقعة الحزينة في السنة ١٢٠٧ لتجسيد ربنا ٠

سقوط القسطنطينية للصليبيين

صنفه بالفرنسية القديمة

روبرت دي كلاري

سقوط القسطنطينية

١- هنا بداية أخبار الذين استولوا على القسطنطينية ، وسنحدثك فيما يلي عنهم وعن الأسباب التي حدتهم للزحف ضدها ، فقد حدث في الأيام التي كان فيها البابا انوسنت (الثالث) يشغل الكرسي الرسولي في روما ، ويتولى فيه الملك فيليب عرش فرنسا ، كان هناك فيليب آخر هو (أمير سوابيا) امبراطور ألمانيا ، وكانت السنة سنة ألف ومائتين وثلاث أو أربع (الصحيح ١٢٠٢) لتجسيد يسوع المسيح التي ظهر فيها راهب اسمه فولك وكان من سكان نيللي ، وهي أسقفية تابعة لرئاسة أساقفة باريس ، وكان هذا الراهب رجلا تقيا ورجل دين مستقيم يتحلى بالكرم والطيبة ، وقد أخذ يطوف في مختلف البلدان يدعو الى حمل الصليب ، وقد تبعه أعداد كبيرة من الناس ، ذلك أنه بلغ من التقوى حدا تجلى له فيه الرب بآيات باهرة ، وقد جمع هذا الراهب كميات كبيرة من المال ليأخذها معه الى الأراضي المقدسة فيما وراء البحار .

وارتدى في هذه الآونة شارة الصليب كل من ثيبوت كونت شامبين ، وبلدوين كونت فلاندرز ، وأخوه هنري ، ولويس كونت بلوا ، وهيو كونت سانت بول ، وسيمون كونت مونتفرات ، وأخوه غي .

وسأخبرك الآن بأسماء الأساقفة الذين أسهموا في الحملة ، فقد كان منهم نيفلون أسقف سواسون ، وكان رجلا ماهرا قادرا على انجاز أي مهمة تعهد اليه ، يهب الى مساعدة كل من يطلب منه ذلك ، وكان هناك أيضا فارنية أسقف تروي ، و (كونراد) أسقف هاليرشتات في ألمانيا ، ويوحنا دي نويون ، الذي اختير فيما بعد أسقفا لمدينة عكا ، وكان هناك أيضا راعي دير لوس في

فلاندرز ، وهو واجد من أديرة الرهبان الفرنسيسكان ، وكان هذا الراعي رجلا مدبراً عظيم التدين والاستقامة والفضل والطيب ، كما وكان هناك أعداد كبيرة أخرى من رعاة الأديرة ورجالات الاكليروس ، من الصعب تذكر أسماءهم جميعا ، لهذا اكتفينا بذكر بعض الأسماء منهم ، وفي الوقت نفسه من غير الممكن بالنسبة لنا تعداد أسماء جميع البارونات الذين حملوا شارة الصليب ، وسأكتفي بتسمية بعضهم فقط ، ومن هؤلاء السيد بيتر الدمياني من أمينوا ، وكان فارسا شجاعا يتمتع باللطف والاستقامة ، والسيد أنجردي بوفيز ، وكان أحد أخوة أربعة (ثانيهم روبرت وثالثهم هيو وكان رابعهم راهبا) واشترك أيضا بلدوين دي بوفو ، وماثيودي والنكوت المحامي عن دير بيثون وأخوه كونون ، ويوستاس دي كانتلبيه ، وأنسودي كايو ، ورينو دي ترتيت ، وويلزدي فريز ، وجيرالد دي مانشيكورت ، ونقولا دي ميللي ، وبلدوين كافاروم ، وهيو دي بوفيه ، وعدد كبير آخر من الفرسان والرجالات الكبار من بين الفلمنكيين والبلدان والأخرى ، ممن لايمكنني ذكر أسمائهم جميعا .

وأسهم في حمل شارة الصليب جيمس دي أفين ، وأوتودي شامبليت وهو من برغنديا ، وأخوه وليم الذي حوى الجيش عددا كبيرا من رجاله ، وكان هناك أعداد أخرى من برغنديا ليس بامكاني تعداد أسمائهم جميعا ، واشترك أيضا من شامبين مارشالها (المؤرخ فلهاردين) وأوجيه دي سانت شيرون ، وماكيردي سانت ماينهولد ، وكلارمبو دي شاب ، ومينر البربنتي ، وهؤلاء جميعا قدموا من شامبين .

وكان هناك أيضا محافظ كوربي ، وروبرت دي رونسوي ، وماثيو دي مونتمورنسي ، وكان رجلا فاضلا مستقيما ، ورائول النوي ، وابنه وولتر ، وجيل أولنوي ، وبيتر دي براشو ، وكان فارسا شجاعا باسلا مستقيما وأخوه هيو ، وهؤلاء جميعا كانوا من فرنسا ومن بوفيزي . وشارك في

الحملة من شارتران : جرفيه دي شاتل وابنه هـرفيه ، وأولفـردي روشفورت ، وبيتـر دي الوسـت ، وبـابين الأرلياني ، وبيتـر الدمياني ، وكان فارسا قويا شجاعا ، وأظهر كثيرا مـن المقـدرة والكفاءة ، وأخـوه تـوماس وكان راهبـا ، وكاهـن أميين ، ومناسيس مـن أهـل ليل في فـلاندرز ، ومـاثيو دي مونتمورنسي ، ومحافظ كوربي .

ومع هؤلاء وجد عدد كبير من الفـرسان مـن فـرنسا وفـلاندرز وشامبين ، وبرغنديا ، ومن بلدان أخرى كثيرة ليس بـالامكان ذكر اسمائهم جميعا ، بيد أنهم كانوا بأجمعهم من الفرسان الشـجعان المهرة ، وكان الذين عددناهـم لك مـن أثـرياء الناس وأعلاهـم مكانة ، وكانوا يحملون الرايات بأيديهم ، هذا ولم نذكر جميع الذين كانوا يحملون الرايات ، وأمـا الذين قـاموا بجليل الانجـازات والبطولات الخارقة من الفقراء والأغنياء فكان منهم ممن نسـتطيع ذكرهم : بيتر دي براشو ، وكان من الأثرياء وقد قام بأعظم أعمال البطولة ، وكذلك أخـوه غي ، وأندريه دي ديربـواز واللورد بيتـر الدمياني العـظيم ، ومـاثيو دي مـونتمورنسي ، ومـاثيو وارلنكورت ، وبلدوين دي بـورفوار ، وهنري أخـو كونت فلاندرز ، وجيمس دي آفين ، وكان هؤلاء من الأثرياء الذين قاموا بأعظم انجازات القتال .

ونذكر مـن الفقـراء : بـرنارد دي آير ، وبـرنارد دي سوبرنجيان ، ويوستاس دي هيمونت وأخوه ، وجلبرت دي فيسم ، ورويلز دي فريز ، وهيو دي بوفيه ، وروبرت دي رونسـوي ، وألارد ماكيرو ، ونقـولا دي ميللي ، وغي دي مـانشيكورت ، وبلدوين دي هـاملينكورت ، ووليم دي ير فيل ، والليوم دي كلاري ، كاهـن أمينوا ، وكان رجلا فاضلا ، أنجـز أعمـالا كثيرة مـن المهـارة والقوة ، والليوم دي سين ووليرام دي فونتين .

ان الذين أتينا على تعداد أسمائهم هم من قـام بـأعظم أعمـال

الشجاعة والمقدرة في القتال ، ومثلهم فعل آخرون كثر كانوا من القوم الصالحين ، من فرسان ورجالة ، إنهم آلاف مؤلفة أعجز عن احصائهم .

٢ـ وتقاطر للاجتماع كل الذين حملوا شارة الصليب من الأمراء وكبار البارونات ، وبعثوا يطلبون جميع أعيان الناس الذين حملوا شارة الصليب ، حتى اذا التأموا وعقد اجتماعهم أخذوا يتداولون فيما بينهم بحثا عمن يقدمونه لرئاستهم وقيادتهم ، وأخيرا عقد اجماعهم على انتخاب الكونت ثيبوت دي شامبين ، فعينوه قائدا لهم ، وبعدما فرغوا من تعيينه انفصل كل واحد منهم عن الآخر وكر راجعا الى بلده ، غير أنه مابرح كونت ثيبوت أن طالته يد المنية بعد اختياره بأمد وجيز ، وحين مات خلف للصليبيين ولمن ستؤول اليه قيادتهم من بعده وتقدمتهم خمسين ألف قطعة نقدية (ذهبية) ، وأوصى أن ينفق الصليبيون هذا المبلغ وفق أهوائهم .

٣ـ كما ومات السيد فولك ، فشكل موته خسارة كبيرة وفاجعة عظيمة نزلت بحملة الصليب ، وبعدما عرف حملة الصليب أن مقدمهم كونت شامبين قد توفي وكذلك السيد فولك شعروا بحزن شديد ، وقلقوا وتشربت قلوبهم الحزن والأسى ، فاجتمعوا في سواسون في يوم اتفقوا عليه ، وتداولوا فيما بينهم حول ماينبغي عليهم القيام به ، والى من سيسوقون زعامتهم ويقدمونه قائدا عليهم ، وأخيرا قر رأيهم على أن يبعثوا الى لومبارديا يطلبون الماركيز دي مونتفرات ، ومن ثم بادروا فبعثوا اليه بعدد من السفراء المناسبين ، ومضى هؤلاء الى لومبارديا بعدما أكملوا استعداداتهم ، والتقوا هناك بالماركيز وأبلغوه أن بارونات فرنسا يبعثون اليه رسالة ، ويتوسلون اليه باسم الرب ليقدم عليهم في يوم بينوه له للتحدث اليهم ، ولدى سماع الماركيز هذه الرسالة تولاه العجب واستبدت به الدهشة ، وتساءل لماذا اختصة بارونات فرنسا دون سواه فبعثوا اليه برسلهم ؟ ثم أخبرهم أنه سيفكر بالموضوع

وسيخبرهم غدا بما يراه ويقرره ، هذا وأكرم الماركيز الرسل إكراما عظيما .

٤ـ وأخبرهم الماركيز في اليوم التالي أنه سيذهب في اليوم المحدد الى سواسون للتداول معهم ، وبناء عليه ودعه الرسل وانصرفوا عائدين ، وقد عرض الماركيز تزويدهم ببعض الخيول ومنحهم بعض المجوهرات ، فشكروه واعتذروا عن أخذ شيء منه .

وبعدما عاد الرسل الى البارونات أعلموهم بالذي فعلوه ، وفي الوقت نفسه حمل الماركيز سلاحه واجتاز جبل مونت جو ، وتابع سفره في فرنسا حتى وصل الى سواسون ، وكان قد أرسل أمامه من يخبر البارونات بمقدمه ، وخف هؤلاء للترحيب به ، وقد أكرموا وفادته غاية الاكرام .

٥ـ وبعدما وصل الماركيز الى سواسون سأل البارونات عما دفعهم الى طلبه ، وفيما اذا كان صدر عن رأي جماعي منهم ، فأخبروه بالايجاب وقالوا :« لقد بعثنا برسلنا اليك ياmولانا ، لأن كونت شامبين قد توفي ، وهو الذي كان قائدنا ، وفعلنا ذلك على أساس أنك أعظم رجل مستقيم نعرفه ، وأنت النبيل الوحيد الذي يمكنه ـ بمشيئة الرب ـ أن يمحضنا الرأي الصائب فيما يتعلق بخططنا ، ونحن نتوسل اليك جميعا باسم الرب أن تقبل التقدم علينا وتترأسنا ، وأن تحمل شارة الصليب محبة بالرب » ، وتفوه البارونات بهذه الكلمات وهم جاثون أمامه ، وأعلموه أن عليه عدم الاهتمام والخوف من القيام بأعباء هذه المهمة لأنهم سيقدمون له الشطر الأكبر من المال الذي تركه كونت شامبين للصليبيين .

فأعلمهم الماركيز أنه سيفكر بالأمر ويقلب وجوه الرأي حوله ، وبعدما فعل ذلك أخبرهم أنه سيحمل شارة الصليب في سبيل الرب ومحبة به ، ولانقاذ الأراضي الواقعة فيما وراء البحار ، وهنا بادر أسقف سواسون الى مباركة الماركيز ومسحه وناوله

الصليب ، وماأن حمله حتى أعطوه خمسة وعشرين ألف مارك من الأموال التي تركها كونت شامبين للصليبيين .

وبعدما تناول الماركيز الصليب توجه بالخطاب الى البارونات قائلا :« أيها السادة الى أي من بلاد ما وراء البحر ستقصدون ، وأي بلد من بلاد المسلمين تستهدفون؟ » فاجابوه بأنه ليس بودهم التوجه الى سورية لأنهم لن يكونوا هناك قادرين على انجاز شيء نافع ، وهم يفكرون بالتوجه الى مصر وقصد الاسكندرية أو القاهرة قلب الأحداث ، وحيث يأملون أن يكونوا قادرين على انجاز أعمال أعظم خطورة ، وأنه لهذه الغاية قد خططوا لاكتراء اسطول يكون بامكانه نقلهم جميعا الى مقصدهم ، وأثنى الماركيز على خطتهم الحكيمة هذه ، وأعلمهم بموافقته عليها تمام الموافقة ، وأنه بات عليهم ارسال رسل من خيرة فرسانهم الى بيزا ، أو جنوى ، أو البندقية ، فوافق البارونات جميعا على هذا الاقتراح .

٦- واثر هذا انتخبوا رسلهم ، ووقع اختيارهم بالاجماع على أن تتكون هذه السفارة من المحامي عن بيثون ومارشال شامبين ، وبعدما تم هذا الاختيار تفرق جمعهم ، فعاد الماركيز الى بلده ، وحذا الآخرون حذوه ، وذلك بعدما كلفوا الرسل بالعمل على استئجار اسطول فيه من السفن مايكفي لنقل أربعة آلاف فارس مع عتادهم وكذلك مائة ألف راجل ، وهيأ الرسل أنفسهم ، وانطلقوا بدون تأخير فوصلوا أولا الى جنوى ، وهناك شرعوا بالتفاوض مع الجنوية ، وذلك بعدما أعلموهم بما أرسلوا من أجله ، فأجابهم الجنوية أن ليس بامكانهم المساهمة في مشروعهم الذي قدموا من أجله ، وبناء عليه توجهوا الى بيزا ، وتباحثوا مع البيازنة حول المسألة ، فاعتذروا اليهم لعدم توفر السفن الكافية لديهم ، ولهذا أعلموهم أن ليس بامكانهم المساهمة ، وحينذاك قصد الرسل مدينة البندقية ، فأخبروا دوجها بما جاءوا بسببه ، وأعلموه أنهم يريدون اكتراء اسطول يمكنه نقل أربعة آلاف فارس مع كامل عتادهم ومائة

ألف من الرجالة ، وبعدما أصغى الدوج الى هذا المطلب أعلمهم أنه سيفكر بالمسألة ، لأن ماجاءوا يطلبونه يحتاج الى إمعان وتفكير عميق ، ثم دعا اليه كبار أركان المدينة ورجالاتها ، وتحدث معهم وأطلعهم على مطلب الرسل منه ، وبعدما تداول وأعوانه حول هذا الأمر منفردين ، أرسل وراء الرسل وأخبرهم قائلا :« أيها السادة نحن مستعدين للاستجابة الى مطلبكم ، وسنعد عمارة بحرية كبيرة اذا رضيتم بدفع مائة ألف قطعة (مارك) نقدية ذهبية لنا ، وليكن معلوما من طرفكم أنني سأمضي معكم برفقة نصف القادرين على حمل السلاح من سكان البندقية ، على أن يكون نصيبنا النصف من جميع الغنائم التي ستقع في أيدينا هناك ، وسنضيف الى هذه العمارة خمسين شينيا نتولى نحن البنادقة الانفاق عليها ، وسننقلكم في مدى عام من اليوم الذي نتفق عليه الى أي بلد شئتم ، سواء أكان هذا البلد الاسكندرية أم القاهرة .

٧ـ وعندما سمع الرسل هذا أجابوه : إن مبلغ المائة الف مبلغ كبير جدا ، ثم تداولوا وتساوموا حتى تمت الموافقة على دفع مبلغ سبعة وثمانين ألف مارك ، وإثر ذلك أقسم الدوج ورجالات البندقية والرسل على الوفاء بهذا الاتفاق وتنفيذه ، وبناء عليه أعلمهم الدوج أنه يود الحصول على مبلغ خمسة وعشرين ألف مارك كدفعة معجلة ليشرع في أعمال بناء السفن ، فأجابه الرسل بالايجاب ، وطلبوا منه أن يرسل معهم الى فرنسا من يفوضه لاستلام هذا المبلغ وهو خمسة وعشرين ألف مارك ، ثم استأذن الرسل في العودة فبعث معهم الدوج واحدا من أعيان شخصيات البندقية ليقبض المبلغ المتفق عليه .

ثم أمر الدوج أن يعلن في جميع أطراف البندقية الا يشغل أي بندقي نفسه بشاغل غير التفرغ للاسهام في بناء السفن ، ففعلوا ونفذوا الذي أمروا به ، وأخذوا يعملون بكل جد في بناء الأسطول ، الذي جاء أعظم اسطول يمكن للعين أن تراه ، وماأن وصل الرسل الى فرنسا حتى عمموا خبر عودتهم ، وهكذا وجهت

الدعوة الى كل البارونات الذين حملوا شارة الصليب للقدوم الى كوربي بكل سرعة للاطلاع على ماتم .

٨- وبعدما تكامل قدوم البارونات أخبرهم الرسل بالذي تم الاتفاق عليه ، وسر البارونات لدى سماعهم الخبر سرورا عظيما ، فأقروا الاتفاق وأكرموا رسل دوج البندقية وأعطوهم بعضا من المال الذي خلفه كونت شامبين ، مع بعض ماكان السيد فولك قد جمعه ، زد على هذا دفع كونت فلاندرز بعضا من ماله لاكمال المبلغ المدفوع الى خمسة وعشرين الف مارك ، وبعدما تسلم دوج البندقية المبلغ زودهم البارونات بتصريح مرور يضمن سلامة الوصول عائدين الى البندقية .

٩- وأرسلت بعد هذا رسائل الى الصليبيين جميعا في كل مكان بوجوب الانطلاق في عيد الفصح نحو البندقية ، على أن يكونوا في البندقية فيما بين عيد العنصره وشهر آب ، وألا يتخلف أحد عن القدوم ، فانصاع الجميع للأوامر ، وهكذا لم يمض عيد الفصح حتى تحركوا جميعا ، وخرج العديد من الآباء والأمهات والأخوة والأخوات والزوجات والأطفال وهم ينتحبون على فراق أحبائهم الأعزاء عليهم .

١٠ - وبعدما تقاطرت جموع الحجاج على البندقية ، واجتمعوا هناك ، وشهدوا سفن الاسطول الكبيرة ، وتأملوا منظر الشواني وسفن الحمولة التي أعدت لنقل الخيول ، والبطسات ، سروا كثيرا وعجبوا لما حوته البندقية ودهشوا لثرواتها الهائلة ، وعندما عرفوا أن المدينة لن تستوعبهم جميعا ، اتفقوا فيما بينهم على التحرك للاقامة في جزيرة سانت نقولا التي كان البحر يحيط بها من كل جانب ، وهي واقعة على مسافة فرسخ واحد من البندقية ، وبناء عليه انتقل الحجاج إلى هناك ونصبوا خيامهم ، وأقاموا عل أفضل حال توفر لهم.

١١- وبعدما عرف دوج البندقية بوصول جماعات الحجاج جميعا ارسل وراء رجال مدينة البندقية ، وعندما اجتمعوا أمامه أمرهم بأن يستعد نصفهم ويتهيأوا للسفر في رفقة الحجاج في الاسطول ، وعندما سمع البنادقة هذا الأمر سر بعضهم سرورا كبيرا ، غير أن بعضهم الآخر أعلنوا أنه لايمكنهم السفر ، وتناقشوا بشأن الطريقة التي يمكن فيها اختيار النصف الذي سيرافق الحملة ، وصنعوا أخيرا قرعة على الشكل التالي : وضعوا كرات من الشمع كل اثنتين معا ، وجعلوا في احداهما قطعة من الورق ، ثم ذهبوا الى الشماس وأعطوه الكرات ، فرسم على الأوراق علامة الصليب ، وكان يعطي كل اثنين من البنادقة كرتين لاعلى التعيين ، فمن كان يصيبه الكره التي تحتوي على الورقة المكتوبة توجب عليه الرحيل ومرافقة الاسطول وبهذه الوساطة انشطروا الى قسمين .

١٢- وبعدما قر قرار الحجاج في جزيرة سانت نقولا توجه دوج البندقية وأعيانها اليهم للتداول معهم ، وطالبوهم بسداد بقية ثمن السفن التي أعدوها لنقلهم ، وأخبرهم الدوج أنهم لم يحسنوا صنعا حين بعثوا رسلهم يطلبون بناء اسطول قدرته نقل أربعة آلاف فارس مع عتادهم ومائة ألف راجل بينما لم يحضر من هؤلاء الالاف الأربعة أكثر من ألف فقط ، بسبب سفر الاخرين من مراسي أخرى غير مرسى البندقية ، ثم أنه لم يحضر من المائة ألف من الرجالة أكثر من خمسين أيضا أو ستين ، وبناء عليه قال الدوج :« أننا نطلب منكم دفع المبلغ المتفق عليه فيما بيننا » ولدى سماع الصليبيين هذا الطلب أخذوا يتشاورون فيما بينهم ، ثم قر رأيهم على ان يدفع كل فارس أربعة ماركات عن نفسه وأربعة أخرى عن حصانة ، وأن يدفع كل واحد من السيرجانتيه ماركين ، والا يقل مايدفعه كل واحد من البقية عن مارك واحد ، وبعدما دفعوا الى البنادقة ماجمعوه من المال ، تبين لهم أنهم مايزالون مدينين للبنادقة بخمسين ألف مارك توجب عليهم سدادها .

وغضب الدوج والبنادقة غضبا عظيما عندما شهدوا أن الحجاج لم يدفعوا لهم سوى هذا المبلغ ، ولهذا السبب قال لهم الدوج :
« أيها السادة ، لقد الحقتم بنا الضرر ، لأنه منذ أن غادر رسلكم الذين عقدوا معي هذه الاتفاقية ، أصدرت أوامري الى جميع سكان بلادي أن يتخلى كل حرفي عن حرفته وتجارته وأن ينخرط الجميع في العمل لاعداد سفن الاسطول الراسية أمامكم ، ولقد ظل الجميع يعملون بصورة متواصلة مدة عام ونصف العام ، فكانت خسائرهم كبيرة ، ولهذا أطالبكم أنا وأتباعي بدفع المال الذي مازلتم مدينين به لنا ، واذا لم تسددوا هذه المبالغ ليكن بمعلومكم أنه لن يكون بإمكانكم مغادرة هذه الجزيرة ، فقبل سداد ماهو متوجب عليكم لن تجدوا أحدا يأتيكم بالمؤن والمياه »

ومع هذا فإن الدوج الذي كان رجلا مستقيما وفاضلا لم يتوقف عن تزويدهم بما يكفيهم من ماء وطعام .

١٣ـ وعندما سمع البارونات والحجاج ما قاله الدوج عظم أساهم ، وتضاعف حزنهم ، وعاودوا مرة أخرى الجمع واستدانوا ما أمكنهم استدانته ممن خيل اليهم أن معهم بعضا من مال ، وسددوا ما جمعوه الى البنادقة ، ومع هذا وجدوا أن ما بقي عليهم سداده مبلغ ستة وثلاثين ألف مارك ، وهنا أخبروا البنادقة أنه قد ضاقت بهم الحال ، وافتقروا وتأزمت أحوال الجيش بسبب ما جمعوه منه من مال وأعلموهم أنه ماعاد بالامكان جمع المزيد فالذي تبقى يكفي بالكاد لاعالة الجيش .

وعندما أدرك الدوج أنهم بالفعل باتوا عاجزين عن سداد بقية المبلغ ، وأنهم بالواقع بدأوا يعانون من الفقر تكلم الى رجالات قومه وخاطبهم قائلا :« أيها السادة ، اذا تركنا هؤلاء الناس يعودون الى بلدانهم وصمنا الناس الى أبد الآبدين بالخبث والاحتيال ، وأنه لجدير بنا ومفيد أن نذهب اليهم ونخبرهم أننا موافقون على نقلهم بحرا شريطة القبول بتسديد المبلغ المتبقي وهو ستة وثلاثون ألف

مارك من أول الغنائم التي سيحصلون عليها ، ووافق البنادقة على اقتراح الدوج هذا ورحبوا به وتوجه الدوج وصحبه في اليوم التالي الى حيث أقام الحجاج ، وتوجه اليهم بالخطاب قائلا :« أيها السادة ، لقد تداولت أنا وشعبي حول مسألة المبلغ المتبقي واتفقنا على أن نتولى نقلكم على ظهر سفننا اذا أبديتم الاستعداد لدفع مبلغ ستة وثلاثين ألف مارك المتبقي لنا بذمتكم من أول غنائم تحصلون عليها في المستقبل ، ووعدتمونا وعدا مؤكدا بذلك » وعندما فهم الصليبيون اقتراح الدوج وخطابه ، انفرجت أساريرهم واستبشروا ، وانكبوا أمام قدمية مسرورين ، ووعدوه وعدا أكيدا لارجعة فيه أنهم سيفعلون كل ماأشار به واقترحه عليهم ، وأمضوا ليلتهم في غبطة تامة ، ولم يبق أي واحد فقير أو غيره الا وأقام اضاءة كبيرة أمام مقره ، ثم حملوا مشاعل عظيمة شدوها الى أطراف رماحهم وركزوها داخل معسكرهم وخارجه ، حتى بات يخيل للرائي أن المعسكر قد استحال الى شعلة من نار .

١٤ـ وبعد هذا جاء الدوج وتوجه بالخطاب الى البارونات قائلا : « ايها السادة ، لقد بتنا الآن على أبواب الشتاء ، ولهذا لايمكننا ركوب البحر ، ولايمكن لأحد أن يلومني على ذلك ، فقد كان بودي نقلكم منذ أمد طويل ، لكن أنتم سببتم التأخير ، والآن أرى أن نستفيد مما نحن فيه ، فعلى مقربة منا مدينة اسمها زارا » لقينا من أهلها الضرر العظيم ، وبودي أنا وشعبي أن نثأر منهم ، لو وجدنا الى ذلك سبيلا ، فاذا وثقتم بي توجهنا اليها ، وأمضينا بها الشتاء حتى حلول عيد الفصح ، واثر ذلك نعد الاسطول ونقلع به الى ماوراء البحار في سبيل خدمة الرب ، واعلموا أن زارا بلدة جميلة جدا ، وحافلة بالخيرات والذخائر .

ووافق البارونات ورجالات الصليبيين على اقتراح الدوج ، غير أن الجيش بمجمله لم يعرف شيئا عما دار ، ولم يقف على خبر هذه الخطة سوى أعلى رجالاته مرتبه ، وبناء عليه أعدوا عدتهم وهيأوا

سفنهم وأنزلوها الى الماء واستقل كل واحد من علية القوم مع أتباعه سفينة خاصة ، كما أخذ سفينة حمولة لنقل خيوله ، أما الدوج فكان معه خمسون شينيا كلها أعدها على حسابه الخاص ، وطليت السفينة التي ركبها باللون الارجواني ونشرت فوقها قلوع من القماش الأرجواني الفاخر ، وكان على ظهرها أربعة أبواق فضية كانت تصدح أمامه وعدة طبول تقرع بأصوات عالية شديدة ، وعندما حان وقت الاقلاع أبدى رجال الحملة جميعا ورجال الاكليروس والعلمانيون - صغيرهم وكبيرهم - سرورا عظيما لم يشاهدمثله قط ، وكان الاسطول فخما لم تر عين مثله قط ، ولم تسمع بمثله أذن ، وطلب الحجاج من الرهبان ورجال الاكليروس الارتقاء الى أعالي مؤخرات السفن وترتيل الأناشيد في مديح روح القدس ، وأجهش الجميع كبارا وصغارا بالبكاء لشدة انفعالهم وسرورهم من الاعماق .

١٥- وعندما أقلع هذا الاسطول من مرسى البندقية ، واندفعت الشواني والسفن العملاقة وسواها من المراكب الكثيرة،كان المنظر ابهى ماراته عين منذ أن أبدع الله الكون ، فقد كان هناك مائة زوج من الأبواق الفضية والنحاسية كلها كانت تصدح وقت الاقلاع ، وكان هناك أيضا عددا كبيرا من الطبول والكوسات وغيرها من الآلات ، مما شكل اعجوبة رائعة ، حتى اذا صاروا في عرض البحر ، ونشرت السفن قلوعها ورفعت الرايات على مؤخرة كل سفينة ، وعرضوا رنوكهم خيل للمشاهدين أن البحر بات يضطرب بأجمعه متجاوبا مع فرحة القوم ، وأنه استحال الى شعلة براقة بسبب السفن التي كانت تمخر عبابه ، .

وظلوا سائرين تدفعهم ريح طيبة حتى مدينة اسمها بولا ، فتوقفوا عندها لنيل قسط من الراحة وللتزود بالماء وما لزم من مؤن وذخائر ، وبعدما حملوا ماحصلوا عليه ، أبحروا ثانية ، ولئن كان سرورهم في المرة الماضية واحتفالهم عظيما فان احتفالهم هذه المرة كان مضاعفا ، وسرورهم كان يفوق

الوصف ، حتى أنه استبدت الدهشة بأهل المدينة لما رأوه من فرح ، ولمشهد ذلك الاسطول الجبار ومنظره الرائع ، وقالوا محقين : انهم لم يشهدوا قط اسطولا أروع أو أغنى من هذا الاسطول الواقف أمامهم ولم يحدث قط أن تجمع مثله في أي بلد من البلدان

١٦ـ وتابع الحجاج والبنادقة ابحارهم حتى وصلوا الى مدينة زارا ، ليلة عيد القديس سانت مارتن ، وأصيب سكان المدينة بالهلع لدى رؤيتهم لهذا الاسطول العملاق الذي أخذ يقترب منهم ، فبادروا الى اغلاق أبواب مدينتهم وحملوا سلاحهم للدفاع عن انفسهم بقدر مايمكنهم ، وبعدما عرف الدوج ذلك واقترب الاسطول من المدينة خاطب الدوج بارونات الجيش بقوله :« أيها السادة لقد ألحقت هذه المدينة بي وبشعبي مضار عظيمة وأذى كبيرا ، وأنه لمن دواعي سروري الانتقام منها ، لهذا أرجو مساعدتكم » ، ورحب البارونات ورجالات الجيش بطلبه ووعدوه باسداء العون عن طيب خاطر ٠

١٧ـ وبما أن أهل زارا كانوا يعرفون معرفة يقينية درجة كراهية البنادقة لهم ، فقد حصلوا على منشور من روما فيه قرار بحرمان كل من تحدثه نفسه بمهاجمتهم أو الحاق الضرر بهم ، وبناء عليه بعثوا بنسخة من هذا المنشور الى الدوج والى الحجاج الذين أرسوا سفنهم أمام المدينة ، وبعدما وصل الرسل الى المعسكر قاموا بتلاوة المنشور أمام الدوج والحجاج ، وبعدما فرغوا من تلاوته واستوعبه الدوج أعلن أنه لن يتراجع عن أخذ ثأره من مدينة زارا ، وأن مامن قوة يمكن أن تثنيه عن عزمه ، حتى وإن تمثلث بقرار الحرمان البابوي ، وعند ذلك انصرف الرسل ، ورجع الدوج الى مخاطبة البارونات فقال لهم : « أيها السادة ، أرجو أن تتيقنوا تماما أنني لن أتخلى مهما كانت الضغوط عن الانتقام من أهل زارا ، حتى مع وجود قرار البابا بالحرمان » ، ثم طلب من البارونات تقديم العون له ، فاستجابوا جميعا لمطلبه ، ووعدوه بالمساعدة بكل طيبة خاطر ، وذلك باستثناء كل من سيمون

كونت مونتفورت ، والسيد انجيراند دي بوفيز ، حيث أعلنا أنهما لن يقترفا عملا فيه ما يخالف أوامر البابا والكرسي الرسولي ، وأنهما لهذا لن يرضيهما صدور قرار ضدهما بالحرمان ، وما لبثا أن أعدا عدتهما للرحيل ، فتوجها الى بلاد المجر لقضاء فصل الشتاء هناك .

١٨ ــ وعندما عرف الدوج أن البارونات على استعداد تام للاسهام معه ، أمر بنصب معداته للهجوم على المدينة ، وقاتلها وشدد عليها الخناق حتى أدرك أهلها أنه لم تبق لديهم قدرة على المقاومة ، وهنا التمسوا الرحمة من الصليبيين وسلموا المدينة للغزاة ، فدخلها الحجاج والبنادقة ، واقتسموها فيما بينهم نصف للحجاج والنصف الآخر للبنادقة .

١٩ ــ وحدث بعد هذا أن نشب قتال عنيف بين البنادقة وجماعة كبيرة من الحجاج ، دام طوال الليل ثم الى منتصف النهار التالي ، وبلغ القتال شدة عظمى حتى لم يعد بامكان الفرسان الفصل بين المتحاربين إلا بعد طول معاناة ، وبعدما فصلوا بينهم أبرموا صلحا مشرفا بين الطرفين ، أزال رواسب سوء النوايا من نفوس الفريقين .

وإثر هذا شرع بارونات ورجالات الصليبيين والبنادقة يتداولون بشأن قضية الحرمان البابوي الذي صدر ضدهم ، بسبب مهاجمة مدينة زارا والاستيلاء عليها ، وأخيرا أجمعت الأراء على ارسال وفد الى روما يلتمس صدور قرار بالغفران ، وبالفعل بعثوا الى روما أسقف سواسون والسيد روبرت دي بوفيز ، فحصل هذان المبعوثان من البابا صاحب الكرسي الرسولي على منشور يتضمن الغفران لجميع الحجاج والبنادقة ، وبعد حصولهما على هذا المنشور بادر الأسقف بالعودة بالسرعة الممكنة ، ولم يعد معه السيد روبرت دي بوفيز لأنه توجه من روما الى بلاد ما وراء البحار مباشرة .

٢٠ ـ وخلال فترة الشتاء التي أمضاها الصليبيون والبنادقة في زارا راجعوا أوضاعهم ، فوجدوا أنهم أنفقوا انفاقا هائلا ، وأن ما بقي معهم من أموال لن يمكنهم من المضي الى القاهرة أو الاسكندرية أو سورية وأن ما لديهم من مؤن وعتاد غير كاف البته لدى الذهاب الى هذه البلدان ، فهم قد بددوا تقريبا كل ما ملكوه بسبب طول تأخرهم وبسبب ما سددوه من مبالغ مرتفعة اجرة للسفن ، وبناء عليه قالوا : إنهم لن يكون بمقدورهم الذهاب الى هناك ولو ذهبوا فلن يكونوا قادرين على انجاز شيء لعدم توفر المال والعتاد والمؤن للجيش والأعلاف للدواب .

٢١ ـ وبعدما اطلع الدوج على سوء أوضاع الحجاج تحدث اليهم قائلا : « إن في بلاد البيزنطيين أراضي عظيمة الخصب ، تنتج كل ما هو طيب ، وعندي إن أفضل خطة يمكن أن نعتمدها هي أن نبحث عن ذريعة تسوغ زحفنا الى تلك البلاد لنتزود مما بها من مؤن وأعلاف وغير ذلك مما نحتاجه ، وعند ذلك نمتلك القدرة على استئناف السفر الى ما وراء البحار .

وهنا نهض الماركيز قائلا : « أيها السادة ، كنت في عيد الميلاد الفائت في بلاد مولاي الامبراطور في ألمانيا ، وهناك رأيت شابا ، وهو أخو زوجة امبراطور ألمانيا ، وهذا الشاب هو ألكس بن اسحق » امبراطور القسطنطينية ، الذي سلب منه أخوه امبراطورية القسطنطينية غدرا وخيانة ، فمن استطاع الاستحواذ على هذا الشاب يمكنه بيسر الذهاب الى القسطنطينية ، ومن ثم الحصول على المال والعتاد وغير ذلك ، لأنه الوريث الشرعي .

٢٢ ـ وسنتخلى الآن مؤقتا عن الكلام عن الحجاج والأسطول لنحدثك عن هذا الشاب ثم عن أبيه الامبراطور اسحق وعن ظهورهما :

وجد من قبل في القسطنطينية امبراطور فاضل مستقيم اسمه

مانويل ، وكان يعد في وقته أكثر المسيحيين مالا وأكرمهم قاطبة ، حيث لم يحدث أن سأله أحد قط مما امتلكه إلا ووصله بمائة مارك ، لا سيما اذا كان السائل من اللاتين من أتباع كنيسة روما ، وأتيحت أمامه السبل للحديث معه ، فهذا ما سمعناه يروى عنه .

٢٣ ـ وأحب هذا الامبراطور الفرنجة حبا جما ووثق بهم ، وقال في أحد الأيام لقومه ، بعدما بالغوا في تشديد نقده ـ حسبما اعتادوا ـ لكرمه العظيم تجاه الفرنجة : اثنان يحق لهما العطاء : مولانا الرب وأنا ، واذا كنتم تبتغون مني القيام بطرد جميع الفرنجة الذين في خدمتي مع من حولي من اللاتين فاني على استعداد لفعل ذلك ، فسر الأغريق سرورا عظيما وقالوا له : اذا فعلت ذلك تكون يا مولانا قد أنجزت انجازا عظيما ، وسنمحضك الاخلاص في خدمتك ، وبناء عليه أصدر الامبراطور تعليماته الى الفرنجة بالرحيل ، وابتهج الفرنجة لهذا أكثر من أي وقت مضى .

٢٤ ـ غير أن الامبراطور أعلم الفرنجة خفية هم والذين أبعدهم من خدمته بضرورة الاجتماع به ومحادثته على انفراد ، فاستجابوا لما أمرهم به ، حتى اذا مثلوا في حضرته خاطبهم بقوله : « أيها السادة ، إن قومي لم يدعوني في استقرار وهدوء ، فقد ضغطوا علي حتى أتوقف عن اعطائكم أي شيء ، وأن أخرجكم من بلادي ، وأتمنى أن تصغوا إلي الآن وتفعلوا الذي آمركم به : أخرجوا جميعا ـ الى مكان سماه لهم ـ وسأقوم أنا وأتباعي من قومي باللحاق بكم الى المكان المذكور ، وعند ذلك سأرسل اليكم رسلي آمركم بالرحيل عن الديار ، وعندها تردون علي بالرفض ، وأنكم لن تخرجوا لا من أجلي ولا من أجل شعبي كله ، وزيدوا على ذلك بالتظاهر بالزحف ضدي ، ووقتها سأرى كيف سيكون سلوك قومي » فاستجابوا له ونفذوا كل ما أوصاهم به .

٢٥ ـ وبعدما مضوا من عنده ، أرسل الامبراطور وراء رجاله جميعا ، ثم قادهم حيث ساروا وراء الفرنجة ، حتى اذا باتوا على

مقربة منهم خاطبهم الامبـراطور بضرورة الرحيل ومغـادرة بـلاده كليا ، فابتهج الذين أشاروا على الملك بنفيهم ابتهاجا عظيما وقالوا له : « إن لم يغادروا يا مولانا البلاد فأذن لنا بالفتك بهم جميعـا » فأجابهم الامبراطور : « رائع افعلوا ما شئتم » .

ولما وصل رسل الامبراطور الى الفرنجة سلموهم الرسالة بعجـرفة ورعونة كبيرة ، وأنذروهم بضرورة مغادرة البلاد بالحال فرد عليهم الفرنجة بالرفض وأعلموهم أنهـم لن يرحلوا لا مـن أجـل خـاطر الامبراطور ولا من أجل خـاطر شـعبه ، فـانفتل الرسـل وعادوا يحملون رد الفرنجة ، وبناء عليه أمر الامبـراطور رجـاله بتسـليح أنفسهم للاسهام معه في الهجوم على الفـرنجة ، فحملوا أسـلحتهم وزحفوا نحو الفرنجة الذين كانوا قد زحفوا من جانبهم ضده بعـدما رتبوا صفوفهم خير ترتيب ، وعندما رآهم الامبراطور زاحفين ضده لقتاله قال لجماعته : « أيها السادة ، ينبغي عليكم الآن أن تتـدبروا أموركم بشكل مناسب ، فقد حانت الفرصة أمامكم للانتقام منهم » .

٢٦ ـ وما أن سمع الأغريق كلام الامبراطور هـذا حتـى تملكهـم الخوف ورعبوا مـن اللاتين حين رأوهـم زاحفين ضـدهم ، وكان الأغريق يطلقون اسم اللاتين على جميع أتباع كنيسة روما ، وأظهر اللاتين أفضل الاسـتعدادات لصـد الأغريق ، ولكن عندمـا شـاهد الأغريق اللاتين وقد انقلبوا ضدهم وزحفوا لقتالهم لاذوا بـالفرار ، وتخلوا عن الامبراطور وتركوه لوحده ، ووقتهـا قـال الامبـراطور للفرنجة : « أيها السادة ارجعوا معي وسيكون حبائي لكم أكثر مما حبيتكم من قبل » .

٢٧ ـ وبعد هذا كر الامبراطور عائدا وبـرفقته الفـرنجة ، وبعـد عودته دعا رجاله الأغريق اليه ، وخاطبهم بقوله : « أيها السادة لقد وضح أمامكم بكل جلاء من الذي يمـكن لي الاعتمـاد عليه ، فلقـد فررتم وتخليتم عني ، وتركتموني وحيدا في وقـت تـوجب عليكم فيه حمايتي ومساعدتي ، ولو أراد اللاتين وقتهـا قتلي لمزقـوني إربـا

إربا ، لهذا أوصيكم بالكف وإلا تبلغ القحة والجرأة بأحد منكم حدا يوصله الى السرف الذي وصلتم اليه حين وجهتم اللوم لي على كرمي نحو الفرنجة وايثاري لهم ، فهذا الايثار الآن لا ريب فيه ، ثم إن ثقتي بهم الآن أعظم من ذي قبل وكذلك اعتمادي عليهم ، وسأخصهم بالعطايا أكثر من ذي قبل ، ولم يتجرأ الأغريق على مفاتحته بهذا الموضوع بعد هذا التاريخ .

٢٨ ـ ورزق الامبراطور من زوجته ولدا رائعا جدا ، لهذا خطط له في قرارة نفسه أن يزوجه خير زوجة يمكنه اختيارها والحصول عليها ، وأشار عليه الفرنجة حول ذلك برأي ، فأخذ به بأن كتب الى فيليب (أغسطس) ملك فرنسا ورجاه أن يزوج أخته الى ابنه ، وبعث الامبراطور مانويل بسفارة رفيعة المستوى الى فرنسا ، وضمت السفارة علية القوم ، الذين خرجوا في أجمل زي ، وأروع مركب ، حتى أن العين لم تر قط من هم أكثر غنى منهم ولا أكثر فخامة أو أبهة ، حتى لقد دهش ملك فرنسا وأعوانه وتملكهم العجب لمشهد السفراء الفخم ولروعة موكبهم حين مثلوا في حضرته للافضاء برسالة الامبراطور ورغبته ، وأخبرهم الملك أنه سيتداول حول الأمر مع باروناته ، ولما تداول معهم حول ذلك الشأن أشاروا عليه بالاستجابة وأن يرسل أخته الى رجل عالي المكانة ، عظيم الثروة كالامبراطور ، وبناء على ذلك أخبر الملك الرسل أنه يرحب بارسال أخته الى الامبراطور .

٢٩ ـ وإثر هذا جهز الملك أخته بأرفع جهاز ، وبعث بها رفقة الرسل الى القسطنطينية ، وسار في ركابها عدد كبير من رجاله ، وقد ساروا جميعا بلا توقف حتى وصلوا الى القسطنطينية ، وعندما حلوا بها رحب الامبراطور ترحيبا عظيما بمقدم العروس الشابة ، وفرح بها ، وسر بالذين جاءوا معها .

٣٠ ـ وفي الوقت الذي بعث فيه الامبراطور رسله لطلب العروس ، بعث بواحد من أقربائه الذين كان يؤثرهم بحبه الكبير واسمه

أندرونيكوس ، الى الطرف الآخر من بلاد ما وراء البحار ، الى أخته ثيودورا ملكة مملكة القدس ، يدعوها للقدوم لحضور حفل زواج ابنه وتتويجه ، واستجابت الملكة وركبت احدى السفن برفقة أندرونيكوس ، وعندما باتت السفينة في عرض البحر ، افتتن بالملكة قريبته وهام بها ، فأغواها ، ثم غصبها نفسها ، وبعدما اقترف ذنبه هذا لم يعد يجرؤ على العودة الى القسطنطينية ، بل أخذ الملكة وتوجه الى قونية ، وهي معه على الرغم من ارادتها ، وهناك عاش بين المسلمين .

٣١ ـ وعندما عرف الامبراطور مانويل بخيانة أندرونيكوس ، وأنه اختطف اخته الملكة حزن حزنا عظيما ، غير أن حزنه لم يوصله الى حد يمنعه عن اقامة حفل عظيم لتتويج ابنه وعروسه الشابة ، غير أن الأجل لم يكن بعيدا جدا عن الامبراطور مانويل ، حيث لم يلبث طويلا حتى قضى نحبه ، وبعدما بلغ نبأ وفاته الى الخائن أندرونيكوس ، أرسل ابنه الذي حل محله ليلتمس منه باسم الرب أن يعفو عنه ، وخادعه حتى أدخل في روعه ويقينه بطلان التهمة التي اتهم بها ، وما لبث الامبراطور الجديد ـ وكان ما يزال شابا ـ أن غفر له وعفا عنه وبعث اليه يستقدمه ، وهكذا عاد أندرونيكوس ، ولازم الامبراطور الشاب الذي اتخذه نائبا له في جميع أراضيه ، فتعالى كثيرا واستبد وتعجرف نتيجة لهذا المنصب الذي تسلمه .

٣٢ ـ ولم يلبث أندرونيكوس سوى أمد قصير حتى بادر الى مباغتة الامبراطور ليلا فاغتاله ومعه أمه أيضا ، وبعدما اقترف ذلك أخذ حجرين كبيرين وربطهما الى رقبتيهما ، ثم رمى بهما في البحر ، ثم بادر فورا فتوج نفسه امبراطورا بالقوة ، وبعدما فعل ذلك أمر بالقاء القبض على جميع الذين كان يعرف أنهم ينكرون صحة ولايته ، فسمل عيونهم جميعا ثم قتلهم بعدما مثل بهم أقبح تمثيل ، واستولى أيضا على جميع النساء الجميلات اللائي وجدهن وغصبهن أنفسهن ، وتزوج أيضا الامبراطورة التي كانت أخت ملك

فرنسا ، واقترف عددا كبيرا من الآثام والرذائل لم يقترف مثلها قط خائن أو سفاح .

وبعدما اقترف هذه الآثام جميعا سأل واحدا من أعوانه المقربين ـ وكان معينه على اقتراف جميع هذه الموبقات ـ عما اذا كان يعرف أحدا ما زال على قيد الحياة يعده مغتصبا للعرش الامبراطوري ، فأجابه أنه لا يعرف أحدا سوى ما يحكى عن وجود ثلاثة شبان بالمدينة من أبناء أسرة أسمها « أنجيلوس » هم من علية القوم ، غير أنهم لا مال لديهم بل فقراء معدمون لا حول لهم ولا طول .

٣٣ ـ وبعدما تيقن الامبراطور من صحة نسب هؤلاء الشبان الثلاثة ، أوعز الى معاونه هذا ـ وكان لا يقل عنه غدرا وسوءا ـ أن يمضي اليهم ويلقي القبض عليهم ، ويشنقهم أو يميتهم ميتة أخرى بشعة ، ومضى هذا الرجل لتنفيذ المهمة التي أوكلت اليه ، غير أنه لم يلق القبض إلا على واحد منهم ونجا الآخران ، فسمل عيني الذي ألقى القبض عليه ، وما لبث هذا أن ترهبن ، أما الأخوان فقد نجيا هربا ، فذهب أحدهما ، واسمه اسحق ، الى اقليم اسمه والاشيا وقصد الآخر انطاكية حيث وقع في أسر المسلمين اثناء احدى غاراتهم على المسيحيين .

٣٤ ـ وكان الشاب الذي قصد والاشيا ، قد بلغ به العوز حدا عجز فيه عن اعالة نفسه ، فحمله عوزه واملاقه على العودة الى القسطنطينية ، فاستخفى في بيت أرملة في المدينة ، ولم يكن لديه من متاع الدنيا سوى بغل وخادم واحد ، وكان هذا الخادم يكسب قوته من وراء استخدام بغله في تحميله بالشراب وغيره ، وبذلك استطاع هو ومولاه أن يقيما أودهما ، لكن ما لبث خبرهما أن ترامى الى مسامع الامبراطور أندرونيكوس الخائن ، ولدى تيقنه من عودة الشاب الى المدينة ، أوعز مجددا الى معاونه ـ الذي كان ممقوتا

أشد المقت من قبل الناس جميعا بسبب الآثام التي كان يقتـرفها كل يوم – أن يمضي فيلقي القبض على اسحق ويشنقه .

وفي أحد الأيام امتطى هذا الرجل ظهر فرسه ، واصطحب معه عددا كبيرا من الأعوان ، وقصـد بيت السـيدة الفـاضلة حيث كان يقيم اسحق ، ولدى وصـوله الى البيت ، طلب مـن الذين كانوا بـرفقته المناداة على المرأة الصالحة ، وجاءت هذه السيدة الفـاضلة وهـي مبدية لدهشتها تتساءل عما يريده ، فأمرها باحضار الشاب المتخفي في دارها ، فأجابته هذه السيدة الفاضلة قائلة : « مـولاي ، وحـق الرب ورحمته ليس بداخل بيتي أحـد مختبـىء » فـأنذرها ثـانية بضرورة اظهاره وتهددها إن لم تفعل سيلقي القبض عليهما معا .

٣٥ – ولدى سماع هذه السيدة الصالحة لهذا التهـديد مـن هـذا الشيطان الآثم الذي اقترف كثيرا من الآثام ، استبد بهـا الخـوف وعادت نحو الدار ، وجاءت الى الشاب وخاطبته بقولها : « مـولاي اسحق المفضال ، أنت ميت لا محـالة ، فقـد وقـف بـالباب نائب الامبراطور ، ومعه الكثير من الأعوان الذين قدموا للبحث عنك لالقاء القبض عليك وقتلك » فاشتد خوف هذا الشـاب وتـولاه اليأس لدى سماعه هذه الأنباء ، ومع هذا برز لهم ، لأنه لم يكن أمامه من سبيل آخر ينجيه من المضي الى لقاء معاون الامبراطور ، ولدى خروجه أخذ معه سيفه وأخفاه تحت سترته ، وخرج من البيت وتوجه نحو النائب وخاطبه بقوله : « ما الذي تبتغيه مني ياسيدي » ؟ فبادر الى الرد عليه بفجاجة ورعونة قـائلا : « أيهـا النذل الدنس ، انظـر فهؤلاء ماضون لشنقك » .

٣٦ – وهنا أدرك اسحق أنه لا مفر أمامه من المضي معهم شـاء أم ابى ، لهذا رغب في أن ينتقم لنفسه من أي واحد منهم ، ولذلك اقترب من نائب الامبراطور حتى التصق به ، ثم علاه بسيفه وضربـه على رأسه ففلقه ، ووصلت الضربة حتى أسنانه .

٣٧ – وعندما أبصر أعوان النائب ما حل به حيث فتك به الشـاب

اسحق فروا هاربين ، واذ ذاك أخذ الشاب بمقود فرس النائب الذي قتله ، وامتطاه وسيفه ما زال بيده يقطر دما ، وانطلق مبادرا نحو كنيسة آيا صوفيا ، وقام اثناء سوقه نحو الكنيسة بالهتاف بين الناس معلنا ما فعله ، واكتظت الشوارع بالناس ودهشوا للضجة التي تصاعدت أصواتها ، وأخذ الشاب يستنجدهم قائلا : « أيها السادة ، أستحلفكم بحق الرب ورحمته ألا تقتلوني ، فقد قتلت الشيطان الآثم الذي جلل بالعار المشين أهل هذه المدينة وسواهم » وما أن دخل كنيسة ايا صوفيا حتى ارتقى المذبح واحتضن الصليب رغبة منه في صون حياته ، وتعالت الجلبة والضوضاء في المدينة ، وانتشر في أرجائها شرقا وغربا بأن اسحق قد قتل الشيطان الاثم ، ولدى سماع أهل المدينة بذلك ، استبشروا وعلت وجوههم الفرحة وتقاطروا سعيا من كل مكان نحو كنيسة آيا صوفيا لرؤية الشاب الذي قام بهذا العمل الشجاع ، وبعدما تكامل الحشد في الكنيسة شرع كل واحد يقول للآخر : « ما أروع هذا الشاب الذي أمكنه القيام بهذا الانجاز الهائل ، ونفذ هذا العمل العظيم » وما لبث الأغريق أن أخذوا يتحدثون فيما بينهم ويقولون : « تعالوا بنا نسلك السلوك الأقوم ، فنتوج هذا الشاب امبراطورا » ، وانعقد اجماعهم أخيرا على هذا التتويج ، ومن ثم بعثوا وراء البطريرك ، وكان في قصره ، وطلبوا منه الحضور لتتويج امبراطور جديد اختاروه بأنفسهم .

وعندما سمع البطريرك طلبهم ، بين لهم أنه لن يفعل شيئا من هذا القبيل ، وأخذ يقول لهم : « أيها السادة ، إنكم تقترفون منكرا عظيما ، الأفضل لكم الاقلاع عنه والسكون ، فأنتم بعملكم هذا تنأون بأنفسكم عن جادة الصواب ، فأنا اذا ما توجته قتلني الامبراطور أندرونيكوس وجعلني أشلاء » ، فأجابه رجال الأغريق أنه لا بد من تتويجه واذا لم يفعل ما أمر به فسيقتلونه ، وانصاع البطريرك ، وغادر قصره رغما عنه ، ومضى الى الكنيسة مذعورا ، وهناك كان اسحق في رداء رث وثياب بالية ، وارتدى البطريرك ثيابه الكهنوتية وتوج اسحق رغبة منه أو رهبة ، لقد توج اسحق هذا الذي

كان الامبراطور أندرونيكوس قد بعث بنائبه وأعوانه في هذا اليوم للقبض عليه وقتله .

وبعدما فرغ البطريرك من تتويج اسحق انتشر الخبر في أرجاء المدينة حتى وصل الى مسامع الامبراطور أندرنيكوس وعلم هذا الامبراطور أيضا بمقتل معاونه ، فأنكر أولا ما حكي له ، فبعث برسل الى المدينة يستجلون له حقيقة الأمر ، وعندما وصل هؤلاء الى المدينة تأكدوا من صحة الخبر ، فعادوا الى الامبراطور وقالوا له : « مولانا إن كل ما قيل لك وحكي صحيح » .

وعندما تيقن الامبراطور أندرونيكوس من حقيقة ماحدث ، انبعث وبادر بالتوجه نحو كنيسة أيا صوفيا ومعه حشد من أعوانه ، ودخل الى الكنيسة من دهليز خاص كان يصل بين الكنيسة وقصره ، وبعدما دخل الى قلبها صعد الى شرفاتها ، فرأى الرجل الذي توجوه ، وما أن رآه حتى اشتد غضبه ، فطلب من واحد من رجاله قوسا ونشابا ، وأخذ أندرونيكوس القوس ، ووضع السهم في كبده وفوقه باتجاه اسحق لرميه وقتله، ولكن وتر القوس انقطع ، فشعر بالاحباط – وتولاه الرعب واليأس فعاد الى قصره حيث أمر رجاله بالمبادرة الى اغلاق الأبواب وتسليح أنفسهم والدفاع عن القصر ففعلوا ماأمروا به .

٣٩ـ لقد أمر بذلك لكنه قام بالوقت نفسه بالتوجه الى باب سري خلفي ، وهرب من القصر ، واستقل هو وعدد من أعوانه مركبا كبيرا ، وتوجه الى عرض البحر ، فقد كان يخشى من الوقوع بأسر أهالي المدينة ، وفي الوقت نفسه اصطحب سكان المدينة الامبراطور الجديد ، وتوجهوا نحو القصر ، فاستولوا عليه بالقوة ، وأدخلوا اليه الامبراطور اسحق ، وأجلسوه على عرش القسطنطينية ، وبعدما جلس أدوا له يمين الولاء باعتباره الامبراطور المقدس .

٤٠- وسر الامبراطور اسحق سرورا عظيما ، لما حظي بــه مــن شرف وظفر بعون من الرب في ذلك اليوم ، وهنا قال للناس :« أيهــا السـادة تـأملوا مـاأضفاه على الرب مـن شرف عظيم ، اذ هيأ لي السبل لأتـوج امبـراطورا في اليوم نفسـه الذي كانوا مـاضين فيه لقتلي ، ولهذا أنا متنازل لكم عن جميع الثروات والذخائر الموجـودة في هذا القصر اعترافا مني بالجميل والفضل الذي طوقتم به عنقي »

وعندما سـمع الناس خـطاب الامبـراطور سروا كثيرا بـالمنحة العظيمة التي أعطاهم الامبـراطور إياهـا ، وتـوجهوا نحـو الخزانة ، فوجدوا فيها كميات عجيبة من الذهب والفضة فتقـاسموا ذلك فيما بينهم .

٤١- وحدث في الليلة نفسها التي هـرب فيهـا أندرونيكوس ، أن ثار البحر وماج بفعل عاصفة هـوجاء ، وريح عاتية ، وكثـر الرعد والبرق حتى ضل أندرونيكوس وأصحابه ولم يعودوا يعرفون الى أين يتجهون ، وردتهم العـاصفة والرياح الى القسـطنطينية ، دون أن يدركوا أنهم قد عادوا اليها ، وعندما رأوا أن مـركبهم قـد جنح الى الشاطىء ، وأنه ماعاد بامكانهم الابحار بأي اتجـاه ، وهنا قـال أندرونيكوس لرجاله :« أيها السادة بـودي لو تخبـروني أين نحـن الآن » فنظروا وتمعنوا فيما حولهم فعرفوا لتوهم أنهم قد آبـوا الى القسطنطينية ، فلما سمع أندرونيكوس ماأخبروه بـه سـيطر عليه الأسى والحيرة وبات لايعرف ماذا يفعل ، وقـال لرجـاله :« أيهـا السادة أستحلفكم بـاسم الرب . أن تـذهبوا بـي الى مـكان قصي ، بعيد عن هنا » فردوا عليه أنهـم غير قـادرين على متـابعة السفر ولو قطعت أعناقهم .

وبعـدما أدركوا عجـزهم عن مغـادرة ذلك المكان ، أخـذوا الامبراطور أندرونيكوس وحملوه معهم الى نزل كان هناك وأخفـوه خلف جرار الخمرة ، ونظر الى رجاله صاحب الخان ومعـه زوجتـه وحدقا بهم ، وبعد طول تمعن أيقنا تماما أنهـم رجـال الامبـراطور أندرونيكوس ، وبعد وقت قصير حدث أن ذهبت زوجة صاحب النزل

لتدفق جرار الخمرة ، فرأت أندرونيكوس قابعا وراءها في زية الامبراطوري ، فعرفته على الفور ، فأسرعت بالعودة الى زوجها وقالت :« مولاي أن اندرونيكوس الامبراطور قابع هناك » ، وماأن سمع صاحب النزل خبرها حتى بادر فأرسل رسولا من عنده الى واحد من علية القوم كان يسكن على مقربة منه في قصر كبير ، وكان أندرونيكوس – قد قتل والده ، واغتصب زوجته ، وعندما وصل الرسول الى القصر قال لصاحبه : إن أندرونيكوس موجود في النزل القريب ، وحدده له ، وعندما سمع هذا الرجل بوجود أندرنيكوس في النزل ، اعتلاه البشر وسر سرورا عظيما ، وبادر نحو النزل ومعه فئة من أعوانه ، فاعتقل أندرونيكوس وحمله الى قصره .

٤٢– وفي صباح اليوم التالي ، حمل الرجل الامبراطور أندرونيكوس الى القصر الامبراطوري ، وقدمه الى الامبراطور اسحق ، الذي بادر الى سؤاله : لماذا غدرت ياأندرونيكوس بمولاك الامبراطور مانويل ، ثم لماذا قتلت زوجته واغتلت ابنه ، وماهو السبب الذي جعلك تتلذذ في اقتراف الكثير من الآثام في حق الذين رأوا الشر في اغتصابك للعرش الامبراطوري ، ومالذي دفعك الى اعتقالي ؟ فرد عليه أندرونيكوس :« اسكت ، فلن أتنازل للرد عليك » ، وعندما سمع الامبراطور اسحق هذا وعرف أن أندرونيكوس يترفع عن الرد عليه ، أرسل وراء عدد كبير من رجالات المدينة ، وعندما مثلوا أمامه توجه بالخطاب اليهم قائلا :« أيها السادة ، هوذا أندرونيكوس الذي اقترف عددا كبيرا من الآثام بحقكم وحق غيركم ، ويخيل لي أنني أحقق العدل فيه وفق رغباتكم جميعا بتسليمه اليكم لتفعلوا به الذي تريدوه .

٤٣– ولدى سماع رجال المدينة ذلك شعروا بالفرح ، وأخذوا أندرونيكوس ، فاقترح بعضهم حرقه حيا ، ورأى لخرون رميه في قدر كبير به ماء يغلي ليتألم كثيرا ، وفضل بعضهم الآخر سحله في الطرقات ، وهكذا اختلفوا ولم تتحد أفكارهم حول نوعية الموت الذي سينهون به حياة أندرونيكوس ، وأخيرا وقف رجل حكيم بينهم

وقال :« أيها السادة أصغوا الي فانا سأقترح عليكم افضل وسيلة للانتقام منه ، في داري اتان من أخس الحيوانات وابغضها النفس ، دعونا نأخذ أندرونيكوس ، ونجرده من ثيابه ، ونربطه على ظهر الدابة بالمقلوب حيث يمسك بيديه ذنبها ، ثم نطوف به في أطراف المدينة قاصيها ودانيها ، ووقتها سيكون بامكان كل من آذاه اندرونيكوس من الرجال والنساء الانتقام منه أبشع انتقام .

٤٤ـ ووافق الجميع على هذا الاقتراح ، وأخذوا أندرونيكوس وشدوه وأركبوه وفق اقتراح ذلك الرجل ، وفيما هم يطوفون به في المدينة ، أخذ كل من اقترف بحقه إثما من الآثام يقذفونه ويلطخونه ويضربونه : منهم من صفعه ومنهم طعنه بخنجر أو مدية ومنهم من تناوله بضربة من سيفه ، وكلهم مابين قائل له :« لقد شنقت أبي » ولآخر « لقد اغتصبت زوجتي قهرا » وأما النساء اللواتي اغتصب بناتهن وفجر بهم ، فقد شددنه من لحيته نتفا وضربا وشتما وتقريعا ، وحتى اذا وصلوا به الى الطرف الآخر من المدينة لم يكن قد بقي منه أثر من آثار الحياة ، واثر ذلك القوا بعظامه بين القاذورات ، وبهذه الوسيلة المحكمة ثأروا لانفسهم من هذا الفاسق .

٤٥ـ وبعدما صار اسحق امبراطورا رسم فوق مداخل الكنائس كيف جعلت منه احدى المعجزات امبراطورا ، وقد وقفت سيدتنا العذراء على طرفه ووقف على الطرف الآخر مولانا يسوع المسيح ، وهما يضعان التاج على رأسه وصوروا ايضا ملاكا يقطع وتر القوس الذي استهدف اندرونيكوس رميه به لقتله ، هذا وعرف بيت الامبراطور اسحق باسم « أنجيلوس »

٤٦ـ وبعد هذا اشتاق الامبراطور اسحق شوقا شديدا الى أخيه الذي كان أسيرا عند المسلمين وأراد رؤيته ، فوقع اختياره على عدد من الرجال بعثهم يبحثون عنه ، وفتشوا عنه وتقصوا حتى عرفوا مكان سجنه ، فذهبوا الى هناك ، وسألوا المسلمين عنه ، وكان قد

ترامى الى اسماعهم ان سجينهم أخو الامبراطور الجديد في القسطنطينية ، فاشتطوا في مفاداته ، وطالبوا بمبلغ جسيم فتمت الاستجابه لمطالبهم بالذهب والفضة ، فحصلوا عليه فحملوه معهم عائدين الى القسطنطينية .

وسر الامبراطور اسحق كثيرا برؤية أخيه حرا طليقا ، فأكرمه وحباه ، وبدوره فرح هذا الاخ كثيرا حين عرف أن أخاه قد بات الامبراطور ، وأنه استحوذ على العرش بقدرته وشجاعته .

٤٧ـ وكان اسم هذا الشاب الكسيوس ، ولم تمض غير فترة قصيرة حتى رسمه أخوه الامبراطور نائبا له ، وفوض اليه التصرف بجميع أراضيه ، فامتلأ كبرياء بهذه النيابة ، حتى عمت هيبته الامبراطورية بأكملها ، وصار الناس يخافونه لحب الامبراطور له ولقرابته منه .

وحدث بعد بعض الوقت أن توجه الامبراطور في أحد الأيام الى الصيد في احدى الغابات ، فما كان من أخيه الكسيوس ، الا أن قصد هو الآخر الغابة حيث كان أخوه الامبراطور ، وانقض عليه غدرا فاقتلع عينيه ، وبعد ما فرغ من خيانته ألقاه في السجن بطريقة خفي خبرها على الناس جميعا ، ثم رجع الى القسطنطينية وموه على الناس أن أخاه الامبراطور قد توفي ، ومن ثم توج نفسه امبراطورا .

وعندما رأى المكلف بحراسة ابن الامبراطور اسحق ، أن عمه الكسيوس قد غدر بالامبراطور أبي الطفل وخانه خشي أن يلحق الطفل بأبيه ، فلم يكن منه الا أن حمله بعيدا ، وبعث به الى أخته في المانيا ، فقد كانت زوجة امبراطور المانيا (فيليب أمير سوابيا) وكان هذا الطفل هو الوريث الشرعي للعرش الامبراطوري وأحق من عمه به .

٤٨ـ والآن وقد سمعت كيف قام اسحق وصار امبراطورا ، ثم كيف ذهب ابنه الى المانيا ، وهذا الابن هو الذي سيرسل الصليبيون والبنادقة في طلبه استجابة لراي مقدمهم الماركيز دي مونتفرات .

٤٩ـ وساتفرغ الآن لاقص عليكم حديث هذا الشاب والصليبيين ، وكيف بعث الصليبيون في طلبه ، ومن ثم كيف قصدوا القسطنطينية لغزوها ، فبعدما افهم الماركيز الحجاج والبنادقة أن من يكون هذا الشاب ـ الذي تحدثنا عنه الآن ـ لديه فسيجد مايسوغ ذهابه الى القسطنطينية والاستيلاء عليها والحصول على مابها من ذخائر ، بعد هذا بعث الصليبيون باثنين من خيرة فرسانهم الى المانيا وذلك بعدما جهزوا خير جهاز ، وكلفاهم بجلب الامير الشاب ، وحملوهما اليه خطابا اخبروه به أنهم سيساعدونه على استرداد حقوقه .

ولما وصل الفارسان الى بلاط امبراطور المانيا ، حيث كان الشاب ، اجتمعا به وأبلغاه بالرسالة التي بعث بها الصليبيون اليه ، وبعدما سمع الشاب نص الرسالة وفهم محتوى العرض المرسل اليه من بارونات الصليبيين ، استبشر وسر سرورا عظيما ، ورحب بالعرض كثيرا ، وأكرم وفادة الفارسين واخبرهما أنه سيتداول حول الأمر مع زوج أخته الامبراطور ، واثر هذا قال له الامبراطور ـ بعدما اطلع على فحوى العرض ـ هذه فرصة مواتية ، وشجعه وأيد فكرة التحاقه بالصليبيين ، واوضح له أنه لن يكون بمكنته أبدا استرداد شيء من ميراثه بغير معونة الرب ، ومساعدة الصليبيين ، وماأن اقتنع الشاب أن الامبراطور قد محضه النصح حتى جهز نفسه حسب الامكان ، وانطلق برفقة الفارسين .

٥٠ـ وقبل عودة الفارسين الى زارا وبرفقتهما الشاب ، كان الاسطول قد قصد جزيرة كورفو ، وذلك بعد انقضاء عيد الفصح ، وخلف في زارا مركبين في انتظار الفارسين والشاب ، وفي

كورفو مكث الحجاج حتى يوم وصول الشاب والفارسين ذلك أنه عندما وصل هؤلاء الى زارا وجدوا المركبين اللذين تركهما الصليبيون ، فصعدوا اليهما ، واقلعوا منطلقين حتى جزيرة كورفو حيث كان الاسطول راسيا ، ولدى مشاهدة علية القوم الشاب قادما بادروا الى استقباله بكل حفاوة وحيوه وبجلوه الى ابعد الحدود ، وعندما رأى الشاب ترحاب علية القوم به ورعايتهم وتبجيلهم له ، وشهد ايضا العمارة البحرية العملاقة تولاه السرور بشكل مفرط ، ثم قصده الماركيز وقاده الى خيمته .

٥١ ـ وماان استقر الشاب في سرادق الماركيز حتى توافد عليه كبار البارونات مع دوج البندقية ، وتحدثوا معه حول عدة امور ، واخيرا افضى بهم الحديث الى ان سألوه عما سيقدمه لهم ان هم نصبوه امبراطورا على القسطنطينية ، وتوجوه بها ، فاعلمهم انه سيلبي كل مطلب من مطالبهم ، واثر ذلك اعلموه بما يريدون وتداولوا معه حتى اتفقوا على انه سيدفع للجيش مائتي الف مارك ، وسيزود الاسطول على حسابه الخاص بما يكفيه من مؤن لمدة عام كامل ، وسيمضي برفقتهم على رأس جميع قواته الى بلاد وراء البحار ، وسيودع في بلاد ماوراء البحار عشرة الاف مقاتل ينفق عليهم من ماله الخاص طوال حياته ، كما انه سيتكفل بتموين جميع من سيغادرون القسطنطينية الى بلاد ماوراء البحار .

٥٢ ـ واثر ذلك تم استدعاء بارونات الحملة جميعا مع البنادقة الى اجتماع عام ، وبعدما اكتمل الحضور نهض دوج البندقية وخاطبهم قائلا :« أيها السادة لقد توفر لنا أفضل مسوغ للتوجه الى القسطنطينية ـ اذا وافقتم ـ فوريث عرشها الشرعي معنا » .

ووجدت جماعة لم توافق مطلقا على التوجه الى القسطنطينية وقال أفرادها :« عجبا ، ومالذي سنفعله في القسطنطينية ؟ نحن علينا أداء حجنا ، وقد وضعنا خططنا للمضي الى الاسكندرية أو

القاهرة ، فضلا عن هذا لقد اتفقنا أن يبقى الاسطول معنا عام واحد فقط وهاهو ذا قد انقضى من السنة نصفها» .

فحاججهم الآخرون بقولهم : وماجدوى سفرنا الى الاسكندرية أو القاهرة ونحن لانملك مايكفينا ويكفي رحلتنا من مال وعتاد ومؤن ؟ وإنه لخير لنا وأنفع ـ قبل السفر الى هناك ـ أن نبحث عن ذريعة مسوغة توفر لنا العون والمال ، فذلك أجدى لنا وأرفع من أن نمضي الآن الى هناك لنموت جوعا ، فها نحن قد عثرنا على وسيلة تمكننا من انجاز الكثير ، سيما وأن ـ الشاب ـ يعرض علينا مرافقتنا هو وقواته مع تمويل اسطولنا لمدة سنة أخرى ، كل ذلك على نفقته الخاصة .

وكان الماركيز مونتفرات أعظم البارونات حماسا في حمل القوم على قصد القسطنطينية ، فقد أراد الثأر لنفسه لاهانة قد الحقها به الامبراطور المتربع على العرش الامبراطوري في القسطنطينية .

٥٣ـ وسندع الآن جانبا الحديث عن الاسطول وسأروي لك حكاية الاهانة التي كان الماركيز حاقدا بسببها على القسطنطينية :

كان الماركيز كونراد أخو الماركيز مونتفرات قد حمل شارة الصليب ، ثم قدم الى القسطنطينية على نية التوجه الى بلاد ماوراء البحار ، وكان برفقته مركبين ، وفي القسطنطينية التقى بالامبراطور وتحدث اليه ، ورحب به الامبراطور وحباه ، وحدث أنذاك أن كان هناك واحدا من أعيان عاصمة الامبراطورية قد تمرد على الامبراطور وحاصره في مدينة القسطنطينية ومنعه من مغادرتها ، وعندما تعرف الماركيز كونراد الى هذا الوضع سأل الامبراطور : كيف حدث أن تمكن هذا الرجل من محاصرته ، وكيف لم يتجرأ هو ذاته على الخروج من المدينة لحربه ، فأعلمه الامبراطور انه ليس لدى شعبه بأس أو قدرة ، وهذا هو السبب الذي جعله لايرغب في النهوض الى حربه .

٥٤- وعندما سمع الماركيز هذا البيان أعلمه أنه على استعداد لمد يد العون له اذا مارغب بذلك ، فأخبره الامبراطور أنه بحاجة ماسة للعون ، وانه سيظل دوما شاكرا للماركيز ، وهنا طلب منه الماركيز جمع كل اللاتين في القسطنطينية ، بغية قيادتهم في طليعة جيش يسير به الامبراطور مع رجاله من بعده ، وبناء عليه جمع الامبراطور اللاتين جميعا ، ثم أمرهم بالتجهز وحمل أسلحتهم ، وجهز الماركيز بالوقت نفسه رجاله ، وعندما اكتمل تسليح اللاتين ، قاد الماركيز هؤلاء مع رجاله في صفوف منتظمة ، وسار الامبراطور ورجاله من خلفهم وزحفوا جميعا وفق الخطة المرسومة ٠

٥٥ - وما أن أصبح الماركيز ورجاله خارج أبواب المدينة حتى عرف براناس الذي كان يحاصر الامبراطور بذلك ، وهنا زحف مع أعوانه بهدف صد الماركيز الباسل وقتاله ، وعندما بات على غلوة من جيش الماركيز اندفع مهاجما إياه ، وهنا ماكاد يلمحه مقبلا نحوه حتى بادره فاندفع نحوه وضربه بين عينيه ضربة أردته قتيلا ، ثم راح هو وأعوانه يعملون الضرب ذات اليمين وذات الشمال في صفوف عدوهم حتى صرعوا عددا كبيرا منهم ، هذا وماكاد رجال براناس يرون مصرع قائدهم ، حتى أداروا ظهورهم ولاذوا بالفرار ٠

٥٦ - وعمد الامبراطور إلى خيانة الماركيز ، وأغلق الباب خلفه ، لكنه عندما شاهد الأعداء يلوذون بالفرار فتح الأبواب ، وانطلق على رأس قواته جميعا لمطاردة الهاربين ، وحصل الماركيز والذين معه على غنائم كبيرة من الخيول وسواها ، وبهذه الصورة انتقم الماركيز من عدو الامبراطور الذي كان يحاصره ، وبعد نيل هذا النصر عاد المنتصرون إلى القسطنطينية ، ودخلوها وعلى رأسهم الامبراطور والماركيز ، وبعدما استقروا بها وضعوا أسلحتهم ، وهنا قدم الامبراطور شكره العظيم الصادق للماركيز الذي انتقم له من عدوه وفرج عنه ، وهناك سأل الماركيز الامبراطور

عن السـبب الذي دعاه إلى اغلاق الابـواب خلفـه ، فقـال له الامبراطور : أتسأل عن هذا الآن ؟ فـأجابه المركيز : نعـم بحـق الرب ! ...

٥٧ — ولم يلبث الامبراطور طويل وقت حتى حـاك خيانة مـؤامرة كبرى ، أراد من خلالها التخلص من الماركيز بقتله ، وعلم شيخ كبير بتفاصيل المؤامرة ، فأشفق على الماركيز ، لهذا اتصل به وقـال له : سيدي الماركيز يجب بحق الرب ان ترحل عن هذه المدينة فلو مـكثت فيها ثلاثة أيام أخرى بعد يومناهذا لأمكن الفتـك بـك مـن قبـل الامبراطور ورجاله الخونة ، حيث حـاكوا مـؤامرة كبيرة للتخلص منك ، وعندما سمع الماركيز هذا الخبـر اعتـراه الحـزن حـزنا شديدا ، ثم غادر المدينة فورا في تلك الليلة نفسها ، فقد جهز مركبين للرحيل وأقلع بهما قبل فجر اليوم الجـديد ، وتـابع سـفره حتـى صور .

٥٨— وكانت بلاد مملكة القدس قد ضاعت قبل هذه الأحـداث ولم يبق منها غير مدينتي صور وعسقلان ، وكان قبـل ضـياع الناحية كلها قد مات (عموري) ملك القـدس ، وكان لهـذا الملك ابنتـان تزوجت كبراهما من الفارس غي دي لورنغنان دي بـواتو ، وهـي التي آلت اليها مملكة القـدس ، وتـزوجت الثـانية مـن اللورد همفري ، صاحب شقيف أرنون .

٥٩— وكان قد حدث في واحد من الأيام الخالية أن اجتمـع جميع بارونات الارض ومعهم (ريموند الثالث) كونت طرابلس ومقـدما الفـرسان الداوية والاسـبتارية ، اجتمعـوا في الهيكل في القـدس وتداولوا حول ضرورة فصل اللورد غي عن زوجته بسبب صـيرورة تاج المملكة اليها ، واستهدفوا تزويجها من رجل آخر مناسب أكثـر من غي ليتولى الملك معها ، ونجحوا في التفريق بينهما ، غير أنهـم اختلفوا حول الشخص الذي سيزوجوها منه ، واتفقـوا أخيرا على ترك حرية الاختيار لها ، وهكذا ناولوها التاج لتمنحه بـدورها للذي

تريده شريكا لها بالملك ، ثم اجتمع البارونات والفرسان الداوية والاسبتارية ثانية ، وفي يوم آخر ، وحضر الاجتماع (ريموند الثالث) كونت طرابلس ، والذي كان أفضل فرسان المملكة ، وكان يخيل اليه أن الملكة سيقع اختيارها عليه ليتزوجها ومن ثم تعطيه التاج ، وكان الاورد غي بين الحضور ايضا ، وهو الذي كان زوج الملكة من قبل .

وبعدما التأم جمعهم تناولت الملكة التاج بين يديها ، ثم أخذت تمر بنظرها على جميع الحضور حتى أبصرت غي الذي كان زوجها ، فخطت نحوه ووضعت التاج على رأسه وبذلك أصبح الاورد غي ملكا ، وعندما راى كونت طرابلس ما حدث حنق عليها بشدة ، وغادر المكان فورا وتوجه الى امارته في طرابلس وهو يتقد غضبا .

٦٠- وبعد هذا الحادث بأمد قصير تمكن المسلمون من أسر غي في حرب خاضها ضدهم وهزم فيها مع جميع رجاله ، وضاعت الارض باستثناء صيدا وعسقلان ، وبعدما صارت الارض كلها بيدي صلاح الدين استدعى اليه ملك القدس المأسور لديه ووعده أنه سيطلق سراحه وسراح مجموعة كبيرة من رجاله اذا تمكن من اقناع القائمين على الدفاع عن عسقلان على تسليمه اياها ، واستجاب الملك وطلب منه أخذه الى عسقلان للعمل على تسليمها له ، وتوجه صلاح الدين وبعدما أوضح لهم أنه راغب بذلك استجاب أهلوها وسلموها له .

٦١- وبعدما آلت المدينة الى صلاح الدين اطلق سراح الملك غي مع جماعة من قومه ، ثم رحله الى الأراضي المسيحية ، وبعد هذا بوقت قصير توجه الملك غي ومن معه الى صور .

وقبل ان يتخلص الملك غي من أسره ويقوم بما قام به ، كان الماركيز قد استولى على مدينة صور ، ووقف الى جانبه الجذوية

وغيرهم من الناس وأدوا له يمين الولاء ، وأقسموا له على الآثار المقدسة أن يخولوا اليه جميع السلطات مع اعتباره سيدهم مقابل تقديم العون لهم في الدفاع عن المدينة ، ووجد الماركيز أن مدينة صور تعاني من الغلاء الفاحش ، الى درجة أن مكيال القمح قد بيع بمائة بيزنته ، مع أنه كان لايساوي في أميين أكثر ستيه ونصف .

٦٢- وعندما رحل الملك (غي) الى صور ، نادى جنده على من كان بها قائلين :« افتحوا الابواب ، افتحوها ، وانظروا فها هو الملك قد جاء » ، فمنعهم من كان بها من الدخول اليها ، فقال الملك مندهشا : كيف هذا أولست ملك هذه البلاد وصاحبها » ؟ ورد عليه الماركيز :« لاوحق الرب انت لم تعد ملكها ولاصاحبها ولن تستطيع الدخول اليها لأنك لطخت كل شيء بالعار ، وأضعت الأرض كلها ، زد على هذا إن الغلاء شديد جدا ، ولو دخلت أنت ورجالك لمات الناس جميعا جوعا ، وانه لأقل خسارة ان تموت أنت ورجالك ، فهذا لايهم كثيرا ، لكن المهم الا نهلك نحن الذين في المدينة وتهلك المدينة معنا .

٦٣ - وعندما وجد الملك غي نفسه أنه لن يستطيع الدخول الى صور ، ارتحل ويمم ومن معه شطر مدينة عكا حيث اتخذوا لأنفسهم معسكرا أمامها وحصنوه وظلوا فيه حتى قدم ملكا فرنسا وانكلترا حيث وجداه هناك.

وفي اثناء مرابطة الماركيز في صور وعيشه وسط الغلاء الشديد ، فرج الرب عنه وعن رجاله ، حيث قدم تاجر ومعه مركب مشحون بالقمح ، وقد باعهم المكيال الواحد بعشرة بيزنتات بعدما كان بمائة ، وقد فرح الماركيز كثيرا وشعر بالراحة هو ومن معه بالمدينة ، فقد توفر القمح وبات معروضا بالأسواق للبيع.

٦٤ - وبعد هذا بوقت قصير جاء صلاح الدين وشرع بحصار صور برا وبحرا ، وهكذا لم يعد بامكان أحد جلب شيء من المؤن أو

غير ذلك الى صور ، وأطال السلطان صلاح الدين أيام الحصار وشدده ، لهذا عاد الغلاء الى سالف فداحته.

٦٥ ـ وبعدما تمعن الماركيز في حالة الغلاء الفادح داخل المدينة ، ورأى أن المسالك البرية والبحرية موصدة وألا أمل بوصول نجدات ، استدعى اليه من كان بالمدينة من الجنوية وسواهم ، وخاطبهم قائلا : أيها السادة ، نحن نعيش الآن في مأزق خطير ، إن لم يتداركنا الرب برحمته ، لقد عم الغلاء واشتد كثيرا في أرجاء المملكة ، وندرت الأقوات ، وانعدمت الحبوب التي يمكن بها أن نقيم أود حياتنا ، وهاهي منافذ البر والبحر مسدودة في وجهنا ، ولا أمل بوصول نجدة الينا ، وإنني أتوسل اليكم باسم الرب في ايجاد خطة تنجينا من هذا المأزق.

وبعد لأي نهض أحد الجنوية وخاطبه قائلا : إذا تجاوبت معي فلدي خطة مناسبة ، وسأله الماركيز : ما هي خطتك؟ فأجابه : اليك تفاصيلها ، تعلم انه لدينا في المدينة عددا من أنواع السفن ، دعني أجهز أربعة من الشواني وأشحنها بخيرة من هنا من الرجال ، ثم نقلع مبحرين قبل انبلاج الفجر ، ووقتها سيخيل لمن يرانا أننا نحاول الهرب ، وما أن يرانا المسلمون حتى سيبادروا الى حمل اسلحتهم والسعي للحاق بنا ، ومطاردتنا ، وطبعا لعجلتهم لن يسلحوا أنفسهم تماما ويتدبروا شؤون احتياطهم ، وفي الوقت نفسه تكونوا أنتم قد صعدتم الى ظهور بقية الشواني والمراكب بأفضل المقاتلة ، فإذا شاهدتم المسلمين قد نشروا قلوعهم وبادروا الى مطاردتنا وصاروا بعيدين عن المدينة ، أقلعوا بسفنكم وسيروا خلفهم وأنذاك سننعطف نحن ونعود نحوهم فنقاتلهم جميعا ، ووقتها سيأتي الفرج من عند الرب ، فأقر الجميع هذه الخطة وساروا وفق مقترحاتها ونفذوه.

٦٦ ـ وقبيل حلول فجر اليوم التالي ، كان هذا الجنوي قد أعد شوانيه الأربع تماما وشحنها وبالمقاتلة ، وفي الوقت نفسه شحنت

بقية السفن والمراكب ، وقبيل اشراق شمس الصباح أقلع هذا الرجل ، وكان مرسى مدينة صور الذي تدخل السفن إليه وتخرج منه واقعا وراء اسوار المدينة ، وهكذا تسلل وخرج بهدوء تام ، حتى إذا ابتعد بعض الشيء عن المرسى رآه المسلمون ، فبادروا سراعا لملاحقته ، لكن بدون اتخاذ الاستعدادات الكاملة ، وقد أقلعوا بسفنهم المائة وشرعوا بمطاردته.

وعندما ابتعدوا عن المدينة ، وصاروا في عرض البحر ، بادر من بها الى الخروج منها ، وأبحروا في آثارهم ، وعند ذلك انعطف الجنوية ، واشتبكوا وأهالي صور بالمسلمين الذين لم يكونوا مستعدين تماما ، فقتلوا عددا كبيرا منهم ، والحقوا بهم الهزيمة ، ونجا من مراكب المسلمين مركبان فقط من بين المائة سفينة ، ولم يقعا بأيدي أهل صور ، وكان صلاح الدين قد وقف يرقب ما حدث ويبكي بمرارة ، ويشد شعره ويمسك بلحيته وهو يتألم لرؤية رجاله في محنتهم وهم يفتك بهم أمام ناظريه دون أن يتمكن من نجدتهم ، وبعدما فقد اسطوله ، قوض خيمه وأزال معسكره ورفع الحصار عن المدينة وارتحل ، وهكذا نجت صور على يدي الماركيز الذي طبق هذه الخدعة .

وفي هذه الآونة كان الملك غي مقيما في معسكره المحصن قرب عكا ، فهناك وجده ملكا فرنسا وانكلترا عندما قدما فيما بعد.

٦٧ ـ ولم يلبث الملك غي بعد هذا الحادث حتى ماتت زوجته ، وبذلك آلت المملكة الى أختها زوجة همفري ، صاحب شقيف تيرون ، وبعد ذلك قام الناس وفصلوا زوجة همفري عنه وزوجوها من الماركيز ، فصار بذلك ملكا ، وقد أنجبت له ابنة ، ثم إن هذا الماركيز لاقى حتفه غيلة على أيدي طائفة الحشيشية ، فأخذ القوم أرملته وزوجوها من الكونت هنري دي شامبين ، ثم جدوا بعد هذا في حصار عكا حتى استولوا عليها.

٦٨ ـ والآن بعدما فرغت من الحـديث عن الأثـم الذي اقتـرفه الامبـراطور ، ومـن أجله أبغض الماركيز مـونتفرات هـذا الامبراطور ، وبسببه أيضا كان اكثر من غيره حماسا لخطة التوجه الى القسطنطينية ، أعود الى سياق الحديث الذي كنا فيه من قبل.

فبعدما قال دوج البندقية للبارونات أنه قد توفر لهم افضل مسوغ يمكنهم التذرع به في التـوجه الى القسـطنطينية ، وأنه يحض بـكل حرارة على التوجه الى هناك ، وافق البارونات جميعـا على طلبـه هذا ، وهنا عرضت القضية على الأساقفة حيث سـألوهم عمـا إذا كان قصد القسطنطينية يعد خـطيئة؟فأجابهم "الأساقفة أن ذلك لن يكون خطيئة بل عملا جيدا ، فمن المتـوجب على البـارونات تقـديم العون لصديقهم الوريث الشرعي للعرش الذي سلبه ، وتمكينه مـن استرداد حقوقه ، والانتقام من عدوه.

وطلبوا بعد هذا من الشاب أن يقسم على الآثار المقدسة ويتعهـد بالحفاظ على العهود التي ابرمها معهم من قبل .

٦٩ ـ واجمع بعد هـذا الحجـاج والبنادقـة على قصـد القسطنطينية ، فأعدوا شونهم وسفائنهم ، واقلعوا وسـاروا فـوق ظهر البحر حتى وصلوا الى ميناء أبيدوس ، وهي مـدينة تبعـد عن القسطنطينية مسافة مائة فرسخ ، وكان هذا المرسى هو المكان الذي أقام فيها تروي الكبير عند مدخل مضيق البـوسفور ، وبعـد هـذا أقلعوا من هناك ، واتجهوا نحو القسطنطينية ، حتى إذا باتوا على قرابة فرسخ واحد منها توقفوا بقصـد تجمـع سـفن الاسـطول كلها ، وبعدما تكامل مجيء سائر السـفن على اختـلافها ، أعدوا سفائنهم وزينوها ، حتى بان مرآها أبدع ما وقعت عليه العين مـن المناظر.

وعندما رأى اهالي القسطنطينية هذا الاسطول العملاق ، القوي التجهيز ، شرعوا ينظـرون اليه بـامعان ودهشـة وحيرة ، وقـد

استبدت بهم الدهشة والخشية ، فصعدوا الى أعلى الاسوار وظهور البيوت ينظرون الى هذه الاعجوبة ، وفي الوقت نفسه شرع الذين كانوا على ظهر الاسطول بتفحص المدينة ، التي كانت عظيمة الطول والاتساع ، وقد أعجبوا لها ودهشوا لمرآها ، ثم عبروا من أمامها وقصدوا خلقدونية في العدوة الاخرى من مضيق البوسفور.

٧٠ ـ وعندما علم الامبراطور (الكسيوس الثالث) بخبر الصليبيين ، أرسل اليهم وفدا من كبار رجالاته ليسألوهم عما يريدون وما الذي جاء بهم ، وبعث اليهم يخبرهم أنه على استعداد لمنحهم عن طيب خاطر كل ما يريدون مما لديه من ذهب وفضة ، إن كانوا جاؤوا لذلك ، وبعدما سمع البارونات هذه الرسالة أعلموا الرسل أنهم لا يريدون شيئا من ذهبه أو فضته ، وكل الذي يريدوه التنحي عن عرش الامبراطورية لأنه لم ينله بالوسائل المشروعة بل بالاغتصاب ، وبعثوا الى الامبرطور برسالة أعلموه فيها بوجود الكسيوس ابن الامبراطور اسحق بينهم ، فهو الوريث الشرعي للعرش ، وآنذاك أجابهم الرسل بأن الامبراطور لن يستجيب لأي من مطالبهم ، ثم ودعوهم عائدين.

٧١ ـ وإثر هذا خاطب دوج البندقية البارونات قائلا : « أيها السادة ، أرى أن نأخذ عشر شواني ، ونركب على سفينة منها هذا الشاب ومعه بعض الرجال ، وأن تقصد هذه السفن شاطىء القسطنطينية وهي ترفع راية الأمان ، وذلك بهدف سؤال أهل المدينة عما اذا كانوا على استعداد للاعتراف بسيادة هذا الشاب عليهم ».

فرد عليه رجالات الحملة بقولهم : إن هذا رأي وجيه ينبغي الأخذ به ، وبناء عليه جهزوا السفن المطلوبة واعتلى على ظهر احداها الشاب مع عدد كبير من الرجال المسلحين ، وجذفوا حتى وصلوا إلى اسوار المدينة ، ثم أخرجوا هذا الشاب واسمه الكسيوس وعرضوه أمام أهلها ، وسألوهم عما إذا كانوا يعدونه سيدهم ، فرد عليهم أهل المدينة بكل صراحة قائلين بأنهم لا

يعترفون به سيدا عليهم ولا يعرفون من أمره شيئا فبين لهم الرجال الذين كانوا بالسفن أنه ابن اسحق الامبراطور السالف ، فأجابهم اهل المدينة مجددا قائلين إنهم لا يعرفونه ولا يعرفون عنه شيئا ، وبناء عليه عادوا جميعا الى الجيش وأخبروا قادته بخبر القوم وأجوبتهم لهم ، وعند ذلك صدرت الأوامر الى جميع أفراد الجيش صغارا وكبارا بحمل السلاح والاستعداد للمعركة ، وبعدما حمل الجميع أسلحتهم بدأوا يقدمون اعترافاتهم وتناولوا القربان المقدس ، ذلك أنهم كانوا خائفين ويخشون من الزحف على القسطنطينية ، ورتبوا كتائبهم وأعدوا سفنهم وشوانيهم ومراكب حمولتهم ، ودخل الفرسان الى مراكب النقل مع جيادهم ، وأقلع الاسطول ، وزعقت الأبواق الفضية والنحاسية وكان منها مائتا زوج ، وقرعت الطبول ودقت الكوسات فقد كان هناك منها الكثير.

وعندما ابصر أهل القسطنطينية هذه العمارة البحرية العملاقة وهذه القوات الهائلة وسمعوا أصوات الأبواق والطبول التي أحدث قرعها ضجة كبيرة ، حملوا أسلحتهم جميعا ، وصعدوا فوق البيوت في المدينة والأسوار ، وبات المشهد وكأن البحر والبر قد ثاروا فقد غطت السفن وجه الماء ، وفي الوقت نفسه أمر الامبراطور رجاله بحمل أسلحتهم والتوجه الى الساحل للدفاع عنه.

٧٢ ـ وعند ابصر الصليبيون والبنادقة الاغريق يتقدمون نحو الشاطىء وهم يحملون أسلحتهم ، بهدف صدهم تشاوروا فيما بينهم وتداولوا حتى قال لهم دوج البندقية إنه سيزحف أمام الجميع على رأس جميع قواته وسيستولي على الشاطىء بمعونة الرب ، ثم أخذ شوانية وسفائنه ومراكب حمولته ، واتخذ موقعه في المقدمة على رأس الجيش ، ثم أمر برماة السهام ووضعهم أمام المراكب لتطهير الشاطىء من الاغريق ، وبعدما تم توزيعهم حسب هذه الخطة تقدموا نحو الشاطىء ، وما أن رأى الاغريق ، وبعدما تم توزيعهم حسب هذه الخطة تقدموا نحو الشاطىء ، وما أن رأى الاغريق أن

الحجاج مقبلون وكلهم تصميم ، غير خائفين أو وجلين ، ارتدوا على أعقابهم ، وفقدوا الجرأة على الصمود أمامهم ، وهكذا شق الاسطول الصليبي طريقه ، وما كانت السفن تلامس طرف الساحل حتى وثب الفرسان من مراكب الحمولة وقد امتطوا ظهور خيولهم ، وكان لمراكب الحمولة هذه أبواب يمكن فتحها حيث تمتد بما يشبه الجسر يمكن للفرسان العبور عليه الى اليابسة وهم على ظهور خيولهم.

وعندما رسا الاسطول بمحاذاة الشاطىء ، سيطر الرعب على الاغريق المسيحيين ، خاصة عندما شاهدوا المقاتلين يخرجون ، وكان هؤلاء الاغريق هم الأناس أنفسهم الذين قدموا للدفاع عن الشاطىء ، والذين كانوا يتشدقون أمام الامبراطور ويتحججون أن اللاتين لن يتمكنوا من الرسو والنزول الى اليابسة ماداموا مرابطين هناك ، لكن عندما نزل الفرسان من مراكب الحمولة شرعوا في طرد هؤلاء الاغريق وتعقبوهم حتى جسر كان على مقربة من رأس المدينة ، عليه باب اجتازه الاغريق في هروبهم الى داخل القسطنطينية.

٧٣ ـ ولما آب الفرسان من مطاردة الاغريق تدارسوا الوضع الجديد ، فقال لهم البنادقة إن سفنهم لن تكون آمنة على نفسها ، إلا إذا رست داخل الميناء ، ولهذا عقدوا العزم على ارسائها فيه ، وكان مرسى القسطنطينية آمنا كل الأمن لوجود سلسلة معدنية عملاقة ممتدة عند مدخله قد ربط طرفها الأول عند برج غلاطية وشد الطرف الآخر الى المدينة ، وكان برج غلاطية شديد الحصانة منيعا لا يمكن اقتحامه بسهولة لأنه شحن بالمدافعين المجهزين أفضل جهاز.

وبناء عليه أخذ القوم بهذا الرأي فحاصروا البرج وشددوا الحصار عليهم حتى تم الاستيلاء عليه عنوة ، وكان هناك عدد كبير من المراكب الاغريقية منتشرة على طول السلسلة ، ودخلت سفن

الاسطول الى المرسى فباتت آمنة فيه ، وتم في تلك الأثناء الاستيلاء على عدد من المراكب الاغريقية التي كانت راسية بالمرسى.

٧٤ ـ وبعدما أصبحت السفن والمراكب آمنة داخل المرسى ، احتشد الحجاج جميعا هناك ومعهم البنادقة للتداول حول كيفية الاغارة على المدينة ، وخلصوا الى الاتفاق على أن يقوم الفرنجة بمهاجمة القسطنطينية برا والبنادقة بحرا ، وأعطى دوج البندقية أوامره لأتباعه بنصب ما لديهم من المعدات والسلالم على ظهر السفن حتى يستطيعوا بوساطتها مهاجمة الأسوار.

وفي الوقت نفسه تجهز الفرسان والحجاج جميعا وحملوا أسلحتهم وقصدوا واحدا من الجسور وقع على قرابة مرحلتين منهم ، وأرادوا الاستيلاء عليه والعبور منه الى داخل القسطنطينية ، لعدم توفر طريق آخر يمكن عبوره وطوله أقل من أربعة فراسخ ، غير هذا الطريق الممتد من الجسر ، وعندما وصلوه بادر الاغريق الى صدهم وللحيلولة دون عبورهم له ، لكنهم أخفقوا وتمكن الحجاج بعد جهد من اجلائهم بقوة السلاح ، وهكذا عبره الحجاج ، وعندما وصلوا الى أطراف المدينة نصب سادة القوم خيمهم أمام قصر بلاشرين الخاص بالامبراطور والقائم عند رأس المدينة.

٧٥ ـ وكان بحوزة دوج البندقية معدات هائلة على درجة عالية من الدقة ، فقد أخذ صواري مثل التي تحمل قلوع السفن طول كل منها مائة وثمانين قدما أو أكثر ، وشدها الى بعضها شدا محكما ثم ربطها الى صواري السفن بحبال متينة ثم أمر بمد جسور فوقها تكون قوية متوازنة ، جاءت من خشب الصنوبر ، ووضع أعمدة على امتداد الحبال ، وجاءت الجسور واسعة جدا بحيث يمكن لثلاثة من الفرسان السير عليها معا ، وصنع الدوج سواتر واقية لجوانب هذه الجسور غطاها بالجلود المدبوغة واللبد ، وبذلك بات الذين يسيرون عليها لا يخشون الأذى من رمايات النشاب وغير ذلك من المقذوفات

ومدت الجسور من أطراف السفن حتى الأرض ، حتى كان ما بين كل جسر والأرض قرابة مائتان وأربعون قدما أو أكثر ، يضاف الى هذا وضع البوج على كل مركب من مراكب الحمولة منجنيقا تبلغ رماياته الاسوار وداخل المدينة أيضا .

وفي الوقت الذي هيأ فيه البنادقة اسطولهم للهجوم حسب الشكل الذي أتينا على وصفه ، قام الحجاج من جانبهم بنصب عراداتهم ومجانيقهم ، بشكل تجعل رماياتها تصل الى قصر الامبراطور ، نصبوها على الأرض ، لأن هجومهم كان بريا ، هذا وكان الذين في داخل المدينة يرمون من جهتهم فتبلغ رماياتهم معسكر الحجاج .

٧٦ ـ وبعد استكمال الاستعدادات اتفق الصليبيون والبنادقة على أن يشرعوا في الهجوم العام في اليوم التالي برا وبحرا ، وعندما أطل الصباح ، شرع البنادقة الذين أعدوا أنفسهم تماما ، بالاقتراب من الاسوار بقدر الامكان استعدادا للهجوم ، وكذلك فعل الحجاج الذين تمركزت قواتهم على الجانب الآخر ، وهنا رأوا الكسيوس امبراطور القسطنطينية يخرج من المدينة عبر باب اسمه الباب الروماني ، وخرج ومعه جميع رجاله وهم شاكوا السلاح ، ونظم الامبراطور قواته خارج الباب وجعلها سبعة عشر فيلقا تعدادهم قرابة المائة ألف فارس يمتطون الخيول ، وأرسل الامبراطور جل هذه الفيالق لتطويق معسكر الفرنجة ، وترك بعض الفيالق معه ، وكان قد أجبر جميع القادرين على حمل السلاح من سكان المدينة على الخروج ووزعهم حول الأسوار كلها ، وبهذا وقفوا بينها وبين معسكر الفرنجة ، وعندما رأى الفرنجة ما حدث وأنهم باتوا مطوقين من هذه الفيالق خافوا حتى حد اليأس ، واشتد أساهم ، لكنهم أخذوا يعدون فيالقهم للقتال وكان قد بلغ عددها سبعا فقط ، تكونت من سبعمائة فارس حيث لم يكن لديهم أكثر من هذا العدد ، ولم يكن من هؤلاء السبعمائة سوى خمسين فقط من الرجالة.

وبعدما عبأوا قواتهم حسبما وصفنا ، طلب كونت فلاندرز أن يتولى قيادة الفيلق الأول فأجيب الى طلبه ، وطلب كونت سانت بول ومولاي بيتر الدامياني قيادة الفيلق الثاني وتولى اللورد هنري أخو كونت فلاندز قيادة بقية القوات من الفرنجة والألمان معا ، ثم اتفقوا على أن يزحف الفرسان أولا وأن يسير خلف كل فيلق من فيالق الفرسان عدد من الرجالة من أبناء جلدة الفرسان.

٧٧ ـ وبعدما تم انتقاء ثلاثة فيالق لتتولى الهجوم على جيش الامبراطور ، عهد بقيادة أحد الفيالق الأربعة المتبقية لحراسة المعسكر الى الماركيز بونيفيس دي مونتفرات ، وكان هو القائد العام للجيش وقد وقف في الساقة وتولى أمور الدفاع عن المعسكر من الخلف ، وقاد الفيلق الثاني الكونت لويس ، وتكون الفيلق الثالث من أهل شامبين ، والرابع من البرغنديين ، وكان ـ كما قلنا ـ الماركيز هو القائد الأعلى لهذه الفيالق بوصفه القائد العام للقوات.

٧٨ ـ ثم جاءوا الى الفتيان الذين يتولون العناية بالخيول والى الطباخين القادرين على حمل السلاح ، وجهزوهم بالاغطية والستر وحلوس الدواب والاواني النحاسية وايدي المهاريس والعصي ، وكان منظرهم منظرا بشعا لاتألفه النفس ويخشاه القلب ، ولهذا خاف جمهور رجالة الامبراطور الذين وقفوا امام الاسوار منهم خوفا شديدا ، واستبدبهم الرعب ساعة رؤيتهم لهم .

وتولت الفيالق الاربعة التي ذكرتها لك حراسة المعسكر بدون تباطؤ ، وذلك خوفا من ان تتقدم فيالق الامبراطور التي تطوقهم فتسعى لاقتحام المعسكر والدخول الى الخيم ، وتلحق بها المضار والاذى ، وتمركز الفتيان الذين يسوسون الخيول مع الطباخين في الناحية المواجهة لشطر المدينة حيث وقفت رجالة الامبراطور الذين انتشروا أمام الاسوار .

وبعدما راى رجالة الامبراطور رجال العامة منا وقد تعبأوا خير تعبئة ، اعتراهم الخوف الشديد ، واستبد بهم الرعب المميت ، فلم يمتلكوا الجرأة على مبارحة اماكنهم والزحف ضدهم ، وهكذا اطمان معسكرنا من وفود اي خطر عليه من هذا الجانب .

٧٩ ــ ثم صدرت الاوامر ان يقوم كونت فلاندرز وكونت دي سانت بول واللورد هنري ، وهم الذين كانوا يتولون قيادة الفيالق الثلاثة ، بمهاجمة الامبراطور ، وصدرت الاوامر ايضا الى الفيالق الاربعة الاخرى بألا تتحرك من اماكنها مهما كانت حاجة الاخرين اليها ، اللهم الا اذا رات ان وقوفها حيث هي سيؤدي الى هلاكها ، وقد صدرت هذه الاوامر اليها خشية من ان يحال بينها وبين العودة ، او ان تهاجمها الفيالق التي احاطت بالمعسكر .

٨٠ ــ وفي الوقت نفسه عندما كان الفرنجة يتعبأون على هذه الصورة لخوض المعركة لم ينس البنادقة دورهم ، وبما انهم كانوا على سطح البحر فقد اقتربوا من اسوار المدينة حتى التصقت مراكبهم بها ، او كادت ، وهكذا بات بامكانهم الارتقاء اليها بوساطة السلالم والجسور التي اقاموها على سفنهم ، ثم راحوا يرمون ويقذفون القذائف بوساطة المجانيق والعرادات ، وانقضوا على المدينة بهجوم عنيف عاصف حتى انهم توصلوا في النهاية الى طرح النار في المدينة واتى الحريق على شطر كبير منها يعادل في حجمه مدينة اراس ، غير انهم لم يمتلكوا الجراة على التجول بالمدينة والزحف بداخلها ، لانهم كانوا حفنة من الرجال لايمكنهم المقاومة ، ولهذا انسحبوا وعادوا الى سفنهم .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر تمت تعبئة الرجال الذين توجب عليهم القتال إلى جانب الأمبراطور ، بحيث حددت أماكن تمركز ومهام كل واحد من الفيالق ، وجرى اختيار اثنين من أكثر الرجال حنكة ودربة وعهد إليهما بالقيادة والزموا الجنود بطاعتهما تماما فإذا قالا لهم: ازحفوا ،زحفوا وإذا قالا: اركضوا، ركضوا .

٨١ ــ ووقف كونت فلاندرز على رأس مقـدمة القـوات ، أي في الطليعة ، وهكذا ركب مسرعا وانقض بكل عنف على الأمبـراطور ، الذي كان على بعد ربع فرسخ منه ، والذي أصـدر أوامـره لقـواته بالزحف للتصدي لهجوم كونت فلاندرز .

وزحف كونت دي سانت بول واللورد بيتر الداميانى اللذان قـادا الفيلقين الآخرين بعد كونت فـلاندرز مبـاشرة ، وزحـف بعـدهما مباشرة هنري دي هينولت والألمان الذين كانوا قوام الفيلق الثالث ، وألبسـت الخيول الدروع الواقية ثـم غطيت هـذه الدروع بـأقمشة حريرية زاهية ، وسار وراء كل فيلق من الفيالق مبـاشرة ثـلاث أو أربع أو خمس فرق من السير جانتيه والرجالة ، وقـد زحفـوا على شكل أرتال طويلة في صفوف جاور كل مقاتل آخـر ولم يتجـاوزه أو يتجرأ بالتقدم عليه .

وزحف الأمبراطور ومعه فيالقه التسـعة كلهـا للتصـدي إلينا ، وكان في كل فيلق مالا يقل عن ثلاثة آلاف فارس ، لابل تألف بعضها من أربعة آلاف ، وبعضها الآخر من خمسة آلاف .

٨٢ ــ وبعدما بات كونت فلاندرز على بعـد قـرابة غلوتين مـن معسكره نبهه مستشاراه إلى ضرورة التمهل وقالا له : لايحسن بـك أن تبتعد كثيرا عن معسكرك لقتال الأمبراطور ، إذ لن يكون بمقدور القائمين على حماية المعسكر المبـادرة إلى نجـدتك ، إذا كنت بعيدا جدا عنهم ، واحتجت إلى مساعدتهم ، ونرى أن تصغي لنصـيحتنا وتعود إلى مواقفك ، وتلبث هناك في انتظار الأمبراطور وأنت مطمئن إلى أوضاعك إذا أراد قتالك .

وأصغى كونت فلاندرز إلى هذا الرأي وأخذ به فعاد إلى مواقفه ، وكذلك فعل فيلق مولاي هنري ، وأما كونت سانت بول ومعـه بيتـر الداميانى فقد رفضا النكوص ، ومع هذا فقد وقفا مـع قـواتهما في وسط ميدان المعركة .

٨٣ - وعندما رأى كونت سانت بول وبيتر الداامياني نكوص كونت فلاندرز قال بعضهم لبعض : لقد اقترف كونت فلاندرز إثما كبيرا بنكوصه وجلله العار ، لأنه هو الذي تعهد بقيادة المقدمة وأن يكون على راس الطلائع ، ثم قالوا : أيها السادة إن كونت فلاندرز قد انتكص وهو بعمله هذا قد تخلى لكم عن مقدمة الجيش ، فلنأخذ مكانه باسم الرب ، وهكذا اتفق هؤلاء البارونات على أن يتولوا قيادة المقدمة والوقوف بالطليعة .

٨٤ - ولما رأى كونت فلاندرز رفض كونت سانت بول والكونت الداامياني التقهقر بعث إليهما برسالة مع واحد من رجاله ، وحثهما على التقهقر ، فرد عليه مولاي بيتر الداامياني بالرفض وقال إنه لن يتراجع ، ومجددا بعث إليه كونت فلاندرز برسولين للغرض ذاته والتمس منه باسم الرب التراجع وإلا يجللهم العار ، فقد عاد هو نزولا على النصائح التي أسديت إليه ، وعليه أن يكون مثله ، فرد الداامياني مجددا ومعه كونت سانت بول بالرفض ، وتشبثا بموقفهما .

٨٥ - ثم التفت مولاي بيتر الداامياني ومولاي يوستاس دي كانتلو نحو قوات فيلقهما وقالا : أيها السادة اركبوا الآن ، وتقدموا باسم الرب ، ولنسرع جميعا ، وشرعا بالتقدم بكل سرعة ، وعند ذلك أخذ الذين بقيوا من الجيش وقوفا بالصياح والصراخ : انظروا ، انظروا ، هاهو كونت سانت بول وبيتر الداامياني متوجهان لمهاجمة الأمبراطور ، ولهذا شرعوا في البكاء والانتحاب والصراخ قائلين : « مولانا الرب احفظهما اليوم ومن معهما جميعا . انظروا لقد توليا الطليعة التي كانت قيادتها إلى كونت فلاندرز ، فرد الجميع يامولانا سالمين » .

٨٦ - ومن داخل القصر الأمبراطوري وقفت سيدات القصر وفتياته أمام النوافذ يرقبن المعركة التي تدور رحاها أمامهن ، وكذلك اعتلت نساء وفتيات أهل المدينة الأسوار وفعلن الشيء نفسه ، وبينما رأين الأمبراطور من جانب المدينة ، أبدين إعجابهن برجالنا

وكن يقلن بعضهن لبعض : هؤلاء الرجال يشبهون الملائكة ، لهم جمال وبهاء وأسلحة بديعة وجياد مجهزة خير جهاز .

٨٧ - وحين رأى فرسان فيلق كونت فلاندرز إصرار كونت سانت بول وبيتر الداميانى على عدم العودة وتشبثهما بموقفهما مهما كانت العواقب توجهوا نحو مقدمهم كونت فلاندرز وخاطبوه قائلين : يامولانا لقد اقترفت ذنبا عظيما بعدم تقدمك ، وإننا نعلمك أننا لم نعد أنفسنا نرتبط بك ، وسنهجرك إن لم تبادر إلى الهجوم الآن .

ولدى سماع الكونت لهذا التهديد لوى عنق فرسه وتحرك مسرعا ، وقلده الباقون وزحفوا مسرعين حتى أدركوا قوات كونت سانت بول وبيتر الداميانى ، وعندما وصلوا إليهم اتحدوا وساروا جبهة واحدة ، وسار وراءهم اللورد هنري ومعه قواته .

وما لبثت قوات الأمبراطور وقواتنا أن باتت قريبة بعضها من بعض حتى درجة التلاحم ، إلى حد أن رماة السهام في جيش الأمبراطور كانوا يرمون وهم في وسط رجالنا وكذلك فعل رماتنا حيث كانوا يرمون وهم قيام وسط رجال الأمبراطور .

٨٨ - وكان هناك تل صغير فصل بين قوات الأمبراطور وقواتنا ، وعندما شرعت قوات الأمبراطور في ارتقاء هذا التل من الجهة التي واجهتهم ، صعدت قواتنا بدورها الجهة المقابلة لهم ، وعندما رآهم الأمبراطور توقف هو وجميع رجاله ، فقد ضربهم الهلع وسيطر عليهم الغم وشعروا بالاحباط لرؤيتهم قواتنا زاحفة من أعلى التل نحوهم ، وحاروا ولم يعودوا يعرفون مايفعلون ، وفيما هم لحيرتهم وخوفهم ، قامت بقية قوات الأمبراطور التي كانت قد أرسلت لتطويق المعسكر بالانسحاب من مواقعها لتنضم إلى قوات الأمبراطور التي وقفت عند سفح التل .

٨٩ - ولدى مشاهدة الفرنجة لتجمع قوات الأمبراطور

واحتشادها في مكان واحد ، تريثوا عند القمة وهم يتساءلون عما سيفعله الأمبراطور ، وتراسل قادة الفيالق الثلاثة ومقدموا التشكيلات وتشاوروا حول ماينبغي عليهم القيام به : هل يتقدمون لمقاتلة جيش الأمبراطور أم يمتنعون عن ذلك ؟ واتفقوا أخيرا على عدم التقدم لأنهم باتوا بعيدين جدا عن معسكرهم ، وإذا ما هاجموا الأمبراطور حيث هو لم يعد بمقدور المتولون لحراسة المعسكر رؤيتهم وإنجادهم إذا اقتضى الحال ذلك ، زد على هذا قام بينهم وبين الأمبراطور مجرى ماء كان عبارة عن قناة كبيرة جرى فيها الماء الذي كان يغذي القسطنطينية ، وقد وجدوا أنفسهم أنهم إذا ماغامروا بعبور هذه القناة فسيتكبدون خسائر كبيرة في قواتهم ، ولهذا كله عزموا على عدم متابعة الزحف .

وفيما كان الفرنجة يتداولون فيما بينهم حول هذه الشؤون ، إذا بهم يرون الأمبراطور وقد انسحب وقواته عائدا إلى القسطنطينية حيث تلقته نساء المدينة وفتياتها بأقذع السباب والشتائم ، وسخر منه الجميع ووجهوا إليه اللوم لتقاعسه عن الالتحام بجيش الفرنجة الصغير لاسيما وتحت تصرفه هذا الجيش العملاق .

٩٠ – وبعدما انكفأ الأمبراطور وتراجع على هذه الصورة ، عاد الحجاج نحو معسكرهم ، ووضعوا أسلحتهم جانبا ، وعند ذلك وصل إليهم البنادقة في سفنهم ومراكبهم ليستوضحوا منهم جلية الحال وقالوا لهم : في الحقيقة سمعنا أنكم كنتم تقاتلون الأغريق ، وكنا نحن في خوف شديد عليكم ، لهذا جئنا لتقديم العون إليكم .

فأجابهم الفرنجة : لقد قمنا بما توجب علينا ، ونحمد الرب أن وفقنا بالنهوض لحرب الأمبراطور ، غير أنه تقاعس وجبن عن الالتحام معنا ، ثم سألهم الفرنجة بدورهم عن آخر أخبارهم فأعلموهم قائلين : في الحقيقة شننا هجوما عنيفا جدا على المدينة واقتحمناها من فوق أسوارها وأضرمنا النيران فيها ، وقد أكلت النيران شطرا كبيرا منها .

وفيما كان الفرنجة والبنادقة يتبادلون أحاديثهم هذه إذا بهم يسمعون أصوات ضجة هائلة صدرت من داخل المدينة ، ومرد ذلك أن سكان المدينة طالبوا الامبراطور ببذل جهده بدون تقاعس لتخليصهم من الفرنجة الذين شددوا عليهم الخناق ، وتهددوه - إن هو أحجم أو تقاعس عن قتالهم - بأن يرسلوا وراء الشاب الذي جاء به الفرنجة ويتوجوه إمبراطورا عليهم ويوكلون إليه شؤون حكمهم .

وبعدما أصغى الامبراطور إلى مطالبهم ، تعهد لهم بأنه سوف يقاتل الفرنجة في الغد ، لكن الذي حدث هو أنه عندما أوشك الليل على الانتصاف هرب من المدينة واصطحب معه من قدر على اصطحابه من حاشيته .

٩١ - ومع حلول صباح اليوم التالي ، عرف أهل المدينة بأن الامبراطور قد هرب ، وهنا لم يجدوا أمامهم من مخرج سوى التوجه إلى أبوابها وفتحها ، ثم قصدوا معسكر الفرنجة بحثا عن الكسيوس بن اسحق للاجتماع به ، فعرفوا من أهل المعسكر أنه موجود في سرادق الماركيز ، ولدى وصولهم إليه وجدوه هناك ، فسلموا عليه ورحبوا به غاية الترحيب وأبدوا سرورهم بوجوده وقدموا الشكر للبارونات ، وعبروا لهم عن امتنانهم تجاه ماقاموا به وما تجشموه من مشاق ، وبينوا لهم أنهم انجزوا عملا جليلا جديرا بالثناء والتشريف ، ثم أعلموهم بفرار الامبراطور ، وأن بإمكان الصليبيين الدخول إلى المدينة والقصور والتصرف بها كما لو كانت ملكا لهم .

٩٢ - وبناء عليه احتشد بارونات الجيش وقادته ، وحملوا الكسيوس بن اسحق وتوجهوا به إلى القصر وسط موكب رائع وسرور هائل ، وبعد الوصول إلى القصر أخرجوا والده اسحق من السجن وأخرجوا أيضا زوجته ، واسحق هذا هو الامبراطور الذي اعتقله أخوه وصار إمبراطورا مكانه .

وبعدما اخرج اسحق من السجن فرح كثيرا بابنه ، وشعر بالغبطة والسعادة ، وراح يقبله ويعانقه ، وأشاد بجهود البارونات وشكرهم عظيم الشكر ، وخص بذلك الذين كانوا حضورا آنذاك ، وقال إن الفضل في إطلاق سراحه يعود إلى الرب أولا ثم إليهم ثانيا ، ثم تم إحضار عرشين مذهبين جلس اسحق على واحد منهما وجلس ابنه الكسيوس إلى جواره على الثاني ، وقد احتل اسحق العرش الاساس .

وبعدما عاد إلى عرشه الامبراطور قيل لاسحق : يوجد بالسجن هنا رجل كبير اسمه مرزوفلوس ، هو في هذا السجن منذ سبع سنوات كاملة ، وإذا تفضلت فمننت عليه بإطلاق سراحه ، واستجاب الأمبراطور اسحق ، وامر بإخراج مرزوفلوس من السجن واصطنعه لنفسه بجعله كبير نوابه ، غير أن الأمبراطور اسحق لقي منه أسوأ الجزاء ، وبادره بالشر لقاء كرمه نحوه كما سنحكي ونروي لك فيما يلي .

٩٣ ـ بعدما فرغ الفرنجة من هذه الأعمال وانجزوا ما أنجزوه سمع سلطان قونية بما صنعه الفرنجة ، ولهذا قدم إلى محادثتهم ، وهم مايزالون في معسكرهم خارج القسطنطينية وقال لهم : أيها السادة ، لقد انجزتم في الحقيقة إنجازا رائعا ، وقمتم بالفعل بعمل من أعمال البطولة الباهرة ، حين تمكنتم من الاستيلاء على القسطنطينية ، وهي مدينة منيعة جدا لاترام ، ثم هي حاضرة الدنيا ، وأيضا حين ارجعتم العرش إلى صاحبه الشرعي ، وتوجتم وريث القسطنطينية امبراطورا ، هذا واعتاد الناس هناك على القول ان القسطنطينية هي حاضرة الدنيا .

ثم استطرد سلطان قونية يقول : « ايها السادة ، ان لديَّ قضية اريد طرحها عليكم ، وخلاصة الامر ان اخا لي صغير تسلح بالخيانة وغدر بي فانتزع مني بلادي وامارتي في قونية التي كنت احكمها وكنت صاحبها الشرعي ، فاذا قدمتم لي العون على استردادها ،

وتمكنت من العودة الى سلطاني وامارتي بمساعدتكم وهبتكم الكثير من الثروات ، وعمدت نفسي مسيحيا ، وكذلك الذين حولي جميعا .

واجابه البارونات انهم سيتداولون الامر فيما بينهم ، ثم استدعوا دوج البندقية والماركيز وسائر كبار البارونات ، وعقدوا اجتماعا موسعا ، وبعد مداولات توصلوا اخيرا الى الاتفاق باجماع على عدم تلبية طلب السلطان ، وهكذا اعلموه بعد خروجهم من الاجتماع انهم غير قادرين على تلبية طلبه والذهاب معه ، فهم مازالوا ينتظرون تسلم المكافاة من الامبراطور ، ثم من غير الحكمة مغادرة القسطنطينية الان ، لان الامور فيها لم تستقر بعد ، ومادامت الحالة على هذا المنوال لن يتحركوا من مكانهم ولن يغادروا القسطنطينية ، وانزعج السلطان لدى سماعه هذا الجواب وغضب منهم غضبا شديدا ثم غادر معسكرهم .

٩٤ ـ وكان عندما حمل البارونات الكسيوس الى القصر ، سالوا عما اذا كانت اخت ملك فرنسا ، التي كانت زوجة الامبراطور الفرنسية ، ماتزال على قيد الحياة ، وجاءهم الجواب بالايجاب ، وانها تزوجت من رجل من كبار اعيان المدينة اسمه براناس ، وتعيش في قصر يقع على مقربة منهم ، فتوجه البارونات نحوها للاجتماع بها وتقديم التحيات والولاء ، غير انها لاقتهم بفتور شديد ، وكانت حانقة عليهم حنقا شديدا ، لانهم قاموا بتتويج هذا المدعو الكسيوس ، وابدت عدم رغبة بالحديث اليهم ، وكلمتهم من وراء حجاب بواسطة رجل كان ينقل كلامها اليهم ، وقال المتحدث عنها انها لاتعرف احدا من الفرنسيين على الاطلاق ، ولكن ابن عمها الكونت لويس عرفها بنفسه .

٩٥ ـ وفي احد الايام قصد البارونات القصر الامبراطوري للتسلية ورؤية اسحق وابنه الامبراطور ، وفيما هم جلوس في القصر جاء احد الملوك ، وكان اسود البشرة قد وشم جبينه بشارة الصليب بوساطة الحديد المحمي ، وكان هذا الملك يعيش في دير داخل المدينة

كان عظيم الثراء ، كان الامبراطور السالف الكيسوس قد اسكنه فيه ، وخوله التصرف بهذا الدير وبتملكه مادام يمتلك الرغبة بالاقامة به ، وعندما سمع الامبراطور انه مقبل نحوه ، بادر لتلقيه والترحيب به بكل حرارة ، ثم التفت الامبراطور نحو البارونات وسالهم : هل تعرفون هذا الرجل ؟ فاجابوه بالنفي كلا لانعرفه يامولانا ، فقال الامبراطور : انه ملك النوبة ، وقد قدم الى هذه المدينة للحج .

ثم جيء بمترجم ليترجم بينهم وبينه ، فسالوه عن موقع بلاده ، فاجابهم بانها تبعد عن مدينة القدس مسيرة مائة يوم ، وانه غادر بلاده متوجها نحو القدس بقصد الحج ، وبين انه كان برفقته وقت مغادرته لبلاده ستونا من ابناء قومه ، لم يبق منهم على قيد الحياة إلا اثنان فقط ، واعلمهم ان بنيته السفر الى روما بقصد الحج وانه سيذهب منها الى مزار القديس جيمس ، ومن ثم سيعود ـ ان ظل حيا ـ الى القدس ليقيم هناك حتى توافيه المنية .

٩٦ ـ وتحدث هذا الملك ايضا ان سائر سكان بلده نصارى ، وان من عاداتهم اذا ولد لاحدهم طفل ، ياتون بعد تعميده بكي من الحديد المحمي بالنار ويرسمون على جبهته شارة الصليب كالتي يرونها على جبهته ، وحدق البارونات بهذا الملك وقد عرتهم الدهشة واستولى عليهم العجب .

٩٧ ـ وكان البارونات بعدما قاموا بتتويج الكسيرس امبراطورا ـ حسبما اوضحت من قبل ـ اتفقوا على ان يقيم معه بالقصر بيتر دي براشو مع رجاله ، واتفق البارونات ايضا على عدم الاقامة في المدينة خوفا من غدر الاغريق ووقع اختيارهم على جعل معسكرهم عبر الميناء وراء برج غلاطية ، وقد وجدوا في تلك الناحية ما يكفيهم من مساكن في بيوت خاصة ، ووضعوا سفنهم على الشاطيء امامهم ، وكانوا يذهبون الى المدينة في الوقت الذي يريدون ، اما بحرا بوساطة القوارب ، او برا على ظهور الخيل عبر الجسر .

٩٨ ــ وبعدما شعر الفرنجة بالاستقرار ، قرروا فيما بينهم هدم ثلاثمائة قدم من اسوار القسطنطينية خوفا من انقلاب سكانها ضدهم .

٩٩ ــ ثم عقد البارونات اجتماعا بالقصر الامبراطوري ، وبعد ذلك طالبوا الامبراطور بدفع اجورهم ، فاجابهم انه سيفعل ذلك ، لكنه يريد اولا ان يتوج بشكل رسمي ، ولذلك تم تحديد يوم التتويج ، وجرى التتويج في اليوم المحدد وسط احتفال رسمي عظيم ، ونصبوه امبراطورا ، وكان ذلك بموافقة ابيه ورضاه التام ، وبعد الفراغ من عملية التتويج عاد البارونات اليه للمطالبة باجورهم ، فاجابهم انه على استعداد لدفع كل ما هو متوفر له ، وبالفعل اعطاهم مائة الف مارك ، اخذ البنادقة نصفها وذلك جريا على قاعدة الاتفاق بشان اقتسام الغنائم ، ثم اقتطعوا من الخمسين الف الاخرى مبلغ ستة وثلاثين الف دفعها لهم الصليبيون لانهم كانوا مدانين بهذا المبلغ لقاء نقلهم بحرا ، وقام الحجاج بعد ذلك بسداد ما عليهم من ديون فردية للذين اسلفوهم لدفع اجور النقل ، وذلك من مبلغ الاربعة عشر الف مارك التي بقيت لهم .

١٠٠ ــ ثم طلب الامبراطور من البارونات الاجتماع به واعلمهم انه لايملك بالفعل غير القسطنطينية ، ومردود هذه المدينة ليس بالكبير ، وهي ليست هامة جدا بالنسبة له » ،

لأن عمه كان مسيطرا على جميع المدن الأخرى والقلاع التي من المتوجب أن تكون في يده هو بالذات ، وبناء عليه طلب منهم مساعدته في الاستيلاء على بعض المناطق القريبة ، وأعلمهم أنه سيدفع لهم من الثروات أكثر مما هو مقرر لهم ، ورحبوا بهذا العرض ترحيبا كبيرا ، وأعلنوا وسط الجيش من أراد الربح فليستعد للزحف ، وبالفعل زحف مع الكسيوس أكثر من نصف الجيش ، ومكث البقية بالقسطنطينية لاستلام الأجور ، وبقي اسحق بالقصر ليدفع للبارونات أجورهم المستحقة ،

وخرج الكسيوس وبرفقته جيشه كله ، فاستطاع الاستيلاء على عشرين بلدة وأكثر من اربعين قلعة ، وفر عمه الكسيوس الامبراطور الآخر من امامه ، واستغرقت هذه الأعمال ثلاثة أشهر ظلت قوات الفرنجة خلالها مع الامبراطور الكسيوس .

وفي اثناء هذه الفترة ، وبينما الكسيوس خارج القسطنطينية أعاد أهل المدينة بناء ما هدمه الفرنجة من سورها وزادوه حتى مناعة وارتفاعا ، وكنا قد ذكرنا أن الفرنجة قد هدموا ثلاثمائة قدم من سور المدينة حتى الأرض خوفا من غدر الاغريق بهم .

١٠١ ــ وعندما رأى البارونات الذين مكثوا بالمدينة لتسلم الأجور ، أن اسحق يرفض أن يدفع اليهم شيئا من استحقاقاتهم ، بعثوا الى بقية البارونات الذين صحبوا الكسيوس يطلبون منهم العودة لأن اسحق لم يدفع لهم شيئا من الأجور ، وأوصوهم أن يجعلوا عودتهم قبل عيد جميع القديسين ، وبعدما سمع البارونات بهذه الأخبار أعلموا الامبراطور أنهم آيبون الى القسطنطينية ، وعندما اطلع على ذلك منهم ، أعلمهم أنه سيعود معهم إن عادوا ، لأنه لا يستطيع الوثوق برجاله الأغريق ، وهكذا عاد الجميع الى القسطنطينية ، فتوجه الامبراطور الى قصره ، وقصد الحجاج مقر سكناهم حيث معسكرهم عبر الميناء .

وبعد هذا اجتمع البارونات وكبار القادة والدوج مع الامبراطور ، وطالبه الفرنجة بأجورهم فأجابهم بأنه أنفق كثيرا من الأموال أثناء استرداد مدنه وعلى رجاله ، وأنه بات لا يمتلك شيئا حتى يدفعه لهم ، غير أنهم إن أمهلوه بعض الوقت فسوف يتدبر الأمور ويجد الوسائل التي تمكنه من دفع ما خصهم من أموال ، فاستجابوا لطلبه ، ومع هذا مر الوقت دون أن يدفع شيئا فطالبه البارونات مجددا بأجورهم ، فرجاهم امهاله مجددا ففعلوا وأمهلوه من جديد .

١٠٢ ــ وجاءه في تلك الأثناء رجال حاشيته وأعوانه بما فيهم

مرزوفلوس ــ الذي كان قد أخرجه من السجن ، وقالوا له : يا مولانا لقد دفعت لهم حتى الآن مبالغ كبيرة من الأموال ، وآن الأوان للامساك ، فضخامة ما دفعته قد حملتك على رهن كل شيء ، ونرجو أن تأمرهم الآن بالرحيل والخروج من أرضك ، وأخذ ألكسيوس بهذه المشورة وبات غير راغب بدفع المزيد من المال الذي سبق ودفعه لهم ٠

وكان الفرنجة قد أعطوه مهلة نهائية للدفع ، وعندما رأوه لا يريد أن يدفع لهم المزيد من المال ، تداعى البارونات وكبار القادة للاجتماع والتداول ، وإثر هذا ذهبوا الى الامبراطور في قصره وطالبوه مجددا بدفع أجورهم ، فأجابهم بالرفض وبين أن ليس بامكانه أن يدفع لهم شيئا ، كما أنه ليس بنيته دفع المزيد ، فتهدده البارونات أنه اذا استمر في سياسته هذه بعدم الدفع ولم يقض دينه نحوهم فسيستولون على قسم من ممتلكاته مقابل الوفاء بأجورهم .

١٠٤ ــ وبعدما وجه البارونات هذا الانذار الى الامبراطور غادروا القصر وعادوا الى معسكرهم ، وإثر ذلك تدارسوا تفاصيل خطة رأوا اتخاذها ، لكنهم آثروا توجيه انذار أخير الى الامبراطور ، فأرسلوا له فارسين ليطالباه مجددا بدفع أجورهم ، فكان جواب الامبراطور أنه لن يدفع لهم شيئا أبدا ، وعليهم الرحيل فورا ومغادرة بلده بدون تقاعس ، واذا لم يفعلوا ذلك فسيرغمهم على فعله .

١٠٥ ــ وعاد الفارسان الرسولان الى المعسكر وأطلعا البارونات والقادة على جواب الامبراطور ، ومن جديد شرعوا بعد سماع هذا الجواب بالتداول حول الخطوة التالية ، وهنا انبعث دوج البندقية وأعلمهم أنه سيذهب للحديث معه ، وبناء عليه بعث الى الامبراطور رسالة وطلب منه الحضور الى قرب الميناء والتحدث اليه ، وجاء الامبراطور ممتطيا صهوة جواده ، وكان الدوج قد هيأ أربعة مراكب شحنها بالرجال ، ركب هو في واحد منها وكلف الثلاثة

بحراسته ثم تقدم نحو الساحل لمخاطبة ألكسيوس ، وقد ناداه وقال له : يا ألكسيوس ما الذي قصدته بكلامك ، هلا تذكرت كيف نشلناك من الشقاء المقيم ، وكيف جعلناك سيدا وحاكما ، وتوجناك امبراطورا ، فهلا تمسكت بوعودك ووفيت بعهودك وتابعت تنفيذ المتبقي عليك ؟

فأجابه الامبراطور ، ما فعلته فيه الكفاية ولن أفعل المزيد ولن أدفع شيئا .

فرد عليه الدوج : و تقول أنت هذا أيها الفتى الغرير التعس ، تقول لنا نحن الذين انتشلناك من هاوية التعاسة ، تأكد أننا سنردك اليها ثانية ، وانني متحديك ومنذرك بالوقت نفسه ، واعلم علم اليقين أنني سألحق بك من هذه الساعة فصاعدا كل ما بامكاني من الأذى .

١٠٦ ــ وبعدما فرغ الدوج من مخاطبته هكذا ، تركه وعاد الى حيث اجتمع مع البارونات وكبار قادة الجيش ورجالات البنادقة للتداول فيما بينهم والاتفاق حول ما سيقومون به ، وتبين للبنادقة أن برودة الطقس تحول بينهم وبين نصب سلالمهم وجسورهم ومجانيقهم فوق السفن ، فقد كان الموسم ما بين عيد جميع القديسين وعيد الميلاد .

وفيما هم في أزمتهم الخانقة هذه قام الامبراطور ورجاله الغدارون بحبك عمل خياني كبير ، حيث سحبوا عددا من المراكب الى المدينة أثناء الليل ، ثم شحنوها بالأخشاب الجافة تماما وصبوا عليها الزيوت ثم أنزلوها الى الماء وأوقدوا فيها النيران ، ومع منتصف الليل ــ وكانت هناك ريح عاصفة ــ سرح الأغريق السفن الملتهبة ودفعوها باتجاه الأسطول الفرنجي ، وبالفعل ساقت الريح هذه المراكب بشدة نحو هذا الأسطول .

ولاحظ البنادقة ما يجري بالوقت المناسب ، فبادروا فورا الى

تحريك سفنهم جميعا ، وابتعدوا بها فكان أن حققوا بـذلك نجـاحا باهرا ، ونجا الأسطول الفرنجي ، وبرحمة من الرب لم يصب بأدنى أذى .

١٠٧ ــ وعاود الأغريق عملهم هذا بعد اسبوعين ، ومجددا ما أن شاهدهم البنادقة حتى بادروا للدفاع عن أسـطولهم ، وحـالوا دون امتداد النيران اليه ، وبرحمة من الرب لم يصب البنادقـة بخسـارة تعتبر سوى أن النيران أصابت سفينة تجـارية كانت راسـية هناك فأحرقتها تماما .

١٠٨ ــ وتفشى في هذا الوقت الغلاء وانتشر في المعسكر حتى بات سعر زجاجة الخمر الواحدة اثنتي عشرة سوسية ، وبيعت البيضـة ببذسين والدجاجة بعشرين سوسية ، ومع هـذا لم يكن هناك شـح بالخبز ، بل توفر بما كفى حاجة الجيش لفترة من الزمن .

١٠٩ ــ وفي أثناء ذلك الشتاء قـام أهـل القسـطنطينية بتقـوية دفاعات المدينة وبذلوا كل امكاناتهم في هذا السـبيل ، فـزادوا مـن ارتفاع أسوارهم وأبراجهم عما كانت عليه ، وشيدوا أبـراجا مـن الخشب أقاموها فوق هذه الأبراج الحجرية ، وغطوها بألواح متينة وباللبد والجلود المدبوغة ، وبذلك لم يعودوا يخشون من سلالم سفن البنادقة ، فقد بات ارتفاع الأسوار ستين قدما ، وتجـاوز ارتفـاع الأبراج المائة ، ونشروا على الأسوار الفصـيلة داخـل البلد أربعين عرادة ومنجنيق ، وأقاموها في النقـاط التـي تـوقعوا أن تتعـرض للهجوم ، وليس مدهشا انجازهم لهذا كله فقد امتلكوا ما يكفي مـن الوقت للقيام به .

١١٠ ــ وفيما هذه الاجراءات والاستعدادات تجري بدون تلكؤ ، اجتمع مرزوفلوس ــ وهو الذي كان الامبـراطور قـد حـرره مـن السجن ــ بجماعات الأغريق الذين كانوا يبغضـون الامبـراطور ، وراحوا يحيكون مؤامرة للاطاحة به والتخلص منه وإقامة امبراطور

جديد مكانه يخلصهم من الفرنجة الذين جاء بهم ، ورأى هؤلاء أن الامبراطور الكسيوس هو سبب البلاء وأنه ليس بقادر على دفعه ، وقال لهم مرزوفلوس : لو عهدتم بالامر الي ونصبتموني امبراطورا فلسوف أخلصكم من الفرنجة ومن هذا الامبراطور وأنهى معاناتكم ، فأجابوه بأنهم سوف يتوجوه امبراطورا بعدما يخلصهم من الفرنجة والامبراطور ، وبناء عليه تعهد لهم مرزوفلوس أنه سوف يخرج بهم من هذه الضائقة خلال اسبوع واحد ، وبناء عليه تعهدوا بتتويجه امبراطورا .

١١١ـ ولم يضع مرزوفلوس الوقت ، بل قاد مجموعة من الجند ، واقتحم بهم ليلا جناح الامبراطور ، مولاه الامبراطور الذي حرره من السجن ، فاعتقله وأمر بوضع حبل حول عنقه وعنق ابيه اسحق وشنقهما معا ، وبعدما مافرغ من عمله هذا ذهب الى شركائه بالمؤامرة فأخبرهم بما أنجز ، فقاموا معه وتوجوه امبراطورا عليهم .

١١٢ـ وماأن توج مرزوفلوس امبراطورا حتى دوت صرخة عالية في المدينة :« انظروا ماذا حدث ، اغتال مرزوفلوس مولاه ، وتوج نفسه امبراطورا » ثم ربط أحدهم رساله الى نشابه ورماها بقوسه الى داخل معسكر الحجاج فيها خبر مافعله مرزوفلوس ، وعندما وقف البارونات على الخبر وتيقنوا من صحته قال بعضهم : لتحل لعنة الرب على الذي يبالي بما حدث لألكسيوس أو يهتم به حيا أو ميتا ، وطبعا قالوا هذا لأن الكسيوس لم يف بعهده للحجاج ، هذا وقال بعضهم الآخر : ان مسؤولية ماحدث لألكسيوس تقع على عاتقهم .

١١٣ـ ومالبث مرزوفلوس أن بعث برسالة الى كونت فلاندرز وكونت لويس والى الماركيز وبقية البارونات وكبار القادة ، أمرهم فيها بالرحيل فورا ومغادرة أرض بلاده ، وأعلمهم أنه قد بات هو الامبراطور ، وأنذرهم بأنه سوف يفتك بهم ويقتلهم جميعا إن لم

يرحلوا خلال اسبوع من يومهم ذاك ، وعندما وقف البارونات على رسالة مرزوفلوس هذه دهشوا وقالوا : عجبا كيف يتجرأ هذا الذي غدر بمولاه وقتله خيانة تحت جنح الظلام أن يرسل الينا مثل هذه الرسالة ؟! فما كان منهم الا أن كتبوا اليه رسالة أنبوه فيها وأعلموه أنهم يتحدونه ، وتهددوه أنهم لن يرحلوا ، وسيشددون الحصار على المدينة ، وسيثأرون لاغتيال ألكسيوس ممن غدر به ، وأنهم سيستولون على القسطنطينية مجددا وعندها سيحصلون على أجورهم كاملة غير ناقصة حسب الاتفاق مع الكسيوس .

١١٤- وبعدما قرأ مرزوفلوس هذه الرسالة ، وجه أوامره الى أهل المدينة بضرورة زيادة تحصينات الأسوار والأبراج قوة بتجهيزها بالمجانيق والعرادات حتى يمكن صد هجوم الفرنجة اذا قام ، فنفذوا مأمرهم به ، وبذلك غدت الأسوار والأبراج أقوى مما كانت عليه من قبل وأشد منعة .

١١٥- وفي تلك الآونة التي تسلم فيها مرزوفلوس عرش الامبراطورية ، ازداد ضيق حال الفرنجة ، وكما ذكرت من قبل تعاظم شح المواد ، ومع هذا كانوا يعدون سفنهم ومعداتهم وأنفسهم للهجوم ، وفيما هم كذلك وصلتهم رسالة من يوحنا صاحب والاشيا ، طلب فيها من البارونات تتويجه ملكا على والاشيا ، ووعدهم أنهم اذا فعلوا ذلك سيضع مملكته وأراضيه تحت تصرفهم ، وأنه سيأتي لنجدتهم والوقوف الى جانبهم على رأس مائة ألف جندي ، وسيعمل معهم في سبيل الاستيلاء على القسطنطينية .

١١٦- وكانت والاشيا من الأراضي التابعة للامبراطور ، وكان يوحنا بالأصل جنديا من جنود الامبراطور ثم تولى رعاية واحد من مراعي الخيول الامبراطورية ، بحيث كان اذا طلب منه الامبراطور ستين فرسا أو مائة بعث بها اليه ، واعتاد على أن يزور البلاط كل سنة مرة وذلك حتى ساءت علاقته به ، ونجم ذلك عن اهانة كبيرة تلقاها في القصر ، فقد حدث في أيام زيارته الأخيرة أن اقترف أحد

خصيان الامبراطور بحقه جرما كبيرا حين ضربة بالسوط على وجهه ، ولهذا غضب يوحنا غضبا شديدا ، وشعر بالمرارة لذلك ترك القصر وتخلى عن خدمة الامبراطور ، غضبا لنفسه للاهانة التي لحقته ، وعاد الى والاشيا وهي بلاد حصينة تحيط بها الجبال من كل جانب الى حد أنه لايستطيع أحد الدخول اليها أو الخروج منها الا عبر ممر ضيق .

١١٧ـ وعندما حل يوحنا في بلاد والاشيا سعى الى ضم كبار رجالاتها اليه ، وسلك مسلك الزعيم القوي فكان يتألف الناس ويمنحهم الأعطيات ، لذلك سرعان مادانت له تلك البلاد وخضع له سكانها واعترفوا به سيدا عليهم ، فلما تحقق له ذلك ذهب الى جماعات الكومان وسواهم فتحالف معهم فانضموا الى صفوفه ودانوا له بالطاعة .

١١٨ـ وتقع بلاد الكومان على حدود والاشيا وسأحدثك عن هؤلاء الكومان وأروي لك أخبارهم :

الكومان شعب بدائي الحياة لايعرف الزراعة والفلاحة والحصاد ، ولايقطن أفراده في البيوت أو الأكواخ بل في خيم من اللباد ، وعماد غذائهم اللبن والجبن واللحوم ، ويكثر الذباب والبعوض في معسكراتهم أثناء الصيف كثرة ترغمهم على ملازمة خيمهم فلا يخرجون منها قبل حلول موسم البرد والشتاء ، وفي ذلك الموسم يخرجون من بلادهم للقيام بأعمال الغارة على سواهم .

١١٩ـ وأنا مخبرك الآن عن أعمالهم :

وامتلك كل واحد من الكومان عددا من الخيول تصل الى عشرة رؤوس أو اثني عشر رأسا ، وهم يحسنون تدريبها ، ويأخذونها معهم في حلهم وترحالهم وفي أوقات غزواتهم ، وأثناء السفر لايتوقفون عن الركض ليلا ونهارا ، ويسرعون حتى أنهم يقطعون في

يوم واحد وليلة واحدة مايعادل مسيرة ستة أيام وأحيانا مسافة سبعة أيام أو حتى ثمانية ، ولايحملون شيئا مما يستولون عليه أثناء زحفهم ، غير أنهم يقومون في مرحلة الاياب بحمل الغنائم وأخذ الأسرى وكل مايجدونه أو يستولون عليه ، ولايحملون السيوف أو الأسلحة الأخرى بل يحملون القسي والنشاب والبستهم من جلود الأغنام ، وهم لايعبدون ربا ، بل يكتفون بتقديس أول حيوان يراه أحدهم في الصباح أو يصدفه ، فيعكف على تقديسة طوال يومه أيا كان نوع هذا الحيوان .

١٢٠ـ هؤلاء هم الكومان الذين تحالف معهم يوحنا الوالاشي ، واعتاد أن يغير بهم كل سنة على أراضي الامبراطور ، وكان يتوغل في بعض الأحيان حتى أطراف القسطنطينية ، هذا ولم يمتلك الامبراطور القوة الكافية للتصدي له وكف أذاه .

١٢١ـ وبعدما استمع البارونات الى عرض يوحنا الوالاشي قالوا لرسله بأنهم سيدرسون طلبة وسيفكرون به ، وبعدما استعرضوه وتدارسوه اتخذوا قرارا خاطئا ، حيث بعثوا اليه انهم لايكترثون به ولاتهمهم مساعدته مطلقا ، وقد سددوا ثمن هذا الخطأ غاليا ، فانتكبوا نكبة مفجعة وعانوا من مأساة مريعة ، وقام يوحنا ـ وقد أخفق في التعاون معهم ـ فراسل روما من أجل التتويج فبعث اليه البابا بواحد من الكرادلة توجه ملكا على والاشيا .

١٢٢ـ وسأحدثك الآن عن المحنة الشديدةالتي تعرض لها مولاي الكونت هنري ـ أخي كونت فلاندرز ـ ففي غمرة تلك الأحداث ، وفيما الفرنجة يشددون الحصار على القسطنطينية ، وجد الكونت هنري أنه وأتباعه باتوا يعانون من الفقر الشديد وأنهم بحاجة ماسة الى المؤن وعدد كبير من الحاجيات ، وقد عرفوا بوجود مدينة اسمها فيليا ، تقع على مقدار عشرة فراسخ من المعسكر ، وكانت مدينة ذات ثراء عظيم وخصب كبير ، وخطط الكونت هنري للاغارة

عليها ، فأعد الاته ، وخرج بالليل متسللا من المعسكر ومعه ثـلاثين فارسا مع عدد كبير من الخيالة ، ولم يعلم أحد من أهـل المعسـكر بخبر خروجهم.

١٢٣ ـ ولما جاء الى هذه المدينة نجـح في مهمتـه وأمضى فيهـا يوما ، ثم بادر للعودة ، وكان بعض الناس قد رآه وهـو في طـريقه اليها ، فرفع خبره الى مرزوفلوس ، وما كاد هذا يسمع بهذا الخبر حتى جمع قوة من حوالي ألف رجل مسلح من الخيالة ، وحمل معـه ايقونة ثمينة جدا عليها صورة « سيدتنا » ـ والاغريق يدعونها بهذا الاسم أيضا ـ وقد اعتـاد الأبـاطرة على حملهـا أثناء خـروجهم للقتال ، وكانوا يؤمنون بقدرات هـذه الايقـونة ايمـانا عظيمـا ويعتقدون بكل يقين أن حـاملها لا يمـكن أن يهـزم في القتـال أبدا ، ونحن أيضا نؤمـن بـذلك ، ولكن لأن مـرزوفلوس لم يكن له الحق في حملها فقد هزم وخسرها.

وكان الفـرنجة قـد عجلوا بـارسال الغنائم أمـامهم الى المعسكر ، وساروا خلفها ، هذا من جانب ومن جانب آخـر نصـب مرزوفلوس لهم كمينا على طريق عودتهـم ، ووضـعه على مسـافة فرسخ من رجالنا حيث أخفى رجاله وخبأهم فلم يعرف عنهم رجالنا شيئا ، وعندما كانوا عائدين لا يدرون ما هو مبيت لهم خرج عليهـم الكمين وأخذ الاغريق يصرخـون عليهـم لدى مشـاهدتهم لهـم ، وفوجيء رجالنا ونظروا حولهم فرأوا قوة الاغريق ففزعوا فزعا شديدا ، وأخـذوا يدعون للرب ولسـيدتنا بحـرارة ، وتـولتهم الحيرة ، وأدهشهم الخوف فما عادوا يدرون مـا يفعلون ، وأخيرا قال بعضهم لبعض: نحن إن فررنا لا شك هالكون ، وطالما أنه ما من الموت بد ، تعالوا نقاتل فنموت بشرف فهذا أجدر بنا وأفضـل مـن الفرار.

وهكذا توقفوا ورتبوا صفوفهم بسرعة،فأوقفوا ثمانيةمن الرمـاة الذين كانوا معهم بالصف الأماميوفي الوقت نفسه زحـف الامبـراطور

مرزوفلوس ومعـــه جمـــاعته مـــن الاغريق نحـــوهم وانقض عليهم ، وعندما التحم أخفقوا في الحاق الضرر بهم ولم يتمكنوا مـن ترجيل واحد من الفرنجة ، وعندما التحم الاغريق بهم تخلى الفرنجة عن رماحهم واستلوا سيوفهم وحملوا فؤوسهم وقـاتلوا دفـاعا عن أنفسهم فقتلوا عددا كبيرا منهم .

١٢٥ ـ ولما رأى الاغريق أنهم لم يحققوا شيئا ، بل رجحت كفة الفرنجة عليهـم ، اسـتولى عليهـم الرعب فنكصـوا ولاذوا بالفرار ، وطاردهم رجـالنا فقتلوا عددا كبيرا منهـم وأسروا فـئة معتبرة ، وحصلوا على مغانم واسعة ، وظلوا يطاردون الامبراطور مسافة نصف فـرسخ وقـدروا أن يتمـكنوا مـن أسره ، ولما كان مرزوفلوس وأصحابه قد تعجلوا بفـرارهم فقـد وقعـت الايقـونة منهم ، كما ووقعت خوذة الامبراطور وسقط صـولجانه وأيقـونته الشخصية وكانت من الذهب الخالص مرصعة بالجواهر ، لذلك بدت جميلة جدا وثمينة لم تر العين قط مايساويها ٠

١٢٦ ـ وعندما رأى الفرنجة كل هذا الذي حـدث ، تـوقفوا عن متابعة المطاردة ، وامتـلأت قلوبهـم بـالفرحة ، وحملوا الايقـونة وقدموا بها ونفوسهم كلها بهجة وسرور ، وفيما القتـال كان دائرا وصل خبر الى المعسكر أن بعض الفرنجة قد اشتبكوا مـع الاغريق بالمعركة ، فهب رجال المعسكر الى نجدتهم ، فقد حملوا أسـلحتهم وبادروا مسرعين للوصول الى الكونت هنري ومساعدته ، غير أنهم عندما وصلوا الى هناك وجدوا الاغريق قد لاذوا بالفرار ، ورجـالنا الفرنجة عائدون يحملون الغنائم بما في ذلك الايقونة الثمينة والجميلة كما ذكرت.

١٢٧ ـ وعندما دنا موكبهم من المعسكر خرج من به من الاساقفة ورجـال الاكليروس في مـوكب مهيب لاسـتقبالهم والتـرحيب بهم ، واستقبلوا الايقونة بسرور ظاهر ، وبهجة عارمة ، وعهد بها الى أسقف تروي ، حيث كانت هناك كنيسـة قـد رممـوها وأدى ،

الأسقف القداس وهلل المصلون للأيقونة تهليلا عظيما ، وقرر البارونات إثر الاستيلاء على الأيقونة تقديمها الى سيتو،وإليها حملت فيما بعد .

١٢٨ ـ وبعدما عاد مرزوفلوس الى القسطنطينية حاول خداع أهلها أنه قد انتصر وألحق هزيمة كبيرة بالكونت هنري ورجاله ، وبادر بعض الاغريق الى سؤاله : وأين الأيقونة والصولجان ؟ فأجابهم آخرون : كل شيء أفرد عن سواه ليخزن في مكان أمين ، ويحافظ عليه ، وسرى الخبر بين الناس حتى أنه وصل الى الفرنجة : أن مرزوفلوس قد خدع قومه وأوهمهم أنه انتصر على الفرنجة ، فما كان من الفرنجة إلا أن أعدوا مركبا شحنوه بالرجال ، وحملوا الأيقونة ورفعوها عاليا على ظهر المركب ، ورفعوا الى جوارها الصولجان الامبراطوري ، وجدفوا بهذا المركب جيئة وذهابا عارضين ما فيه أمام الأسوار ، فرأى ذلك من وقف فوق الأسوار وعدد كبير من أهل المدينة حيث أيقنوا أن ما رأوه لم يتعد الصولجان الامبراطوري والأيقونة .

١٢٩ ـ وعندما رأى الاغريق هذا العرض قصدوا مرزوفلوس ، وشرعوا بالنيل منه والاستهزاء به لخداعه وكذبه أنه هزم الفرنجة مع أنه فقد الأيقونة والصولجان الامبراطوري ، وبعدما سمع الامبراطور منهم التقريع حاول أن يلتمس لنفسه المعاذير وقال لهم : لا تحزنوا ولا تيأسوا فلسوف أجعلهم يدفعون الثمن غاليا ، وسأنتقم منهم لذاتي .

١٣٠ ـ ثم عقد بارونات الفرنجة مع البنادقة اجتماعا تداولوا فيه بشأن مصير العرش الامبراطوري بعد الاستيلاء على المدينة ، وبعد مشاورات مطولة توصلوا أخيرا الى الاتفاق على اختيار عشرة من خيرة رجالات جيش الفرنجة وعشرة من أفضل البنادقة ، وأن يعهد لهؤلاء الرجال العشرين بمسألة اختيار الامبراطور المقبل ، وقرروا أن يلتزم الجميع بالقرار الذي سيتخذ

بهذا الصدد ، كما وقرروا بالاجماع أنه إذا جرى اختيار الامبراطور من بين الفرنجة فسيكون البطريرك من البنادقة ، واتفقوا أيضا أن تكون حصة الامبراطور المقبل ربع المدينة ، على أن يتم تقسيم الثلاثة أرباع المتبقية مناصفة بين البنادقة والحجاج ، وأن يعتبر كل شيء بمثابة اقطاع من الامبراطور .

١٣١ ــ وبعدما أبرموا هذه الاتفاقات ، حشدوا جميع أفراد الجيش وجعلوهم يقسمون على الآثار المقدسة وأن يتعهدوا بحمل كل ما سيقع في أيديهم من الأسلاب والمغانم الى المعسكر وذلك من الفضة والذهب والأقمشة وكل ما زاد ثمنه عن خمس سوسيات ، ولم يستثنوا من ذلك سوى الأدوات والأطعمة ، كما وتعهدوا بعدم استعمال العنف أو القسوة مع أية امرأة والا تجرد من ثيابها ، ومن أمسك وهو يفعل ذلك سيكون عقابه القتل ، كما وجعلوهم يتعهدون أيضا بعدم اقتحام أي دير أو كنيسةأو التعرض لأي من رجال الاكليروس بسوء إلا إذا كان ذلك دفاعا عن النفس.

١٣٢ ــ وعندما أنجزوا هذا كله كان عيد الميلاد قد انقضى واقترب موعد الصيام الكبير ، وخلال ذلك كله كان الفرنجة والبنادقة قد أعدوا أنفسهم من جديد وجهزوا أنفسهم ، ومد البنادقة الجسور ثانية على سفنهم ، وصنع الفرنجة بعض الأكباش والآلات المختلفة لدك الأسوار.

١٣٣ ــ وانتزع البنادقة أخشاب البيوت ، وصنعوا منها سواتر لسفنهم فقد ربطوا الالواح الخشبية وضموها الى بعضها ثم غطوها بفروع الكرمة حتى لا تتأثر أو تتحطم بحجارة العرادات والمجانيق .

١٣٤ ــ وقام الاغريق من جانبهم في الداخل بزيادة تحصين مدينتهم أفضل تحصين ، وجللوا الأبراج الخشبية التي أقاموها على قمة الأبراج الحجرية ، باللبد والجلود المدبوغة ، وقد تكون كل برج خشبي مما لا يقل عن خمسة طوابق وأحيانا ستة أو سبعة .

١٣٥ ــ وفي واحد من أيام الجمعة ، قبل أحد السعف بقرابة العشرة أيام ، أعد البنادقة والفرنجة سفن الأسطول وحملوها بالمعدات ، وصفوها إلى جانب بعضها وتأهبوا للهجوم العام ، وامتد صف السفن أمام المدينة مقدار فرسخ ، وحمل البنادقة والفرنجة أسلحتهم على خير مايرام .

١٣٦ ــ وكان في داخل المدينة مواجهة حيث قرر الفرنجة الهجوم على المدينة ، رابية ، وكان متيسرا رؤية هذه الرابية من السفن لأنها كانت أعلى من الأسوار ، وعسكر الأمبراطور مرزوفلوس الخائن مع رجاله فوق هذه الرابية وعليها نصب خيمته الأرجوانية ، وأحدث زعيق أبواقه وضرب طبوله أصواتا عالية وضجة شديدة ، وكان من غير الصعب بالنسبة للحجاج رؤية الأمبراطور مثلما تيسر له رؤية سفن الأسطول .

وعندما اقتربت السفن من الأسوار وأوشكت على القاء مراسيها ، أخذ الحجاج والبنادقة حبالا غليظة وقوية فسحبوا بها سفنهم إلى أقرب ما يمكن من الأسوار ونصب الفرنجة أكباشهم والاتهم المختلفة لدك الأسوار ، وصعد البنادقة فوق جسور سفنهم وهاجموا الأسوار بكل شجاعة ، وكذلك هاجمها الفرنجة بآلاتهم .

١٣٧ ــ وعندما رأى الأغريق الفرنجة يهاجمونهم بهذه الشدة اخذوا يدحرجون كتلا ضخمة من الحجارة ــ أكبر مما يتصوره المرء ــ على آلات الفرنجة فأمكنهم بذلك تحطيمها وتدميرها جميعا وبذلك لم يتجرأ أحد على البقاء داخلها أو تحتها .

١٣٨ ــ ولم يستطع البنادقة من جانبهم أن يصلوا إلى الأسوار ــ أو إلى الأبراج لارتفاعها الشاهق ، وعلى هذا لم يتمكنوا لاهم ولا الفرنجة من إنجاز شيء ضد الأسوار أو داخل المدينة ، وعندما أيقنوا أنهم لن يستطيعوا تحقيق غاياتهم قرروا الانسحاب وقلوبهم قد امتلأت غما ، ولما رآهم الأغريق ينسحبون

ارتفعت أصواتهم بالصراخ والصفير عليهم ، وتسلقوا الأسوار ودلوا سراويلهم وولوهم ظهورهم ·

وعندما رأى مرزوفلوس عملية الانسحاب أخذ يقرع طبوله ويزعق بأبواقه مما أحدث جلبة عظيمة ، وبعث بطلب علية قومه وخاطبهم قائلا : انظروا أيها السادة أولست أمبراطورا صالحا ؟ لاشك أنكم لم تعرفوا مثلي أمبراطو را صالحا ، أولم أنجح بعملي ؟ إننا ماعدنا نخشاهم ولسوف أفتك بهم جميعا وأمرغ سمعتهم بالوحل .

وعندما انتهى هذا إلى الحجاج بلغ بهم الغضب غايته والأسى منتهاه ، وارتدوا إلى معسكرهم في الجانب الآخر من الميناء .

وبعدما عاد البارونات ، ونزلوا من السفن تداعوا إلى اجتماع عام ، وهم يشعرون بالاضطراب العظيم ، وأقروا أن مااقترفوه من آثام كان السبب في عدم انتصارهم على المدينة ، ثم تداول الأساقفة ورجال الأكليروس حول ماكان فأجمعت آراؤهم على أن المعركة كانت معركة عادلة ، وأنهم كانوا على حق في مهاجمة المدينة ، لأن أهلها كانوا فيما مضى يتبعون عقيدة كنيسة روما أما الآن فهم هراطقة يستخفون بهذه الكنيسة ولايقيمون أدنى اعتبار لعقيدتها ، ويرون أن جميع أتباعها والمؤمنين بها في منزلة الكلاب ، وبناء عليه قال الأساقفة : إن الفرنجة على حق في حربهم للأغريق وأن الهجوم على القسطنطينية لم يكن إثما بل عملا مشروعا .

١٤٠ ـ ثم أعلن في كافة أطراف المعسكر بوجوب مشاركة الجميع بما فيهم البنادقة بصلاة قداس صباح الأحد ، ونفذ الأمر وشرع الأساقفة بأعمال الوعظ في المعسكر ، وتولى الوعظ أسقف سواسون ، وأسقف تروي ، وأسقف هلبر شتات ، والسيد جون فيسيت ، وراعي دير لوس ، وأوضحوا جميعا للحجاج أن معركتهم معركة محقة وقتالهم لالبس حول شرعيته ، لأن الأغريق خونة سفكوا ظلما وغدرا دم إمبراطورهم وسيدهم الشرعي ، وأنهم أسوأ

من اليهود ، وأنهم حين سيهاجمونهم سيهاجمونهم باسم الرب وبتفويض من البابا صاحب الكرسي الرسولي .

١٤١ ـ ثم طلب الأساقفة من الحجاج جميعا القيام بالاعتراف وتناول القربان ، وطلبوا منهم ألا يكونوا خائفين لقتالهم الاغريق لأنهم أعداء الرب ، وصدرت أيضا الأوامر بالبحث عن جميع النساء الخواطي في المعسكر وإخراجهن منه ونفيهن بعيدا ، ولهذا وضعوهن جميعا على ظهر إحدى السفن وأرسلوا بهن بعيدا عن المعسكر .

١٤٢ ـ وبعدما فرغ الأساقفة من وعظ الحجاج وايضاح أن حربهم هذه المرة ضد الاغريق حرب مشروعة ، باشر الجميع بالاعتراف وتناول القربان .

١٤٣ ـ ومع حلول صباح يوم الاثنين تهيأ الحجاج جميعا ، وحملوا أسلحتهم ، ومثلهم فعل البنادقة ، ثم شرعوا في ترميم الجسور على السفن ، وأعدوا مراكب الحمولة والشواني وصفوها إلى جانب بعضها استعدادا للهجوم ، وامتد الأسطول وغطى جبهة طولها قرابة الفرسخ ، وزحفوا نحو الشاطيء ، وعندما اقتربوا من الأسوار غاية الاقتراب ألقوا مراسيهم ، ثم بدأ هجومهم العنيف فأطلقوا الرمايات وقذفوا الأحجار ، وألقوا بالنار الأغريقية والمواد المشتعلة على الأبراج وأعالي الأسوار ، غير أنها لم تلتصق بها ، بل تدحرجت وذلك بفضل الجلود المدبوغة التي غطت الأسوار والأبراج .

١٤٤ ـ ودافع الذين كانوا بالمدينة عن أنفسهم بكل بسالة ، وكانوا يمتلكون ستين عرادة ومنجنيق لرمي القذائف ، وكانوا يصيبون في كل ضربة إحدى السفن ، لكن بما أنها كانت مغطاة بالألواح التي فوقها قضبان عرائش الكرمة ، لم تتأثر السفن بالرمايات مع أن الأحجار التي قذف بها الأغريق كانت ضخمة جدا بحيث لايستطيع انسان بمفرده رفع إحداها عن الأرض .

١٤٥ ـ وكان مرزوفلوس واقفا على الرابية تزعق أبواقه

وتقرع طبوله بأصوات مدوية ، وكان يشجع رجاله قائلا : بـادروا من هنا ، توجهوا إلى هناك ، فقـد كان يوجههـم إلى حيث وجـد الحاجة ماسة لوقوفهم .

١٤٦ ــ ولم تتمكن سوى أربع سـفن أو خمسـة مـن بين جميع سفن الأسطول من الوصول إلى الأبراج الشاهقة ، وكانت الأبـراج الخشبية التي نصبت على ظهر الأبراج الحجرية ، والتي تألف كل منها من خمسة طوابق أو سـتة أو سـبعة ، مشـحونة بـأجمعها بالمقاتلين للدفاع عنها ، وثابر هؤلاء المقاتلون على التصدي للهجـوم حتى سهل الرب وقوع معجزة ، فقد حمل البحر المضـطرب سـفينة أسقف سواسون . فارتطمت بواحد من هـذه الأبـراج ، وكان على جسر هذه السفينة أحد البنادقة مع اثنين من الفرسان المسـلحين ، وعندما ارتطمت بالبرج ، تعلق البندقي بيديه وثبت قدميه ثـم تمـكن بعد جهد شاق من الدخول إلى البرج ، وهناك تلقفـه جنود الطـابق الذي دخل إليه ، وكانوا من الانكليز والدانيين والأغريق ، واندفعوا نحوه فمزقوه بسيوفهم وبلطهم .

١٤٧ ــ ومرة ثانية حملت الأمواج المضطربة السفينة نفسها نحو الأمام فارتطمت مجددا بهذا البرج نفسه ، واستطاع أحد الفارسين واسمه أندرو دوربواز أن يتعلق بأعلى البرج بيديه وقدميه ودخل إليه وهو يزحـف على ركبتيه ، ومـا أن دخـل إليه حتـى انقض عليه المدافعون بسيوفهم وبلطهم وضربوه بـكل عنف ، لكن رحمة الرب تداركته ولم تمكنهم مـن قتله بفضل الدرع الذي كان يرتـديه ، ولم يشأ الرب أن تطول محنة هـذا الفـارس أو أ ن يمـوت ، بـل أراد سقوط هذه المدينة بأيدينا ، وأن يضرب الذلة على أهليها جزاء على غدرهم وعدم وفائهم ، وللاغتيال الذي اقترفه مرزوفلوس ، وهـكذا أتيح لهذا الفارس الانتصاب واقفا حيث شهر سيفه ، وعندمـا رأوا هذا المنظر المخيف تملكتهم الدهشة واسـتبد بهـم الرعب الشـديد فلاذوا بالفرار نحو الطابق الذي يليهم ، وحين شاهد الذين كانوا في هذا الطابق فرار أصحاب الطابق العلوي خافوا أيضا وفروا بدورهم

واندفع الفارس في أعقابهم ، وفي الوقت نفسه تمكن آخرون من اقتحام هذا الطابق ثم تناولوا حبالا قوية ، وشدوا بها السفينة فألصقوها بالبرج ثم شدوها إليه ، وهنا اقتحم البرج عدد كبير من الناس ٠

١٤٨ ـ وحرك الموج هذه السفينة بعنف وأراد ابعادها عن البرج من جديد ، لكن لأنها كانت مشدودة الى البرج فقد اهتز هذا البرج بكل عنف ، حتى خيل للناس أن السفينة ستسحبه وتلقيه أرضا ، لذلك أرغم رجال السفينة على فك الحبال التي تربط السفينة بالبرج .

١٤٩ ـ وعندما عرف الجنود الذين كانوا في الطوابق الدنيا أن الفرنجة قد استولوا على أعلى البرج أصيبوا بالهلع وخارت عزائمهم ، فلم يحتملوا البقاء في البرج وتخلوا عنه ، وكان مرزوفلوس يرقب عن كثب ما يجري ، ولم يتوقف عن تشجيع رجاله وحضهم على القتال ، وارسالهم نحو هذا المكان الذي وقع عليه الهجوم الكبير

١٥٠ ـ وفيما أحداث الاستيلاء على هذا البرج جارية كما وصفنا بصورة اعجازية ، ارتطمت سفينة بييردي براشو ببرج آخر ، وتمكن الواقفون على جسرها من الانقضاض على البرج والاستيلاء عليه بمعجزة ربانية أخرى .

وماأن تم لنا الاستيلاء على هذين البرجين حتى شحناهما برجالنا ، ولم يتجرأ هؤلاء على مغادرتهما ، وظلوا في داخلهما ، بعدما شاهدوا حشود الناس الكثيفة على الأسوار على مقربة منهم ، فقد خافوهم ، وخافوا من الذين كانوا في الأبراج الأخرى الموجودة عند طرف الأسوار ، فقد كانوا من الكثرة بمكان يبعث على الدهشة

١٥١ ـ وعندما رأى اللورد بيتر الدمياني عدم مبارحة الذين كانوا

بالابراج لها لكثافة حشود الأغريق ، نزل الى اليابسة وسار عليها هو ومن معه ، فبلغا ممرا ضيقا قام بين البحر والأسوار ، وعندما وقفوا هناك تفحصوا السور ، فرأوا علامات باب سرداب سري ، كان قد نزع ثم أغلق ثانية ، وتقدم نحوه اللورد بيتر الدمياني ومعه عشرة فرسان وستين من الرجالة .

١٥٢ وكان هناك راهب اسمه الليوم دي كلا ري ، وكان مقداما له فعاليته في الملمات ، فهو الأول وعلى رأس كل هجوم يكون حاضره ، وقد قام هذا الراهب بأعمال باهرة أثناء الاستيلاء على برج غلاطية ، لأنه امتلك طاقة جثمانية تفوق بها على غيره ممن كان بالجيش ، اللهم باستثناء اللورد بطرس دي براشو ، فهذا كان متفوقا على الجميع كبيرهم وصغيرهم ، بحيث لم يباريه انسان في استخدام السلاح أو امكاناته الجسدية .

ولدى وصولهم الى باب هذا السرداب هاجموه بكل شجاعة واستخدموا المعاول لفتحه ، وكانت رشقات النشاب تتطاير حولهم ونحوهم وذلك مع قذائف كبيرة من الحجارة ألقيت عليهم من فوق الأسوار ، حتى كادوا يدفنون هناك لكثرة ماألقي عليهم ° .

١٥٣ ــ وكان جنودنا يحملون الترسة ويلبسون الدروع ، وبالترسة غطوا الذين كانوا يعملون على فتح السرداب ، ولم يكتف الأغريق بقذفهم بالحجارة الضخمة بل رموهم بالآنية المملوءة بالقار المغلي والنار الاغريقية ، ولهذا كان عدم هلاكهم معجزة من معجزات الرب ، وتحمل مولاي بيتر الدمياني ورجاله المشاق الهائلة والمصاعب الجمة حتى تمكنوا من فتح السرداب بالفؤوس والسيوف القوية ، كما واستخدموا في ذلك الكتل الخشبية والأعمدة والمطارق ، حتى نجحوا أخيرا في احداث ثغرة كبيرة ، لكن عندما جاءوا ليدخلوا من السرداب نظروا فرأوا من الجانب الآخر عددا هائلا من كبار القوم وصغارهم في انتظارهم ، حتى خيل أليهم أن نصف العالم قد اجتمع هناك ، لذلك لم يقدموا على دخوله .

١٥٤ ــ وعندما رأى الراهب الليوم عدم اقدام أحد على الدخول ، تقدم هو وقال بأنه سيدخله ، وكان هناك آنذاك فارس آخر هو أخوه واسمه روبرت دي كلاري ، فنهاه ولم يشجعه على الدخول ، فأصر الراهب على موقفه بالدخول ، ثم دخل الى السرداب وزحف على يديه وركبتيه ، وعندما شاهده أخوه تعلق به وحاول جره من قدميه وجذبه اليه جذبا شديدا ، فلم يفلح ، ودخل الراهب على الرغم من تعلق أخيه به ، وعندما صار بداخله اندفع نحوه عدد كبير من الأغريق ، وتابع الذين على الأسوار قذفه بالحجارة الضخمة ، ومع هذا شهر سيفه وانقض على الأغريق وحمل عليهم بشدة ففروا من أمامه وتبعثروا تبعثر الشياه ، فنادى على الذين ظلوا بالخارج ، أي اللورد بيتر وجماعته قائلا : « أيها السادة ادخلوا واحملوا بشدة ، فانني أراهم ينسحبون بيأس ، وها هم قد شرعوا بالفرار » .

وما أن سمع مولاي بيير وأصحابه الذين وقفوا معه بالخارج كلامه هذا حتى بادروا الى الدخول ، ومع أن عددهم لم يتجاوز العشرة فرسان مع ستين من الرجالة ، فقد اشتد خوف الأغريق الذين كانوا فوق الأسوار ، والذين كانوا في تلك المنطقة ، وما أن رأوهم داخل السرداب حتى تخلوا عن جزء كبير من الأسوار وهربوا ، وكان الامبراطور مرزوفلوس الخائن واقفا على مقربة منهم ، لا يبعد عنهم أكثر من غلوة سهم ، وهو يأمر بقرع طبوله والنفخ بأبواقه الفضية ، محدثا بذلك جلبة عالية .

١٥٥ ــ وما أن أبصر الامبراطور مولاي بيتر ورجاله في داخل المدينة حتى ساق ضدهم وانقض عليهم بكل سرعة وشدة ، وهنا أخذ مولاي بيتر يشجع رجاله على الصمود قائلا : « عليكم الآن أيها السادة ، أن تظهروا شجاعتكم في قتالهم ، وها هو الامبراطور مقبل نحوكم ، فلنلتحم معهم ولنقاتلهم بكل شدة وحذار أن يتزحزح أيا منكم عن مكانه ، فالواجب هو اثبات شجاعتكم وقدراتكم .

١٥٦ ـ وحين ساق مزروفلوس ضد رجالنا ظن أنهم سيفرون ، لكنه عندما رآهم ثابتون ، لوى رأس حصانه وارتد عائدا نحو خيمه ، وهنا عندما رأى مولاي بيتر الامبراطور قد نكص على عقبيه ، انفذ مجموعة من رجاله الى باب كان على مقربة منهم ليحطموا أغلاقه ويفتحوه ، وبالفعل ضربوه بالفؤوس والسيوف حتى حطموا مزاليجه وقضبانه المعدنية الضخمة ، وفتحوه ، وعندما شاهد من كان بالخارج هذا الأمر احضروا مراكبهم وصعدوا اليها مع خيولهم ثم نزلوا من عليها واقتحموا المدينة من هذا الباب باندفاع هائل .

١٥٧ ـ وحين بات الفرنجة في داخل المدينة وهم على صهوات خيولهم ، سيطر الرعب على الامبراطور الخائن مزروفلوس ، فتخلى عن معسكره وخلفه وراءه ، وترك به أمواله وعاد الى قلب المدينة التي كانت كبيرة جدا متسعة طولا وعرضا ، حيث يقال إن طول أسوارها الملتفة حولها تسعة فراسخ كاملة ، كما أن طول المدينة من الداخل فرسخين ومثل ذلك عرضها ، وبعدما هرب الامبراطور استولى مولاي اللورد بيتر على معسكر مزروفلوس واستحوذ على ما خلفه من خزائن وأمتعة .

١٥٨ ـ ولم يمتلك المدافعون عن الأسوار والابراج الشجاعة والثبات حتى يبقوا حيث هم بعدما رأوا الفرنجة يدخلون المدينة والامبراطور ينجو بنفسه ، فهربوا بدورهم ولم يتوقفوا بل أسرعوا كثيرا ، وهكذا سقطت المدينة .

١٥٩ ـ وبعدما تم الاستيلاء على المدينة على هذه الشاكلة ، توقف الفرنجة ولم يتابعوا الزحف الى داخلها ، وإثر ذلك اجتمع كبار البارونات للتشاور حول الخطوة التالية ، ثم نودي في كافة أرجاء الجيش ألا يتوغل أحد الى داخل المدينة فيورد نفسه موارد التهلكة ، فالتوغل ينطوي على مخاطر جسام ، فقد يرميهم الناس بالحجارة من القصور الكبيرة والعالية ، أو يفتكوا بهم في الأزقة الشديدة

الضيق حيث لا يستطيعون وقتها الدفاع عن أنفسهم ، أو أن تشعل النار في المدينة خلفهم فيموتون حرقا .

وخوفا من هذه المخاطر والشدائد لم يتجرأ الجنود على الدخول الى أحياء المدينة والتوزع في داخلها ، وآثروا الاقامة حيث هم ٠

١٦٠ واتفق البارونات بشأن الخطوة التالية وقرروا أن يتسلح الفرنجة ويستعدوا للقتال صباح اليوم التالي ويصفوا قواتهم ويعبئوها بانتظار الاغريق إذا كان بنيتهم الهجوم عليهم ، ورتبوا الامور أن يكون القتال في مكان مكشوف بعيد عن العمران ومقدرين أن تعدادهم بالنسبة للاغريق واحد إلى مائة ، لكن اذا تقاعس الاغريق عن القتال ورفضوا تسليم المدينة ، عندها يتوجب على الفرنجة مراقبة اتجاه هبوب الرياح ثم يلقون النار في المدينة من جهة مهب الرياح وبذلك يحرقون المدينة ويدمرون الاغريق ويقهروهم بالقوة .

ووافق البارونات على هذه الخطة بالاجماع ، وبعد صلاة العتمة نزع الصليبيون ما عليهم من سلاح واستراحوا وأكلوا وناموا ليلتهم تلك داخل الأسوار لكن أمام أسطولهم .

١٦١ ـ وعند منتصف الليل ، عندما ادرك مرزوفلوس الامبراطور الخائن ، أن الفرنجة باتوا جميعا داخل المدينة تزايد فزعه ، ولم يعد يمتلك الشجاعة للبقاء ، ففر في منتصف الليل حتى لا يعرف أحد خبر فراره ، لكن عندما عرف الأغريق أخبار فرار الامبراطور ، عمدوا في الليلة نفسها الى واحد من كبار رجالات المدينة واسمه لاسكاريس وتوجوه امبراطورا ، وهذا بدوره لم يمتلك الصبر والشجاعة ليمكث حيث هو ، فقام قبل بلوغ الفجر بركوب ظهر احدى السفن ، وعبر مضيق البوسفور ، وتوجه الى مدينة نيقية الكبرى ، التي كانت مدينة رائعة ، فتملكها وهناك أقام حيث أصبح امبراطورها .

١٦٢ ـ ومع اشراقة شمس صباح اليوم التالي جاء موكب من الرهبان ورجال الاكليروس في ثيابهم الدينية وتبع هؤلاء الانكليز والدانيون وغيرهم من أهالي البلاد الأخرى ، الى معسكر الفرنجة ، حيث التمسوا الرحمة لأنفسهم ، وأعلموهم بالذي صنعه الأغريق ، وأخبروهم أن جميع الأغريق من سكان المدينة قد هربوا منها ، ولم يبق منهم فيها غير الفقراء والضعفاء والمرضى ، وعندما سمع الفرنجة هذه الأخبار علاهم السرور وعظمت فرحتهم ، وأمروا بالنداء في أوساط الجيش ألا يحتل أحد بيتا حتى تتقرر الصورة التي سيتم بمقتضاها توزيع الممتلكات .

١٦٣ ـ واجتمع بعد هذا كبار القادة والأثرياء من البارونات معا واتفقوا على أن يتوازعوا فيما بينهم أفضل مساكن المدينة ، دون أن يدري بذلك سواد الحجاج وفقراء الفرسان ، وهكذا شرع كبار البارونات والقادة من تلك الساعة في خديعة العامة والكذب عليهم واساءة عشرتهم ، وسيدفعون ثمن ذلك باهظا فيما بعد ـ كما سنخبركم ـ ، فقد اغتصبوا أفضل بيوت المدينة وأغناها ، واستحوذوا عليها قبل أن يعرف الفرسان الفقراء والعامة بذلك .

وعندما علم صغار الفرسان والفقراء بتفاصيل ما جرى ، توجه كل واحد منهم باتجاه واستولى على كل ما استطاع الاستيلاء عليه ، وعثروا على أشياء كثيرة وأخذوا ما لا يمكن عده أو حصره ، وتركوا أيضا شيئا كثيرا ، فقد كانت القسطنطينية مدينة عظيمة الاتساع آهلة بالسكان .

١٦٤ ـ واستولى الماركيز(بونيفيس دي مونتفرات) على قصر بوكليون وعلى كنيسة آيا صوفيا وقصر البطريرك ، واستولى في الوقت نفسه كبار البارونات والقادة على كل ما صادفوه من أجمل القصور وأغناها وأهم الأديرة وأكثرها ثراء ، وبعدما تم للفرنجة الاستيلاءعلى المدينة لم يتعرضوا لأحد ممن بقي بالمدينة سواء أكان

فقيرا أو غنيا بسوء ، وكان قد نزح عن المدينة من أراد النزوح وبقي فيها من أراد البقاء ، مع أن أكثر أهلها ثراء هم الذين غادروها .

١٦٥ـ وبعد هذا صدرت الأوامر بجمع الغنائم في احــدى كنائس المدينة ، وبعدما اكتمل التجميع جرى اختيار عشرة من كبار فرسان الحجاج وعشرة من البنادقة ممن اتسم بــالأمانة ، وأوكلوا اليهــم حراسة هذه الثروات ، وكان حجم هذه الثروات هائلا ، وكان فيها كثير من الأواني الذهبية والفضية الغالية الثمن ، والملابس المطرزة بالذهب والمرصعة بالمجوهرات الثمينة ، وكان منظــر مــاجمع هناك منظرا عجيبا مثيرا للدهشــة ، ولم يحــدث قـــط ــ منذ بـــداية الخليقة ــ أن رأت عين أو غنم قوم مثــل هــذه الغنيمــة الغـــالية الهائلة ، لابل لم يحدث مثــل ذلك منذ ايام الاســكندر أو شـــارلمان ولاقبلهما ولابعدهما ، ويخيل لي شــخصييا أنه لم يتــوفر في جميع مدن العالم الأربعين الأكثــر ثــراء مــاتوفر بــالقسطنطينية ، وكان ماعثروا عليه هائلا لأنه فعلا كما يقول الاغريق : ان ثلثــي ثــروات العالم موجودة بالفعل في القسطنطينية ، وأما الثلث المتبقي فمــوزع على بقية انحاء الدنيا .

وأخذ الأشخاص أنفسهم الذين عهد اليهم بالحراسة كل ماطمعوا به من الحلي الذهبية ، فقد امتدت ايديهم بالسرقة الى هذه الثروات والى ماوجدوه ، وأخذ أيضا كل رجل ثري مــااشتهته نفســه مــن الحلي الذهبية والأقمشــة الحــريرية والمذهبــة وغير ذلك وانطلق به ، وهكذا سرق الأعيان الغنائم واستولوا عليها حتى لم يبــق شيء ليتقاسمونه مع عامة أفراد الجيش من الحجاج والفرسان الفقــراء والجند الذين أسهموا في الحصول على هذه الغنائم :

نعم لم يبق شيء لاقتسامه مع هؤلاء سوى أوعية الفضة التي كان من عادة نساء المدينة حملها معهن الى الحمــامات ، أمــا المغــانم الأخرى التي توجب قسمتها فقد اختفت ــ كما حدثتك ــ ومع هــذا أخذ البنادقة النصف المقرر لهم ، أما الجــواهر والثــروات الكبيرة

التي تركت لتقسم فقد سرقت ايضا بأساليب مختلفة ، كما سأقص عليكم فيما يلي .

١٦٦ــ بعدما كمل احتلال المدينة ، أسكن الحجاج فيها ، وبعد الاستيلاء على القصور عثر رجالنا فيها على ثروات هائلة أكثر مما كانوا يتوقعون ، وكان قصر بوكليون قصرا غنيا جدا ، بني على شكل سأصفه لكم فيما يلي .

١٦٧ــ وكان في هذا القصر الذي استولى عليه الماركيز خمسمائة قاعة اتصل بعضها ببعض وزينت جميعها بالفسيفساء الذهبية ، وكان فيه ثلاثون بيعة مابين صغيرة وكبيرة ، عرفت احداها باسم البيعة المقدسة ، وكانت غنية جدا ورائعة الجمال ، حتى أنه لم يكن بها صائر باب أو مزلاج مما يصنع عادة من الحديد الا وكان مصنوعا من الفضة ، ولم يكن بها عمود الا وصنع من أفضل أنواع الرخام ذات الألوان الجميلة التي حليت بالأحجار الكريمة ، وكانت أرض البيعة مرصوفة بالمرمر الأبيض الناعم نعومة البلور والصافي مثل صفائه ، وفي الحقيقة بلغت هذه البيعة من الثراء والجمال درجة لانظير لها لذلك من الصعب توفيتها حقها بالوصف ، وقد حوت كثيرا من الآثار المقدسة الرائعة ، فقد عثر أحدهم على قطعتين من الصليب المقدس بحجم ساق الرجل ويبلغ طولهما ثلاثة أقدام ، كذلك عثر فيها على الحربة الحديدية ، التي طعن بها جنب مولانا ، وكما كان هناك مسماران من المسامير التي دقت بها كفاه وقدماه ، وعثر أحدهم على قارورة زجاجية فيها بعض من دمه ، ووجد هناك أيضا القميص الذي كان يرتديه ، ثم نزعوه عنه حينما ساقوه الى جبل الجلجلة ، وعثر ايضا على تاج الشوك المبارك الذي توجوه به وقد صنع من عيدان ذات شوك قاطع كأنه أسنة الرماح .

ووجد أحدهم قطعة من ثوب مولاتنا العذراء مع رأس سيدنا

القديس يوحنا المعمدان ، وكثيرا غير هذا من البقايا والآثار المقدسة الرائعة التي أنا عاجز عن تعدادها أو وصفها لك بصدق تام .

١٦٨ـ وكان بهذه البيعة أثر مقدس آخر سهوت عن ذكره ، وهو عبارة عن وعائين ثمينين علقا من وسطيهما بسلسلتين من الفضة الثقيلة ، وكان في أحد هذين الوعائين قطعة من الآجر وفي الأخرى قطعة من القماش ، وسأحدثكم من أين جاءت هذه الآثار المقدسة :

كان فيما مضى في القسطنطينية رجل يعمل بصناعة القرميد ، وفيما هو يعمل في قرمدة سقف احدى الأرامل ، محبة بالرب ، متدثرا بقطعة من القماش تجلى له مولانا وقال له : أعطني هذه القطعة من القماش ، فناوله الرجل اياها ، فوضعها مولانا على وجهه فانطبعت ملامحه عليها ، ثم أعادها الى الرجل ، وطلب منه أن يحملها معه ، وأن يمسح بها المرضى ، فكل من آمن بها تعافى من مرضه ، وأخذها عامل القرميد ليحملها معه ، لكن حدث أن حان وقت صلاة العتمة ، فأخذها هذا الرجل بعدما ردها اليه الرب ، وأخفاها تحت قطعة من الآجر ، وبعد أداء الصلاة ، عاد ليأخذها ويمضي بها في حال سبيله ، وعندما رفع القرميدة شاهد أن صورة مولانا قد طبعت عليها ايضا ، فحمل القرميدة وقطعة القماش معا ، وشفى بهما ـ فيما بعد ـ عددا كبيرا من المرضى .

١٦٩ـ وكما أخبرتك كان هذان الأثران المقدسان معلقين في وسط البيعة ، وكان في هذه البيعة أثر مقدس آخر ايقونه عليها صورة القديس ديمتري ، وكانت هذه الأيقونة تنضح بالزيت الكثير الى حد أنه كان من غير الممكن مسحه بسرعة مساوية لسرعة تدفق الزيت منها .

١٧٠ـ وضم قصر بلا شرين عشرين بيعة ، ومالا يقل عن مائتين أو ثلاثمائة قاعة ، اتصل بعضها ببعض ، وزينت جدرانها بالفسيفساء المذهبة ، وبلغ هذا القصر من الأبهة والفخامة درجة

يعجز كل انسان عن وصفه لك أو يتحدث عن ثرائه وروعته ، ولقد وجدوا في هذا القصر ثروات هائلة جدا كان من بينها تيجان الأباطرة المتقدمين ، وهي غالية جدا ، مع حلي ذهبية ثمينة واقمشة حريرية غالية ، وعثروا ايضا على الملابس الامبراطورية الثمينة والجواهر النفيسة ، وعلى عدد كبير من الكنوز الهائلة ، ولايمكن لانسان أن يقدر كميات الذهب والفضة الكبيرة جدا ، التي عثروا عليها في هذه القصور وفي اماكن أخرى كثيرة من المدينة .

١٧١ـ ثم أخذ الحجاج يطوفون بالمدينة لمشاهدة مباهجها وضخامة حجمها وقصورها واديرتها وكنائسها الرائعة مع ماحوته من نخائر وكنوز ، وأكثر ما أعجبوا برؤية كنيسة أياصوفيا فقد أدهشهم جمالها أيما ادهاش وكذلك ماحوته من كنوز .

١٧٢ـ وسأحدثك الآن عن كنيسة أياصوفيا وكيف أقيمت ، واسم ايا صوفيا بالاغريق يقابله الثالوث المقدس بالفرنسية ، وهي كنيسة مستديرة البناء وسقفها عبارة عن قباب دائرة حولها محمولة على أعمدة ضخمة ورائعة جدا ، وليس بها عمود الا وهو مصنوع من أفخر أنواع الرخام أو المرمر أو غير ذلك من الحجارة الثمينة وليس بها عمود الا وله قدرة على شفاء نوع معين من الأمراض ، فواحد منها يزيل أمراض الكليتين اذا حكتا به ، ويشفى آخر من ذات الجنب ، ويشفي آخرون من عدد آخر من الأمراض .

وليس بهذه الكنيسة مزلاج باب أو صائر أو شريط أو أي شيء آخر مما يصنع عادة من الحديد ، الا وهو مصنوع من الفضة .

١٧٣ـ ومذبح الكنيسة الرئيس ثمين جدا لايمكن تقديره بأي مبلغ مهما كان كبيرا ، لأن مائدته ـ التي كان قد أمر احد الأباطرة بصنعها ـ كانت من الذهب والجواهر الثمينة المتمازجة ويبلغ طول هذه المائدة أربعة عشر قدما .

وقام حول المذبح أعمدة فضية سندت عرشا قام على الهيكل وكان أشبه ببرج كنيسة دقيق الأطراف ، قد صب كله من الفضة الخالصة ، مما يعجز أي فرد عن تقدير المال الذي يثمن به ، وكان المكان المعد لترتيل الانجيل فيه بديعا جدا ، بالغ الجمال ، ليس بامكاننا وصف كيفية صناعته .

١٧٤ـ وبالكنيسة من الداخل مائة شمعدان ـ كل واحد منها معلق بسلسلة فضية ضخمة تبلغ قطر ذراع الرجل ، ولكل شمعدان خمسة وعشرين مصباحا أو أكثر ، ولايقل ثمن الشمعدان الواحد عن مائتي مارك فضي .

١٧٥ـ وكان باب الكنيسة الرئيسي مصنوع كله من الفضة ، وقد علق الى حلقته أنبوب لايعرف أحد كنه المواد التي صنع منها ، وهو في حجم قصبة الناي الذي يعزف به الرعاة ، ولهذه القصبة فضائل جمة سأحكي خبرها وأقصها عليك فهي ان وضعت كلها أو جزء منها بفم مريض ـ يشكو من علة في جسده مثل انتفاخ في البطن ـ امتصت هذه القصبة كل مابه من مرض وسحبت السموم والقت من فمه وشفته سريعا ، انها تلتصق بفمه ، فترى عينية تدوران في محجريهما ، ولايستطيع التخلص منها حتى تمتص مابه من أسقامه ، وكلما كانت علته شديدة كلما اشتد التصاق القصبة به ، لكن اذا وضعها سليم في فمه لاتثبت به قليلا أو كثيرا .

١٧٦ ـ وقام أمام كنيسة أيا صوفيا عمود هائل الحجم لايستطيع ثلاثة رجال الاحاطة بقطره ، وارتفاعه ثلاثمائة قدم ، وهو من الرخام المكفت بالنحاس الأصفر ، والمشدود بأطواق حديدية قوية ، ووضع على رأس هذا العمود لوح منبسط وكبير من الحجر ، طوله خمسة عشر قدما ، ولايقل عرضه عن ذلك ، وثبت عليه تمثال امبراطور صنع من البرونز وهو يمتطي حصانا برونزيا كبيرا ، ومد هذا الأمبراطور يده باتجاه بلاد الوثنيين ، وكان على هذا التمثال كتابة فحواها أن هذا الأمبراطور قد أقسم ألا يهادن المسلمين أبدا ،

وأمسك بيده الأخرى كرة من الذهب عليها صليب ، ويقول الأغريق : هذا تمثال الأمبراطور هرقل .

ووجد على كفل الحصان ورأسه وأطـرافه مـالا يقـل عن عشرة أعشاش من أعشاش مالك الحزين يبيض بها كل عام .

١٧٧ ـ وفي ناحية أخرى مـن المدينة وجـدت كنيسـة غير هـذه اسمها كنيسة الرسل السبعة ، يقال إنها أعظم وأجمل مـن كنيسـة أيا صوفيا ، ولايمكن لانسان أن يصـف لك ثـراء هـذه الكنيسـة وروعتها ، وهي تضم بين جوانبها جثث سبعة رسل ، وبهـا أيضـا العمود الرخامي الذي شدوا إليه مولانا قبل رفعـه على الصـليب ، ويحكى أنه في هـذا المكان يرقـد الأمبـراطور قسـطنطين (الكبير وأمه) هيلانة ، وعددا آخر من الأباطرة سواهما .

١٧٨ ـ ويوجد في ناحية أخرى من المدينة بـوابة تسـمى بـوابة العباءة الذهبية ، وضع عليها كرة كبيرة مـن الذهـب كتـب عليهـا رصد ، ويقول الأغريق : لن تقع بالمدينة صاعقة طالما هي قـائمة في مكانها ، وعلى هذه الكرة أيقونة من النحاس قد ارتدت عبـاءة مـن الذهب وقد مدت كماها إلى الأمام وقد كتب عليها : « من يعش عاما في القسطنطينية سينال عباءة ذهبية كالتي أرتديها » .

١٧٩ ـ وهناك في ناحية أخرى من المدينة بوابة أخـرى اسـمها البوابة الذهبية ، وقد وضع عليها فيلين من النحاس حجمهمـا كبير ومنظرهما عجيب ، ولاتفتح هذه البـوابة أبـدا إلا حين عودة أحـد الأباطرة من حملة يكون قـد اسـتولى فيهـا على أرض عدوة ، فإذا حدث مثل هذا خرج من المدينة موكب مهيب ضـم رجـال الأكليروس لاستقباله ، وتفتح البوابة ثم يؤتى بمركبة من الذهب على شكل عربة ذات أربع عجلات كالتي نسميها كوري ـ وفي وسط هـذه المركبـة مقعد مرتفع عليه عرش حوله أربعة أعمدة تحمل مظلة تظل العـرش الذي يبدو وكأنه قد صيغ كله من الذهب ، وحين يجلس الأمبـراطور

على هذا العرش يضع على رأسه تاجه ، ويدخل من تلك البوابة ، ثم يحمل بهذه المركبة إلى قصره في سرور وبهجة عظيمة .

١٨٠ – وفي ناحية أخرى من المدينة مكان رائع آخر ، حيث قام على مقربة من قصر بوكليون ساحة شاسعة تدعى الملعب الامبراطوري ، ومساحته غلوة سهم ونصف الغلوة طولا وغلوة واحدة عرضا ، واقيم حول هذا المكان ثلاثين أو أربعين صنفا من المقاعد ، كان الأغريق يجلسون عليها لمشاهدة الألعاب ، وعلاه أيضا مقصورة كبيرة عظيمة الجمال والأناقة ، ففيها كان يجلس الامبراطور والأمبراطورة وعلية القوم ونساؤهم أثناء الاحتفالات والألعاب .

وإذا وجد أثناء اللعب اثنان يتباريان ، تراهن الأمبراطور والأمبراطورة على أن الرابح سيكون هذا الطرف أو ذاك ، ومثلهما كان يفعل المشاهدون للألعاب .

١٨١ – وكان يوجد على طول هذه الساحة المكشوفة جدار يبلغ ارتفاعه خمسة عشر قدما وعرضه عشرة أقدام ، وعليه تصاوير رجال ونساء وخيول وثيران وجمال ودببة ، وأسود ، ومختلف أنواع الحيوانات الأخرى ، وكلها مصنوعة من النحاس الأحمر ، وقد أبدعتها يد صانع ماهر حتى أن الناظر إليها لايكاد يميزها عن نظائرها الحية ، ولاشك أن مهرة الصناع في بلاد المسيحية أو الوثنية عاجزين – مهما بلغوا من براعة – عن صناعة مايماثلها في الدقة ، وكانت هذه التماثيل فيما مضى ذات قوة سحرية ، ولكن بطل الآن ذلك السحر ، وقد أصيب الفرنجة بالدهشة حينما رأوا الملعب الامبراطوري هذا .

١٨٢ – وفي ناحية أخرى من المدينة منظر عجيب آخر – فقد انتصب هناك تمثالان من البرونز لامرأتين تفنن صانعهما بهما حتى شابها الطبيعة ، وبلغا من الجمال مبلغا فوق التقدير ، وكان لايقل

ارتفاع أي منهما عن عشرين قدما ، وكان احد هذين التمثالين يمد يده باتجاه الغرب وعليه نقشت عبارات فحواها : سيأتي قوم من الغرب فيستولون على القسطنطينية أما يد التمثال الآخر فكانت ممدودة باتجاه مكروه ، وقد كتب عليها : « إن ذاك هو المكان الذي سيقذفونهم فيه » .

١٨٣ ــ واقيم هذان التمثالان أمام سوق الصيارفة ، وكان فيما مضى سوقا شديد الازدحام ، لأن أغنياء الصيارفة اعتادوا على الجلوس في هذه البقعة وأمامهم أكوام ضخمة من النقود والأحجار الكريمة ، وذلك قبل احتلال المدينة ، أما الآن بعد الاستيلاء عليها فلم يبق بها منهم كثيرون °

١٨٤ ــ وفي جانب آخر من المدينة منظر عجيب آخر ، فقد قام هناك صومعتان شاهقتان عريضتان لايمكن لثلاثة رجال تطويق أي منهما ، وتجاوز ارتفاع كل منهما ثلاثمائة قدم ، وقد اعتاد النساك على التعبد فوق قمة هاتين الصومعتين في حجر صغيرة توفر لها وللصومعتين أبواب تفضي إلى سلالم يمكن للمرء الصعود عليها .

١٨٥ ــ ونقشت على جدران هاتين الصومعتين صور ورسوم كل الأحداث التي ألمت بالقسطنطينية ونبوءة كل ماكان مقدرا له أن يقع بها ، لكن لم يوجد أي انسان كان بإمكانه فهم واحدة من النبوءات .

حتى تترجم الى الواقع ، فبعد حدوث حادث من الاحداث كان الناس يهرعون الى هناك ويمعنون النظر فيما امامهم من رسوم ، وعندها يفهمون لاول مرة خبر ماجرى ، حتى ان استيلاء الفرنجة على المدينة كان مدونا ومرسوما على جدران هاتين الصومعتين ، وكذلك رسوم السفن التي استخدموها في الانقضاض على المدينة والاستيلاء عليها ، لكن الاغريق لم يدركوا سر هذه الرسوم قبل وقوع الواقعة ، لكن بعدما وقعت قصدوا مكان الصومعتين وتأملوا ماعليهما من رسوم وكتابة وصور وسفن فاذا بها تقول : « ان شعبا

من ذوي الشعور القصيرة والسيوف الفولاذية سيتقدمون من الغرب لغزو القسطنطينية ».

١٨٦ ــ لقد وجد الفرنجة بعد الاستيلاء على القسطنطينية كل هذه العجائب منتشرة في ارجائها ، لابل هناك اكثر بكثير مما حكيت لك عنه ، ويخيل لي انه مامن واحد على وجه البسيطة يمكنه ان يحصي عدد جميع اديرة المدينة لكثرتها وكثرة من بها من الرهبان والراهبات ، الى جانب الكنائس الاخرى التي قامت في خارجها ، فقد قدر من كان بها من رجال الاكليروس والرهبان وسواهم بثلاثين الفا .

١٨٧ ــ لذلك سأدع جانبا الحديث عن بقية الاغريق رفيعهم وفقيرهم وعاليهم ودانيهم ، كما انني لن احكي المزيد عن حجم المدينة ومابها من قصور وعجائب اخرى ، ذلك انه لايستطيع احد ، مهما كان شأنه ، ومهما طال مقامه بالمدينة ان يصفها كلها ويعد مابها ، حتى انه اذا ذكر لك واحدا من مائة مما في كنائسها وقصورها من نخائر وثروات وجمال وابهة وترف ، بدا لك وكأنه يحكي لك اسطورة ، ولن تصدقه اذناك .

١٨٨ ــ وكانت كنيسة مريم قديسة بلا شرين من بين روائع المدينة ، فهي التي تحتفظ بالحنوط الذي وضع في كفن مولانا ، وهو يتصبب كل يوم جمعة حتى يسهل على المشاهد رؤية ملامح وجه مولانا ، ولايعرف احد من الاغريق او الفرنجة ماذا جرى لهذا الحنوط بعد الاستيلاء على المدينة .

١٨٩ ــ وكان هناك دير سجي فيه جثمان الامبراطور الصالح مانويل ، ولم يحدث قط ان سجي انسان سواء اكان قديسا او قديسة تسجيه بهية مثل تسجية هذا الامبراطور .

١٩٠ ــ وفي هذا الدير اللوح الرخامي الذي سجي عليه مولانا

بعدما انزلوه من على الصليب ، ومايزال حتى الان من الممكن رؤية الدموع التي ذرفتها سيدتنا عليه .

١٩١ ــ وبعدما حدث هذا كله ، اجتمع في احد الايام جميع البارونات وكبار القادة في قصر بوكليون ، الذي استولى عليه الماركيز ، وشرعوا يتداولون فيما بينهم حول الحاجة لتنصيب امبراطور ، ووجوب انتقاء عشرة نقباء من بينهم ، ثم طلبوا من دوج البندقية اختيار عشرة نقباء من عنده .

١٩٢ ــ وعندما سمع الماركيز هذا الاقتراح أراد أن يكون هؤلاء النقباء من أتباعه ، ممن يعتقد أنهم سيقدمون على اختياره امبراطورا دون سواه ، ذلك أنه تطلع لأن يكون هو نفسه الامبراطور المقبل ، ولم يوافق البارونات على ماأراده ، ورفضوا أن يكون النقباء المختارون من أتباعه ، لكنهم لم يعترضوا على أن يكون بعض النقباء من رجاله ٠

١٩٣ ــ وعندما وقف دوج البندقية على فحوى المناقشات ــ وكان رجلا محنكا مستقيما ــ قال على مسمع من الجميع: «اصغوا الي ايها السادة ، اقترح عليكم وضع القصور تحت الحراسة العامة للجيش قبل القيام باختيار الامبراطور ، فلو وقع الاختيار علي سيكون بامكاني الذهاب مباشرة لاحتلال القصور بدون معارضة ، وكذلك الحال اذا اختاروا كونت فلاندرز ، عليه وقتها المضي لتوه الى القصور لاحتلالها دون معارضة ، وهذا هو الحال اذا اختاروا الماركيز ، او كونت لويس ، او كونت سانت بول ، او حتى لو اختاروا فارسا فقيرا ، فالذي سيكون الامبراطور لابد له من تملك القصور دون معارضة من الماركيز او من كونت فلاندرز او من سواهما .

١٩٤ ــ وبعدما سمع الماركيز هذا الاقتراح ، لم يكن بامكانه معارضته ــ فأخلى القصر الذي كان يشغله ، وذهب القوم فوضعوا في القصور حراسا من سواد الجيش للمحافظة عليها .

١٩٥ ـ وكان دوج البندقية ، بعدما فرغ من خطابة قد اقترح على البارونات القيام باختيار نقبائه العشرة ، واعلن انه سيبادر بدوره الى تسمية نقبائه العشرة ، وبعدما سمع البارونات اقتراح الدوج اراد كل واحد منهم ان يكون النقباء من رجاله ، فهذا ماأراده كونت فلاندرز ، وكذلك استهدفه كونت لويس ، وكونت سانت بول وغيرهم من اعيان البارونات ، وهكذا لم يمكنهم ابدا الاتفاق على تسمية النقباء واختيارهم .

١٩٦ ـ ولهذا اتفقوا على تأجيل الموضوع الى يوم اخر ، ومع هذا اخفقوا في التوصل الى اجماع حول اختيار هؤلاء العشرة ، ذلك ان الماركيز كان دوما يريد تسمية من كان يظن انهم لابد ان يختاروه امبراطورا ، فقد اراد ان يكون الامبراطور المقبل مهما كلف الامر .

١٩٧ ـ واستمر الخلاف مدة اسبوعين دون ان يتمكنوا من الوصول الى اي اتفاق فيما بينهم ، ولم يكن ليمر يوم الا ويجتمعون للتداول حول هذا الموضوع ، الى ان اتفقوا اخيرا على ان يكون النقباء العشرة من بين رجال الاكليروس في الحملة ومن الاساقفة ورعاة الاديرة .

١٩٨ ـ وبعدما اتفق البارونات على هذا الترتيب قام دوج البندقية باختيار رجاله العشرة وفق الطريقة التالية : استدعى اليه اربعة ممن اعتقدوا انهم اعظم رجال بلده كفاءة وجعلهم يقسمون على الاثار المقدسة انهم سيتولون اختيار عشرة نقباء يعتقدون اعتقادا جازما انهم افضل من في الحملة من ابناء مدينتهم ، فنفذوا ماطلبه منهم ، وكانوا اذا مانادوا واحدا من رجالهم تقدم ، وتوقف عن الكلام او التشاور مع احد ، ونقلوه فورا الى احدى الكنائس ، وفعلوا الشيء نفسه مع البقية حتى تم للدوج انتقاء نقبائه العشرة ، وبعدما صار النقباء جميعا في تلك الكنيسة ، قام البنادقة العشرة والاساقفة بترتيل قداس روح القدس ، والتمسوا منه تسديد خطاهم في سبيل اختيار الرجل الذي يصلح لمنصب الامبراطور .

١٩٩ ــ وبعد الفراغ من الصلاة اجتمعوا وراحوا يتشاورون ويستعرضون اسماء الرجال واحدا واحدا ، حتى استقر قرارهم جميعا بنادقة واساقفة ورعاة ابيرة على ان يكون الامبراطور هو كونت فلاندرز ، ووافقوا على ذلك دون معارضة احد .

٢٠٠ ــ وعندما فرغوا من عملية الاختيار ، واوشكت مهمتهم على الانتهاء ، اوكلوا الى اسقف سواسون مهمة الاعلان باسمهم ، وبعد هذا اجتمع رجال الجيش جميعا لسماع قرار النقباء ولمعرفة اسم الذي سيتولى الامبراطورية ، وبعدما ساد الهدوء وانصت الجميع ، وخشي غالبيتهم لابل فزعوا من اعلان الماركيز امبراطورا ، وذلك على عكس الذين ايدوه فهؤلاء عاشوا في خوف شديد من تسمية واحد سواه .

٢٠١ ــ وفيما هم وقوف ينتظرون في هدوء شامل اعلان القرار ، وثب اسقف سواسون واقفا على قدميه واعلن قائلا : « ايها السادة ، لقد وقع اختياركم علينا بالاجماع للقيام بهذا الانتخاب ، وقمنا بالفعل بانتخاب واحد عرفنا نحن انفسنا انه رجل مناسب وكفء لهذه المرتبة ، وانه وحده الذي بامكانه تحمل اعباء الحكومة اذا عهدت اليه ، لانه خير من قدر على تنفيذ القانون ، فضلا عن انه من اصل نبيل وسمعة طيبة ، وهاكم اسمه : انه الكونت بلدوين كونت فلاندرز .

وعندما سمع الفرنجة اسمه عمهم السرور وابتهجوا ، ومع هذا وجد من حزن كثيرا ، وشعر بالاحباط وهم انصار الماركيز .

٢٠٢ ــ واثر اتمام عملية الانتخاب وتسمية بلدوين امبراطورا ، انطلق به البارونات وقادة الفرنجة الذين فرحوا بانتخابه فرحا شديدا ، وقصدوا قصر بوكليون وهم في اقصى حالات البهجة ، وعندما التأم شمل جميع القادة والبارونات حددوا يوما لتتويج الامبراطور ، ولدى حلول اليوم المقرر امتطى الاساقفة ورعاة

الاديرة والبارونات وزعماء البنادقة وكبار القادة من الفرنجة صهوات جيادهم ، وتوجهوا يؤمون قصر بوكليون ، ومن هناك حملوا الامبراطور الى كنيسة اياصوفيا ، وهناك قادوه جانبا وادخلوه حجرة خاصة حيث خلعوا عنه ملابسه الخارجية ، ثم البسوه حذاء فاخرا لونه ارجواني وقد غطي بالاحجار الكريمة ، ثم البسوه سترة ثمينة جدا لها ازرار ذهبية من الامام والخلف امتدت من الذراعين حتى موضع النطاق ، ثم طرحوا عليه الرداء الامبراطوري ، وهو نوع من العباءة تتدلى الى اعلى الحذاءين ، هذا من الامام ، لكنها طويلة جدا من الخلف يمكنه ان يلفها عند وسطه ثم يلقي طرفها على ذراعه اليسرى وكانها سبحة راهب ، وكان هذا الرداء ثمينا ورائعا جدا ، وقد غطي كله بالاحجار الكريمة .

ثم القوا على اكتافه عباءة اخرى ثمينة جدا ، كانت ايضا مغطاة كلها بالاحجار الكريمة ، رسم عليها نسور جميلة ايضا من المجوهرات التي بلغ شدة بريقها حدا يخيل لرائيها ان العباءة كلها تتقد .

٢٠٣ ــ وبعدما البسوه على هذه الشاكلة قادوه الى المذبح ، وكان في تلك الاثناء الكونت لويس يحمل علمه الامبراطوري ، بينما حمل كونت سانت بول سيفه ، وحمل الماركيز تاجه ، وكان هناك اسقفان حملا سلاح الماركيز لحمله التاج ، واسقفان اخران سارا على جانبي الامبراطور .

وكان البارونات جميعا قد ارتدوا اثمن ما لديهم من ثياب ، ولم يكن هناك واحد من الفرنجة او البنادقة الا وكان مرتديا ثوبا من السندس او الحرير .

٢٠٤ ــ ولدى وقوف الامبراطور امام المذبح جثا على ركبتيه ، وهنا خلعوا عنه اولا العباءة ثم فكوا الازرار الذهبية للسترة من الامام ومن الخلف حتى بات ء سطه الاعلى عريانا ، فمسحوه

بالزيت ، حتى اذا فرغوا من ذلك البسوه السترة ذات الازرار الذهبية ثانية ، ثم قلدوه رنكة وبعد ذلك شدوا العباءة على كتفيه .

٢٠٥ ـ وبعدما فرغوا من الباسه ، حمل الاسقفان التاج ووضعاه على المذبح ، ومضى جميع الاساقفة ورسموا عليه علامة الصليب ، ثم وضعوه على راسه ، وعلقوا على رقبته جوهرة ثمينة جدا ، لتكون قلادة ، وكان الامبراطور مانويل قد ابتاعها من قبل باثنين وستين الف مارك .

وبعد الفراغ من التتويج اجلس الامبراطور على عرش مرتفع ظل جالسا عليه طوال وقت ترتيل القداس ، وهو ممسك الصولجان باحدى يديه وفي اليد الاخرى كرة ذهبية عليها صليب وكانت الجواهر التي يحملها اثمن من اية ذخائر يمكن لملك امتلاكها .

٢٠٦ ـ وبعد الفراغ من تلاوة القداس جلبوا له فرسا ابيض فامتطاه ، ورجع اثر ذلك الى قصر بوكليون ، وهو القصر الامبراطوري ، وهناك اجلسوه على عرش القسطنطينية ، ثم قدموا له الولاء على اعتبار انه الامبراطور ، وانحنى امامه جميع الاغريق الذين كانوا هناك على اعتبار انه الامبراطور المقدس ، ثم مدت الموائد بالقصر ، وجلس الامبراطور والبارونات لتناول الطعام ، وبعد مافرغوا من تناول الطعام انصرف البارونات جميعا ، وعادوا الى بيوتهم ، اما الامبراطور فقد بقي في قصره .

٢٠٧ ـ وبعد هذا بأيام اجتمع البارونات ، وقرروا فيما بينهم وجوب توزيع الذخائر المستولى عليها ، ولم يكن قد وزع منها شيء سوى الاواني الفضية العادية مثل الاباريق الفضية التي اعتاد نساء المدينة على حملها معهن الى الحمامات ، فنال كل فارس وخيال وجندي ، بل حتى النساء والاطفال نصيبه منها .

٢٠٨ ـ واعلن في ذلك اليوم الليوم دي كلاري ، الراهب الذي

سبق لي ان ذكرته ، والذي كان عظيما جدا في بابه ، وقام بكثير من اعمال البطولة الخارقة ، حسبما تحدثنا من قبل ، اعلن انه يريد ان ياخذ نصيبه مثل نصيب احد الفرسان ، واعترض بعضهم على طلبه وقال : ليس من الحكمة ان يكون نصيب الراهب مثل نصيب الفارس ، لكن الليوم اصر على موقفه ، فهو يمتلك فرسا ولديه درعا ، شانه بذلك شان بقية الفرسان ، ثم لانه قام بكثير من اعمال البطولات الحربية ، لاتقل عن اعمال اي فارس بالجيش ان لم تزد عليها ، وبعد شيء من الجدل قضى كونت سانت بول ان ينال الليوم مثل نصيب فارس ، لانه قام باعمال بطولة وفروسية ارفع مما قام به اي واحد من الفرسان الثلاثمائة ، فهذا ما شهد به كونت سانت بول ، ولهذا هو يستحق ان يكون سهمه مثل سهم اي واحد من الفرسان .

٢٠٩ ـ وبذلك برهن هذا الراهب وقدم الدليل على ان الرهبان يجب ان تكون حصصهم مثل حصص الفرسان ، وبناء على ذلك جرى توزيع الاواني الفضية العادية كما سبق لي وتحدثت ، اما بقية انواع الغنائم ـ وكان هناك الكثير منها ، مما يخلب الالباب ـ فقد بقيت بلا قسمة ، وقد عهد بحراستها الى عامة الجيش ، بقيادة فئة من الناس خيل اليهم انهم امناء في الاشراف عليها .

٢١٠ ـ وبعد فترة وجيزة بعث الامبراطور في طلب كبار البارونات ودوج البندقية ، وكونت لويس وكونت سانت بول واعيان القادة الاخرين ، واعلمهم انه يرغب بالخروج على راس حملة يستولى بها على بعض البلدان ، فاتفقوا على تعيين الذين سيذهبون معه والذين سيبقون في المدينة لحراستها ، وكان هؤلاء دوج البندقية والكونت لويس ومعهما بعض رجالهما .

٢١١ ـ وكذلك بقي الماركيز ، وكان قد تزوج من ارملة الامبراطور اسحق السالف الذكر ، وهي كانت اخت ملك الهنغار ، وعندما راى الماركيز الامبراطور على نية الخروج والاستيلاء على

البلاد ، جاء اليه وطلب منه اقطاعه مملكة سالونيك ، وهي مملكة تبعد عن القسطنطينية مسافة خمسة عشر يوما ، ولم يستجب الامبراطور ، ورفض تلبية طلبه قائلا : انه ليس من حقه القيام بذلك ، لان بارونات الجيش والبنادقة يمتلكون الشطر الاكبر من هذه المملكة ، واوضح له انها لو كانت ملك يمينه لمنحها له عن طيب خاطر وبكل سرور ، ولكن ليس بامكانه اقطاعه ما تعود ملكيته لبارونات الجيش والبنادقة .

٢١٢ ـ وعندما راى الماركيز ان ليس بامكانه اقتطاع هذه المملكة غضب غضبا شديدا ، وخرج الامبراطور بعد هذا ، وتوجه الى الناحية التي كان على نية قصدها ، واصطحب معه جميع رجاله ، واستسلمت له جميع القلاع والمدن التي وصل اليها بدون مقاومة وتسلم مفاتيحها وقدمت مواكب الرهبان ورجال الاكليروس وهي في البستها الدينية وقدمت له الولاء ورحبت به ، وسجد له الاغريق على اعتبار انه الامبراطور المقدس ، وابقى الامبراطور حاميات في المدن والحصون التي دانت له ، وفي الحقيقة استولى على البلاد التي تمتد الى مسافة خمسة عشر يوما من القسطنطينية، اي انه بات على مسيرة يوم واحد من سالونيك .

٢١٣ ـ وبينما كان الامبراطور مشغولا بالاستيلاء على البلاد خرج الماركيز من القسطنطينية واصطحب معه زوجته وجميع رجاله ، ووصل حتى اقترب من معسكر الامبراطور قبل توجهه الى سالونيك ، فلقد عسكر على مسافة تقرب من فرسخ منها ، واثر ذلك انفذ رسلا من قبله الى الامبراطور حملوا اليه رسالة قال فيها : انه يعد ارض سالونيك ارضا له ، هو ملكها ، وعليه ان يعلم علم اليقين انه ان دخلها لن يكون بعد اليوم صديقا له ، ولاطاعة له عليه ابدا ، ولهذا الافضل له ان يعود الى القسطنطينية لينظر الى ما فيه فلاحة .

٢١٤ ـ وعندما سمع البارونات الذين كانوا مع الامبراطور بفحوى الرسالة التي بعث بها الماركيز سخطوا عليه اشد السخط ، وغضبوا وتألموا غاية الالم ، وبعثوا الى الماركيز برسالة جوابية بينوا فيها انهم سيذهبون الى سالونيك بكل تأكيد ، ليس بسبب رسالته ، بل بسبب اخر هو ان البلد ليس بلده ٠

٢١٥ ـ وبعدما سمع الماركيز هذا الجواب ، انعطف عائدا ، فاستولى على احدى المدن التي كان الامبراطور قد شحنها بحامية صغيرة ، واستولى عليها غدرا ، وترك بها حامية من قبله ، ثم قصد مدينة ادرنة التي كان الامبراطور قد ترك بها حامية من رجاله ، وحاصرها واعد مجانيقه لقذفها ، لكن اهلها قاوموه .

٢١٦ ـ وعندما أدرك أنه غير قادر على الاستيلاء عليها بقوة السلاح ، خاطب المدافعين عنها والواقفين على أسوارها قائلا :« مارأيكم ايها السادة ، الا ترون ان هذه السيدة كانت زوجة الامبراطور اسحق » وقدم زوجته التي خاطبتهم بقولها :« انظروا الي وتمعنوا جيدا ، الا تعرفون انني الامبراطورة ، ثم لعلكم تذكرون ولدي اللذين انجبتهما من الامبراطور اسحق »؟ثم عرضت امامهم ولديها ، فرد عليها واحد من عقلاء المدينة بقوله :« نعم نحن نعرف حق المعرفة انك كنت زوجة الامبراطور اسحق ، وان هذين ولداه » فقال الماركيز : حسنا ، فلماذا اذن لاتعينون واحدا من هذين الغلامين سيدا عليكم ؟ فرد عليه الرجل : سأبين لك السبيل ، ينبغي عليكم الذهاب الى القسطنطينية ، وتتويجه فيها ، حتى اذا قعد على عرش القسطنطينية ، وعرفنا ذلك ، وقتها نتصرف حسبما يحتم علينا الواجب ان نفعل .

٢١٧ ـ وفيما الماركيز مشغولا بهذا العمل كان الامبراطور قد ذهب الى سالونيك والقى عليها الحصار ، وكان الجيش يعاني من شح بالخبز ليس لديه مايكفي اكثر من مائة رجل منه ، لكن وجدت وفرة باللحم والنبيذ ، ومهما يك من امر ، لم يطل حصار

الامبراطور للمدينة ، اذ مالبثت ان استسلمت له ، فتوفر لديه ماكان الجيش بحاجة اليه من طعام وشراب ولحوم ، ثم خلف بها حامية مناسبة ، وقرر عدم متابعة اعمال توسعه بل أن يعود الى القسطنطينية .

٢١٨ - ونزلت بالجيش مصيبة كبيرة حزن لها حزنا عظيما ، فقد مات مولاي الكونت بيتر الدمياني ، وكان رجلا طيبا ، وقد وافاه اجله وهو على طريق العودة في مدينة اسمها لابلاندش ، وهي مجاورة لمدينة فيلبه التي ولد فيها الاسكندر ، هذا ومات ايضا في هذه الرحلة خمسون فارسا .

٢١٩ - وبينما كان الامبراطور عائدا ، عرف بما قام به الماركيز ، بالاستيلاء على احدى مدنه غدرا ومركزته حامية من رجاله فيها ثم حصاره لمدينة ادرنة ، وبعدما عرف الامبراطور بهذا ومعه بارونات الجيش غضبوا جميعا اشد الغضب وتألموا كثيرا فوجهوا انذارا الى الماركيز واتباعه ، انهم سيبيدونهم عن بكرة ابيهم ، ولن يتركوهم احياء مالم يرعووا وينضموا اليهم بعدما يثوبوا الى رشدهم .

٢٢٠ - وعندما عرف الماركيز ان الامبراطور هو على طريق العودة ، خاف خوفا عظيما واضطرب وتولاه القلق ، وشعر بمغبة مااقترفه ، والتبست عليه الامور ، واقدم اخيرا على مراسلة دوج البندقية والكونت لويس وبقية البارونات الذين مكثوا في البندقية ، يخبرهم انه يضع نفسه تحت حمايتهم ، وانه على استعداد - بوساطتهم - لاصلاح ماأحدثه من اضرار ، فهذه كانت الوسيلة المجدية امامه .

٢٢١ - وبعدما سمع الدوج والبارونات في القسطنطينية ، ان الماركيز يريد جادا اصلاح ذات البين بينه وبين الامبراطور بوساطتهم ، بعثوا اربعة من الرسل الى الامبراطور ، واعلموه ان

الماركيز قد التجأ اليهم راغبا بوساطتهم ، وتمنوا عليه الا يلحق بـه او برجاله اية اضرار .

٢٢٢ ـ وعندما اطلع بارونات الجيش وفرسانه على محتوى هذه الرسالة ، أجابوا أن مامن احد يمكنه الحيلولة بينهـم وبين الحـاق السوء بالماركيز وفضح ماقام به هو ورجاله ، والفتك بهم إذا أتيحت لهم الفرصة ، ولم يقبلوا بمهادنة الماركيز إلا بعد وقـت ووسـاطات صعبة .

٢٢٣ ـ ثم عاد البارونات إلى الرسل فسألوهم عن الأحـوال في القسطنطينية وعن أحداثها ، فأعلموهم أن كل شيء فيها يسـير على مايرام ، وأخبروهم أيضا أنهم قد تقاسموا المدينة ومابقي فيها مـن ذخائر ، وهنا انبرى نحوهم الفرسان وفقراء أفراد الجيش قائلين : كيف فعلتم ذلك ، ومن الذي سمح لكم بتوزيع غنائمنا التي قـاسينا حتى حصلنا عليها ؟ فقد تحملنا المتاعب التي لاحصر لهـا وشـقينا كثيرا ، وبردنا وعطشنا وكابدنا من الحر والقر ، لقد استوليتم على حصصنا ، لقد غدرتم بنا وخنتونا ، لاشك أنكم خونة ، واندفع بعض القوم نحوهم وكلهم رغبة بالفتك بهم .

٢٢٤ ـ واخيرا تداول الأمبراطور مع قادة الجيش حـول هـذه المسألة ، وتناقشوا معهـم وحـاولوا إصـلاح ذات البين بقـدر المستطاع ، ثم عاد الجميع أدراجهم إلى القسـطنطينية ، حتـى إذا حلوا بها ، لم يتمكن أي واحد منهم النزول ببيته ، فقد انتزعت هـذه البيوت منهم أثناء غيابهم لأن المدينة أعيد تقسيمها ، واتخذ أخوانهم منازل لهم في أماكن جديدة ، وهكذا توجب عليهم إيجاد بيوت جديدة لهم في أماكن نائية بعد فرسخ أو فرسخين من الأماكن التي سكنوها قبل سفرهم .

٢٢٥ ـ وفاتني أن أقص عليكم خبر المحنة التـي تعـرض لهـا مولاي اللورد بطرس دي بـراشو ، فقـد حـدث أنه عندمـا كان

الامبراطور هنري في إحدى حملاته ، أغار يوحنا الوالاشي والكومان على الأراضي الأمبراطورية ، وعسكروا على مسافة فرسخين أو أقل من معسكر الامبراطور ، وكانوا قد سمعوا الكثير عن مولاي بطرس دي براشو وعن فروسيته وقوته ، فبعثوا إليه في أحد الأيام رسالة مع مجموعة من الرسل استزاروه فيها فقد أعلموه أن لديهم رغبة جامحة في التعرف إليه ومحادثته لبعض الوقت ، وأعطوه عهدا بالأمان ، وأجابهم مولاي اللورد بأنه يرحب بالالتقاء بهم في معسكرهم ومحادثتهم إن هم منحوه الأمان على حياته .

٢٢٦ ـ وبناء عليه بعث الوالاشيون والكومان رهائن معتبرة إلى معسكر الامبراطور لضمان سلامة عودة مولاي اللورد بطرس ، وامتطى اللورد بطرس جوادا مسطهما ، وانطلق وفي صحبته ثلاثة فرسان ، ولدى دنوه من معسكر الولاشيون عرف يوحنا الوالاشي بخبر قدومه فخف للترحيب به وسار معه عدد من كبار رجالات والاشيا ، وقد استقبلوه بحفاوة كبيرة ، وراحوا ينظرون اليه بتمعن ، فقد كان طويلا ممشوق القامة ، ثم اخذوا يتبادلون معه اطراف الحديث حول مختلف الامور حتى قالوا له في نهاية المطاف : ايها اللورد اننا معجبون بفروسيتك ايما اعجاب ، غير اننا نتساءل كثيرا عن الذي دفعكم الى القدوم الى هذه البلاد وغزوها مع انكم من بلاد بعيدة ، فهل ياترى ضاقت بكم ارضكم في بلادكم ولم تعد قادرة على استيعابكم وتأمين سبل العيش لكم ؟

٢٢٧ ـ فأجابهم مولاي اللورد بطرس : كيف تتساءلون عن هذا ، او لم تسمعوا عن الاستيلاء على طروادة العظيمة ، والحيلة التي اعتمدوها للاستيلاء عليها ؟ فأجابه الوالاشيون : نعم سمعنا بذلك ، ولكن هذا حدث منذ زمن بعيد ! فقال بطرس : لابأس ، لقد كانت طروادة ملكا لاجدادنا ، وكانوا الذين نجوا منهاقد مضوا الى بلادنا حيث نعيش ، ومن هذه البلاد قدمنا الان لنسترد ملك اجدادنا ، وبعد هذا استأذنهم بالانصراف وعاد الى المعسكر .

٢٢٨ ـ وعاد الامبراطور الى القسطنطينية ومعه البارونات ، وذلك بعد السيطرة على بلاد واسعة فيها قرابة ستين مدينة مع عدد كبير من القلاع والقرى ، وبعد العودة شرع القوم في تقسيم القسطنطينية ، فاختص الامبراطور بربع منها ثم تم تقسيم الثلاثة ارباع المتبقية مناصفة بين الحجاج والبنادقة .

٢٢٩ ـ ثم استقر الراي على تقسيم البلاد التي تم الاستيلاء عليها ، فنال كبار البارونات حصصهم اولا ، ثم تلاهم كبار القادة وهكذا ، ونال النصيب الاكبر من الارض اكبرهم ثروة ، فارفعهم مكانة ، واكثرهم اتباعا في الجيش ، وهكذا كانت حصة بعضهم اقطاع مائتي فارس ، وبعضهم الاخر مائة ، وفئة ثالثة سبعين ، فستين فاربعين فعشرين فعشرة اقطاعات ، ونال بعض ذوي المراتب الدنيا سبعة اقطاعات او ستة ، وساوت قيمة الاقطاع الواحد ثلاثمائة دينار من دنانير انجو ، وقيل اثناء التوزيع لكل واحد من اصحاب المراتب : انت قد خصصت بكذا وكذا من الاقطاعات وانت سهمك كذا وكذا ، وستوزع انت الاقطاعات على رجالك وعلى غيرهم ممن يرغب في استقطاعها منك ، واما انت فستتملك هذه المدينة وانت تلك المدينة ، وانت تلك ، وكذلك البلدان التابعة لها .

وبعد ماعرف كل واحد من البارونات والقادة نصيبه ، انطلق كل منهم نحو ماآل اليه لتفقد اراضيه ومدنه ومشاهدتها ، وكل اقام نوابه وقواته حتى اقتضى الحال .

٢٣٠ ـ وصدف في احد الايام ان مولاي اللورد ثيري اخو الكونت دي لوس كان مسافرا لتفقد ارضه ، فالتقى صدفة ، في احدى الممرات بمرزوفلوس الخائن ، ولاادري الى اين كان متوجها، وكان في موكبه عدد كبير من السيدات والفتيات وسواهن وكان راكبا في ابهة كبيرة وفخامة عظيمة وكأنه احد الاباطرة محاط بحاشية كبيرة من الاتباع ، فما كان من مولاي اللورد ثيري الا ان

قصد نحوه ، ونجح في اعتقاله بالقوة ، وبعدما بات اسيره حمله الى القسطنطينية ، وسلمه الى الامبراطور بلدوين الذي بادر فامر بالقائه بالسجن وتشديد الحراسة عليه .

٢٣١ ـ وبعد ما ألقي مرزوفلوس بالسجن بعث الامبراطور بلدوين بطلب جميع باروناته واعيان الناس الذين كانوا في القسطنطينية ، للقدوم الى القصر والاجتماع به ، وفي احد الايام جاءه دوج البندقية والكونت لويس ، وكونت سانت بول وسواهم ، وبعدما مثلوا بحضرته حدثهم الامبراطور عن مرزو فلوس ووصف لهم كيف تم القاء القبض عليه ، وانه الان موجود في سجنه ، وسألهم ماذا يرون بشأن تقرير مصيره ، فاشار بعضهم بشنقه ، واشار اخرون بسحله في الطرقات ، ثم تكلم دوج البندقية وقال : ان مرزو فلوس اعظم من ان يموت شنقا ، ولابد ان يتناسب قرار الاعدام مع مكانة الرجل ، وبناء عليه اقترح عليكم ان يكون اعدامه وفق مايلي : في المدينة صومعتان عاليتان يبلغ ارتفاع كل منهن ثلاثمائة قدم او ثلاثمائة وستين ، وماعلينا الا ان نحمله الى قمة احداهن ومن ثم نقذفه الى الارض .

٢٣٢ ـ وكنت قد حدثتك من قبل عن هاتين الصومعتين ، حيث اعتاد الرهبان النساك الاقامة على قمتيهما ، وانه قد كتب على جدرانهما احداث القسطنطينية .

ووافق البارونات على اقتراح الدوج ، وحملوا مرزوفلوس الى واحدة من الصومعتين ، وارغموه على تسلقها بوساطة السلم الذي بداخلها ، حتى اذا وصل الى القمة قذفوا به نحو الارض فتحطم كليا ، وبهذه الصورة جرى الانتقام من مرزوفلوس الخائن .

٢٣٣ ـ وبعدما تم توزيع الاقطاعات حسبما حدثتك ، اخذوا يعملون على اصلاح ذات البين بين الامبراطور والماركيز ، واحلال السلام بينهما ، وقد اشتد لوم بعضهم للامبراطور لعدم دعوته كبار

البارونات لمساعدته في حل المشكلة التي تفجرت بينهما ، ومجددا طلب الماركيز مملكه سالونيك ، فمنحه الامبراطور اياها ، وبعد مانالها مضى اليها واصطحب معه زوجته وجميع رجاله ، وتسلمها من حاميتها وصار ملكا عليها .

٢٣٤ ــ ثم طلب مولاي الكونت هنري ــ اخو الامبراطور ــ لنفسه مملكة اندرميت ، الواقعة وراء مضيق البوسفور ، وذلك في حال تمكنه من الاستيلاء عليها ، فاستجاب الامبراطور لطلبه وبناء عليه قصدها مولاي الكونت هنري ومعه جميع رجاله ، وتمكن من الاستيلاء على جزء كبير من تلك المنطقة .

ثم طلب مولاي الكونت لويس مملكة لنفسه ، فاستجيب لمطلبه ، وكذلك فعل مولاي كونت سانت بول .

٢٣٥ ــ وبعد هذا طلب مولاي الكونت بطرس دي براشو اقطاعه مملكة كانت اراضيها في ايدي المسلمين ، ووقعت قرب قونية ، وذلك في حال تمكنه من الاستيلاء عليها ، فاجيب مطلبه ، وهكذا توجه اليها ومعه جميع رجاله واستولى عليها واصبح ملكا عليها .

٢٣٦ ــ وهكذا طلب اغنياء البارونات وكبار القادة ــ اسوة بغيرهم ــ ممالك لانفسهم من الاراضي التي لم يكن قد تم الاستيلاء عليها بعد ، واستولى دوج البندقية والبنادقة على جزر كريت وكورفو ومودون وذلك بالاضافة الى مارغبوا بحيازته وتملكه ، ثم مالبث ان اصيب الجيش بفاجعة وخسارة كبيرة جدا وذلك بموت كونت سانت بول .

٢٣٧ ــ وبعد امد تمردت مدينة ادرنة على الامبراطور ، وكانت ادرنة احدى المدن التي استولى عليها الامبراطور ، وبعدما وقف على اخبار تمردها راسل دوج البندقية وطلب منه ومن كونت لويس وبقية البارونات تقديم العون له في استردادها ، واعلمهم انه عازم

على الزحف ضدها ومحاصرتها ، ورد عليه البارونات بالايجاب وابدوا استعدادهم عن طيب خاطر لمساعدته ، وهكذا تأهب هو وهم ومن ثم زحفوا ضدها ، وعندما وصلوا اليها القوا عليها الحصار ، وفيما هم معسكرون امامها اذا بهم يفاجئون في احد الايام برؤية يوحنا الوالاشي والكومان في جيش جرار ، قد زحفوا باتجاه القسطنطينية مثلما كانوا قد فعلوا من قبل ، وقد وجد هؤلاء الامبراطور وجيشه معسكرين امام ادرنة .

٢٣٨ ـ وعندما رأى رجال الجيش الكومان وقد تدثروا بجلود مواشيهم ـ لم يعبأوا بهم واستخفوا بهم ، ولم يخافوا منهم ، ولم يقيموا لهم اعتبار اكبر مما يعطى لفرقة من الصبيان غير أن الذي حدث هو ان هؤلاء الكومان ،أو بالحري هذا القطيع ، انقضوا بسرعة خاطفة على الفرنجة ، فقتلوا عددا كبيرا منهم وهزموهم جميعا في هذه المعركة ، وفي تلك الاثناء بحث القوم عن الامبراطور فلم يقفوا له على اثر ، ولم يعرف احد المصير الذي آل اليه ، كما وفقد ايضا الكونت لويس وكثيرون غيره من اعيان الرجال ومعهم حشد كبير لانعرف عدده ، علما ان عدد الفرسان الذين هلكوا كان ثلاثمائة .

٢٣٩ ـ وفر الذين نجوا من القتل الى القسطنطينية ، وفر ايضا دوج البندقية وفر معه كثيرون تخلوا عن معسكرهم واسلحتهم ، وتركوها كما هي امام المدينة ، لانهم لم يتجرأوا على الفرار عبر الطريق المار امام المدينة .

وكان عدد الذين هلكوا كبيرا ، وهكذا انتقم الرب من البارونات والقادة لسوء نواياهم ولتجبرهم ، وللمعاملة الخيانية التي عاملوا بها فقراء الجيش ، وللاثام المدمرة التي اقترفوها في المدينة بعد الاستيلاء عليها .

٢٤٠ ـ وبعدما فقد الامبراطور في هذه المعركة ، استولى

اليأس على البارونات ثم انهم اجتمعوا بعد ذلك في احد الايام وتشاوروا حول اختيار امبراطور جديد ، ثم بعثوا خلف مولاي الكونت هنري اخي الامبراطور ، لتنصيبه امبراطورا خليفة لاخيه ، وكان الكونت هنري موجودا في ارضه التي استولى عليها فيما وراء مضيق البوسفور .

٢٤١ ـ وحين اطلع دوج البندقية ومن معه من البنادقة على رغبة البارونات بتتويج مولاي الكونت هنري امبراطورا ، تحفظوا تجاه العملية ، ولم يعلنوا عن موافقتهم حتى شري رضاهم فحصلوا على ايقونة رفيعة لمولاتنا العذراء ، وكانت هذه الايقونة ثمينة وفوق كل تقدير ، وكانت كلها محلاة بالجواهر الثمينة ، ويقول الاغريق انها اول ايقونة صنعت لمولاتنا ، وكان لهم اعتقاد هائل بقداستها ، ولذلك كانوا لايعدلون بها شيئا مهما كان ، واعتادوا على اخراجها والسير بها في موكب كل يوم احد من كل اسبوع ، فكانوا يتعبدونها ويقدمون اليها المنح الغالية .

٢٤٢ ـ اذن لم يوافق البنادقة على تتويج مولاي الكونت هنري امبراطورا الا اذا نالوا هذه الايقونة ، ورضخ القوم واعطوهم اياها ، وهكذا امكن تتويج مولاي الكونت هنري امبراطورا ، وبعد هذا تذاكر هو والماركيز ملك سالونيك واتفقا على ان يزوجه الماركيز ابنته ، وبالفعل تزوج منها ، غير ان هذه الامبراطورة لم تعمر طويلا ، بل توفيت بعد امد قصير .

٢٤٣ ـ وعاث يوحنا الوالاشي واصحابه الكومان فسادا في اراضي مملكة سالونيك التي كانت تابعة للماركيز ، وحاول الماركيز التصدي لهم وحاربهم ، فقتل في المعركة وهزم رجاله ، ومن ثم زحف الكومان ومعهم يوحنا الوالاشي ضد سالونيك وحاولوا الاستيلاء عليها ، ونصبوا الاتهم ضدها ، لكن ارملة الماركيز تولت الدفاع عن المدينة ومعها الفرسان وبقية الناس .

٢٤٤ ــ وكان في هذه المدينة جثمان مولاي القديس ديمتري ، وكان حاميا للمدينة لم يسمح قط بالاستيلاء عليها قسرا ، وهكذا طفح جسده بكميات كبيرة من الزيت ، وكان ذلك معجزه كبرى ، ثم انه فيما كان يوحنا الوالاشي نائما ذات صباح في خيمته جاء القديس ديمتري وطعنه في جسمه بحربة فقتله ، وعندما علم اتباعه والكومان بخبر مقتله قوضوا خيمهم وازالوا معسكرهم وكروا راجعين الى بلادهم ، والت المملكة بعده الى ابن اخيه واسمه بوريس ، فجرى تتويجه ملكا على والاشيا ، وكان لهذا الملك ابنة جميلة .

٢٤٥ ــ ولقد كان الامبراطور هنري امبراطورا صالحا طيبا ، لهذا شرع بالتشاور مع البارونات حول افضل السبل للتعامل مع الوالاشيين والكومان ، فقد ثابروا على شن الغارات على امبراطورية القسطنطينية ، فضلا عن انهم هم الذين قتلوا اخاه الامبراطور بلدوين ، واشار عليه البارونات ان يراسل بوريس ملك والاشيا الجديد ، ويخطب اليه ابنته للزواج منها ، ورفض الامبراطور هذا الاقتراح ، وبين انه لن يتزوج من فتاة لها مثل هذا الاصل الوضيع ، وتمسك البارونات باقتراحهم وقالوا : المصلحة تقضي ان تقوم بهذا يامولانا ، واننا نلح عليك أن تعقد السلم معهم فهم اقوى الشعوب واعنف اعداء الامبراطور وبلادها .

٢٤٦ ــ وطالت المداولات والمناقشات مع البارونات حول هذا الموضوع ، واخيرا استجاب الامبراطور وبعث بفارسين من اعيان رجالاته الى الوالاشيين بعدما البسهما افخم الثياب ، وعندما وصلوا الى هناك اراد القوم الفتك بهما ، غير انهما تمكنا من الاجتماع بالملك بوريس ، وتحدثا اليه ، فاستجاب واخبرهما انه سيرسل ابنته الى الامبراطور بكل سرور .

٢٤٧ ــ ثم جهز الملك بوريس ابنته افضل جهاز ، وزودها بأجمل الملابس ، وانفذ معها حاشية كبيرة ، ثم بعث بها الى الامبراطور ، وامر ان يسير بركابها ستين فرسا حملت بالكنوز

القاهرة من الذهب والفضة والحرير والجواهر الثمينة ، وجلل كل واحد من الخيول بالسندس الارجواني الطويل الذي ينسحب مسافة سبعة اقدام او ثمانية وراءه ، ولم يحدث قط ان سارت الخيول في طرق موحلة وصعبة كالتي ساروا عليها نحو القسطنطينية ، ومع ذلك لم يتمزق اي ثوب من ثياب السندس ، بل وصلت كلها رائعة وبهية .

٢٤٨ ـ وعندما علم الامبراطور ان العروس باتت على مشارف القسطنطينية خرج لاستقبالها ومعه البارونات ، وقد رحبوا بها وبمن قدم معها اجمل ترحيب ، ثم تزوج الامبراطور منها .

وبعد امد قصير تسلم الامبراطور دعوة للسفر الى سالونيك للقيام بتتويج ابن الماركيز ملكا عليها ، واستجاب للدعوة وذهب الى سالونيك ، لكن بعدما فرغ من اعمال التتويج نزل به المرض ، فمات هناك مما احدث خسارة فادحة جدا ، واثار حزنا كبيرا

٢٤٩ ـ لقد اسمعتكم الصدق حول كل ماتعلق بالاستيلاء على القسطنطينية ، وحول اختيار بلدوين كونت فلاندرز امبراطورا لها ، ثم تتويجه عليها ، ومن بعده اخوه مولاي هنري .

ولقد شهد ذلك كله ، وسمع بكل ماجرى ، الفارس روبرت دي كلاري ، فهو كان حاضرا انذاك ، وقد املى الصدق حول الاستيلاء عليها .

٢٥٠ ـ ومع ان روبرت لم يتفنن في رواية احداث هذا الاستيلاء ، مثلما يفعل الراوي البارع ، غير انه تمسك بقول الصدق ولم يحد عن ذلك ابدا ، علما ان هناك كثيرا من التفاصيل والوقائع التي غابت عن ذهنه ولم يعد يتذكرها جميعا .

تاريخ المورة

الصليبيون كغزاة

رواميز

هـ = (نص كوبنهاغن من الحولية اليونانية)
ك = ب. كالونارس (النص المحقق من الحولية اليونانية)
ل = الترجمة الفرنسية للحولية تحقيق جين لوغنيون
ل.ف= الترجمة الارغوانية للحولية تحقيق ـ الفريد موريل
-ل.غ =ج . لوغنيون «الامبـــــــــــــــراطورية اللاتينية في القسطنطينية »
م = . ميلك اللاتين في المشرق
ب = (نص باريس من الحولية اليونانية)
س .=ج .شميت حولية موريا (النص المتحقق من الحــولية اليونانية)
ز = د .ز اكيسنيوس
أنظر ثبت المصادر من أجل التفاصيل الكاملة حول هذه الكتب

مدخل

مختصر تاريخي

في صباح ١٣ نيسان ١٢٠٤ وجد فرسان الحملة الصليبية الرابعة أنفسهم وقد استولوا على مدينة القسطنطينية وللمرة الثانية خلال عام انحنت هذه الدرة العظمى للنصرانية لغزاتها الأول ، ولثلاثة أيام نهبت المدينة دون رحمة ، ولكن في يوم أحد عيد الفصح ٢٥ نيسان تمت استعادة بعض مظاهر النظام ، وحتى بينما كان صدى الأناشيد الدينية المهيبة ما يزال يحلق فوق الكنائس الرومية ، يعلن للجماهير المذهولة نظاما جديدا وكنيسة أعيد توحيدها ، تحول قادة الحملة الصليبية الى المشكلة المعقدة ، مشكلة تنظيم امبراطوريتهم الجديدة.

ففي آذار كان قد اجتمع قادة الحملة الصليبية: بونيفيس ماركيز مونتفرات وبلدوين كونت فلاندرز وكونتابلوا وسانت بول مع حلفائهم البنادقة ، لتحديد استراتيجية الهجوم وتقسيم الغنائم. وتقرر أن تعطي الامبراطورية التي تم كسبها مجددا لامبراطور ينتخب من بين مرشحين مقترحين من قبل الصليبيين والبنادقة ، وأن تعطى البطركية وكل ممتلكاتها للخاسر ، وكان من المقرر أن توزع الأسلاب بالعدل حسب المنزلة ، وأن ربع الامبراطورية يعطي للامبراطور ، وان تقسم البقية بالتساوي بين البنادقة والصليبيين ، وإن تعين الاقطاعات : نصف من الأراضي التي سلف أخذها ونصف من الأراضي التي سيتم الاستيلاء عليها. وقدمت هذه المعاهدة للبابا أنوسنت الثالث للموافقة ، وقد وافق عليها وقبل شروطها على مضض.

وحالما اجتمعت اللجنة لانتخاب الامبراطور ظهرت الشرذمة

والأهواء المتضاربة التي سببت النزاع بين جيوش الحملات الأولى ، وبعد جدال نشط ، انتخب بلدوين كونت فلاندرز امبراطورا لتسكين الحساسيات الثائرة ، وللمحافظة على السلام بين الصليبيين ، وكما خطط ، آلت البطركية وكل ممتلكاتها للبنادقة ، الذين عهدوا بها الى أحد ارستقراطيهم واسمه توماسو موروزيني ، دون أي استشارة للبابا ، الذي شعر برعدة فورية من الخوف ، وفي الاستهلال الأول لها رسخت امبراطورية القسطنطينية اللاتينية في حينهنمط الخلاف ، والطموحات المتنافسة التي كان لها أن تشكل ضعفها الدائم ، ولكن أي نذر كانت سرعان ماضاعت في الاثارة العامة عند تقسيم الاكوام المذهلة من الغنائم ° وقد وزعها الامبراطور بالعدل ، ثم قام بمسح دقيق لأراضي الامبراطورية من أجل اجراء توزيع عادل للاقطاعات °

وفي هذه الأثناء تزوج بونيفيس من ماري أخت ملك هنغاريا ، وكانت أرملة شابة للامبراطور البيزنطي المتوفي اسحق انجيلوس وقد طلب من الامبراطور أن يستبدل أراضيه التي لم تكن أخذت بعد في الأناضول بمملكة سالونيك ، سواء لأنه كان يرغب في أن يكون أقرب الى أخي زوجته ، الذي قد يحتاج لمساعدته ، أم لأنه كانت لديه طموحات خاصة في إقامة مملكة البلقان. وكان بلدوين متشككا ولكنه أجرى الاستبدال ، وقسمت بقية الامبراطورية بشكل عادل ، وخصصت الاقطاعات ، وبناء عليه اندفع الجميع للاستيلاء على أراضيهم الجديدة وسار المركيز نحو الغرب مع عدد كبير من الاتباع من أفضل قوات الجيش.

وبالاضافة لاتباعه من جنوب ايطاليا ، اجتذبت منزلته وسمعته في الشجاعة الألمان مثل الكونت بيرتولد كانزينولبوغن والبورغانديين مثل غوليوم دي شامبليت ، وأثون دي لاروش ، والبروفنساليين ، وحتى من الفلمنك ، والفرنسيين مثل جاك دي أفنس ، وتوماس دي اوترمنكورت ، واضافة لذلك كان له اتباع من الروم البيزنطيين بينهم ابن عم للبيت البيزنطي المالك القديم ، ميكائيل كومينوس

دوكاس ويبدو أن المركيز كان معجبا تماما بـه ويضـع فيه ثقـة عظيمة ، ولكن بأسرع ما امكنه فـر ميكائيل وشـق مـع أخيه ثيودوروس طريقه الى ابيروس حيث نظم الاغريق المحليين والألبان والفلاش مركزا للمقاومة الأغريقية في الغرب ٠

ووصل المركيز الى سالونيك بلا أي متاعب ، وفي الواقـع لقـي تحية وترحيب وفرح في كل مكان من قبل الاغريق ، وقد ترك زوجتـه تتولى الدفاع عن المدينة وأخذ معه ابنها من زواجها السـابق الأمير الشاب مانويل وبدأ رحلة منتصرة نحو الجنوب ، وهو يبرز الشـاب في كل مكان ، وجرت له تحية حماسية في مقدونية ، وتيسلي ، كبطل عائد تقريبا وقد بايعته مـدن فيل أوف تـامب ، ولاريسـا ومـدن أخرى ، ولم يلق مقاومة حتى بلغ تيرموبيلي ، ويكمن تفسير هـذا التنقل الرائع لحقيقة أنه حتى قبل أن تسقط الحـكومة البيزنطية في أيدي اللاتين كانت قـد فقـدت الى حـد كبير سـيطرتها على اليونان ، وقد استولى الأمراء الصغار ، والقـراصنة ، والحـكام المحليون ، وبعض العـائلات الاقـطاعية الكبيرة على البـلاد واحتجزوها لأنفسهم وسـحقوا أهـل المدن والمزارع تحـت عبء لا يطاق من الابتزاز ، وكان سقوط المدينة الاشارة لتدافع مجنون بين هؤلاء القادة الصغار ، ولا عجب أنه لم تكن هناك ارادة لمقاومة غاز آخر ، وفي الواقـع أن أهـل الأرض رأوا في اللاتين تحـولا ممـكنا للأفضل ، وكان أحد القادة الطغـاة الصـغار الذين اسـتولوا على السلطة اسمه ليون سغوروس ، وكانت ممتلكاته الاسـاسية حـول مدينة نوبليا ولكنه توسع في اتجاه الشـمال حتـى أرغوس وكورنث فيما وراء اثينا حيث أبدى المطران ميكائيل كونياتيس مقاومة عنيدة جدا حتى طيبه ولاريسا ، ومع تقـدم بونيفيس انسـحب ليون الى الجبال حول تيرموبيلي ليسد المدخل الى وسـط اليونان ، وعندمـا انهارت معنوياته هرب الى كورنث ليحمي المدخل الى البلوبونيز. أما المركيز الذي تتبعه بروية فقد لقي ترحيبا من طيبه وبـوويتيا ، ولم تكن أثينا كريمة جدا ولكنها لم تبـد مقـاومة ، وسـقطت يوبيا دون ضربة واحدة ، وفي النهاية وصل الى كورنث وحاصر سـغوروس في

معقل اكروكورنث ، حيث بني قلعة صغيرة تدعى مونت اسكوفيه للتحكم في العملية ، وبترك جاك دي أفنس مسؤولا عنها تقدم عندئذ جنوبا واحكم الحصار على نوبليا ، وكان حدث في هذا الوقت أن تلقى زيارة غير متوقعة كان لها أن تقرر تاريخ اليونان للقرنين التاليين.

وذهب جيوفري دي فيلهاردين ، ابن أخي مارشال شامبين ومؤرخ هذه الحملة الصليبية مباشرة الى سورية ولم يشترك في الهجوم على القسطنطينية ، ومثل الآخرين ممن فعلوا الشيء نفسه ، حالما سمع بتأسيس الامبراطورية اللاتينية أبحر الى القسطنطينية ، أملا أن يجد حظه. ودفعت الرياح المضادة بسفينته نحو الغرب وكان عليه أن يجد ملجأ في ميناء مودون وفي جنوب البلبونيز حيث تم الاتصال به وبرفاقه من قبل حاكم محلي اغريقي رغب في استخدام هذه القوة غير المتوقعة في توسيع اراضيه وأدت الفائدة المأمولة بجيوفري الى الانضمام الى الاغريقي ، حيث غزوا معا كل غرب البلبونيز حتى باتراس في الشمال ، ويجب ملاحظة أن تلك الأراضي كانت قد خصصت من قبل للبندقية ، وعند هذه المرحلة توفي الاغريقي ، واغلق ابنه – القليل الثقة باللاتين – كل المدن في وجوههم وحرض الاغريق ضدهم ، وإذ وجد نفسه في أراضي معادية ، ولسماعه بوصول بونيفيس الى البلبونيز ركب جيوفري في مخاطرة عظيمة عبر شبه الجزيرة الى نوبليا لالتماس المعونة وسر المركيز برؤيته ودعاه لينضم الى جيشه ، ولكن جيوفري وجد صديقا قديما ، هوغوليوم دي شامبليت في الجيش فاقنعه بالحاح بالعودة الى الغرب لغزو المورة ووعده بان يكون الرجل التابع له في أي أرض قد يخصصها غوليوم له.

وبناء عليه ، وبينما كان جاك دي أفنس في كورنث والمركيز في نوبليا ، بدأ الرفيقان مع نحو من مائتي فارس وأربعمائة من المشاة مغامرة مدهشة في غرب البلبونيز وبدون أي أزعاج استوليا على أقليم بعد أقليم ومدينة بعد مدينة ، حتى وجدا نفسيهما في أقصى

الجنوب في مودون ، فحصنا المدينة وشقا طريقهما في المناطق الجبلية لمسينيا ، وأركاديا ، ولاقونيا .

وباختصار سقطت في أيديهما كل شبه الجزيرة تلقائيا وقاما بتقسيم كبير للأرض.

وأوجدا أثنتي عشرة اقطاعية كبيرة ، عينت للبارونات ، وخصص لكل واحد من هؤلاء التابعين ، والفرسان ، والمشاة ، وأعطي لكل منهم اقطاعية. وأعطيت المراتب الدينية : الاستباريه والداوية والاساقفة أراضي ، ومن أجلها كانوا مدينين بالخدمة العسكرية ، ولكن ليس بمهمة الحاميات ، وفي الواقع كانت الأرض كلها على قدم الاستعداد للحرب ، وكان ينتظر من الاتباع أن يؤدوا الخدمة العسكرية على مدار السنة ، أربعة شهور في الميدان ، وأربعة شهور في مهام الحاميات ، وأربعة شهور في بيوتهم تحت الطلب ، حيث أنه لم يكن بمقدور أحد أن يترك الأرض دون أذن ، وحتى أصحاب المقام الرفيع من الاغريق كان لهم مكان في النظام الاقطاعي والذين خضعوا احتفظوا بأراضيهم وكان لهم مثل الفرنجة الحقوق والواجبات نفسها ، وبقيت الترتيبات مع الفلاحين في الأرض دون تغيير ، ولكن في الواقع تحسنت الظروف بالنسبة لهم مع استعادة السلام والنظام وتوقف الابتزاز الساحق لحكام الاغريق وصفاتهم . وضمن اعتدال وتسامح الأمراء الفرنجة الجدد تأييد الاغريق ، مما جعل الاستيلاء أسهل وحقق الرخاء العام ، وحمل الحاكم الجديد للأرض كلقب رسمي له اللقب المميز ، أمير آخيا ، ولكنه شعبيا كان يسمى أمير المورة ، حيث كان لقب أمير غير عادي في العصور الوسطى ، وفريد في الامبراطورية اللاتينية ، وملك الأمير وباروناته أراضيهم بحق الاستيلاء ، ولكن من الناحية الفنية ، طلب غوليوم دي شامبليت الأذن من المركيز دي مونتفرات ليمضي في مغامرته ، ويبدو أن الأذن قد رسخ نوعا من السيادة على المورة *

وكان المركيز في هذه الأثناء يقيم النوع نفسه من النظام في كل اليونان ، فأعطى اثينا لأوثون دي لاروش الذي أخذ لقب دوق اثينا ، ولكن كان الشائع تسميته من قبل الاغريق بالسيد العظيم ، وأعطيت طيبه في البداية لايطالي يدعى البرتينو دي كانوسا مع أنها سرعان ما نقلت الى أوثون ، الذي اضافها الى اقطاعيته ولقبه ، وذهبت تيرموبيلي الى نبيل ايطالي آخر هو المركيز غويدو بيلافسينو واصبحت مركيزية بودونيتزا الشهيرة. وأعطيت الأراضي حول دلفي ، الممتدة الى خليج كورنث ، إلى توماس دي أوترمنيكورث الذي أسس إمارة سالونا هناك ، وأكمل تخصيص يوبوا أولا لجاك دي افنس ، ثم لرافان دال كارسيري وهو نبيل من فيرونا وبهذا أكملت الترتيبات بالنسبة لليونان المركزية ، وقسم شمال اليونان مثل ذلك بين الاتباع الكثيرين للمركيز ، مع أن كثيرا من المدن بقيت له كقلاع ملكية ، ومن الغريب أنه لم يأخذ لقب ملك ، وكان يدعى أمير مملكة سالونيك أو ببساطة ماركيز مونتفرات.

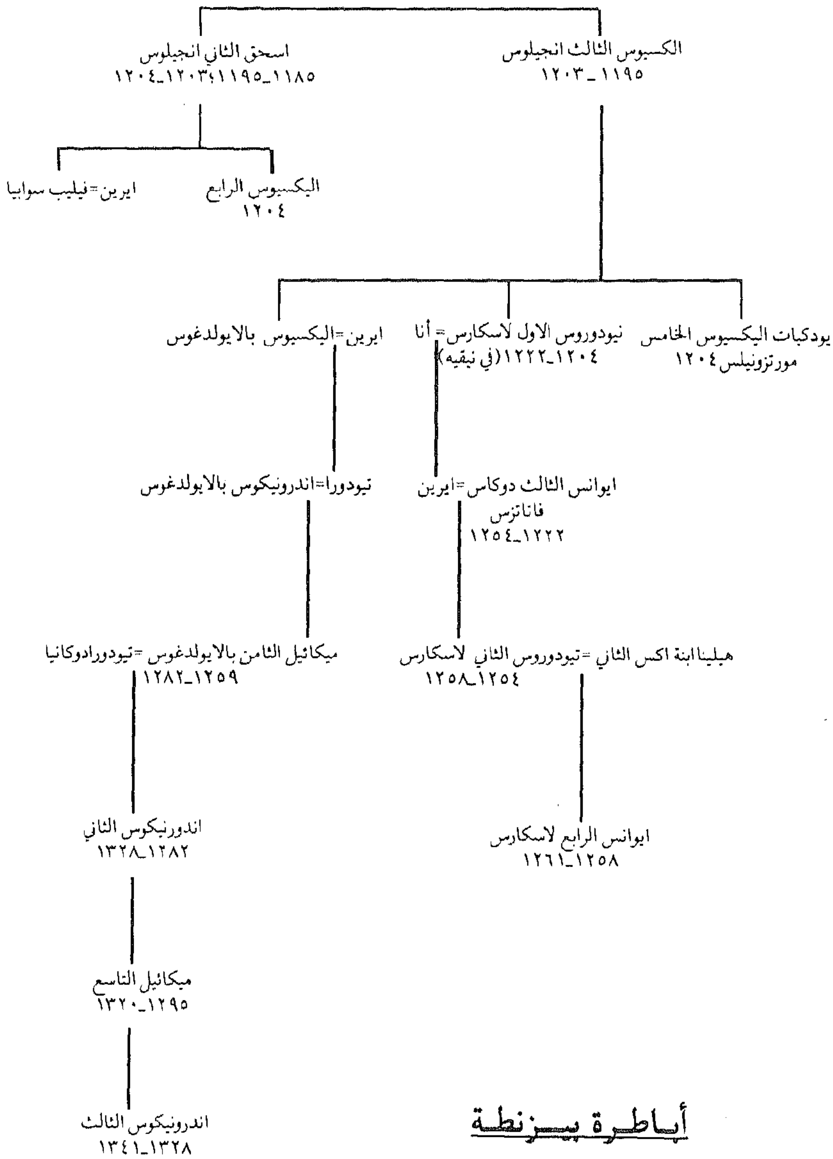
وبينما تم تنظيم القسم الغربي من الامبراطورية ، بدأت البندقية باحتلال النقاط التي اختارتها لنفسها على طول سواحل اليونان وعلى جزر البحر بين الايوني والايجي وأما ما حدث لبلدوين فإنه ما أن توج في ابهة في كنيسة الحكمة المقدسة (آيا صوفيا) حتى قاد حشدا من الصليبيين الى الاناضول. وكانت مقاومة الامارات الاغريقية الصغيرة في المنطقة قد ذابت امام التكتيكات المتفوقة والتصميم للفرسان الغربيين. وبدأ مركز رئيسي للمقاومة الرومية على أي حال يتشكل حول تيودور لاسكارس ، وهو صهر الامبراطور الكسيوس الثالث وبطل الدفاع عن القسطنطينية ، وقد أقيم قرب نيقية وشرع المطارنة الأغريق وأصحاب المقامات الرفيعة في الانضمام إليه هناك .

وما أن قسمت الأرض بين اللاتين حتى قامت مشكلة التنظيم ، ولو أن مثال الفرنجة في المورة في تعاملهم مع الأغريق قد اتبع لسار كل شيء بشكل جيد ، ولكن لسوء الحظ أن الأمبراطور بلدوين قد

أخفق تماما في تطوير سياسة قابلة للتطبيق على رعاياه من الأغريق . وقد أدى تعاليه الطبيعي وترفعه به إلى رفض كل عروض المساعدة من نبلاء الاغريق ، وإلى رفض إشراكهم في البيئة الاقطاعية اللاتينية للدولة . وقد أصبح هؤلاء النبلاء الساخطون نواة المقاومة الأغريقية ، وبحثوا عن المساعدة من المركزين الأغريقيين الحرين في ابيروس ونيقية ، لابل إنهم حتى تطلعوا إلى أعدائهم القدامى البلغار من أجل التحرير .

أما بالنسبة للسواد الأعظم من الناس فقد اتخذوا في البداية موقفا أكثر مودة نحو اللاتين .

ومعهم أبدى بلدوين تفهما أكثر ذكاء وسماحة بجعل الأحوال في الأراضي تستمر دون تغيير هام ، ولكن هنا أيضا ثارت روح المقاومة الاغريقية في أعقاب محاولات النظام الجديد فرض اتحاد بين الكنيستين . وكان الأغريق قد حددوا من قبل حرياتهم الفردية والدينية مع طقوس كنيستهم ، ومع أن الأساقفة والمطارنة قد هربوا من مراكزهم في وقت الغزو فإن أعضاء المراتب الدنيا في الأكليروس بقوا ، وحاول اللاتين وضع هؤلاء تحت السيطرة الرومانية ، واعترف البابا بحساسية المشكلة ، وكان الأمبراطور أحيانا يفعل ذلك ، ولكن الاغريق قاوموا بشكل متزايد كل العروض المقترحة . وتمسكوا بكنيستهم بحماس عنيد وتطلعوا بشوق إلى مصادر التحرير نفسها التي اجتذبت زعماءهم . وتفاقمت الحالة بسبب نقص البراعة الشخصية والتكتيك من جانب كثير من الصليبيين ولاسيما البنادقة ، الذين أخذوا أبرنة كجزء من حصتهم من الامبراطورية وقد قامت هناك ثورة في شباط ١٢١٥ ، وبسرعة سقط معظم تراقية في أيدي المتمردين الأغريق . ومع تقدم الأمبراطور باتجاه الغرب مع جيش ضعيف بشكل قاتل كان مكونا في غالبيته من أتباعه الذين دعوا من أراضيهم في آسية الصغرى ناشد الاغريق كالوجان قيصر البلغار وطلبوا منه المساعدة .



أباطرة بيزنطة

وكان هذا الزعيم البلغاري قد سعى قبل الحملة الصليبية الرابعة للتخلي عن الولاء للأمبراطور البيزنطي واتجه نحو البابا من أجل المساعدة ، وبعد اتصالات مطولة مع أنوسنت الثالث الذي كان يأمل في اختراق البلقان وفتح طريق جديد إلى سورية من أجل الحركة الصليبية ، تم التوصل إلى اتفاقية في ١٢٠٣ وبنصوصها جعل رئيس أساقفة لاتيني ، كبير أساقفة لبلغاريا في أيلول ١٢٠٣ وفي شباط ١٢٠٤ اعترف البابا بكالوجان ملكا للبلغار والولش وبروح هذا التفاهم عرض كالوجان خدماته فيما بعد على الصليبيين في غزوهم للأمبراطورية ، ورفضوا عرضه بطريقة متعالية بشكل مميز وقاسية وبمعاملته كتابع ، طالبوه بالبيعة للأمبراطور عن أراضيه ، وفي ثورة الغضب تخلى كالوجان عن صداقته للاتين وأصبح عدوهم الحاقد ، وكان هذا الرجل هو الذي جاء الآن لمساعدة الروم مع جيش كبير ضم بين قواته مايزيد عن ١٤,٠٠٠ من المرتزقة الكومان .

والتقى الجيشان قرب أدرنة ، وغلب اللاتين ، وأسر الأمبراطور وتوفي مؤخرا بشكل غامض في السجن . وتسللت بقايا القوات عائدة نحو العاصمة ، حيث تولى رئاسة الدولة أخو بلدوين هنري دي هينوت .

وكان حكم هنري / ١٢٠٦ ــ ١٢١٦ / حرجا بالنسبة لبقاء الامبراطورية ، حيث دمرت تراقية كلها بشكل متكرر من قبل البلغار ، وهجر الأناضول أمراؤها اللاتين لتسقط قطعة وراء قطعة في يد لاسكاريس،وكان موقف هنري يائسا ، ففي الشرق تحالف مع الأغريق الذين وطدوا أنفسهم في بافلاغونيا وطرابزون تحت قيادة اثنين من أبناء الأمبراطور السالف أندرونيكوس وحتى مع الأتراك مشكلين قضية مشتركة قلقة ضد العدو المشترك / لاسكاريس / وكان مركزه في الغرب يتحسن نوعا ما بفعل البنادقة ، الذين بدأوا الآن يضطلعون بالسلطة على أراضيهم بجد ، وقد خففوا من مراكز المقاومة بلا هوادة على طول الساحل الأغريقي ، وتابعوا قتالهم ضد

الاغريق ، والقراصنة ، وشملوا شامبليت نفسه في هذه العملية ، وارسلوا الأساطيل والجيوش إلى الجزر الأيونية ، وحشود من البنادقة لتهدئة كل الجزر الايجية ، وقدم رافان دال كارسيري البيعة للبندقية عن جزيرته يوبوا ، وتم غزو كريت التي اشترتها البندقية من بونيفيس دي مونتفرات . وفي اليونان شق بارونات المورة ببطء طريقهم في اتجاه الشرق ، وفي الشمال عزز المركيز ممتلكاته بعد الغزوات البلغارية المأساوية ، وهكذا جعل الغرب أكثر استقرارا ومكن المركيز وهنري معاهدة الصداقة بالزواج بين هنري وأغنس ابنة المركيز ، وولدت ماري زوجة المركيز في هذا الوقت وريثا ، وقد أطلق عليه اسم ذو دلالة هو : ديميتروويس على اسم القديس الراعي لسالونيك وفوق كل شيء عمل هنري على تهدئة رعاياه الأغريق الذين شعروا هم انفسهم الآن بالبد الثقيلة للبلغار وتحولوا إلى إمبراطورهم الجديد طلبا للمساعدة ، وكان مفتاح الحالة المسألة الدينية . وتتابعت المفاوضات الصعبة الطويلة بين الاكليروس الاغريقي واللاتيني بقيادة المطارنة الاغريق من جنوب إيطاليا الذين قبلوا سيادة البابا الروماني في أراضي المركيز وفي كل أنحاء الأمبراطورية . وفي كل مكان كان اللاتين يستخدمون نبرة معتدلة للتهدئة ، ويبدو أنه تحقق تقدم حقيقي ، وكان حجر العثرة على أي حال هو مسألة السيادة الرومانية ، وعلى هذه الصخرة تحطمت كل المفاوضات .

وأصبح كل الأمر اكاديميا بعد أذار / ١٢٠٨ / لأنه في ذلك الوقت عمل لاسكارس على انتخاب بطريرك إغريقي في نيقية ، توج على الفور لاسكارس كأمبراطور بيزنطي شرعي .

ونبذ الأغريق جميعا في الامبراطورية اللاتينية على الفور أية أفكار للتسوية والوحدة بين الكنيستين ، ومن حينه فصاعدا تطلعوا إلى نيقية للتحرير وإعادة بطركهم .

وتحركت الأحداث في هذه الأثناء بسرعة ووقع بونيفيس في شراك

البلغار في ١٢٠٧ ، وقتل وفصل رأسه عن جسده الذي كان مـايزال حيا ليرسل إلى عدوه كالوجـان ، ولكن أيام القيصر كانت معـدودة ايضا ، وتوفي أثناء نومه عشية عيد القديس ديميتريوس / ٨ تشرين أول ١٢٠٧ / وحلت الفوضى في مملكة البلغار وقامت حـرب أهلية ، وأعيد تنظيمها فيما بعد ببطء تحت حكم جون آشن ، وهكذا بـدا أن الأزمة قد انحسرت . وتم طرد لاسكارس وانتهى التهديد البلغـاري وقت تهدئة الاراضي في العالم الاغريقي . ولكن كانت هناك مشكلات كثيرة ، فقد كان بإمكان رعايا هنري من الأغريق أن يطلقـوا العنان لسخطهم ضد الغزاة ، مع أنهم كانوا معجبين دائمـا بـالامبراطور شـخصيا لأنه رعاهـم ، فـأعاد فتـح الكنائس الاغريقية ، وكان باروناته وأساقفته يناضلون من أجل المشكلة القديمة جدا للحصـانة الاكليروسية ، ووضع نهاية لهـا بفـرض تسـوية . وفي مقـابل استقلالهم وافق المطارنة على دفع ضريبة الأرض البيزنطية التقليدية للبارونات ، وكانت مشكلة الدفاع همه الأكثر إلحاحا ، وتم جذب فرسان جدد من غرب أوروبا ، ولكنهم لم يكونوا كافين مـطلقا ، وفي النهاية كانت هناك توترات في القسم الغربي من الأمبراطورية وكان إغريق إيبروس يشكلون تهديدا ، وكان بارونات سـالونيك قلقين في عهد ملكهم القاصر ديميتريوس .

ودعا هنري بـرلمانا في اليونان في رافنكا في ١٢٠٩ لتسـوية مشكلته ، وكانت النتيجة سيطرة أشد إحـكاما على اليونان ، ولكن السمة الأكثر اهمية هي وصول أمير أثينا في أبهة عظيمة مع أوتـون دي لاروش وجيوفري دي فيلهاردين ممثل المورة .

وقد وقع تتابع غريب للاحداث في المورة خلال هذه الفتـرة ، فقـد ترك غوليوم شامبليت ابن أخيه هوغ يتـولى أمـر المورة وغادر إلى فرنسا في عام ١٢٠٨ ربما ليطالب بميراثـه مـن أخيه لويس ، الذي توفي هناك في ذلك الوقت ، وتوفي هو نفسه أثـاء وجـوده في فـرنسا تاركا وريثه ابن أخيه في المورة ، ولكنه توفي هـو ايضـا بعـد فتـرة قصيرة وبقيت الموركبـدون أمير شرعي ، وعند هـذه النقـطة ظهـر

جيوفري دي فيلهاردين الشريك في الغزو الاصلي كأمير للمورة ، ومن الصعب القول فيما اذا كان هذا بسبب ، أن غوليوم قد عبر عن الرغبة في أن يخلفه جيوفري في النهاية ، أو لأن البارونات قد فضلوه على هوغ ، وعلى أي حال ظهر جيوفري في مفاوضاته مع البنادقة ، الذين أعطوا المورة كجزء من حصتهم من التجزئة الأصلية للأمبراطورية ، والذي كان قد بدأ قتالا من أجلها كما رأينا في ١٢٠٦ وأما الحرب البندقية - المورية فقد تم تسويتها في مؤتمر في حزيران ١٢٠٩ .

وفي المفاوضات التي جرت وفي المعاهدة التي ابرمت ، لم يستعمل جيوفري على مايبدو لقب أمير آخيا . وأول مرة وردت هذه الاشارة إليه جاءت في رسائل من أنوسنت الثالث ، مؤرخة في ٢٢ ، ٢٤ آذار ١٢١٠ ويبدو أنه قد انتظر .

الاجل المعتاد وهو سنة واحدة ويوم واحد وسنتان ويومان ،بدأت من رحيل غوليوم أو من وفاة هوغ قبل المطالبة باللقب. وعلى أي حال بحلول ١٢١٠ كان جيوفري يدعو نفسه امير اخيا ونائب أمير كل رومانيا ومن هذه النقطة ومابعدها رسخ جذوره في ارض اليونان ، وأرسل الى فرنسا من أجل زوجته وابنه جيوفري وأسكنهما في قصره في كلاماتا ، حيث ولد ابنه الثاني غوليوم اشهر عضو في كل العائلة في ١١٢١.

وكان حكم جيوفري الأول ذو أهمية دائمة للمورة ، وكانت أكروكورنت ماتزال في أيدي ليون سفورس عندما تولى جيوفري السلطة وقد سقطت في يده بعد وفاة سفورس في ١٢٠٨ . وتمت تهدئة الوديان الجبلية لأكونيا وأركاريا ، وتم بناء الحصون للدفاع عن الجبهة وإجمالا كانت الامارة آمنة ، وأرسى جيوفري الأساس لحكومة مستقرة أيضا ، وقد شجع هجرة تيار ثابت من البورغانيين والشامبونيين لزيادة السكان من الفرنجة ، وهناك تطورت في المورة ثقافة كانت شهيرة حتى في فرنسا بسبب صفائها

ورقتها ، وبسبب نقاء تقاليدها الفرنسية في الفروسية ، وفوق كل شيء كانت الثقافة ازدراءا حقيقيا وغرسا.

وبالتدريج أصبح فرنجة المورة موريين حقيقيين يتكلمون كل من الفرنسية واليونانية ويتبعون كلا من العادات الفرنسية والاغريقية.

وبينما كان جيوفري يبني امارة المورة كان أوثون دي لاروش يفعل الشيء نفسه في دوقية أثينا ، ودفع بالتدريج بحدوده في اتجاه الجنوب لتضم أركوليس وفي اتجاه الشمال حتى تجاوزت طيبة ، مرسيا الاستقرار في الجبهة ومقيما علاقات ودية مع الجيران ، وأقام عاصمته في طيبه ، وأصبح البارثينون على جبل الأكروبوليس في أثينا ، والذي كان لزمان طويل كنيسة مطارنه الأغريق ، كاتدرائية سانت ماري اللاتينية . وأسس أوثون أديرة وأدخل المراتب الغربية في بيوت الرهبنة الاغريقية الأقدم ، والمثال البارز يتجلى في دعوته الرهبان البندكتيين لتولي أمور الدير العظيم في دافني وكان يقع على مسافة بضعة أميال خارج ·أثينا ، وهناك ديرا منعزلا ورواقا على نمط فرنسي أصيل ، وانشأ أيضا مجتمعا فرنسيا في أثينا ، كان يتكون في معظمه من أقاربه الكثيرين وأصدقائه الذين شجعهم على المجيء إلى اليونان من أراضيهم البورغاندية ، وهاجرت العائلة إلى اليونان خلال القرن الثالث عشر ، وجاء ابن أخ له يدعى غي على سبيل المثال ومنح جزءا من طيبة من قبل جيوفري دي فيلهاردين وكان نيكولاس دي سانت أومر وافدا جديدا آخر وصل إلى اليونان بعد (١٢٠٨) وتوطن هو وعائلته حول طيبة ، وأصبحت لهذه العائلة شهرة أسرة دي لاروش نفسها وتزاوجت معها كما تزاوجت مع الخط الملكي الهنغاري .

وبينما كان هؤلاء الأمراء الأقرباء يعززون ويدعمون ممتلكاتهم ، كان الامبراطور هنري يحارب خلافات يصعب التغلب عليها .

وضاعت السنوات الأخيرة من حكمه في غموض ، حتى وفاته

المفاجئة في عمــر لم يتجــاوز التــاسعة والثــلاثين في ١١ حزيران ١٢١٦ ، وكان قد جهد الحصول على مسـاعدة مـن رومـا وهنغاريا ومن بلغاريا ولكن جهودة كلها اخفقت ، ولم يتـرك حتـى وريثا مباشرا من نسلة ليخلفه • وعرض بـاروناته التـاج على بيير دي كورتناي زوج اخت هنري يولاند بأمل أن يحضر جيوشا معه من فرنسا ، وقبل ولكنه لم ير امبراطوريته أبدا ، لانه قتل وهو في طريقه نحو الشرق بعد أسره من قبل تيودورس الذي خلف أخاه ميكائيل في ابيروس ، وذهبت امبراطورته مباشرة بطريق البحر إلى العـاصمة ووصلت بسلام، وفي طريقها توقفت في المورة وزوجـت ابنهـا أغنس إلى الابن الاكبر لجيوفري الاول ، جيوفري الثاني المنتـظر ، وبعـد وصولها إلى القسطنطينية بوقت قصـير ولدت ابنا هـو امبـراطور المستقبل بلدوين الثاني . وقبل نهـاية السـنة تـوفيت ، وكان على البارونات مرة أخرى أن ينتقوا امبراطورا ، وفي هذه المرة اختـاروا اكبر ابناء يولاند فيليب مـــركيز نامـــور ولكنه أرســـل ابنهـــا الاصغر (روبرت) بديلا منه ، وهــكذا في ١٢٢١ أصــبح روبــرت الضعيف والمعتوه تقريبا امبراطورا وبعد ذلك بـوقت قصـير تـوفي تيودورس .كالاسكارس العدو المراوغ وهو في الثامنة والأربعين من عمره في ١٢٢٢ ولكن خلفه صهره لوانس الثـالث دوكاس فـاتاتس الذي بقي عدوا حتى أكثر خطرا لمدة اثنتين وثلاثين سنة والذي بـه امكن للامبراطورية اللاتينية أن تنصب فقط أضعف الاباطرة .

لقد فقد الامبراطور الجديد كل أراضيه في الأناضـول ، وحلت الآن كارثة أسوأ حتى في الغرب ، فقد هـاجمه تيودور كوفينوس دوكاس بمساعدة البلغـار والعـائلات الاغريقية في الامبـراطورية اللاتينية واستولوا على مدينة سالونيك وكل المملكة في ١٢٢٤ ، وسحقت قواته في شمال اليونان ونجت بودو نيتزا وامـارة أثينا والمورة فقـط مـن الكارثة .

وكان ديمتريوس في ايطاليا يحـاول تجنيد بعض القـوات في ذلك لوقت وتوفي هناك في النهاية في ١٢٢٧ تاركا كل حقوقه لفـريديرك

الثاني ، وكان نصر ثيودوروس قصير العمر لأنه بدوره أسر بعد ذلك بخمس سنوات من قبل جون آسن ، قيصر البلغار وسملت عيناه وجرد من كل ممتلكاته.وفي الوقت نفسه عزز جيوفري الأول في المورة ودوق أثينا أراضيهما في وجه الخطر المشترك ، وضغط جيوفري على الاكليروس بشدة من أجل التمويل لبناء حصن كلير مونت لحماية سهل ابليس ، حيث أنشأ عاصمته ، وأدى هذا إلى الحرمان من البابا هونوريوس الثالث الذي رفع في ١٢٢٣ ، وبعد ذلك بوقت قصير عاد أوثون دي لاروش إلى فرنسا ، تاركا ابن أخيه غي يتولى الدوقية وتوفي في ١٢٣٤ وتوفي جيوفري رفيقه القديم بعد رحيله بوقت قصير احتمالا بين ١٢٢٨ و ١٢٣٠ .

وميزت هذه السنوات نقطة تحول في تاريخ الامبراطورية . وتوفي الغزاة القدامى جميعهم ، وكانت الولايات التي أصبحت الآن قليلة العدد في أيدي رجال أكثر شبابا . وظهرت المورة في اليونان كبؤرة للقوة ، في حين دمر روبرت في القسطنطينية امبراطورية هنري وفقد صلاته بالوقائع السياسية وانسحب إلى قصره مع امرأة فرنسية شابة كان قد تزوجها سرا ، ولم يترك مطلقا الجناح الذي أسكنها فيه مع أمها ، وبكراهية ومقت اقتحمه البارونات في احدى الليالي وأغرقوا المرأة العجوز وشوهوا الزوجة الشابة بقطع أنفها وشفتيها ، وهرب روبرت في فزع من مملكته ومضى إلى روما ليشكو للبابا غريغوري التاسع وحرص على العودة إلى امبراطوريته ، ولكنه توقف وهو في طريقه في المورة لزيارة أخته أغنس وهناك وقع فريسة المرض وتوفي في ١٢٢٨ ولم يحزن عليه سوى أخته التي بنت على ما يبدو ديرا في المورة تخليدا لذكراه .

وعرض البارونات في يأسهم التاج على البطل المسن جين دي برين الذي أبحر إلى الشرق مع جيش كبير ووصل إلى القسطنطينية في ١٢٣١ وقد خدع البارونات مع ذلك في آمالهم ، لأن الامبراطور الجديد على الرغم من مساعدة هنغاريا والمورة كان قادرا على

القليل فقط ، وعندما توفي في ١٢٣٧ ، كانت المملكة أسوأ مما كانت على الاطلاق .

واذا كانت الامبراطورية تعيش في حالة أزمة ، فإن اليونان كانت تتمتع بفترة من الازدهار لا مثيل لها ، وتحت جيوفري الثاني وهو أمير عطوف وانساني النشأة ، توسعت الامارة في كل الاتجاهات وزال تهديد الاغريق في الشمال لأن أسر تيودورس من قبل جون آسن عجل بحدوث حروب أهلية مشوشة في أبيروس ، وأصبح أمير المورة وقد تلقى بيعة أمراء سفالونيا ناكسوس ويوبوا أقوى قوة في الشرق اللاتيني ، وفي وقت وفاته ، في ١٢٤٦ كانت المورة دولة حضارية غنية قادرة على تمويل الدفاع عن الامبراطورية المنهارة بالمال والأساطيل ، وكانت ما تسمى بدوقية أثينا في الفترة نفسها بالدرجة نفسها من الازدهار ، وحصل غي دي لاروش على أرباح عظيمة من صناعة الحرير في طيبة ، واجتذب إلى عالمه البنادقة وأهل جنوا والتجار الآخرين ، الذين تنافسوا مع بعضهم على شراء المزايا التجارية من الدوق ، وفي هذا الوقت تزوج بيلادي سانت ــ أومر ابن نيكولاس ذاك الذي استوطن طيبة منذ بضع سنين خلت ، تزوج من بونة أخت غي وأسس أسرة من أقوى الأسر الاغريقية الفرنجية .

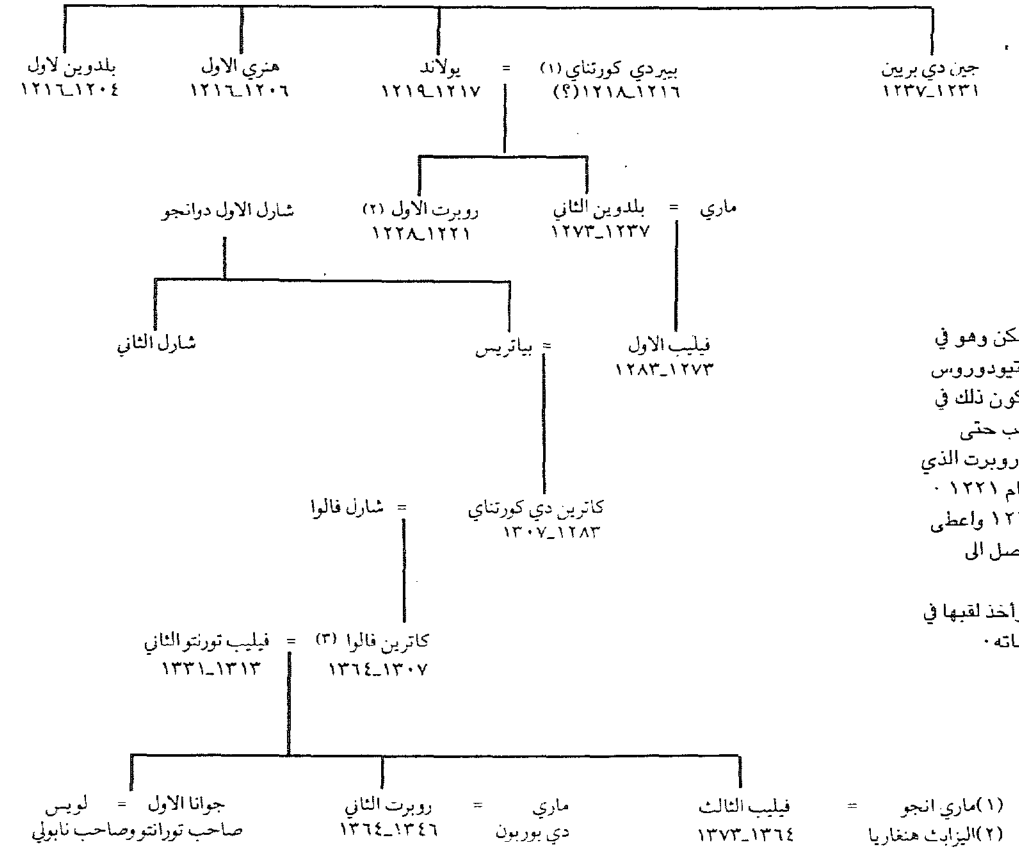
وعندما توفي جين دي برين ، كان الامبراطور الجديد بلدوين فقط في التاسعة عشرة من عمره ، ولأنه ولد في المشرق ، وترعرع في جو بيزنطي ، وتكلم اليونانية ، فانه كان يحتمل أن يكون حاكما جيدا للامبراطورية ولسوء الحظ انه لم يكن ذا ذكاء ملحوظ أو مقدرة ، علاوة على ذلك ورث حالة يائسة تستعصي على العلاج ، وبدأ حكمه في فرنسا حيث ذهب ليلتمس المال والقوات ، ومضى بهم جيئة وذهابا بين ايطاليا وإقطاعاته الفرنسية لمدة أربع سنوات يستجدي القروض من البابا والملك لويس ، وكان يأمل في ضمانها بارتهان أراضيه ، وأرسل جيشا باتجاه المشرق ، ولكن فقط ليمزق من قبل عدو حميه المميت ــ فريدريك

الثاني . وفي النهاية ، بعد رحيل الحملة الصليبية الخامسة استجمع جيشا يحظى بشيء مــــن الاحتــــرام وقـــاده عبـــر ألمانيا وهنغاريا ، وبلغاريا ليصل الى عاصـمته في ١٢٤٠ ، وكان حــكمه حكما باعثا على اليأس ، ووجد في البداية فترة راحة في التنافس بين فاتاس وميكائيل الثاني في أبيروس الذي أعاد توحيد الامارات ، ثم وجد مساعدة في تحالفه مع الكومان والأتــراك الآخــرين ، ولكنه أمضى معظم حكمه في فرنسا وإيطــاليا يلتمس المال ليعيش فيه . وفي النهاية نزل الى حـــد بيع الرصـــاص الذي يكســـو ســـقوف قصوره ، وانتظرت القسطنطينية بكل بساطة حتى تمكن الاغريق من استعادتها في ١٢٦١ .

وكانت السنوات التي ميزت الانهيار الذي أصاب الامبــراطورية اللاتينية هي سنوات أعظم الانجازات لامارة الموره ، ومن عاصمته في أندرا فيدا في إيليس القديمة حكم غوليوم الثاني أخو جيوفــري ، والأمير من عام ١٢٤٦ الى ١٢٧٨ ، دولة ضمت كل وسط وجنوب اليونان ، وفي كل الوديان الجبلية وعند كل النقــاط الاســتراتيجية على طول الساحل وجه بعناية وصيانة القــلاع القــوية ، وكانت كل منها مركزا للحياة القانوينة والدينية للمنطقة المحيطة بها ، وفي هذه الحصون طورت المورة حضارة اشتهرت في كل دنيا القــرن الثــالث عشر ، وطار ذكرها الى القرن الرابــع عشر أيضــا ، وكان الأمير نمــوذجا للســيد الاقــطاعي لكونه الأول ، ولكن الناس مــن عائلة فيلهاردين كانوا متميزين كأفراد حتى أن قواهم الفعلية ، وسلطاتهم كانت مطلقة تقــريبا ، وكان غوليوم الثــاني أبــرز مثــال لهؤلاء الأمراء ، ولكونه ولد في اليونان فقد حظي بأفضل تعليم أمكن للمورة تقديمه ، وتم تدريبه من قبل الخبراء على الأسلحة ، ومــع ذلك كان أيضا مغنيا ضليعا وكاتبا للأغاني ، ولكونه كان يتقن اللغتين تماما فقد كان مطمئنا بين النبالة الفرنسية ومع الرعايا الاغريق . وكأمير آخيا كان تابعا للامبراطور اللاتيني ، ولكنه كان ســيدا إقــطاعيا أعلى للمــورة ، وكانت ســلطته مـــع ذلك بعيدة عن أن تـــكون مطلقة ، لأن أتباعه في المورة كانوا دائما يتطلبون من أميرهم عهــدا

بالمحافظة على المزايا والأعراف في الامـــارة قبـل أن يقســموا على الولاء له ، وحتى عندما كان مقيدا باستشارة باروناته ومن جـــانب آخر كانت له حقوق قطعية ومزايا ، مثل حــق تحــرير العبيد أو منح صكوك الاجازات للمدن.

وكان يساعد الأمير بعض الموظفين ، منهــم الكافــل والمشــاور والحاجب والقباطنة وشــحنة القلعــة ، ولكن المورة كانت في المقــام الأول دولة عســكرية ، وكان الأمير يعتمــد في الأكثــر على التبعية الاقطاعية للذين يمتلكون الاقطاعات التي يمنحها لهــم ، وكان هناك نمطان من الاتباع ، أولئك المرتبطون بعهد الولاء ، وأولئك المبايعون البسطاء ، وكان كلاهما مدين بالتزام على كامل السنة في الحــامية والميدان ويبقى مســتنفرا في مــوطنه ، ولكن الأول منهمــا أعلى وله مزايا أكثر بمافي ذلك أن يكون له بلاطه الخاص ، وكان الأخير يعتبر الأدنى ، ولم يكن يسمح له بحاشية خــاصة ، وكان عليه أن يدفــع ضرائب معينة ويلقى عادة مقاضاة مشتركة ، وكان ذوو المكانة مــن الاغريق في الأراضي يقبلون في المراتب الاقــطاعية كاتبــاع بســطاء (مثلما كان السرجندية وقادة الفرسان) وكان الأعضاء الرئيسون في الهــرم الاكليروسي وكذلك فــرسان الداوية والاســبتارية يملكون جميعا أراضي في الاماره توجب على هؤلاء فقــط الخــدمات الميدانية كمــا كانت مــرتبة على كل الاقــطاعات الاكليروســية . وكان هناك إضافة الى ذلك كثير من المدن التــي شــغلت دورا في حياة الامــارة بتزويد الأمير بالمال والقوات في زمن الحرب ، ومن حين للآخــر كان الممثلون يدعون للاجتمـــــــاعات الهــــــامة لمجلس الأمير الاستشاري ، وكانت الأرض في معظمها ريفا ، مع أنه كان يوجــد بعض المدن وبعض الصناعات الخاصة ، كتربية دود الحرير مثــلا . ومــع ذلك فإن أغلب الناس كانوا يعملون في الأرض ، وكانوا إمــــا فلاحين أحرارا يعيشــون فــرادى أو في جمــاعات ، وكانوا يملكون أرضهم صراحة ، أو عبيدا يقعــون ضــمن الأنمــاط المألوفـــة في القــرى ، ولم يكن بــاستطاعتهم تــرك المزرعة ، وكانت زوجــاتهم



اباطرة القسطنطينيين اللاتين

١ — بيير اصبح امبراطورا في ١٢١٦ ولكن وهو في طريقه نحو الشرق ليطالب قيادة اسرة تيودوروس ابيروس ونقل من السجن ويحتمل ان يكون ذلك في ١٢١٩ وفي هذه الاثناء حملت يولاند اللقب حتى وفاتها من ١٢١٩ وانتقل التاج الى ابنها روبرت الذي لم يصل على اي حال من فرنسا حتى عام ١٢٢١ ·

٢ — روبرت الاول توفي في المنفى في ١٢٢٨ واعطى البارونات التاج لجين دي برين الذي وصل الى القسطنطينية وتوج في ١٢٣١·

٣ — كاترين تزوجت فيليب في ١٢١٣ وأخذ لقبها في ذلك الوقت · وعرف بالامبراطور حتى وفاته ·

يصبحن عبدات للسيد الخ..وإجمالا على أي حال تحسنت أحوالهم في ظل الفرنجة.

هكذا كانت في حينه الأرض التي حكمها / غوليوم / وفي سنواته الأولى شغل نفسه بالاستيلاء على الثغور الأمامية الأغريقية على الساحل الجنوبي الشرقي وتهدئة القبائل السلافية في الداخل، وكان ناجحا واستخدم الكبح الحكيم في انتصاره. وذهب في حملة لويس التاسع الصليبية الى دمياط في ١٢٥٠، وفي عودته الى المورة قاتل في حرب مريرة مع الايطاليين في يوبوا، وبتحالفه مع ميكائيل الثاني في أبيروس كان قادرا على كسب هذا الصراع ووطد سلطانه على تلك الجزيرة ووسط اليونان أيضا.

وفي هذه الأثناء كانت الدولتان الاغريقيتان تندفعان الى شفا حرب جديدة، وفي نيقية توفي ايوانس فيتاتيزس تاركا عرشه لابنه تيودورس الثاني الاسكاريسي، الذي توفي بعد ذلك بوقت قصير تاركا ابنا في عمر ثمان سنوات تحت وصاية ميكائيل بالايولوغوس الذي سرعان ما اغتصب العرش لنفسه، وكامبراطور ميكائيل الثامن أصبح بطلا للثأر الاغريقي واسترداد الأرض، وإذ رأى ميكائيل الثاني هذه التطورات، قوي موقفه بتزويج إحدى بناته هيلين الى مانفرد صاحب صقلية، والأخرى آن لغوليوم صاحب المورة. وهكذا جاءت آن الجميلة التي أخذت اسم أغنس عند زواجها الى المورة وولدت في حينه ابنتين ايزابوا ومرغريت، ثم اندلعت الحرب أخيرا وقاد غوليوم قواته نحو الشمال الذين أرسلهم الامبراطور ومانفرد، وأجرى الجيش المزدوج عرضا شجاعا في شمال اليونان، والتقى في النهاية بقوات نيقية في سهل بلاغونيا في أيلول ١٢٥٩ وكانت النتيجة أسر غوليوم وكثير من بارونات المورة، وبعد ذلك بعامين في ٢٥ تموز ١٢٦١ أعيد احتلال مدينة القسطنطينية من قبل جيش إغريقي، وهرب بلدوين وأتباعه مبحرين الى اليونان، وفيها أخذ الامبراطور المخلوع طريقه بكل دعة وأبهة الى ايطاليا والمنفى وبقي غوليوم في سجن ميكائيل الثامن

حتى ١٢٦١ ووقع معاهدة مع امبراطور الاغريق سلم فيهـا للاغريق الحصن الرئيسي في كل من مونمفاسيا وميسـتر ، ومـاين ، وحـالما حصل على حريته أقام حلفا جديدا مع البندقية والامراء الايطـاليين الجزر واستعد لتجـديد الحـرب. وأرسـل ميكائيل جيشـه الى اليونان ، ولكنه انسحب بعد هـزيمتين شـديدتين وبعـد أن أوقـع أضرار شديدة في لاكونيا وأركاديا ، وفي هذا الوقت غلب على شؤون المورة جيشان الأحداث في إيطـاليا ، ودعي شـارل دي أنجـو الى إيطاليا من قبل أوربان الرابع ليقود حملة صليبية ضد مـانفرد حيث هزمه في المعركة في بينفتو في ٢٦ شباط ١٢٦٦ ، حيث مـاتت آمـال مانفرد والهو هنشـتافن في الميدان . وفي هـذه الأثناء عاني ميكائيل الثامن من هزيمة بحرية قاسية ، وحتى حينه كان غوليوم ما يزال في حاجة لحلف قوي في الغرب.

وكان شارل دي أنجو قد بدأ يلقـي بنظـرات جـائعة نحـو الشرق ، وبأمل من البابا كليمنت الرابع في السيطرة على كل هذه التيارات ، دعا سائر الأمراء الى مجلس شـورى في فيتـربو وتـم الاجتماع في شباط ١٢٦٧ واستمر خمسة أو سـتة أشـهر . وكانت الموضوعات الأكثر الحاحا هي توحيد الكنيسـتين وعقـد حلف بين غوليوم وشارل ، ولم تصل مناقشة الموضوع الأول الى حل دائم مع أن المفاوضات أعطت ميكائيل الثـامن فتـرة راحـة قيمـة ، بيد أن معاهدة فيتربو الهامة ٢٤ أيار أبرمت بين شارل وغوليوم ووفقا لها كان لابن شارل أن يتزوج ايزابو دي فيلهـاردين ، ومـع أن غوليوم سيحكم طيلة حياته فإنه عند وفاته سينتقل التـاج الى الانجيفينيين لأنه إذا لم ينجب الزوجان ابنا ، فإن شـارل نفسـه كان له أن يرث التاج ، وبقي أمير المورة في إيطاليا ليسـاعد شـارل على مـواجهة هجوم كونرادين آخر سلالة هوهنشتافن ، الذي كان يغزو إيطـاليا طلبا لأراضيه ، وتمت مواجهته في تغليا كوزو وكسب شارل ، بعدما تلقى معونة غير قليلة مـن بـارونات المورة ، كسـب نصرا تـاما ونهائيا ٠

وبعودته إلى المورة استعد الأمير لتنفيذ شروط المعاهدة . وفي أيار ١٢٧١ أبحرت ايزابو إلى ايطاليا ، وتزوجت من فيليب الشاب في ٢٨ أيار ١٢٧١ . وفي هذا الوقت بدأت خطط شارل تتكشف ، وارسل قواته إلى البانيا لتعمل للسيطرة على اليونان كخطوة لازمة نحو السيطرة على كامل البحر المتوسط ، وكانت المورة قطعة صغيرة فقط في مشروعه الكبير ، واندلعت حرب مريرة كانت بالقوة نفسها في المناورات الدبلوماسية كما في التكتيكات البحرية والبرية عبر كل اليونان .

وكانت النتائج حاسمة ولكن اليونان الفرنجية اهتزت بشدة ، وواحدة فواحدة بدأت المقاطعات الخارجية تتفتت وتنفصل ، وأدى الفرار والخيانة والهزائم إلى انهيار معنويات الفرنجة والابيروت على السواء لوقوعهم وسط حرب بين عمالقة . ولو أن (غوليوم) رأى في السنوات الأخيرة من حكمة المورة تنجو من رعب الغزو الكامل فقد رأى أفضل البواسل من المدافعين عنها يموتون واحدا تلو الآخر . وقد أمكنه من قبل أن يتنبأ بالمصير غير السعيدلأرضه ، وتحت ضغط من شارل ، بدأ يعد البلاد لارتقاء فيليب الأنجفينى ، ولكن في شباط ١٢٧٧ توفي هذا الأمير الشاب بصورة غير متوقعة بالمرة ، وكان في الحادية والعشرين من عمره ، ولا بد أن هذه الضربة قد أضعفت (غوليوم) لدرجة مميتة ، حيث بعد عام في أول أيار ١٢٧٨ توفي أشهر أمير في تاريخ المورة بعد حكم دام اثنتان وثلاثون سنة .

وفقدت المورة الآن تقريبا هويتها كامارة مستقلة وأصبحت ملحقة بمملكة صقلية ، وبقيت ايزابو مع الأسرة الملكية الأنجيفينية في ايطاليا ، وهناك جمع شارل البارونات الرئيسيين للمورة والامبراطورية اللاتينية ، وقد خدمه هؤلاء البارونات جيدا ، ولكن ليس دائما في شؤون أراضيهم ، فلادارة المورة على سبيل المثال ، أرسل شارل كنائب نائب امارة صقلية غاليران دي ايفري الذي لم يكن موريا ، وأمر كل اقطاعيي اليونان الاوربية والجزر ، الذين

تناقصوا الآن بدرجة كبيرة في العدد بأداء قسم الولاء لذلك الرجل ولكن من المهم ملاحظة بأنهم رفضوا تأدية قسم الولاء للملك ، لأن هذا يتم فقط حضوريا ، ووافقوا على أن يقسموا فقط بالبيعة ببساطة لممثليه .

وحولت الحرب مع الاغريق بالتدريج الكثير من المورة الى أرض موبوءة لاصاحب لها . وكانت الجيوش الانجيفينية تتألف من تشكيلة ممزقة من المرتزقة من الصقليين غير المقيدين وقطاع الطرق ، الذين كانوا أكثر اهتماما بالسلب والنهب منهم بسلامة المملكة ، وقد أحدثوا من الأضرار بالبلاد أكثر مما فعل العدو ، وحل شارل محل دي ايفري في آب ١٢٨٠ وكان فيليب دولا غونيس مارشالا لصقلية وتحسنت الظروف ولكن المصالح المورية كان يضحي بها دائما للمشاريع الضخمة للملك في صراعه مع ميكائيل بالا يولوغوس .

وبدأت القوات الانجيفينيه والامدادات والأموال تنصب في أبيروس وبعد مفاوضات دقيقة مع القوى في الشمال ، شن هجوم على بيرات كمقدمة لتقدم نحو الشرق الى سالونيك ، وتحول الهجوم الى اخفاق مأساوي لشارل الذي سحب قواته ليركزها في اخماد الثورة التي بدأت مع مذبحة العشاء الصقلية في نهاية آذار ١٢٨٢ ، وتركت المورة كثيرا لمواردها . وتزوجت أغنس أرملة الأمير غوليوم الثاني نيكولاس الثاني دي سانت أومر من دوقية أثينا ، وأصبح الآن نائبا على المورة ، واحتفظت النبالة المورية بأفضل ما استطاعت بتقاليد أرضها ، وكانت ماتزال معروفة في أوربا ببسالتها .

ومن حين لآخر كان شارل يحول اهتمامه الى المورة ليمكن من تملكه لها ، أو لمكافأة تابع مخلص ، ولكن على وجه الاجمال كان للأنجيفينيين مشكلات أكثر ضغطا في غرب البحر المتوسط ، وتوفي شارل في ١٢٨٥ وكان رجلا منهكا خائب الآمال بمرارة ، وخلفه ابنه الذي كان غير كفء في الواقع وهو شارل الثاني ، الذي قوبل

بمعارضة مدبرة من قوى اخرى في حوض البحر المتوسط خاصة آراغون،ومع افتقاره الى المقدرة السياسية ، كان رجلا رقيق المشاعر وقد أشفق على إيزابو المترملة ، التي كانت في البلاط الصقلي لمدة اثني عشر عاما واهداها إقطاعات مورية واسعة من مقاطعاته الخاصة . وفيما بعد وفي مناسبة زواجها من فلورنت دي هينوت حول إمارة المورة إليها ولسلالتها من بعدها ، وعكست عودة الامارة الى وريثه فيلهاردين طموحات بيت هينوت أفنس ، بل وماهو أكثر توق البارونات الى حكومة مستقرة خاصة بهم تنهي شرور الوصاية على العرش .

ومـاأن نصب فلورنت أميرا على المورة وتلقى يمين الولاء والبيعة من أتباعه ، مع أن الذين من دوقية أثينا ووسط اليونان رفضوا قبوله ، حتى شرع في العمل ، ولم يكن محاربا في المقام الأول ، ولكنه كان رجل دولة ، وكان يأمل في إعادة المورة الى حالة الرخاء بالتفاهم مع أعدائه . وقام بإجراء تمهيد للامبراطور البيزنطي اندرونيكوس الثاني الذي خلف الان والده على العرش لتسوية الحرب المزعجة باستمرار مع الامبراطورية والتي جلبت الخراب الكثير جدا لجنوب اليونان ، وكانت بيزنطة تحت ضغط عظيم من الأتراك والبلغار واليونانيين في أسقفية أبيروس في ذلك الوقت ، لهذا لم يكن من الصعب ترتيب سلم جديد ، وبدأ الاغريق والفرنجة بالامتزاج بحرية وكل منهم يتبع شؤونه ، وازدهرت المورة وقامت صعوبات مع ذلك ، فمن اتصالات الأمير مع اسقف أبيروس نيكفوروس الذي كان عم إيزابو وباستغلال السلام في الجنوب غزا أندرونيكوس الأسقفية بجيش كبير بدأ نهبا منظما لكل المنطقة ، وناشد نيكفوروس ابن أخيه الفون وانضم اليه فلورنت بقوة ملموسة ، وهزمت القوات البيزنطية وأجبرت على التراجع نحو الشرق ولكن الأرض تعرضت لمزيد من الخراب والنهب وضعفت بذلك كل اليونان .

ووقعت حادثتان في هذا الوقت منذرتان بالسوء لمستقبل

اليونان . فقد ظهر أسطول آراغوني في المياه اليونانية ، وهاجم موانيء وجزرا معينة ، وبعد القيام بزيارة ودية لايزابو وبلاطها أبحر عائدا الى الغرب ، وثار أيضا السلاف في أواسط البيلبونيز واستولوا على بعض قلاع الفرنجة ، ولكنهم أكرهوا على اعادتها بأمر من الحكومة البيزنطية ، ولكن طغى على هذه الأمور المشؤومة في ذلك الوقت حلف كان لابد أن يؤثر على كل دول اليونان الحرة ، فقد رتب شارل الثاني زواجا بين ابنه فيليب أمير ترانتو وتاماز ابنة ووريثة أسقف أبيروس .

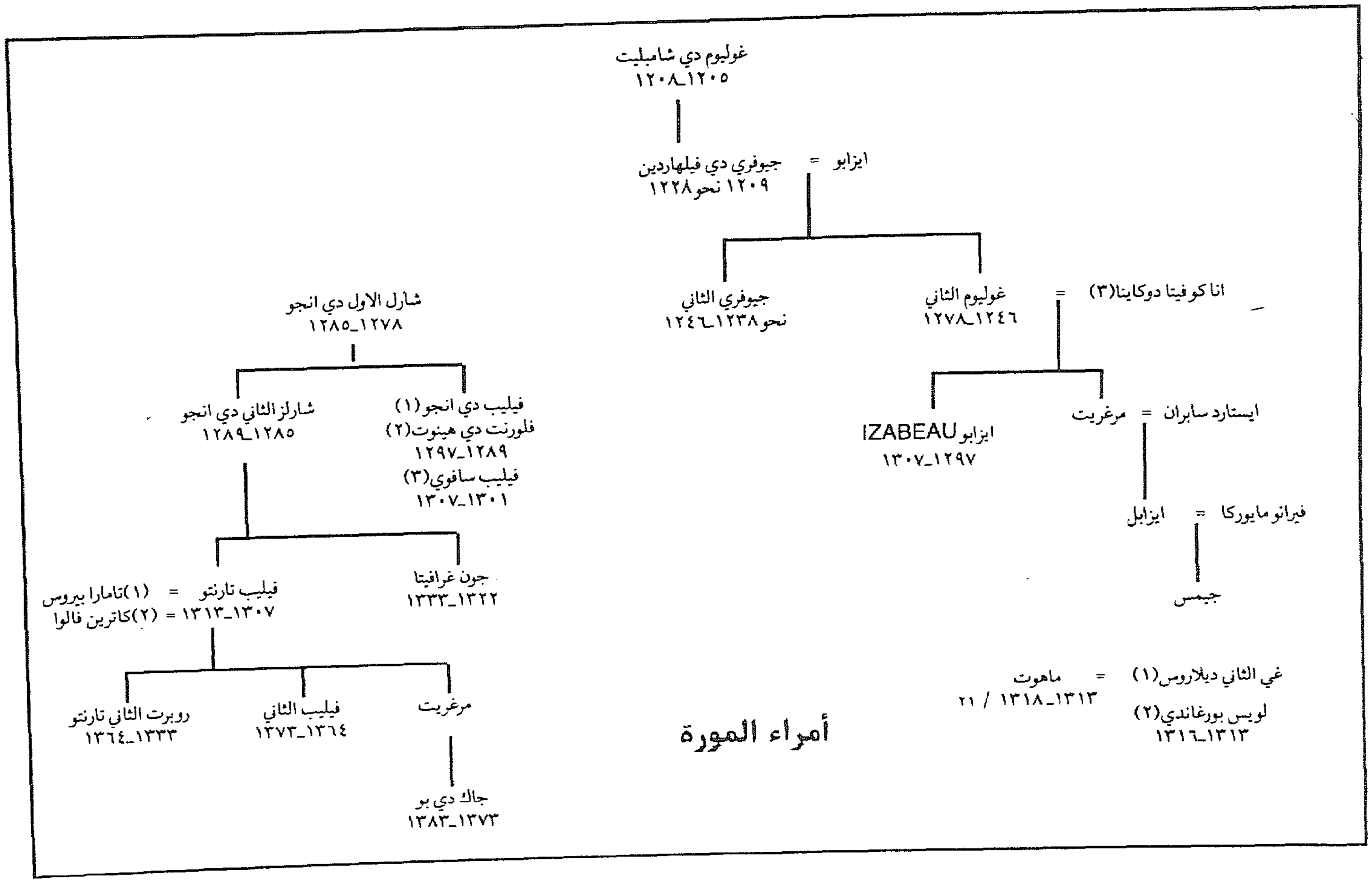
وأخذت مهرا لها الاماكن الرئيسية في أكارنانيا ، في حين نجد أن شارل منح ابنه كل حقوقه في الشرق ، وهكذا أصبحت كل اليونان الفرنجية تحت سلطة فيليب ، مع أن شارل الثاني بقي سيده الأعلى خلال فترة حياته . ومن الواضح أن شارل قصد تبسيط وزيادة كفاءة الهرم الاداري في اليونان ، ولكن في الواقع بجعله كل الدول الفرنجية تحت رئاسة واحدة جعل الأمور أكثر صعوبة ، لأن خصاما مريرا قد تفجر حول العلاقات الاقطاعية بين مختلف الأمراء والدوقات ، وكان على شارل مرارا أن يحكم في تلك النزاعات ، ومع أنه في النهاية اسس الهرم الاقطاعي كما كان يريد ، مع ذلك بقيت هناك المرارة والمشاعر الجريحة .

وكان هذا أكثر خطورة حيث أن عددا متزايدا من الحوادث كان يؤدي نحو استئناف الحرب مع بيزنطة ، وقبل ان يحدث هذا توفي فلورنت ، وكان الحزن عليه حقيقيا من قبل شعبه ، في كانون الثاني ١٢٩٧ ، وكان وريثه الوحيد ابنته ماهوت وكان عمرها ثلاث سنوات وحكمت ايزابو وحدها للسنوات الثلاثة التالية ، يساعدها مجلس من البارونات القياديين في المملكة ٠

وكانت مشغولة خلال هذا الوقت بترتيب زيجات لابنتها ولأختها مرغريت ، والأهم لنفسها ، وأعطيت ماهوت الشابة بعد نقاش مطول ، للوريث الشاب لدوقية أثينا واسمه غي أوغوبوت كما كانت

تشيع تسميته في الدوريات . وترملت مرغريت في ١٢٩٧ مع ابنة عمرها ثلاث سنوات واسمها ايزابيل ، وبعد سنتين رتب لزواجها من ريتشارد سيفا لوينا النائب المسن في المورة ، وذهبت ازابو نفسها الى روما للاحتفال باليوبيل بدعوة من بونيفيس الثامن في ١٣٠٠ وهناك لم تحز فقط على الكثير من البركات والمغفرة بنتيجة الحج ، بل على زوج جديد ايضا هو فيليب كونت بيد مونت وابن أخ كونت سافوى ، وكانت فوق الأربعين في ذلك الوقت وكان هو في الثامنة والعشرين ، وحدث الزواج في ١٢ شباط ١٣٠١ ، وفي الثالث والعشرين منح امارة المورة أو آخيا كما كان يفضل ان يسميها، وخرج الى ارضه الجديدة بحاشية من السافويين والبيدمونيين من البارونات الجدد المتلهفين للبحث عن حظهم من المشرق، الذي كان سهلا في الواقع ، لكن فقط على حساب الاقطاعيين الأقدم ، وكان الأمير نفسه قد أنفق مبالغ كبيرة في خطب ود وكسب يد ايزابو وانقض على المورة بجشع قائد مرتزقة ايطالي ، وثار البارونات في احتجاج ، كما فعل الاتباع من الاغريق ، ووجدت المورة الآن أنها يمكن أن تجر الى حرب من قبل اقطاعيها لأن دوقية أثينا عند هذه النقطة مضت الى الحرب مع الأسقفية ، وكان على النبلاء الموريين أن يذهبوا اليها ، ودخل شارل الثاني الحرب ضد ابيروس لصالح ابنه فيليب صاحب تارنتو ، وقبل امير آخيا الذي كان مايزال جائعا للأموال رشوة من امارة أبيروس كي لايقاتل ، وكانت حصيلة هذه النزاعات الصغيرة شاملة سوى ، بقدر ماصورت أكثر ، ان شؤون الاغريق كانت الآن هامشية بالنسبة للسياسة الايطالية ،وتصادم الانجيفينيين وأمير سافوي حول أراضيهم في شمال ايطاليا ، وحدث هناك أن خسر الامير أمام شارل الثاني وكان عليه أن يتخلى عن القابه في اليونان ، ورفضت إيزابو أن تقبل خسارة المورة برباطة الجأش نفسها التي تصرف بها زوجها ، والتمست الانصاف في الدوائر الفرنسية في كل سنواتها المتبقية ، ولكن حياتها الساحرة انتهت بعد ١٣١١ في نقص وخيبة امل مرير

بيد أنها بقيت حية من خلال ابنتها ماهوت دي هينولت ، والتي


أمراء المورة
غوليوم دي شامبليت
١٢٠٥_١٢٠٨
جيوفري دي فيلهاردين
١٢٠٩ نحو١٢٢٨
= ايزابو
جيوفري الثاني
نحو١٢٣٨_١٢٤٦
غوليوم الثاني
١٢٤٦_١٢٧٨
= انا كوفيتا دوكاينا(٣)
ايزابو IZABEAU
١٢٩٧_١٣٠٧
مرغريت = ايستارد سابران
ايزابل = فيرانو مايوركا
جيمس
ماهوت = غي الثاني ديلاروس(١)
١٣١٣_١٣١٨ / ٢١
لويس بورغاندي(٢)
١٣١٣_١٣١٦
شارل الاول دي انجو
١٢٧٨_١٢٨٥
شارلز الثاني دي انجو
١٢٨٥_١٢٨٩
فيليب دي انجو(١)
فلورنت دي هينوت(٢)
١٢٨٩_١٢٩٧
فيليب سافوي(٣)
١٣٠١_١٣٠٧
فيليب تارنتو = (١)تامارا بيروس
١٣٠٧_١٣١٣ = (٢)كاترين فالوا
جون غرافيتا
١٣٢٢_١٣٣٣
روبرت الثاني تارنتو
١٣٣٣_١٣٦٤
فيليب الثاني
١٣٦٤_١٣٧٣
مرغريت
جاك دي بو
١٣٧٣_١٣٨٣

تزوجت غي الثاني دوق اثينا ، كذلك ابنة أخرى ولدتها لفيليب في ١٣٠٣

وبدأت الآن المرحلة النهائية في تاريخ المورة ، قصة حزينة لطالبين متنافسين حول الاقطاعات المختلفة ، ضحوا بما بقي من القوة الفرنكو ـ اغريقية في اليونان لأجل طموحاتهم ، وسمي غي الثاني نائب أمير للمورة من قبل فيليب تارنتو في ١٣٠٧ ولكنه توفي في ١٣٠٨ ، ومعه ماتت سلالة دي لاروش نفسها .

ومن الآن ومابعد أرسل الأنجيفينيون رجالا فرنسيين أو ايطاليين كحكام ، رجالا كانوا غير قادرين على وقف أعمال الاسترداد التدريجي الذي تولته القوات الاغريقية لكامل شبه الجزيرة اليونانية ، وكان في هذا الوقت قد قرر شارل دي فالوا اخو فيليب الرابع ملك فرنسا دعم ادعاءات زوجته كاترين دي كورتناي الامبراطورة الرسمية للقسطنطينية .

وفكر في ان يدخل في خدمته المجموعة الكاتالانية الكبيرة ، وهذه كانت مجموعة من المغامرين ممن حاربوا في الحروب الأراغونية ـ الأنجيفينية في صقلية ، بالقتال في خدمة أندرونيكوس الثاني ضد الأتراك في آسيا الصغرى ، وبعد الانفصال عن البلايولوجويين تحصنوا في غاليبولي ، حيث شكلوا تهديدا خطيرا لبيزنطة ، واسميا كانت الجماعة تدين بالولاء لفريدريك الثاني ملك صقلية ، ولكنه كان قد أرسل ابن عمه فراند ابن ملك مايوركا لقيادتهم ، ومن أجل مصالح آراغونية أخرى في الشرق ، ولكونهم غير منظمين ، وشموسين فقد رفضوه واختاروا قائدا لهم ، وفي النهاية اسر فراند من قبل ثيبوت دي شيبوا وهو ضابط فرنسي كان في خدمة شارل دي فالوا ، وأمضى سنة في سجن انجفيني وكان شارل قد أرسل ثيبوت لاستئجار الجماعة ، ولكن هذا الرجل التعس وجد نفسه محاطا بعصابة من قطعة الرقاب قبلوا نقوده ، ومع ذلك كانوا أكثر شرها في سلب ونهب اليونان منهم في

القتال من أجل الفرنسيين ، وكانوا قد خربوا مقدونيا وتساليا لشهور عدة . وإذ لم يكن أمامهم في حينه مكان آخر يذهبون إليه تحولوا نحو الجنوب وبدأوا يتحركون نحو وسط اليونان ، ونفض ثيبوت خلال ذلك يديه منهم وتسلل مبتعدا عنهم وعاد الى الغرب ، واستؤجرت الجماعة بعد ذلك من قبل غوتيير دي بريين دوق أثينا ، الذي كان يأمل في توسيع سلطانه بين الامارات المختلفة في اليونان ، ورغم أن الكتاليين أثبتوا مرة أخرى جدارتهم كقوة محاربة فإن غوتيير سرعان ماأراد أن ينتهي منهم ، وعندما تأخر عن الدفع لهم مدة أربعة أشهر تخلوا عن ولائهم له وقرروا أن يوطنوا أنفسهم في اليونان ، وتوحد الفرنجة لطرد الدخلاء ووقعت المعركة المصيرية في ١٥ آذار ١٣١١ على غير بعيد من مدينة كيرونيا القديمة ، حيث تقرر مرة من قبل مصير اليونان في المعركة ، وكان اليوم كارثة تستعصي على الاصلاح لليونان الفرنجيه ، فقد قتل دوق أثينا ودمرت معظم قوى الفروسية الفرنجية ، وفقد وسط اليونان إذ تحرك الكتاليون نحو داخل أثينا وطيبة ، وأصبحوا سادة كل الأرض ، وطلبوا من ملك صقلية أن يصبح سيدهم فقبل مسرورا وأرسل بيرنغر استانيول ليكون نائبا له .

لقد غير توطن الكاتلان في دوقية أثينا بعمق توازن القوى في اليونان ، وابتهج الأغريق الذين ملكوا سالونيك وأبيروس ، لرؤية منافسيهم الفرنجة الأقوياء يبعدون ، وعلاوة على ذلك نجد أن إمارة المورة التي اختزلت إلى نحو ثلثي البلبونيز قد تضررت من هذه القوة الجديدة ، وكانت البندقية والأنجيفينيين أيضا متخوفين حول مصير ممتلكاتهم اليونانية ، وبدت التطورات للبابا والأنصار الغربيين للحملة الصليبية نكسة لآمالهم في تأسيس إمبراطورية لاتينية في القسطنطينية ، ومن الواضح أنه كانت هناك حاجة لرجل قوي لتنظيم دفاع الفرنجة ودفع المصالح الغربية في اليونان ، وكان فيليب تارنتو قد طلق زوجته الزانية تاهار والقى بها في السجن حيث ماتت . ثم رتب شارل دي فالوا بعد ذلك زواجا بين ابنته كاترين دي فالوا التي ورثت المطالبة بالامبراطورية عن أمها كاترين دي

كورتناي ، وفيليب ، والتي كانت ممثلة في الوحـدة بين كل الدعاوى الفرنجية والألقاب في اليونان ، وتدعمها القوى البابوية والفرنسية ، وفي الوقت نفسه أصبحت المورة في يد ماهوت هينولت وزوجها الثاني لويس برغاندي وهو استرداد عملت في سبيله أم ماهوت ايزابو خلال جميع سنوات نفيهـا ، وعادت المورة إلي بيت فيلهـاردين ، رغم أن الامير الجديد قد استولى عليهـا مـن فيليب ، الذي أصـبح الان امبراطورا لاتينيا اسميا مع أخيه الملك روبرت ملك نابـولي كسـيد أعلى ٠ وانطلقت ماهوت على الفـور إلى المورة ولكن لويس تـأخر لبعض الوقت في بورغاندي ووصل وهـو في طـريقه إلى اليونان الى البندقية في تشرين الثاني ١٣١٥ ٠

وأوجدت إعادة الترتيب هذه الحـاجة إلى قـدر عظيم مـن خلط الألقاب والممتلكات البـورغاندية والفـرنسية . وبشـكل عام تنازل الأمراء الذين اتجهوا شرقا عن مطالبهم في الغرب لأعضـاء آخـرين من عائلاتهم وعوضو بممتلكات أقوى في اليونان الفرنجي . وبدا أن كل شيء قد نفذ جيدا عندما تفجر فجأة أعنف صراع في تـاريخ المورة المضطرب ، وذلك عندما توفيت إيزابـو دي فيلهـاردين في ١٣١١ ، حيث قامت أختها مرغريت بالمطالبة بجزء مـن المورة ، ولم يعتـرف شارل الثاني بهذا الادعاء وكذلك خليفته روبـرت ، وعليه التمسـت مرغريت المساعدة من فيراند صاحب مايوركا ، الذي كانت له بعض الصلات مع الشرق عن طـريق الفـرقة الكبيرة ، وقـد تـزوج ابنة مـرغريت ايزابيل في شـباط ١٣١٤ ، وأعطـت مـرغريت الزوجين مهرا / دوطة / للعروس حقوقها في المورة ، وعادت هي نفسـها إلى المورة حيث اعتقلها نائب ماهوت . وألقى بها في السجن ، وصـادر أراضيها ، وماتت السيدة التعيسة بعد ذلك بـوقت قصـير ، وبـدأ فيراند على الفور استعداداته لغزو المورة ، وولدت إيزابيل ابنا ، هو جيمس في ٥ نيسان ١٣١٥ ، وتـوفيت بعـد ذلك ببضـع أسـابيع ، وتركت لابنها الطفل كل ماكانت تـدعي ملكيتـه في الامـارة ، وكان فيراند مؤيدا من قبل فريدريك ملك صقلية ، والكاتـالانيين في أثينا ، ونزل في اليونان في حزيران مع قـوة كبيرة ، واسـتولى بسرعة على

ميناء كلارنيتسا وقلعة بوفوار (بونديكوس) وبسرعة أصبحت كل إيليس في يديه ، وبدأ يتحرك نحو الجنوب ، ووصلت ماهوت وقواتها البورغاندية ، واندلعت حرب دموية قتل فيها مئات الفرسان وانتهت الحرب ، لكن مالبث لويس نفسه أن توفي بصورة غامضة نوعا ما بعد ذلك بوقت قصير ، وتركت ماهوت لتحكم المورة وهي حتى أضعف مما كانت .

وسعت كل الدول المحيطة الآن إلى استغلال ضعف المورة لتوسيع ممتلكاتها وبدأ الكتالانيون بغزو يوبوا التي كانت تحت سلطان ماهوت ، ثم حاول روبرت نابولي أن يرتب زواجا بين ماهوت وأخيه جون صاحب غرافينا ليتأكد من أن المورة ستصبح في أيدي أسرته ، ورفضت ماهوت واحتجت لدى البابا يوحنا الثاني والعشرين وطلبت المساعدة من البندقية ، ولكن روبرت أقام جون غرافينا في المورة واعترف بالأخ الثالث فيليب كأمبراطور لاتيني اسمي ، وألقيت ماهوت في السجن وأمضت بقية أيامها هناك ، ولكن السد كان قد تفجر فبدأ الكاتالانيون في عبور إيزموس ، واستولى إغريق ميستوا على قلعة بعد الأخرى في الجنوب ، موقعين أضرارا وهزائم بالمدافعين الأنجيفيين والموريين ، وكان السبب الوحيد في أن المورة مازالت باقية هو أن النهابين بدأوا يتقاتلون فيما بينهم .

وكافحت الامارة قرنا آخر ، ولكن مورة فيلها ردين القديمة اختفت ، ومن البارونيات الاثنتي عشرة الأصلية بقيت أصغرها فقط ، وذهبت أغلب الأسر الفرنجية الغازية ، وأصبحت دفاعات البلاد مثلما كانت بقدر كبير في أيدي المرتزقة ، واستوطنت أسر جديدة إيطالية في معظمها في الأرض ، لاكأرستقراطية إقطاعية مقاتلة بل كطبقة سياسية مالكة للأراضي تدفع الضرائب للأمير عن إقطاعاتها الواسعة ، ثم تحولت عن الأمير إلى قادة يمكنهم حمايتهم ومصالحهم بصورة أفضل عند الضرورة وحتى لو كانوا من البيزنطيين ، وسكنت العداوات اللاتينية الاغريقية التي كانت في

الأزمنة السالفة . وتعلم الفرنجة والأغريق أن يعيشوا معا ، وبدأت تظهر ثقافة مشتركة .

واستدان جون صاحب غرافينا بكثرة من أصحاب البنوك الايطاليين ولاسيما من اكسيا أولي ، وتولى بعض المشاريع ضد الأغريق ، ولكنه لم يحصل منها على شيء هام ، وغزا غوتيير الثاني دي بريين ، الذي كان قد تزوج بياتريس ، وهي من بنات فيليب تارانتو وتامار ، اليونان لمطالبة الكاتالانيين بأثينا دوقية أبيه ودمرت الآن القلعة الشهيرة / السانت أومر / في طيبة ، وكانت حملة غوتيير مخفقة ، وعاد إلى إيطاليا في أواخر صيف ١٣٣٢ .

وتوفي فيليب صاحب تارنتو في كانون أول ١٣٣١ وترك ألقابه لابنه روبرت وأجبرت أرملته كاترين دي فالوا ، جون غرافينا أن يحيل المورة إليها كوصية على ابنها في مقابل أموال وأراض في إيطاليا ، وربطت نفسها بنيكولو اكسيا أولي وكان أصغر منها بتسع سنوات ، وهو عضو جميل الطلعة ومثقف في البيت المصرفي ، وأحالت إليه أمور عائلتها في اليونان ، وفي ١٣٣٨ قام نيكولو وكاترين برحلة إلى المورة ، ومكثا هناك أكثر من سنتين ، وحاولت أن تكيف نفسها مع الظروف هناك في المقام الأول وأن توقف التدهور الثابت للامارة ، ولكن عبثا ، وعندما عادت كاترين إلى نابولي شعر بارونات المورة حتى أكثر بعدم مواءمة الحكم الأنجيفيني وعرضوا الامارة على جيمس الثاني لمايوركا ابن فيراند وإيزابيل ، وقبل اللقب ولكنه توفي قبل أن يتمكن من زيارة المورة .

وتمسك روبرت صاحب تارنتو بكل الألقاب والأراضي التي ورثها ، ولكن الحروب في فرنسا وإيطاليا منعته من أن يذهب بشخصه إلى الشرق وتركت المورة لوسائلها الخاصة ، ومن حين لآخر كان يأتي حاكم من الغرب ولكن الأكثر أن البارونات كانوا ينتخبون واحدا منهم ، وكان الأتراك ينهبون سواحل البلاد ، ولم يبد أن هناك إمكانية للدفاع ، وكان أقوى رجل في اليونان الآن

نيكولو اكسيا أولي ، الذي منحه روبرت في ١٣٥٨ إمارة قلعة كورنث الغنية وتوابعها ، وتـوفي روبـرت في ١٣٦٤ وطـالب أخـوه فيليب بالامارة ، وبدأ حربا غير مجدية مع خصوم منافسين امتـدت حتـى قبل وفاته بوقت قصير في ١٣٧٣ . وخلفه ابن أخ له هو جاك دي بو .

وتفجرت حرب مروعة أخرى . وفي ١٣٧٦ أجرت جـوانا إمـارة المورة لمدة خمس سنوات للاسبتارية ، الذين يبدو أنهم احتفظوا بها مدة العقد .

وحدث تطور أهم عندما تـدخلت الجمـاعة النافـارية في شـؤون اليونـان ، وكانت لأحد قادتهم ، وكان في الظاهر في خـدمة جـاك دي بو (توفي في ١٣٨٣) الذي سيطر على الامارة ، كما وا ستولى اخر ، يحتمـل أنه كان في خـدمة نيريو اكسـيا أولي ، وكان ابناً بـالتبني لنيكولو الكبير ، على طيبة في ربيع ١٣٧٩ ، وبعد عقد من الزمـان في ١٣٨٨ استولى نيريو على اكروبول أثينا بعد حصار طويل ، وبـذلك وصل تاريخ الدوقية الكاتالانية إلى نهايته ٠

واستمرت الامارة اللاتينية في تاريخها الضـعيف جيلين آخـرين حتى ١٤٣٠ ولكن معظم المورة كانت قد أصبحت تحت حكم الأساقفة الباليلو جوا ، أساقفة ميسترا ، الذين قامت في أيامهم نهضة يونانية تقريبية ، ولكن مرور كل عقد كان يزيد من قوة الأتـراك العثمـانيين الذين استولوا على القسطنطينية في ١٤٥٣ وفي ١٤٦٠ وضعوا نهاية لأسقفية ميسترا .

وعليه هـكذا كان تـاريخ الأمبـراطورية اللاتينية للقسـطنطينية وإمارة المورة بخطوطه العامة ، وقد رويت القصة في القـرن الرابـع عشر من قبل مؤرخين للمورة ، ومـن ثـم غدت مـوضوع الفصـول والتأمل لعدة سنوات .

مخطوطات ومطبوعات تواريخ المورة

إن تواريخ المورة ، كما اصبحت تعرف بسبب عدم وجود اسم افضل ، هي سلسلة من الحوليات تم حفظها في ثمان مخطوطات كتبت باليونانية ، والفرنسية والاراغونية والايطالية ، والنسخة اليونانية كتبت شعرا والباقية نثرا ٠

١ - يحتوي مجموع هافنسيس ٥٧ على خمس من المخطوطات اليونانية ، لا شك أن الاقدم فيها والاكثر مصداقية هي المخطوطة الموجودة في مجموعة فابريكوس في مكتبة جامعة كوبنهاغن ويضم هذا المخطوط ٩٢١٩ بيتا من الشعر السياسي ، كتب بدقة ، كتابة يدوية مقروءة بشكل ملحوظ في التهجيه ، والنص مكتوب في اعمدة صغيرة مع هوامش عريضة معلمة بحروف كبيرة بالحبر الاحمر ، وقد فقدت الاوراق الثلاث الاولى ، ويبدأ المخطوط بالبيت ١٠٥ من المجموع الباريسي .

والاوراق مرقمة بكل من الارقام الاغريقية من ٤ إلى ١٤٥ وبالارقام العربية من ٤ الى ٢٣٧ ، واضافة الى ذلك فان بداية كل كراس من عشر ورقات معلمة ، وكل فجوة من صفحتين مشار اليها بالترقيم الكراسي ، ولكن في فجوات أخرى ليست هناك مثل هذه الاشارات مما يظهر ان المخطوط لم يكن كاملا عندما نسخ ، ومن الملاحظات على الغلاف يعرف بأن المخطوط قد انتقل من توماس برثولين الذي اهداه الى يوهانس غراميوس (١٦٨٥ - ١٧٤٨) الذي اهداه الى يوهانس فابريكوس في ١٧٣٦ والمخطوط مع بقية تاريخه قد حازت عليه جامعة كوبنهاغن في ١٧٧٥ .

٤ — مجموع بيرنسيس الاغريقي وهي نسخة اخرى من المجموع الباريسي ، مع أن الخط سيء ، وهناك أخطاء عديدة في النقـل ، ولم ترد في وصف بوشون وعليه يبدو انها كانت غير معروفة من قبله.

٥ — مجموع تورنسيس ب ٢ / ١ وهذا المخطوط قـد عرف لأول مرة بواسطة جون شمت الذي درسـه بـدقة ، وفي رأيه أنه مشـابه لمجموع هافنس ، ولكنه سيء التنفيذ. لكنه لاحظ الاهتمام الخـاص للحواشي الهامشية غير المقروءة تقريبا والرسوم التي تعـطي الدليل ليس فقط على المالكين العديدين للمخطوط ، بل على ما هـو أكثـر اهمية ، عن نمط اليونانية التي كان كل منهم يتكلمها ، وهي تقـدم في الواقع تحديد للهجة اليونانية الحديثة.

الترجمة الفرنسية.

بقيت الترجمة الفرنسية للتاريخ في مخطوط واحد في المكتبة الملكية برقم ٧٠٢ ١٥ ، وقد اكتشفه بـوشون ونشره في ١٨٤٥ ، وأعطـاه عنوانا مطولا عبر عن محتـوياته في الاسـتيلاء على القسـطنطينية وإقامة إمارة المورة ، ونشاط البـارونات وسـواهم ، وكان هـذا المخطوط في حينه اختصارا لآخر كان يملكه بـارثلميو غينزي قبـل ١٣٣١ • ويقول الكاتب نفسه : أنه سيروي قصة تـاريخية لاكمـا وجدها مكتوبة بأقصر صورة لها • وظهرت أقدم طبعة لها كمجلد من كتاب برشون (انظر أعلاه) والاحداث هي تلك التي وضـعها جين لوغينون بعنوان « كتـاب الاسـتيلاء على امـارة المورة (١٢٠٤ ـ ١٣٠٥) (باريس ١٩١١) •

النسخة الأرغوانية :

إن النسخة الاراغونية من التاريخ هي وحيدة في كثير من الطرق: فهي أولا ليست اعادة رواية لتاريخ أقـدم كمـا هـي التـراجم

إن أول طبعة حديثة للمخطوط قام بهـا ج ١٠ ٠ بـوكون الذي قدم النص بدون ترجمة كمجلد ٢ من كتابه :
« بحث في تاريخ امارة المورة الفرنجية وأعمال باروناتها » (باريس ١٨٤٥) ٠

وتبع ذلك الطبعة الرائعة لجون شـمت بعنوان « تـاريخ المورة » (لندن ١٩٠٤) ، التي تحوي بشكل متوازي النصـين الهـافيني والباريسي ، وفي الملاحظات الاختلافات في التوريني ، وأحدث طبعـة هي لبطرس كالوناروس(أثينا ١٩٤٠) ٠

٢ ـ المجموعة الباريسية اليونانية ٢٨٩٨ ، وكان هذا المخطوط في الأصل في مـكتبة فـرانسيس الأول في فـونتنبلو وكانت معـروفة لدوكاح ، الذي وصفها بشكل صـحيح والذي اسـتخدمها في جمـع معجمه . ويتألف المخـطوط مـن جـزئين : تـرجمة يونانية لبـوكاكسيوتيزيد ، وفي الأوراق مـن ١١١ ـ ٢٣٣ تـاريخ المورة الأغريقي ، وهناك ٨١٩١ بيتـا تقـابل بـكشل دقيق المجمـوعة الهافنيانية ، مع أن محاولة صغيرة قد بذلت للمحافظة على صفاتها العروضية ، ونهاية المخطوط مفقودة ، والنص بعـد صـفحة ٢١٨ مكتوب بخط مختلف :وكانت أول طبعة حديثة هـي طبعـة بـوشون بعنوان « تاريخ الاستيلاء على القسـطنطينية وتـأسيس الامـارة الفرنجية في المورة» (بـاريس ١٨٢٥) وهـنه تحـوي تـرجمة النص ، والمقدمة فقط هي الموضوعة باليونانية ، ونشر بوشون بعد ذلك النص اليوناني مع ترجمة فرنسية في كتابه :
تاريخ العلاقات الخارجية والحملات الفرنجية حتى القـرن الثـالث عشر (باريس ١٨٤٠) والطبعة الأحدث هي طبعة شـمت المذكورة أعلاه.

٣ ـ المجموع الباريسي اليوناني ٢٧٥٣ وهذا ببساطة نسخة من المذكورة أعلاه وهي سيئة التنفيذ وعديمة القيمة

الاخرى ، بل هي بـــــالاحرى محـــــاولة جـــــدية الكتـــــابة التاريخية ، مستخدمة كمصدر رئيسي تاريخ المورة ، ولكنها دمجـت أعمال مؤرخين آخرين أيضا ، وثانيا هـــي المخـــطوط الوحيد الذي يمكن تأريخه بالضبط ويحمل عنوان :« كتاب الاستيلاء على إمــارة المورة » ٠

وقد أخبرنا أنه تم تصنيفه بــأمر مـــن الســـيد الأخ جـــوهان فيراندزدي دي هيريديا ـ مقدم مشفى القديس يوحنا بالقدس.
وقد أكمل في ٢٤ تشرين أول ١٣٩٣ واكتشف المخطوط الكونت بـــول ريانت في مكتبة الدوق دي أوزوما في ١٨٨٠ ، وتم تحقيقه ونشر بعد ذلك بخمس سنوات من قبل الفرد مـــوريل فــاتيو (جنيف ١٨٨٥) النسخة الايطالية.

إن النسخة الايطالية للتاريخ ترجمة ســيئة التنفيذ عن النســخة اليونانية وتبدو كملحق لكتاب ماريذو ساند وتورسيلو « تاريخ المملكة الرومية » ، والتي حققها ونشرها كارل هوبف في كتـــابه « التـــواريخ الاغريقية الرومانية » (برلين ١٨٧٣)

تأريخ الحوليات

إن المسألة ذات الاهمية الاساسية في دراسة تاريخ المورة هي تأريخ النصـــوص المختلفــة. فـــالنص الاراغوني كمـــا ذكرت أعلاه ، يحمل تاريخه الخاص ، وبهذا لا توجد أية مشكلة ومثله حال النص الايطالي ، وطالما أن ترجمة مغلوطة مـــن الاغريقية يمكن استبعادها من هذا النقاش ، وأما النصـــوص الفـــرنسية واليونانية على أي حال فإنها طالما تقوم على مصنف أقدم مفقود تسبب بعض الصعوبة.

النص الفرنسي

لقد ذكر بوضوح في عنوانها ان هذا النص قائم على مخطوط كان مرة في حوزة بارشلميو غيزي ، كان في قلعته في طيبه. ونعرف أن غيزي كان أمر قلعة طيبة من ١٣٢٧ - ١٣٣١ - وعليه فإن النص الذي لدينا يمكن الافتراض بأنه قد كتب بعد ١٣٣٢ ، علاوة على أن جدول الترتيب الزمني الملحق به يذكر أحداثا من ١٣٠٤ وهي السنة التي ينقطع فيها توالي الاحداث في التاريخ الى عام ١٣٣٣ ومن جانب آخر إن كاترين دي فالوا مذكورة بشكل خاص على أنها كانت ما تزال حية عندما كتب النص الفرنسي ، وحيث أنها توفيت ١٣٤٦ ، فإن الحولية الفرنسية لا بد أن تكون قد كتبت بين ١٣٣٣ - ١٣٤٦ ، ويحتمل كما يقترح لوغنيون ، (الامبراطورية اللاتينية ص ٣٢٥) بأنها قد كتبت بناء على طلبها أثناء إقامتها في اليونان من تشرين الثاني ١٣٣٨ حتى حزيران ١٣٤١.

النص الاغريقي

تحتفظ الحولية اليونانية برواية تمتد حتى عام ١٢٩٢ ، حيث تنقطع فجأة ، وحيث أن الاوراق الأخيرة مفقودة في نص كوبنهاغن ، وقد نفترض أن الرواية امتدت حتى سنة ١٣٠٤ كما في النص الفرنسي ، وكما في الأخيرة ، على أي حال إن أحداثا وقعت في تاريخ متأخر جدا قد سجلت في النص الاغريقي ، من ذلك نجد أن رواية مدير قلعة سانت أومر في طيبة وكل ذكر للكاتالانين استيفاءات أقحمت من قبل الكاتب عندما تم وضع النص الاغريقي ، وفي الابيات ٨٤٥٩ وما بعدها من الحولية تذكر فقرة تتعلق بالأنساب إيرارد الثالث لومور أمير أركاديا ، وأسلافه ولم تكن العائلة ذات أهمية رئيسة في الشؤون المورية ، ويشعر المرء أن المؤرخ لا بد أنه كان لديه بعض الاهتمام بتسجيل الاسم في حوليته ، وفي البيت ٨٤٦٩ هناك اشارة خاصة لا يرارد الثالث تعطي الانطباع بأنه كان مايزال حيا في

الوقت الذي كتبت فيه الحــولية ، وحيث أن ايرارد تــوفي في ١٣٨٨ يبدو محتملا أن النص اليوناني قد كتــب قبــل ذلك التــاريخ ، وأن للحولية نوعا من الارتباط به ، والنص الباريسي من جانب آخر يذكر بشكل خاص جدا وفاة ايرارد ويقدم له التقدير والاجلال ، وعليه إن نص كوبنهاغن إذا يحتمل أنه قد كتب قبل ١٣٨٨ بــوقت غير طــويل جدا ، إذا قبلنا الدليل الوارد في البيت : ٨٤٦٩ المذكور أعلاه (وهـو ليس حاسما تماما) ، أو على أي حــال بعــد ذلك بــوقت قصـــير جدا ، وكتب النص الباريسي حتما بعد ذلك التاريخ.

اصل الحولية

إن الناحية المميزة أكثر في الحولية هي أصلها ، وفيما عدا إشارة في قوانين رومانيا والمامات في حولية دوروثيوس صاحب مونمفازيا لتي هي نفسها ، لحد معين مستمدة من حولية المورة ، فإن لمصادر للفترة التي أنتجت الحولية صامتة تماما علاوة على أنه يوجد بيانات قليلة في الحولية لتذورنا، والبينة بناء عليه يجب أن تستمد بقدر كبير من لغة النصوص نفسها ، وهي وسيلة بطبيعتها لخاصة غير قادرة على تقديم برهان كامل وتسمح بمجال واسع لتفسيرات ممكنة.

المشكلة.

إن المشكلة مذكورة ببساطة في هذه الأسئلة :

١ ـ هل النص الفرنسي هو الحولية الأصلية؟

٢ ـ هل الحولية اليونانية ترجمة لها أو مشتقة منها ؟

٣ ـ هل الحولية اليونانية هي الأصل؟

٤ ـ هل الفرنسية ترجمة وتكثيف لها؟

٥ ـ هل كلا الترجمتين مشتقتين من عمل أقدم ، فقد الآن ، كتب باليونانية ، أو بالفرنسية أو الايطالية؟ إن المتمسكين بكل واحدة أن هذه الاحتمالات ليست مفقودة بين دارسي الحولية.

وكان بوشون أول من حاول حل المشكلة ، ولسوء الحظ ، إن عمله الرائع حقا حول الفرنجة في المورة قد تميز بتحيز وطني زائد . وهدفه الرئيسي كان تمجيد الأعمال الفرنسية في الماضي .وعلاوة على ذلك كانت أهدافه تاريخية حصرا ، وكان لديه اهتماما قليلا بفقه اللغة ، وقام بعمل فعلي صغير في النصوص اليونانية نفسها .

وطبعته على سبيل المثال من مجموع هـافنسيس غير مـأخوذة مـن المخطوط ، بل من مقارنة قام بها أصـدقاء يونانيون له ، وطبعـاته بناء عليه ذات نفع قليل لدراسـة لغـة النصـوص اليونانية ، وليس مدهشا أنه بوشون قد افترض أن التـرجمة الفـرنسية كانت هـي الأصل وأن اليونانية كانت ترجمة لها.

ومال هوبف للموافقة على هذه الفكرة ولاحـظ أن الفـرنسية كانت اللغة العـامة الاسـتعمال في ذلك الوقـت في المورة (تـاريخ الاغريق ٢٠٢) وعلى أي حال كان في كتابه (التـواريخ الاغريقية الرومانية ص ٤٢) من الواضح قلق حـول هـذه الفـكرة ووعد أن يناقشها أكثر مع أنه لم يفعل.

إنه من السهل جدا رفض فكرة أن النص الفرنسي الذي لدينا هـو الحولية الأصلية. أولا وقبل كل شيء بالبيان الوارد فيها يستبعد هذا الاحتمال ، وأنه من الواضح جـدا أنهـا اختصـار لحـولية أقدم ، وعلاوة على ذلك اختبر شـميت الاحتمـال بتفصـيل كبير في كتـابه : (تـاريخ المورة) ص ٤١ ـ ٧٥ ووصـل الى نتيجـة أن الرواية الفرنسية يمكن احتمال أنها الأصلية.

ومن السهولة بمكان أيضا استبعاد الحـولية اليونانية كأصـل . أولا لأن تاريخ تأليفها يجعل ذلك مسـتحيلا ، وإذا كانت كمـا ذكر أعلاه قد كتبت في وقت ما نحو ١٣٨٨ ، فإنه لا يمكن احتمـال أنهـا الأصل الذي يمكن أن تستمد منه الرواية الفرنسية قبل ١٣٣٢ ، ولا بالنسبة لهذا الأمر ، تلك التي أرخت ١٢٠٢ ويفتـرض أنه اسـتمر حتى ١٣٠٤ وأن أحداثا في وقت متـأخر أكثـر قـد أدخلت وهـي خارجة على الترتيب الزمني ، تبين بوضوح أن الحـولية مبنية على مصنف يمضي حتى ١٣٠٤ . وستقدم أخرى على هذا الأمـر فيمـا يلي : ويبدو واضحا بشكل جيد إذا أن أيا من الحوليتين ليس نصـا أصليا ، ومن المؤكد أيضا أن النص الفرنسي ليس مستمدا من النص اليوناني ، الذي يعود الى تاريخ أحـدث . وليس مـؤكدا تمـاما أن

النص اليوناني ليس ترجمة موسعة للترجمة الفرنسية. وعلى اي حال فإن آراء شمت في كتابه / تاريخ المورة / وادا مانتيوس في كتابه / حولية المورة / ولوغنون في مقدمة كتابه / الاستيلاء على امارة المورة / وفي صفحة ٣٣٧ من كتابه / الامبراطورية اللاتينية /وكالوماروس في مقدمة وملاحظات كتابه / حولية المورة / وكل الكتاب اللاحقين حاسمة في ان الرواية اليونانية ليست ترجمة للفرنسية التي مع كونها مختصرة هي اكثر بكثير دقة ، وتحوي كثيرا من الحقائق المفقودة من الاخرى ، والاثنتان مستمدتان بالأحرى من مصدر مشترك ٠

والادلة على هذا المصدر المشترك مستمدة ايضا من اشارة غربية في الابيات ٩١ ــ ٩٢ من الحولية وهنا يذكر : كما وجدنا مكتوبا بالتفصيل في كتاب/ الاستيلاء / وفي الواقع ان هذا يشير الى كتاب تاريخ وليم الصوري الذي لم يكن يسمى كتاب الاستيلاء .

ومن جانب اخر فان المادة من القوانين الرومانية ، التي تتكلم عن بلدوين الثاني ، تقول : كما ذكر بوضوح في كتاب الاستيلاء وتروي القوانين القصة المشكوك في صحتها عن زواج بلدوين من ابنة الامبراطور/ روبرت / وتعطي بالتفاصيل المماثلة بالكلمات نفسها الموجودة في حولية المورة تقريبا ، والاشارة اذا واضحة للحولية ، ولكن اية واحدة ؟ واضح انها ليست الرواية اليونانية لانها كتبت في وقت متاخر عن القوانين ، وليست الرواية الفرنسية ايضا ، لانه يحتمل ان القوانين مؤرخة بتاريخ متقدم عليها ، ولان القوانين تقوم على مختصر مصنف متوفر ، ولابد ان الالماع يجب ان يكون الى نموذج اصلي سمي بالعنوان المعطي للرواية الفرنسية (كتاب الاستيلاء) الخ ...

فالالماع في الحولية اليونانية اذا يفسر بافتراض نمط اصلي له هذا الاسم ، صنع على منوال تاريخ وليم الصوري ، دافعا بكاتب الحولية اليونانية آليا الى اطلاق اسم الكتاب الاخير على الكتاب

الاقدم الذي صيغ على منواله ومشكله ، لغة هذا النموذج الاصـــل ، مع ذلك ماتزال تواجهنا .

اراء جون شمت ونمط اصلي يوناني :

ويتبع جون شمت المركيز تـــربيير دي لوراي في الرفض بحمـــاس لاحتمال وجود نمط اصلي فرنسي ، وهو ربما يقدم في اقوى تعابيره الممكنة نظرية ان الاصل قد كتـــب في اليونانية ، ويضـــطر المرء مـــع ذلك ، لان يبقى في ذهنه ان اهتمـــامات شـــمت فقهية كلية وحمـــاسه المعترف به لتطوير اللغة اليونانية الحديثة وجماليات ادبهـــا ادى بـــه الى وضع اهمية محورية لمجموع هافندسيس كمعلم في هذا التطور ، وكما يقول هو نفسه : ان المصداقية التي يعطيها لهذا النص ستهتز بشدة اذا كان ترجمة للرواية الفرنسية ، او قد يضيف المرء اي نمط اصلي فرنسي ، وتدل اقوال اخرى له ، انه ربما لم يبد اي تحفـــظات في وجهة نظره ، إنه كان قلقـــا نوعا مـــا ، وعلى ســـبيل المثـــال في الصفحة ٣٠ من مقـــدمته لحـــولية المورة ، يقـــول : ان (النمـــط الاصلي) قد يكون مكتوبا بالفرنسية ، ولكن كحولية فرنسية اكثـــر تفصيلا لم ينقل ، فهو اما فقد أو أنه لم يوجد مطلقا ، ولايمـــكننا ان نثبت الواحد او الاخر .

ثم يتابع فيقول : ان الكاتب الذي كتب الرواية الفرنسية ، اما ان يكون قد اختصر حولية فرنسية او ترجم مع الحذف حولية يونانية . ويجب مع ذلك ملاحظة ان الكاتب ، الذي يذكر كل هـــذا لايقـــول انه يترجم كتابا اقدم ، وفي مكان اخر (في ص ٣١) ، يذكر ان الرواية الاغريقية في كل النواحـــي وفي كل الروايات اكمـــل مـــن الفرنسية (وهذا صحيح فقـــط مـــع التحفـــظات) ويمضي شـــمت ليقول : ان الرواية الفرنسية يمكن ان تشرح بسهولة على انها مجرد خلاصة للرواية اليونانية ، ويذكر الكاتب بوضوح انهـــا خـــلاصته ، وهذا كما بينا اعلاه ليس ممكنا بالمرة ، وشمت نفسه لم يعتقد هـــذا

حقا ، لانه قال اخيرا انه كان هناك نمط اصلي لكلا الروايتين ، ولكنه كان مكتوبا باليونانية .

ودليله على هذا لغوي بشكل رئيسي ، وبين ان الاسماء الصحيحة في كلتا الحوليتين قد اعطيت بشكل صحيح في صورة اللغة التي وردت فيها ، فالاسماء اليونانية مهجاة بشكل صحيح في الرواية اليونانية ، والاسماء الفرنسية في الرواية الفرنسية ، وايضا ان الاسماء الفرنسية في الرواية الاغريقية ليست مشوهة بشدة ، في حين ان الاسماء اليونانية في الرواية الفرنسية قد تحولت الى اسماء فرنسية .

وهكذا يمكننا ان نتوقع ان نجد (١) كل الاسماء اليونانية والفرنسية مكتوبة في النصوص المتعلقة بها (٢) الاسماء الاجنبية في النصوص تعالج بدقة تقريبا ، وهذا صحيح بالتاكيد بالنسبة النص اليوناني ولاسيما نص هافنسيس وهو ايضا صحيح في النص الفرنسي ولكن مع استثناءات معينة ، وهذه هي النقطة الرئيسية في نظرية شمث . والحقيقة انه كان يعتقد ان بعض الاسماء الفرنسية محرفة في الرواية الفرنسية ، مما يظهر ان الكاتب لم يكن يألفها وانه كان عليه ان يعيد بناءها من النص اليوناني الذي كان يترجمه ، وهكذا ان عددا من الاسماء الفرنسية الصحيحة الموجودة في الرواية الفرنسية يمكن ان تفسر اذا اقررنا انها قد مرت عبر وسيط يوناني .

ومرة اخرى فانه اخذ مأخذ دي لوراي فأعطى بعض الامثلة : اللغوية وعرض بعض الاسماء المحرفة ليصل الى القول ان الكاتب قد ترجم اليا الاسم الذي رآه امامه كاسم فرنسي وكتبه تبعا لذلك تماما

والضعف الواضح لهذا الخط من التفسير ، هو بالطبع ، مشكلة من اين جاءت الاسماء في النص اليوناني فاصحابها بالتاكيد ليسوا

يونانيين ، ولابد أنها تحريف لاسماء فرنسية ، اما سمعها المؤلف او صادفها عندما كان يكتب .

ويبدو انه اكثر قابلية للتصديق ان هذه الصيغ للاسماء كانت هي التي استعملها المؤرخ الاصلي ، وان كلا الكاتبين المتأخرين قد تبنياها ببساطة ، ومثل هذه الادلة بلا شك لاتؤكد القول : « وهكذا ان فرضية ان صيغة تامة كاملة للحولية بالفرنسية هي بلا اساس » .

وتكفي بضع امثلة اخرى من تفسيرات شمث لبيان ضعفها المتاصل . وهو يشير مع دي لوراي الى حقيقة ان خمسة نصوص يونانية قد بقيت في حين ان واحدة فقط من كل الروايات الاخرى قد وجدت ، ويميل للدلالة على افضلية المخطوط اليوناني ، وهذا لايدل على شيء من هذا النوع .

وفي الواقع لقد بينت اعلاه ان هذا ليس صحيحا ، ثم يسال شمث لماذا يكون لدى اليونان اي سبب كي يترجموا الى اليونانية مثل هذه الوثيقة العنيفة موقفها المعادي لليونانية ، وهو يعلل انهم بالطبع ليس لديهم سبب لفعل هذا .

ولكن المرء قد يسأل لماذا اذا كتبت باليونانية في المقام الاول ؟ وسوف نعالج هذا السؤال بتفصيل اكثر فيمايلي ، والخط الاخير في تفسير شمث والذي ربما كان الاكثر اقناعا يتعامل مع الالقاب الفخرية للمخاطبة التي تظهر خلال كلا النصين . وكان الفرنسيون في القرن الثالث عشر في العادة يخاطبون ملكهم بكلمة سيدي و« السيد الملك » وكلتا الصيغتين تظهران في الراوية الفرنسية . ولكن بالتأكيد ان تعابير مثل « الامبراطور المقدس « المتوج بالتاج المقدس » التي تظهر ايضا انها ليست فرنسية نموذجية ، بل بالاحرى تراجم لالقاب بيزنطية ، ولكن هل يدل هذا بالضرورة على ان النمط الاصلي قد كتب باليونانية ؟ الا يدل وجود مثل هذه

التعابير على ان الامبراطورية اللاتينية وتوابعها قد ثبتت مراسم البلاط للقصور الملكية اليونانية وان هذه التعابير كانت شائعة الاستعمال في الشرق؟ وقد تبنى البلاط اللاتيني الاجراءات اليونانية في تتويج الامبراطور، مع شارة السلطة الامبراطورية الخ ....

(انظر : ٢ / ٩٨٤ من الحولية) وقد يفترض المرء انهم قد ثبتوا تعابير المخاطبة التي كانت شائعة الاستعمال وكلمات المخاطبة الاكثر تعقيدا للامبراطور يحتمل اكثر انها بقيت ، حيث انها كانت اكثر رسمية ، وهذا كله تخميني واذا قامت وحدها وصحت فانها ستكون حاسمة ولكن مع ارتباطها بالادلة المعروضة اعلاه انها تجيب بشكل واف على جدل / شمث / .

وهكذا نجد ان جدل / شمث / شامل ويؤدي الى اسئلة مربكة ، والاحتمالات الوحيدة الباقية هي ان النمط الاصل قد كتب اما بالفرنسية او الايطالية .

احتمال وجود نمط اصلي فرنسي

عندما يقرا المرء الحولية باليونانية يبقى باستمرار مدركا لعدم الكفاية الواضحة لمفردات اللغة اليونانية . وهناك تكرار يكاد يبلغ حد السخف للكلمة نفسها مرات ومرات لاسيما عندما تكون واحدة مما يلمس هوى لدى المؤلف .

والى جانب هذا هناك نقص واضح في المرادفات ، وبصورة متكررة يستعمل المؤلف الكلمة نفسها مرتين او ثلاثة في الجملة في حين ان الميل الطبيعي هو ايجاد مرادف ، وهذا واضح بشكل خاص في محاولته الاحتفاظ بالوزن الشعري للعمل فكان أن تكررت عبارات كاملة وعكست جملا ، واقحمت كلمات لاضرورة لها ، فقط لمجرد

مله الابيات ، وهذه الخصائص بالتاكيد تضلل في الترجمة او التكيف على اكثر منها القطعة الاصلية المكتوبة .

وربما كانت اوضح طريقة لرؤية هذا هي مقارنة مجموع هافنسيس (التي تسمى بعد ذلك ـ هـ) مع الباريزية (ب ـ ا) والتورينية (ت ـ ا) حيث يبدو على الفور ان التحيز العنيف المضاد لليونانية ل . هـ ، هو بين الاشد مرارة في اي نص تاريخي يختفي في ب ـ وت . وان تحامل الفقرات في الابيات ٧٦٦ ـ ٨٨٠ـ ١٢٤٩ ـ ٥٥ ـ ٣٩٣٤ ـ ٣٩ ـ ٤٧٦٦ ـ ٨٣ ـ ٤٨٤١ ـ ٤٣ الخ محذوف تماما في ب ، والبيان في الابيات ٣٩٩٥ و ٥٧٢٢ ملطف وذلك الذي في الابيات ٧١٣٣ و ٧١٥٧ معدل وفي البيت ١٥٠١ اختزل عدد الجيش اليوناني الى ١٠٠٠ ، وفي الابيات ٥٣٧٩ ، ٥٣٩١ تخترع ب ـ مذبحة للفرنجة ، وفي البيت ٧٢١٩ تقول هـ . (حدث اسى عظيما) وتقول ب : « واسى للفرنجة » وتأتي ت لتكون حتى اكثر شدة في استبعاد هذا التحيز المضاد لليونان (الابيات ٣٧٢٣ ، ٣٩٨٣ ، ٤٧٧٢ ، ٦٧٤١ الخ ...

وهذه الامثلة قليلة وغيرها كثير ، تزيل اي شك كان في ان ب و ت قد كتبا من قبل اليونانيين ويحتمل ان ذلك كان بعد اكثر من قرن من هـ وبلا شك كان للقراء اليونانيين ، وحيث ان هذه هي الحالة فانه من المهم ملاحظة التبدلات اللغوية التي قام بها مؤلف ب في النص الذي كان ينسخه ، والتغيير الاول هو استبعاد كثير من الكلمات الاجنبية التي من الواضح ان مؤلف ب ـ كان يشعر ان قراءه لن يفهموها .

ومن استعراض قائمة موجزة فيها بعض النماذج الموضحة يبدو لنا أن الكاتب لم يكن حريصا على صفاء اللغة والاسلوب .

ولم يحاول ببساطة الاحتفاظ بيونانية صرفة يعبر عنها ، لان النحو والمفردات اللغوية في نصه اصطلاحية تماما ، وهو ببساطة قد

حاول جعل النص مفهوما وحيث ان هذه هي الحالة ، يتبع هـذا ان هـ لابد انها قد اوجدت صعوبات للقارىء اليوناني ، ولكن اذا كانت هـ ممثلة ليوناني الفترة وانها كتبت للقراء اليونانيين كما يتمسك شمث ، فان هذا لن يكون كذلك .

والتغيير الاخر الذي يمكن ملاحظته هو ترجمة الكلمات الاجنبية الى اليونانية .٠

الانطباع العام المستخلص من بعض أعمال المقارنة اللغوية والكتابية هو أن مؤلف هـ ، كان يترجم وثيقة فرنسية ، والاستنتاج الاخر الوحيد هو انه كان يعمل من وثيقة يونانية ، التي بدورها كانت تقوم على وثيقة فرنسية - وبالتأكيد لاحاجة للتعقيد - ان مؤلف ب من جانب اخر لايستعبد بأي حال الكلمات الاجنبية بشكل جوهري من النص ، ولاهو كان يقصد استعمال اليونانية الكلاسيكية ، وقد حاول استبدال الكلمة الفرنسية التي هلينتها هـ ، مما كان يسبب المتاعب للقراء اليونانيين ، وقد حاول ايضا ان يعطي تراجم صحيحة لكلمات وجد فيها مؤلف هـ صعوبة ، وهذا يدل بوضوح ان كل هذه الكلمات في هـ ، لم تكن جزءا من لغة الحياة اليونانية في تلك الفترة ، بل انها كانت كلمات مهلينة بينما كان المؤلف يترجم نصا من لغة اخرى ٠

ويصبح هذا حتى اكثر وضوحا عندما ننظر بدقة اكثر الى هـ اننا نلاحظ على الفور ان النص مليء بكلمات اجنبية . والعدد الفعلي لهذه الكلمات لايعطي دلالة على تأثيرها في النص ، حيث تكرر مرات ومرات . ومعظمها يعطي مترجما مع نهايات يونانية ، وقليل جدا من هذه الكلمات الاجنبية كتب بلغة اجنبية لان المؤلف كان في حينه يشعر بانها قد لاتفهم من قبل قرائه ، واحيانا ببساطة لملء البيت ويعقبها على الفور الكلمات اليونانية المتعلقة .

واضافة الى هذه الممارسات كان المؤلف يحب ان يبتكر كلمات

يونانية قائمة على اصول فرنسية وكل هذه الكلمات المبتكرة لهـا رنين يوناني وهي تذكارية لكلمات اخرى في اللغة .

وعادة اخرى للمؤلف هي اخذ تعابير فرنسية صرفـة وتـرجمتها مباشرة الى اليونانية ، وكثيرا مايكون هذا بنتائج عكسية فـكهة .
وتنساب اللغة بشكل جيد في بعض الفقرات ، ولاسيما تلك التـي يقطع فيها المؤرخ روايته ليخاطب القراء مباشرة ، وهو خطاب مـن الواضح انه مفترض ، وهـذا ايضـا مقـروء بشـكل جيد ، ولكن الرواية هكذا ليست مقروءة بشكل جيد واللغة مفتعلة وملتوية ، وقد عكست العبارات لتحقق الوزن وترتيب الكلمات نفسه ليس طبيعيا ، وكثيرا جدا ماتكون فرنسية واضحة ، وهذا ظاهر عندمـا يقـارنها المرء بحولية فرنسية من القرن الثاني عشر او الثالث عشر والتشابه مدهش ، وربما مأثور وواحدة تصور استعمال كلمة يونانية في عطف على كلمة فرنسية وتعرض واحدة الفرق الطفيف بين النصين ، بـل ايضا اصلهما المشترك وتحوي الاخيرة عبـارة طـريفة لابـد انهـا مشتقة .

وتبقى نقطة واحدة للدراسة في هذه المناقشة للغة النموذج .
وقد اقترح لوغنون ان تكون اللغـة الاصـلية ايطـالية . (انظـر مقدمته لكتاب (الاستيلاء) ، حيث يطور هذه النظرية ، وفي كتـابه الامبراطورية اللاتينية ص ٣١٧ ، حيث ذكرها كحقيقـة) . ونذكر باختصار ان اعتقاده هو لان احد البنادقة في حاشية بارثلميو غيزي او حتى غيزي نفســه ، كتــب الحــولية بــــالايطالية بين (١٣٢٧ و ١٣٣١). وهــذه كمـا يبين كانت الفتـرة التـــي كان الايطاليون يكتبون فيها تـواريخهم ، وكانت حـولية المورة واحــدة منها . ويبين ايضا ان حرب البندقية مع فريدريك الثاني غير مذكورة في الحولية ، ولم يقبل احد بنظرية لوغنون هذه وقد رفضت حالا من قبل ادامانيتوس . واعتقد ان الصعوبة الرئيسة فيها هــي انه لاشيء مطلقا حول الحولية يزيد على الاشارة الى بـارثلميو غيزي في عنوان الترجمة الفرنسية ، يوحي باصل ايطــالي ، علاوة على ان لوغنون

قد قرأ كثيرا ، هذا البيان ، وهو يفترض انه يعني ان شخصا ما من حاشية غيزي قد كتبه ، هذا البيان يقول : مجرد ان الحولية قد وجدت في كتاب كان ذات مرة في حوزة غيزي ، ويستحيل قراءة اكثر من هذا فيها ، حيث انه لغياب الاشارة الى حرب البندقية مع فريدريك ، يمكن فقط للمرء ان يقول : ان هناك احداثا كثيرة اكثر اهمية بكثير من تاريخ المورة تركت ايضا (سقوط الامبراطورية اللاتينية مثلا) ولا نربط اهمية خاصة بهذه الحادثة المنعزلة .

وتظهر المقارنات اللغوية أن الكلمات التي ربما قد اشتقت ايضا من كلمات فرنسية ، هي ضعف الايطالية علاوة على ان كثيرا من تلك الكلمات الايطالية ولاسيما التي تتعامل مع الشحن بالسفن والتجارة كانت في الاستعمال من قبل الشرق الأدنى قبل كتابة الحولية بوقت طويل .

وتجعل المقارنة من الواضح بشكل تام ، أن الفرنسية دون شك هي لغة النموذج الأصلي ، ليس فقط لوجود كلمات فرنسية بضعف عدد الكلمات الايطالية ، بل لأن كثيرا من الكلمات اللاتينية يمكن أن تعد بشكل صحيح فرنسية ، وكل بقية الكلمات اللاتينية هي كلمات دخلت اللغة اليونانية قبل وقت طويل من كتابة الحولية ، خاصة التعابير التي تعالج موضوع الحكومة ، والدين والتجارة ، والأعمال الحربية ، وباختصار ، يمكن للمرء اذا أن يقول يقينا أن كلا من الروايتين الفرنسية واليونانية استمدت من نمط أصلي كتب بالفرنسية والأولى مختصرة ومباشرة وكتبت نثرا ، وربما من قبل رجل دين فرنسي أو فارس فرنسي، يمكن تصور أنه كان في حاشية كاترين دي فالوا بين ١٣٣٣ و ١٣٤٦ ، والأكثر احتمالا بين ١٣٣٨ و ١٣٤١ والأخيرة مترجمة موسعه ومزوقة بدرجة عالية وكتبت بالشعر السياسي ، احتمالا من قبل شخص ما كان في بلاط إيرارد الثالث لى مور ، قبل بضعة سنوات من سنة ١٣٨٨ أو بعدها مباشرة .

النمط الأصلي الفرنسي

لاجدل حول صحة النمط الفرنسي الأصلي الموجود الآن ، ولكن مناقشته بدقة مهمة صعبة ، لأن المرء يجب أن يعتمد على الدليل الذي اكتشف في فرعية الاثنين ، ومع ذلك من الممكن التمييز ببعض الدقة بين المصنف الأقدم والتعديلات التالية ، وهكذا يعاد بناء الأصل المفقود ، ومن الواضح أن هذه الطريقة يجب أن تعتمد بقدر كبير على التخمين ولكن استنتاجات معينة يمكن الاعتماد عليها ، ربما يمكن الوصول اليها .

تأريخ النمط الأصلي :

أن مؤرخا كمؤرخنا ، رجل له قدرات عقلية محدودة نوعا ما وخلفية تعليمية يمكن أن يصف بدقة ، فقط مايراه هو نفسه أو ما يعلمه من شاهد مباشر ، ومالم يعتمد على مصادر مكتوبة دقيقة في ذاتها فإن دقته يجب أن تتناقص بحكم الظروف كلما تراجعت الأحداث التي يصفها أكثر الى الماضي ، ومن الواضح مباشرة أن مؤرخنا لم يستخدم مصادر مكتوبة ، وربما كان قد قرأ وليم الصوري كما توحي الفقرات الافتتاحية من الحولية ، ولكن وصفه للحملة الصليبية الأولى غير دقيق بالمرة ، حتى في الخطوط العريضة ، ولاروايته حول المسار الابتدائي ، بيد أن حديثه عن نتائج الحملة الصليبية الرابعة جاء قريبا من الحقيقة ، ومن الواضح ـ مع أنه أمر غريب ، أنه لم يستعمل رواية فيلهاردين ، وتفسيره لتاريخ الأحداث في الولايات اليونانية لتلك الفترة يكشف أكثر جهله التام بالمؤرخين البيزنطيين ، ويمكننا أن نخمن بأمانة بناء على ذلك بأن مصادره الوحيدة للمعلومات كانت عيناه وأقوال الشهود التي جاءه بعضها مباشرة ، وكان يمكن الاعتماد عليها ، وأخرى منها جاءته كإشاعات وتقاليد ، وهناك استثناء واحد ـ بعض الوثائق ـ التي ستناقش أدناه ، وحيث أن

الأمر كذلك ، فان الحولية بالتالي لا يمكن ابعادها عن الأحداث التي تسجلها ، وواضح من الحولية الفرنسية ان الرواية الرئيسية تغطي السنوات ١٢.٤ ــ ١٣.٤ مــع النصــف الأخير للفتــرة مــوصوفا بالتفصيل ، ولنقل ان المؤرخ في حينه لم يتمكن من تسجيل اي حدث بأي دقة لو أنه كتب بعد أكثر من جيل من وقوع الحدث . وقد تمــت معالجة حكم غوليوم الثاني ١٢٤٦ ــ ١٢٧٨ بتوسع كبير مــع كثير من التفاصيل الحية ، ويمكننا أن نفترض أن المؤرخ تكلم مع الناس الذين شهدوا هذه الأحداث ، وهــذا ايضــا يفسر لماذا عولج حــكما جيوفــري الأول وغيوليوم الأول بهــذا الاختصــار ، وعدم الدقــة ، والاستنتاج هو أن الحولية كتبت بعد وقت قصير جــدا مــن ١٣.٤ (ويجب أن يبقى في الذهن انه بحلول ١٣٢. يبدو أن الحولية كانت متداولة ، وكانت بلا ريب قد أصبحت في حوزة بارثلميوغيزي) .

وهناك بيانات معينة في الحولية تــؤكد هــــذا التــــأريخ ففــــي البيت ٥٧٣٨ يقال لنا إن أطفال الأتراك الذين تزوجوا وتــوطنوا في المورة في ١٢٦٥ كانوا مايزالون أحياء عندما كتبت الحولية ، وهذا قد يكون صحيحا بالنسبة لوقت يلي بوقت قصير ١٣٠. ، ولكن ليس بعد ذلك بكثير بالنظر للنسبة العالية المروعة لمعــدل الوفيات في المورة التي مزقتها الحــرب في تلك الفتــرة وفي الأبيات ٧٤٢١ ، ٨٠٧١ ، ٨٦١٦ ، ٨١١. ، يدعى نيكولاس الثاني دي سانت أومــر بــالرجل العجوز ، ولكن المؤرخ قد أخطأ بــذكر الأب مــكان الابــن نيكولاس الثالث الذي توفي في ١٣١٤ ، وهــذا يدل على أن نيكولاس الثــالث كان رجلا مسنا ومازال حيا عندما كان المؤرخ يكتب ، وهكذا يبــدو ان الدورية الأصلية قد كتبت بين ١٣.٤ و ١٣١٤ .

المؤلف وعمله :

أن لمدهش ولكنه صحيح أنه لايوجد بيان واحد في الحــولية يتعلق بالمؤلف نفسه ، ومع ذلك فان شخصيته تظهر ، مع أنها غير واضحة

فقط بالاستدلال من صفحات حوليته ، وقد أثار هـذا التعـدد مـن النظريات بين العلماء ، حتى بالنسبة لجنسـيته ، واعتقـد لوغنون بان ايطاليا كتب الأصل / هوغاسمول / الذي كتب الترجمة اليونانية الأخيرة ، واعتقد بوشون وهوبف أن الأصل قد كتبه فرنجي ، وأن النسخة الأخيرة كتبها يوناني ، أما كالوناروس فليس متأكدا مـن الأصل ، مع انه يعتقد أنه كتب بالفرنسية ، وأن النسـخة الأخيرة كتبت من قبل غاسمول . ويعتقد شميت أن الأصل قد كتب باليونانية من قبل فرنجي ، وأن النسـخة الأخيرة دقيقـة وان كانت مـوسعة الخ ....

وفي رأيي ليس هناك من شك في أن المؤلف هو فرنجي فلماذا يكتب يوناني وثيقة مضادة بشدة للاغريق بالفرنسية ؟ ولماذاكان علينا أن نفترض أن غاسمول كتبها ؟ وقبـل كل شيء ان الذين اقتـرحوا أن يكون غاسمول هو المؤلف ، غير واضحين تمـاما في تمييزهـم بين النمط الأصلي والنسخة اليونانية المتأخرة ، وثانيا أن كل مـانعرفه عن آل غاسمول وهم مـن نتـاج زواج فـرنسي يوناني ، في هـذه الفترة ، يدل على أن مشـاعر غاسـمول لابـد أن كانت مـوالية لليونانية ، وقد رحب بآل غاسمول مـن قبـل اليونانيين ، وأعطـوا مناصب عليا في البلاط والجيش اليوناني ، ومن جانب آخـر إنهـم رفضوا تقريبا من قبل الفرنجة ، ومن الصـعب في الواقـع أن نجـد سببا مقبولا لماذا كتب أحد أفراد عائلة غاسمول حولية هدفها الكامل تمجيد مفاخر الفرنجة القدماء واثـاره التنافس بين أبنائهـم الذين تحدروا منهم .

ولأن الحولية تفعل هذا بالضبط كما هو واضـح على الفـور لكل من يحاول أن يعلق بالحواشي على الحولية ، بل لانتاج رواية متألقة عن أعمال الفرنجة الماضين ، وأن يحث مستمعيه على العمل في أيام الانحطاط الفرنجي في المورة ، لقد أراد أن يضرم مـن جـديد العنف الشبيه بالحرب لحكم غوليوم الثاني . وبالتأكيد إن مثل هذا الهدف والحنين الى الماضي يدل على أن فرنجيا هـو المؤلف,وعلى أي حـال

كان المؤلف فرنسيا تماما في مواقفه وتحيزه ، فالفرنجة دائما يقعون في الضوء المواتي ، وترد البيانات تلو البيانات حول تفوق الفرنجة في الأسلحة والخلق والشجاعة . وفي الحقيقة إن هذه كلها كانت توضع في أفواه أعدائهم من الاغريق ، وتظهر المشاعر النمونجية المضادة للاغريق لدى الصليبيين من الفرنسيين ، مع أن النقد الساخر والعنيف الوارد في هـ والذي لايمكن التفوق عليه في العنف قد أقحم من قبل المترجم ، حيث نجد على سبيل المثال أن الأبيات ٧٥١ ـ ٧٥٥ ـ ٨١٦ ـ ٨١٩ ـ ٨٢٧ ـ ٨٤١ و ١٢٤٩ ـ ١٢٥٥ . مفقوده في الترجمة الفرنسية . ومن الواضح أن المؤلف كان كاثوليكيا متشددا ، مع أنه كان على معرفة بالكنيسة اليونانية الأرثوذكسية وطقوسها ، ومع ذلك فهو لم يتحيز الى جانب الأكليروس في كفاحهم ضد الأمير في المورة (٢ ، ٢٦٢٦ ....) ولم يكن رجلا ذا منزلة رفيعة ، لأنه على مايبدو لم يأخذ دورا فاعلا في أي من الاجراءات التي وصفها ، وعلاوة على ذلك يبدو وكأنه كان يخاف من الألقاب الرفيعة ولايضيع مطلقا فرصة لتسجيلها .

وحتما لم يكن شاعرا ، اذ أنه لايوجد تقريبا أية إلماعات شعرية . وبالأحرى إنه رجل نثر قوي ويعبر عن الفكرة تماما ، وهناك على أي حال نوعية درامية لكثير من الفقرات ، لاسيما تلك التي تعالج إجراءات البلاط ، وتصادم الشخصيات .

وفي هذه فإن الأحاديث ، مع أنها خيالية ، لها رنة الصدق وتدل على شخصية المتكلم ، ويشعر المرء بأن الشخص لابد أنه تحدث بهذه الطريقة ، والناحية الأكثر إثارة للدهشة في شخصية المؤلف هي اهتمامه الشديد بالعادات الاقطاعية ، في دعاوى القضاء الأعلى ، وصحيح أنه وصف المعارك والتطورات السياسية ، ولكن دائما فعل ذلك بطريقة سطحية خاطفة ، ولديه ميل لاختصار مثل هذا الوصف ، وسروره الرئيس مع ذلك هو في القضاء الأعلى الذي يملأ جزءا غير عادل النسبة في سعته من الحولية ، وهو هنا على

أساس وطيد . ووصفه للدعاوى والقانون مضبوط بدقة ولديه معرفة دقيقة بـالقانون ، ويذكر كثيرا مـن المواد في قـوانين المورة ومـن الواضح أنه قد درسها .

علاوة على أنه على مـايبدو قـد درس سـجلات الاقـطاعات في المورة ، وأنه قد استخدم هذا المصدر لبياناته حول مختلف القصـور ومؤسيسـها وانتقال ملكيتها وهذا ظـاهر مـن ميله للخلط بين الاب والابن عندما يحملان الاسم نفسـه ، ولايظهـر التمييز بينهمـا في معظم الأعمال مالم يوقع الأب والابن الوثيقة نفسـها ، وعليه فـان الاستدلال هـو أنه كان كاتبـا ديوانيا أو كاتبـا بـالعدل في المحكمة ، وهناك نقـطة أخـرى ، ولو أنهـا غير مبـاشرة نوعا ما ، تميل الى تأكيد ذلك ، فهـو يكشـف عن ولع غريب بـالغموض والمكر طالما أنها في جانب الفرنجة ، وهـو على سـبيل المثـال يعيد السرد بتلذذ واضح للطريقة التي سلب بهـا روبـرت مـن ميراثـه الحق (انظر فيمـا يلي ص ١٣٥ ـ ١٤٢) وفي الزمـرة نفسـها خطف وزواج ابنة الامبـراطور / روبـرت / مـن قبـل الأمير / جيوفري / وخرق / غوليوم / الثاني لمعاهدته مـع ميكائيل بالايولوغوس الخ ....

وهكذا تظهر صورة مؤلف الحولية الأصـلية ببـطء ، وبـانذاره بتراجع وانهيار بيت آل فيلهاردين بسـبب السـلسلة الطـويلة مـن الكوارث التي دمرت رخاء المورة ، في الحروب التي دمرت المقـاتلين فيها ، وبسبب التدخل الأجنبي الذي كان يهدد وجودها ذاته ، تولى هذا الكاتب بالعدل الفرنجي ، ذو المنبت الوضيع ، والذي كان مـع ذلك متوافقا مع عرقه وكنيسته تولى مهمة هز اقرانه من الفرنجة من فتورهم ، والهامهم بأن يعيدوا في قرنهم الأعمال المجيدة التـي أدت الى الاستيلاء على اليونان بهذه السهولة قبل ذلك بقرن كما في تقاليد أناشيد الأعمال ، وأنتج هو أيضا أغنية ليست بالخيالية حول أبـطال الأساطير والتنين ، بل واقعية عن الفرنجة وأعدائهم ، وحـوليته حقيقية وان تكن مزينة بشكل مقبـول ومفهـوم تتـراوح بين القـوة

والاعتدال ، وهي معقولة مفهومة معترف بهـا ، سـمحة التفـكير كالفرنجة الذين تصفهم ، وتضـم مـع كراهيتهـا بعض الاحتـرام والتسامح تجاه أعدائهم .

الحولية اليونانية

ان هذه الخصائص مـع ذلك فقـط بـالنسبة للرواية الفـرنسية الحولية والحولية اليونانية أمرا آخر تماما ، ومع أن الأصل قد يبقى ممـكن التمييز في صـفاتها فـان الانحياز العنيف المضـاد للاغريق وللارثوذكس للمترجم يغير النغمة تماما ، ومـن الواضـح جـدا أن نمطا مختلفا من الشخصية قام بالعمل

المؤلف وعمله .

لاشيء معروف بالمرة عن المترجم اليوناني أكثر من حقيقة أنه كان على صلة وثيقة بالكنيسة الكاثوليكية وكان على درجة مساوية مـن الكراهية الشـديدة للاغريق ، والقليل جـدا فيمـا عدا ذلك يمـكن الاستدلال عليه من اضافاته سوى انه كما ذكر أعلاه ، أنه ربما كان عضوا في بلاط إيرارد الثالث ويفترض عادة بأنه كان من الغاسميول لمجرد أنه كان يكتب باليونانية . وأسبابي للشك بأن الكاتب الأصلي كان من الغاسميول هي أكثر إمكانية حتى للتطبيق في هذه الحـالة ، وبالتأكيد حوالي نهاية القرن الرابع عشر ، عندما كان واضـحا أن العصيان الاغريقي لايمكن تفاديه وكان دائما واضحا بالقدر نفسـه ان أيام حكم الفرنجة في المورة معدودة ، فإن أحد آل غاسميول الذي تم الترحيب بهم بحرارة من قبل الاغريق صعب أن يقـف في جـانب الخصوم من الفرنجة في ذلك الحين ، مع أن المرء بالطبع قـد يفعـل ذلك .

وان تفسيرا يعرض نفسه يكمن في فحص اسباب ترجمة الحولية

الى اليونانية في المقام الأول ، وقد تساءل شميت لماذا تترجم مثل هذه الحولية الى اليونانية ؟ والسؤال الأصح يجب أن يكون لماذا لاتترجم ؟ أن التمثل الثقافي للفرنجة من قبل المقهورين الاغريق كان سريعا بشكل يثير الدهشة وفي زمن غوليوم الثاني الذي كان من أول جيل ولد في اليونان ، وكان يتكلم اليونانية بطلاقة ، أن قسما كبيرا من الفرنجة كانوا يتحدثون بلا شك بلغتين ، ويذكر غوليوم بشكل خاص على أنه كان يتكلم اليونانية (١ ، ٤١٣٠) ومن المهم أن الحولية تذكر هذا على أنه شيء من الانجاز ، ويذكر اليونان هذا ببساطة كحقيقة ، علاوة على أن الاغريق كثيرا ماكانوا يحتاجون كمترجمين ، وكان الجيل التالي يتكلم كله اللغتين ، وبقيت اللغة الفرنسية مع ذلك لغة ضرورية وفعالة ، للقادمين الجدد الذين لم يكونوا يعرفون اليونانية ، وكانوا يفدون باستمرار الى المورة (انظر ١ ، ٨٣٢٠) وعندما كان على الوافد الجديد جيوفري دي برويير أن يستخدم إغريقيا ليكتب رسائله . وكانت الروابط مع أوروبا الغربية ماتزال قوية وكانت هناك رحلات جيئة وذهابا .

وهكذا إن الحولية قد كتب أصلها على نحو صحيح بالفرنسية . وفي مجرى المئة سنة التالية ، على أي حال تبدلت الحالة بقوة وجعلها تردي المورة أقل بكثير من موطن اسطوري ٠

والآن أصبح القليل يأتي الى المورة بحثا عن حظه ، وتضاعف الزواج الداخلي المتبادل أضعافا كثيرة ، واستمر التمثل الثقافي الطبيعي حتى يمكن القول بأمان أن اليونانية كانت اللغة الطبيعية للفرنجة في المورة بحلول نهاية القرن الرابع عشر . وفي الحولية ثلاثة إلماعات الى جيوش مكونة من الفرنجة والاغريق على اعتبار أنهم يتكلمون لغة واحدة (٢ ــ ٣٨٠٤ ــ ٣٩٨٦ ــ ٤٧٢١) واذا كانت هذه البينات جزءا من الحولية الأصلية ويعود تاريخها الى نحو ١٣١٠ ، فيحتمل أنها فقط أدلة أكثر على انحياز المؤلف الموالي للفرنجة ، وهو ببساطة أغفل حقيقة أن الاغريق كانوا

موجودين من أجل المحافظة على الالحاح على الفرنجة (انظر أدناه رقم ٦٦ ص ١٨٤) .

واذا اقحمت هذه البيانات مع ذلك من قبل الكاتب الأخير حوالي ١٣٨٨ ، إن تفسيرا جديدا مختلفا تماما قد يقوم عليها ، وفي هذه الحالة طالما أنه صحيح أن لسانا واحدا - أعني اليوناني - كان لغة الاغريق والفرنجة في ذلك الوقت طبق المؤرخ ببساطة المقارنة التاريخية على زمن مضى ، وهي حالة كانت صحيحة في زمانه ، وفي كلتا الحالتين تبقى حقيقة أنه بنهاية القرن الرابع كان هناك من الفرنجة من يتكلمون اليونانية كلية أكثر من ذوي اللغتين ، وفي مثل هذه الحالة اذا أراد المرء أن يقدم حولية فرنسية للفرنجة كان عليه أن يترجمها الى اليونانية وهذا بالضبط مافعله كاتبنا .

والسبب في أنه قرر أن يوفر حولية المورة لمعاصريه ليس صعب التخمين جدا ، وهي بالضبط الأسباب نفسها التي حثت مؤلفها الأصلي على كتابتها قبل جيلين - مع فرق واحد هو شدتها ونغمتها ، والتطورات التي أرعبته أصبحت حقائق وبعضها مضى عليه زمان طويل ، وقد اختفى الفرنجة تقريبا من المورة كشعب بالتمثل وكأمة ، بالغزو والامتصاص . ورغب الكاتب الأخير بالأهداف نفسها كسلفه ، ولكن كان فيها نغمة إضافية من اليأس ، ولاحظ الاقحام في السطور ١٥٨٧ حيث ينذر بمجيء السيطرة الانجفينية إلى المورة . وحيث أنه يرى أمامه النتائج الواضحة لتراجع قوى الفرنجة ، فتصويره لخصائص مجدهم الماضي يصطبغ بالاحباط المتطرف ، وكي يرفع تأثيره على الشعور المعتدل نوعا ما المضاد لليونانيين في الأصل ، إلى شجب يكاد يكون هستيريا ، ويقابل الفرنجة الفاضلون الذين لايقهرون باليونانيين الجبناء المخادعين العاجزين . فإن الحقائق التي قدمها ولم تتوافق دائما مع هذا التصوير كانت لاتينية ، ونجد على سبيل المثال أن الحولية في أحد المواضع (١ ٤٢٠٧) تقول عن ميكائيل باليولوغوس : « مثل هذا الرجل الحكيم النبيل كما كان » وفي موضع آخر : (١ -

١٢٤٥) « اندبه للظلم والاثم الذين ارتكبهما هذا الخسيس» . وماحدث واضح ، بينما سعى الكاتب الأول إلى إحياء القوى الفرنجية مع بعض التأكيد بأنها يمكن أن تعود ، تخلى الكاتب التالي عن مثل هذا الأمل ، وهو يعلم أن الوقت قد فات .

وهو يعرف أيضا أن الأغريق مطمئنون إلى النصر النهائي ، ومن هنا كراهيته التي خرجت عن السيطرة والسخرية فيها أنه قد تراجع إلى استخدام لغة هؤلاء اليونانيين ذاتهم حتى يتسنى للفرنجة أن يفهموه .

وهكذا يبدو لي أنه لشرح الطبيعة المزدوجة للحولية وتضاربها الداخلي يجب أن نفترض أن كلا المؤلفين كانت لهما أهداف متماثلة من الكتابة ولكن مضى مايزيد على جيلين من الأحداث المضطربة وحتى المفجعة في المورة قد أحدث إحباطا ويأسا لدى المؤلف الثاني ، أدى إلى تحريف الحولية الأصلية .

القيمة التاريخية

وعلى الرغم من هذه الطبيعة المزدوجة ، فإنه مازال يجب أن تعد الحولية اليونانية مصدرا تاريخيا هاما ، طالما أن الرواية الفرنسية هي ملخص فقط . والرواية الاغريقية هي الوثيقة الوحيدة التي لدينا ، والتي تعطي رواية قائمة جديرة بالثقة لتأسيس النظام الاقطاعي في اليونان في القرن الثالث عشر ، وهي علاوة على ذلك المصدر الفرنجي الرئيسي للتاريخ الفرنجي - اليوناني . هذا مع حقيقة أنها قد كتبت بعد وقت قصير جدا من وقوع الأحداث التي تصفها يجعلها عالية القيمة ، حتى مع أنها كعمل تاريخي قد تخطيت بكثير بعمل سانودو وأعمال المؤرخين اليونانيين المعاصرين ، وإنها مع ذلك يجب أن لاتدرس من أجل الرواية فيها في المقام الأول ، مع أن هذه هي مصدرنا الوحيد من أي نوع لكثير من الأحداث ، بل للتبصر الذي توفره لنا في مؤسسات العصور الوسطى والعادات

الاجتماعية ، وبدلا من المناقشة بالتفصيل في جدارة الحولية كرواية تاريخية ، أحيل القارىء إلى الصورة التاريخية المقدمة أعلاه وإلى التعليق في الحواشي ، وهذه مع النص تتحدث عن نفسها ، ويكفي هنا القول أن الرواية هي من نوعية متفاوتة الجودة . فأجزاء منها زائفة تماما ، وأجزاء مشوشة بشكل يبعث على اليأس ، وأجزاء أخرى نوعا ما لايمكن الاعتماد عليها ، في حين أن أقساما معينة هي بالكامل هكذا ، وهذا يعكس حقيقة أن الحولية تعتمد على مصادر من نوعية غير مستوية . وكوثيقة اجتماعية ، مع ذلك إن الحولية رائعة ، وتكاد تكون فريدة ، وفي صفحاتها يصور النظام الاقطاعي في يونان القرن الثالث عشر بطريقة تنبض بالحياة ، ونرى خطوة بخطوة تقريبا كيف أدخل النظام الاقطاعي إلى اليونان ، وكيف وزعت الأراضي بين الغزاة ، وكيف بنيت القصور والقلاع ، والعلاقات المعقدة بين الأقطاعيين وأتباعهم وأمرائهم ، قد تم القاء الضوء عليها في كل أجزاء الحولية ، ونحصل على صورة واضحة عن العلاقة بين الكنيسة والدولة في المورة ، والأهم عن العلاقة بين الفرنجة والاغريق ، والاندماج الناتج بين المؤسسات الغربية والشرقية ، والناحية المبهرة في الحولية هي النظرة المفصلة التي تعطيها للادارة في النظام الاقطاعي وهي قيد العمل ، وهكذا نكون حاضرين في كثير من تفصيلات القضاء الأعلى ، ونستطيع أن نتتبع من خلال كل تقنياته أهم المناقشات القانونية التي شكلت التاريخ الموري ، ونقف كشهود عيان لمجالس الحرب ونشهد مقارعة الفرسان وحفلات الفروسية والمعارك ، والحصار ، ومفاوضات الصلح ، ونرقب استئجار تابع لأقطاعية من الاقطاعيات وتجريد آخر منها ، وباختصار إن الحولية اليونانية هي نسيج مزخرف غني يصور بكل الحيوية الحياة الاجتماعية للعصور الوسطى .

خلاصة

وبإيجاز يمكن إذا للمرء أن يقول إن الأدلة تسمح لنا أن نذكر بالتحديد أن أنشودة تاريخ أعمال فرنسية تدعى غزو القسطنطينية

والامبراطورية البيزنطية وأراضي إمارة المورة قد تم نظمها بين ١٣٠٤ و يحتمل حوالي ١٣١٠ وقد تم تداول هذه الحولية في ترجمات مختلفة كل منها أعدت من قبل شخص مختلف ، يعكس في معالجته للأصل شخصيته الخاصة وميوله ويضيف إليها حوادث تالية ليصل بالرواية إلى زمانه ، وأول تلك التي نعرفها قد تم تأليفها بين ١٣٣٣ و ١٣٤٦ ويحتمل أكثر في وقت ما بين ١٣٣٨ و ١٣٤١ ، إنها باختصار دقيق واقعي ومباشر يلتزم بدقة باللغة الأصلية النص ، ويقدم نوعا من خلاصة الوقائع في تاريخ المورة في القرن الثالث عشر ، ربما لمنفعة كاترين دي فالوا واستخدامها وبالتأكيد لبعض مثل هذه الشخصيات ، فالرواية لم تعد للاستعمال العام ، بل من أجل المعلومات الخاصة لرجل الادارة .

والرواية التالية من العمل قد تم نظمها في حوالي ١٣٨٨ من قبل كاتب فرنسي كان يتكلم اليونانية ، ترجم الأصل إلى العبارات الاصطلاحية والأسلوب المميز لمنفعة الفرنجة المتكلمين باليونانية ، وقد كتبت شعرا ، حتى يمكن أن تقرأ أو تسمع عند تلاوتها ، كما ذكر بوضوح في الحولية نفسها ، وقد أخذ الكاتب حريات واضحة واسعة في الفصل الأصلي ، وتتميز روايته بكثير من الاضافات وأعمال الحذف وتسير إضافاته بالرواية حتى عام ١٣٨٨

وكتبت رواية أخرى في ١٣٩٣ . وهذه المرة اراغونية ترجمت عن الرواية الثانية ، وهي مختلفة تماما عن كل الأخريات في أنها محاولة جدية للتاريخ مستخدمة مختلف المصادر الأخرى لاصلاح الحولية نفسها وتعديلها .

وظهرت رواية خامسة متأخرة نوعا ما عن ١٣٨٨ ، ويحتمل أن يكون بقرن أو أكثر ، كما اعتقد شميت. وكان ذلك من قبل كاتب إغريقي ضليع ، كتب للمستمعين اليونانيين . ويحتمل أنه في ذلك الوقت كانت الترجمة اليونانية للحولية على الرغم من تفنيدها تعتبر كمثال هام لرومانسيات الأغريق في العصور الوسطى ، كتبت بلهجة

شعبية ، وكان تطورها بلا شك تحت تأثير الأدب الغــربي ، وهــذه الرواية هي مراجعة للرواية اليونانية ، وبــالنسبة لمســتمعيها هــي عملية طمس عنيفــة للانحياز القــوي المضـــاد للأغريق في الرواية المتقدمة ، وليست هناك محاولة لمتابعة الرواية التاريخية ، ووجهــة النظر هي مجرد أدبية ، وتلا هذه الرواية في أوقــات مختلفــة أربــع أخرى على الأقل على حد مــانعرف ، واحــدة بــالايطالية وثـــلاثة باليونانية ، ولكن بما أن هذه مجرد نسخ مترجمة وهي جميعا سيئة التنفيذ فإنها قليلة الأهمية .

الترجمة الراهنة

عن الطبعات الحديثة المحققة للحولية اليونانية ، وتميز تلك التــي نشرت من قبل شميت في ١٩٠٤ نقطة عالية ، ليس فقــط في حــولية المورة بل في تحقيق جميع حــوليات العصــور الوســطى اليونانية ، ومكنته دراسته المتسمة بالمثابرة لكل المخطوطات المتــوفرة للحــولية ومعرفته العميقة لتطور يونانية العصور الوسطى من إعطاء التفسير الموضح للنص في مجموع هافنسيس ، وطبعته هي الأكثر نفعا لأنها تنطوي على تحقيقه الرائع للنصوص الباريسية والتورانية أيضا ، ومع ذلك فان الفهارس في نهاية المجلد ليست لسوء الحــظ بــالكفاءة نفسها . إن التعريف التاريخي بالناس والاماكن قد قام على ثقــافة القرن التاسع عشر ، وكنتيجة هي بحاجة لمراجعــة كثيرة في ضــوء ثقافة أكثر حداثة ، والأكثر أهمية مــع ذلك هــي محــدودية مسرده اللغوي من الكلمــات اليونانية ، وهــذا المسرد غريب بــدرجة كافية بالنظر لمعارف شميت العميقة التي لا شــك فيهــا بــاليونانية إلا أنه يحوي الكثير من سوء التــرجمة ، والتــرجمة الخــاطئة للتعـــابير اليونانية للعصور الوسطى ، وعلى العموم استند شميت بقــوة على معرفته باللهجة التقليدية العتيقة وبدرجة أقل بكثير على اللهجات في العصور الوسطى والحديثة ، والظاهر أن معرفته هذه كانت محدودة بدرجة اكبر .

وبالنظر لهذه العيوب وبناء عليه فان طبعة جديدة من الحولية كانت مطلوبة منذ بعض الوقت ، مع أن النص كما قدم من قبل شميت يقر بعدم وجود أي تحسين تقريبا .

وطبعة كالوناروس التي ظهرت في عام ١٩٤٠ كان يقصد بها تلبية هذه الحاجة ، وقد ظهر نقد كثير لهذا العمل ، بعضه مسوغ ومعظمه لا مسوغ له ، وقد استخدم كالوناروس مع تبديل صغير النص كما قدمه شميت ، الأمر الذي كان طبيعيا حيث ان عمل شميت في النص كان موثوقا ، والاسهام الهام للعمل الجديد هو تصحيحه لسرد الفاظ شميت وفهارسه ذلك أن عملا مكثفا في لغة الحولية قد تم منذ أواخر القرن التاسع عشر ، لاسيما من قبل العلماء اليونانيين مثل داراغونيس وأدامانتيوس وفوريكيس وهاتزيداكس وجمهرة من الرجال الأقل شهرة ، الذين ظهرت أعمالهم في الصحف اليونانية وهي دائما مألوفة للعلماء الأمريكان ، وهذا العمل على اكبر درجة من الأهمية في دراسة النصوص اليونانية للفترة الفرنكو ـ يونانية ، وقد أدى كالوناروس الذي قرأ بتوسع هذا الأدب خدمة عظيمة بإخراج طبعة من الحولية تضم هذه المعلومات الجديدة في حواش ذيلية موسعة ، وتعريفه بأسماء الأماكن مهم بشكل خاص ، ومع ذلك إن بالطبعة خصائص معينة سيئة الحظ تحد من نفعها نوعا ما ، أولا بالنسبة لوقائعه التاريخية ، اعتمد كالوناروس بدرجة كبيرة على أعمال أقدم بينها أعمال لامبروس وباباريغولوس ، ومستنده الأحدث هو زكيثينوس ، وأكثر مايدعو للأسف أنه لم يدخل أعمال لوغنون اللازمة ، الذي راجع بشكل كامل الترتيب الزمني لكامل الفترة ، وثانيا ان الطبعة قد شوهت بفرط الأخطاء المطبعية ، التي ألمت بالتواريخ وبأرقام الصفحات الخ والتي تسبب التشويش ، ثالثا هناك ثبت مصادر يعج بالأغاليط ، وتحوي قائمة المراجع الأعمال ذات القيمة المعترف بها فقط ، وهي لاتضم الأعمال الأحدث التي تذكر في الحواشي ، وهذا الذكر كثيرا جدا مايحذف تاريخ ومكان النشر والصفحة الصحيحة للمرجع وأحيانا حتى العناوين .

ومن أجل قراءة الحولية مع الفهم بلغتها الأصلية ، وبالنظر لحدودية الطبعتين إن على المرء أن يستعملهما معا مع المراجع الدائمة المعترضة ، وحيث ان طبعة جديدة من العمل تبدو غير محتملة فان هذا الاجراء المربك سيبقى في كل الاحتمالات غير ضروري وهو الاسلوب نفسه الذي كان علي اتباعه في القيام بهذه الترجمة وخلالها استخدمت كلا النصين مع إشارة دائمة الى الروايات الأخرى للحولية ايضا ، وحيث أني شعرت أن ملاحظات كالوناروس كانت عظيمة الأهمية ، وحيث أنها غير متوفرة بشكل جاهز للقارىء الذي لامعرفة لديه باليونانية الحديثة ، أدخلت منها في ملاحظاتي كل ماأمكنني تحقيقه ، وفي معظم الحالات لم أشر الى هذا بالطريقة المعتادة ، لأني شعرت بأنها ستثقل الحواشي التي كانت بالفعل موسعة ، والاستثناء لهذه القاعدة كان بالطبع تلك الأماكن التي كنت أشعر بأن التصحيح فيها كان ضروريا .

ولابد من قول بعض كلمات أخيرة حول الترجمة نفسها : تظهر هذه الحولية خاصة كثيرا من الصعوبات للمترجم ، وهذا صحيح حتى بالنسبة لأسلوب النقد اليوناني البسيط للقرن الرابع عشر ، ولكنه صحيح بشكل خاص بالنسبة لهذا النص ، الذي تتكون لغته من مزيج من الألفاظ اليونانية التقليدية ، واللهجة اليونانية للعصور الوسطى ، وفرنسية العصور الوسطى ، علاوة على انها مكتوبة بالشعر (ومن أجل تحليل موثوق النظم ، يحال القارىء الى مقدمة جون شميت حولية المورة ، حيث يتم تحري الامر بشكل شامل) وفوق كل شيء إن النص فرنسي تماما في الروح والصورة الأدبية ، وهو يوناني كما يقول شميت ص ٤٣ في اللغة فقط .

وفي مواجهة مثل هذا النص ، يجب أن يكون هدف المترجم واضحا منذ البداية الأولى ، حيث يمكنه المحافظة على الترابط خلالها ، وكان هدفي المتحكم هو تزويد القارىء الناطق بالانكليزية ، الذي لايعرف اليونانية بترجمة أقرب مايمكن من النص

الأصلي ، وهذا كما شعرت ذو أهمية عالمية ، أولا لأن الحولية مصدر تاريخي هام لم يترجم مطلقا من قبل باستثناء محاولات بوشون غير الوافية وثانيا لانه مثل باهر للأدب الفرنكو - اليوناني في القرون الوسطى ، وثالثا لأن لغتها بالقدر نفسه الحياة الاجتماعية التي تصفها تلقى الضوء على ثقافة العصور الوسطى .

وبناء عليه حاولت أن أعيد الاخراج بالانكليزية بأعظم ماأستطيع من الدقة وهذا يعني أن ترجمتي هي بأكبر تأكيد ليست مايجب ان أعتبره حولية انكليزية جيدة الكتابة بالشعر ، ولسوء الحظ أني است شوسر ولم يكن مؤرخي هو ميروس ونصة مليء بالتكرار ، وتقريبا بالافراط الممل ، وقواعد اللغة مروعة بالنسبة لأية متابعة يونانية ، ولقد تقوض تركيب الجمل ، والأسماء الموصولة قد اختفت تقريبا ، والترادف من النوع الأكثر اثارة الدهشة ، يجري خلال النص كما يفعل السحر ، وأصبح التنقيط التغيير الدائم للفواصل ، والفواصل المنقوطة مع فترات دورية معترضة ، ولكن هذه هي خصائص النص ، ولقد شعرت أنه لتغييرها وتصحيح أخطاء القواعد ، واستبعاد التكرار واستبدال المرادفات وباختصار تحويل هذا النص السيء الكتابة ، وان يكن نابضا بالحيوية الى أدب مصقول سيكون اساءة لعرضه تماما ، وحتى قد يقول المرء ، تدميره بدلا من ترجمته وسيجد القارىء ان علامات التنقيط في هذه الترجمة لاتتوافق مع أفضل استعمال اللغة الانكليزية ، ولاحتى الأسلوب ، وكثير من الفقرات تتميز بترادف مدهش وأحيانا مربك في أية لحظة ، وأنا مدرك تماما لهذه الخصائص ، ولكني شعرت أنه بهذه الطريقة فقط تظهر نكهة للأصل ، ولهذه الغاية وزنت كل كلمة وحاولت استبدالها بكلمة انكليزية بالشدة نفسها والدلالة ، وترجمت الكلمات الفنية بأفضل مقابل لها بالانكليزية وأعطيت الكلمات الاجنبية بأصولها .

والأهم ان الكلمات البسيطة الأكثر تعدادا قد أعطيت بإنكليزية بسيطة وهنا ان الاغراء بتغيير الأصل ربما كان الأقوى ، وسيجد

الكاتب ايضا أن العـلامة المعتـادة للمتـرجم وإضـافاته بين قوسين ، قد أبقيت في حدها الأدنى ، وكان قصـدي في كل هـذا أن أجعل من الممكن للقارىء غير القادر على قراءة الاصل باليونانية أن يقرأ المقابل الانكليزي بأقرب ماأمكنني فعله ، وأرجو أن أكون قـد نجحت ببعض المقاييس ، لأن السرور بقراءة هذه الحولية اليونانية فريد وجزيل الجزاء .

تاريخ الدورة

مجموع هافنسيس ٥٧

(١-٢٣) سأخبركم بقصة عظيمة ، فإذا أصغيتم إلي ، أرجو أن تسركم ، عندما كانت السنة (٦٦١٢) منذ خلق العالم (٢) بهذه الكثرة ولا أكثر (وقعت الأحداث التالية) : خلال التعاون والحماس ، والجهد العظيم وتعب الأخ بطرس الناسك ذو الذاكرة المباركة (٣) ، الذي انطلق إلى بلاد الشام التعبد في القدس عند قبر المسيح ، ووجد أن المسيحيين ، وحتى البطريرك الذي كان يخدم هناك عند القبر المقدس قد أهينوا من قبل غير المعمد ، أولئك السراسنة الذين كانوا سادتها ! وعندما كان البطريرك يحتفل بالقداس ويرفع عاليا الأشياء المقدسة ، كانوا يمسكون به بعنف ويلقون به أرضا ، وإذا كان شجاعا جدا ليواجههم بالكلام كانوا يطرحونه فورا على الأرض ، ويضربونه بشدة ٠

وبرؤية هذا (٤) كان الناسك القديس مضطربا بدرجة كبيرة ، فبكى وحزن وقال للمسيحيين وللبطريرك كمسيحي أورثوذكسي أقسم لكم وأقول : إذا كان الرب يسمح أن أعود إلى الغرب ، فإني سأذهب شخصيا إلى البابا بالغ القدسية ، وإلى كل الملوك لأنبئهم بما رأيت ، وآمل برحمة المسيح أن أحركهم للقدوم مع (٢٤ ـ ٥٩) جيوشهم إلى هذا المكان لطرد السراسنة من قبر المسيح . وعاد وهو يندب بشدة وذهب إلى روما ، وروى للبابا ما سمع ورأى ، وبكى البابا (٥) عند سماعه لما روى ، بكى طويلا وبشدة ، وكان عميق الحزن ، ثم أمر على الفور بكتابة رسائل إلى سائر الممالك ، وأرسل الكرادلة والمطارنة والأساقفة إلى مملكة فرنسا ، وأيضا إلى الأراضي الأخرى حيث يوجد مسيحيون وحيثما كانوا يحكمون ويسيطرون يباركهم ، وهذه هي الدعوة التي أرسلها إليهم : كل من يذهب إلى الشام إلى قبر المسيح سينال العفو الفوري عن آثامه مهما كان قدر ما اقترفه منذ ولادته وحتى الآن .

وحالما سمع كل قادة الغرب هذا هبوا لطرد عرق البرابرة وكان تحشد المسيحيين عظيما ٨٨,٠٠٠ فارس تجمعوا وتجهزوا و ٨١٨,٠٠٠ من المشاة التابعين لهم ، وعبروا إلى هناك عن طريق

القسطنطينية إلى بلاد الاناضول (٦) التي كان يملكها الاتراك والتي هي الآن قاعدة للاغريق ، وإذ راى اليكسيوس فاتاتزس (٧) حشد الفرنسيين ، عقد اتفاقا موثقا بالقسم وابرم معاهدات مع القادة : اذا وهب الرب وطردوا الاتراك من أراضي الاناضول التي كانت الولاية (٨) الموروثة بالملكية ، واذا سلموا له الأرض والحصون فإنه سيذهب معهم إلى سورية بشخصة وأنه سيأخذ معه ٠٠٠ ر ١٢٠ فارس ، والآن والفرنجة كرجال صادقين في كل شيء صدقوا كلمات الملك وأعطوه قسمهم . وقد حافظ الفرنجة الذين أقسموا على أيمانهم وبعبورهم إلى آسيا الصغرى غزوا الأرض (٩) وسلموها على الفور لأليكسيوس فاتاتزس الذي كان في هذا الوقت ملكا (٩٠ ـ ٩١) لكل رومانيا (١٠)

والآن عندما تسلم القلاع والمدن عقد مجلسا استشاريا سريا مع أركانه (١١) من النبلاء حول أية ذريعة يمكن أن يجدوها للانسحاب من الحملة الشامية ، وعدم القيام بأي مخاطرة . ثم اجتمع الملك مع الأمراء والنقباء والقادة في جيش الفرنج وتكلم بهذا معهم ، وهذا ما قاله لهم : « أولا أشكر الرب ، وأشكركم ثانيا أيضا لأنكم ساعدتموني وقد استعدت ولا ياتي الموروثة ، ثم التمس منكم ، أن يكون بمشيئتكم أن تعطوني شهر زمان أتخلف فيه لأمون القلاع التي ربحتموها ، وحتى أعد جيوشي للذهاب معي ، وسأكون مستعدا بسرعة لامضي إلى هناك لأجدكم » والفرنجة كمسيحيين لم يكن لديهم شك في وجود خدعة ، قد صدقوا قوله واستأذنوا منه واجتازوا أرمينيا ، وذهبوا إلى انطاكية وتخلف الملك ، لقد خدع الفرنجة وأخل بيمينه الذي أقسمه وأخفق في الالتزام به ولم يذهب معهم كما تعهد لهم . انظر هذه الجريمة التي ارتكبها هذا الملك ، لقد لامه واستهجن فعله رجال العالم كلهم ، وعندما ذهب الفرنجة إلى انطاكية ، تعرضوا لكثير من الصعاب قبل الاستيلاء عليها (١٢)
والآن وقد أخذوا مدينة انطاكية أمضوا الشتاء هناك حتى شهر آذار ، ومن هناك خرجوا إلى الأماكن السورية وهم ينهبون ويستولون على المدن والقلاع . وخاضوا معارك كثيرة مع العرق

البربري ، كما وجدناه مكتوبا بالتفصيل في كتاب الاستيلاء (١٣) الذي وضع في ذلك الوقت في سورية ، وإني أكتب هذه الأشياء في الحقيقة حتى تعلموا (٩٢ _ ١١٥) ولكن بشكل ملخص ، لأني احاول العودة إلى قصتي .

والآن وقد توغلوا بعيدا في سورية ذهبوا مباشرة إلى القدس وحاصروا المدينة ودخلوها ، وعندما وصلوا إلى قبر المسيح قدموا الشكر وأنشدوا الاناشيد للصانع والخالق ، وتشاور القادة حول من يجعلوه ملكا ، وكان هناك متنافسون كثيرون (حول هذا المنصب) لأنه كان لهم مجدا عظيما ، ولكن الأكثر حكمة والعموم منهم اختاروا غودفري دي بوليون (١٤) ملكا ، لأنه كان الأحكم والاكثر فضيلة بينهم جميعا ، وجعلوه أميرا وملكا على سورية (١٥) والآن إنه كرجل حكيم قبل الحكم ولكنه لم يتنازل بأي حال عن رفض أن يضع التاج الذهبي فوق رأسه قائلا أنه لم يكون جديرا به كما أنه ليس مناسبا أن يتوج رجل خطاء هناك حيث توج المسيح بتاج من شوك .

والآن بعدما بدأ سادة حكم الاقطاع الفرنجي في الانتشار في مملكة سورية ، كما أخبركم ، لم تمض خمس سنوات أو عشر حتى شرعت حشود هائلة من مملكة فرنسا (١١٦ _ ١٣٨) وانكلترا ومن مختلف الممالك الأخرى في الغرب مع كل الذين يحبون المسيح وكانوا يلتمسون التقوى ، وأعداد كبيرة من الفقراء والأغنياء (بكثافة عظيمة) مع القوات التي لم تتمكن من العبور (بسبب نقص السفن) شرعت بالذهاب إلى سورية حيث قبر المسيح ، وكانوا يذهبون إلى هناك مع عائلاتهم ويستوطنون ، بعضهم للعبادة وآخرون سعيا وراء المجد .

والآن وقد مرت مئة سنة كاملة منذ جرى ذلك العبور كما أخبركم كانت السنة في حينه ٦٧١٦ . منذ خلق العالم (١٦) هكذا كان رقم السنة ، والتقى أولئك الكونتات الذين سميتهم هنا مع بعضهم

بعضا ، ومع رجال أعظم منهم من الغرب ، أو أدوا معا القسم ، وانضموا إلى الحملة ليقدموا بها معا إلى أرض سورية ، وإلى القدس إلى قبر ربنا (١٧) (١٣٢ ـ ١٦٤) وكان الاول هو بلدوين كونت فلاندرز ، وكان الثاني يدعى كونت شامبين ، وكان الثالث كونت طولوز (١٨) والآن فإن العديد من القوات والاعلام (١٩) التي كانت في هذا الاجتماع وتلك الحملة ، لا يمكنني أن أعدها بسبب الكتابة الكثيرة (التي تتطلبها) وتشاور كل القادة معا حول من يكون قائدا على الجيوش ، وبناء عليه اختاروا الكونت الشامباني لأنه كان أكثرهم دماثة في الخلق ومهارة في استعمال السلاح ، وكان شابا في الخامسة والعشرين ، وبناء على دعوة القادة جميعا قبل المنصب ، واخذه متلهفا ، ثم قرروا بالتشاور ان يذهبواكل الى اراضيه للاستعداد للحملة ، وفي السنة التالية في بداية نيسان يجتمعون معا للذهاب الى سورية .

وعندما تفرقوا ، ذهبوا الى أراضيهم ، ولم يكن قد انقضى شهر أو شهران بخطاياهم كان أن توفي الكونت ، ذلك الرجل الرائع ، الكونت الشامباني وتفجر الحزن والنواح بين جميع الحجاج وبسبب شدة أساهم كانوا على وشك التخلي عن الحملة والعبور ، تمعن في الشر الذي حل بموت الكونت . ثم حيث أن الرب أراد أن تسير الحملة ، وحتى لا يتردد هذا العدد الكبير من الرجال العظام بسبب الشك ويتخلفوا ويتخلوا عن هذه الرحلة الطيبة ، ظهر من بينهم فارس صالح ، وكان رجلا نبيلا وحكيما فوق التصور يدعى جيوفري وكنيته فيلهاردين (٢٠)

وكان مارشالا كبيرا لشامبين (٢١) . وكان الناصح (٢٢) والمستشار الاول (١٦٥ ـ ٢٠٩) لكونت شامبين طيب الذكر ، الذي نصحه بالقيام بالحملة. وعندما رأى حكم القضاء ، بموت الكونت ، تولى امر تلك الحملة. وقد افتى كرجل حكيم بأنه سيكون أثما اذا تم التخلي عن الحملة وتحرير المسيحيين بسبب موت رجل واحد ، وسيكون موضوعا للوم والاستهجان.

وأخذ اثنان من فرسانه من المجلس وترك شامبين وذهب الى فلاندرز حيث وجد الكونت بولدوين شديد الأسى للموت الذي قضى على كونت شامبين ، وعندما ندبه الاثنان معا ، واجه السيرجيوفري كرجل حكيم الكونت ، وكان يعرف الكثير مما يقال والكثير مما يشير به حتى أنهما صمما من جديد على أن تنفذ الحملة ، وبعد أن قرر أن ينفذاها ، أعطاه كونت فلاندرز فارسا ليصحبه الى كونت طولوز ، واخذا الطريق على الفور وذهبا الى بروفانس ووجدا الكونت محزونا ، وكان بالغ الاسى من جانب على وفاة كونت شامبين ومن الجانب الآخر كما قال بسبب الحملة التي تم التعهد بها ، وكان قد تأذى تماما ثم ان السير جيوفري الرجل الحكيم بدأ في تهدئته ، وأعلمه بأن الكونت بلدوين أمير فلاندرز رغب وعزم من جديد على تنفيذ الحملة ! ولهذا السبب أرسل الى هنا هذا الفارس معي أيضا ، وإني معه لاعلمكم (برغبته) بأنه إذا كنت تريد أن تجتمعا في أي مكان تقررانه ، وأن تكتب للآخرين من المرتبطين بالقسم نفسه حتى يحضروا هم أيضا معكما لتجتمعوا معا لتحددوا وما عليكم أن تفعلوه.

والآن إن كونت طولوز كرجل حكيم ، وقد سمع كلمات واقتراحات السير جيوفري ، أذعن ودخل في خطته ، ثم قررا أن يلتقيا ، لماذا يجب أن أخبركم بالتفصيلات الكثيرة إذ ربما تملون؟ لقد التقى الكونتان في بيرغندي ، وتشاورا معي ومع الحجاج حول من سيكون قائدا للجيوش وبناء عليه أعلن أحكم الحجاج . واتفقوا على تعيين بونيفيس وكان مركيز مونتفرات (٢٣) وكان أميرا عظيما ، وجنديا شهيرا في الحقيقة ، والأول في كل ايطاليا ، وكانت لديه سلطات هائلة وجيوش كبيرة (٢١٠ ـ ٢٤٦) وحدث أن أخته كانت ملكة فرنسا .

وبناء عليه طلب الكونتان مع الآخرين أيضا على اختلافهم ، وقادة الحجاج من السير جيوفري أن يذهب الى المركيز ليحثه ، ولمطالبته بالموافقة على تولي القيادة ، وأن يمضي معهم الى

سورية ، ليكون الاول بينهم جميعا كرئيس وقائد لسائر الجيوش ، واعطاه الكونتان فارسا عن كل واحد منهما ، واعطياه وعدا انه أيما يتخذ من الترتيبات فإنهما سيصدقان عليه ولن يبطلاه مطلقا.

وبناء عليه ودعهم السيرجيوفري وأخذ فارسيي الكونتين وذهب مباشرة الى حيث كان بونيفيس ، فوجدوه في لاتسا (٢٤) وهي مدينة كبيرة ، وعندما نزلوا وألقوا عصا الترحال ، وذهبوا الى المركيز ، وحيوه بلطف نيابة عن هذين الكونتين النبيلين ، وكل من بقي من الحجاج تكلم معه ، وبدأ يخبره بذلك ، وبأنهم سموا أولا كونت فلاندرز وثانيا كونت طولوز ثم النبلاء ، قادة الحملة ، وطلب منه الجميع الموافقة على أن يصبح قائدا لهم ، وقائدا لكل الجيوش ، واختاره الجميع كرجل حكيم ونبيل وأملوا في حكمته وبأنه لن يخدعهم . وأجابهم المركيز كرجل حكيم هكذا : إني أشكر النبلاء وكل الكونتات ، على أنهم تفضلوا بإعطائي المنصب ، ولا يمكنني الآن أن أجيب بدون استشارة وموافقة مولاي الملك وهو ملكي وابن عمي زوج أختي ملك فرنسا ، والملكة كذلك وهي أختي (٢٥) وبناء عليه لحبي له كحبي لشرفي ، فلندعهم يتحملون معي قليلا حتى يمكنني الذهاب اليهم طلبا للنصيحة والجواب الذي سيوجهونني به لاعطائه (٢٤٧ ـ ٢٨٥) بعد ذلك سوف أعود وأعطيهم جوابا .

واستعد المركيز على الفور ، وغادر لاتسا وعبر الجبال التي تفصل فرنسا عن لومبارديا وسافر حتى دخل فرنسا ، ووجد الملك في باريس وكذلك الملكة وحياهما معا ، حيث دخل فرنسا ، ووجد الملك في باريس وكذلك الملكة وحياهما معا ، حيث أنهما كانا هناك ، وكانا سعيدين جدا عندما رأيا المركيز . وسألته الملكة : ماذا تريد هنا ياأخي؟ إني مندهشة جدا من أنك جئت الى هنا ، فلم أرك تحضر الى مملكة فرنسا لترانا عندما كنت أشعر بالوحدة أكثر في حياتي.

فروى لكليهما بتفصيل كبير ، وأخبرهما بالسبب مع مشكلة لماذا قدم اليهما وهو أن الكونتات النبلاء الذين أقسموا بالمسيح على الذهاب الى سورية ، طلبوا مني أن أذهب معهم الى قبر الرب كقائد للجيوش وإني لن أعطي بأية طريقة جوابي بدون نصيحة وموافقة منكم ، فأنتم سادتي ، لهذا السبب جئت لأراكم ، ولأعرف رغبتكم مع أي جواب تأمروني بإعطائه ، وأجابه ملك فرنسا على الفور وهكذا خاطبه : أشكرك يا أخي ، مركيز مونتفرات على القرار الذي اتخذته بالمجيء وطلب النصيحة منا نحن الذين نحظى بمحبتك ومن أقربائك ، والآن يبدو لي أن شرفك عظيم عندما يعينك مثل هؤلاء الرجال العظام ويطلبون منك أن تكون أميرا وقائدا وحاكما ، وعليك أن تشكر الرب وأن تشكر حظك الطيب ، وبالنسبة لي إنه يسرني جدا وأشير عليك بالقيام به وأن تفعله بشجاعة وإقبال عظيم ، لأني أعتقد جيدا وأعرف وأقر أنهم بسببي يفعلون هذا ، حتى يتسنى لك الحصول مني على مساعدة وعلى جيش (٢٦) (٢٨٦ ـ ٣٢٨)

وبناء عليه أقول ، يا أخي إني آمر وأحب أن تفتح خزانتي وأن تأخذ بقدر ما تريد ، وكل من يريد ويتوق من كل المملكة ، له أن يذهب معك الى سورية ، هذا ما أريده وما يسرني ، لأن هذا شرف ومجد لكل أقاربك.

والآن وقد سمع هذا أومأ المركيز ، كرجل حكيم برأسه وأعطى علامة الموافقة للملك ، وشكر الله أولا وثانيا له ، وأخذ كل ما أعطاه له من الأموال والقوات ، واستأذنه (للرحيل) وودعه وعانق الملكة وقال لها ، سيدتي باركيني ، دعيني أمضي ومعي تبريكاتك ، وبناء عليه استأذن وعاد الى حيث إمارته وأراضيه في مونتفرات ، التي اشتاق اليها كثيرا ، وعلى الفور كتب الرسائل وأرسل الرُسل الى كونت فلاندرز ، وكونت طولوز (يعلن) أنه قد عاد من فرنسا ، حيث كان مع الملك ، وأنه كانت لديه الارادة واللهفة لفعل ما طلب منه ، وأن يذهب في صحبتهم الى القبر المقدس حيث صلب المسيح من أجل الجنس البشري ، وبناء عليه أعلم بعضهم بعضا

أين يجب أن يجتمعوا للتشاور حول النقطة التي يجب أن يقوموا بالعبور منها : واجتمعوا في سافوى حيث تشاوروا ، وبعد أن تدارسوا توصلوا إلى اتفاق فيما بينهم على أن يقوموا بالعبور من البندقية.

ومن ثم طلب الكونتان كلاهما والآخرون جميعا من قادة الحملة من السير جيوفري رئيس مجلسهم كرجل جدير ، وأحكم وأعقل من في الجيوش جميعا أن يذهب الى البندقية للترتيب للعبور ، وأصدروا أوامر كتابية موشحة بالأختام اليه ، وأعطوه تفويضا بسلطاتهم وأعطوه وعدا بالتصديق وتنفيذ كل ما ينجز ، (٢٧) وأعطاه الكونتان فارسا ممثلا لكل واحد منهما ، وأعطاه المركيز واحدا آخر ، وكان لدى السير جيوفري اثنان آخران أيضا من أتباعه وأخذهم (جميعا) وانطلق ، وعبر الجبال ووصل الى بيدمونت ثم الى مونتفرات وعبر الى لومبارديا ، ووصل الى البندقية وحيا الدوج نيابة عن المركيز والكونتين وعن الآخرين جميعا ، والاول هو الافضل والاشهر.

وأعطاه السير جيوفري نفسه الرسائل ، وبعد ذلك تحدث اليه ، وقال له شفاها بأنهم قد طلبوا منه كصديق وأخ لهم بأن يرتب لهم (٣٢٩ ــ ٣٩٥) أمر الحصول على مراكب لينتقلوا بها الى القبر المقدس للمسيح هناك في سورية وأنهم يطلبون أن يعبر ٨٠٠٠ مع خيولهم و٨٠,٠٠٠ آخر من مشاتهم ، والآن كان دوج البندقية ، سير أنريكو يدعى داندولو وهي كنيته وهكذا كان يلقب (٢٨) .

لقد كان رجلا ساحرا جدا وحكيما واستقبل السير جيوفري بتشريف ، وسر جدا بسماع الرسالة لأنه توقع وخامره شعور بأن البندقية ستلقى تشريفا وفائدة كبيرة من الحملة ، وأمر بأن يجتمع سائر الأشراف والنبلاء كما فعل العامة جميعا في مدينة البندقية ، ودخلوا كنيسة القديس مرقص وبدأ يتحدث اليهم ، أيها

النبلاء ، الأصدقاء والاخوة ، رفاقي وأقربائي انظـروا كيف يحبنا الملك المجيد ، لقد بعث الينا بالشرف والمجد والمنافع (ووضعها بين أيدينا) عندما جاءنا زهرة فرنسا ، أمراؤها العظام ، يلتمسون منا في مدينتنا ، أن يقدموا المال ونقدم السفن ـ وعندما سمع النبلاء وزعماء البندقية وأيضا كل العامة ، الذين كانوا هناك معهم الكلمات والمعلومات التي أخبرهم إياها الدوج ، غمرهم السرور وشكروا الدوج على النصيحة والتوجيه الذي أدلى بهما اليهم ، وهللوا له جميعا وأقروا وصدقوا (على توجيهه) وقالوا إنه يجب أن ينفذ دون تاخير

وعندما اقروا وصدقوا سياستهم ، ودعوا السير جيوفري والفرسان الذين كانوا هناك معه كفريق تابع له ، واعطاهم السير انريكو داندولو ، دوج البندقية جوابا ، وهكذا اجابهم : ان الشيء الذي التمسوه كان مدعاة لسرور البندقية ، ووضعوا الشروط ودونوها كتابة ومهروها بالاختام ، واكدوها بمعاهدات عظيمة في هذا المجال ، بانه اذا انقلب الامر (٣٦٦ ـ ٤٠٠) ولم يصل عدد كاف من الفرنجة لشغل وسائط النقل الكبيرة (٢٩) التي سيجهزها البنادقة لهم ، فانهم سيدفعون تكاليف السفن التي ستبقى دون تاخير او مماطلة .

وعندما اتموا هذه الاتفاقيات استاذن فرسان الفرنجة وودعوا الدوج وكل البنادقة ، وتركوا البندقية ، وسافروا عبر لومبارديا ووصلوا الى مونتفرات ووجدوا المركيز ، ووصفوا له بالتفصيل الامر والحالة ، وكل مارتبوه مع البنادقة . وعند سماعه ذلك ، كان المركيز مونتفرات راضيا جدا عما انجزوه . وبناء عليه ودع الفرسان بونيفيس هذا المركيز الذي اخبرتكم عنه ، وعبروا جبال لومبارديا العالية ووصلوا الى فلاندرز ، حيث كان الكونت بولدوين الحكيم ، هكذا اخبركم : استفسر منهم مفصلا عما انجزوه في مدينة البندقية ، وعما اذا كانوا راضين عنه وعندما اعلموه بما انجزوا وحققوا ، بداله جيدا للغاية ، وكان بالغ السعادة ، وامر بكتابة

رسالة على الفـور الى سـائر الممـالك حيث كان يوجـد كل هؤلاء الحجاج الذين انضموا الى الحملة الصليبية للذهـاب الى سـورية ، والتي رتبوها مع البنادقة ليعدوا السفن ، حتـى يمـكن ان يقـوموا بالعبور في السنة التالية خلال شهر آذار .

وعندها لسوء الحظ ظهرت عقبة في وجـه الفـرنجة ، ولم ينطلق الجميع من البندقية ، وتشـاور البـروفنساليون مـع الكونت الذي حدثتكم عنه كونت طولوز ، لانها على الساحل وكانت لديهم سـفنهم الخاصة لينطلقوا من هناك لانهم اعتبروا هذا مناسبا (٣٠) ٠

وعندما جاء الربيع ، كمـا اخبـركم الان تمـاما ذهـب كونت (٤٠١ ـ ٤٣٧) فلاندرز وجميع الرجال مـن كل انحـاء فـرنسا وبونيفيس مركيز مونتفرات الى البندقية للقيام بـالعبور ، وعندمـا رأوا ان كونت طولوز مع رجـاله وغيرهـم مـن تلك الاراضي كانوا غائبين ، وانه لم يكن هناك عدد كاف من الرجال لملء المراكب ، هنا قام نزاع كبير مع البنادقة ، لانهم سيمنعون الفـرنجة مـن العبـور حتى يفوا باتفاقهم ، اي ان (يدفعوا) تـكاليف السـفن المتبقية ، والان رفض دوج البندقية كرجل حـكيم بقـوة هـذا النزاع واسرع بحساب كيفية تهدئته (٣١) وفي الوقت الذي اتحدث فيه لكم حـول مدينة زارا،وكانت في سكلافونيا،حدث انها ثارت ضد البندقية . فدعا (الدوج) الفرنجة وقال لهم ولبو نيفيس مركيز مونتفرات اولا ثـم لكل القادة ، وكان مونتفرات القائد الاعلى للجيش ، ويليه في القيادة بولدوين كونت فلاندرز ، الذي كان الاول بين الجميع : ايها النبـلاء اقول لكم اذا اردتم وضع نهاية للنزاع والخلاف الواقع في الجيش ، اذا اردتم ذلك ووعدتم بان تحاصروا بقـواتكم زارا في سـكلافونيا ، والتي هي الان في حالة ثورة ضـدنا ، وان تسـلموها لأيدي وأهـل البندقية ، فاننا عندئذ سنجعل تكاليف تلك المراكب التي نطلبها منكم هدية لكم ٠

وبعد ذلك وافق الفـرنجة وصـدقوا على ذلك وابـرموا المعـاهدات

والاتفاقات ، والان صعد دوج البندقية مع جماعته الى السفن التي بقيت ، ورفعوا المراسي وابحروا من البندقية ، وذهبوا الى زارا واستولوا على الميناء ، وعندئذ نزل الفرنجة بلهفة عظيمة وفي حملة(٤٣٨ ـ ٤٥٣) كبيرة من الشواني الكبيرة ، وهاجموا المدينة واستولوا عليها بالسيف واعطوها للبندقية وتحللوا من قسمهم وتعهدهم (٣٢) .

والان بدءا من هذه النقطة ساتحول عما كنت اكرر روايته لاقوم بشيء اخر : كيف قامت عقبة امام اولئك الحجاج ، وتخلوا عن رحلتهم الى سورية ومضوا الى حيث غزوا مدينة قسطنطين .

وفي هذا الوقت الذي اتحدث لكم عنه في تلك الايام كان ملك مدينة قسطنطين ملك الاغريق كيراسحق فاتاتزس (٣٣) وكان له أخ مليء بالشر كانوا يدعونه اليكسيوس (٣٤) وسمل هذا عيون الملك واستولى على الامبراطورية ، وكان للملك كيراسحق فاتاتزس من اخت ملك المانيا ابن رائع يدعى اليكسيوس (٣٥) عندما رأى ان اباه فد عمي (٤٥٤ ـ ٤٨٤) انطلق من هناك الى المانيا ، وعندما وصل الى خاله الملك ، اخبره بالتفصيل بالامر والحالة ، وبأن عمه الكافر قد استولى على الامبراطورية ، وعندما سمع الملك الان بهذا اسف له اسفا شديدا ، وكرجل حكيم قرر مساعدته ، وبناء عليه قال له : يابني وابن اختي ، ليس لدي ماأخدمك به فيما اخبرتني عنه ، ولكني سمعت تقارير ـ احضرت منذ وقت قصير جدا ـ بان جيش الفرنجة ، الذي كان في طريقه الى سورية الى قبر المسيح ، قد وصل الى البندقية ، ويبدو لي جيدا انكم اذا كنتم راغبين في القيام بذلك وقادرين على الوعد بهذه (الحصيلة) بابا روما ، اذا امر القوات واولئك الحجاج بان يتخلوا عن حملتهم تلك الموجهة الى سورية ، والذهاب الى القسطنطينية لاعادتها اليكم ، وان يستعيدوا امبراطوريتكم حتى يتسنى لكم ان تحصلوا على ولاياتكم : ان تجبروا كل اليونانيين على احترام البابا ، وفي الحقيقة للتقيد في كنيسة روما وان يتوحدوا معنا في الايمان بالمسيح ، وبهذه الطريقة

امل واثق بانكم ستحظون بجلالكم . وبسماع هـذه الاشـياء التـي رؤيتها ، وعدهم الكسيوس فاتاتزس الشاب واقسم بان يفعل ذلك . وعندما سمع الملك انه كان يتلهف لان ياخذ عهدا على نفسـه ، امـر بكتابة رسائل الى البابا ، ووجه الرسل وارسلهم اليه ، واوضـح له بتفصيل كبير كل ماذكرته هنا (٣٦)

لماذا اخبركم بكل هذا ، اذ ربما مللتم ؟ وعندما سـمع البـاباهذا غلبه السرور وامر بكتابة رسائل على الفور الى الحجاج وارسل احد الكرادلة (٤٨٥ ـ ٥٤٧) وجعل منه ممثلا له وارسل بركاته للجميع ودعوة بـانهم اذا تخلوا عن الحملة الى سـورية للذهـاب الى القسـطنطينية ليعيدوا الكسـيوس الابـن في الحقيقـة للملك اي كيراسحق على عرش الجلالة وتتويجه ، فان كل من يمـوت في هـذه الحملة سينال العفو وتوضع عنهم خطاياهم كما لو كانوا قد مـاتوا عند قبر المسيح (٣٧)

واخذ الكاردينال الذي تكلم عنه ذلك المندوب اخـذ الاوامـر مـن البابا المقدس وسافر من لومبارديا ، ووصل الى البندقية وصعد الى ظهر احدى الشواني ومضى الى زارا ، ومن الاتجاه الاخـر وصـل الكسيوس فاتاتزس لقد ارسله الملك من المانيا ، وعندما وصلوا الى زارا ، كان هناك اعلان الى جميع الحجاج التجمع والاسـتماع الى امر البابا ، وبناء عليه تكلم المندوب اليهم ، وامـر بتـلاوة وصـايا البابا .

وبتفصـيل كبير بين لهـم الحملة ضـد المدينة (٣٨) التـي كانت مختلفة تماما عن الحملة ضد سورية ، لانه كان افضل بـكثير جمـع المسيحيين على الاتفاق وتماثل الافكار وكذلك الفرنجة واليونان بدلا من الذهاب الى سورية بدون أمل (في النجاح) وبوغت تماما رجال الجيش ممـن كانوا يريدون الذهـاب الى القبـر المقـدس ، ولأن افاضلهم وافقـوا على التخلي عن الحملة الى سـورية للذهـاب الى المدينة فـان عددا كبيرا معينا مـن رجـال الاكليروس عادوا الى

ـنسا ، وبسبب تعليمات المندوب وبركات البابا ، تطورت عند ـخرين الرغبة في الذهاب الى المدينة .

وعندما راى دوج البندقية هذه اللهفة (الى القيام بمغامرة ـيدة) وفعل مثله كل رجالات البندقية ، اخبروا ونصحوا بعضهم ـضا بان يذهبوا ايضا الى المدينة ، طالما ان لديهم هذه المراكب ـائضة ، لانه اذا كان لهم ان يعودوا الى البندقية ، فان هذا ـيكون عارا ولوما للبندقية ، وبناء عليه توصلوا الى اتفاق ، ـرروا انه من اجل مغفرة البابا بالغ القدسية ، وثانيا من اجل مجد ـبندقية فانهم ايضا سيمضون الى هناك في صحبة الحجاج ، ـندما اتفق جميع اعضاء الجيش (٥٢٨ ـ ٥٥١) غادروا زارا ، ـستعدوا للانطلاق ، وذهبوا راسا عبر رومانيا ووصلوا الى ـينة ، ونزل الفرنجة بسرعة الى البر وبقي البنادقة على ظهر سفن ـقل (٣٩) .

ودعوني الان اخبركم كيف تقع مدينة القسطنطينية : يمكنني ان ـبهها بشراع سفينة ، لانها مثلثية ، ويواجه ضلعان منها البحر ـواجه الثالث البر : ولان المياه الشاطئية التي تحيط بالمدينة كما ـبرتكم عميقة وعظيمة ومتحدرة وتتساوى في عمقها على طول ـناء مع مياه المحيط المحازي ، اقتربت الشواني والمناقير وسفن ـقل من الشاطىء كما لو كانت قوارب تجديف (٤٠) وبنى البنادقة ـعتبارهم حرفيون بحريون مهرة ، ذوو مكر وحكمة ، وبراعة كبيرة ـسورا فوق سفن النقل وبمهارة وحكمة القوا بها فوق اسوار ـينة .اما الفرنجة فكانت معركتهم الان فوق الارض ، ولكنهم لم ـونوا باي حال قادرين على ايذاء المدينة ، لماذا يجب ان اكثر من ـحديث فربما تملون ؟ ودخل البنادقة المدينة اولا ، واخذت المدينة ـسيف تماما بالطريقة نفسها التي اخبركم بها ، وهرب الكسيوس ـرير ، الملك الغادر كيفما امكن له ، وعبر الى سكوترس وترك ـينة وذهب الى اسيا الصغرى (٥٥٢ ـ ٥٨٦) .

وبناء عليه هــرع النبــلاء الصــغار في المدينة وقــد راوا الاعداد العظيمة للفرنجة الذين يدخلونها ، هرعوا مسرعين الى السجن حيث كان الملك كير اسحق فاتا تزس وفكوا اغلاله وذهبوا بــه الى القصر واجلسوه على العرش (٤١)

وعندما ســمع الفــرنجة بــامر الملك ، دعوا الســـيرجيوفري ، مستشارهم الاول ، وفيما بعد نبــلاء اخــرين ، وذوي النبــالة مــن الرجال واوعزوا اليهم بالتفصيل بان يذهبوا الى الملك وان يحضروا معهم في الحقيقية ابنه الكسيوس ليناقشــوا معــه بتمعــن الحــالة والامور ، والترتيبات التي اجراها ابنه مع البابا واذا مــا كان قــد وجدها مرضية ان يصدق عليها .

وذهب المبعوثون اليه بسرعة ووجدوا الملك جــالسا على العــرش فحيوه باحترام نيابة عن قادتهم ، واخبروه بالتفصيل والاتفــاقيات التي ابرمها ابنه مع البابا في رومــا (وســألوا) عمــا اذا كان قــد رضيها ويريد توكيدها .

والان بعد هذا اجاب الملك كير اسحق فــاتاترس بحــكمة الملك : « ايها النبلاء والاصدقاء والاخوة ، ايما اتخــذ ابني مــن تــرتيبات ومعه اخي ملك المانيا ، اني اريدها واجــدها مــرضية ، واصــدقها معهم ، وسأصدرالاوامر بوضع اختامي عليها ٠

والان بعد ابرام هذه الاتفاقيات قرر قــادة الجيش الفــرنجي ، لانه كان بداية الفصل ومجــيء الشــتاء ان يشــتوا هناك في مــدينة القسطنطينية ، وانهم في الســنة التــالية في بــداية اذار ســيعودون للانطلاق مع الملك نحو سورية طبقا لاتفاقيتهم (٤٢) ٠

(٥٨٧ ـ ٦١٧) وطبقا لارادة وأمر كيرا سحق فاتاترس توجوا ابنه باعتباره الملك الكسيوس ، وفي هذا تشاوروا مــع الملك ، والآن بعد ان تــوجوا ابنه الكســيوس اميرا وملكا لكل بيزنطــة ، ولم يكن

يمضي حتى شهرا كاملا - تماما كما اعتاد العرق الاغريقي (٤٣) منذ بداية (الزمان) وكما وصف دوما بالخداع الكثير وعدم الاخلاص العظيم - فانه عندما ذهب بعض النبلاء من قادة المدينة الى الملك الكسيوس فاتاتزس وخاطبوه قائلين : ايها الملك الحاكم بما ان الرب شاء ان تستردوا سلطانكم فما الذي يدعوكم يامولانا للذهاب الى سورية ؟

ان المسافة طويلة جدا من هنا الى سورية والنفقات والسفن ستكلف مبلغا كبيرا ، بل حتى اكثر اهمية ، اننا قد نضيع في بحار المحيط ، او حتى في البر ، ان هؤلاء الفرنجة الذين تراهم غير منظمين وطائشين ايضا ، وكل ما يطرأ على بالهم يفعلونه ، فلندعهم يذهبون في لعنة الرب ولنبق هنا في ديارنا واملاكنا .

ولما كان الملك شابا وعديم الخبرة في طرق العالم سقط في هذه المشورة بسرعة وقال :« وكيف يمكن ان يتم التخلص فقالوا : لنتركهم وحدهم شهرا او شهرين حتى يستنفدوا المؤن التي لديهم وهكذا نقوم بثورة حتى يمكن ان نبيدهم » وعملوا كما اشاروا ، وعندما انقضى من الوقت فترة شهرين قاموا وهم واثقون من فلاح خطتهم الحمقاء - فاغلقوا ابواب المدينة ووزعوا الحراس ، وقتل الفرنجة الذين تصادف وجودهم بداخل المدينة في تلك اللحظة بالسيوف جميعهم (٦١٨ - ٦٥٤) تأمل بالعمل الاجرامي الذي اقترفه الروم ، العاقون تجاه المسيحيين الارثوذكس والرجال الصادقين الذين جهدوا ليضعوا ذلك الملك على عرش الامبراطورية الذي فقده ، ولكن الرب الرحيم العادل في كل شيء ، كان فضله يرضى بان لا يتصادف وجود اي من نبلاء الفرنجة الاغنياء بداخل المدينة في تلك المذبحة حيث لم يكن هناك الا فقراء الناس ، واصحاب الحرف اليدوية .

والان فان رجالات جيوش الفرنجة الذين بقوا خارج المدينة واخبركم بالضبط ، اخبركم به بما حدث لدى سماعهم ورؤيتهم

الانذار ، والقتل والذبح وصياح وصرخات الذين يقتلون ، عملوا مسرعين الى تسليح انفسهم المشاة من الجنود والفرسان وامسكوا بعدد من الروم وسألوهم عن السبب ، وعن سبب قيام الثورة التي قام بها الروم ، وهذه الخيانة التي كانوا يرتكبونها الان ضد قواتنا . وكل الذين عرفوا اعلموهم بالسبب والمسوغ ، والغاية التي من اجلها قاموا بها ، وترك قادة الجيش الفرنجي البنادقة ليحرسوا البحر ، وقوات كبيرة كثيرة اخرى من جانب اخر ، في مواجهة البر (٤٤). ونفخت البقية الاخرى من عداد الجيش ابواقها ونشرت اعلامها وفرقت سراياها (٤٥) من كل من المشاة والفرسان ، وخرج الجميع من المدينة وبدأوا ينهبون الاراضي وكل القرى والاماكن في رومانيا ، ووصلوا في نهبهم حتى ادرنة (٤٦) وقاموا برحلة مسافة خمسة ايام عن المدينة ، وعندما اكتفوا من النهب وحصلوا على كمية كبيرة من الغنائم ، واخذوا ما وجدوه من اشياء ادركوا انهم ربحوا اكثر مما كان في الشواني وفي كل سفنهم ، وهنا عادوا اثر ذلك وذهبوا الى المدينة .

وعندما سمع الملك كيرا سحق فاتاتزس بهذه الاشياء لعنهم بشدة ، وكان شديد الحزن ، ولم يكن يعرف (٦٥٥ ـ ٧٠٠) أي شيء عن تلك النصيحة التي أعطاها اولئك الذين لعنهم الرب ، أولئك الثوار المتمردين على القانون لابنه اليكسيوس فاتاتزس ، وأمر باستدعاء ابنه وأهانه إهانة عظيمة ، وكان غضبه منه عنيفا وقال والدموع تفيض من عينيه الكلمات التالية : قل لي أيها الملعون من الرب ألست ابني ؟ كيف يتبادر الى ذهنك أيها الكافر بالرب وبالقديسين ، هذه الخيانة والثورة التي ارتكبتها تجاه الذين مكنوك من أن تصبح ملكا ؟ إنك تستحق من الآن فصاعدا أن تعتبر من قبل الجميع مثل ذلك يهوذا الاسخريوطي الخائن الذي ارتكب خيانة بحق الرب له المجد ، واني آمرك أن تخبرني على الفور من الذي أشار عليك بأن تقترف ما فعلته ، لقد جلبت الخزي والعار على الامبراطورية وعلى الشعب الرومي . ومن الآن فصاعدا من الذي سيصدق أي رومي .

ولم يجد اليكسيوس من خوفه وارتباكه طريقة لانكار ذلك ، وتكلم وكشف كل أولئك الخونة الذين أشاروا عليه . وأصدر الملك أوامره على الفور فأحضروا أمامه ، فسمل عيونهم ووضعهم في السجن ، ثم استدعى اثنين من النبلاء الكبار في القصر ، وأمر بتسطير رسائل الى المركيز ومثلها الى الكونتات والقادة الآخرين وكمسوغ له أعلمهم ، مع القسم أنه لم يعلم مطلقا بتلك الخيانة التي اقترفها ابنه وقال : أرجوكم أيها النبلاء أن يسوى هذا الأمر ، ولتنتهي هذه المشاحنات ولنمنع حدوث شيء آخر منها ٠

لقد وضعت الخونة في السجن وسملت عيونهم ، خذوهم ومروا بمحاكمتهم كمتمردين كافرين بالرب والقديسين ، وأني أعتبر الشروط المتفق عليها بيننا في المعاهدات والاتفاقيات مؤكدة ، وأؤكد اننا سنفي بها بدون أي خداع ، وليكن السلب الذي قمتم به والأسرى الذين أخذتموهم تعويضا عن القتلى من قواتكم ، وأما بالنسبة لابني كشاب عديم الخبرة في أمور الدنيا ، فاني أرجوكم أيها النبلاء كأخوة وأصدقاء ، أن تصفحوا عنه ودعوه يموت معكم ، وأن يكون كأخ لكم من الآن فصاعدا ، وليكن هناك سلام بيننا وحب وانسجام وامضوا شتاءكم معنا في المدينة ، وفي الربيع اذهبوا الى سورية ، وسيذهب ابني معكم طبقا لاتفاقياتنا ٠

(٧٠١ ــ ٧٣٩) وبسماع هذه الكلمات ، تشاور النبلاء في جيش الفرنجة وتوصلوا الى هذا الاتفاق : أن يكون هناك سلام بينهم كما كان من قبل ، وبناء عليه أمضوا الشتاء وجاء شهر آذار ، واستعد الفرنجة للذهاب في رحلتهم الى قبر المسيح . ثم ذهب الملك اليكسيوس اليهم وقال لهم وهو يتوسل اليهم : أيها النبلاء ، والأصدقاء ، والأخوة ورفاقي الأحباء ، إنكم تعرفون جيدا الشيطان ، الذي سبب لي كل هذه المتاعب في زمان شبابي ، حسنا إني أعتبر نفسي مبتدئا في كل أموري وليس لدي الأشياء التي احتاجها بالطريقة التي أرى أنها موائمة لهذه الحملة ، وعلاوة على هذا أخبركم بشيء آخر كنصيحة لكم ، بسبب

النزاع الذي جرى ، إن الروم لم يستعدوا للانضمام الى الفرنجة ولهذا أقول لكم ، إني أتوسل اليكم بحرارة ، أن أحصل منكم على خمسة عشر يوما ، منحة لتحضير جيشي واللحاق بكم » . وأقر الفرنجة هذا ، وبدأوا انطلاقهم : ومروا بهرقلية (٤٧) وهم يتوقعون دائما وصول الملك اليكسيوس فاتاتزس في وقت قريب .

اسمعوا جميعا ، فرنجة وروم ، وكل من يؤمن بالمسيح وعمد ، تعالوا واسمعوا هذا الموضوع الكبير ، عن الروم وعدم إخلاصهم من الذي سيضع فيهم الثقة ، ويثق في قسمهم ، طالما أنهم لايحترمون الرب ولايحبون حاكمهم ؟ أنهم لايحبون بعضهم بعضا سوى نفاقا .

عندما رحل الفرنجة من المدينة فان رجلا ثريا نبيلا معروفا من المدينة كانوا يدعونه مورتزوفلوس (٤٨) وهذا كان لقبه ، رأى أن الملك قد عمي وأن ابنه اليكسيوس صغير السن فخطط ليستولي على العرش بالحيلة ، فدعا بعض الأقارب والأصدقاء والجيران والبائسين والجشعين وتشاور معهم ، ثم اعتقلوا اليكسيوس ، الملك وقتلوه ، حيث وجدوه وحده ، فذبحوه وتوجوا مورتزوفلوس ووضعوا التاج على رأسه ولقبوه بالملك ، وهكذا أعلنوه امبراطورا ، وحدث الآن بعد ذلك أن بعض رجال المدينة وقد رأوا هذا وسمعوا مقتل الملك الرائع جهزوا بارجة ذات اثنين وخمسين مجدافا وثلاثة أشرعة ، وأبحروا مجدين حتى أدركوا الفرنجة الذين كانوا في طريقهم الى المواقع السورية ، وأخبروهم بالتفصيل بقصة موت الملك ، الذي قتل وبأن الخائن مورتزوفلوس قد استولى على العرش ، وبسماع الفرنجة لهذا اكتأبوا كثيرا ثم تشاوروا معا حول مايجب عمله ، لماذا أخبركم بهذا كله وأزوقة ؟ وبسماع هذه الأشياء دهش نبلاء جيش الفرنجة دهشة كبيرة وحزنوا حزنا عميقا ، وبدأ أكثرهم حكمة يتكلم ويعلن أن الروم مع تقديرهم لذواتهم مجردون من الشرف (٤٩) من الذي يثق برومي سواء بالكلام أو القسم ؟ إنهم يقولون بأنهم مسيحيون

يؤمنون بالرب ، ويلمـزوننا نحـن الفـرنجة ويوجهـون لنا اللوم ويدعوننا كلابا ، ولانفسهم وحـدهم يوجهـون فقـط الثناء وهـم يجالسون الاتـراك ويؤاكلونهـم ويشـاربونهم ولايقـولون شيئا (ضـدهم) ولايلومـونهم ، واذا كان عليهـم أن يأكلوا معنا فإنهم يتأففون كمن يتجرع الغصص (٥٠) ، واذا حدث أن ذهب أحد الفرنجة الى كنيستهم من اجل القداس (٥١) ، فإن كنيستهم تبقـى أربعين يوما دون أن ينشد فيها قداس ، استمع الى الهرطقة التـي يتمسك بها الروم ، إنهم هم أنفسهم ، وهم فقط من يستحق الحمد وهم يوبخونا نحن الفرنجة (٧٧٢ ـ ٨١٧) ويلوموننا نحن الذين نتمسك بالعقيدة وبشريعة المسيح تماما كما علمنا ، لأن الحـواري الاول كان القديس بـطرس الذي تـوجه المسـيح قـائدا لكل الدنيا ، وأعطاه هو نفسه مفاتيح الفردوس ، وأعطاه سلطة الربط والحل في كل مايفعل على الأرض ، وسوف يؤكده في السماء .

والآن ان هذا الحواري كرجل حكيم ـ ولديه تأييد المسيح وأمره أيضا ـ ولأنه في تلك السنوات كانت رومـا تحـكم العـالم ، كل العالم (٥٢) حقا ، ولنبذ الأوثان والكفر لدى السلالات ولتـوسيع كنيسة المسـيح وتقـويتها نهـب الى هناك وأقـام عرش الكنيسة ، وهناك صلبوه لاعتقاده بالمسيح . وتلاه بعد ذلك عدد كبير من البـابوات ، الذين حـافظوا على كرسي كنيسـة رومـا . والآن يتمسك الفرنجة والروم بعقيدة واحدة ، فأساقفة الدنيا كلهـا مـن الفـرنجة والروم والبـطاركة والأسـاقفة وزعمـاء العالم (المسيحي) كل منهم يرسم من قبـل ذلك الذي هـو البـابا الأسقف لكرسي روما ، والآن وبعد سنوات عديدة فإن أولئك الروم الذين يدعون الهيلينيين ، وهكذا كانوا يسمونهم ـ كانوا متبـاهين ومايزالون يحتفظون بهذا ـ وأخذوا من روما اسم الروم بسبب هذا التباهي والتعاطي والتعالي ، وقد تخلوا عن شريعة كنيسـة رومـا ووقفوا منشقين ويتفاخرون فقط بأنهم كذلك ، انظروا أيها النبـلاء الطيبون الى غدرهم ، إنهم يقولون أنهم مسيحيون وهم لايتمسكون بالصدق ، ولايحافظون على قسمهم . إنهم لايخـافون الرب ، وكل

ماليهم هو التعميد بالمسيحية ، انظروا بماذا توحي كتبهم وكتاباتهم ، لقد شوهوا وحرفوا التعاليم التي لقنها الحواريون الاثني عشر ، والانجيليون الاربعة ، الذين ذورونا ، والأعمال التي أنجزوها في ذلك الوقت في العالم عندما كان المسيح حيا يسير فوق الأرض ، فضلا عن التعاليم التي لقنت لنا بأن علينا أن نحافظ على شريعة الكنيسة ، كل هذا شوهوه عندما انفصلوا عن كنيسة روما ، وهي كنيستنا الكاثوليكية وتخلوا عن الترسيم من قبل البابا الاقدس ، وهم يرسمون الآن بأنفسهم بطريركهم ، حسنا بما أنهم لايحترمون كنيسة روما لماذا نذهب الى سورية ولماذا لانعود لنأخذ من الكفار ولاياتهم طالما أنهم خذقوا مولاهم وسيدهم الملك ؟ (٨١٨ ـ ٨٥٥) وأيضا انظر عدم إيمانهم ، ان الملك الذي كان سيدأ طبيعيا لهم ، بالحسد والتحريض على الفتنة والعصيان ، ذبحوه وقتلوه ، من الذي يصدقهم ويثق بقسمهم أو بكلامهم ، من الذي سيعتبرهم مسيحيين كما يقولون ويتمسكون ؟ إنهم مسيحيون بالقول وينقصهم العمل ، العنوا المسيحيين الذين يصدقونهم ، والآن وقد نعى الفرنجة الملك وعبروا عن شكاويهم وعن أفعال الروم بدأوا يتشاورون كيف يتصرفون ، وقال بعضهم إنهم يجب أن يتوجهوا الى سورية ، وآخرون أكثر حكمة قالوا ونصحوا هذا المجلس كما اخبركم قائلين : طالما أن الروم الكفار أولئك العصاة المتمردين قتلوا ملكهم ، السيد الشرعي لهم ، الذي كان يجب عليهم أن يعتبروه الثاني بعد الرب فقط ، وأن لايتركوا لغيره حقا مشروعا في حكمهم ، بدلا من الذهاب الى سورية التي لم نتملكها (٥٣) دعونا نعود الى المدينة ونقاتل بأسلحتنا ° واذا شاء الرب واستولينا على مدينة القسطنطينية فلنحتفظ بإمبراطورية الروم كلها °

وبناء عليه توصل جميع القادة الى اتفاق ومعهم العامة وكذلك الجيش الفرنجي ، وقد أعدوا السفن وعكسوا الأشرعة ، لماذا أخبركم بكل هذا ؟ حتى لقد انهكت نفسي جدا ، لقد عاد فرنجتناالى المدينة ، وعندما وصلوا الى الميناء ، طوقوا المدينة من البر

والبحر ، ولقد خطط الفرنجة استراتيجيتهم كما فعل البنادقة ، ومعهم كان البروفنساليون واللومبارديون مع مونتفرات . وأعدوا كل المنجنيقات (٥٤) على طول الجانب الأرضي من المدينة ، ووزعوا الفرق وبدأوا الهجوم ، وبسبب العدد العظيم من القسي العقارة والنشاب (٥٥) لم يعد أحد يمكنه أن يقف فوق أسوار مدينة القسطنطينية (٨٥٦ ـ ٨٨٧) وكانت لديهم أيضا سلالم خشبية مقواة جيداً بالحديد ، وقد وضعوا هذه السلالم على الأسوار ليصعدوا عليها، وترجل الفرسان عن خيولهم وماأن رأوا السلالم حتى هرعوا اليها وتسلقوها . وكما أقول لكم بالضبط أخذت المدينة في هذا الوقت ، ودخل الفرنجة أولا من البر ، ثم دخل البنادقة من سفن النقل من حيث طوقوا المدينة من البحر ، وليكن معلوما لديكم اذا أن المدينة أخذت عندما أخذت لأول مرة من قبل البنادقة في اليوم الرابع من تشرين الثاني والاستيلاء الأخير والثاني على المدينة حدث بدوره في الرابع من نيسان. (٥٦) .

وبسبب كثرة القوات وشدة الهجوم لم يتمكن أحد من الهرب بأي وسيلة من المدينة ، والآن أسروا الكافر الغادر مرتزوفلوس (٥٧) وأحضروه إلى قادتهم لمحاكمته ، وكان الكونتات النبلاء سعداء بهذا ، وثار الهرج والمرج والمنازعات حول أية عقوبة عليه معاناتها ، وحدث أن كان في المدينة رجل مسن موثوق ، وكان رجلا حكيما وعالما جدا ، وعندما سمع أن الفرنجة يريدون معاقبة ذلك الكافر مورتزوفلوس ، الذي أحدثكم عنه ، هرع الى القادة ، الذين كانت لهم السيطرة على الجيوش (٥٨) . وبدأ يخبرهم ويعلمهم بأن ملكا معينا يدعى كيرليو (٥٩) ، وكان فيلسوفا مهولا وكانت له نبوءات ـ وقد بنى أشياء كثيرة في المدينة . وتحققت له بعض الأشياء في أزمنة متوقعة ، وكانت أشياء أخرى مازال تنتظر أن يأتي زمانها (٦٠) وقرب واجهة كنيسة ٠

(٨٨٨ ـ ٩١٦) سانت صوفيا نصب عمودا رائعا ثخينا وعاليا : ونقش عليه حروفا تقول ، كما أقول لكم : من فوق هذا

العمود سيشنق الملك الكافر لمدينة القسطنطينية (٦١) » وهكذا يبدو أيها النبلاء أن النبوءة ستتحقق ، طالما أن لديكم العمود والعاصي ، فلننفذ نبوءة الفيلسوف » وعندما سمع النبلاء هذا ، دهشوا جداً ، وأخذوا الرجل العجوز ليريهم العمود ، وعندما وصلوا إليه وتفحصوه دهشوا وسروا أيضا لانهم وجدوا طريقة موائمة لتنفيذ الحكم العادل في الخائن ، وعليه أمروا بإحضاره وهناك رفع إلى الأعلى ، وألقوا به إلى الأسفل من فوق قمة العمود وظهرت الشياطين التي أخذت روحه (٦٢) .

والآن بعد اعدام العاصي ، فإن كل النبلاء العظام من قادة الجيش ذهبوا إلى قصر الملك وتشاوروا معا صغيرهم وكبيرهم في كيفية التعامل بصورة واقعية مع ولايات الامبراطورية (٦٣) وكان هناك كلام كثير قبل أن يتخذوا قرارا في المشكلات ، وفي النهاية قالوا وأكدوا مايلي : منذ أن كانوا في طريقهم إلى سورية ، أمرهم البابا الاقدس بأمر رسمي عظيم بالتخلي عن تلك الحملة وبأن يذهبوا لاجلاس الكسيوس فاتاتزس على عرش الامبراطورية ، وأنهم قد وضعوه ، وحيث أنه بعد ذلك قد ذبح وقتل من قبل شعبه ، العرق الرومي وأنه لم يكن هناك أحد غيره بينهم جديرا بالحكم إذا لنحتفظ به لأنفسنا ولنبق هنا ، بالحق أخذناه بحد السيف » (٩١٧ ــ ٩٥٧) والآن بعد أن وصلوا إلى هذا القرار ، كما أخبركم تماما ، عقدوا عندئذ مجلسا لانتخاب أمبراطور (٦٤) واختاروا اثني عشر نبيلا من أصحاب الجدارة والأهلية ، والأكثر حكمة ، ستة منهم كانوا أساقفة ، وستة من قادة الفرسان ، واتفقوا تحت القسم على انتخاب أمبراطور دون نية شريرة أو خداع ٠

وتشاحنوا مع بعضهم بكلام كثير ، لانهم لم يكونوا متفقين فيما بينهم على اختيار أمبراطور ، لأن بعضهم تكلم عن دوج البندقية واثنى عليه عاليا كرجل حكيم بارع وأعلنوا أنه كان جديرا بأن يكون أمبراطورا ، وبسبب المشاحنات الكثيرة التي جرت بينهم ، ذهب

أحدهم وأخبر دوج البندقية ، ولبالغ حكمته وبراعته في كل شيء أسرع إلى هؤلاء الاثني عشر من الرجال الحكماء ، وطرق الباب حتى يسمعوه وقال لهم مايلي : « أيها النبلاء انصتوا ، نقل أحدهم إلي تقريرا جاء به أن بعضكم من فضلهم كنبلاء وحكماء عبروا عن رأيهم : وقالوا في اني الرجل المناسب لمنصب الامبراطور ، وبأني جدير بأن أصبح امبراطور المدينة ، حسنا إني أشكركم شكرا عميقا كأصدقاء وعقلاء وأخوة لي ، وليرد الرب عليهم ماقالوه في حقي أنا أخوهم ، وإني مع ذلك بنعمة من الرب ومجده لاأجد في نفسي ، وهذا ما أقوله في نفسي نقصا كبيرا في المحاكمة حتى لاأعرف أنه قد قام في سكان البندقية اناس من ذوي المعرفة العظيمة والخبرة العسكرية كما في أماكن أخرى ، ولكن مامن أحد منهم وصل إلى مثل هذا المجد في ان يتوج بتاج امبراطور ، وبناء عليه أتوسل إليكم كأصدقاء وإخوة أن تتركوا الخلافات والمشاحنات ، لقد انتهى الكلام ، وبالنسبة لمن تكلموا عن جعلي امبراطورا ، إني آخذ كلامهم وهتافهم الذي نطقوا به وأضيف إليه قولي : ولننضم إلى الآخرين ولنوجه الاثني عشر منا معا ، والاقتراع (٩٥٨ ـ ٩٩٣) لانهاء الأمر ولننتخب الكونت بلدوين امبراطورا فهو أمير عادل ، وأمير فلاندرز لأنه جدير ونبيل وخبير في كل شيء وهو بين كل الموجودين في الجيش الجدير بأن يكون أمبراطورا ، وبسماع هذا الكلام وبناء عليه توصل الاثني عشر الذين حدثتكم عنهم ، والذين اختيروا جميعا لانتخاب امبراطور إلى اتفاق وصادقوا عليه وخرجوا من حيث كانوا مجتمعين وذهبوا إلى قصر الملك ، ودعوا الجيش كله للاجتماع لسماع الحل الذي تكلموا فيه وأعدوه : انتخاب الامبراطور الذي كان له أن يحكم .

وعندما اجتمع كامل الجيش في القصور الفاخرة للملك خاطبهم أبلغ وأحكم الاثني عشر وشرح الامر ، بأنه بخوف من الرب وبدقة عظيمة اختاروا كونت فلاندرز ليكون أمبراطورا وملكا على المدينة وكل امبراطورية الروم .

وعندما سمعوا هذه الاشياء كانوا جميعا الصغير والعظيم الغني والنبيل ، العامة والجيش في سرور عظيم وصادقوا وأكدوا أن يكون الكونت بلدوين الامبراطور . وأحضرت العباءة والتاج للامبراطور والبس وتوج كملك وهلل له وعظم بالطريقة الصحيحة المناسبة (٦٥) .

وعندما توجوه واصبح امبراطورا نشب شجار ونزاع بين اللومبارديين وبين الفرنسيين ، الذين كانوا يرغبون ويريدون أن يصبح المركيز أمبراطورا ، والحقيقة أن مركيز مونتفرات كان قائد الجيش والقوات (٦٦) ، كما اخبرتكم وبناء عليه حاول السير انريكو دوج البندقية البالغ الحكمة(٩٩٤ ـ ١٠٢٦) الملقب بداندولو مع آخرين من فئات مختلفة أن يضعوا حدا للمشاحنات ، وأخذ معه كونت طولوز (٦٧) وكان يعرف الكثير مما يقال لتهدئتهم ، وتكلم وشرح كرجل حكيم قائلا : أيها الاصدقاء والاخوة النبلاء بما أن انتخاب الامبراطور قد جرى وأنه قد توج وانتهى الامر وأبرم ، فإن شيئا قبيحا وغير لائق وعارا عظيما أن يقال ويسمع في كل أنحاء الدنيا من كل الناس أنه بعد انتخاب الامبراطور الذي تم بكلمة واختيار مثل هؤلاء الرجال العظام ، وبعد تتويج الامبراطور غيرتم فكركم ، وكما يبدو بسبب الحسد ، وعليه أقول لكم ، إني أتوسل إليكم أن يختفي النزاع ، إنه ليس لصالحنا ، وحيث أن كونت فلاندرز قد أصبح أمبراطورا فليكن مركيز مونتفرات ملكا وسيدا ذا لقب وممتلكات موروثة لمدينة سالونيك ، وأن يحكم في كل مايختص بذلك وبما يستحق له . وبسماع هذه الكلمات صاح أفراد القوات الصغار والعظام والاغنياء والعوام في الجيش الفرنسي بصوت عال : إننا جميعا موافقون على ذلك .

وعندما صدقوا على ذلك وتوجوا بونيفيس المركيز ملكا ، توقفت المشاحنات واعقبها سلام ، وبعد هذا وجهوا أولئك الاثني عشرة ، الذين انتخبوا الامبراطور ليقوموا بتوزيع أراضي آسيا الصغرى وكل بلاد الروم ، وكل مايخص امبراطورية المدينة ، حسب المرتبة

والجدارة لكل واحد ، وتبعا لعدد القوات التي كانت تتبع كل واحد عند الغزو ، وبالحصص مع الانتباه جرى التوزيع ، وحدث أن كانت حصة البندقية الربع مضافا إليه نصف الربع أو الثمن كما يدعوه بعضهم من مدينة القسطنطينية وكل بلاد الروم (١٠٢٧ ـ ١٠٣٨) تماما كما سجلها دوج البندقية في الوثائق وفي تقدير ماتحت سلطانه (٦٨) .

وفي الوقت الذي أتحدث عنه إليكم ، في تلك الأيام كان سيد فالاشيا وكل هيلاس في أرتا ويانينا وكل الديسبوتات ، كان رجلا يدعى كيريوانس ، وكان لقبه فاتاتزس (٦٩) وعندما سمع وعلم وأخبر أن الفرنجة قد استولوا على الحكم في المدينة ، وتوجوا أمبراطورا ، وأخذوا القلاع ووزعوا مدن كل بلاد الروم ، أرسل بسرعة رسالة إلى كومانيا (٧٠) (١٠٣٩ ـ ١٠٧٨) وجاء عشرة آلاف كل النخبة من الكومان مع كل نخبة التركمان (٧١) الجميع على ظهور الخيل ، وكانت لديهم أسلحة جيدة أيضا ، لقد حملوا الرماح (٧٢) وحمل بعضهم الحراب ، وحمل آخرون منهم الهراوات ، وحشد أيضا القوات في ولايته كلها ، وحشد جيوشا كبيرة وشجاعة وشن هجوما عنيفا لبدء الحرب على الفرنجة ، ولكن لايقاتل في الميدان وجها لوجه ، بل بالمكر كما هي عادة الأتراك ، والآن بعد أن مر فصل واحد وحل الآخر (٧٣) بالمكر أرسل جواسيسه حتى يحاط علما في كل الأوقات بما يفعل الفرنجة ، وعندما عرف بمكان بونيفيس ملك سالونيك ، وهكذا كانوا يسمونه ، سار بالليل حتى وصل إلى هناك (٧٤) وخبأ قواته في كمين في أماكن مناسبة ، وحالما بزغ الفجر وبدأ النهار ينبلج ، وجه مئتين من فرسانه الحقيقيين للاندفاع ولينهبوا ماحول القلعة ، فجمعوا الغنائم وأخذوها وهربوا . وإذ رأى اللومبارديون الذين كانوا مع الملك هذا ، أخذوا أسلحتهم بسرعة وقفزوا إلى سروجهم ، وخرج الملك نفسه معهم ، كرجال غير خبيرين بالأعمال الحربية عند الروم ، وأخذ حوالي خمسين رجلا يمضون جيئة وذهابا ، وهرب الذين نهبوا الغنائم بها من أجل وضعها في الكمائن ، وعليه قفز الذين

كانوا يرقدون في مخابئهم من الكمائن في كل الجوانب وبدأوا يطلقون السهام على اللومبارديين والتف الكومان الذين تظاهروا بالهرب وهم يمتطون خيولهم ، حولهم وأطلقوا السهام على الفرسان المقاتلين ، وعندما رأى اللومبارديون وبونيفيس أميرهم ، وملك سالونيك أنهم قد طوقوهم وأنهم يطلقون عليهم السهام ، جمعوا أنفسهم ليعيشوا أو يموتوا معا ، ولكن الكوما ن والروم لم يقتربوا منهم ، وكانوا يطلقون السهام عليهم من بعيد ، وبهذه الطريقة قتلوهم وقضوا عليهم ، منذ ذلك الوقت خاض الروم بالخداع والحيلة كما هي طريقتهم معارك مع الفرنجة نالوا منهم ونيل منهم في كر وفر(١٠٧٩ ـ ١١٢٧) كما هو شأن المعارك والحملات في كل مكان حتى انقضت ثلاث سنوات ، والآن ، وبعد مرور ثلاث سنوات وأكثر ، أراد الامبراطور بلدوين أن يذهب الى أدرنة ، التي كانت ما تزال مدينة كبيرة ، وحالما ذهب الى هناك ، كما أروي لكم ، أخبر أحدهم بذلك كالوجان حسبما أخبركم سيد والاشيا الذي حالما سمع بهذا ،وعلم به جمع على وجه السرعة ، والاستعجال وبلهفة كبيرة جيوشه جميعا من كل مكان ، ووصل مسرعا الى أدرنة ، وكي لا أطيل عليكم وأبعث فيكم الملل لأني مثلكم أيضا مللت الكتابة في هذا الا بكلمات قليلة وأكثر اختصارا ، وأنا أخبركم وأعرفكم أني أكتب اليكم بصدق ، فإنه كما جرى تماما للمركيز ، ملك سالونيك كما أخبرتكم ، فقد حدث أيضا لبلدوين امبراطور المدينة ، بالكمائن والمؤامرات خدعوا وكسروا وسط الهياج والاضطراب والصياح ، وهم يصرخون ويقولون ان جيوش كالوجان آتية ، وأرسل كالوجان خمسين رجلا اندفعوا ونهبوا الحقول والأراضي حول أدرنه ، حيث كان الامبراطور ، وأعطى الامبراطور أوامره لمارشال له وصدحت الأبواق وقفزوا الى سروجهم ، وكان لديه ستمئة من الفلمنكيين ، وثلاثمئة من الفرنجة ، الذين كانوا جميعا من الخيالة المنتقين ومعهم أسلحة ممتازة كما هي العادة بين الفرنجة :وللأسف إن الدمار وقع في ذلك اليوم بين مثل هؤلاء الرجال النبلاء من زهرة فرنسا ، حتى إنهم قتلوا وماتوا بلا حق ، لأنهم لم يكونوا بالمرة على معرفة بالأعمال الحربية لدى

الروم ، وجاء الآن نبلاء ادرنة وقالوا للامبراطور: « سيدنا الامبراطور ، امنع جيوشك من الخروج ، لان الذين تراهم ، ممن جاؤوا ينهبون قد جاؤوا كطعم ، بطريقة ماكرة بالخروج ، وجيوشهم مختفية في كمين وهي تنتظر أن نستدرج اليها ، إنهم الآن لا يقاتلون كما تقاتلون أيها الفرنجة ، تنتظرون في الميدان لترموا رماحكم ، كلا إنهم يقاتلون بالقوس والنشاب وهم يهربون وأحذروا ياسيدنا الطيب أن تخرجوا في اثرهم ، وإذا كانوا قد أخذوا منا الغنم والخيل والماشية ، فلندعهم يأخذوهما بمثابة قرض قد نسترده في فرصة مواتية » .

(١١٢٨ - ١١٦٩) وعند سماع ذلك وبخهم الامبراطور على هذا ، ويغضب أمرهم أن لايزيدوا على ذلك ، لانهم كانوا يقترحون شيئا معيبا جدا ، وقال : بالنسبة لي ان ارى بعيني هنا امامي أعدائي يتلفون ويدمرون وينهبون أراضي ، واقف أنا كالجثة ، واعاني من هذا ، إني أرى أنه من الافضل ، ان أموت اليوم من ان ينالني اللوم في كل مكان.

وامر أن تصدح الابواق ، ووزع الفرنجة في ثلاث سرايا ، والروم في ثلاث اخرى وخرجوا الى الميدان ، وعندما رأى الكومان الذين كانوا ينهبون انهم قد خرجوا اليهم ، غمرهم السرور وتظاهروا بالفرار من القتال بالغنائم التي أخذوها ، وبدأ الفرنجة وهم عديموا الخبرة في هذا النوع من القتال في ملاحقتهم ليلحقوا بهم ، وكانوا ثانية وهم يهربون يرشقون بسهامهم الخيول التي يمتطيها الفرسان.

وهكذا استدرجوهم بالخدعة حتى أخذوهم واوقعوهم في الكمين ، حيث خرج الاتراك والكومان مسرعين وهم يطلقون السهام على خيول الفرنجة .والآن توقع الفرنجة أن يخوضوا معهم معركة بالحراب والسيوف كما اعتادوا ، ولكن الكومان هربوا ولم يقتربوا منهم ، وكانوا فقط يصلونهم بالسهام من أقواسهم واوقعوا

بينهم خسائر كبيرة مـن القتلى ، لأن الخيول هلكت وسـقط عنهـا الفرسان . وكان معهـم هـراوات وسـاليف تـركي (٧٥) وكانوا يضربـونهم بهـا على خـونهم ، وقتلوا الامبـراطور وكل جيوشه ، انظر الدمار الذي حدث في ذلك اليوم ، إن المرء ليأسى على كل جندي نبيل ، لانهم ماتوا بغير حـق ، وبـدون حتـى فـرصة للقتال ، واصـيب الروم الذين كانوا مـع الامبـراطور قـرب أدرنة بجراح قليلة ، لانهم عندما رأوا أن الامبراطور قـد قتـل ، هـربوا وعادوا فدخلوا المدينة ، وبعثوا بالرسائل الى مدينة قسطنطين بـأن الاتراك قد قضوا على الامبراطور ، وتصادف في حينه أن كان دوج البندقية هناك (٧٦) فحشـد الجيوش بسرعة (١١٧٠ ـ ١١٩٦) ومضى الى أدرنة لمساعدة القوات على حمـاية المدينة ، وفي الوقـت نفسه أرسل بسرعة مبعوثا الى السير روبـرت أخـي الامبـراطور بلدوين (٧٧) وكان له سلطان على المدن والقلاع في نيمفـوس (٧٨) ولديه جيوش قوية وقادة الفرسان معه ، وحـالما سـمع وعلم بـأن الاتراك قد قضوا على الامبراطور زود قلاعه بـالامدادات ومضى الى المدينة ، وكان دوج البندقية قد عاد الآن من كل القطاعات ، وبعـث برسالة الى كل مكان للفرسان القادة الذين كانوا حينئذ يحـكمون في أرض الروم ، وعندما تجمعوا والتقوا معـا تـوجوا روبـرت أخـا الامبراطور بلدوين امبراطورا ، وفي حينه كان للامبـراطور السـير روبروت ابن سمـوه بلدوين أيضـا (٧٩) أصـبح امبـراطورا وفقـد الامبراطورية وأرسل ابنته بعد ذلك ببضع سـنوات الى ملك آراغون (٨٠) لتكون زوجة له ، ورست الشواني في يونديكوس (٨١) التـي توجد في المورة (٨٢) وهي قلعة ضخمة.

وتصـادف أن السـير جيوفـري أمير المورة هناك ، وكان الاخ الاكبـر للأمير غوليوم (٨٣) وبـالحيلة والمكر أسر وتـــزوج ابنة الامبراطور روبرت ، وكان الامبراطور شـديد الاضـطراب عندمـا سمع بهذا ولكن فيما بعد تـوصلوا (١١٩٧ ـ ١٢٢٠) الى اتفـاق كما ستعرفون هنا في هذا الكتاب فيما بعد في فقرة أخرى .

واقف الآن عند هذه النقطة ، وأريد أن انهى ما كنت اتـكلم عنه من أجل أن أتناول شيئا آخر ، أن أخبركم بقصة ، قصـة عظيمـة حول ما فعله الروم عندما سـقطوا ، وفقـدوا امبـراطورية مـدينة القسطنطينية . وعليه سأبدأ عند هذه النقطة : اسمعوا حتى يمكنكم أن تعلموا ، والآن في الوقت والفصل الذي استولى فيه الفرنجة على القسطنطينية كما رويت ، وإذ رأى نبلاء الروم هذا وهم زهرة بـلاد الروم هناك في آسيا الصغرى ، حيث كانت هيبتهم ، انتخبوا لهـم اميرا توجوه ملكا عليهم الامبراطور كيرثيودورس لاسـكارس وكان صهرا للملك كير اسحق فاتاتزس ، حيث كان قد تزوج مـن ابنتـه (٨٤) . وعندما توج ونصب ملكا ، زود قلاعه بالامدادات واستأجر الجيوش من الترك والكومان ، واللان ، والزيخوي (٨٥) وحتى البلغار وبدأ بلهفة كبيرة ، في شن الحرب على الفـرنجة الذين كانوا في أرض بيسية .(٨٦) هناك في آسيا الصغرى حيث توجد فيلادلفيا ، حيث كان يحكم السير روبرت فلاندرز ، ودامت حربهم ثلاث سنوات (١٢٢١ ـ ١٢٦٠) وأكثر ، حتى الوقت الذي قتل فيه الامبراطور بلدوين وتوجوا روبرت امبراطورا ، وعاش الملك لاسكارس ما شاء من السنين والفصول ملكا صاحب مجد وفخار ، وعندمـا جـاء اليه الأجل العام لهذا العالم ليموت ، مـات عن ابـن صـبي يافـع قاصر ، وكان قد أمر باستدعاء كير ميكائيل بـالابولوغوس الرجـل الاول بين الروم ، حيث كان رجلا شريفـا ، والرجـل الاحـكم بين الروم ، وأسلم اليه ابنه أولا ، ثم حكم كل الامبراطورية ، وتحـت القسم تسلم ، سلم له أبا حقيقيا للملك ، وهكذا كانت الاوامر بـأن يسمى ، وحالما توفي الملك أعطـى بـالابولوغوس الأوامـر بتمـوين القلاع ، ووضـع حـراسا جيدين ، أقسـموا قسـم الولاء لاسمه ، وتقبل قسم القادة جميعـا والعمـوم في كل الامبـراطورية أيضا ، وعندما حاز على كامـل السـلطة مجـد جميع نبـلاء الامبراطورية ، ومنح بعضهم هدايا ، وأعطى آخرين مدنا ، وحالما حقق رغباتهم كلها ، خنق وقتل سيده الصغير الابن الحقيقـي للملك لاسكارس . انظر الاثم والشر الذي ارتكبه ذلك الحقير ، بقتل سيده والاستيلاء على سلطاته ، من يسمع بهذا ويقول ، بأن الناس الذين

لا يلتزمون بالصدق ولا بالقسم يؤمنون بالرب؟ لماذا يقسم لك أولئك الذين من السلالات غير المعمدة ، وهم حسب عاداتهم وشريعتهم التي يتبعونها يقبلون بالموت ولا يرضون بالحنث بالقسم ولكن الروم الذين يقولون إنهم يؤمنون بالمسيح ، كلما زادوا من قسمهم لك واكدوا أيمانهم ، كلما كان تآمرهم هناك ضدك أكثر لخداعك ليحصلوا على ممتلكاتك أو ليذبحوك (٨٧) وللأسف ماذا يكسبون بالخطأ في حق الرب ؟ وكيف بهرهم تماما الاثم الذي ارتكبوه ، حتى انه جردهم من ولاياتهم ، واصبحوا عبيدا لكل العالم (١٢٦١ ــ ١٢٨٨) أي شعوب أخرى توجد في العالم اليوم تباع كعبيد غير الروم ؟ ولكن كما يفعل كل رجل فإنه يلاقي.

غير أن القصة التي بدأت أرويها واكتبها ، سأتابعها حتى أنتهي منها! بعد أن قتل كير ميكائيل بالايولوغوس ، سيده الصغير ، الابن الحقيقي للملك لاسكارس ، واستولى على السلطة على كل الامبراطورية ، جمع الجيوش من الاتراك والأمم الأخرى ، وتعهد بحرب يقاتل فيها الفرنجة في آسيا الصغرى ، حيث كان له الامتياز.

والآن لم يكن الامبراطور السير روبرت حيا في الوقت الذي أحدثكم عنه لأنه قتل قبل ذلك ببضع سنوات ، وكان ابنه بلدوين هو الذي يحكم والذي فقد الامبراطورية بسوء إدارته.

وبناء عليه توصل بالايولوغوس الى اتفاق مع الهيئة الحاكمة في جنوا وأعطاها غالاتا ، وهي قريبة من المدينة ، عبر الميناء فبنت حيا هناك ومؤسسة كبيرة (٨٨) واقسم الجنويون قسما ووقعوا معاهدات مع الملك ، بأنهم سيدفعون من دفع العشور (كوميرسيوم) (٨٩) في كل أرض الروم ، فإنهم سيساعدونه بالشواني في كل المعارك وبأنهم سيحصلون على أجورهم كمرتزقة وعلى هدايا إضافية لانهم كانوا يساعدون بلدوين ، وكانوا

يسيطرون على المداخل الى البحر وعلى الطـرق البحـرية حتـى لا تجلب (١٢٨٩ ـ ١٣٢٤) المؤن الى المدينة من اي مكان ٠

وعبر مرة أخرى إلى جوار المدينة باكبر عدد امكنه ان يحشده من الجيوش (٩٠) وطوق المدينة من البر والبحـر ، واذ راى الروم في المدينة ذلك توصلوا الى تفاهم بسرعة مع بـالايوغوس ، واقسـموا قسما ، ووقعوا معاهدات وساعدوه على الدخول.

وعندما راى الامبراطور بلدوين ، أن الشعب الرومي قد خـانه هرب إلى القصور القديمة (٩١) مـع كل الفـرنجة الذين كانوا معه ، وهناك هاجمه الاتراك والروم ، والآن وقد رأى الامبراطور بلدوين أنهم قد عزلوه في القصور القديمة وكان لديه سفينة شحن منقطعة النظير ، وكانت كبيرة وفاخرة فصعد إلى ظهرها ومعه ثلاثة آلاف آخرين وغادروا المدينة مبحرين عبـر البحـر حتـى وصلوا إلى موندفاسيا وأرسـوا السـفينة هناك ، ونزلوا منهـا ووصلوا إلى اليس ، وكان الامير غليوم هناك في ذلك الوقـت ولما سمع بقدوم الامبــراطور ، ذهــب للقــائه ، ومجـــده عاليا كامبراطور (٩٢) واسرع الامبراطور في الذهاب إلى الغرب بأمل وتوقع بأن البابا مـع الكنيسـة ، وملك فـرنسا يسـاعدونه ، ويقدمون له الجيوش ومعونة كبيرة حتى يتمكن من العودة مرة أخرى إلى المدينة ، وعليه فقد بقي الكثير مـن قـواته هناك مـع الامير غليوم متوقعين أن الامبراطور سيجدهم هناك عند عودته التي كان يأمل بها من هناك ، وبقي الذين أسـميهم الآن : وكان أولهم السير انسلان ، وكان لقبه توسي ، الذي كان أخـا لقيصر المدينة انذاك والذي تزوج أم السير جيوفري دي تورناي وبقي في الارض (٩٣) وبعـده كان هناك (١٣٢٥ ـ ١٣٥٤) الســير فيلان وكان لقبـه دي أونوي . وكان في ذلك الوقـت مــارشال رومانيا ، وأعطاه الامير أركادياهبة (٩٤) وبقي دي بـلانكنيس برايسر وكان الامير وأربعة أخـوة ، والاغنيس اثنان آخـران ، وكان الاسبيناس آخـرين ، وبقـي هناك مــرشحان لرتبـة

فارس (٩٥) بالاضافة إلى نبلاء روم لا أسميهم لكم حتى لا أطيل الكتابة . ومن هذه النقطة وما بعدها سأتوقف عندما أخبرتكم به ، حول الأعمال التي قام بها الامبراطور باليالوغوس وبلدوين لأني أحاول العودة إلى موضوعي ، كما تواليته في بداية مقالتي ، وبناء عليه أنتهي من بداية التمهيد (٩٦)

كيف ربح الفرنجة أرض المورة

إذا كنت متعلماً وتفهم ما أكتب لك ، وضليعا في الكتب لتلتقط معنى ما أقول فلا بد أنك قد فهمت المقدمة التي نطقت بها في بداية كتابي ، وأخبرتكم فيها بدقة ـ كبداية للأساسيات ، لقد أخبرتكم بقصة سورية ، وقصة آسيا الصغرى وقصة المدينة ، وكيف غزا الفرنجة هذه الاماكن ، وأيضا إني سآتي الآن وأنا أحملكم معي لأخبركم بدقة ، أن الفرنجة غزوا المورة أيضا .

وإذا كانت لديك رغبة في سماع أفعال الجنود الجيدين وأن تعرف وتتعلم ربما تبلغ مرادك إذا كنت تعرف الحروف ، وتبدأ بالقراءة ، وإذا كنت من الجانب الآخر غير متعلم فاجلس بجانبي واسمع ، وآمل إذا كنت حكيما أن تستفيد لأن الكثير ممن جاء بعدهم بلغوا تقدما أكثر بسبب (١٣٨٣ ـ ١٣٥٥) روايات الزمن القديم (٩٧) .

وعليه سأبدأ عند هذه النقطة واستمع لما أقول : اختير كونت شامبين الرائع ـ الذي حدثتكم عنه في بداية الكتاب ، والذي بدأ ذلك العبور والحملة مع مختلف النبلاء الآخرين ليذهب إلى سورية إلى قبر المسيح ـ زعيما وقائدا وكبيرا على الجيوش التي كانت لدى الحجاج في ذلك الوقت وسقط ومات كما أخبرتكم (٩٨) وكان له أخوان آخران أصغر منه . وعندما سمعا وعرفا أن أولئك الفرنجة الذين كانوا ذاهبين إلى سورية

ببركات البابا ، قد تخلوا عن رحلاتهم ، وذهبوا إلى المدينة وغزوا بلاد الروم وأصبحوا أمراء تشاور الأخوان معا على أن يبقى أحدهما في أراضيه الموروثة وان يذهب الآخر إلى بلاد الروم ليكسب أرضا .

حسنا وكما أن جمال الحظوظ الانسانية والأخوة لا يشبه بعضها بعضا لا في المظهر ولا في السحر فإن أصغر الأخوين كان الاكثر مهارة وحكمة بين الاثنين ، ووافق الاخوان على أن يبقى الاكبر في بلاده ، وهي شامبين ، وأصغر الاثنين الذي يدعى السير غوليوم ، وكان له لقب خاص به ، فكانوا يطلقون عليه الساوث ، سيجد من الجيوش بقدر ما يمكنه أن يأخذ معه ، وأنه سيذهب إلى بلاد الروم ليغزو بعض القلاع والمدن ليجعل منها ملكا له (٩٩) والآن (١٣٨٤ ـ ١٣٩٩) سلمه الكونت كل ما كان لديه من مال وقال له : بما أني باق هنا كأمير في قلاعنا وأملاكنا الموروثة ، خذ مالنا وممتلكاتنا المشتركة واذهب ببركاتي العزيزة وبركات أبينا أيضا ، وأمل أيضا أنه برحمة الرب سيكون حظك طيبا (١) .

وبناء عليه جمع واستأجر القوات ، التي أرسلها إلى بورغاندي وذهب عدد كبير من هناك معه ، وحصل بعضهم على أجر كمرتزقة ليأذوا اليه ، وآخرون ممن كانوا قادة الفرسان وكانوا من الناس الاثرياء ، ذهبوا معه ليغزو كل منهم ما يمكنه لنفسه ، وأرسل رسالة إلى البندقية بأن يجهزوا السفن ، وأعد بقدر ما يريد ويحتاج بسرعة ، وفي شهر آذار ذهبوا إلى هناك وعبروا ليصلوا إلى المورة في أول أيار ، ورسوا على الرصيف في مكان يدعى (١٤٠٠ ـ ١٤٢٩) آخيا ، وهي على نحو خمسة عشر ميلا من هذا الجانب من باتراس (٢) وبنى على الفور قلعة كلها من القرميد . والآن في الوقت الذي أتكلم عنه وفي هذا الفصل ، إن كل أرض المورة التي تضم ما يسمونه البلبونيز ، وهكذا يدعونها تحوي على كل اتساعها اثنتي عشرة قلعة فقط .

حسنا وعندها نزلوا إلى البر في آخيا وأخرجوا الخيول من سفن النقل ، ومكثوا هناك يومين حتى يريحوها ، ثم ركبوا خارجين وذهبوا إلى باتراس وطوقوا القلعة والمدينة أيضا ، ونصبوا المنجنيقات حول كل الجوانب (٣) ، وأعدوا الأقواس وبدأوا المعركة ، ومن خلال القوات العديدة والشجاعة في القتال في الهجوم الأول اخترقوا المدينة الخارجية ، وبعد أن استولوا على المدينة توصل الذين كانوا في القلعة بسرعة إلى اتفاق أيضا وسلموا الحصن على شروط الاحتفاظ بممتلكاتهم ، كل واحد بيته وما كان له .

وعندما استولوا على باتراس ، وضعوا الحراس وزودوا القلعة وكذلك المدينة بالقوات والأسلحة وبما هو صحيح ومواتم ، ومن هناك عادوا إلى آخيا وتشاوروا مع الروم المحليين الذين كانوا يعرفون الأماكن وأحوال كل واحد منها ، وتحدث هؤلاء ونصحوهم بأن أندرافيدا كانت أفخم مدينة في سهل المورة (٤) وهي تقع في السهل ، كمدينة مفتوحة وليس فيها أبراج ولا أسوار (١٤٣٠ – ١٤٥٢) من أي نوع حولها مطلقا ، وعليه انطلقوا إلى هناك رأسا ونشروا ألوية كل واحد من الجيوش ، وعندما اقتربوا من اندرافيدا واندرافيزاوا (٥) ، وعلم أهلها أن الفرنجة قادمون ، خرج النبلاء والعامة مع الصلبان والأيقونات وذهبوا لتقديم الولاء لكونت شامبين (٦) الذي استقبلهم كرجل حكيم جيد ووعدهم بأنه لن يوقع بهم ظلما ، ولن تتعرض أملاكهم لأي ضرر ، بل انهم سيحصلون على المجد والهدايا ومنافع كثيرة ، واقسم الجميع له بأنهم سيموتون وهم عبيد له (٧) وعندما أرضى مدينة أندرافيدا تشاور معهم حول الاتجاه الذي يجب أن يسير فيه .

وعليه أعطيت له المشورة بأن يذهب إلى كورنث ، لأنها كانت قلعة حصينة قوية وأجمل ما في بلاد الروم ، وكانت العاصمة التي حكمت بلاد البلبونيز بأجمعها والتي تضمها المورة ، حيث

انه إذا كان الرب ان يأذن بخضـوع كورنث فإن كل قـلاع أرض المورة ستؤدي الطاعة بلا معركة أو أعمال بالسيف .

وبعد هذه المشاورة التي تمت كما أخبرتكم عن القوات التـي كانت ســـتترك في أندرافيدا ، وتلك التـــي ســـــتنزل في لخيا (١٤٥٣ ـ ١٤٨٢) ومجموعة ثـالثة لبـاتراس ، وأمـر السفن أن تخرج إلى البحر ، وخرج هو وبقية قـوات جيش مـن فوستيتسا (٨) ومضوا الى كورنث. وبعد وصولهم الى المدينة نصبوا الخيام حولها وعسكروا.

والآن إن قلعة كورنث تقع فوق جرف شديد الانحدار (إنه تـل صنعة الرب فكيف سيحمده الانســان ؟) بينمـا تقـع المدينة في الأسفل بالوادي ، وهي محاطة جيدا بالأبراج والأسوار ، وحدث أن كان هناك في الوقت الذي أكتب عنه رجل عظيم وجندي مهـول وكان يسيطر على كورنث وأرغوس كحاكم وســيد شرعي ، وكان يحكمهم باسم ملك الروم ـ وكان يدعى سغوروس (٩) وكان هذا لقبه ، وعندما أخبر بأن الفرنجة قادمون قاد النســاء والأطفـال إلى خارج المدينة وكذلك الناس الذين يحملون أسلحة صغيرة ، وقادهم إلى قلعة كورنث : وبقي في المدينة مع كل الذين يحملون السلاح للدفاع عن أنفسهم .

والآن بعد وصول كونت شامبين (١٠) إلى مدينة كورنث كما أخبرتكم ، ركز قواته وأحاط بها ، وسمح لهم بـالاستراحة ذلك اليوم ، ولكن في الصباح التالي حالما بزغ النهار نفخوا أبـواقهم وبدأوا المعركة ، وأطلقوا منجنيقـاتهم مـن كل الجـوانب على الابراج ، ولم تكن الاقواس قاذفة السهام تسمح لأحد بأن يرتكز على فرج الاسوار ليرى من الذي يقذف (١٤٨٣ ـ ١٥١٠) .

ووضعوا سلالمهم على الجدران ودخلوا على الفور واستولوا على المدينة ، ووجـد أولئك الذين اســتسلموا رحمـه ، والذين

استمروا في القتال قتلوا بالسيف ، وهرب سيغوروس الذي كان في الواقع رجلا شجاعا مدبرا (١١) ومضى الى القلعة .

وبعد ان استولى الفرنجة على مدينة كورنث أمر كونت شامبنين باصدار إعلان يقول ، بأن الذين من المدن المجاورة لكورنث ممن يقدمون الطاعة ويقبلون به أميرا لهم سيكون لهم حظوة ومنافع .

ولكن الذين يلجأون الحرب لن يلقوا رحمة ، وبسماع ذلك بدأ النبلاء والعامة أيضا يتجهون صغيرهم وعظيمهم من مدينة دامالا ومن مدن بعيدة بعد ماحيون أوروس (١٢) وكلهم في لهفة كبيرة واقسموا وتعهدوا أنهم سيموتون وهم عبيد له ، وتلقاهم بسرور عظيم وانتشرت الرواية طولا وعرضا بعد ذلك بأن الفرنجة قد استولوا على حصن كورنث ، وأن لهم أميرا رائعا كانوا يدعونه كونت شامبنين وفي ذلك الفصل من السنة عندما ذهب كونت شامبنين ، ونزل في آخيا كما أخبرتكم من قبل (يبدو لي أني كتبت لكم في مقدمة الكتاب ، أنه بعد عام واحد فقط في الواقع بعد الاستيلاء على القسطنطينية ذهب كونت شامبنين ليغزوا المورة ، كما أخبرتكم) ، وما أن ذاعت (١٥١١ ـ ١٥٤٨) الرواية وسمعت تصادف أن كان بونيفيس ملك سالونيك في والاشيا مع جيوشه ، وكان معه هناك ذلك الرجل الجديد بالثناء الذي كان يدعى سيرجيوفري ولقبه فيلهاردين (١٣) وبناء عليه اتفقوا عندما سمعوا الرواية على الذهاب الى كورنث لرؤية كونت شامبنين كما قرروا ذلك في المجلس وهكذا نفذوا ومضوا الى كورنث ووجدوا كونت شامبنين ، واقاموا احتفالا كبيرا عندما التقوا هناك لأنهم كانوا متلهفين جدا التجمع مع بعضهم بعضا .

وبعد هذا قرروا بالتشاور أن يذهبوا الى أرغوس ، فأخذوا جيوشهم وساروا الى هنالك ، وتقع القلعة على تل ، وهي

محصنة جيدا في حين ان مدينة أرغوس (١٤) الكبيرة تقع في سهل يشبه خيمة مفتوحة ، وبوصولهم الى هناك اشتبكوا في معركة ودخلوها .

وحدث الآن أن سفوروس الجندي الجدير بالثناء الذي كان في حصن كورنث وقد رأى أن جيوش الفرنجة قد رحلت جاء خلال الليل ودخل المدينة بأكبر عدد من الرجال أمكنه أن يحضر معه وأحدث دمارا وفوضى عظيمة ، ومذبحة بين الفرنجة ، الذين تصادف أنهم وملؤهم الثقة ، كانوا في المدينة ، وفي الواقع إن الذين كانوا في صحة جسدية وكان لديهم الوقت ليتسلحوا قد قاتلوا ، أما المرضى وكانوا يرقدون منفعلين فقد ذبحوا على الفور ، ولم ينج منهم أحد ، وفي تلك الليلة نفسها أسرع الخبر الى كونت شامبنين ، وقد أخبرتكم أنه كان هناك في أرغوس ، وكان شديد الأسى والحزن من أجل المرضى الذين ذبحوا في فرشهم ، وغادر مدينة أرغوس وقد تمون جيدا ، وبقي الجنود الجيدون لحراستها ، وعاد الى كورنث وبعد أن عاد الى هناك توقف مع ملك سالونيك السير بونيفيس حوالي ستة أيام أو ثمانية ، في الواقع أقاموا هناك ، ثم التمس الملك (١٥٤٩ ـ ١٥٧٤) الاذن بالانصراف ، وعندها طلب منه كونت شامبنين خدمة ، هي أن يوفر له المساعدة والتموين ، وأن يساعده بطريقة ما من مملكته وكملك نبيل حقا وهبه وأعطاه ولاء أمير أثينا ، وكان يدعى السيد العظيم هكذا لقبوه وكان عندئذ أمير أثينا ، وقد أخذوا بالواقع هذا الاسم عن الهلينيين (١٥) وأعطاه أيضا الولاءات الثلاثة لأمراء يوريبوس وأيضا ولاء أمير بودونيستا ، التي كان المركيز يعتقد أنهم يمكن أن يحصلوا عليها منه ، وأن يعتبروه أميرهم (١٦) ولما كان أمير أثينا من بورغاندي فان أمراء يوريبوس الثلاثة الذين أتحدث عنهم كانوا من فيرو ومن لومبارديا (١٧) وأمر الملك أن يكتب لهم بالذهاب الى كونت شامبنين ، وعندما ذهبوا الى حيث كان كونت شامبنين ، فان

الملك نفسه سرحهم في سبيل أن يكون كونت شامبنين أميرهم ثم ودعهم ومضى في طريقه .

والآن عندما كان السير جيوفري ، الذي جاء مع ملك سالونيك على وشك الرحيل تكلم معه والتمس إذنه بأن يبقى هناك مع أميره الذي كان يعتبره أميره الشرعي ، وان كونت شامبنين أنا أخبركم كان يتلهف لرؤيته والاجتماع به والبقاء معه (١٨) (١٥١٥ ـ ١٦١٥) .

وهكذا بعد أن رحل ملك سالونيك وبقي السيرجيوفري ، طلب كرجل داهية من النبلاء الروم المحليين ، والذين عرفوا الأماكن والقلاع والمدن في جميع أرجاء البلبونيز الموجودة في المورة ، أن يشرحوا له ظروف وأحوال كل واحدة ، وحالما استلم تماما وعرف ، دعا كونت شامبنين وقال له : أيها الأمير اني كغريب حقا عن هذه الارض قد استجوبت النبلاء الذين معك ، وبما أني حصلت منهم على المعلومات الصحيحة ، رأيت بعيني قلاع كورنث في أرغوس ونوبليون والقوى التي تمتلكها ، واذا كان لك أن تبقى لحاصرتها فانك ستخسر ما تعهدت به وستدمر ، لأن الحصون قوية وجيدة التموين ولن تتمكن بأي حال من أن تستولي عليها بالهجوم ولكن كما أخبرت من أناس جيدين من باتراس وعلى مسافة تصل الى كورون (١٩) ان المدن أكثر توزعا ، وهناك حقولا وأماكن مشجرة ، حيث يمكنك أن تمر بحرية مع كل جيوشك ، وعندما تستولي على المدن وتحصل على ولائها ، هل تبقى القلاع والى متى تصمد ؟ وعليه مر السفن أن تذهب في البحر ، ودعنا نذهب جميعا بطريق البر ، وبعد أن نصل الى هناك حيث توجد قواتك في الأراضي التي استوليت عليها ، أمل أن يقدر لك برحمة الرب أن تحصل على ربح كبير .

وبسماع هذا شكر النبيل كونت شامبنين مارشاله كثيرا وأمر بأن تمون كورنث ، وترك جيوشا جيدة لحراسة الارض ، كما

قال السيرجيوفري تماما وأشار ، هكذا نفذ وذهبوا الى الدورة ، وخرجوا من باتراس ووصلوا الى أندرافيدا حيث كان نبلاء سهل الدورة ، وعندئذ جمع السيرجيوفري كرجل حكيم النبلاء وقال لهم : أيها النبلاء والاصدقاء والاخوة والرفاق من الآن فصاعدا ، انظروا وحدقوا في هذا الأمير الذي جاء هنا الى أراضيكم ليستولي (١٦١٦ ـ ١٦٤٨) عليها ، لاتعتقدوا أيها النبلاء جاء من أجل الاسلاب أو ليأخذ الملابس والحيوانات ويرحل بعد ذلك من هنا ، اني أخبركم بهذه الحقائق لأني أرى أنكم رجال حكماء ، انظروا جيوشه وطلعته النبيلة ، إنه أمير وامبراطور وقد جاء ليستولي وليس لديكم أمير يحميكم ، واذا كان لجيوشنا أن تتقدم لتنهب أراضيكم وتستولي على مدنكم وتذبح رجالكم فماذا تفعلون بعد ذلك عندما تندمون ؟ وعليه يبدو لي أنه من الافضل أن نقيم علاقات ودية ، بحيث لن يحدث القتل والسلب وأخذ الاسرى في أراضيكم وممتلكاتكم ، وعلى العقلاء منكم ممن يعرفون الآخرين من أقاربكم وأصدقائكم ورفاقكم أن يؤثروا عليهم ليقدموا الولاءات (٢٠)

وعندما سمع النبلاء ذلك قدم الجميع الطاعة له وأرسلوا مبعوثيهم الى كل الاماكن التي يعرفون أن فيها أصدقاء وأقرباء لهم ، وبينوا لهم الامر وأعلموهم به ، وأرسلوا لهم قولا رقيقا (٢١) ليأمن كونت شامبنين بأن كل من سيمضي ليقدم له الولاء سيحتفظون بميراثهم وسيعطيهم المزيد وكل من يستحق وثبت أنه نافع سيكرم جدا .

وعندما سمع النبلاء والعامة هذا بدأوا يدخلون وقدموا الطاعة جميعا ، وعندما اجتمعوا في أندرافيدا عقد نبلاء اليس وكل ميزاريا (٢٢) اتفاقا مع كونت شامبنين بأن كل النبلاء الادنى الذين يملكون اقطاعات على كل منهم الالتزام بالبيعة وبالخدمة العسكرية المتفقة مع مراتبهم ، وبذلك سوف يبقى له

من الاراضي والباقي وهو القسم الأعظم سيقتسمه الفرنجة بينهم ، وسيبقى الفلاحون في القرى كما وجدوهم (١٦٤٩ ـ ١٦٧٦) وعينوا ستة من النبلاء وستة آخرين من الفرنجة ليوزعوا الاراضي والاقطاعات (٢٣) .

وعندما أنجزوا ماأخبرتكم به جاء المارشال السيرجيوفري الى المجلس وقال لكونت شامبنين ، ياأمير يجب أن تدركوا وتفهموا أنكم بعيدون جدا عن أملاككم الموروثة ولديكم هنا جيوش كثيرة مأجورة ، والسفن تكلف أكثر من القوات ، ولهذا السبب أقول لكم وانصحكم أن لاتضيعوا وقتكم وقواتكم ، لقد علمت من نبلائكم أنه قريب منا تقع قلعة بونديكوس (٢٤) وهي على الساحل ، فلنذهب الى هناك ، ووراء هذه أركاديا (٢٥) وبعدها كورون (٢٦) وعلى بعد قليل فقط منها كالاماتا (٢٧) وتقع هذه القلاع الأربع التي سميتها على الساحل ، وأقول هذا لكم ، ياأمير طالما أن لدينا السفن ، دعونا نذهب الى هناك لنستولي على هذه القلاع ، التي لها موانيء في أماكن مناسبة لنا ونجدها قريبة التناول (٢٨) .

وعندما سمع النبيل كونت شامبنين وبقية القادة الآخرين في المجلس هذه الأشياء شكروا السيرجيوفري ، واقروا قوله وأعدوا أسلحتهم وكذلك سفنهم ، ووصلوا الى بنديكوس وهاجموها ، وكانت القلعة منخفضة الأسوار فأخذوها بالسيف ووضعوا بداخلها قوات جيدة كحرس (١٦٧٧ ـ ١٧٠٢) وعندما تم تموين قلعة بونديكوس ، أبحرت سفنه ومضت في البحر في حين وصل الى أركاديا ويابرا ، ووجدوا البحر هائجا ولم يجدوا مرسى السفن .

وعليه قرروا بالتشاور أن لايهاجموا القلعة في حينه ، لقد ذهبوا الى هناك وقتها ولكن حيث أنه كانت لديهم السفن للذهاب الى القلاع التي كانت على الشاطيء ولها موانيء فان بعض مشاتهم

على أي حال اندفع وشـق طـريقه بـالقتال الى داخـل القرية (٢٩) وقتلوا كل من أسروا بالسيف في مـكانه على الفـور ودخل كل من تمكن من الفرار الى القلعة .

وبناء عليه زودوا السـفن ومضـوا حـالا الى ميثون (٣٠) فوجدوا القلعة مهجورة ، وكانت مدمرة تماما ، وكان البنادقة قد دمروها في وقت سالف ، ثم انطلقوا ومضـوا الى قلعـة كورون ووجدوا القلعة منخفضة الاسوار والأبراج وكانت تقـع على جرف شـديد الانحـدار (٣١) ومحصـنة ، وبـوصولهم الى هناك أحاطت السفن بها من كل جـانب وبـدأ الفـرسان والمشـاة في القتال ، ونصبوا المنجنيقـات وضربـوا بصـورة متـكررة على المحصورين في الداخـل ، ولم يكن في الواقـع لدى أولئك الكورنيين الذين كانوا بداخل القلعة أية إمـكانية الصـمود فـوق الأسـوار (١٧٠٣ ـ ١٧١٦) وهـم يرون كثـرة القـوات وجـرأة الهجوم ، فرضخوا طالبين العفو اذا سلموا لهم الحصن مـع شرط ان يقسموا لهم بأن تكون لهـم بيوتهـم وممتلكاتهـم ، واذ سـمع السيرجيوفري ذلك وعدهم مسرعا ، وسكنت المعركة ودخل الفرنجة وتسلموا القلعة ونقلوا المؤن الى قواتهم وخـرجوا في اليوم التـالي ومضوا الى كالاماتا . فوجدوا القلعـة متهـدمة ، وكانت تسـتعمل كبير ، وعندما وصـلوا أمـامها هـاجموها وأخـذوها بالسيف ، وسلمها المدافعون عنهـا بـالشروط نفسـها مثـل الآخرين (٣٢) .

والآن حـالما سـمع الروم في نيكلي (٣٣) وفي فيليفوستي (٣٤) (١٧١٧ ـ ١٧٣٤) وليكديمونيا (٣٥) تجمعوا معا وجاء الفرسان والمشاة مـن قـرى ميلنفـر (٣٦) وقـرى لاكوس (٣٧) الى كريزوريا ، حيث علموا أن الفرنجة قـد بلغـوها وبدأوا يخرجون من القرى للنهـب ، وأعلنوا وخـططوا لهـزيمتهم واقتيدوا الى مكان يدعى كابكيانوس ، ونقطة تحمل اسم (بستان زيتون كونتورا)وكان هناك ٤٫٠٠٠ منهم بين فرسان ومشاة ، والآن

عندما عرف الفرنجة ذلك أيضا من الروم الذين كانوا معهم ، والذين كانوا يعرفون الارض ، وقادوهم الى هناك ، ذهبوا ووجدوهم وا شتبكوا بالقتال ، الفرنجة والروم (٣٨) وكان عدد مشاة الفرنجة وفرسانهم ٧٠٠ فقط ، فهذا كان تعدادهم وحجمهم ، وبدأ الروم المعركة بلهفة لانهم رأوهم قلائل جدا ، وندموا فيما بعد لماذا أخبركم بكل هذه التفاصيل (١٧٣٥ ـ ١٧٦٣) وما هو كسبي ؟ لقد كسب الفرنجة المعركة في ذلك الوقت ، وقتلوهم جميعا ، وفر القليل منهم ، وكانت هذه هي المعركة الوحيدة التي خاضها الروم خلال الوقت الذي غزا فيه الفرنجة المورة .

وبعد أن أخذ الفرنجة كالاماتا وجدوا الارض خصبة ، رحبة وبهيجة بحقولها ووفرة مياها ومراعيها ، وأعطى كونت شامبنين الاوامر لكل سفنه بأن تأتي كل واحدة منها الى حيث كان ، لأن نبلاء الروم أخبروه بأنه لن يحتاج اليها بعد ذلك ، وعليه أمر بأن تنزل المؤن والأسلحة الكثيرة والمنجنيقات من سفن الشحن ، وبينما كانوا يعبرون أرض كالاماتا ، وبينما كان يريح خيوله وقواته أيضا ، تشاور حول الى حيث يركبون ويتجهون ، وبناء عليه قال الروم والقادة في مجاسه بأنهم يجب أن يذهبوا الى فيلوغوستي ومن هناك الى نيكلي ، لأن تلك كانت الأماكن الرئيسة في كل المورة ، وتقع كل منهما في السهل وانهم سيأخذونهما بسرعة ، ومن هناك علاوة على ذلك عليهم أن يذهبوا الى ليكيمونيا . ثم قال المارشال السيرجيوفري وأشار بأن يذهبوا الى أركابيا ويستولوا على القلعة حتى تتوسع الارض ، وأن يرسلوا القوات ضد أركلوفون الذي يقود الدورونفوس ، الذين يسمون سكورتا (٣٩) وكانت قلعة صغيرة ولكنها تقع فوق تل صخري ، وكانت جيدة التحصين ، وقيل أن أحد الفوتساراداز كان يسيطر عليها ، وكان اسمه دوكا باتريس (٤٠) وكان جنديا عظيما ، وبعد أن نأخذ هذا المكان وتتسع أراضينا (١٧٦٤ ـ ١٨٠٣) دعونا نذهب الى تلك الأماكن الاخرى ، كما أشار السيرجيوفري هكذا فعل كونت شامبنين

نفسه ، وقرر أن يكون ، وأمر بأن تصدح الابواق وركبوا مباشرة وانطلقوا مغادرين ، ووصلوا الى اركاديا ساعة الظهر ونصبوا معسكرهم وأعدوا خيامهم في الميدان ، وطلبوا القلعة ، ولكنهم لم يتخلوا عنها لأن القلعة تقع على قمة صخرة ، وكان لها برج قوي يعود تاريخه حتى الى زمن الهيلينيين ، وكانت لديهم مؤن وفيرة وكانوا يأملون في الصمود في المعركة أمام الهجوم ولايستسلموا (٤١) ومر اليوم وبزغ فجر اليوم التالي وأمر الشامبني بأن تنصب المنجنيقات وبدأوا القتال حول القلعة ، ومن أحد الجوانب هاجموا بالمنجنيقات ، في حين كانت الاقواس والنشاب في الخلف والامام ، وعندما رأى الاركاديينيون الذين كانوا في القلعة أنهم لن يصمدوا أمام الهجوم القوي ، ارسلوا صيحة مدوية تطلب وقف الهجوم ، واتفقوا على تسليم القلعة ، وأمر المارشال السيرجيوفري على الفور الجنرالات بوقف الهجوم ، وطلب الاركادينيون بأن يعفى عنهم وأن يعطوا هم واتباعهم الأمان ، وبسرعة أقسموا قسمهم وسلموا القلعة .

وبعد أن تسلم الشامبنيين القلعة مكثوا هناك يومين فقط ، ثم وصل مبعوثون موثوقون الى هناك ، وكانوا يحملون رسائل أحضروها من فرنسا وأعطوها للشامبني وانحنوا أمامه ورجوه شفاهاً (أن يعلن الرسائل) وبحزن والدموع في عيونهم قالوا : « اعلم ياأميرنا أن أخاك قد توفي ، ذلك الذي كان أخاك الكبير كونت شامبنين (٤٢) ويلح نبلاء ولايتكم وكل الفرسان وعامة الناس ايضا وهم عبيدك ويتوسلون اليك أن تذهب بسرعة الى هناك لأنه ليس لديهم أمير شرعي أخر سواك ، وملك فرنسا الذي أخذت منه اقطاعاتك راغب جداً ونافد الصبر في انتظار (١٨٠٤ ـ ١٨٤٣) وصولك فورا ، وقد كتب لك أقاربك وكل نبلاء الغرب يتوسلون اليك أن تذهب بسرعة الى هناك .

وعندما سمع الشامبني النبيل تلك الكلمات ، أسف جدا كرجل حكيم شاب وبكى طويلا ، ودخل في حزن عميق ، ثم أمر باستدعاء

قائد جيشه ومستشاره الاول السير جيوفري ، وتكلم معهم كرجل حكيم وقال : ايها النبلاء والاصدقاء والاخوة والرفاق والجنود ، ان الرب شهيد على الاسى الذي اشعر به لموت سيدي واخي وعلاوة على ذلك ، فإني حزين ايضا واشعر بقلق عظيم لذلك الذي تعهدت به ، وتابعته الى النهاية ، فلقد ضيعت آمالي وقد ألقيت على الارض ، وحدث لي العكس في كل مقاصدي ، ومع ذلك كما سمعت دائما من الرجال المسنين (٤٣) الذين أخبرونا وأعلمونا ـ نحن الذين عانينا من سوء الحظ ، ان نصبر وبهذا سنكسب ، وعليه أقول لكم ، أتوسل اليكم جميعا أن تشيروا كما يجب ويناسب حتى يمكن أن أقوم بالشيء الصحيح كما يليق بشرفكم حتى لايجد أحد عيبا فيكم وانهم اتباعي .

وبناء عليه فان هذا هو المجلس ، الذي انعقد وفيه قام السيرجيوفري ، كونه المارشال ومعه اسقفان وفارسان وخمسة نبلاء آخرين بتقسيم الأراضي معطين لكل رجل حسب منزلته ورتبته والأسلحة والقوات التي لديه في الجيش (٤٤) وعليه جلس هؤلاء الرجال العشرة معا وحدهم وأعدوا قائمة بالقوات وقادة الجيش ، وبعد أن أدرجوا الأراضي في قوائم ووزعوها ، أحضر العشرة الذين تكلمت عنهم كما فعل الشامبني نفسه ولانه لم يكتب في التوزيع شيئا للسيرجيوفري ، مارشاله لقد دهش كثيرا وأعلن شكره له على ترتيباته (١٨٤٤ ـ ١٨٧٨) وحكمته وكرمه ، وبناء عليه تكلم معه : سيرجيوفري قال له ـ أمام الجميع حيث دعاه وتحدث اليه بصوت مرتفع : « لقد علمت وأقول لكم بصدق ، انكم أعطيتم المبادرة المحرضة الاولى والنصيحة في ذلك الوقت لأميري وأخي من أجل الحملة السورية ، وكان قد جعل قائدا (٤٥) وعندما حدث لسوء الحظ الكبير أن توفي أخي ، فانكم لم تعانوا بأي حال من أن الحملة قد تم التخلي عنها ونهبتم جميعا الى رومانيا واستوليتم على المدينة ، وفي الواقع ان كل الانجازات والاعمال العظيمة قد اشرتم بها ورتبتموها وعندما سمعتم بأني جئت الى هنا الى المورة ، تركتم الحصة التي كانت

مستحقة لكم من الاستيلاء ومن الامبراطور بلدوين ومن كل رفاقكم وراءكم وجئتم الي ، وسيكون اثما ولوما كبيرا أن لا أكافئكم بشكل موائم ولائق .

وبناء عليه اريد أن أعطيكم ملكا لكم أراضي كالاماتا وأركاديا والأراضي المحيطة بهما (٤٦) ومنحه فورا خاتما ذهبيا ، وعندما تم منحه وقدم له الولاء ، دعاه مرة أخرى وقال له : سيرجيوفري ، من الآن فصاعدا ستكون تابعا لي ، لأنك تملك الأراضي بسلطاني ويتعين عليك أن تكون مخلصا لي في كل شيء ، ومن جانب آخر اني أخولكم بكل شؤوني ، وحيث أن علي أن أذهب الى فرنسا ، فأني امرك وأطلب اليك اخلاصا لي أن تتسلم وتملك الاراضي التي ربحتها هنا في المورة وأن تحميها من أجلي ، وستكون نائبا لي بالطريقة والهدف الذي يعطيك السلطة التي لي ، واذا ماراق لي من جانب وحدث (١٨٧٩ ـ ١٩١١) أن أرسلت أحدا من رجالي من بين اقاربي ، في غضون عام واحد ، فعليك أن تسلمه الارض والسلطة ، وأن تبعد يدك عنه ، واذا من جانب آخر مر الزمن ، زمن السنة الواحدة المحدد ، ولم يأت أحد ليتولى السلطة فانها أرادتي ورغبتي ، وبذلك أعطيك كلمتي بأنك ستبقى سيدا وأميرا بعدي ، سيدا وأميرا بالوراثة (٤٧) .

وبناء عليه انحنى السيرجيوفري الرجل الحكيم أمامه وتكلم شاكرا اياه للثناء والتشريف الذي شهده ، وثانيا للهدايا التي أعطاه إياها ، وهكذا ان النيابة على المورة والسلطة على الأرض التي تلقاها طبقا للشروط الموضوعة من قبل الشامبني ، والتي أمر بأن تدون الوثائق المتضمنة لها ، قد أبرمت مع القسم ، ثم وضع الفرسان والأساقفة وقادة الجيش اختامهم عليها .

وحالما أنجزت هذه الاتفاقات تجهز الشامبني ، وانطلق مغادرا ، وقام بالانطلاق والمغادرة واصطحب معه فارسين اثنين واثني عشر سيدا رفيقا ، وقام بالعبور في أحدى الشواني ، ومضى

الى البندقية وعبر مباشرة الى فرنسا والى شامبين ؛ وبقي السير جيوفري في الارض سيدا لها .

والان بعد ان بقي السيرجيوفري كنائب للملك واميرا على المورة ، كما اخبرتكم امر بان تتجمع قواته في اندرا فيدا التي كانت في ذلك الوقت تحت سلطة الادارة وحالما اجتمع الكبار والصغار فيها ، دعا بالسجل الذي دونت فيه حصة كل رجل وماخصص له التصرف والادارة من قبل الشامبني (٤٨) . وفيه ادرج كل المستفيدين (١٩١٢ ـ ١٩٣٨) .

وكان اول من ادرج في القائمة هو السيرغوتييردي روزيير ، وهكذا كان لقبه وكان يدعى ، وقد تملك حصة اربعة وعشرين فارسا من الارض ، واعطي املاكا في ميزاريا ، وبنى قلعة هناك واسماها ، أكوفا ومازالت تسمى هكذا .

وكذلك اعطي مثله للسيرهوغ دي بروييير ، وهذا لقبه ، واعطي املاكه في درنغوس في سكورتا ، وخصص له حصة اثنين وعشرين فارسا من الاراضي .

وعندما تسلم اقطاعاته بنى قلعة هناك سميت كاريتانيا كما ماتزال تدعى ، وكان له ابن ، هو السير جيوفري امير كارتيانيا ، وهكذا كان اسمه ، وكان جنديا شهيرا في رومانيا (٤٩) ثم جاء بعده في القائمة بارون ثالث ، السير غوليوم ، وهكذا كان يدعى ، وكان لقبه المان وسجلت له باتراس للتملك والتصرف مع كل توابعها .

ثم خصصت له بعد ذلك بارونية السير ماثيو ، وكان لقبه مونس وهكذا عرف وملك قلعة فيليغوستي ، وحصة اقطاع اربعة فرسان وكان له ان يحمل علما (٥٠) .

ثم جاء بعده في القائمة سير غوليوم اخر لينال قلعة نيكلي مع ست حصص من الارض (٥١) .

ثم جاء بعده اخر في السجل وهو السيرغي ، وكان يدعى بلقبه دي نيفليت ، واعطي ست حصص ليتملكها في شاكونيا وقد بني قلعة هناك اسماها غيراكي (٥٢) (١٩٣٩ ـ ١٩٥٤) .

واقطع السيراوتون دي نورناي ايضا ملكية كالافريتا مع حصة اثني عشر فارسا .

وتلاه في القائمة السير هوغ دي ليلي ، ليأخذ حصة ثمانية ، فرسان في فوستيتزا وقد تخلى عن لقبه ودعي باسم كاربغني (٥٣) . وبالنسبة للسيرلوك ، فقد اعطي فقط حصص اربعة فرسان ، تجاور غريتسينا ووادي لاكوس (٥٤) واعطي السيرجان دي نويلي ، باسافا ،أربع حصص وكان له ان يحمل علما ، وان يكون مارشالا وان يبقى هذا المنصب وراثيا (٥٥) واعطي السير روبرت تريمولاي اربع حصص ، وقد بني كالا ندرتيزا ولقب بالامير (٥٦) واعطي للاسبتارية اربع حصص ، واعطي للداوية أربع اخرى ، وكان لها ان ترفع علما وكذلك اعطي الالمان اربع حصص يملكونها في اراضي كالاماتا (٥٧) واعطي مطران باتراس (١٩٥٥ ـ ١٩٧٤) وكهنته ملكية حصص ثمانية فرسان ، واعطى اسقف اولينا اربع حصص واساقفة ميثون وكورون مع كهنتهم اعطى كل منهم اربعا ، وكذلك اساقفة فيليفوستي ونيكلي ، حيث لكل منهم اربع حصص ومثلهم اسقف ليكديمونيا (٥٨) .

وكل اولئك الذين تسمعني اذكرهم بالاسم كانوا في ايام الشامبني قد ادرجوا في سجله ومنحوا الاقطاعات ، والفرسان الذين كانت لهم حصة ، وكذلك حاملوا الدروع (٥٩) الذين اقطعوا لم اسمهم بسبب مايتطلبه ذلك من كتابه مطولة ، وبعد تلاوة السجل طلب السيرجيوفري مشورة القادة ، ورؤساء الاساقفة والاساقفة حول

كيفية وضع وترتيب التعليمات التي تتعلق بكيفية تأتية المقطعين بالاقطاعات لخدماتهم ، حتى يحافظوا على سلاحهم والاغارة بالسلاح فانها ستفقد مرة اخرى .

وبناء عليه تمت في مجلس عام بحكمة كبيرة مناقشة وترتيب ووضع ان الذين حصلوا على اربع حصص لهم ان يملكوا اعلاما وان يكونوا من قادة الفرسان ، وان كلا من هؤلاء سيكون له الى جانب علمه فارس يسير معه واثني عشرة من حملة الدروع ، وان الذين ملكوا وكان لهم اكثر من اربع حصص لهم في مقابل كل حصة ان يعطوا ويجهزوا اثنين من حملة الدروع الراكبين او فارس واحد ، والفرسان الذين يملكون حصة ، يلتزم كل واحد منهم ، ويطلب منه ان يخدم شخصيا كالتزام : ومثل هذا الذين يسمون (سرجندية الاستيلاء) على كل منهم ان يقدم الخدمة بنفسه .

واعلنوا ورتبوا انه بما انهم كانوا في حرب فان قسما منهم عليه أن يحمي الأراضي التي غنموها ، وأن يغزو الآخر ، تلك التي لم يحصلوا عليها ، وأن الخدمة الالزامية لكامل السنة ، يجب أن تجدول على الترتيب والنحو الذي أدرجه فيما يلي : أنه من بين الشهور الاثني عشر في السنة يمضي كل رجل اربعة شهور في الخدمة العامة في الحاميات (٦٠) حيثما يريد الأمير ، وأنه في الشهور الأربعة التالية نذهب في جيش الى حيث يحتاج ويريد أمير التابع ، وفي الشهور الأربعة التالية يمكن للاقطاعي أن يكون حيث يشاء (٦١) وبالنسبة لما اعلنوا بأن هناك خدمة على مدار السنة ، فانه يعود الى تفضيل الأمير ايا كان أن يأخذ (٢٠٠٢ ـ ٢٠٢٣) من الشهور الاثني عشر ما يشاء ، ولم تكن الكنيسة والاساقفة والداوية والاسبتارية ملزمين بأداء واجب الحاميات ، ولكنهم كانوا ملتزمين بأن يكونوا مستعدين بكل الطرق مثل الاقطاعيين للمساعدة ، في الغارات والمعارك حيثما يحتاج الأمير وعندما تتطلب حاجة البلد.

ومثل هذا تقرر هذا المبدأ لرؤساء الاساقفة في كل الكنائس أن

يحملوا اعلاما في حالة الحرب ، وفي المجالس الاستشارية علاوة على مجالس الامارة ، وفي المحاكمات المتعلقة بالاراضي فانهم يتساوون مع قادة الفرسان ان لايحكم فيها الاساقفة تحت اي ظرف .

وبعد تسوية كل هذه الامور التي حدثتكم عنها ، امر السيرجيوفرى بان يستعد الجميع الكبار منهم والصغار للمسير ، وانهم يجب ان يخضعوا الاراضي التي اقطعوا اياها حتى يفتحوا مالم يضعوا ايديهم عليه منها ، وحالما ساروا اخذوا طريقهم ومضوا راسا الى فيلو غوستي بمشورة الروم ، الذين كانوا يعرفون الارض والذين اوصلوهم الى هناك ، وكانت القلعة في ذلك الوقت تقع فوق تل منخفض ، واخذوها بالانقضاض وقدم القليل الطاعة .

وبعد ذلك عبروا راسا الى نيكلي التي تقع في سهل ، والان برؤية جيوش الفرنجة والروم الذين كانوا معهم ، حصن نبلاء نيكلي الابراج بأي قوات ، وبأي اسلحة كانت معهم ، وكانت الاسوار عالية وكلها محكمة الرصف والملاط ، وقد تلقوا الهجوم بلهفة وصمدوا مدة ثلاثة ايام في وجه الهجوم على القلعة ولم يسلموا بأي حال ، وعندما ادرك جيوفري ذلك امر باحضار خشب لصنع خنازير (مثاقب لزعزعة الاسوار) (٦٢) ، ومنجنيقات (٢٠٣٨ ـ ٢٠٧٢) واقسم بانه لن يغادر المكان قبل الاستيلاء على حصن نيكلي بالسيف ، وانه اذا اخذه بالسيف فلن يرحم نفسا واحدة . وعندما سمع الروم ممن كانوا مع الفرنجة ، ولهم اقارب بداخل القلعة هذه ، نادوهم واعلموهم بذلك ، وبانهم ان لم يذعنوا ويسلموا القلعة واخذت بالسيف فسيقتل الجميع . وحالما سمع كل النكليون هذا تشاوروا معا وسلموا القلعة ، وسلموها باتفاقات بان يحتفظوا باملاكهم .

وحالما تسلم السير جيوفري نيكلي امر بتموينها كما يجب ويليق ، ثم انطلق من هناك ورحل راسا الى ليكد يمونيا التي كانت بلدة كبيرة بابراج واسوار جيدة وكلها جيدة الملاط ، وكانوا في

الحقيقة مصممين جدا على عدم الاستسلام واحاط الفرنجة بالمدينة خمسة ايام مع هجمات لاتتوقف ليلا ولانهار ونصبوا المنجنيقات التي احضروها معهم من نيكلي ٠

وحالما بدأوا يعانون من الخسائر وتضررت الابراج ، استسلموا بسرعة ، بشروط ومع القسم بان يحتفظوا ببيوتهم والاقطاعات التي يمتلكونها .

وبعد ان استسلم الليكديمنيون اتخذ السير جيوفري مراكز هناك ، واعطى اوامر لجيوشه بان يبدأوا الطواف لجمع الاسلاب في ارض تساكونيا حتى هليوس وفي فانيكا وفي مونمفاسيا (٦٣) .

وبناء عليه جاء نبلاء ليكد يمونيا ، ونبلاء نيكلي ايضا ، الذين يملكون اقطاعاتهم في تساكونيا وفي الاماكن الاخرى ، حيث كانت تلك الجيوش تغير ، جاؤواوتكلموا مع السير جيوفري ، وطلبوا منه ان يامر جيوشه بان توقف الاغارة ، وان القرى ستؤدي الطاعة وان يجعلوه اميرا عليهم ، ولانه كان عقلانيا (٢٠٧٣ ـ ٢١٠٧) في كل شيء ، نبه النبلاء ، وامر جيشه بالعودة .

وبناء عليه امر ان ياتي قادة مجلسه ليمثلوا امامه ، اولئك الجنود الذين اقطعوا (٦٤) البلدان ، ومن ثم امر ان يدون كتابة في السجلات كل ما تم كسبه ، وما تم غزوه منذ رحيل الشامبني . ودعا النبلاء وقادة المورة وطلب منهم ان يعلموه بالتمام اية قلعة بقيت دون ان تقدم الولاء ، واجابوه واعطوه هذه المعلومات مازال ينقصك اربع قلاع ياسيدي : الاولى في كورنث ، والثانية نوبليون ، والثالثة مونمفاسيا ، والرابعة ارغوس . وهذه القلاع قوية جدا وحسنة التموين ، ولايمكنك مطلقا اخذها بالهجوم ، واذا كان اميرنا يرغب في الاستيلاء على هذه القلاع فاننا نحن العرق الرومي سنموت عبيدا لك وهذا ما نطلبه ونرجوه ، فامنحها لنا تحت القسم كتابة حتى تكون لنا ولاولادنا ، ومن الان فصاعدا لن يجبرنا احد من الفرنجة

على تغيير عقيدتنا الى العقيدة الفرنجية ، ولاحتى عاداتنا وقوانيننا الرومية .

وتلقى السيد جيوفري هذه الكلمات بقبول حسن واقرها لهم مع القسم ودونت كتابة (٦٥) وبعد ان سوى السيد جيوفري كل الامور للفرنجة والروم ، وحقق لكل رغباته ، وعالج المشكلات في اقطاعاتهم ، احبه الجميع كثيرا صغيرهم وعظيمهم ،

لانه كان جديرا بالتقدير وعادلا بالنسبة للجميع ، حتى ان اكثرهم حكمه تشاوروا حول كيفية الابقاء على ملك اراضي الموره في يديه ، لانه كان رجلا طيبا وعاقلا في كل الامور ، بدلا من ان ياتي من فرنسا بعض النهابين عديمي الخبرة الطائشين ليوقعونا في الفوضى ، وبناء عليه (٢١٠٨ ــ ٢١١٣) ذهبوا اليه ، واحاطوه علما بجديتهم فاقشعر بدنه من الافعال الشريرة التي لايسمح بها تحت اي ظروف .

وتحدثوا معه مطولا وحثوه كثيرا حتى اخرجوه عن حكمته ، وقبل بالخطة التي ستتنفذ والامور التي ستحقق (٦٦) وبناء عليه دبروا ليعوقوا بخطة وضيعة كل من يتصادف مجيئه من فرنسا وان يمنعوه ببعض الوسائل من الوصول قبل حدود نهاية الوقت الذي حدده الشامبني .

وبناء عليه ارسل السيد جيوفري كرجل واع فارسا كان لديه ويثق فيه ، وذهب الى البندقية وراسا الى الدوج ، وكانت هناك صداقة وحب وصلة بينهما ، وارسل اليه هدايا وتوسل اليه بحرارة ان يفعل شيئا ليؤخر مجيء من يتصادف ان يرسله الشامبني ؟ وقد ارسل الان فارسا اخر الى فرنسا للاصدقاء والاقارب الذين له من شامبين .

والان عند هذه النقطة ، ساتوقف عما كنت اكتبه واخبركم حول

السير جيوفري وحتى اخبركم بدقة عن هذا النبيل كونت شامبين (٦٧) وكيف اصاب نجاحا جيدا عندما وصل الى هناك بعد ان سافر الى فرنسا من اجل ممتلكاته . والان بعد ان انطلق الشامبني من ارض المورة وسافر الى فرنسا ، وحمل الى شامبين ، التي كان يحبها كثيرا (٦٨) واستقبله اقاربه استقبالا حسنا ، وانطلق مسافرا الى ملك فرنسا ، ووجده في باريس مع نبلائه ، وكانوا يحتفلون بعيد الحصاد بالطريقة المعتادة لدى الفرنجة (٦٩) وكان الملك سعيدا جدا بالكونت ، لانه راى انه عاد من رومانيا وهكذا ايضا كان الدوقات النبلاء والكونتات ، الذين كانوا رفاقه واقاربه.

وحالما تبادلوا الهدايا مع بعضهم بعضا قدم ولاءه للملك عن الاقطاعية وطلب منه الاذن بالسفر ، وعاد الى شامبين ، وحالما عاد الى ارضه(٢١٤٩ ـ ٢١٩٠) واصبح اميرا وبينما كان ينظم ارضه وشؤونه مضى ثمانية شهور كانت كثيرة في عددها ، ثم تذكر الاتفاقات التي ابرمها مع السير جيوفري فيما يتعلق بارض المورة ، وكان لديه امل قوي وثقة عظيمة فيه ، حتى انه لو ارسل اليه احد اقاربه ، فانه سيستقبله كامير له وسيسلمه الارض ، وبناء عليه اجرى مشاورة مع اقاربه حول من الذي يجب ان يرسله الى المورة كنائب له وامير ، وكان لديه ابن عم موثوق يدعى روبرت : وكان بابا لانظير له في كل شيء . واستدعاه كونت شامبين وقلده منصبا واعطاه سلطة على ارض المورة ، وامر بان تدون على الورق كل المزايا وتسليم الملكية التي عليه ان ياخذها معه ، واعطاه مالا كثيرا وحاشيته من اربعة فرسان و٢٢ من حملة الدروع ، وغادر شامبين في مطلع تشرين الثاني ، (٧٠) وعندما جاء الى سافوى لعبور الجبال ، وجد الثلوج كثيفة وسميكة على القمم التي تفصل فرنسا عن لومبارديا ، ولم يتمكن باي طريقة من ان يمر عبرها وكان عليه ان يتاخر هناك شهرا او اكثر ، وحالما اصبح قادرا على اجتياز الجبال خرج من لومبارديا وسافر الى البندقية ، حيث وصل في بداية كانون الثاني ، بامل ان يجد سفينة ليقوم بالعبور .

وعندما ابلغ الدوج بان روبرت ابن عم الكونت قد جاء ـ وكان قادما من شامبين ليذهب الى المورة ـ دعا اميرا له واخبره سرا بالامر وبخطة اعاقته وانه عليه ان لايعطيه سفينة ليذهب الى المورة وعندها استدعى الدوج روبرت وأظهر له تشريفا كبيرا وتشجيعا وأدبا حتى يثق به وحتى يخدعه ، واستبقاه كثيرا بكلماته الجميلة ، وتذرعاته وخدعه واعذاره الزائفة حتى أنه تأخر في البندقية نحو شهرين وأكثر ، ولكنه في النهاية أعطاه سفينة مسلحة حدث أنها كانت متجهة إلى كريت وأمر الكوميتاس (٧١) قائد السفينة (٢١٩١ ـ ٢٢٢٥) أن يتركه عندما يعبر كورفو ،لقد مضت الامور كما اخبرتكم تماما ، وحالما وصلت السفينة الى قلعة كورفو ، استدعى الكوميتاس روبرت وقال له : « إن هناك أضرارا أسفل السفينة ويجب أن نقيم لاصلاحها ، وعليه يا أخي الطيب دعنا نأخذ أمتعتك منها حتى تخف ، حتى يمكن اصلاحها » .

واذ صدق الآخر أمر بنقل أمتعته إلى القلعة ، بينما نزل في الفندق وعندما مر معظم الليل وعلا صياح الديك نفخ طاقم السفينة صفاراتهم ورحلوا مبتعدين ، وعندما حل الصباح وأفاق روبرت واستيقظ ، اخبر بأن السفينة قد غادرت . وحالما أخبر بذلك بدأ يتألم ، ثم أدرك تماما الخيانة التي اقترفت ضده ، وعندما فهم الخدعة سعى حتى لايجاد سفينة يستأجرها ، وحيث أن قائد كورفو (٧٢) ارسل الى الخارج من قبل امير المورة السير جيوفري فانه امر باستدعاء صاحب السفينة وامره وحذره تحت طائلة الايذاء الجسدي من ان يأخذ السير روبرت ويعبر به تحت اي ظرف.

وفي هذه الأثناءأنزلت السفينة التي كانت في طريقها إلى كريت رجلا في سانت زكارياس ، النقطة التي توجد عندها مدينة كلارنتسا (٧٣) اليوم ، وكان يحمل رسائل من دوج البندقية للسير جيوفري ، امير المورة يعلمه فيها خطيا بأمر روبرت ، عندما وصل الى البندقية وكيف جرى تأخيره شهرين وأكثر وأيضا كيف أن سفينة البنادقة

التي كانت في طـــريقها إلى كريت قـــد انزلتـــه في جـــزيرة كورفو . (٢٢٢٦ ـ ٢٢٧١) .

وكان السير جيوفري في اندرافيدا في ذلك الوقت ، وعندمـا أحضر له البنادقة تلك الرسائل ، مجدهم وأعطاهم هدايا واستدعى آمر قلعــة اندرافيدا وأعطاه تعليمات مفصلة حول كيفية التصرف عندما يعبـر روبرت ويصل إلى هناك ، ثم تــرك أندرافيدا وذهــب إلى فليزيري لينتظر حتى يسمع بعض الأخبار حول روبرت .

وعندما أدرك روبــرت أسـلوب الخــداع ، الذي كان البنادقـــة يخدعونه به كما أخبرتكم أسرع يتعجل لايجاد مركب ليعبر للوصــول إلى المورة ضمن الوقت المحدد ، حيث تصادف وجود مــركب ذاهـب إليها من أبوليا ، وتدبر أمر الصعود إلى المركب الذي أخــذه حتــى سانت زكارياس ، وسأل أن يدلوه على مــكان نائب الأمير وأخبـره بعضهم أنه كان في أندرافيدا . وأرسل سرجنديا ليحضر له الخيول ، وقد سافر الأخير على طريق المشاة حتى وصل إلى هناك ، ولم يجد السير جيوفري ، الذي كان قد ذهب إلى مكان آخر ، بل وجــد آمــر قلعة مدينة أندرافيدا . وعليه تكلم معه وأبلغه رسالته ، أن روبــرت كان في سانت زكارياس ، وكان ابن عم وقــريب لكونت شـامبين ، « الذي جاء ليكون أميرا لكم ، أيها الموريون أرسلوا له الخيول حتى يأتي اليكم هنا » .

وفور سماع آمر القلعة للرسالة ، أخذ معه كل القــوات التــي كانت تحت قيادته والنبلاء والمواطنين (٧٤) من كل أندرافيدا واخــذ معــه كل الخيول التي يحتاج اليهـا وذهــب راسـا إلى ســانت زكارياس ، وأظهروا سرورا عظيما برؤية روبرت وأظهروا علامـات الاحتــرام المتوجب وأنهم كانوا مسرورين جدا مــن أنه يجــب أن يأتــي ليكون أميرا عليهم وأنهم سيعيشون في خــدمته . وبناء عليه تلقــوه بسرور عظيم ، وذهبوا إلى أندرافيدا واســكنوه هناك ، وأبــدي ابتهـاجا عظيما وملاطفة حســنة ، واســتقبل الجميع وخــاطبهم بعبــارات

جميلة ، مفترضا مقتنعا بأنه قد اتخذهم اتباعا وأنهم بدورهم اعتبروه سيدهم وأميرهم .

وبناء عليه ظهر أحدهم وأخبره بالتفاهم والاتفاقيات التي أبرمها الشامبيني مع السير جيوفري ، نائب أمير المورة وأنه اذا انقضى أمد العام الواحد الذي كان عليه خلاله أن يلتقي فيه بالسير جيوفري ويتولى السلطة ، فإن جهوده ستذهب عبثا ويكون قد فقد كل ما جاء يبحث عنه(٧٥). وعندما سمع روبرت النبيل هذا سأل أمر قلعة المدينة ان يعطيه الخيول ، حتى يمكنه ان يمضي على الفور الى نائب الملك ، وان يحصل على مرشد يقوده على ان يكون القائد ملتزما بتنفيذ مشيئته. ووجد له قدر ما شاء من الخيول والمرافقين ، ونهب معه هو نفسه حتى فليزيري(٧٦) ، على امل ان يجد نائب الملك هناك ، والآن عندما سمع السير جيوفري تقريرا بأن روبرت قد وصل الى سانت زاكارياس ، غادر المكان بسرعة وذهب إلى كالاماتا ، ومرة أخرى عندما سمع أن روبرت قادم ، غادر من هناك وذهب مع حاشيته رأسا إلى فيليفوستي ، حيث وصلوا ظهرا . والآن جاء الذين كانوا مع روبرت به رأسا إلى كالاماتا ، ومن هناك أخذوا الخيول وعادوا . وعليه بقي روبرت وحده تماما ، فاستدعى آمر كالاماتا وتكلم معه وطلب منه أن يعطيه خيولا حتى يمكنه أن يذهب إلى السير جيوفري نائب الملك في المورة .

فأعطاه من الخيول بقدر ما أمكنه وأعطاه ادلاء أيضا ليرشدوه ، فمضى إلى فيليفوستي ولم يجد نائب الملك هناك ولكنهم أخبروه أنه ذهب إلى نيكلي . وعاد أهل كالاماتا وذهبوا إلى بيوتهم فيها . وبقي روبرت هناك في ضياع لأنه لم يجد خيولا ليأخذها معه وعلى أي حال فقد وجد له آمر القلعة خيولا بأفضل ما أمكنه وأعطاه اياها فمضى إلى نيكلي .

وبعد وصول روبرت إلى نيكلي ذهب الرسل إلى ليكديمونيا ،

حيث كان السير جيوفري ، وأعلموه أن ابن عم كونت شامبين المدعو روبرت قد وصل الى نيكلي (٧٧) وبسماع السير جيوفري للتقرير اخذ معه الرجال وعظماءهم ، وفي الحقيقة كل من كان في حاشيته ومضى مسرعا ليقابل روبرت ، وقابله بتشريف وبعلامات حقيقية للاحترام وابدى سرورا عظيما به في حضور الجميع وعندما وصل الى ليكيمونيا امر بأن ينزل في قصور الامارة (٧٨) .

والآن كان ابن عم كونت شامبين يتوقع احراز السلطة ، في الصباح التالي وبينما كان النهار ينبلج ، أمر بأن يستدعى نائب الملك السير جيوفري وقال له أنه كان برفقته القادة وأصحاب الجدارة وقد جاءوا ليروا تنفيذ أوامر كونت شامبين ، وهي الأوامر التي جاء بها معه . وعليه ،اعطى السيرجيوفري امره ، وحالما تجمع الجميع وجلسوا لاستماع ما كتبه الكونت ، نهض كاتب ممن جاء معه (٧٩) وأمره بقراءة الامتيازات التي جاء بها ، فقرأها وشرح الكلمات التي تبين أن الكونت قد أعطاه السلطة على الأرض وعلى كل البلبونيز الموجودة في المورة ، ثم عرض بعد ذلك وقرأ أيضا الأوامر والوصايا لكل القادة بأن يستقبلوا روبرت كأمير لهم .

وحالما تليت جميع هذه الوثائق ، نهض السير جيوفري في حضور الجميع وانحنى بتواضع لسلطان أوامر الكونت ، وأمر بسرعة باحضار الامتيازات التي كانت لديه والاتفاقات والوثائق التي أعطيت له من الكونت والتي تقضي بأن تسلم اليه أرض المورة ليحكمها ويحميها وأن يكون نائبا له ، أنه اذا جاء خلال فترة عام ويوم الكونت أوعضوا اخر من عائلته ، فإن عليه أن يسلم له الأرض والسلطة ولكن اذا انقضت فترة السنة ولم يصل أحد منهم (٢٣٤٩ ــ ٢٣٧٧) كما اخبرتكم فإن الأرض والسلطة ستبقى حتما في يد السير جيوفري كوريث (٨٠) وبعد قراءة هذه الوثائق ، والاتفاقات التي أبرمها كونت شامبين ، نهض السير جيوفري وقال للأساقفة وقادة الفرسان : « أيها النبلاء لقد سمعتم الاتفاقات والوصايا التي أصدرها سيدي الكونت ، والتي تركها عندي . وعليه

أقول لكم ، اني أتوسل اليكم وآمـــركم ، (٨١) بـــاسم القســـم الذي أقسمتموه للكونت ولي ، كمســـيحيين تخـــافون الرب ، وتحتـــرمون الصدق أن تفكروا وتحكموا بالحق في هذا الأمر ، وأتـــوسل أيضـــا لروبرت كنبيل وأمير لي أن نقف في جانب الحـــق ونحـــكم بـــالحق ، بالشكل الموائم والموافق . إن سيدي لن يفعل شـــيئا جـــائرا ، (٨٢) وعليه فبالخوف من الرب ، احكموا بيننا » .

وعندما سمع النبيل روبـــرت هـــذا وافـــق على الاقتـــراح بسرعة ورجاهم التفكير في الأمر ، وأن أي مـــا يقـــررون ويعلنون بخشـــية الرب ، فإنه سيقبله حقا ويذعن له . وعندمـــا ســـمع الأســـاقفة وكل الفرسان تلك الكلمات ، أخذوا الوثائق وقرأوها مـــن البـــداية بـــدقة وعناية عظيمة ، ثم حسبوا فترة السنة ووجدوا أن الحد كان متأخرا ١٥ يوما عندما وصل روبـــرت ليقـــدم وثـــائق كونت شـــامبين إلى نائبه (٢٣٧٨ ـ ٢٤١٥) الســـير جيوفـــري ، كي يعـــطيه الأرض (٨٣) وبناء عليه استدعوا الاثنين وقالوا لهما : أيها النبلاء ، لقـــد درسنا هذه الوثائق الخاصة بالكونت ، الذي وضـــع هـــذه المواثيق ، التي فحصناها والتي تحمل أختامه وبموجبها فاننا جميعـــا نرى أنه بالقصد والهدف والمواثيق المستوفية للشروط القانونية ترك الســـير جيوفري كممثل له في الأرض ، وحيث أنه بموجب المواثيق التي ترك له الأرض بها فإن الأمد الأخير قد انقضى ، فليس لك حق لأنه حيثما يوجد مســـيحيون في كل الدنيا فإن المواثيق تقيد القـــانون والدعاوى القضائية » .

واذ ذاك ، وعندما سمع روبـــرت هـــذا ، لم يحـــر بســـبب الأسى والمرارة في قلبه جوابا مـــن أي نوع . ولكن الســـير جيوفـــري نهض واقفا وشكرهم جميعا في تواضع وبدقة كما هـــي العـــادة في بـــلاط الأمراء ، حيث يوجه الشكر للذين يحكمون بالعدل .

وبعد الحكم وصـــدور القـــرار بـــأن الســـلطة على الأرض في كل البلبونيز ، التي تدعى المورة ، يجب أن تبقى للسير جيوفري ، مجد

روبرت كثيراً وقال له : « سيدي وأخي ، حاول أن لا تحزن بسبب ما نجم عن هذا الحكم ، إن العدالة تتطلبه وهذه هي الطريق في الدنيا ، فاذا شئت ورغبت في البقاء معي هنا في أرض المورة ، فإني سأعتبرك أخا لي ومن كل ما نكسبه معا تأخذ ما هو حق لك » . ولكنه بسبب من حزنه لم يقبل .

وعليه بعث السير جيوفري بدعوة عامة ودعا الجميع الصغير والعظيم وأقام كاموتسوكن (٨٤) ، كما يسميها الروم ، وأكلوا ومرحوا وتصارعوا ، ونظموا الرقصات والألعاب التي تفوق الحصر .

والآن استدعى هذا الذي أدعوه روبرت شامبين . السير جيوفري وقال له : « حيث أني رأيت أنه ليس لي السلطة ، أعطني خيولا ومرافقة حتى أبرح » .

ومثل هذا طلب من كل القادة (٢٤١٦ ـ ٢٤٥٢) والأساقفة والرجال الحاذقين الذين كانوا في المجلس والذين أصدروا الحكم والقرار أن يحرروا له وثيقة ويضعوا أختامهم عليها ، يبينون فيها كيف قرروا وأعلنوا الحكم الذي أصدروه ، وتضم صورة عن الميثاق الذي أبرم بين كونت شامبين والسير جيوفري بالغ النبل حتى يأخذها معه إلى فرنسا ويطلع الملك وكل القادة الذين كانوا في حينه في فرنسا وكونت شامبين ، حتى لا يعتبروه غبيا أحمقا في هذا الأمر . وقد نظموها بكل سرور ووضع الجميع أختامهم عليها . (٨٥) .

ثم أعطاهم السير جيوفري كثيرا من الهدايا المتعددة والتقدمات وأعطاه بكل لباقة وتواضع وعودا بأن يكون تحت أمره وبأنه سيبقى رجله دائما (٨٦) وأرشده بعد ذلك ورافقه ، ومضى بنفسه معه حتى أندرافيدا ومن هناك صعد إلى ظهر سفينة وسافر إلى فرنسا .

وبعد أن انطلق روبرت من المورة ، وبقي السير جيوفري أميرا ، أمر بأن يدعى أمير المورة . وبالنسبة للأراضي والأمـور التـي كان عليه تنظيمها ، فقد وضعت على أساس مختلف الآن حيث أنه أصبح الأمير الشرعي ، وكان دائما يبذل جهدا عظيما ويناضل ليزيدها ، وكما أنه طبيعي أن الكل يجب أن يموتوا ، فقد جاءه أيضـا الوقـت ليرحل عن هذه الدنيا ، فدعا قـادته وكل الأسـاقفة وحـرر وصـية جبارة ، ولكونه رجلا حكيما حدد ممتلكاتـه كلهـا وسـجلها كتـابة ووضع اختامه عليها.

وكان له الآن ولدان ، وكان الأول يسمى السير جيوفري كما كان هو نفسه يدعى ، وهو اسم والده وسمى الثاني غوليوم ، وكان لقب السير غوليوم دي كالاماتا ، وتركه وهو أمير لقلعة كالاماتا مع بقية أراضي القلعة ، لأن هذه كانت ممتلكاته الخاصة من أرض الاستيلاء الموروثة . (٨٧) (٢٤٥٣ _ ٢٤٧١)

ووجه مع مناشدة حلوة توسلا للقادة والأساقفة وجميع الفرسان أن يقبلوا السير جيوفري كأمير بالوراثة وأن يذكروا دائما مبادئه في الحكم ، والجهد الذي بذله لكسب المورة ، والعطف والمحبة لجنسـه من بني الانسان الذي كان يشعر به تجاه الجميع ، وحالما سوى هذه الأمور وكثيرا غيرها ، توفي كمسيحي ، ليمنحه الرب العفو (٨٨)

وحالما توفي كما أخبرتكم حـدث حـزن عظيم عليه في كل المورة ، لأنهم كانوا يعتبرونه عظيم الجـدارة وأجلوه بعمـق لحـكمه الخير وحكمته ، وبعد تنظيم جنازته وسكون الحزن عليه نوعا ما ، تشاور الجميع الصغار والكبار وتوجوا كأمير لهم السير جيوفري الأصغر ، وحالما تسلم سلطان الحكم بدأ يتقدم كجندي حكيم ، وكان مخلصـا وخيرا تجـاه الجميع وناضـل بقـوة لزيادة مجـده ، (٢٤٧٢ _ ٢٥٠٦) .

وبناء عليه بعد ذلك بوقت قصير ، حدث وانتبهوا لما سأذكره لكم ،

أن روبرت امبراطور مدينة قسطنطين ، والذي كان في حينه أمير وامبراطور رومانيا قام وعينيه على زواج تحالف ، بابرام معاهدات واتفاقات مع ملك أرغون ، وملك كاتالونيا حيث أنه تزوج ابنة الامبراطور. ونقلها في اثنتين من الشواني بتشريف عظيم (٨٩) مع حاشية من الفرسان والنبيلات الذين صحبوها . ومضوا إلى قلعة بونديكوس في المورة (٩٠) ، قرب اندرافيدا وتوقفوا هناك ، وكما شاء القدر ، تصادف ان كان امير المورة في الجوار في المدينة المسماة فليزيري ، وبسرعة جاءت التقارير اليه في القلعة من بونديكوس ٠

كما تدعى لان هذا مايزال اسمها ، ان اثنتين من الشواني كبيرتين رستا في ميناء بنديكوس ، كما قلت ، وهما اللتان كانتا تحملان ابنة الامبراطور روبرت وكانت في طريقهما الى ملك كاتالونيا ، وبسماع هذا ، ذهب السيرجيوفري الى هناك بكل السرعة ، ونزل عن حصانه ، وصعد الى ظهر السفينة وحيا ابنة الامبراطور ، ودعاها وحثها على النزول الى الشاطىء والدخول الى قصره للترويح عن نفسها بأن تستريح هناك يومين ثم تتابع بعد ذلك طريقها ، ونزلت السيدة النبيلة بسرور الى الشاطىء مع حاشيتها ودخلت القصر ، ومر ذلك اليوم وبزغ فجر اليوم التالي وتكلم بعض اتباعه ومستشاريه مع السيرجيوفري ونصحوه قائلين : أيها الأمير انك هنا في رومانيا وتملك أرض المورة التي انت اميرها واذا لم تنجب ابنا يرثها فما نفع هذه الأشياء لك ولماذا تهتم بها ؟ وليست هناك في أي مكان امرأة جديرة بك ، وحيث أن الرب هكذا رسم وأرسلها اليك (٢٥٠٧ ـ ٢٥٤٠) تلك التي تصادف انها ابنة الامبراطور، خذها واتخذها زوجة لك واجعلها سيدة لنا واذا تصادف ان الامبراطور أميرها غضب نوعا ما وحزن فانه سيقبل بذلك » ٠

وهكذا الحوا عليه وضغطوا حتى أنه استدعى أحكم اتباعه وسألهم جميعا أن يقدموا له المشورة ، واعلنوا جميعا مشورتهم له ، ان هذا مبعث سرور لنا فافعله بحرية .

وتحادث أسقف أولينا(٩١) مع ابنة الامبراطور واقترح عليها ان تتخذ من السيرجيوفري رجلا لها وزوجا ، وابدى لهـا اسـبابا حـكيمة مرضية وكيف أن هذه العلاقة بـالزواج (٩٢) سـتتحول لتـكون أكثر نفعـا لاميرهـم منهـا الملك الذي كانوا يأخـذونها له في كتالونيا ، لماذا أخبركم بهذه التفاصيل الكثيرة فتملوا ، لقـد قـالوا لها أشياء كثيرة والحوا عليها كثيرا حتى وافقت وتم الزواج ، وبعد زواجهما والاحتفال بعرسهما عادت سفينة الامبـراطور الى المدينة واخبره الفرسان الذين كانوا على ظهرها وفصلا بما جرى ، وتـألم الامبراطور جدا عندما سمع به ، ولو كانت لديه القدرة ولو كان هذا ممكنا بالمرة ، لبين للسيرجيوفري بوضوح انه قـد ارتـكب عمـلا قبيحا ، وشرا عظيما بالزواج من ابنته بدون موافقته لأن هـذا قلب خططه لاقامة روابط الزواج واتفاقاته مع ملك ارغون حتـى يكون له بدوره قوات وجيوش ومساعدات منه في حربه مع الروم ، وقد أعاقه الآن ووجد نفسه مخدوعا (٢٥٤٩ ـ ٢٥٨٩) .

والآن لم يقف السيرجيوفري أمير المورة الحاذق اللين ذو الخبرة في مكانه مضيعا الوقت ، لقد كتب بسرعة رسائل وبعث بالرسل الى الامبراطور الذي كان في المدينة يطلب منه ويتوسل اليه أن يصفح عنه لما فعله وأنه أصبح ابنا له ، وأنه لم يفعل هذا بنية الشر ولا عن قبح بل ميلا المقاصد السليمة لرجل يجـد نفسـه في رومـانيا بعيدا عن أقاربه وأملاكه الموروثة ولم يجد بأي وسيلة امرأة يتزوجها ، تناسبه وتستحق المنزلة التي لديه ، وأنه يجب أن يأخذ بالاعتبار ويدرك أنه كان هو أيضا في رومانيا وخاض حروبا كثيرة مع الروم ، كما فعـل الامبراطور ، ولم يكن له سيد أعظم يقوده ، وبسيفه كسب الأرض التي يملكهـا وعليه اذا كان الامبـراطور يرغب فإنه سـيفعل هـذا كاصلاح لما فعله بأخذ ابنته زوجة شرعية وسيلزم نفسه كتابع موال له وسـيستمد منه الأرض والسـلطة على المورة ، واذا احتـاج الى جيوشه والى شخصه ايضا عندما يأمر ويجد حاجة فـانه سـيكون تحت امرته ، ويقف الى جانبه ، وانهما سـيقومان بـالحرب معـا ويغزوان الروم بجيوشهما .

وبسماع هذا لم يكن الامبراطور روبرت ليجيب بأي حال قبل أن يتشاور مع اتباعه ، فاستدعى القادة الرئيسيين في مجلسه ، وأخبرهم بالتفصيل بالقصة واطلعهم على الرسائل ، وعلى كل ما أعلمه به السيرجيوفري المورانى ، وتناقش القادة والامبراطور زمنا طويلا وتدبروا في الأمر ، وبناء عليه تكلم أحكمهم وأشار بأنه طالما أن امبراطور المورة قد وعد وجاهر بأنه سيصبح الرجل التابع لامبراطور المدينة وأن يتصرف في ارضه حسب تبعيته للامبراطور وأنه والامبراطور سيضمان القوات ليحاربا معا كل خصومهما حيثما يجدانهما ، وان هذا كان كافيا ليكون هناك سلام وصداقة بين الأميرين في رومانيا ، لأن هذه العلاقة بالزواج كانت أكثر فائدة من تلك العلاقة التي مع ملك ارغون الذي كان بعيدا جدا ، ومادام قد الزم نفسه بخدمة الامبراطور وبأن يحصل منه على الأرض التي ربحها ، وبناء عليها اعطى الجواب السيرجيوفري بأنهما يجب أن يلتقيا في والاشيا ليعقدا مجلسا وأن يسويا هناك (٢٥٩٠ - ٢٦.٦) بشكل نهائي كل أمورهما التي يجب تسويتها .

وبناء عليه ذهب الامبراطور الى قلعة لاريسوس وسافر السيرجيوفري أمير المورة الى هناك عن طريق طيبة وأخذ معه الرجل الذي كان في حينه يحكم أثينا ، والذي كان يدعى الأمير العظيم والذي منه في الحقيقة حصل على الأرض والسلطة التي كانت له في رومانيا وكل قادة الفرسان الذين كانوا في المورة ، وسافر الجميع معه الى والاشيا وانضموا الى الامبراطور في لاريسوس (٩٣) وأقاما احتفالات عظيمة بعد لقائهما وخلالها تناقشا معا وتجادلا وحلا تلك النقاط التي أدرجها الآن لكم : أولا - أعطاه الامبراطور كهدية ودوطة كل الدوديكانيز ليتملكها عطية منه ، ثانيا - شرفة بتسميته أميرا ، ثالثا - جعله دمستق كبير لكل رومانيا (٢٦٠٧ - ٢٦٣٥) ورابعا - كان له في الاراضي التي تملكها حق ضرب العملة التورنو والديناريا (٩٤) واصبح

فيما بعد الرجل التابع للامبراطور ومنه يحصل على الأرض التي يحكمها .

وفيما بعد أعطاه كتابة القوانين والأعراف التي كان الامبراطور يحتفظ بها في ذلك الوقت في كل الامبراطورية مع ان أخاه الامبراطور بلدوين قد حصل عليها من القدس (٩٥) وعندما سويت هذه الامور التي اخبرتكم عنها استأذن كل منهما الآخر للسفر ، وسار الامبراطور رأسا الى المدينة ، وعاد السيرجيوفري الى المورة بالشكر والبهجة ، لانه حقق السلام الذي أراده ورغب فيه وكان متلهفا للحصول عليه ، وبعد أن عاد الأمير جيوفري الى المورة وعرفت زوجته الجليلة أميرة أخيا وابنة الامبراطور أن الأمير قد توصل الى تفاهم مع الامبراطور ، حمدت الرب وكانت سعيدة .

ثم دعا الامير السيرجيوفري قادته للمشورة حول مايجب عمله ومالذي يجب تدفينة حول القلاع التي كان الروم مايزالون يحتفظون بها في الامارة : كورنث ، ومونمفاسيا ، وأرغوس ، وذوبليون (٩٦) وبناء عليه أجابه قادة الجلسة : اذك تعرف ياأميرنا ، أن الكنائس تملك مايقرب من ثلث المورة ، في كل الامارة يجلسون مرتاحين ولايلقون بالا الى الحرب التي نشنها على الروم . وبناء عليه (٢٦٣٦ ـ ٢٦٦٦) ياأميرنا ، اننا نعلن ونعطيك هذه النصيحة ، أن ترجوهم أن يحضروا أسلحتهم لمعاونتنا حتى نأخذ القلاع التي تقف في وجوهنا ، وإن لم يفعلوا أمسك عنهم اقطاعاتهم .

وعندما سمع الامير هذا أقره تماما ، وأمر باستدعائهم ، وحضر اليه الجميع فطلب منهم المساعدة وأن يساعده الجميع بالقوات والجيوش والاسلحة ، حتى يحمي الارض ويهاجم قلعة مونمفاسيا واجابوه بأنهم مدينون له بالشرف والولاء فقط ، كأمير وأعلنوا أن كل مالديهم ومايملكونه قد حصلوا عليه من البابا ، فغضب الامير وأمر بأن تحجب عنهم الاراضي والاقطاعات

التي كانت بملكهم ، وانه لن يأخذ شيئا بالمرة من دخل الاقطاعات والكنائس ولكنه أمر بالشروع في انشاء قلعة كلوموتسي ، وحرم الاساقفة بدورهم الامير الى الأبد (٩٧)

والآن حجب الامير أراضي كل الكنائس في كل الامارة ، حتى أنهى بناء قلعة كلوموتسي وحرموا بدورهم الامير وكل بارونات الامارة ، وعندما انتهت كما اراد ورغب ، أرسل ميذوريتس وفارسين الى البابا بالغ القدسية في روما معلنا ومجاهرا بأنه كان في حرب وكان يقاتل الروم في رومانيا ، ولهذا السبب طلب من الاساقفة الذين كانوا مطارنة وأساقفة ومن الداوية والاسبتارية أن يساعدوه بأي طريقة في الحرب التي كان يشنها ، وانهم لم يساعدوه بالمرة ، وقد حجب عنهم (٢٦٦٧ ـ ٢٧٠٤) الاراضي والاقطاعات التي كانوا يملكونها في الامارة وأنه لم يكن يريد أن يأخذ شيئا من الضرائب مهما قل وأن (سخرة) كل الكنائس ، لم تؤد الا الى بناء قلعة قوية سوف تحمي الساحل وميناء المورة . (٩٨) واذا حدث بالصدفة وفقد الفرنجة المورة فانهم سيستعيدونها بهذه القلعة » ولهذا السبب يرجوكم كبابا بالغ القدسية ، ان ينال حبكم وان تعفوا عنه ، لأنه اذا أخذ الروم أرض المورة ، فإنهم لن يسمحوا بأي حال ببقاء كنائس الفرنجة » .

وحالما علم البابا المقدس بذلك ، أرسل على الفور بالعفو الى الأمير جيوفري ، وعندما رأى الأمير عفو البابا ، كان سعيدا جدا ومجد الرب ، ثم بعث برسالة الى المطران الذي كانوا يدعونه مطران باتراس القديمة ليأتي وكذلك للأساقفة الذين كانوا في مقره وقادة فرسان الداوية والاسبتارية وأطلعهم على المرسوم البابوي ، عفو البابا ، ثم أمر بإعادة الأراضي التي امسكها بناء على ذلك وتوسل اليهم بحكمة وبمسالمة : « أيها الآباء فيما فعلته عندما أخذت اقطاعاتكم لم أخطيء معكم ، لابالمسيح لقد كنتم أنتم المخطئين لأنه كان يجب أن تعرفوا ، بل أنكم قد سمعتم بأن الروم اذا استولوا ـ لاسمح الرب ـ على الأراضي التي لنا هنا في رومانيا فانهم لن

يسمحوا لكم ، لأنكم من الكنيسة ، بأن تحتفظوا باقطاعاتكم هنا ولا أن يكون هناك أوقاف كنسية بل إنهم سيقتلونكم ويحـرمونكم مـن الامتيازات كمـا يفعلون بنا ، وبـالعامة مـن الجنود ، اني لاأطلب منكم ولاهو مطلوب منكم أن تقوموا بواجب الحمـاية مثـل مـالكي الاقطاعات ولكن في الامور الاخرى ، كحـراسة الارض أو تحـرير قلعة يحاصرها الأعداء ، ان عليكم أن تسـاعدونا ، واذا ذهبنا في غارة للسلب (٢٧٠٥ ـ ٢٧٤٩) وفي أمور أخرى من أجل الدفـاع عن الارض ، يجب أن نقف معا لحمـاية أرضـنا ، لأنكم بـدوننا لاشيء ، واذا كنت قد حجبت أراضي الكنائس فـاني لم آخـذ ربحـا خاصا منها ، وقد بنيت كما ستلاحظون قلعة لتحـرير الأرض مـن أجلنا ومن أجلكم ، لقد بنيتها لكي تـكون مفتـاح الارض ، فـاذا تصادف أن فقدنا أرض المورة فـاننا سـنستعيدها بـواسطة قلعـة كلوموتسي . وعليه اتوسل اليكم كآباء للكنيسة أن أنال عفوكم كمـا حصلت عليه مـن البـابا ، ومـن الآن فصـاعدا ليكن بيننا انسجام ، وتعاونوا معي في السلاح كما هو مناسب ومـلائم ،وأنا بالمقابل سأساعدكم بـأي طـريقة ضرورية ، وبناء عليه عفـوا عنه وأقاموا السلام ووعدوا بأنهم من الآن فصـاعدا سـيكونون تحـت أمره .

والآن بعد ان حدث ماأخبرتكم به ، لم يكن للأمير جيوفري الحظ الطيب أن ينجب ابنا يتركه كوريث ، وكما هي طبيعة العرق البشري ان كل من يولد يجب أن يموت بطريقة ما ، سـقط الامير في هـذيان الموت ، وعندما رأى وفهم أنه سـيموت دعا أخـاه غوليوم وقـال له مايلي وهو يتوسل اليه في حب : أخي الاحب والاحلى ، لقد أكملت سنوات حياتي وستبقى بعدي كأمير بالوراثة على كل مافتحه أبـونا وسيدنا بصعوبة وجهد شديد كمـا يعـرف الناس جميعـا ، حسـنا ياأخي المحبوب ، لقد كان في ذهني أن أقيم كنيسة وأشيد ديرا حتى أضع فيه البقايا المقدسة لسيدنا وأبينا ، وبسبب خطاياي لم أنجـز هذا ، وعليه اطلب منك ، وأكلفك طالما أني لم أكن قادرا على انجازه أن تفعل ذلك ، ولتحل عليك مباركتي ياأخي الاصغر وبـركات أبينا

وربنا الموثوق جدا ، ولتحفظ بقاياه في الضريح ، ثـم دعني بـدوري أرقد إلى جانبها ، واعمل ياأخي الطيب على أن يكون للدير كاهـن وجوقة ترتيل ، وان تؤمن معيشتهم حتى يخلدوا ذكرانا دهـرا بعـد دهر (٩٩) وبعد هذا ياأخي أنصح واقول أن تتخذ لنفسك زوجـة حتى (٢٧٥٠ ـ ٢٧٨٨) تنجب لك أطفـالا يكونون ورثـة حتـى يرثوا أرض أبينا » والآن بعدما رتب السيرجيوفري كل الامور كمـا كان عليه كرجل حكيم أن يفعل أسلم الروح وحملتها الملائكة بعيدا ، فقولوا أنتم يامن تسمعوني لتبقى روحه في سلام (١)

وبناء عليه توج الاساقفة وقـادة الفـرسان أخـاه غوليوم كأمير ، وقد تحول فيما بعد الى رجل بـارع حـكيم ومجـد بين كل الرجال الذين ولدوا على أرض رومانيا ، واحب رفـاقه مـن البشر واحبه الجميع ، وبعد أن تسلم السلطة على الارض وجـد أن الروم كانوا مايزالون يسيطرون على قلعـة مـونمفاسيا ، وقلعـة كورنث وأيضا قلعة نوبليون التي بقرب أرغوس ، وكان لهذه القلاع أفضـل الموانىء التي كانت تصل اليها سفن ملوك الروم وهـي تحمـل المؤن والرجال المسلحين (٢) واذ رأى ذلك اضطرب الأمير وقـال انه طالما لم يسـتول على هـذه القـلاع لن يحـق له أن يدعي أمير المورة ، وعليه توصل بنفسه الى نتيجة تشاور حولها مع آخـرين ، فكان أن وافقوا معه أنه اذا لم يكن لديه سفن للاسيطرة على البحـر حتى لاتصل المؤن الى القلاع المذكورة اعلاه فـانه لن يكسـبها ولن يسيطر عليها ، وأرسل رسلا إلى دوج البندقية وعرض ان يصل الى تفاهم مع الجمهـورية وفـق الشروط التـالية : أن تـدعمه تلك الجمهورية حتى يستولي على القلاع في مونفاسيا ونوبليون ، بأربع من الشواني مع تجهيزاتها الكاملة ، على ان يعطي الجمهورية قلعة كورون مع قراها والأرض التي حولها ، ومثل هذه تكون ميثون ملكا موروثا للبندقية ، وايضا من الآن فصاعدا والى أن يتـم الاسـتيلاء على القلاع تقدم البندقية دائما من اجل حمـاية الارض اثنتين مـن الشواني فقط مـع طقميهـا الكاملين (٢٧٨٩ ـ ٢٨.٦) على أن يدفع الأمير نفقاتها التي كانت تدعى باناتيكا بـاستثناء الاجـور ،

٠(٣) وبطريقة مماثلة ، بينما كان الامير يرتب ذلك ، رتب أيضا للقيام بحصار كورنث ، وفي هذا امر بأن يكتب الى امير أثينا ، وكانوا يسمونه الامير العظيم - ليأتي للمعاونة على حصار - كورنث ٠

ثم ارسل بعد ذلك رسالة الى دوق ناكسوس والى أمراء يوريبوس الثلاث ، ولكل مَن على الجزيرة ليأتي مع قوة وسلاح وجيش ، وبعد أن انضموا الى جيشه رتب الاميرالحصار (٤)

وحيث أن تل قلعة كورنث كان عريضا وعاليا وهائلا ولكون القلعة كانت تقوم على قمته ، وأنه كان يوجد الى الجنوب من القلعة تل صغير معين ، وهو جرف صخري منحدر ، أمر الامير ببناء قلعة على قمته دعيت مونت اسكوفية (٥) ولازالت تحمل هذا الاسم ، وعلى الجانب الآخر وهو الجانب الجنوبي بنى الأمير العظيم قلعة له ، ووضعوا في هذه القلعة المؤن والدروع الحاملة العرادات وحاصروا أهل كورنث بأحكام حتى أن الواحد منهم لم يكن يستطيع أن يغادرها ليجلب قطعة خشب ، ولايمكن للمؤن أن تدخل اليهم من أي مكان ، وفقط مياه الينابيع والآبار التي على قمة التل وبداخل القلعة هي التي كانت وافرة ، فمن الذي يستطيع أخذها منهم ؟ حسنا ماذا اردت أن أكتب اليكم بالتفصيل كل ماحدث في حصار كورنث فان الملل سيحل بمن يسمع ، ولكن عندما رأى الذين كانوا بالداخل انه لايمكنهم الحصول على المساعدة من أي ناحية بسبب شدة الحصار ، أذعنوا وتخلوا عن الحصن ولكن تحت القسم والمعاهدات بأنهم سيحتفظون بأقطاعاتهم حتى مثل بقية الروم في كل الامارة .

والآن بعد أن ربح الأمير غوليوم القلعة الملكية لكورنث ، أمر بأن يوضع عدد كبير من الرجال والسلاح فيها على النحو المناسب والملائم .

ثم دعا قبل كل شيء الأمير العظيم ثم جميع القادة وقال لهم

بحكمة بالغة : « أيها الرفاق والأصدقاء والاخوة يجب أن نشكر أولا مجد الرب ثم الثيوتوكوس للتأييد الذي منحوه لنا ، وقد كسبنا أجمل مكان في المورة ، والآن لاينقصنا الا القليل : قلعتا نوبليون ، ومونمفاسيا ، وأقول إنه لو أنكم كنتم متماثلون في التفكير بما أننا نجد أنفسنا معا ، دعونا نتنافس ونتشاور معا في الكيفية والحملة التي سنتقاتل بها لنكسبهما ايضا » .

وعليه أعلن أكثرهم حكمة وأكد انه طالما أن كلتا القلعتين تقعان على أرض ساحلية ولهما موانىء ، يجب أن نحاصرهما كليهما من البر والبحر »

(٢٨٤٤ ـ ٢٨٨٣) وبينما كانوا مايزالون مجتمعين في المجلس وردت الرسائل الى الامير غوليوم من قبل المبعوثين الذين جاؤا من البندقية وأحضروا معهم المعاهدات وقد أبرمت تماما كما سعى لها الأمير وكما رغب وأراد : لقد جاءت السفن الاربعة إلى كورون °

وعندما سمع الأمير هذا غلبه السرور ووافق عليه كل القادة ودعا الامير ومجلسه ورحبوا بالبنادقة الذين جلبوا المعاهدات ، وارسل فارسا الى كورون ، وسلم القلعة التي للبنادقة ان يملكوها مع كل التوابع الموجودة في ميثون ، ولدوج البندقية ان يملك ويحكم القرى التي كانت هناك والتي كانت ملكا للبلاط في ذلك الوقت ، باستثناء الاراضي والاقطاعات التي يملكها المقطعون (٦) وبعد ان تسلم البنادقة في ذلك الوقت القلعة ، والاراضي المحيطة بها وقرى كورون ذهبت السفن راسا الى نوبليون واقامت الحصار حول القلعة من البحر في حين احاط بها الامير مع كل جيوشه من البر ، وانقضى الصيف وجاء الشتاء فأمضوه هناك في البر والبحر ، وعندما حل الموسم الثاني وجاء الصيف ولدى رؤية الذين كانوا من قلعة نوبليون انه ليس امامهم اي نوع من المساعدة ابرموا معاهدة وسلموا القلعة ، وكانت نوبليون قلعة تقوم فوق جرفين وعليه فقد تفاوضوا

على أن تسلم الاولى ، والثانية الاضعف يتحفظ بها الروم وابرموا المعاهدات المؤكدة بالاقسم والعهود ٠

وبعد أن تسلم الأمير ذوبليون قدمها على الفور للامير العظيم ليملكها مع ارغون كاقطاعيات موروثة (٧) ، وهدية ذوبليون وارغوس اللتان قدمها الامير في ذلك الوقت للامير ألعظيم كانت في مقابل المساعدة التي قدمها الامير العظيم كما اخبرتكم للاستيلاء على كورنث ، وايضا لأن الأمير كان يتوقع منه ان يساعده في الاستيلاء على مونمفاسيا ايضا (٢٨٨٤ ـ ٢٩٢٤)

وبعد أن أخذوا حصن ذوبليون بدأ الأمير رحلة مع الأمير العظيم ثم انفصلا فمضى الامير العظيم راسا الى مدينته التي تدعى طيبة وذهب الامير الى ارض المورة ، وعندما مضى فصل الشتاء بعث الامير غوليوم بالرسل وكتب أولا ودعا الامير الكبير وامراء بوربيوس الثلاث ودوق ناكسون وايضا كل الامراء الاخرين للجزر ، وكونت سيفالونيا (٨) وكل القادة في امارة المورة صغيرهم وكبيرهم ، أن يأتوا مع اسلحتهم ومؤونة كبيرة ، لقد كان يريد الذهاب الى قلعة مونمفاسيا وبما انها كانت منيعة ، رغب في محاصرتها برا وبحرا وفي ان يقيم حصارا وقوة محاصرة حتى يأخذها .

وعندما بدأ الموسم في شهر اذار جاءت الجيوش من كل مكان ، الى مروج نيكلي وهناك في الحقول تم حشد الجيش ، ومن هناك ذهبوا راسا الى مونمفاسيا ، وذهبت الشواني الاربعة ورست خارج الشاطىء وسيطرت على البحر ، ورتب الامير حصاره ، وكانت مونمفاسيا في حينه مطوقة بالطريقة نفسها كالعندليب في القفص ، ولما عرف الذين كانوا في مونمفاسيا بمجيء الامير لمحاصرتهم ، جمعوا مؤنهم بوسائلهم ولم يكن رأيهم ان الجيوش الفرنجية ، ولديها توقعات محدودة للنجاح ، ستتمكث طويلا في الحصار الذي فرضته عليهم ، واذ رأى الامير مثل هذا التبجح

اقسم على سيفه في غضب وثورة ان لايبرح حتى يأخذ القلعة ، وامر بالمنجنيقيات وقد نصب نحو ثلاثة منها فاخذت تقذف بلا انقطاع ليلا ونهارا ،فدمروا البيوت وقتلوا الناس ، لماذا اخبركم بهذه التفاصيل ومن اين لي بالوقت لاكتب كل ما فعله الامير في مونمفاسيا (٢٩٢٥ ـ ٢٩٤٨) وكيف تصرف المونمفاسيون ؟ (٩) ولكن من اجل مزيد من الايجاز ولاختصار الامر عليكم ، تصرف الامير حسب قسمه انهم لن ينالوا مونمفاسيا حتى تؤخذ القلعة والتل ايضا (١٠) ، ولهذه الغاية مكثوا هناك ثلاث سنوات اخرى ، ولم يكن لدى اهل مونمفاسيا مايأكلونه فأكلوا القطط والفئران ولم يعد لديهم شيء اخر ليأكلوه سوى جثثهم ، وعندما رأوا بلواهم وان الموت يقف في مواجهتهم تشاوروا معا في الاستسلام .

وطلبوا عقد معاهدة مع الامير غوليوم على ان يبقوا جميعا هناك مع املاكهم الموروثة ومع بضائعهم كالفرنجة في مزاياهم ولايبيدون باي (سخرة) سوى استخدام مراكبهم وان يكون لهم رواتبهم وهباتهم (١١) ٠

ودون الامير وختم المعاهدات والوعود التي طلبوها منه وحالما تسلموا نسخهم والقسم اخذ ثلاثة من نبلائهم مفاتيح قلعة مونمفاسيا واحضروها للامير وكان احدهم يدعى مامونا س ٠ والثاني نيموذوجيانس والثالث سوفيانوس (١٢) ٠

وهذه كانت انبل الاسر (٢٩٤٩ ـ ٢٩٨٩) التي كانت في مونمفاسيا والتي ماتزال هناك ، وقد قدمت الولاء للامير ، واستقبلهم جيدا كرجل حكيم مميز في انه لكل الناس ، ورحب بهم ترحيبا حلوا وخلع عليهم العطاءات وهبات من الخيول والدواب واثوابا مذهبة كلها قرمزية ايضا ، واقطعهم علاوة على ذلك في ناحية فاتيكا . (١٣) وبعد ان تسلم الامير غوليوم قلعة مونمفاسيا الشهيرة وضع فيها مؤنا وفيرة ، ورجالا مسلحين ، واسلحة ومقننات غذائية كانت في حاجة اليها .

وعندما سمعت نواحي الاحواز من اراضي فاتيكا وتزاكونيا التي كانت في ثورة بانها قد استسلمت للامير غوليوم بدأوا يهرعون لاداء الولاء له ، وحياهم الامير الحكيم جميعا واستقبلهم استقبالا حلوا حسب المرتبة التي يحملها كل منهم .

وحالما نظم الامير غوليوم القلعة ، قلعة مونمفاسيا والنواحي التي محيطة بها امر بصرف كل جيوشه وكذلك السفن التابعة للبندقية وعاد الى ليكيمونيا ، ودعا قواده للمشورة واجابوا ونصحوه بانه نظرا لما بذلوه من جهود عظيمة في البر والبحر خلال السنوات الثلاثة التي مكثوها في مونمفاسيا ، يجب ان يحصلوا على اجازة الكبير منهم والصغير ليذهبوا الى بلادهم في عطلة ، وان الامير مع اهل بيته عليهم ان يبقوا في ليكيمونيا حيث يمضوا الشتاء ، وعليه رحل الجميع صغارا وكبارا وبقي الامير كما اخبرتكم ، ثم ذهب مع حاشيته يركب ويتنزه بين القرى في جوار مونمفاسيا والى هيلوس (١٤) والى باسافا والى الاراضي التي في هذا الاتجاه ومضى يتجول في سرور وامضى وقته (١٥) .

وعندما كان يتجول في كل هذه الاماكن وجد تلة رائعة مقتطعة من سلسلة الجبال كقمة ، على بعد ميل أمر اكثر فوق ليكيمونيا ، ولانه كان متلهفا لبناء حصن ، أمر بناء قلعة فوق التل واسموها ميسترا (٢٩٩٠ - ٣٠٠٧) حسب اسم المكان ، وجعلوا منها قلعة فاخرة (١٦) لان اهل المكان اخبروه ان زيفوس الميلنفز كان درنفوسا عظيما وقد حصن الممرات والمدن بقوة وكان شعبه متغطرسا لايحترم امير ، وفكر كثيرا كيف يمكنه ان يسيطر عليهم ، ولهذه الغاية قال له مستشاره:اما وقد قامت الان قلعة ميسترا فوق زيفوس العائد للدرونفوس ميلنفز يتوجب عليه ان يقيم اخرى في مكان ما حول هذه الجبال حتى يسيطروا على المنطقة ، وعليه قام الامير بنفسه بجولة على الحصان وهو يتبع اتجاهات اهل الارض ، وتجاوز باسافا وسافر الى مين وهناك وجد جرفا رهيبا فوق نتوء

جبلي . ولانه وجده مناسبا جدا بنى هناك قلعة واسماها مين كما لاتزال تسمى (١٧) •

وحالما راى نبلاء وقادة الدرنفوس ان الفرنجة بذوا هاتين القلعتين ، تشاوروا فيما بينهم حول ما سيفعلون ، وعليه قال القادة والذين كانوا ايضا يملكون الثروة انهم يجب ان يقفوا بثبات بدلا من ان يذعنوا للتبعية ، ومع ذلك فان حشود القوات وكل العامة قالوا واعطوا المشورة بانهم يجب ان يقدموا الولاء ، ولكن يجب ان يكون لهم تشريف فلا يؤدوا السخرة كما فعلت القرى التي في السهول ، ولانه ما ان ظهرت القلعتان إلى الوجود لم نحصل على اجازة فقد حجبتانا عن أن ننزل إلى السهول لنقل البضائع و المعيشة و ليس لدينا القدرة على العيش في الجبال •

والآن و قد رأى النبلاء وقادة الدرنفوس أن العامة يرغبون في تأدية الطاعة ، لم يروا بدا من أن يسيروا معهم ، و أرسلوا الرسل إلى الأمير غوليوم يطلبون عقد معاهدة ينالون بها الاعفاء ،أي أنهم في كل حياتهم لا يؤدون السخرة و لا يدفعون المكوس ، و أنهم سيقدمون الولاء والخدمة تحت السلاح كما فعلوا مع الملك (١٨) ، واكد غوليوم ، الاتفاقات ووضعها كتابة ، ووشحها بالاختام.

و بعد أن أدى الدرنفوس الولاء ، قال بعضهم للأمير غوليوم إنه اذا رغب في أن يكون كل الزيفوس تحت ارادته ، عليه أن يبني قلعة على الساحل قرب غيسترنا ، وصدق الأمير الذي قال له ذلك وأمر ببنائها وسميت ليفترو(١٩) وبعد ان بذو القلاع التي سميتها لكم ، ليفترو (٣٠٣ ـ ٣٠٦٣) وميسترا ومين القديمة (٢٠) أخضع أراضي السلاف وجعلهم رهن مشيئته ، وسار خلال الامارة واستمتع بها جميعا كما لو كان قد غزاها ، وأصبح سيدا لها جميعا (٢١)

ومن هذه النقطة وما بعدها ، سأتوقف عن الكلام عن الأمير غوليوم

اخيا ، وسأخبركم عن الملك كيرتيودروس ملك الروم الذي كان في الاناضول خلال تلك السنوات ، لانه كان في المدينة امبراطور فرنجي يدعى بلدوين ، ولقد سمعتم أعلاه في الكتاب حول الوقت الذي كان فيه كيرتيودروس لاسكارس ملكا على الروم (٢٢) وكيف جاءه الموت ، فترك ابنه ، الذي كان طفلا قاصرا ليربى من قبل الرجل الذي يدعى كير ميكائيل ، الباليولوغوس الكبير الذي كان اول نبلاء رومانيا الذي اقترف اثما ، حيث خنق سيده الصغير وقتله ، واغتصب امبراطورية رومانيا كلها. وعندما سمع انجلوس كالوانس كوتروانس امبراطور هيلاس كيف تصرف بالولوغيوس وما فعله وقتله الملك (٣٠٦٤ ـ ٣٠٧٧) واستيلائه على الامبراطورية ، غضب وثار وحزن جدا لذلك ، واقسم قسما مغلظا أن لا يعترف بباليولوغوس ملكا ولا أن يعتبره سيدا له ، طالما أنه استولى على الامبراطورية الرومية بمؤامرة وتمرد ، ولن يعتبره أميرا ولا صديقا ولا حتى قريب له في الواقع (٢٣) ، وعندما سمع الملك بالولوغوس هذه الاشياء ، ثار سخطه جدا وغضب واهتاج وقال انه لو وجد طريقا للعبور إلى الغرب ، فإنه بأمد قصير سينكبه بدرجة كبيرة ، ولكن لأنه تصادف أن كان بلدوين امبراطور المدينة في ذلك الوقت ، ويملك السلطة ، لم تكن لديه القدرة (٣٠٧٨ ـ ٣١١٠) على العبور إلى الغرب ، ولكن بعد أن غزا مدينة قسطنطين وعبر إلى غلاطة وملك الامبراطورية ، بدأ العمل ، وشن الحرب من البر والبحر واندفع في هجوم رهيب ضد امبراطور آرتا ، ولأنه كان حكيما وأعد نفسه جيدا ، اشترك الفرنجة كمرتزقة ، والأمير غوليوم وأمير أثينا واليوربيوتين أيضا ، فساعدوه وانطلق إلى المعركة (٢٤) .

وتوفي كيريوانس الامبراطور وترك كوريث له كير نقفور ، ابنه وورثة كل امبراطوريته (٢٥) ، وكان له ابن آخر أيضا ولكنه غير شرعي ، ترك له قسما كبيرا من والاشيا ، ومدنا وقلاعا قديمة ليحكمها ، وكانوا يدعونه كير ثيودروس وكان لقبه دوكاس ، وأصبح دوكاس رجلا شجاعا في حمل السلاح وكان جنديا رائعا ، وحكيما وماهرا وعندما رأى كالوانوس أن أباه قد توفي وأن أخاه قد بقي

وهو نقفور الذي لم يكن بحكمة أخيه ، رغب وأراد أن يستولي على والاشيا وأن يستولي في الواقع على نصف الامبراطورية ، وبنى قلعة قوية سميت باتراس الجديدة وبدأ صراعا ضاريا مع أخيه كير نقفور الامبراطور ، ولأن الفرنجة كانوا يساعدون الامبراطور وذهب كير تيودوس إلى الملك إلى كير ميكائيل الباليولوغوس العظيم ، فوعد بأن يفعل له أشياء كثيرة ووعد أن يسلمه أخاه ، الامبراطور مقيدا كخائن ليقدم له الولاء ، وجعل منه حاكما لكل رومانيا[٢٦] وأعطاه جيوشه لتكون تحت قيادته ليحارب ولكي يحضر أمام العدالة أخاه ، وشرفه كثيرا وأعطاه هبات[٢٧] (٣١١١ ـ ٣١٣٧).

وعندما سمع الامبراطور في ذلك الوقت الأخبار بأن أخاه كير تيودروس قد هب في ثورة ضده وبأنه قد ذهب إلى الملك ، الذي كان عدوا له ، حزن جدا وفقد شجاعته تماما ، ودعا نبلاءه للمشورة ونصحه الجميع بأن يعطي أخته كزوجة للأمير غوليوم لأنه اذا كسب الأمير كحليف وأخ فإنه سيتحدى حرب الملك مهما كانت وحيثما تقع ، وبعدما تشاور مع نبلائه بعث بالرسل إلى الأمير غوليوم .

وكانوا دهاة وسرعان ما تقربوا منه ، ووضعوا الاتفاقيات مع المهر وترتيبات الزواج . وعادوا بسرعة إلى الامبراطور ، وأخبروه بكل شيء ، وقدموا له تقريرا شفويا ، وشرحوا له كيف رتبوا الزواج . وكان المهر ٦٠٠٠ هيبر بيرا[٢٨] ، وقد أعطاها الامبراطور في حينه للأمير من أجل أخته الرائعة ، وهذا عدا عن أثوابها والهدايا .

ولم يتأخروا في عقد الزواج الذي جرى في باتراس القديمة ، وحيث أن الأمير والامبراطور وقد اجتمعا متصاهرين فقد أحبا بعضهما بعضا كثيرا وكانا كشخص واحد ، واذا حدث أن احتاج الامبراطور للجيوش أو الرجال المسلحين من الأمير فإن العدد الذي يحتاجه يكون تحت إمرته[٢٩] (٣١٣٨ ـ ٣١٧٢) .

وعند هذه النقطة ، سأتوقف لحظة عن الكتابة والكلام حول

امبراطور أرتا ، لاخبركم ولاحكي لكم عن امير المورة السير غوليوم ، فالآن بعد ان استولى الامير غوليوم على قلعة مونمفاسيا ، توسعت ولاياته ، وفي الواقع لم يكن لديه سبب القتال ضد اي رجل في الدنيا ، وبدأ قادة فرسان المورة مع الفرسان في بناء القلاع والحصون في كل اراضيه ، وبنى هو قلعة خاصة به ، وحالما اقاموا هذه الحصون تخلوا عن القابهم ، التي حصلوا عليها من فرنسا ، واتخذوا اسماء الاراضي التي اخذوها .

وعليه كان اول من بدأ القائد العظيم الامير السير جيوفري ، وكان لقبه دي بروبير ، وكان امير اسكورتا ـ كلا من الدرنفوس والارض ـ وبنى قلعة محصنة ، وحصنا جميلا ، سماه كاريتاينا ، وهكذا بات يعرف بلقب امير كاريتاينا ، الجندي الشهير ، وسمي الثاني السير غوتيير دي روزيير وكان هذا لقبه ، فقد بنى قلعة رهيبة في موزاريا ، وسماها اكوفا ، فغدا اميرها. ولقب آخر بالسير جين دي نويلي ، وكان ايضا مارشال امارة المورة ، ولقد احتفظ بالمارشالية كمنصب وراثي ، وبنت امارته قلعة دعتها باسافا ، وحمل آخر لقب دي نيفليت ، وكان اسمه السيرجين ، وبنت امارته قلعة اسمتها جيراكي ، وتوجد في تزاكونيا في هذا الجانب من هيلوس ، ومثله مثل الآخرين ممن حملوا القابا اقطاعية قام الفرسان والاساقفة وكل قادة الفرسان ، فبنى كل منهم حصنا في ارضه ، وكانوا يرغبون ويريدون مسرات العالم ، وابتهجوا جميعا خلال الوقت الذي توفر لهم.(٣١٧٣ ـ ٣١٩٩).

وعند هذه النقطة سأتوقف عن الكلام عنهم وأعود فأخبركم كيف بدأت الحرب بين أمير المورة وأثينا ، السير غوليوم ولقبه دي لاروش وهكذا كان يسمى ، ويسمى وقد سمعتموني أخبركم في وقت سلف من كتابي حول الزمن والفصل والايام وتلك الأيام عندما جاء ، بونيفيس ماركيز مونتفرات وملك سالونيك إلى كورنث إلى

أمير المورة ، الشامبني ، وبسـبب الحـب الكبير الذي كان يكنه كل منهما للآخر طلب الشامبني المساعدة مـن المركيز . ومنحـه الولاء والتبعية ، أولا لأمير أثينا والترزيري الثلاثة في يوريبوس وبالاضافة رابعا (كذا) ، للمركيز بودونتسا (٣١) ، وخـلال الحـرب التـي شنها الامير غوليوم وأبوه أيضا ، السير جيوفري ومثلهما السـير جيوفري أخوه ، أمضوا جميعا وقتهم بلطف ، وحالما أصـبح الأمير غوليوم سيدا لامارة آخيا وأصبحت تحت سـلطانه طلب مـن الأمير العظيم أن يؤدي له الولاء ، وأيضا من أمراء جزيرة يوربيوس ومثل ذلك من المركيز ، أمير بودونتسا ، والتقى الخمسة معا وتشـاوروا مع بعضهم وأجابوه بأنهم يعتـرفون بـه فقـط كندلهـم (٣٢٠٠ _ ٣٢٤٤) وأما بالنسبة للولاء الذي ذكره فانهم غير مدينين له بشيء ولن ينزلوا مطلقا إلى مستوى تقديم الولاء له .

وغضب الأمير عندما سمع هذا الكلام الذي بدا له غير مناسـب . فعقد جلسة استشارية وأشار عليه المجلس بشن حملة وبأن يسـير ضدهم ليحاربهم كمتمردين وخونة ضده .

ولهذه الغاية أمر بتسجيل كل واحد في الامارة : قادة الفرسان . الفرسان ، كل الأساقفة ، فرسان الداوية والاسـبتارية وكل ممثلي البرلمان ، وكلفهم بـالاجتماع في نيكلي في ١٢ أيار ولا عذر لأحـد ، وعندما سمع السيد العظيم وعرف أن أمير المورة كان يعـد للزحـف اليه ليحارب جميع جيوشـه ، أرسـل الدعوات إلى كل مـكان حيث يوجد له صديق ، يطلب ويلتمس منهم أن يأتوا لمعاونته ضد الأمير ، الذي جاء ليحاربه ، وكان أفضل صديق وقريب له في ذلك الوقت هـو الأمير الباسل سيد كاريتاينا (٣٢) الذي كانوا يرتجفون أمامه في كل رومانيا ، فتزوج من اخته . وكتب للسيد العظيم يعلمه ويتـوسل اليه كأخ مخلص له أن لا يخذله في تلك المناسبة ، التي يحتـاج فيهـا اليه لأن أمله وثقته كلها فيه .

وعندما سمع ما طلبه منه أخوه ، فإن أمير كاريتاينا الباسل الشهير فكر وتأمل بعيدا كيف يجب أن يعمل ، لمن يذهب أولا للمساعدة . إلى الأمير الذي كان تابعا له والذي تربطه به قرابة الدم ـ فقد كان عما له ـ أو الأمير العظيم أخو زوجته . وبقدر ما تأمل فقد كان خياره هو الأسوأ ، والذي لم يكن ليشرفه ، وقال إنه اعتبر إنه من الأفضل أن يفقد شرفه من أن يخذل أخا زوجته . وهذا هو الآن التعليل الذي كان في ذهنه في ذلك الوقت ـ فإذا خذل الأمير ـ فإنه كان . قبل كل شيء عمه ـ وقد ينال عفوه ، وأنه سيأخذ الأمر على هون ، وعليه جمع الجيوش القوية وسمع هذا في كل مكان ودهش له الجميع ، وعندما سمع الأمير بذلك غمرته البهجة ، معتقدا بأنه سيأتي إلى جانبه . ولكنه أسرع بالذهاب إلى الأمير العظيم (٣٢٤٥ ـ ٣٢٨١) وأخذ جيوشه وذهب إلى طيبة حيث وجد الأمير العظيم يجمع جيشا ، وعندما وجد أن ابن حمية قد جاء إلى هناك ، بدا له أنه قد كسب نصف الدنيا ، وكان سعيدا جدا ، وندم فيما بعد . وعندما سمع الأمير بالفعل وبالأعمال الشريرة لابن أخيه أمير كاريتاينا ، بدا له الأمر مدعاة للأسف الشديد وقد حزن بعمق ، أولا بسبب السمعة التي كانت له في العالم كأفضل الجنود الذين كانوا في رومانيا في تلك السنوات ، ومرة أخرى لأنه كان قريبا له ، وكان ابن أخيه وخان أميره وذهب إلى عدوه ، ومع ذلك ولأنه كان حكيما فقد واسى نفسه وأمر جيوشه وذهبوا إلى كورنث وشقوا طريقهم بالقوة إلى دهليز ميغارا وكسب هذا المر في المعركة ، (٣٣) وسمع الأمير العظيم بهذا واضطرب جدا لأنه علم أن الأمير قد اجتاز الشعب ودخل اراضيه وخرج يبحث عنه ، فأخذ جيوشه وخرج للقائه وتقابلوا عند موقف كاريدي ، وبدأوا المعركة على قمة الجبل ، وحيث أن الرب حاكم ويحكم بالعدل وقف مع الأمير فربح المعركة.

وكان قائد الفرسان الذي قتل هناك في المعركة يدعى السير غويبرت دي كورس وهذا لقبه وكانت زوجته ابنة السير جين دي باسافا ، وتزوجت بعده السير جين وكان لقبه سانت ـ أومر ، وانجبا ابنا رائعا هو السير نيكولاس دي سانت أومر أمير طيبة والمارشال العظيم لامارة آخيا (٣٤) . وقتل أيضا في هذه المعركة سرجندية وفرسان بلا عدد (٣٢٨٢ ـ ٣٣١٢) .

وهرب الأمير العظيم إلى طيبة بأكبر عدد من أتباعه ممن ذهبوا معه . وذهب أمير كاريتاينا إلى هناك معه ، والآن بعد أن هزم الامير غوليوم الأمير العظيم في المعركة التي وقعت في كاريدي ، هرب الأمير العظيم ، وذهب إلى طيبة وكان أمير كاريتاينا هناك معه وكذلك السير نيكولاس دي سانت أومر مع أخوته ، السير جين دي سانت أومر ، والسير أوتون (٣٥) ، وايضا أخوة الأمير العظيم الثلاثة الذين كانوا جميعا جندا جبيرين بالثناء ، وفرسان يحمل كل منهم علمه ، وأمير سالونا السير توماس (٣٦) وأمراء يوريبوس الثلاثة والمركيز وقد حملوا جميعا الأعلام ، ولكن الفرسان الآخرين الذين كانوا في المعركة مع الأمير العظيم ولاادرجهم هنا لما يتطلبه ذلك من كتابة مطولة جدا.

وإذ رأى الأمير انه قد ربح المعركة وقتل وقضى على أعدائه ، تتبعهم بحكمه مع جيوشه الى طيبة وحاصرهم ، وأمر أن تنصب الجيوش الخيام حولهم ، ونهبوا الضواحي واستولوا عليها ، والآن عندما رأى الكبراء في الجيش أن أقاربهم الذين أحبوهم هناك وأن الأمير العظيم مع الآخرين الذين معه ، كانوا يفقدون قراهم ، ذهب مطران طيبه ولآخرون من الموثوقين هناك ليتوسطوا للوصول الى تفاهم مع الأمير العظيم والذين (٣٣١٣ ـ ٣٣٤٩) معه. واقسم الأمير العظيم للأمير في ذلك الوقت أن يضع نهاية لاغارته وتدميره ، وبناء على قسمه سيذهب الى كورنث ، وفي مدينة نيكلي سيقدم له الولاء وانه سيرجع ويعوض

عن اي خطأ فعله في حقه ، وعن أي جـريمة ارتـكبها ضـده ، وعن الاسلحة التي شهرها في وجه الامير ، كما يقضي العـدل ، وتـدخل قادة الفرسان كضامنين وضمنوا أن يذهب الأمير العظيم الى نيكلي خلال مهلة حددوها في حينه . وحالما قرروا ما اخبـرتكم بـه انطلق الامير وذهب الى كورنث وسافر من هناك رأسا الى نيكلي واسـتعد الامير العظيم على الفور واخذ معه النبلاء مـن قـادة فـرسانه وكل الفرسان الذين تبعوه ، وبشرف ونبل ، انطلق بعد ذلك وذهب رأسا الى مدينة نيكلي حيث كان ينتظره الامير غوليوم.

وحالما وصل الامير العظيم الى نيكلي وانضم الى كل النبـلاء في الامارة . ذهبوا معه جميعا الى حضرة الامير ، وركع أمامه وتوسل اليه الجميع أن يصفح عما فعله الامير العظيم برفعه السلاح ضده في المعركة ، ولكونه رجلا حكيما ونبيلا فقد صـفح في حينه عن الامير العظيم بـدماثة . وبناء عليه ادى الولاء الذي دان له ، وقبله في فمـه وتصالحا (٣٧) ، وبعد هذا وفي حضور القادة أمـره كتعـويض عن الجريمة التي ارتكبها واشهاره السلاح ضده في المعـركة أن يذهـب الى ملك فرنسا ليحاكم من قبله . ووعده الامير العـظيم على الفـور انه سينفذ ما أمر به الامير (٣٨)

وبعد أن انتهوا من هذا الامر الذي اخبركم به. أخذ الأساقفة مع الاخرين كلهم (٣٣٥٠ ـ ٣٣٧٧) بما فيهم الأمير العظيم ، السير جيوفـري أمير كارتيانيا والقيد في عنقـه وذهبـــوا الى الأمير ، وتوسلوا اليه وهم راكعون وصلوا لكي يكون رحيما ويصفح عنه ولم يقبل الامير وعارضهم بقوة ، وبين لهم السـبب وكان محقـا وهـو الخطأ الذي ارتكبه بذهابه الى صـف عدوه ، لقـد تخلى عنه وهـو اميره الشرعي (٣٩) . ومـع ذلك الحـوا عليه وتـوسلوا اليه كثيرا الاساقفة منهم والنبلاء والقادة حتى ربحوا الأمير في صفهم وأشفق على امير كاريتـانيا ابـن أخيه ، فعفـا عنه بناء على ذلك وأعاد له ارضه ليتملكها من حينه ملكا قـابلا للتـوريث للورثـة المبـاشرين له ، وانه لو كان لديه أكثر لمنحه ملكيتـه مـن حينه فصـاعدا (٤٠)

والآن بعد هذه الاتفاقات ، أقام الفرسان الشبان احتفالا وعقدوا حلقات المبارزة وكسروا الرماح وأمضوا وقتا جميلا. وبعد أن احتفلوا جيدا انطلقوا من هناك واستأذن الامير العظيم وأمراء بوريبوس من الامير ورحلوا.

ولأن موسم الشتاء كان يقترب بقى الأمير العظيم ليمضى الشتاء ، وعند ما حل الموسم الجديد ، وفي شهر آذار جهز سفينتين كبيرتين وركب وعبر الى برنديزي ونزل هناك [٤١] (٣٣٧٨ ـ ٣٤٠٧) واشترى خيولا بسرجين السفر [٤٢] ، وأخذ الطريق وسافر شوطا بعيدا حتى وصل الى باريس.

ووجد الملك هناك ، و كانت هناك عطلة كبيرة تدعى عيد الحصاد وكان الملك يحتفل[٤٣] ، وانحنى الامير العظيم في خضوع بين يدي الملك الذي لقيه بتشريف كبير لانه كان قد علم انه كان قادما من رومانيا ، وكان الامير قد أرسل رسالة مكتوبة مع أحد فرسانه حول الحالة التي سببها الأمير العظيم ، وقام الفارس بانحناءة للملك وأعطاه رسالة الامير غوليوم وتسلمها الملك وأمر بتلاوتها ، وبعد أن فهم تماما الفعل الذي ارتكبه الامير العظيم في ذلك الوقت ضد الامير ادرك بدهائه في حينه أن أمير المورة قد أرسل الامير العظيم إليه نظرا لشرفه تجاه العالم ،[٤٤] ولهذا السبب ، أمر بناء عليه بدعوة القادة الذين كانوا في باريس في إجازة في حينه بأن يمثلوا بين يديه ، وطلب منهم أن يشيروا عليه بمشورة جيدة ، فناقشوا بشكل مطول جدا وبالتفصيل الجريمة التي ارتكبها الامير العظيم ضد الامير غوليوم ، وعندما تكلموا أخيرا ووجدوا الحقيقة ، استدعوا الامير العظيم وكذلك الفارس ، واعطوا جوابهم لكليهما ، وأعلنوه شفاها لهم وقدموه اليهم كتابة أيضا . ووقف الأمير العظيم واستمع للكلمات ونطق أحد البارونات بقرار المحكمة ، ودعا الفارس وقال له : اسمع يا صديقي وأخي وافهم الكلام الذي يجيبك به القضاء الفرنسي ، إذا كان الامير العظيم قد قدم الولاء هنا لاميره الامير غوليوم وبعد ذلك حمل السلاح ضده وحاربه وجها لوجه في

الميدان ، فإن القانون يأمر والعدالة تتطلب أن يحرم هو وسلالته من اي ارض واي سلطة يستمدها منه ، ومع ذلك طالما أن الوثيقة التي جئتم بها الى هنا تعلن ، كما اخبرتمونا بافواهكم الشيء نفسه في حضرة المحكمة ، ان الامير العظيم لم يقدم الولاء لأميركم ، أمير المورة فإن الجريمة لاتضع الامر عند نقطة الحرمان ، ومع ذلك حيث أن الامير العظيم عرف واعترف هو نفسه ، وكانت هذه أيضا وصية أميره المتقدم ملك سالونيك ، انه كان يجب عليه أن يقدم الولاء له ، لم يكن له باي حال ان يحمل السلاح او يشن حربا على أميره ، وعليه ، وحيث أن الامير غوليوم ارسل الامير العظيم ، وانه جاء هنا الى محكمة سيدنا ، وانه جاء بنفسه وهو متلهف على التعويض وجاء متكلفا نفقة عظيمة وتعبا ومشقة وكانت رحلته رحلة طويلة ، وكان الصدق فقط دافعه لان يأتي من رومانيا إلى هنا في فرنسا ، زد على ذلك تمجيدا لسيد عظيم مقام سيدنا ، ملك فرنسا ، إن هذا في حد ذاته تعويض مناسب يكفي كي يعفى عنه . وعندما انهى البارون هذا الخطاب الذي سجلته لكم ، وقف الامير العظيم امام المحكمة ، ورفع قبعته واجاب بحكمه (٤٥) ، فشكر الملك وبعده المحكمة ، وبعد هذا طلب بتوسل من الملك أن يكتب الى الامير ما توصلت اليه المحكمة ، والحكم الذي أصدرته ، وقرارها ، وبهذا أمر الملك النبيل وقد نفذ.

وبعد كتابة الاوراق وانتهاء المهمة ، دعا الملك بنفسه الأمير العظيم وقال له بلطف وكياسة : « لقد جئت من أرضك رومانيا ، متحملا المتاعب والنفقات الى هنا الى مملكتي ، ولن يكون من اللائق بالنسبة لك أن تعود دون أن تحصل مني على هدية تعويضية ، ولهذا السبب أقول لك أطلب مني (٣٤٥٠ ــ ٣٤٧٣) اي شيء تحبه ، وسأمنحه لك ».

وعندما سمع الأمير العظيم الداهية ذلك انحنى للملك وشكره عشرات الالوف من المرات وفكر قليلا ثم أجاب : « أشكر تاجك وجلالتك (٤٦) ، يا سيدي لأن لديك الرغبة في أن تمنحني

هبة ، وعليه اقول يا سيدي لجلالتكم المقدسة ان القطاعية اثينا التي عندي واملكها ، كان كل من يملكها في الازمنة القديمة يلقب بالدوق ، فليكن بكلمة منك وأمرك لي أن اسمي من الآن فصاعدا بالدوق ». وعندما سمع الملك ذلك ، وافق عليه بترحيب ، وأمر بأن يأخذ اللقب وهو في القصر (٤٧) .

والآن ، ومن هذه النقطة وما بعد ، سأتوقف عن الكلام عن ملك فرنسا ودوق اثينا وسأخبركم وأقص عليكم من جديد كيف أن أمير المورة غوليوم أسر في معركة بلاغونيا هو وقواته .

وكما سمعتم هنا أعلاه في هذا الكتاب ، ابرم الامبراطور كوترولس معاهدة مع الامير غوليوم ، أمير المورة وأعطاه أخته زوجة له . (٤٨) ومن هذه المصاهرة تقوى الحب (٣٤٧٤ ـ ٣٥١١) بين الامير والامبراطور ، وفي الواقع أنهما وقواتهما قد احبا بعضهما بعضا كما لو كانا أخوين من أم واحدة ، وعندما اشتدت الحرب التي خاضها ثيودروس دوكاكاس باستمرار مع الملك في ذلك الوقت ضد الامبراطور ، خطط الامبراطور لتوجيه ضربة للملك وتحطيمه.

وعندما سمع الامير بهذا وعلم به أخذ فرسانه وقادتهم وسافر رأسا الى باتراس القديمة ، وفي الوقت نفسه وصل الامبراطور الى ايباكتوس (٤٩) وعبر من داريانون ومضى الى باتراس والتقى بابن حميه الامير ، وأقاما مع قواتهما احتفالا رائعا ، وبعد أن احتفلا كما يريدان جلسا معا ومع قادتهما وكل المستشارين الحكماء الذين كانوا معهما ، وعليه بدأ الامبراطور الكلام ، وأعلن شكواه من الاضرار التي عاناها من نائبه وأخيه ، وعندما انتهى من ذلك وجد له الحكماء والأساقفة نصيحة ماكره وندموا بعد ذلك هي أن يسير الاخوان : الامبراطور والأمير بجيوشهما عبر والاشيا (٥٠) ويدخلان الى رومانيا ويجتاحان وينهبان كل رومانيا ، فإذا صادفا

جيوش الملك أو التقوا بنائبه فإنهما سيقاتلانهما في الميدان وينتصران عليهما.

وبعد أن جمعا المجلس ، عاد الامبراطور الى اترا ، وارسل الى كل مكان لجمع (٥١) الجيوش(٣٥١٢-٣٥٤١) وعاد الأمير الى مدينة اندرافيدا ، وبعث بالرسائل الى كل مكان حتى يجهز الجميع انفسهم بالسلاح الصغير منهم والكبير ، المشاة والفرسان ، وفي ربيع السنة ، بعد مضي الشتاء ، وبعد أن يمضوا مواعيد الفصح ، في شهر نيسان عليهم أن ياتوا جميعا راسا الى اندرافيدا ليعبروا ويغزوا أرض رومانيا ، وأخذ الامبراطور الآن في انفاق المال لاستئجار المرتزقة ، فاستأجروا من الجيوش بقدر ما أمكنهم جلبه (٥٢) .

وعند هذه النقطة أتحول عما أرويه لاتولى ذكر امور اخرى لكم ولأخبركم بامر الملك . وما أن حدث اللقاء ، الذى اخبرتكم به والذي عقده الأمير والامبراطور في باترا س حيث اجتمعا وتشاورا في أن يغزوا معا أرض الملك ،وأن يخوضا المعركة ضده ، لينهبا أرضه ويجتاحا والاشيا التي يحكمها النائب ، وعليه فإن النائب أيضا عندما بلغته هذه الأنباء ، شحن قلاعه ، وحصنها بقوة بالعساكر وبالأغذية ، حتى يقيموا فيها ويحرسوها وأمر ووجه أن يدخل الجنود العاديون الذين كانوا في القرى هذه القلاع بالقدر الذي تتسع له وأن يحملوا السلاح ، وأن يمضي الباقون الى الجبال مع حيواناتهم ليحموا أنفسهم هناك.

والآن فإن كيرثيودورس ، الذي اخبرتكم به ، وكان له ثلاثة ابناء رائعين يحملون السلاح ، وكان الاول يسمى كومنينوس والثاني دوكاس والثالث انجيلوس (٥٣) وكان قد رتب ليصبح الأول كومنينوس اميرا وحاكما في أرض والاشيا (٣٥٤٢ - ٣٥٧٩) وأمر أن يوقف الصغير والكبير نفسيهما له ، وحالما انهى استعداداته أخذ كل من رغب في الذهاب معه وذهب الى الملك الذي

كان في المدينة وشرح له بالتفصيل حالة استعداد الجيوش التي اعدوها ، وبين أن أمير المورة وامبراطور أرتا كانا يستأجران المرتزقة في كل مكان ، ويسرعان بجمع الجيوش ليأتيا مع الفصل الجديد لغزو رومانيا ، وهما يريدان كما أعلنا أن يستوليا على امبراطوريتكم ويحرماكم وإيانا من الاتباع ، وبسماع هذه الاشياء غمر الملك المسن ميكائيل (٥٤) مع حكمته الكبيرة وشجاعته ، الخوف مع ذلك ، وانهارت معنوياته بشكل كامل تقريبا ، لقد كان خائفا من الامير لان الفرنجة كانوا معه ، وعليه فقد أمر بدعوة الحكماء ، والقادة النبلاء الذين كانوا في مملكته ، وبدأ يخبرهم ويقص عليهم أن أمير المورة وامبراطور هيلياس قد اتجها الى الميدان وانهما قادمان مباشرة الى رومانيا ، وعليه اريد وأتوسل أن يتشاور الجميع حول ما يجب عمله بعد هذا وكيف نتصرف ، وتكلموا وقالوا الكثير ولكنهم في النهاية اتفقوا وأعطوا مشورة واحدة:

وكان أول من تكلم وخاطب الملك النائب كيرثيودوروس وقال للملك والقادة : « أيها الملك الامبراطور المقدس يا صاحب الجلالة والرحمة ، إذا توقعتم حماية رومانيا بالقوات التي تملكونها وحدها ، اني أعلمكم أنكم بهذا سيقضى عليكم وستفقدون امبراطوريتكم وستحرموننا أملاكنا ، مروا أن تفتح خزائنكم وانفقوا أموالكم وأستأجروا الالمان ، وابعثوا بكلمة الى ملك هنغاريا ليمدكم بالقوات وأيضا الى ملك الصرب ، وهو جار لكم ، ليأتي بنفسه إذا استطاع(٣٥٨٠ ـ ٣٦٢٧) أو أن يرسل ليأتوا . وبعد أن يأتي هؤلاء الذين ذكرتهم وأسميتهم ، فإن أملنا بالرب أولا ثم في مباركتك بأننا سنحمي أرضكم من العدو وأننا سندمر أولئك الذين يهددوننا» .

وعندما سمع الملك المسن كير ميكائيل هذا القول ومشورة النائب شكره بعمق وأطراه بحرارة لانه بدا له حسنا انه بهذه الطريقة ستحمى أرضه ، وانه سيدمر أعداءه ، وعليه فقد أمر أن تكتب

الرسائل الى كل الاراضي التي ذكرها كيرتيودروس دوكاس وتشاور حولها ، وذهبت الرسل الى المانيا ، واستأجروا ثلاثمائة كلهم من الفرسان المختارين والمنتقين ، وجاء من هنغاريا خمس عشرة مائة ، كانوا كلهم من رماة السهام الراكبين المختارين ، وأرسل كرال ملك صربيا ستمائة من الخيالة وكلهم من رماة السهام الجيبين ، وجاءه عدد لاحصر له من الاناضول وجاءوا معهم بخمسمائة من الاتراك ، وعندما حل الفصل الجديد في شهر آذار تجمعت الجيوش في الميدان الواسع في جوار أدرنة وكان الملك الحكيم مايزال قلقا وأرسل في طلب الفين من الكوما ن ، من رماة السهام الراكبين الرشيقين في القتال فجاءوا ، وبعد ان تجمعت جيوشه كلها ، دعا نائبه كيرثيودروس وجعله قائدا للجيوش كلها وسلمها جميعا اليه وأمرهم جميعا أن يقبلوا به قائدا لهم وممثلا للملك وان ينفذوا امره كما لو كان هو يقودهم بنفسه ، وعند هذه النقطة سأتحول عما اقوله وأرويه لأعود فأخبركم بأمر الامبراطور وأمير المورة غوليوم ، وما الذي فعلاه وكيف تصرفا في المعركة التي بدأها .

وعندما انقضى فصل الشتاء وبدأ الفصل الجديد في شهر آذار وبدأت طيور العندليب في التغريد وابتهجت كل الكائنات في الدنيا وجددت نشاطها ، أرسل امير المورة غوليوم الذي كان بعيدا عن الامبراطور الى يوريبوس وكل الجزر وجمع جيوشه من كل مكان ، وعبر بحر باكتوس عند بيرغوس (٥٥) وسافر راسا الى حيث كان الامبراطور. وفي أرتا (٣٦٢٨ - ٣٦٦٤) التقت الجيوش وتجمعت القوات ولم تمكث أكثر من يوم واحد فقط ، وفي اليوم التالي انطلقت لتذهب عن طريق يانينا ودخلت والاشيا وانتظرت هناك فترة قصيرة حتى تصل قوات يوريبوس ، والجزر وطيبة وأثينا وأمير سالونا. ومروا رأسا عبر السايدربوتا وجاءوا أمير والاشيا ، وانضموا معا على سهل تالاسينوس (٥٦) وبعد أن تجمعت كل الجيوش تشاور الامراء الكبار معا حول كيفية تحقيق تقدمهم ومن أين يبدأون ، وقال بعضهم إنهم يجب أن يجهزوا

جيوشهم لمحاصرة باتراس وزيتوني (٥٧) ومهاجمة القلاع الاضعف ، ولكن الاحكم والمتمرسين في طرق الحرب لم يوافقوا على هذه المشورة ، لانه اذا أعدت القوات نفسها لمهاجمة القلعة فانها ستخفق في تحقيق أي شيء ، والشيء الافضل والاكثر فائدة لنا هو أن نذهب من هنا الى رومانيا ننهب وندمر الاراضي التي للملك ، وإذا القينا الملك وهو ينتظرنا في الميدان فاننا بقوة الرب سنقاتله ، واذا كان مما يرضي الرب أن يعطينا النصر سنستولي بسهولة على أراضي سالونيك ، وعند عودتنا سنأخذ كل والاشيا وسنمضي الشتاء هنا ثم سنرى أنه عندما تسمع القوات التي في قلاع والاشيا أننا حاربنا وانتصرنا فان كل القلاع ستسلم لنا بسرعة » .

وتوصل قادة الجيوش الى اتفاق على هذه الخطة ، وعليه فصلوا الف خيال وثلاثة آلاف من الجنود المشاة ليصحبوهم في تقدمهم لنهب الاراضي ونظموهم في ثلاثة مجموعات وأعطوهم التعليمات فكان عليهم أن يتجمعوا معا في (٣٦٦٥ ـ ٣٦٩٥) نقطة واحدة جميعا ، وبعد ذلك تفرقت جميع فرقهم واتخذوا طريقهم وبدأوا السير وهم ينهبون ويدمرون أرض والاشيا ، وكان مغيروهم يسيرون دائما على مسافة مسيرة يوم أمامهم ، وهكذا كانوا يتقدمون بهذه المسافة (٥٨) وعندما نهبوا الاماكن في والاشيا عبروا الحدود التي تفصل أرض الملك عن والاشيا عند مكان يسمى كتاكالون (٥٩) ودخلوا أراضي الملك للنهب ووجدوا هناك قلعة تدعى سيرفيا (٦٠) وأسروا بعض القوات من هذه القلعة ، وطلبوا منهم أن يخبروهم بالمعلومات التي عرفوها فأجابوهم وأعلموهم بأن « نائب الملك مع كل جيوش كيرميكائيل الملك تنتظركم قرب أدرنة في الحقول الواسعة وهم في طريقهم الى هنا للبحث عنكم ونتوقع أن يكونوا قد عبروا الى مكان ماقرب سالونيك » (٦١) وبسماع هذا أظهر الامير وكذلك الامبراطور بوضوح سرورهم العظيم لقواتهما وانهما رغبا وأرادا القتال ، وتشاوروا على الفور حول مايجب عليهم فعله ونصحهما مجلسهما أن يذهبا مباشرة الى حيث كانت تلك الجيوش لقتالها وأملا في النصر ، واذا حالفهما الحظ وربحا

المعركة ، فانهما كانا يأملان في أن يستمرا سادة رومانيا وركبا حتى وصلا الى ناحية بيلاغونيا كما تسمى (٦٢) (٣٦٩٦ ـ ٣٧٢٨) .

وكان كيرثيودروس دوكاس، ووالاشيا حاكما لكل رومانيا ، وشهيرا في الأعمال الحربية ومقدرا في كل الاشياء ، وعندما سمع أن الأمير والامبراطور قادمان ، جهز جيشه وفصل السرايا وشرح لكل من قادته استراتيجية الحملة التي ينوي اتباعها ، وكان يتبعه ألفان من الكوما ن ولأنهم كانوا أرشق كل الجيوش كان لهم أن يركبوا في المقدمة ليستطلعوا المكان ، وكان يأتي بعدهم الالمان الثلاثمائة ثم أعد الهنغاريين وكان عليهم أن يشكلوا الفرقة التالية ، ويأتي بعدهم الصربيون والبلغار ثم يأتي هو ومعه الروم والترك . وعندما فصل كل سراياه كان هناك سبع وعشرون فرقة راكبة .

ولكونه داهية بعيد النظر في كل الأمور أرسل الاوامر الى كل القرى ليأتي الفلاحون مع خيولهم وثيرانهم وأبقارهم وأي حمير ركوب لديهم ، فاحضروها وركبوها فوق الجبال وعلى البعد ظهروا كالفرسان ، وكان كل واحد منهم يشعل لنفسه نارا في المساء وبدت جميع الجبال والحقول كما لو كانت تحترق ، ثم أمر بعد ذلك الكبار والصغار في جيوشه وبين الفلاحين أن يطلقوا في صوت واحد زئيرا صارخا ، حتى ليبدو ذلك أن هزيم الرعد يهز الارض ، وبعد ذلك أيضا وجه بعض رجاله ليأخذوا ثيابهم وخيولهم ويتسللوا خارجين ليذهبوا الى الامير أمير المورة والى الامبراطور وأن يرووا له أمورا كاذبة لم يشاهدوها ولم يسمعوها ، فامتدحوا جيوش الملك في مغالاة وبالغوا في اعدادها (٣٧٢٢ ـ ٣٧٧٠) وادعوا أن كل منها يضم ٥٠.. رجل وسربوا روايات زائفة كثيرة حتى أصبح جميع أتباع الامبراطور في خوف شديد (٦٣) .

وبعد ذلك استدعى رجلا من مجلسه وعرض عليه ووعده بالاقطاعات ومالا كثيرا ليتظاهر بأنه تخلى عنه ويذهب الى

الامبراطور وأعطاه وثيقة ليعطيها سرا للامبراطور قائلا أنه سيصدق ماقد يخبره به شفويا ، فأخذ رسائله واخذ طريقة وسار بسرعة حتى وصل الى الامبراطور وذهب اليه سرا وطلب أن يختلي به وكان المتسلل بارعا وماكرا ، فاختلق الدموع وبدأ كلامه مع الامبراطور :« أيها الأمير سيدي ، لقد أرسلني أخوك هنا لأخبرك بسره ، ونصيحته لك إنه الصدق ياسيدي وهو يشهد به ، أنك أيضا وقعت في النزاع والخصومة بسبب خبث الناس وحسدهم والدوافع التي لاتقاوم لأنك تريد والاشيا وهو يريد الامبراطورية ومن هذا السبب قام النزاع بينكما وانتما أخوان ، ومما كان سبب لوم كبير ، أن يحارب أحدكما الآخر ، وعليه حسنا ياسيدي الطيب عندما هاجمته لتأخذوا والاشيا لم يكن لديه شيء ، ليقوم ويحاربك فالتمس الملجأ عند الملك وهو خصم لكم ، ثم عرف الملك أنكم تعدون الجيوش وانكم صاهرتم أمير المورة ليكون أخا لكم ، باعطائه أختك زوجة ، وانكم حالفتموه وهو وكل جيوشه (٦٤) لقد تلقيتم المشورة السيئة ، التي اعطيت لكم لتتركوا أراضيكم وتستسهلوا الذهاب الى رومانيا الى أراضي الملك ؟ من انتم ياامبراطوري لتشنوا حربا على الملك ؟ كم لديه من أمثالكم تحت قيادته ؟ حسنا ياسيدي الطيب ، اسمع وصدقني أن جيوشا كثيرة قد جاءت الى هنا لملاقاتكم ولديه ..٥ من نخبة الالمان وثلاثة عشر ألفا من الهنغاريين وكلهم مزودون بالقسي ، ولديه نحو أربعة آلاف من البلغار والصرب ، ولديه هناك كل الروم من أهل رومانيا ومن تركيا والأناضول مما يفوق الحصر ، وبالنسبة لما لديكم ولدى الأمير (٣٧٧١ ــ ٣٨٠٨) هناك مائتان مع الأمير مقابل كل واحد لديكم . ولهذا السبب ياامبراطوري وسيدي أن اخاكم يقول ، مع انكم كنتم تقاتلون بسبب شرور الشيطان ليس لديه صديق أفضل منكم في كل الدنيا ، وأنه كما يحبكم كثيرا يشفق عليكم كثيرا جدا ، ولتعرف شيئا آخر ، ياسيدي ، كم هو عدو لكم ملك رومانيا باليولوغوس ، واذا دخلتم في معركة ضد مثل هذه الجيوش الكثيرة ، فإنه بالامكان بسوء الحظ أن تفقدوا حياتكم وثانيا وماهو أكثر سوءا اذا سقطتم في يد الملك باليولوغوس وهو يحمل لكم هذا

العدا ء ، انكم عندئذ لن تروا مرة اخـرى ارتـا ولا الامبـراطورية، وعليه يا سيدي ان سيدي اخوكم يقول هذا لكم : اعدوا خطة للهـرب مع مجلسكم لتنقذوا انفسكم انتم والنبلاء الشبان في الامبـراطورية واذهبوا الى اراضيكم واحموا قلاعكم . والى جانب انكم اذا فقدتم جنودكم المشـاة ، سـتبقى لكم السـلطة وسـتبقون في الامبـراطورية ، ولن تنقصـكم الجيوش وسـيكون لكم ماتريدون (٦٥) » والآن ان هذا الرجل الكافر الذي كان يقول هذه الاشياء قالها وهو يبكي اثناء ذلك ، لقد روى قصـته وهـو يبـكي وينتحب ، وحالما انتهى من تلك الكلمات واخرى غيرهـا كثير ورأى بوضوح وعرف ان الامبراطور قـد انهـارت معنوياتـه ، طلب الاذن لينسحب ، ولكن الامبراطور استبقاه حتى يتحدث مع الامير ويطلعه على الرسائل ، واستدعى اثنين من غلمانه وانتحى بهما جانبا حيث تحدث اليهما : اذهبا الى الامير واخبراه عني ان يأتي الى هنا على الفور ، وانني احتاج اليه في الحـال » فأسرعا خـارجين ومضـيا مسرعين الى الامير ليخبراه بما كان عليهم قوله نقـلا عن سـيدهما الامبراطور ، فأسرع الى حيث كان الملحد في خيمة الامبراطور وتكلم هنا مرة اخرى الى الامير بالتفصيل ، وروى كل شيء له كما فعل مع الامبراطور ، وبعد ان قص على الامير ماكان عليه ان يخبـره فيـه اعطياه الاذن بـالمغادرة فعـاد مـن حيث اتـى (٣٨٠٩ ـ ٣٨٤٥) حيث روى الحاكم (سيفاستوكراتوب) ماانجزه مع الامبراطور وانه قد وعده بالرحيل في تلك الليلة بالذات .

وعندما سمع كيرتيودروس هذا كان سـعيدا واسـتدعى احـكم مستشاريه ممن كانوا في جيشه واخبرهم بالقصة كلهـا فـابتهجوا كثيرا ، ولكن امبـراطور هيلاس لم يكن سـعيدا وقـد غمـره أسى شديد ، واستدعى الامير ، وتشاور الاثنان حول ماعليهما فعله معا وكيف يتصرفان ، واستدعيا قوادهما الاوائل في الجيش وجعـلاهم يقسمون على المحافظة على سر المشـاورة ، والآن بعـد ان اقسـم القادة على المحـافظة على سرية كل مـا سيخبرهم بـه امبـراطور

أرتا ، بدأ الامبراطور يتكلم ويروي لهم بالتفصيل الرسائل التي افضي بها اليه من قبل الخائن ، الذي أرسله كيرثيودروس دوكاكس ، أخو الامبراطور ، وكلها شريرة .

وعندما سمع النبلاء الكبار في الجيش هذه الأشياء صدقها بعضهم رأسا وقال انها صحيحية ، وقال اخرون ان الخائن قد روى أكاذيب وخجل الأمير الشهير أمير كاريتانيا عندما سمع بالهرب المقترح وكان يقظا جدا وقال : « ان الشرير الذي جاء يروي هذه الأشياء للامبراطور قد روى أكاذيب كلها مختلقة في الوقت المناسب متباهيا بالروم المتبجحين الذين ينتقدون أعداءهم ، ولكن دعونا نتوقف هنا في هذه الحقول واذا جاءوا ضدنا دعونا نتلقاهم بمعركة لاتخافوا بالمرة لانهم اكثر منا فأي قوات غير متجانسة من جنسيات مختلفة لايمكن ان يكون بينها اتفاق جيد ، والآن مع أننا قليلو العدد بالمقارنة معهم فاننا جميعا كالاخوة ونتكلم بلسان واحد ، وبعد قليل سنظهر فيما اذا كنا جنودا أو لم نكن (٦٦) (٣٨٤٦ _ ٣٨٧٢) .

ولم يصغ معظمهم من الخوف لأمير كاريتانيا بالمرة ، والواقع انهم في النهاية أعلنوا انهم قرروا أنه مع حلول الليل وطلوع القمر ، وبينما تكون عامة القوات نائمة ، بحيث لايمكنها أن تدرك مايفعلون سيندفعون بأكبر مايمكنهم من الهدوء والتخفي سيندفعون للخروج والهرب الى أبعد مايمكنهم للنجاة من الخطر ، وحالما قرر المجلس الهرب ذهب كل واحد الى قطاعه .

وعليه شعر أمير كاريتانيا بالغ الشجاعة ، ذلك الجندي الرائع الجدير بالثناء بالأسى وامتلأ قلبه حزنا ، لقد خجل من الهرب المقترح وحزن أيضا على قواته وفكر كرجل حكيم كيف يمكن أن يساعدهم حتى لايضيع هؤلاء كأبرياء بلا ملامة ويكون هو مذنبا صاحب خطيئة عظيمة ، ثم وقف في خيمته وهو يمسك في يده عصا وراح يقول لها : « ياعصاي أمسكي بالخيمة التي تغطيني بقوة وأخبريها

عني انها يجب ان لاتتكر اني احبها جدا ولاأريد لها أن تتعرض للخطر ، لقد تشاورنا : الامبراطور والامير وكبار رجال الجيش ، حول الهرب هذا المساء وان نترك عامة القوات لمصيرها . ولهذا السبب ، أقول لك ياخيمتي الحبيبة لاتفكري بأي حال بأن الامر بخلاف ذلك ، وفكري كيف يمكنك أن تهربي من الخطر » (٣٨٧٣ ـ ٣٩١٧) .

وعندما سمعت القوات التي كانت معه هذه القصة غير المألوفة التي لم يروا مثلها في حياتهم كلها روعوا واهتزوا بعمق وانتشر الامر من رجل لآخر ، وعندما سمع به الامير غضب جدا وأمر على الفور باستدعاء امير كاريتانيا وقال له بغضب : « هل كان مايفعله شيئا جيدا ، أن تخون القسم الذين اقسمناه والمشورة ايضا وأن تتخلى عنا ؟ إنك لم تتصرف بحكمة لقد كان هذا سلوكا سيئا منك » .

واجاب امير كاريتانيا الامير قائلا : انني لست مذنبا بأي سلوك خاطىء وكل من يلومني أنا مستعد للدفاع عن نفسي امامه وسأقاتل كل من يقول بأني اخطأت باستثناء سموكم فانتم حليفي وسيدي ولن اقاومكم ، ان الذين قالوا بأننا يجب ان نهرب ونتخلى عن قواتنا ، اعتبرهم حمقى منحوسين ، لايحق لهم أن يكونوا سادة ولاأن يحملوا سلاحا ولا أن يسموا جنودا » .

وعندما سمع الامير هذا فهمه وخجل وندم بعمق على كل ماحدث ، واستدعى المارشال واصدر اليه الاوامر بأن يجعل المنادي يعلن بأن لايبالي احد ولا أن يخشى أدنى خشية من الاشاعات التي انتشرت بين الجيوش ، وأن لايصدقها أحد فهي أكاذيب كبيرة ، ولكن ليعرفوا أن هذا هو الصدق ، فعلى كل من لايصدق هذه الاكاذيب أن يعلم أننا بمشيئة الله سندخل المعركة غدا .

وعندما سمع المورديون جميعا هذه الرواية وقد ذاعت ، وأكدت أن

الشـــائعات كانت كاذبـــة وان هناك معــــركة في صــــباح اليوم التالي ، ابتهــج الجميع وايدوا ذلك كثيرا. وعندمـــا ســمع نبـــلاء الامبراطورية بذلك اضطربوا للغاية وذهب كل النبلاء الى الامبراطور وقالوا له سرا وفي خلوته : « سيدنا ماذا تفعل ؟ هــل تــريد منا أن نموت هنا ظلما معك ؟ لاتصغ الى فرنجة الدورة المنحوسين ، الذين لم يخافوا من الاعداد الكبيرة من جيوش الملك التي تواجههم والذين بدلا من ذلك يتسللون لقتالهم » وأجابهم الامبــراطور قــائلا « اني أتمسك بما قلت وبـالمشورة التــي أعطيت فليقــل الدوريون وليفعلوا مايريدون ليذهــــب أحـــــدكم الى جيش الامبــــراطورية ليوجـــه نداء ، وعندما يأتي المساء (٣٩١٨ ـ ٣٩٤٩) وحالما يبزغ القمر ليبدأ الجميع على الفور وفي هــدوء شــديد ولنذهـــب جميعـــا الى مقاطعاتنا رأسا ، وكل من لديه إرادة القتال ويرغب فيه فليبــق هنا غدا وسيجد ما يبحث عنه » (٦٧) .

وهكذا فعل أولئك الرومان من الامبراطورية ، فعندما حــل الليل تسللوا من الجيش ، انظــر هــذا الفعــل الشرير الذي ارتــكبه الامبراطور في ذلك الوقت ، ان يأتي ويخرج من الدورة الأمير غوليوم مع زهرة النبالة في الدورة الذين كانوا يتمتعــون بـالسلام والراحــة والقوة التي لاتنازع ليذهبوا لمساعدته في حربه ، ثم يتركهم في أيدي أعدائه ويهرب هكذا رجل تصحبه لعنة الرب ، من الذي يسمع بهــذا ويصدق روميا على الاطلاق ســواء في الحــب أو الصــداقة أو في أي علاقة ؟ لاتصدق روميا وان أقســم لك بـأي قســم ، فعندمــا يريد خيانتك إنه يجعلك عرابا لطفله أو أخا بالتبني أو صهرا حتى يمــكنه أن يبيدك (٦٨) .

والآن انها العادة الطبيعية في الدنيا أن أحــدا لايبقــي الأخبــار السيئة سرا ، ان ذلك الكافر ، الخــائن الكبير الذي طبــخ كل هــذه الامور التي أخبرتكم بهــا ، عندمــا رأى أن الامبــراطور يهـــرب مسرعا ، هـــــــــــــرول مسرعا الى جيش الملك ، روى للحاكم « السيفاستوكراتور » أن الامبراطور قد هــرب بــالجيوش

التي احضرها من الامبراطورية وان الامير قد بقي وحده وعندما سمع الحاكم ذلك سعد جدا فاعد السرايا بسرعة وبدأوا في التحرك واسرعوا راسا الى بيلاغونيا (٣٩٥٠ _ ٣٩٩٢)

وتحركوا يوم السبت وتقدموا تجاه الامير ، وفي يوم الأحد صباحا اصطفوا للشروع بالقتال ، وعندما راى الامير ان الامبراطور قد هرب وعرف الفعل الذي ارتكبه تجاهه وانه قد بقي في بيلاغونيا مهجورا هكذا الا من جيوشه التي جلبها معه من المورة وعرف أن قوات الملك قائمة مع الحاكم نائب الملك لقتاله ، وكجندي حكيم ونبيل دعا قواده ، الكبار في الجيش ، وكل الفرسان من الفرنجة واليونانيين على السواء وبدأ يتكلم فيهم ويوجه اليهم الخطاب ، وحضهم بلطف وطلاوة ووا ساهم:« أيها الرفاق والأخوة والاصدقاء ، انتم يامن عندي كأولادي إن الرب في مجده يعرف مدى صدقي بما فعله أخي الامبراطور بنا ، فتخلى عني كطفل وا وصلني الى هذا وأنا لأجل محبتي له ، مرة أخرى لشرفي وانا أرى الموت والحرمان الذي هدد به من قبل نائب الملك ، وكان أخوه الذي أخذ منه والاشيا يسعى وراء الامبراطورية ، أخذت جيوشي أنتم يارجالي وجئت كحليف له لمساعدته ، وحالما جاء بي الى هنا الى رومانيا سلمنا لاخيه تماما كما فعل يهوذا عندما سلم المسيح لليهود ، وعليه أقول لكم ، وأتوسل اليكم جميعا الآن وقد أسلمتنا هذه الخطيئة لأعدائنا ، وأنتم تعلمون أننا بعيدون جدا عن المورة واذا كان لنا أن نهرب فاننا لن نحقق شيئا ، وسيكون شيئا بشعا أن يروى ذلك عنا في كل الدنيا أنه مع أننا جنود هربنا كالنساء والأحرى بنا أن نقف كرجال وجنود ذوي خبرة ، قبل كل شيء لحماية أرواحنا وهو أمر لازم ، وثانيا وبعد هذا أن نحافظ على ثناء العالم ، الذي يحبه كل من يحمل السلاح وان الذين جاءا لقتالنا قد التقطوا من كل مكان من أمم عدة (٦٩) وأريدكم أن تعرفوا ، ولاتدعوا أحدا يصدق أن القوات المسلحة المتنافرة المجموعة من أماكن عديدة يمكن أن يكون هناك أدنى اتفاق وتام فيما بينها ، ونحن من الجانب الآخر مع أننا قلة في العدد بالمقارنة

معها ، أننا جميعا معارف ورجال لنا روح واحدة ويجب أن يحب الواحد الآخر كأخوة (٣٩٩٣ ـ ٤٠١٧) لأننا اذا أحببنا بعضنا كما يجب فان كل واحد منا سيتحدى مائتين من هؤلاء الذين جاءوا هنا لقتالنا اني لست قلقا من أحد ، سوى من الالمان ، أنهم ثلاثمائة فقط ، ولهم أمير يدعى دوق كارنثيا (٧٠) وقد أبلغت أن الالمان سيشكلون أول سرية لهم تدخل المعركة ، فاذا قمنا بهجوم كجنود عقلاء بمقابلة زخم الهجوم الالماني واذا منحنا الرب والحظ ومباركة الاهل القدرة على تشتيتهم وهزيمتهم تماما سيكون لدينا الآخرون مثل الصقور والحجل ، وعليه أقول لكم فلتكن أول فرقة لدينا هي الأفضل وكلها من الرجال المختارين الذين يعرفون كيف يقاتلون وواعين للرأي العالمي ، وليكن قائدا عليهم وأميرا ابن أخي أمير كاريتانيا ، وأمل في الرب أولا ثم في شجاعته وبراعته الحربية أن يتصرف بحكمة وكجندي جيد » ٠

وكما قال الامير جرى ، فقد فصلوا سراياهم وأفواجهم لدى تجميع سراياهم وأفواجهم التي أعدوها ، وأخذ الأمير غوليوم وملك الروم ميدان بيلاغونيا (٧١) وكانت فرقتهم الأولى من الالمان (٤٠١٨ ـ ٤٠٥٧) وعندما رآهم أمير كاريتانيا المشهور ، انطلق رأسا نحوهم فوضعوا رماحهم في مواضعها ، وكان أول المواجهين الذي طعن أول طعنة رمح هو الذي كان يدعى دوق كارنثيا ، فضربه في الصدر فوق درعه وبجواده صدمة فوقع ميتا على الأرض ، ثم ضرب اثنين آخرين ممن كانوا من أقاربه وانكسر الرمح الذي كان يحمله ثلاث قطع ، وعلى الفور وضع يده على سيفه وبدأ يقاتل الالمان ، كل من جاءوا ضده ليقاتلوه ، وأطاح بكل هؤلاء فانطرحوا كالعشب فوق المرعى (٧٢) وعندما رأى الآخرون الذين كانوا معه ذلك ، احتشد الجميع بشجاعة حوله وذبحوا الالمان وقتلوهم .

وعندما رأى الحاكم نائب الملك من حيث كان يراقب أن الالمان قد تشتتوا واستولى عليهم الذعر هرول مسرعا الى حيث كان

الهنغاريون وامرهم بأن يطلقوا سهامهم على السرية التي اختلطت بالالمان وقال لهم بجرأة : « لاتبالوا أبدا بالالمان مطلقا لأنهم رجالنا لأني كما أرى وألاحظ أن هذا التنين أمير كاريتانيا يضغط عليهم بشدة ، واذا كان لكم ان تقذفوا الفرنجة فقط فانكم لن تنجحوا مطلقا في كسر هجومهم والأحرى أن تقذفوهم جميعا معا عند قتالهم لتقتلوا الخيول التي يركبوها حتى يسقط الفرسان عن خيولهم ، وحتى نقتلهم قبل أن يقتلونا ، واذا كان للالمان أن يموتوا معهم فان من الأفضل أن يضيعوا وحدهم بدلا من أن تضيع كل الجيوش ، وليكن الاثم علي ، فافعلوا كما آمركم » .

وفعل الهنغاريون كما أمروا ، وبدأوا يطلقون سهامهم نحو الفرنجة والألمان ، ومن الجانب الآخر جاء الكوما ن ، وأطلقوا معا سهامهم على شعب الفرنجة لماذا أخبركم بكل هذه التفاصيل وكيف لي أن أذكرها بكل دقة ؟ وذبحت كل خيول ومطايا (٤.٥٨ ــ ٤.٧٨) الفرنجة والألمان ، وسقط الفرسان ، سقط أيضا الفارس الرائع فخر الجند وعزتهم أمير كاريتانيا مع مهره ، وعندما رآه نائب الملك وعرفه أطلق صرخة قصيرة وركض نحوه ، لئلا يطلق أي شخص آخر سهما نحوه ليخترق جسده ، وقال له :« سيرجيوفري أمير كاريتانيا ، قبل أن يقتلوك ياأخي استسلم لي ، الي ياعزيزي ولن تجد خداعا » وأقسم له على سيفه فاستسلم ، وبعد أن استسلم أمير كاريتانيا الجندي الشهير سقط علمه حيث تسلموه ، والتقطه نائب الملك نفسه وأخذه وسلمه لشخص من حاشيته ليحتفظ به بعناية وليحرسه له .

وعندما رأى الأمير الشر الذي ارتكبه نائب الملك في بداية المعركة ، عندما اختلط أمير كاريتانيا والالمان وأخذوا يذبحون بعضهم بعضا جعل الهنغاريين والكوما ن أيضا يطلقون سهامهم نحوهم ليذبحوا خيولهم فأخذ معه سرية وركب نحوه ليساعده اذا أمكنه حتى لايتغلبوا عليه ، ولكن الاعداد الكبيرة من الروم وحشود رماة السهام (٧٣) ذبحت الخيول ، وسقط الفرسان ، وعندما

وجدوا انفسهم جنودا رجاله وسط الجيوش ، لم يستطيعوا فعل شيء ارادوا أو لم يريدوا ، وقبل أن يموتوا بدون حق في هذه الدنيا ، استسلموا جميعا كما فعل الأمير نفسه (٧٤) ولم ينقذ منهم سوى حشد الفقراء حيث هرب منهم كل من استطاع عن طريق والاشيا وتمكن بعض المشاة (٤٠٨٨ - ٤١٣٠) من الجنود من النجاة ونهبوا الى المورة وأسر الوالاشيون لخرين في والاشيا علاوة على الباقين الذين قتلوهم ونهبوهم ، وحالما انتهت المعركة وهزم الفرنجة أمر نائب الملك بنصب الخيام ، وكانت خيمة مقره ذات اربعة أعمدة وبعد نصبها ودخوله اليها أمر بحضور جميع نبلائه وقادته ثم أمر بإدخال الأمير غوليوم أمير كاريتانيا وكل الفرسان واخذ بيد الأمير باحترام وحياه بلطف وأجلسه بجانبه ، ثم قال « مرحبا ياأخي مرحبا يابن عمي ، كم كنت مشتاقا لرؤيتك كما أراك الآن تماما وباليد الأخرى أخذ أمير كاريتانيا وجعله يجلس الى جواره وعندما جلسا معا مع حشد الفرسان وملأ النبلاء الخيمة بدأ نائب الملك يخاطب الأمير : والآن بالمسيح أيها الأخ الطيب الأمير ويابن العم لابد انكم شكرتم الرب والقديسين شكرا جزيلا عندما منحكم الرب انتم وسلالتكم ان تكونوا سادة المورة وأن يكون لكم مثل هذا المجد وكان يجب أن تبقوا مستريحين في ولاياتكم وأن لاتسعوا الى حرمان الآخرين ، أخبروني بماذا أخطأت معكم وماهو الشر الذي أوقعته بكم حتى جئتم ضدي للاستيلاء على أملاكي ؟ زد على هذا لم يكفكم أن تزحفوا ضدي أنا جاركم وقد أعطيتكم أختي ، بل جئتم ضد أميري الملك المقدس لتستولوا على مملكته وتصبحوا ملوكا ، وفي هذا الامر لابد أنكم سمعتم وفهمتم أنه رجل أفضل بكثير منكم وأنه مسيحي حق ، والرب العادل الذي يحكم بالعدل قد أوقعكم في يديه وأصبحتم تحت سلطته ، وحيث أنكم سعيتم لتجريده من أملاكه ، فأنه سيخرجكم من المورة التي ليس لكم حق فيها ، انه السيد الشرعي لرومانيا ، وعندما تخرجون من السجن اذهبوا الى فرنسا حيث أملاككم الشرعية ، وبعد أن انتهى مما أخبرتكم به أجابه الأمير كرجل حكيم باللسان الرومي: (٧٥)

« سيدي نائب الملك وأخو زوجتي ان لك أفضلية أكبر مني في الكلام

والعمل بدرجة كبيرة ، لانني في سجنك وحتى لوحدث أن مت في مكاني ، فاني مع ذلك لن امتنع عن ان اقول ولو جزءا من الحقيقة ، أن الرجل النبيل يجب أن لايتفاخر ولاأن يلوم عدوه الذي شاء القدر أن يكون في سجنه كما تحتفظ بي وشيء آخر أسوأ هو أن يجد المرء عيبا في حالة يتحمل هو نفسه مسؤوليتها ويلام عليها ، اذا حاولت ياأخي ان أزيد فخري وثروتي ومجدي يجب عليك ان تمدحني ، لأن الرجل الذي يحمل سلاحا يجب عليه أن يزيد ثراءه وشرفه طالما أنه لايتصرف بغير حق ، يأخذ من أقاربه ويحرم اهله وأصدقاء اهله ، وعلى أي حال انا أمير وجندي صغير ، ولم ترني اهاجم قريبا لي ، ولاجارا مسكينا لي لآخذ ماهو له ، بل هاجمت ملكا وهو أمير عظيم لديه القوة والسلطان العظيم في العالم ويشتهر بشجاعته على كل الجنود ، وإنه لشرف لي وفخر أن اشتبك معه لانه ملك وأنا جندي صغير ، وعلاوة على ذلك إنه من عرق الشعب الرومي وليس بيني وبينه أية قرابة أشاطره إياها ، والآن أنت وانت الذي أخو الامبراطور وبالطريقة والوسيلة التي تعرفها أنت نفسك لم يكفك أنه أعطاك من أملاكه ما تملكه من أرض امارة والاشيا وهي أفضل قسم من مملكته ولكنك أردت أن تحرمه بالمرة وأن تأخذ منه مايملك وكل الامبراطورية ليصبح بائسا تعسا (٧٩) وحيدا في الدنيا ، وارتكبت حتى ماهو أكثر ، وهو عمل شرير لانك لم تكتف بقتاله كجار وقريب وبالطريقة المقبولة في العالم كله ، بل هرعت الى الملك السيد العظيم ـ ونهبت اليه لأنه عدو له وهناك خصومه معه ـ حتى يساعدك ويعطيك القوة والجيوش حتى تدمره وتحرمه تماما ، ولم يكن لائقا بك ياأخي ولابشرفك لأن الخطيئة والحظ في الحرب قد جعلاني أقع بين يديك وانا الآن في سجنك كي (٤١٧٣ ـ ٤٢١٢) تؤنبني بهذه الطريقة البشعة بلا حق وبلا سبب على أشياء ومشاريع لا شأن لي بها ، وهنا في حضور مثل هؤلاء الناس النبلاء ، وتتملص من الامور ومن مسؤولياتك وتضعها على راسي ، وهي أمور لاشأن لي بها ».

وعندما سمع نائب الملك كلام الامير وانه قد اجابه بكبرياء عظيم

ولم يبال بحقيقة أنه كان محتجزا لديه ، اكتاب جدا وحـزن حـزنا عميقا ، والواقع انه أصـبح غاضـبا جـدا مـن الأمير غوليوم (٧٧) ولولا مشاعر الخجل عنده أمام النبـلاء الذين كانوا حضورا من فـرنجة وروم لتـكلم وتصرف تجـاه الأمير بصـورة قبيحة ، والآن وعندما راى النبلاء الذين كانوا معهم مظاهر الغضب على سحنة نائب الملك عملوا بالكلمات والطرق اللطيفـة على تخفيف وقع كلماتهم وأوجدوا سلاما بينهما .

وبعد أن ارتـاح نائب الملك وجيوشـه في بيلاغونيا ـ وأمضـوا يومين في دفن القتلى والعناية بالذين جرحوا بمداواة جراحهم ـ أعد جيوشـه وانطلقـوا رأسـا الى القسـطنطينية حيث كان الملك (٧٨) وأحضر الأمير معـه بـطريقة تنطـوي على الاحترام ، وركب الى جواره وناما في المكان نفسه وتـابعا السـفر حتى بلغا المدينة،وبعد أن نزلا واتخذا مـراكزهما ، أخـذ نائب الملك الأمير غوليوم وهـو ممسك بيده الى القصر ، وكان الملك جالسا على عرشه يحف به النبلاء الأقل قـدرا ، وحيا الأمير وهـو جـاث على ركبتيه الملك كرجل نبيل وحكيم وأخذ الملك بيده وأنهضـه ، مـرحبا أيها الأمير بك وبحاشيتك . ورجاه أن يبقى معه برهة صغيرة ، ثم أمر الملك بأن يؤخذ من هناك ويوضع في السجن مع تشريفه ، ووضع أمير كاريتانيا (٤٢١٣ ـ ٤٢٦.) وقادة الفرسان الآخـرين مـع الأمير في سجنه حتى يشاطروه محنته ويواسونه ، مع القدر نفسـه من التشريف الذي فرضه لهم جلالة الملك ، وبعد أن أمضوا اسبوعا في السجن أمر الملك باحضار الأمير وكل الفرسان الذين كانوا معـه الى حيث كان الملك في القصر ، وقال الملك بنفسه : « انك أنت نفسك ايها الأمير رأيت ولاحـظت أنك في السـجن وإني وضـعتك تحـت سلطاني وإن شئت تركتك حرا أو شئت أوردتك حتفك ، وسأقدم لك هذه المعلومة فلا تكذبها ، لو كنت في المورة حيث كنت سيدا وكان لك أن تحاربني كما فعلت فإنك لن تكون قادرا على الصمود طويلا جـدا أمامي ، وسألقي بك خارجها سواء بالبر أو البحر وسأغزو أرضك وهي ولايتي بالوراثة ، حسـنا الآن انت هنا في سـجني ومعـك كل

قـواتك ، لو أني ارسـلت جيوشي الى هناك الآن ليعبـروا البحـر بالسفن ثم مرة أخرى عن طريق البـر عن طـريق الجزء القـاري الرئيسي ، وحيث أن ارضك مجردة من جيوشها فإنهم سـيأخذونها بسهولة وسـتخسرها وعليه أقـول لك ياأمير ، وأقـدم لك هــذه النصيحة ، طالما أهلك قد ناضلوا وانفقوا اموالا كثيرة للاسـتيلاء على المورة وقد فعلت أنت الشيء نفسه ، بعدهم وبدلا من فقد ماتملكه وبقائك محروما ، خذ من مـالي ـ سـأقدم لك هــدية عظيمــة القيمة ـ أنت وفرسانك الحضور هنا معـك ، وسـأطلق سراحـكم واتركم أحرارا تنهبون لشراء المدن في فرنسا لتكون لكم ولأولادكم دائما واتركوا لي المورة فهي من ممتلكاتي لاني اذا أطلقت سراحكم من سجني ، وبقيتم في المورة كما كنت من قبـل فـانكم وأولادكم لن يتحقق لكم السلام مطلقا ولا الراحة التي تأكلون فيها خبزكم » .

وسمع الأمير كلمات الملك وفـكر كيف يجيب حتـى لايقـع في أي خطأ ، وحالما تكلم الملك وانتهي من قوله بـدأ الامير بـدوره الكلام معه « ايها الامبراطور الملك المقدس ، اني استعطف قـوتك ، وأنا الرجل الغريب غير المجرب ، أن أحصل على اذنك في الاجابة وحيث أن سلطة جلالتك أيها الامبراطور تتطلب مني أن أسلم اليك الأرض مــع الســلطان الذي املكه في المورة ياســيدي في مقــابل ما (٤٢٦١ ـ ٤٣٠٧) تعطيه لي ولرفاقي من مــال ، لنمضي الى فرنسا التي نملكها ، ونشتري الأرض ونبقى فيها وتبقى لكم المورة وهي من ممتلكاتكم ، ان من سلطتي وقـدرتي على الرد أن أعطيكم فقط الجـواب الذي سـأقوله فتقبله كحقيقـة ، لأنك لو ابقيتني في السجن خمسة وخمسين عاما فلن تحصــل مني على غير هــذا الذي يمكنني أن أخبر به جلالتك : إن أرض المورة هــذه الآن يا سـيدي ليست من ممتلكاتي ولاهي ورث لي من أجدادي لاملكها ، مع سلطة التخلي عنها وجعلها هدية لك ، لقد أخذت هذه الأرض من قبل أولئك النبلاء الذين جاءوا الى هنا الى رومانيا من فرنسا مع أبي كأصدقاء ورفاق ، لقد أخذوا أرض المورة بالسيف وقسموها بينهـم بـالوزن والميزان ، وأخذ كل منها حسب مـرتبته وبعـد ذلك انتخبـوا أبـي

باعتباره الاحكم والاكثر امانة بينهم وجعلوه قائدا على الجميع ، وبالاتفاقات المكتوبة وماضمنوا من الشروط لم يكن لديه سلطة الحكم وحده ، او ان يفعل شيئا للشعب دون مشورة المجلس وارادة كل رفاقه وعليه يا سيدي الملك ليس لدي سلطة التخلي عن ذرة واحدة من الأرض التي أملكها لان اسلافي كسبوها بالسيف طبقا لعاداتنا التي اشترطوها فيما بينهم ، ومع ذلك كما هي العادة التي يتبعها الجنود الذين يأسروهم في المعركة ويبقونهم في السجن فانهم يفتدونهم بالمال والهيبربيرا فدعوا سلطة جلالتكم تقرر حسب منزلة كل منا نحن الذين هنا مايجب على كل ان يعطي ليفتدي نفسه ويخرج من سجنكم واذا أيدت سلطة جلالتكم هذا فإن كلا منا أيها الامبراطور سيبذل مايمكنه من جهد ويقدر على دفعه ليفتدي نفسه ويخرج من سجنكم ، واذا بدا لكم انه من الافضل لكم يا سيدي ان لاتتصرفوا معنا بهذا الاسلوب فنحن هنا في سجنكم ، ولتكن مشيئتكم » .

وبسماع هذه الكلمات ، غضب الملك جدا وقال للأمير بغضب شديد : « يا أمير واضح جدا أنك فرنجي لأن فيك الرعونة نفسها التي لدى الفرنجة ، إن غطرسة الفرنجة تؤدي بهم دائما إلى الضلال وإلى ضياع آمالهم ، تماما مثلما جعلتك (٤٣٠٨ ـ ٤٣٣١) رعونتك أنت أيضا تقع بين يدي وهنا في سجني ، وأنت تقول وتتوقع بغطرستك أن تخرج من بين يدي ومن سجني ، أقسم لك بالرب وكماله ، وخذ ذلك كحقيقة ، أنك لن تبرح من هنا مطلقا في حياتي مقابل الديناري ولن تشتري نفسك بالمال ، ولن تبرح مقابل الثروة » .

وأعطى الملك أوامره على الفور بالامساك به واعادته إلى السجن حيث كان ، تماما كما سمعتموني أقول وأخبركم ، وعندما سمع كل الفارنجيون والروم الذين كانوا في حضرة الملك كلامه ، أمسك الحرس بالأمير بعجرفة وألقوا به في السجن حيث كان ، وأمضى

هناك مع جميع رجاله ثلاث سنوات بذل خلالها جهودا عظيمة لافتداء نفسه بمبالغ من الهيير بيرا (٧٩) ٠

وعندما رأى وعرف هـو ورجـاله أنه لا بـالهييربيرا ولا بـالثروة سيتحرر ويخرج من سجنه ، وبالمشورة ورغبة أمير كاريتاينا وقادة الفرسان الآخرين أبرم هذا الاتفـاق : أن يعطي الملك مـن أجـل حريتهم قلعة مـونمفاسيا وقلعـة مين الكبيرة . وثـالثة وهـي الأجمل (٤٣٣٢ ــ ٤٣٧٦) قلعة ميستراً بقصـد وفهـم أن يطلق سراحه مع رجاله ، مع كل من كانوا معه صغيرهم وكبيرهم ، وحالما تقررت هذه الاتفاقيات دونت وعززت بالقسم .

وكان الملك ابن صفير ينتظر العماد ، فطلب من الأمير أن يصـبحا أقارب بهذا العماد . وفي الاتفاقيات التـي أبـرمها ضـمن هـذا أيضا : أنه لن يكون هناك حرب بينهما بل سيحافظان على السلام ، واذا هاجم أحد أيا من الاثنين أو شـن عليه حـربا أو سـلبه ، فإن الآخر سيساعده بكل قوته .

وعندما وطدا هذه الأمورالتي أخبركم بها وجـه الأمير والآخـرون ممن كانوا معه أمير وأمروه أن يذهب إلى المورة لتسـليم الحصـون التي كتبتها هنا ، إلى وكلاء الملك ، الذين سـيأخذهم معـه ، وقـد أبرمت سرا المعاهدة التي أرويها لكم من قبـل الأمير ومشـاوريه في ذلك الوقت بنية وقصد وهدف : أنهم حالما يتحـررون مـن سـجنهم سيفعلون شيئا ببراعة ومهارة ليستعيدوا مرة أخرى القـلاع التـي سلمها ، وحيث أنهم لم يكونوا يصلحون لأي غرض آخر غير هـذا ، خرج هو ورجاله من السجن ، وذلك القسم الذي أقسمه في السـجن حيث كان لم يلزمه بأن يكون محسوبا كما كانت باليمين ، طبقـا لما تشترطه الكنيسة وما يقوله الحكماء .

وترك أمير كاريتانيا ، الرجل الشهير المدينة مـع ممثلي الملك الذين أرسلوا لتسلم القلاع ، ورحلوا عن رومانيا بطريق البر وساروا عبر

والاشيا ونهبوا إلى طيبة ، وهناك وجدوا أن الأمير العظيم قد وصل في ذلك الوقت من مملكة فرنسا ـ حيث أرسله الأمير غوليوم كما سمعتم هنا ـ مع التشريف والمرتبة التي أعطيت له من الملك وأن يخاطب ويذكر كدوق أثينا ، وعندما رأى الدوق أن ابن حميه أمير كاريتانيا (٨٠) قد وصل ، وهو ما كان يتوق اليه ، كان سعيدا جدا كأخ له ، وعندما سأل وأخبر من قبله بأن الأمير غوليوم وافق لكي يخرج من سجن الملك على تسليم حصن مونمفاسيا (٤٣٧٧ ـ ٤٤٠٥) وحصن مين الكبير وحصن ميسترا للامبراطور ليملكهم ـ رفض هذا بشدة وحزن حزنا شديدا ، وبكى بصوت عال ، وأخبره بوضوح أنه لا يرضيه بأي طريقة بالمرة أن يأخذ الامبراطور القلاع الثلاثة ، لأن الملك عندئذ سيكون عظيم القوة وسيرسل جيوشه برا وبحرا ليخرجنا من المورة ويأخذها لنفسه ، وبقى أمير كاريتانيا مع الدوق ، وأمضى أسبوعا هناك في طيبة ، حيث تناقشا واحتفلا كرجال طال اشتياقهما واشتد ليرى كل منهما الآخر ، وليحتفلا معا ، وبعد ذلك انطلقا سوية وعبرا من كورنث ونهبا إلى نيكلي ، وهناك وجدا الأميرة مع كل السيدات من كل البلبونيز التي تدعى المورة ، اللائي اجتمعن معا للتشاور ، حول الروايات التي سمعتها حول تلك القلاع الثلاثة التي (٨١) أعطاها الأمير للامبراطور ، ليخرج من السجن هو وكل قواته ، ومعهم كل رجال المورة وكل قادة الفرسان والفرسان الذين كانوا هناك في المدينة ، ولهذا السبب كانت النبيلات من زوجاتهم مع الاميرة في قلعة نيكلي يعقدون برلمانا ويتشاورون ، ولم يكن معهن من الرجال سوى السير ليوناردو الذي كان اللوغويثت والرجل الحكيم والسير بيريديفو الذي كان أحكم رجل في كل الامارة(٤٤٠٦ـ٤٤٤٠) وكان هذان الاثنان حاضرين هذا البرلمان (٨٢) .

وعندما وصل الأميران ، دوق أثينا وأمير كارتيانا ، اتخذا على الفور مراكزها من مدينة نيكلى ، ثم نهبا رأسا ليريا السيدات اللاتي كن جميعا من القصر مع الأميرة ، وعند رؤيتهما حيتهما

الأميرة بلطف ، وبدأت تستجوب أمير كاريتاينا حول صـحة الأمير وأتباعه من سجن الامبراطور وعن الفعل الذي ارتكبوه ليخرجوا من السجن ويعودوا الى بيوتهم ، وبدأ امير كاريتـاينا يعيد رواية كيف ان الأمير وقادة فرسانه قد بذلوا جهودا عظيمة للخروج من السـجن باعطاء المال ، وأن الملك قد أقسم لهم بروحه بأنهم لن يخرجوا مـن هناك بالهدايا والمال ، وأنهم مع لهفتهم الخروج من سجنه تـوصلوا الى اتفاقية اعطوه القلاع الثلاثة وهذه فقط : قلعـة مـونمفاسيا ، وقلعة مين الكبيرة وأيضا قلعة ميسترا ، التي تملكها ملكا خـاصا ، وصنعوا سلاما قويا وعلاقة قرابة بالتعميد ، مـع القسـم الذي أكد بانهم لن يدخلوا حربا أبدا وعليه اجاب الأمير العظيم نفسه وقـال للأميرة وكل الأساقفة الذين كانوا في ذلك البرلمان الذي أخبرتكم به : إن الحقيقة التي يعرفها الصغير والكبير ، هي أني خضت الصعاب مع سيدي الأمير لاني قلت إنه كان يطلب مني بصورة غير قـانونية أن أصبح تابعا له وأن أحصل منه على الأرض والامارة التـي هـي ملك خاص لي ، ولقد حملت السلاح لخوض الحـرب معـه ، ولكني عرفت بعد ذلك أني ارتكبت جريمة ضـده وقمـت بـالتعويض كمـا اشترط هو نفسه .

ولهذا السبب ربما يعتقد بعضكم أني خصم لسيدي الأمير فيمـا أخبركم به (٤٤٤١ ـ ٤٤٩١) ولكني أقول الصدق فخـذوه مني ، اذا أخذ الملك هذه القـلاع الثـلاثة فإنه لن يتمسـك بـالقسم الذي أقسمه ، وسيرسل هنا ضدنا جيوشا وقـوات كثيرة تخـرجنا مـن هنا ، وتحرمنا أملاكنا . وعليه ، ربما تدركون اخلاصي الطيب ، إني أقول وأؤكد بأني سأفعل هذا : سأدخل السجن وليخرج الأمير ، أو اذا كان الامر أمر افتداء له مقابل مبالغ من الهيربيرا فاني سأرتهن أرضي مقابل الديناري ، ولتدفع هكذا فدية سيدي الأمير .

ثم نهض أمير كاريتانيا وقال للأميرة أمام الأمير العـظيم : إن كل ما يقـوله الأمير العـظيم هنا ، قلناه هناك في سـجننا ، والمخـاطر والمخـاطرات التـي يمـكن أن تتبـع . ولكن لأننا رأينا أن عناد

الامبراطور كان تصميما ، فقد تكلمنا عن ذلك بين أنفسنا واتفقنا عليه : وقلعة مونمفاسيا كما يعرف الجميع كان سيدنا الامير هو نفسه قد كسبها وهو الذي بنى مين وميسترا ، وسيكون اثما وعارا أن يموت هو واتباعه في السجن من أجل القلاع التي كسبها وبناها هو نفسه ، فقط لنجعله ينجو من عذاب السجن الذي هو فيه وبعد ذلك سيساعدنا الرب في الاستيلاء على قلاعه لتعود اليه ، وعليه أقول لكم وخذوا هذا عني ، ليس لاي رجل في الدنيا لاالكلمات والاعذار التي قد يتفوه بها أحد ، أن تجعلني أترك سيدي وأميري يموت في السجن ، وسأنفذ الامر الذي أعطاه لي بتسليم قلاعه حتى يتحرر من عذابه ، وعندما يخرج من السجن ، فليساعده الرب ». ثم تكلم الأمير العظيم نفسه مرة اخرى مع أمير كاريتانيا وأجابه هكذا : « بالمسيح ياأخي الطيب ، أقول لك الصدق ، لو علم الامبراطور واخبر بأننا لن نسلم له القلاع التي يطلبها ، فانه لن يرش الامير بالملح ويأكله ، بل سيأخذ الهيربيرا ليطلق سراحه ، وعلاوة على ذلك أقول لك وخذ هذا كما تشاء أنه اذا فكر الامير فيما يمكن أن يتبع لكان من الافضل له أن يموت بنفسه كرجل واحد بدلا من يفقد بقية فرنجة المورة املاكهم التي كسبها اهلهم بالمشقة مثلما فعل المسيح ، الذي ذاق الموت ليخلص أرواح الجنس البشري من اللعنة الابدية ، حيث كان على الجميع أن يذهبوا ، من الافضل أن يموت واحد بدلا من أن يموت الالوف من أجله إني أفرغ ما بذهني (٤٤٩٢-٤٥١٥) وأقول الصدق وافعل انت ياأخي ما أمرت بفعله » .

والآن بعد (٨٣) أن انتهى البرلمان ، انطلق أمير كاريتانيا الذي كان يحمل المذكرات (٨٤) التي اعطاه الأمير اياها ليقدمها الى امار القلاع ، انطلق من نيكلي واخذ معه ممثلي الملك ، الذي أرسل معه ليعطيه القلاع نيابة عن الملك ، وذهب إلى ميسترا التي سلمها اليه أولا ، ثم مونمفاسيا وثالثا إلى مين . وحالما سلم القلاع التي ذكرتها عمد إلى أخذ رهينة ليسلمها إلى الامبراطور تكونت من ابنة أمير باسفا ، الذي كان مارشالا لكل الامارة ، وكان يدعى السير

جين دي نويلي وهذا لقبه ومعها أخت خو ديرون الذي كان المفوض الأكبر للامارة كلها ، وذهبت الاثنتان إلى المدينة رهينة وأطلق سراح الأمير والفرسان ، وكل قادة الفرسان الصغير والكبير ، وذهبوا إلى المورة بسرور كبير (٨٥) .

وعندما ذهب الامير إلى المورة في ذلك الوقت ، استقبله الجميع استقبالا (٨٦) حسنا ، وحيث أنه كان نافد الصبر في انتظار رؤية وتفتيش (٤٥١٦ ـ ٤٥٥٣) قلاعه ومدنه التي كان مغرما بها لم يرد اضاعة أي وقت هناك بالمرة ، فأخذ الفرسان الذين كانوا برفقته وسافروا معه يفتشون القلاع والمدن وذهب مباشرة إلى ليكيدمونيا ، وطالما كانت له الرغبة والميل لرؤية المورة ، فإنه لم يسافر وحده كجندي مسكين ، بل ذهب كأمير مع مرافقة جيدة الى تلك الأماكن التي أحبته وافتقدته ، وأسرع الجميع للسفر في معيته وحمل بعضهم السلاح وكان بعضهم بلا سلاح ، وعندما رآهم الروم ، ممثلوا الامبراطور من أعلى قلعة ميسترا ظنوا واستنتجوا أن الفرنجة كانوا يسعون لقتالهم ، أي لقتال الرومان ، فأخبروا قادة الدرونغوز ، من الميلنغز وتوصلوا إلى اتفاق واقسموا أن يقفوا مع الامبراطور وأن يتذكروا الفرنجة ، وأرسلت الرسل إلى الكانتاكوزينوس (٨٧) ، وهو قائدهم ، حيث كتبوا له وأكدوا وأبلغوه أن الأمير قد جاء مع كل جيوشه وأنه قد أعلن الحرب ضد الامبراطور ، وصدق هذا وجهز سفينته ، وبعث بالرسل فذهبوا إلى المدينة حيث الامبراطور وأبلغوه أن أمير المورة غوليوم ، قد حنث بقسمه وبدأ الحرب من ليكيدمونيا بكل جيوشه ، وبدأ ينهب أراضي الامبراطور (٨٨) .

والآن عندما سمع الامبراطور الباليولوغوس العظيم صدق هذه الأشياء التي أخبرتكم بها ، التي رواها له حاكمه (٨٩) من مونمفاسيا ، ودهش بدرجة عظيمة وسيطر عليه أن الأمير غوليوم قد حنث بهذه السرعة بقسمه الذي أعطاه له وبدأ حربا ساخنة في المورة . وعليه ذهب إلى تركيا واستأجر الاتراك كمرتزقة ،

واستأجر ١٥٠٠ من القوات المنتخبة (٤٥٥٤ - ٤٥٧٧) وذهب حوالي ٢٠٠٠ من الاناضوليين معهم .

وعين ابن عم له كقائد على كل أولئك الذين سمعتموني اذكرهم ، وكان يدعى ماكريذوس (٩٠) واستدعاه وأمره أن يأخذ الجيوش التي وضعها تحت أمرته ويذهب إلى المورة لمتابعة الحرب والقتال لقريبه بالتعميد ، ذلك الذي يدعى الأمير غوليوم .

واصدر اليه أوامره وطلب منه أن يخبره بكل ما يحتاجه من أموال لاستئجار القوات ولمكافأة أي من رجاله ، وعليه أن لا يكون مترددا أو بخيلا أو مهملا بأي شكل ، بل أن يهرع في لهفة لغزو الارض . « لأنه ما دام الامير قد بدأ الحرب في حين أننا معا قد أقسمنا على المحافظة على السلام ، إن عليه الاثم وعليه اللوم » . لقد ختم له بخاتمه الذهبي بعض الأوراق البيضاء وقال له : يا ماكريذوس خذ هذه معك واذا وجدت ضرورة منح اقطاعات أو هبات فافعل حسب الجدارة . التي تتوسمها من كل رجل ومر بأن يدون هذا على هذه الأوراق » .

واحضر إلى كبراء الدرنغوس وزعماء الفاردا ليفوس (٩١) ، وأيضا إلى كبراء تساكونيا وعدا بأنهم سيمنحون خرز بول يؤكد منح المزايا للجميع اذا (٩٢) ما حملوا السلاح وأنهم لن يكلفوا بالسخرة ، لقد صعدوا إلى ظهور الشواني والناقلات والقوارب ، وذهبوا (٤٥٧٨ - ٤٥٩٣) بحرا إلى مونمفاسيا بطريق البحر (٩٣) ، وبهذه الطريقة كما أقول لكم وكما أكرر عليكم بدأت الحرب في المورة حيث تحارب هذان الاثنان ، الامبراطور والأمير ، اللذان كانا مع ذلك أقارب بالتعميد .

وعندما وصل ماكريذوس الى مونمفاسيا نزل مع قواته من السفن . وذهب رأسا الى ليكيمونيا مع الجيوش ، وسأل عن أسماء أمار القلاع ورؤساء الجماعات في درنغوس الميلنغز والتساكونيا وبعث

بالوثائق اليهم باسم الامبراطور وجعل بعضهم سيفاسنوا والقادة حتى تزادستيدز (٩٤) واستسلمت فاتيكا كما فعلت تزاكونيا ودرانغوس الميلنغز وأراضي غيبيسترا وفي الحقيقة ثارت لصالح الامبراطور (٩٥) ٠

وعندما عرف الأمير الأخبار وأن ماكريذوس وصل وبدأ الحرب وكان ينهب ويخرب المدن بشدة ، بعث بالرسل الى الأمير العظيم الى يوريبوس والى الجزر ، ليأتي قادة الفرسان مع جيوشهم لمساعدته فعصوه ولم يذهبوا الى هناك (٩٦) ، وغضب الأمير منهم ، وأخذ ماتوفر له من الجيوش في المورة وذهب الى قلعة نيكلي بالقوات التي معه ، وعندما سمع وعرف أن تساكونيا وفاتيكا ودرنغوس السلاف قد ثاروا نصح بأن لايهاجمهم لأنهم كانوا قوات كثيرة وكان ماليه منها قليل ٠

ولكنه نصح بحماية القلعة ، وبأن يمونها ويحصنها جيدا ، وأن يذهب هو بنفسه الى كورنث ليجبر الأمير العظيم هو وأمراء يوربيوس الثلاثة وماركيز بودونيتزا وأمراء الجزر على الحضور بسرعة ، وحالما أعطي هذه المشورة ، ذهب الى كورنث ، وكان أمل الامير الموثوق وتوقعاته ان يدخل في معركة مع قائد الامبراطور ماكريذوس هذا إن وجده في الميدان ٠

وعندما رأى ماكريذوس هذا ، أنه عند الضربة الأولى استسلمت الاماكن التي أدرجتها لكم ، له جلس وكتب الرسائل وبعث بالرسل الى الامبراطور الذي كان في المدينة ، يروي له أنه ذهب الى المورة بجيوشه وأن الرب ومباركة الامبراطور قد منت عليه يكسب ثلث المورة بدون ضربة سيف ، وعليه ، إذا أرسل اليه الملك عددا كبيرا من الجيوش أكثر مما سلف إعطاؤه له ، فإنه برجائه في المسيح وبمباركة الامبراطور سيربح كل أرض المورة له / (٩٧)

(٤٦٢٩ ـ ٤٦٦٥)

وبسماع هذا ، كان الامبراطور سعيدا جدا ، وعليه دعا الدمستق الكبير الذي كان أخا له وقال له : أخي » أريدك أن تذهب من هنا الى المورة وأن تأخذ معك ألف رجل من الخيالة تنتقيهم ، وصبوا الاجور للمرتزقة والهيربيرا ، وأعطوهم ما يريدون ودع كاتا كونزيذوس أيضا يذهب معك لأنه جندي جبير وشهير ، وانهبوا بأسرع ما يمكنكم لمساعدة ماكريذوس الذي أرسلته من قبل للاستيلاء على المورة .

واذ سمع الدمستق الكبير الامر الذي أعطاه له أخوه الامبراطور بنفسه أسرع لتجنيد زهرة رومانيا ، وصعدوا الى ظهر الشواني والناقلات ووصلوا الى مونمفاسيا في خمسة عشر يوما . والآن بعدما نزل الدمستق الكبير أخو الملك في مونمفاسيا سأل عن المكان الذي يمكن أن يجد فيه ماكريذوس فأخبر بأنه متمركز في ميسترا مع جيوشه ، ومنها كان يحاصر ليكيمونيا ، » وهو ينتظر جلالتكم يوما بعد يوم ، يا سيدي » . وعند سماع ذلك أسرع بالذهاب الى ليكديمونيا وانضم الى ماكريذوس وتشاورا معا حول كيفية التقدم ، وعلما بأن الأمير كان في كورنث وشكا في أن تكون قواته معه ، وعليه أعطيت المشورة بأن يذهبا الى المورة حيث سيجدون الأرض غير محمية فيأخذونها وقسموا السرايا في الجيش ، وكان لديهم ٦,٠٠٠ فارس شكلوا منها ثمان عشرة سرية كانت كل ثلاث منها تضم ألف رجل . وكان لديهم من الجنود المشاة ما يفوق الحصر ، لأنه كان لديهم قوات غارد ليفوس الى جانب تلك التي من تساكونيا من الدرنفوس الملنغز وقوات من حين الكبيرة (٩٨) وثار الاسكورتدو وانضموا اليهم .

وانطلقوا خارجين ومروا عبر منطقة (جبل) هلموس (٩٩) ووصلوا الى فيلفوستي أقاموا معسكراتهم ، وأحرقوا الربض (١) وتركوا القلعة فقط ، وفي اليوم (٤٦٦٦ – ٤٦٨٧) التالي دخلوا سهل كاتيانيا ، وامضوا الليل بجانب الغدير (٢) ، وانطلقوا صباح اليوم التالي وذهبوا الى ليودورا وذهبوا رأسا في اتجاه انحدار نهر

الفيوس ، وذهبت سرية من الاتراك الى ايزوفا (٣) وحرقت الدير ، انظر أي عمل شرير جرى ومن هناك ذهبوا راسا الى برينتسا وعسكروا هناك ونصبوا خيامهم ، والآن وقد رأى الاسكورتدو العدد الكبير من الجيش استسلموا بسرعة وارتكبوا بذلك خطأ كبيرا - وعملوا لهم كمرشدين وصحبوهم .

والآن عند هذه النقطة أترك الكلام هنا واتكلم عن الدمستق الكبير وجيوشه وسأخبركم ، وبدقة عن المعركة التي جرت في ذلك الوقت في برينتسا (٤) لقد هزم ٣٠٠ من الفرنجة هذه الجيوش ، كما أنوي أن أقص فيما بعد في كتابي ، وعندما ذهب الأمير الى كورنث في ذلك الوقت من أجل الترتيب لمجيء دوق أثينا والأمراء الآخرين من الجزر مع جيوشهم (٤٦٨٨ - ٤٧٢٥) لمساعدة الأمير حتى يقاتلوا الدمستق الكبير مع جيوشه ، وبقي في المورة كنائب شرعي له السير جين دي كاتافاس وهو أحد فرسانه ، وكان رجلا حكيما عالي الخبرة ، وجنديا شجاعا ومحترفا للسلاح ، وكان ذا بلية مروعا لاصابته بالروماتزم ، ولم يكن يتمكن من الامساك بسيف أو رمح (٥) وعندما علم بالمعلومات بأن جيوش الملك التي كان الدمستق الكبير يقودها ، كانت قادمة ، بذل جهودا عظيمة ، وجمع من سهل المورة أكبر عدد ممن استطاع جمعه ، وحالما جمعهم قدر العدد الذي كان به وكان الموجودون ٣١٢ فقط فأخذهم وذهب الى جوار كرستينا ، وهو يبحث ويستعلم عن مكان وجود جيوش الامبراطور التي كانت تغزو سهل المورة . وعندما علم بأنهم قد وصلوا الى بيرنتزا دخل وادي رافد الالفيوس ليسر بجانبه . وعندها وجد علامات مسامير (الاحذية) لذلك الجيش فتتبعها ، وعندما وصل الى دهليز ضيق يدعى عند الفريدي لكودوبيدسا (٦) ، ورأى الحقول مليئة بالجيوش - وكان الوقت ما يزال مبكرا ذوعاما ، ساعة الفجر - هاجموا تلك الجيوش فجأة ، ولم يفقد السير جين ديكاتافاس الجندي المهول شجاعته في الجيش الذي كان من الممكن أسره ، وأصبح متهللا ودعا رفاقه وبلهفة كبيرة تحدث اليهم بهذا القول الحكيم : « أيها السادة والأصدقاء والاخوة والرفاق

المحبون ، إنكم جميعا يجب أن تبتهجوا وتحمدوا الرب حيث أتى بنا الى مثل هذه النقطة المواتية ، بهذه الجيوش العديدة التي تفوق الحصر حتى نهزمهم .انتبهوا أيها الاخوة الطيبون ويجب ألا يخشاهم أحد منكم لأن هناك العديد من القوات ، والسبب الذي ساقوله لكم ، إن الأفضل لنا أن نقاتل هؤلاء ، من أن يكونوا أقل ولكن من عرق واحد ، إن هؤلاء أجانب كليا ومن أراض مختلفة (٤٧٢٦ ـ ٤٧٧٦) وبلا خبرة في قتال رجال الفرنجة ، ودعونا لا نتردد لحظة لئلا يكتشفونا وبانقضاض مفاجيء دعونا نهاجمهم برماحنا ، إن خيولهم كلها أفراس هرمة وإن واحدا من خيولنا يسقط ١٥ منها في كل مرة . وعلاوة على ذلك أقول هذا أيها الأخوة اني اذكركم بالجهد الذي يبذله أمراؤنا وأهلونا من أجل احتلال الأراض التي نملكها . وإذا لم نستعمل ارادتنا هذا اليوم ليدافع كل منا عنها بحياته ولنريهم بالسلاح أننا جنود مسلحون فلن ننقذ في الوقت نفسه أملاكنا ، إذا لم نتصرف بهذه الطريقة التي اخبركم بها (٧)

يجب أن لا نعتبر من رجال السلاح ، أو أن نملك اقطاعات ، ولا أن نشرف في العالم . وفي العام الثاني فكروا أيها السادة والرفاق أنه إذا منحنا الرب وحظنا أن نهزم هنا أخا الملك وتلك الجيوش بالقتال وبالسيف فإنه طالما بقي الفلك على جبل ارارات سيبقى طويلا اطراء هذا اليوم ، الذي سيضفيه علينا كل من سمع به . والآن فإني كما تعرفون وترون غير قادر على حمل السيف أو الرمح او الوقوف في المعركة التي أخوضها ولكني قد أبدي الحماس نفسه مثلكم ، وسأحمل راية الأمير وستربطوها في يدي حتى أحملها بثبات ، إن بامكاني أن أرى خيمة الدمستق من هنا واقسم لكم بالمسيح أني سامضي اليها رأسا . وكل من يراني أتردد أو أبدي أي خوف فاني اعتبره عدوا للمسيح أن لم يمزقني على الفور .

وكان الدمستق الكبير جالسا في خيمته فوق رابية صغيرة في قرية بريندتزا ، (٨) وحالما ظهر الفرنجة فجأة ، قال هذا

القول ـ وقاله هو بنفسه : « أرى فطورا صغيرا حقيقا قد جاء نحونا » ، وأمر ثلاثة سرايا فقط بالركوب والخروح ، ألفا من القوات الراكبة لمواجهة الفرنجة ، وركبوا بسرعة وهاجموا الفرنجة وقابلوهم بصدمة الكل بر احهم ، وفي هجمتهم الأولى سقط ثلث الفرنجة عن خيولهم لأنه كان مقابل كل واحد من الفرنجة عشرة رماح رومية اسمعوا (٩) وبتأييد المسيح ، إن أحدا من الفرنجة (٤٧٦٨ ـ ٤٨٠٩) لم يتلق طعنة من رمح ولم يجرح أحدا ، وأولئك الذين سقطوا عن خيولهم عادوا اليها بسرعة وامتشقوا سيوفهم وبدأوا يقتلون الروم ، ومضى وقت طويل ضاع الفرنجة فيه عن النظر ولم يعد يمكن تمييزهم من بين الروم ، ومعهم كان السير جين دي كاتافاس وأخبركم أنه عندما نهض الفرنجة من حيث سقطوا وحيث ألقى بهم العدد العظيم من الروم أرضا أخرجوا سيوفهم الصغيرة من أغمادها وبدأوا القتال ، وذبحوا الروم كما يحصد المنجل من المروج ، وضاع الفرنجة بين الأعداد العظيمة ولم يعد الدمستق الكبير يراهم بالمرة من حيث كان يجلس في خيمته ، ولكن السيرجين كاتافاس ذا الذاكرة المباركة لم ينتظرهم حتى يقاتلوا الفرنجة ورأسا جهد مرة بعد أخرى ليصل الى الخيمة التي رأى من بعيد أنها كانت خيمة الدمستق ورأى بعض من اشترك في هذه المعركة وشهدوا أنهم رأوا فارسا يمتطي حصانا ويحمل سيفا مجردا ويشق الطريق دائما حيثما كان الفرنجة . وقالوا وأكدوا أنه كان القديس جورج وأنه أرشد الفرنجة وأعطاهم الشجاعة في القتال ، وقال آخرون إنه الثيوتوكس المقدس الذي كان في ايزوفا ، الدير في أحرقة الروم في رحلتهم ، فكان غاضبا ، وما يزال بعضهم يقول إنه بسبب الحنث باليمين الذي أقدم عليه لمهاجمته الأمير بسبب كلمات غير صادقة وروايات لا أساس لها ـ فإن الرب والثيوتوكوس المقدس قد غضبا وأعطيا النصر للفرنجة وكانا غاضبين من الروم .

وبدأت المعركة في الساعة الأولى ووصل الفرنجة في ساعة

الظهر الى الخيمة حيث كان الدمستق الكبير يجلس وعينه بلا انقطاع على الجيش ليرى ما يجري لفرنجة المورة ، ولم ير فرنجيا واحدا بل الروم فقط فرفع يديه (٤٨١٠ ـ ٤٨٤٧) يحمد الرب ويفسر هذا بأن الفرنجة قد فقدوا . وهكذا بينما كان يقف وهو يحملق في الجيوش ظهرت أمامه فجأة أعلام الفرنجة وعرف أعلام جيش الفرنجة ، وكانوا يتقدمون نحو الخيمة التى رأوا أمامها صولجان أخي الملك الدمستق الكبير فأرسل صرخة صغيرة ثاقبة بأعلى ما أمكنه ، في الغلمان الذين كانوا يتولون خدمته :« أنهم هناك أحضروا حصاني يا أغبياء (١٠) أيها التركمان ، أنظروا الى أعلام الفرنجة الذين تغلبوا علينا ».

ولكنهم عندما رأوا السيوف المجردة التي كانت تتقدم نحوهم ـ وكان يحملها الفرنجة وهي مضرجة بدماء الروم ـ سعى كل منهم لينجو بنفسه ، وعمدوا الهرب الى أي مكان استطاعوا بلوغه . وركض واحد كان حصيفا ومحبا لشرفه ليحضر حصانا كان واقفا وهو مسروج بالفعل ، وكان أفضل ما لدى الدمستق ، وساعد سيده الذي ركبه بقفزة ، ووجد أحد سكان هذه الأرض ممن كان يعرف ويألف أرض بريندتزا . فأرشده وصحبه ، فذهبا من ليفتزا الى كابيل (١١) مسافرين عبر أماكن وعرة برية حتى لا يكتشفا ، وشقا طريقهما بحذر وبراعة حتى وصلا الى ميسترا ، وهي التي كان متلهفا لبلوغها.

وعندما رأت جيوش الرومان التي كانت في بحرنيتزا أن الفرنجة وصلوا الى خيمة الدمستق وأسقطوا صولجان الملك ، استدار الجميع للهرب ، ولم ينتظر أحد ليرى الآخر يذهب . لماذا أخبركم بكل هذا التفاصيل ومن الذي يكتبها كلها؟ وكف الفرنجة عن ذبح الروم ، ووجدوا عائقا مخيفا في غابة برنيتزا ، تلك المنطقة الصعبة والكثيفة الاشجار ، وفيها دخل كل الروم الذين هربوا فنجوا ، إذ أنه لولا وجود هذه الأماكن الصعبة التي اخبرتكم عنها هناك ، وقد توصلت الى هذا

الاستنتاج من معلوماتي ، (٤٨٤٨ ـ ٤٨٧٣) لما نجا أحد منهم ولاستطاع الفرنجة ابادة العرق الرومي كله وتوقف الفرنجة عن قتل أعدائهم ، عندما رأوا أيضا انهم هربوا الى الجبال وانهم هربوا الى الغابات في اتجاه الجيش (١٢) ، فتخلوا عن بعضهم وعادوا. واستولى الفرنجة على ٠٠٠ ر١ حصان في هذه المناسبة.

وعندما عرف أهل القرى في تلك الاجزاء بهذا ، اندفع الكبار والصغار ليحصلوا على بعض المكاسب من سلع الروم . ثم بقي الفرنجة في سيرفيا . (١٣) لأنهم كانوا مثقلين بالقدر الكبير من الغنائم التي استولوا عليها ، وذهبوا في اليوم التالى رأسا الى فليزيرى

وأمر السير جين دي كاتافاس ذلك الجندي المصاب بالنقرس بكتابة الرسائل وبعث بالرسل الى الامير في قلعة كورنث ، ووصف له بتفصيل كبير الامر وما جرى ، وكيف سارت معركة برنيتزا والعمل الذي قام به ، والنصر الذي تحقق لهم ، وعندما سمع هذا رفع الأمير يديه وحمد الرب ، والثيوتوك بالغ الطهر ، وابتهج من جانب وأسف من جانب ، ابتهج لأن قواته انتصرت ومن جانب اخر (٤٨٧٤ ـ ٤٩١٣) حزن لأنه لم يظهر ٠٠٠٠ وكلما عذبه أكثر كلما كان عليه أن يكون أكثر حيطة تجاهه ، (١٤) ولو أن الأمير وقتها قد أخذ الأمير الأعظم والجيوش من الجزر وجيوش اليوروبس وذهب مسرعا رأسا الى نيكلى ، ودخل تساكونيا ونهب كل المنطقة لتوجب على الدمستق الكبير تبديد وقت طويل في تحضير حملته ، ولكن بقدر ما يعمل المرء سيجد عمله أمامه (١٥) والآن أترك الكلام عن الأمير وسأروي لكم أخبار الأفعال التي ارتكبها الدمستق الكبير في ميسترا حيث كان .

لقد وصفت لكم من قبل أعلاه في كتابي العمل الذي قام به

المستدق الكبير في برنديتزا مع جيوشـه ، وعندما تمكن من الوصول الى قلعة ميسترا ، أقام حزينا ليلا ونهارا وبكى ، أولا بسبب خجله أمام عيون الرجال ، وثانيا بسبب الامبراطور الذي كان يخشى منه كثيرا لئلا يمسك به ويسمل عينيه ويلقي بـه في السجن ، وأن يلقى الموت ظلما ويفقد حياتـه ، لقد أرسـله الامبراطور مـع جيوشـه ليغـزو كل أرض المورة ، وإذا علم أن الفرنجة ربحوا المعركة وأنهم كانوا مجرد ٣٠٠ مقابل ٠٠٠ ر٢٠ كيف يمكن أن يستقبله وكيف يحييه ، بل إنه سيقول إنه خـائن ويعدمه ، وأراحه نبيل فرنجي ، وكان رجلا خبيرا محنكا ، جاء من المدينة كمبعوث من الملك اليه فخاطبه قائلا : يا امبـراطوري باسم المسيح ، لماذا تحزن هكذا؟ألا تعرف أن الحملة تعتمد على الحظ؟ وذلك الذي يعرف المكر ويتصرف بخبث يغوي الشـجاع ويسلبه شجاعته ، فالمكر والخبث يغلبان الشجاعة. لقـد رأيت المكر الذي استعمله نائب الملك في بلاغونيا فكسب المعركة ، ولم يفكر بـالقول بـأنه كانت لديه جيوش كثيرة ، ولكن طبـق المكر وترك الشجاعة جانبا . إن كل الرجـال في كل الدنيا يعـرفون أن الفرنجة شجعان في استعمال الرمح والسيف ولهذا السـبب فإن نائب الملك (٤٩١٤ ـ ٤٩٦٠) الداهية أطلق الالمان لمواجهـة الفرنجة ولمواجهة فورة غضب رماح الفرنجة ثـم كان هناك لديه الهنغار والترك ، والكومـان يطلقـون السـهام عليهـم جميعا ، فرنجة وألمان فذبحوا خيولهم وربحوا المعركة ، ولولا رماة السهام الذين قتلوا الخيول ، لما ربحوا المعركة ٠

وترى ايها النائب ياسيدي كيف اخطات في هـذا ، هناك عندمـا قاتلك الفرنجة في برينتزا ، ونقلا عن ما قـاله قـادة الجيش ، الذين كانوا معك في المعركة لقد وثقت امارتكم في كثرة الجيش التـي كانت مع سموكم وازدريتم الفرنجة لانكم رايتموهم قليلا ولم تبالوا بالمرة كيف يمكنكم ان تقاتلوهم وهو امر لايفعله الجنود الحكماء ، إذ لاتهم كثرة عدد رجال الجنود ولاشجاعتهم ، بل ينبغي على الانسان الاخذ بجانب المكر والحيلة لدى القتال بحرص ضـد عدوه ، لان الحـكماء

يقولون – وقولهم حق – ان المهارة والحيلة تغلب الشجاعة ، وكان يجب عليك ايها الامبراطور ان تعد رماة سهامك عندما رأيت الفرنجة يزحفون قادمين نحوكم وان تذبحوا الخيول التي كانوا يركبونها ولو فعلتم ذلك لهزمتموهم على الفور ، ولتغلبتم عليهم ، ولكنكم امرتم الف من حملة الرماح بمواجهتهم قاصدين ومتوقعين انهم سيهزموهم ، وفعلتم هذا بارادتكم ، ياسيدي إني اعيد ثانية ما قلته قبلا وهو الصدق حقا ان فرنجيا واحدا على الحصان يعادل عشرين روسيا . ولقد رايتم ياسيدي ماحققه الفرنجة في برينتزا ، وكم كانوا عقلاء وذوي خبرة وقد راوا الاعداد الكبيرة من القوات والجيوش التي لديكم ، فركبوا بسرعة الى وسطهم والقوا رماحهم وسحبوا سيوفهم الصغيرة وذبحوا قواتكم ولم يكن رجالكم قادرين على الانتشار والتباعد ، لقد تصرفوا بالطريقة نفسها التي يتصرف بها الذئاب عندما يدخلون الحظيرة ويبعثرون الغنم ، حسنا لانحزن على ما حدث لان هذا كما ترى هو دائما طريقة الاغارة ، التي تربح احيانا واحيانا اخرى تخسر ، سري عن نفسك ياسيدي وخذ طريقا اخر ، ومر كل جيوشك بالتجمع وفكر كيف تربح الشرف والمنفعة كي تصلح الشيء الذي حدث ، لقد علمت بان الامير قد عاد الى اندرافيدا وان الجيوش التي جاء بها قد عادت الى بلادها فلنذهب (٤٩٦١ – ٥٠٠٦) رأسا اليه هناك في اندرافيدا واذا تجمع لديه من سوء الحظ ما يجعله يخرج للقتال فلاتخرجوا لقتاله بغطرسة ، بل قاتلوه فقط بالبراعة والمكر ، لاتدخلوا المعركة معه بالرماح بالمرة بل مر وا الاتراك الذين يحملون الاقواس ان يطلقوا سهامهم على الخيول حتى يسقط عنها الفرسان ، واذا حالفكم الحظ واسرتم الامير ، استبقوه وستربحون ارضه أيضا .

وصدق الدمستق الكبير الفرنجي ، واستدعى النبلاء والقادة الذين كانوا معه وروى لهم بالتفصيل ما اخبره الفرنجي به : فامتدحه الجميع وقالوا انها نصيحة جيدة وامر بدعوة كبار القادة في الجيش وقال لهم : « ايها النبلاء القادة اسرعوا فورا حتى نمضي الى مدينة اندرافيدا حيث يوجد الامير » واستدعى كانتاكوزينوس

وماكرينوس ايضا وقص عليهم كل ما قاله الفرنجي ومشورة النبلاء والقادة ايضا . فاجابوه قائلين « لماذا تتردد ايها النائب والدمستق الكبير ، الايصدمك هذا العار الذي جلبه الفرنجة لنا والذي لحقنا كما لحق سموكم ، وسنفعل اي شيء من اجل شرفنا حتى لايدعونا الملك كفارا وخونة ؟ ولكننا نفكر في الفصل ، الاكثر عدم ملاءمة لنا في السنة اذ يجب ان نتصرف كجنود عقلاء ، وحتى الان لانعرف ايهم قتل وايهم هرب حيا وايهم احتفظ بخيوله ، لقد إنتهى الصيف الان ورحل ، وقد جاء الشتاء وتوقفت الجيوش عن الاغارة ، فلنتطلع لتلك الفترة ، لنفتش قواتنا لنعرف ما بقى لنا منها واذا وهبنا الرب وحظنا ان نعيش حتى اذار ، من ربيع السنة وهو الفصل المناسب للجيوش فليجهزوا انفسهم بالاسلحة ويتقدموا للمعركة في ذلك الوقت ، ياسيدي لنجهز انفسنا وحيثما نجد الامير ، دعونا نهاجمه ولنمت معا أو نثأر» وعليه اجاب الدمستق الكبير : « الرب يعلم يا اصدقائي ورفاقي واخوتي انه ليمر عقلي وياكل قلبي ان الذي قضى علينا لاقيمة له . ولو اننا قاتلنا وحاربنا الامير وهو رجل عظيم ومشهور في العالم ، وهزمني في المعركة لاعتبرت ذلك تعزية ، (٥٠٠٧ ـ ٥٠٤٣) ولكن ان يقال ان مريضا بالروماتزم وعالة قد هزم اخا الامبراطور في الميدان ، زد على هذا ما هو اسوا من السوء انه بثلاثمائة هزم ١٥ ٠٠٠ » وحسبما قرر هؤلاء النبلاء في المجلس : الدمستق الكبير مع ماركينوس ومعهم كانتاكوزنيوس الجندي الشهير هكذا عقدوا العزم ورتبوا الامور ، ومر الفصل ، ومضى الشتاء ثم جاء شهر اذار وربيع السنة ، وعندها خرج جميع الرجال باسلحتهم للمعركة وساروا برا وبحرا . وامر اخو الملك ، الدمستق الكبير ان تتجمع الجيوش معا ، وتم الحشد في حقول سابيكوس في المروج الواسعة ، بين الينابيع العذبة .(١٦) لقد جمع جيوشا كثيرة من اراضي مختلفة ، ومشاة من تساكونيا ومن درنغوس الميلنغر ، وحتى من بعيد من مونمفاسيا ودرنغوس سكوريا ووزعوا سراياهم واستعدوا وانطلقوا ، وامضوا الليل في كاريتانيا ومضوا رأسا الى رافد الالفيوس ، واجتازوا برينتزا وحملقوا في تلك البقعة وتذكروا ما مربهم فيها ، ثم تابعوا

طريقهم ، وهم يفكرون في تهديد الفرنجة وفي أن الشيء الذي دمرهم يجب ان لايحدث لهم مرة اخرى اذا خاضوا المعركة ليهاجموا بالرماح فانهم هذه المرة سيقتلونهم بالسهام . وكانوا يسألون في كل مكان اين يمكن ان يجدوا الامير غوليوم وعرفوا انه ينتظرهم في اندرافيدا ، المدينة التي طوقها تماما بالخنادق ، وكان ينتظر هناك ليلقاهم بكل جيوشه .

ودعا الدمستق الكبير قادته ، وطلب مشورتهم حول كيفية التقدم ، واعطاه المشورة التالية سكان الارض ممن يعرفون الارض والممرات الجبلية ، وطلبوا منه (٥٠٤٤ ـ ٥٠٧٥) ان لايعمد الى الذهاب الى اندرافيدا لان الممرات كانت صغيرة جدا بالنسبة لقواعد اطلاق العرادات وطواقمها (١٧) لقد اخذوه رأسا الى قرى سيرجيانا وجعلوه يتمركز فوق هذا المكان ، نحو الشرق حيث كانت هناك كنيسة تدعى سانت نيكولاس في نيسيكلي وهو اسم البقعة ، وهناك نصبوا خيمته وعسكروا (١٨) وكانت سفوح التلال والحقول غاصة بالجيوش ، التي عسكرت تلك الليلة وامضت ليلتها هناك .

وعندما بزغ فجر اليوم التالي وعند ساعة الشروق جاء الامير الى هناك مع جيوشه ، وجاء الفرسان ومشاة القوات كلهم معه فوزعهم في سرايا ركون ثلاثة فيالق ، وخرج من سيرجيانا لمواجهة الروم ووقفت الفيالق مستعدة للمعركة (١٩) .

وكانت طلائع الروم وفيالقهم تحت قيادة كانتاكوزينوس ذلك الجندي الجدير بالثناء الذي ركب منطلقا من سريته على ظهر جواد وكان يحمل كنانته ويمسك برمحه واندفع بسرعة الى الامام والى الخلف بين الفرنجة وبين سراياه مظهرا خيلاء كبيرة ، وبعدما مضى جيئة وذهابا ثلاث مرات بهذا الجواد نزل وابدل الحصان وركب غيره ، وبدا يعرض نفسه امام الفرنجة هذا ما فعله كانتاكوزينوس وهو يركب جيئة وذهابا وينخس بمهازه جواده مزدريا بالفرنجة

لانهم كانوا قلة ، وبتعال وغطرسة لان الروم كانوا جمعا غفيرا من القوات ، واكثر بكثير مما كان الفرنجة ، حسنا لقد مضى جيئة وذهابا ، راكبا جواده وجمح الحصان وحمل الفارس الى كوم من العليق قريب من الامير وتعثر الحصان فسقطا معا (٥٠٧٦ ـ ٥٠٩٩)

واذ رأت قوات الأمير هذا ، هرعت الى البقعة حيث قتلوا الفارس وأسروا الحصان .

وعندما رأى الدمستق الكبير وماركينوس أيضا أن قائد جيوشهم قد فقد ، بدا لهما كما لوانهما قد ماتا أيضا ، جميعا ، فركضا وحملاه ميتا بعيدا ، ونفخا الأبواق وسكنا (٢٠) دون حركة .

وأراد الأمير أن يذهب في اثر الروم فأخرج الجميع المشروع من ذهنه وأوقفوه قائلين: انه اذا تحشد الروم وأحاطو ا بالخيل برماة السهام ، فانهم سيقتلون خيولهم بسهولة جدا ، وعندما تموت الخيول ويسقط الفرسان سيهزموهم كالنساء والأطفال ، وسيفقد الأمير شخصه أولا ثم أرضه وكل قواته ، وعليه ما أن سمع الأمير هذا حتى مال نحو أفكارهم وعاد الى بيته في اندرافيدا (٢١) .

وسافر الدمستق الكبير مع جيوشه مباشرة الى حقول نيكلي ووصل الى هناك ، وأحاط بالقلعة وطوقها ، وهناك غلبه قدره ، وهو قدر لم يكن يتوقع ان يحيق به (٢٢) فالأتراك الذين تحت قيادته والذين (٥١٠٠ ـ ٥١٢٨) كان تعدادهم ألفا ، طالبوا بأجورهم باعتبارهم من المرتزقة مدعين اجور ستة أشهر (متأخرة) ، غير أن الدمستق الذي كان مكتئبا لأنه وقد ذهب ليحرز النصر والفخر على الفرنجة تلقى فقط كارثة وعاد مجللا بالعار ، أعطى الأتراك جوابا متغطرسا وقال لهم بغضب : « ألا تشعرون بالخجل ، أيها الرجال او لا ترعوون من مطالبتي بالدفع وقد أصبحتم أغنياء في أرض الامبراطور بسلع الفرنجة وسلع الامبراطور ؟ لقد كنتم حفاة عراة

عندمـا جـئتم الى هنا الى المورة (٢٣) » ، وكنتـم كلكم معـوزين ، وبعدما جئتم هنا الى ارض الامبراطور ، وبمباركة الامبراطور ومن حكمه ومن الغارات الكثيرة التي قمنا بها ضد الفـرنجة ، اصـبحتم أغنياء ـ وما الذي حصل عليه الامبراطور ؟ أخبروني ما هو كسبه وماأخذه من أجركم ، والا فاني من جـانبي لن أعطيكم في حياتـكم أجرا مطلقا ».

وعندما سمع الأتراك ذلك أطلقوا صرخة عالية : « مـا هـذا الذي تقوله لنا ، أيها الأمير لماذا تهيننا ؟ في أي معركة وضـعتنا ولم نأت بمأثرة ما ؟ لقد ذهبنا الى برينتزا ، هناك حيث جـاء الفـرنجة ولم تدعنا نقاتل ولكن أرسلت نبلاءك الرومـان الذين حـاربوا الفـرنجة بالرماح ، أنظر ما الذي كسبوه لك وأي شرف قدموه لك . أي رومي سمعت به قاتل فرنجيا وهزمه بالرمح أو السيف ؟ والكل يعرف هذه الحقيقة ، في اسـتعمال الرمـح والسـيف الفـرنجة جنود ، ولكننا (٥١٢٩ ـ ٥١٧٤) خجلنا في ذلك اليوم بسبب الروم وهربنا من المعركة لا بسبب خطأ من جانبنا لقد فعلنا ذلك لنبقى في صحبتكم ولم نكن بأي حال مذنبين ، ومرة أخـرى قـدمتمونا الى اندرافيدا ، وهددتم بالقضاء على الأمير وعندمـا وصـلنا الى هناك واصـطف الفرنجة في مواجهتنا على مـرمى سـهم منا ، وكلهـم مسـتعدون للقتال ، وبسبب مقتل رجل واحد فقد بخطأ منه أعطيت الأوامر بـأن نستدير ونهرب كالنساء ، هل أمرتنا قط بالقتال وتراجعنا قـدما أو عصيناك ؟ من الذي يمسك أجر خدامه وأجره يسمح له بان يذهـب على الفور الى حيث يريد وبالنسبة لنا ايها الامير من هـذه اللحـظة اعطنا هذا الاذن طالما انك تحجب عنا اجرنا وسنحييك ونمضي لنجد في مكان اخر الوسائل للعيش كجند » .

وذهبوا الى المعسكر وتشاوروا على الفور ، ثم هدموا معسـكرهم وقفزوا الى سروجهم وخرجوا من نيكلي وأخذوا طريقهم ، ثم عادوا مرة أخرى ، وذهبوا الى كاريتاينا ، وعسكروا هناك ذلك المساء .

وعندما سمع الدمستق الكبير بذلك ، وعلم أن الأتراك انطلقوا من هناك وغادروا ، وقد كانوا خيرة كل الجيش ، وأنهم ذهبوا الى الأمير ، الذي كان عدوه ، لعن بقوة هذا العمل وكان من الممكن أن يذهب في أثرهم ولكن أحكم من كان في رفقته قال له وأشار عليه بأنه ليس مما يشرفه أن يذهب وراء الأتراك ، وهو أخو الامبراطور ، لأن الأتراك كانوا مهتاجين جدا من الغضب ، « واذا حدث أن جدوا وقاتلوك ، أو اذا تصادف أن دخلوا في معركة معك ، وهزموك بالصدفة في المعركة فان هذا سيكون شيئا غير لائق ويستدعي اللوم ، ولكن لماذا لا توجه النبلاء والرجال الحصيفين ليلحقوا بهم ويتوددوا اليهم بالكلمات ، ويخبروهم بأنك قد وعدتهم بأنهم سيحصلون على أجرهم وهبات اضافية كما يستحقون » وعين اثنين من النبلاء ، الذين كانوا من المدينة وأعطاهم مرافقة ، وخرجوا بعد ذلك ، ووصلوا الى كاريتانيا ذلك المساء ، وهناك وجدوا الأتراك الذين كانوا معسكرين ، وذهبوا الى ملك الذي كان قائدهم ، ونزلوا عن خيولهم . ودخلوا مباشرة الى الخيمة وحيوه نيابة عن الدمستق أخي الامبراطور وعن النبلاء وقالوا له : « إن النبلاء مندهشون (٥١٧٥ ـ ٥٢٠٦) مما حدث ، ومن أنكم انفصلتم عنا بسبب كلمات فقط ، وتخليتم عن قسمكم وخدمتكم العسكرية وانتم مدينون بها للامبراطور وذهبتم لهذا السبب ، عودوا أيها القادة الى قسمكم وسندفع لكم على الفور كل أجوركم ».

وعليه أجابه ملك نفسه وكذلك قادة الجيش التركي بتلك الكلمات : « إنه لا يليق أن يرجع أخو الملك عن الكلمة التي أعطاها ووعد بها رجلا معرضا للموت ، وعليه نعلن أيها القادة والرفاق أن الدمستق الكبير بنفسه قد أخبرنا وأكد لنا كلمته بأنه لن يدفع لنا مطلقا ، عودوا وأخبروه عنا أننا لن نعود مطلقا ولن نخدمه أبدا يوما واحدا في حياته ، لأننا لم نجد في مدة حياته أي صدق عنده ، وقد سمعنا أن الفرنجة يتمسكون بالصدق ونحن في طريقنا لنجدهم ونعيش معهم » .

وكان النبلاء قد هموا بالعودة عندما أخبرهم صديق تركي ، وأشار عليهم بالبقاء هناك معهم تلك الليلة فقد يغير الأتراك فكرهم حول العودة .

ولكن الأتراك كانوا متلهفين للذهاب الى الأمير ليخدموه ونفخوا الأبواق في الصباح الباكر جدا ، وأخذ« الأتراك البوكسيني » وكان هناك الكثير جدا منهم ، وأخذوا خيامهم وانطلقوا على الطريق رأسا ، على طول رافد نهر الفيوس ، وذهبوا الى بيرغاردي ، في اتجاه فليزيري . والآن بعد أن وصلوا الى سيرفيا (٢٤) . دعا ملك اثنين من أتراكه ، وهما أحكمهم (٥٢٠٧ ـ ٥٢٣٧) وكانا يتقنان لسان الروم ، وأعطاهما مرافقة أيضا مؤلفة من اثني عشر آخرين من الأتراك ، وأرسلهم الى الأمير في اندرافيدا ليخبروه بسبب مجيئهم اليه . وعندما جاءوا الأمير غوليوم ، استقبلهم بتشريف عظيم ، وعليه أخبروه لماذا تركوا أخا الامبراطور ، وأنهم كانوا قادمين اليه بسبب حكمه الجيد وسمعته الطيبة ، في الحرب التي كان يشنها على الامبراطور ، وأنهم سيساعدونه بقدر ما يستطيعون وحسب مايقدرون ، لأن لديهم معلومات جيدة وأنهم يعرفون بحق أن الامبراطور كان يقاتله بقصد غير مشروع ، في حين أن كل رجل يحمل السلاح عليه أن يقاتل عدوه بحق الرب ، وعليه أيها السيد الأمير إذا كنت في حاجة لخدماتنا فإننا سنخدمكم مدة سنة كاملة واحدة ، وإذا كنت من جهة اخرى في غير حاجة الينا كأمير لنا وسيد فاننا نستعطفك ونتوسل اليك ان تأمر بان نعطى طريقا حتى نذهب الى مكان يمكننا منه العبور للذهاب الى ارض الاناضول حتى نعود الى مقاطعاتنا » .

واستدعى الأمير الحكيم والجيد انسلين دي توسي وهذا لقبه ـ كان أخا القيصر المسمى سير فيليب ، والذي كان في ذلك الوقت في سجن المدينة ـ لأن السير انسلين كان رجلا خبيرا ، وكان يعرف بدقة عادات ولغات الرومان ، وامره ان يذهب لمقابلة الاتراك (٢٥) . فأخذ فرسانا وسرجندية معه (٥٢٣٨ ـ ٥٢٧٤) بلغ عددهم ٣٠٠

وذهب الى فلزيري ، وهناك وجد قادة الجيش التركي ، وكان ملك سعيدا جدا ، وعليه خاطبه قائلا : « لقد كنت متلهفا جدا لرؤيتك ، يا سيدي وأخي ، لانك رجل خبير من رومانيا ، وتعرف كيف نتكلم وتعرف كيف تتكلم معنا بالتركية » ، وبناء عليه بدأ يتحدث ويخبره عن القصد والغاية التي جاء من أجلها الى هناك . وأجابه الآخر بتعاطف عظيم : « مرحبا يا صديقي ، مرحبا يا أخي ، لقد كنت متلهفا جدا لكي أراكم هنا في صحبتي » . وبعدما احتفلوا هناك في فلزيري ، ذهبوا ذلك المساء الى اندرافيدا .

وخرج الأمير للقاء الأتراك وكان كل قادته معه ، والتقوا عند نهر الياكوس (٣٦) وترجل الأتراك عن خيولهم الآن ، كما هي عادتهم وانحنوا أمام الأمير الصغار منهم والكبار باستثناء ملك وسالك اللذين كانا قادتهم ، واللذان استبقاهما السير انسلين ، فلم يترجلا عن جواديهما كما فعل الأتراك الآخرون .

وحياهما الامير بنفسه باحترام ، وأخذ بأيديهما وبدأوا السفر ، ولم ينتظر الأتراك حتى يعسكروا ، بل بدأوا الكلام وهم راكبون ليقصوا على الأمير شكاواهم والقصد والهدف من ذهابهم الى هناك ، وكيف أمسك الدمستق الكبير أجورهم ومكاسبهم التي كسبوها وهم لم يعملوا شيئا خادعا تجاهه ، ولم يظهروا أي عدم احترام للامبراطور ، « لقد استأذننا منه كجنود في وضح النهار وذهبنا علنا وجئنا الى هنا ياسيدي ، لنخدمك بالسلاح وبصدق كما هي طريقة الجند (٢٧) ، وعندما نخدم تحت امرتك ، نطلب منك كمكافأة وانتفاع ان تأذن لنا لنمضي في سبيلنا. ونحن بصدق (٥٢٧٥ ــ ٥٣١٥) يا سيدي لم نأت الى هذه الأجزاء لنبقى طويلا ، أو لنقضي وقتنا كله

أعد جيشك كله اليوم يا سيدي وفي الغد دعنا ننطلق ضد الروم ، وضد الأخ غير مؤمن للامبراطور ، فلم نجد في هذا المرء صدقا مرة واحدة . لقد حجزنا بالقول وأخذ أجورنا منا ، ان هذا يا سيدي ما

نريد وهذا ما نطلبه منك اذهب معنا الى هذا المدى وقف في مأمن وسنقاتل الشعب الرومي ، واذ سمع الأمير هذه الكلمات سر جدا ، كما سر كل قادة الفرسان والفرسان ، ودعا السير انسلين مستشاره الأول وطلب منه وأمره أن يعد الجيوش لينطلق من الغد متبعين طريقهم ليذهبوا رأسا الى حيث الروم والدمستق الكبير في ليكديمونيا ، وكما أمر الأمير جرى ، وفي الغد انطلقوا من اندرافيدا ، وأخبر الأتراك الأمير بصدق بأنهم علموا من سحرتهم الذين يعرفونهم أنهم في أول معركة سيخوضونها مع الدمستق الكبير سيهزمونه (٢٨) ، حسنا وحالما خرجوا من اندرافيدا ، ركب الأتراك منذ ذلك الحين وما بعده في جند المقدمة ، وكان لديهم مرشدون أهليون ، كانوا يرشدونهم وسافروا حتى وصلوا بعد أربعة أيام الى كوبرونيتزا ، قرب آركاديا ، ووصل الأتراك وعسكروا في بقعة تدعى مونترا ، وهي ذات ربيع جميل (٢٩) وبعد أن أقاموا معسكرهم عمدوا الى مشعوذيهم ووجدوا كما كشفوا لهم ، وكان صدقا أنهم في اليوم التالي السبت سيقاتلون عند الجبال التي يمكنهم رؤيتها من هناك واستدعوا الفرنجة الذين اتخذوهم كأدلاء معهم وقالوا : « أيها النبلاء : قودونا الى حيث يوجد الأمير ، اذ يجب أن نتحدث معه حول المنافع والشرف التي سيحصل عليهما » ، وعندما سمع الأدلاء هذا قفزوا الى سروجهم ، وأخذوا قادة الجيش التركي ، ملك وسالك ، وخمسة (٥٣١٦ ـ ٥٣٥٢) عشر رجلا وذهبوا الى الأمير في كوبرونيتزا .

واذ رآهم الأمير وقف تشريفا لهم وقال « مرحبا أيها الأتراك ، مرحبا يا أخوتي » وقدموا بدورهم الاحترام بين يديه وقالوا له : « لتعلم يا سيدي الملك ، وخذها منا (٣٠) أننا من الغد السبت سنمضي لخوض المعركة ، وعليه فقد جئنا الى هنا لنخبرك بهذا » . وعليه ودعوه وعادوا .

وعندما سمع الأمير ذلك تحدث مع قادته وطلب منهم المشورة حول ما الذي عليهم فعله ، وعليه أشار عليه السير انسلين وقال

للأمير : « اعلم أني عرفت من جاسوس من رجالي بأن أخا الملك ، الدمستق الكبير قد ذهب الى فيلوغوستي بكل جيوشه ، لأنه علم بأننا في الطريق الى هناك ، وأنه قد أخذ الممرات وكل الشعاب في القمم المرتفعة المعروفة باسم ماكري ـ راجي (٣١) وعليه فان رغبتي ، يا سيدي ، أن يركب الأتراك الذين يركبون في مقدمة جيوشنا ، في الوسط ، لئلا يأخذهم الخوف ويعمدون الى الهرب ونفقد المعركة وآمالنا معها . وعليه اقترح يا سيدي اذا أمرتم أن تكون لي السرية الأولى في كل الجيوش ، وليكن الأتراك في الوسط وتكون أنت في جند المؤخرة ، وأن أمضي قبل كل السرايا ، وآمل برحمة المسيح أن أحقق مأثرة كما يرضى الرب ، تنظرون اليها بترحيب ».

وعندما سمع الأمير هذا وافق عليه جدا وقال:« يسرني يا سير انسلين أن يجري هذا كما قلت ، وزع السرايا وليكن الأتراك في الوسط » . وعليه ذهب السير انسلين الى الأتراك وتكلم معهم متملقا ومطريا كرجل داهية وقال : « أيها الأصدقاء والأخوة أمر الأمير طالما أنكم أجانب ولا تعرفون الأرض أن تكون لي السرية الأولى وأمضي في المقدمة وتأتون أنتم بعدي والأمير خلفكم ، وحيثما تدعو الحاجة تقدمون (٥٣٥٣ ــ ٥٣٨٠) المساعدة». واعتبر الأتراك هذا عندما سمعوه مجاملة .

وعليه ركبوا وبدأوا الرحيل ، وتحرك انسلين خارجا بسريته ومر بكلامي وذهب الى ماكري ـ بلاجي (٣٢) ووقف هناك برهة صغيرة فقط وقال لرجاله : أيها القادة الأصدقاء والأخوة اعلموا صدقا أن أخا الملك ينتظرنا هنا بجيوشه ، الآن في هذه الجبال وتلك الشعاب التي نمضي اليها ، ولهذا السبب أتوسل اليكم أن تبقوا في أذهانكم ، أن لا يفاجئونا أو أن تؤخذوا بالخوف ولكن كحكماء ، وجنود عليكم أن تقفوا بثبات في المعركة كرجال شجعان . لتحصلوا على ثناء الجيش كله ، لأنهم ـ ليمنع الرب ذلك ـ اذا دفعونا للهرب سنخسر المعركة وكل الامارة » .

والآن عندما سمعوا هذا وعدوه أنهم جميعا سيموتون معا من أجل شرفه .

ونفخوا أبواقهم وبدأوا يتسلقون منحدر ماكري ـ بلاجي ووصلوا الى فونيمين (٣٣) .

وبينما هم منحنون الى الأمام في تسلقهم التلال ، قفز الروم المختبئون عليهم وهاجموهم في صخب ولهفة لأنهم كانوا أكثر عددا ، وشتتوا الفرنجة الذين تراجعوا مسافة رمية سهم على المنحدر

وكانت سرية الروم تقتلهم وتقضي عليهم (٣٤) واطلق السير انسلين صرخة عظيمة قائلا :(٥٣٨١ ـ ٥٤١٣) يا شباب ويارفاق هبوا نحوهم لاتدعوهم يلحقون العار بنا ، واحتشد الفرنجة واستداروا نحو الروم بالرماح والسيوف ، واندفعوا نحوهم ودفعوهم نحو قمة تل فونيمين ، ومن الصخب الكثير الذي أطلقه الروم سمعت سراياهم الزئير ، وهرعت فرقة أخرى لمساعدتهم ، وبسبب أعداد الروم الكبيرة التي هاجمت الفرنجة استولى عليهم الذعر مرة أخرى واستداروا يهبطون المنحدر الى مسافة رميه سهم ، وأنا أحدثكم بصدق ، وهكذا سحقوا كما تسحق الصقور الغربان ، وعليه زأر السير انسلين بقوة وقال لرفاقه :« أيها القادة ما هذا؟ الا تخجلون بالمرة من أننا نلعب كالاطفال ، أن هذا يبدو كما لو كنا نلعب لعبة قاعدة السجن (٣٥) لنمت اليوم بدلا من العار ، هبوا معي جميعا ولنندفع نحو أعدائنا » فخجل الفرنجة من هذه الكلمات وتشجعوا جميعا واندفعوا نحو الروم وبدأو يصرعونهم بالسيوف ، وإذا رأى الروم هذا ذعروا الروم وهربوا متسابقين نحو قمة التل فوق الشعب.

وعندما سمع الاتراك الذين كانوا قادمين في السرية الثانية الزئير الذي كان الروم يطلقونه ، ركضوا بسرعة صاعدين المنحدر الى مسرح الأحداث :وعندما رأوا أن الروم قد تملكهم الذعر هاجموهم

بنشاط وقتلوهـــم وابـــادوهم ، وعندمـــا ســـمعت زئير وذعر الجيش ، انطلقت سرايا الروم الأخرى التـي كانت في كمين هـاربة كل الى أي مكان تصل اليه .

ثم دعا السير انسلين رجاله ـ وكان له أخ يسـمى قيصر ، كان محتجزا في سـجن المدينة ـ (٥٤١٤ ـ ٥٤٣٩) وقـال « مـاهذا الفعل الشرير الذي أحاق بـي لم (٣٦) لم يؤخـذ هـذا النبيل أو الاثنين من القادة حتى يمكن مبـادلتهما بـأخي ، الذي هـو قيصر رومانيا والذي هو محتجـز في سـجن المدينة في القصـور القـديمة؟ (٣٧)

وعليه بسماع هذا قـال أحـد السرجندية ويدعى بيرين كيومين ، كذا كان اسمه (٣٨) :ماذا أنال يا سيدي منك إذا دللتـك عليهـم ؟ فقال السير انسـلين كل مـا تتمنى الحصـول عليه سـوى حياتي ، وشرفي أو شيء ينعكس عليهما »

وبسماع العرض الذي قدمه السير انسلين له ووعده له ، قـال له هذا السرجند :« تعال معي لأريك أين هـم » ، وأخـذه وذهبـا الى جـرف بين الجبلين ، في جـرف حيث تقـف اليوم قلعـة غارديكي (٣٩) يا سيدي في الأسفل هنا في الجرف يوجـد الدمسـتق الكبير وكافالاريتس ، والى جانبهما ما كريذوس من الجانب الآخـر مـن الجرف (٤٠) ، ويحتجزهم ثمانية من الاتـراك ويتـكلمون معهـم ويهينونهم ويؤنبونهم كثيرا ، لقد امسكوا أجـورهم وجعلوا منهـم أعداء لهم » وعندما صعد السير انسلين الى الجرف ونظر فيه عرف هؤلاء القادة ـ عرفهـم جيدا مـن الاسـلحة التـي كانوا يحملونها ـ أطلق صرخة عظيمة وقال للاتـراك : ومـا هـذا الذي تفعلونه ، يا رفـاقي (٥٤٤٠ ـ ٥٤٧٥) واخـوتي؟ انتبهـوا ولا ترتكبوا خيانة ، وأحضروهم هنا على الفور تحت حراسة مشددة ».

وعندما عرفه الاتراك من الأسلحة التـي كان يحملهـا قـالوا : انه

السير انسلين الذي يدعونا وبسرعة جردوهم من الاسلحة وقادوهم اليه وأحضرهم الاتراك اليه . فرفع يديه وحمد الرب ، لانه أخبر وصدق أنه سيفتدي أخاه بهم ، وأمر بأن ينفخ بوقه وأخذهم وذهب بسرور كبير الى فيليفوستي حيث أعطاهم للأمير الذي أعطاه هدية كبيرة وشكره بحرارة.

والآن عندما تجمع الجيش الفرنجي في فيليفوستي ، أجروا احصاء ليروا ويعرفوا أي قوات أسروا ، وبناء عليه قاموا بالعد ووجدوا الحقيقة : أن لديهم في المعتقل الدمستق الكبير وماكريذوس ، وأنهم قد أمسكوا أيضا بكافاليرتسس ، واحتجزوا ٣٥٤ قائدا وسيفا ستادز ، وكان هؤلاء جميعا يحملون لقب نبيل ، ووجدوا معهم نبلاء أقل شأنا وقوات أخرى تبلغ خمسة أضعاف ، ألف واحد وثلاثين وأكثر (٤١) .

والآن أمر الأمير أن ترتاح كل جيوشه في مدينة فيليفوستي ، ثم بعد أن استراحوا ذلك اليوم ، وفي الغد ، جاء الى هناك كل قادة اسكورتا ، الذين كانوا جميعا في ثورة ، وطلبوا منه الرأفة والعفو عنهم ، وعليه توسل اليه كل فرسانه أن يعفو عنهم وأن يظهر لهم الرأفة ، وعفا عنهم الأمير الرجل الحكيم والسيد الطيب الدمث الهادىء الطيب المعشر في كل الأمور ، وأمر بأن يقسموا له بأن يكفوا عن طرقهم الشريرة وأن يخلصوا له ، وفي الصباح التالي امر الامير غوليوم أن يحضر أمامه الروم مع أخي الامبراطور وكل القادة حتى يراهم بعينيه ويتكلم معهم . وعليه أحضروا له أولا الدمستق الكبير ، أخو الامبراطور الذي كان يتلهف لرؤيته والذي أصبح الآن في سجنه ، وعندما جاء نهض للقائه وحياه بلطف ، وأمسك بيده وأجلسه الى جانبه . وبعد ذلك جلس كل القادة أيضا ، ثم بدأ يتكلم وقال موجها كلامه للدمستق أنه قد أقسم قسما للامبراطور بأنهما سيقفان معا دائما وأنهما سيحافظان على السلام وإن لا يزيفا قرابة التعميد التي بخلاها ، ولكن أخل بها وتخلى عن قسمه وشن حربا وأرسل جيوشا ، وخرب أرضه بالنهب والأعمال

الحربية ، التي ارتكب بهـا الامبـراطور جـريمة ، وعليه إن الرب المنتقم لكل شيء وقد رأى العمل الشرير الذي ارتكبه والقتل ، غضب عليه ، أنظر مـا الذي حـدث إن العمـــل الشرير الملك انعـــكس عليكم ، انظر ياأخي وسيدي كم من القـوات حـولك ٠٠٠ ر١٨ في الواقع من الفرسان والمشاة في برينتزا حيث جـئت بثقـة في النفس عظيمة مع التأكد والتوقع أن تستولي على المورة ، وتحـول الأمـر حتى أن ٣٠٠ من الفرنجة من مؤيدي كسـبوا المعـركة وذبحـوكم .

ومرة أخرى يا أخي في ماكري بلاجي ، أنظر فقط ما حل بـكم مـع جيوشكم ، والآن اني لا أتباهى ولا أمتدح نفسي ولكني أحمـد الرب العادل على كل شيء لأنه انتقم لي كما رأيتـم بـأنفسكم » وبعـد أن انتهى الامير غوليوم من كل مارواه وخاطب به الدمستق (٤٢) ، بـدأ الدمستق الكبير بدوره يتكلم وقدم هذا الجواب للأمير : « ليس لدينا أيها الأخ أمير المورة تكافؤ حتى أستطيع الكلام كما ينبغي في هـذا الأمر ، لأني وللأسف في السجن وقد وضعتني في القيود . وحتـى لو قطعت رأسي (٥٥١٨ ــ ٥٥٥٧) هنا على الفور فإني مع ذلك أمتنع عن الكلام والاجابة على كل ما قلته لأنه كان أتهاما لي ، في الحقيقة إنه لا يليق برجل نبيل التفاخر عندما يعطيه الحظ النصر في المعـركة ويضع في يديه وتحت سلطانه من كان يقـاتله ، وكان عدوا له ، ذلك أن حظوظ الحرب شـائعة بين الجميع ، وفيمـا قلتـه عن سـيدي امبراطور الروم ، أنت مخطيء جدا ، لأن كل الناس تعرف ، وهـذا هو الصحيح أن أرض المورة ليست لك بالارث الشرعي وأنك حصلت عليها بالقوة الاستبدادية ولكنها ملك امبـراطور الروم ، وبـالثورة الخاطئة جاء اسلافك وا سـتولوا على الأرض التـابعة للامبـراطور وتملكتموها ، أنظر كيف أن فعلكم وذنوبكم قد جاءت بكم الى أراضي سيدي المقدس الامبراطور ، ولو أنه أراد كامبراطور فإنه كانت لديه القدرة لفعل كل ما يريد بكم في ذلك الوقـت ، ولكنه رحيم ومسـيحي مع كل الناس ، وبشرف حرركم من السجن ، وبناء على اتفاق أطلق سراحكم ، وأقسمتم له قسما بأنكم لن تهاجموه أبـدا هـو وقـواته بالأسلحة ، وجعل منكم قريبا بـالتعميد حتـى تقـوى صـدا قتكم

(٤٣) ، وبعد أن تحررتم من هناك مـن سـجنه وجـئتم هنا الى الورة لم تتوقفوا دقيقـة ، فجمعتـم بسرعة جيوشـكم وحملت أنت نفسك السلاح وذهبتم الى ليكيمـونيا حتـى تتبـاهوا أمـام العالم ، وأظهرتم نصرا فـارغا يتبـدى على نحـو بـاهر في امارتكم ، ولم تكونوا مخلصين للامبراطور وتخطيتم القسم وفعلتم به العكس في كل ما وعدتم بـه ، واندفعتـم للحـرب بعـدما تسلحتم ، وبهذه الطريقة اندفعتم لارتـكاب جـريمة متغـاضين عن قسمكم ، ولو أنكم تـذكرتم فقـط مـا حـدث لكم في بيرغونيا ، لن تتباهوا مطلقا ولن تقللوا مـن شـأن الآخـرين ، لأن محـن الحياة والاغارة أيضا لا تأتي كلها معا ولا هي تستتبع اي تباه ، وعلى كل حال أن عفو اللحظة والأسف على سجني قد جعلاني أقول أكثر مما يجب (٥٥٥٨ ـ ٥٥٩٧) أن أقول ، ولهذا هـل لكم أن تعـذروني انتم والقادة الحضور »

وأجابه الأمير بحكمه بهذه الطريقة :« أنت يا أخي الدمستق قـد قلت أشياء كبيرة بسبب مرارتك ، وكرجل نبيل أتحملها منك لأنك في معتقلي ، ولكن لو أن هذا حدث في مكان آخر وكنت حرا وقلت بـأني حنثت بـالقسم الذي أعطيتـه بنفسي ، لو كنت الامبـراطور نفسـه لقاتلتك حتى الموت ، ولكن لأنك في السجن فإني أسامحك ، إن الكل يعلم أني لم ارتكب جريمة ، وبسبب الاكاذيب التـي أرسـلها الروم الخونة اليه من هنا ، صدق الامبراطور كلامهم ، وأرسـل الجيوش وبدأ يشن الحرب ووقع في الخطيئة وليغفـر له الرب الغفـور ، لأني أبلغت أن الآخرين قد خدعوه وصدق كلامهـم وأرسـل الجيوش الى هنا وبدأ حربنا وحدثت لنا الاضرار ».

وبعد هذا صمت الجانبان والقوا اللوم على المونمفاسين . وبعـد هذه الاحداث حدد الأمير بعد التشاور في ذلك المساء السجون التـي سيوضع فيها كل واحد حسب مرتبته وارسـل الدمسـتق الكبير الى كلومودس وفي رفقته كفالاريدس أيضا ، وبعث بالآخرين الى قـلاعه الأخرى . وحالما أرسلهم كما أخبرتكم ، أمر بـاستدعاء كل قـادته

وكذلك أحكم من في جيشه كله ، وتشاور معهم حول كيفية التصرف ومن أين يبدأون وأين يذهبون ، وأين يركبون ، وقال بعضهم إنهم يجب أن يذهب كل منهم الى بيته ليستريح برهة ، لأنهم كانوا متعبين ، ووافق الآخرون الاكثر حكمة ، والذين جرحوا على أن يذهبوا الى ليكيمونيا ، لانها كانت مدينة ملائمة جدا لراحة الجيش ، وكانت لديهم سلع وافرة لاعاشتهم/ (٤٤) وليتولوا حصار ميسترا . وإذا وجدوا مصادفة وسيلة للاستيلاء على القلعة فإنهم سيكونون بذلك قادرين على الاستيلاء على الأرض ، وعلى الفور تحدث الأمير مع السير انسلين الذي كان قائدا عاما لكل الجيوش ومع جين دي كاتافاس (٤٥) مارشاله ، وأمرهما باعداد الجيش ليتحركوا للذهاب الى ليكيمونيا كما كانت المشورة .

واستعدوا بلهفة وانطلقوا ، وفي الصباح التالي وصلوا الى هناك ، وعندما وصلوا وجدوا التقارير التالية : إن معظم الروم في تلك المدينة قد ذهبوا مع عائلاتهم الى قلعة ميسترا ، وعندما وجد الأمير أن المدينة خالية من القوات المحلية للقلاع ، أسف جدا وبدا له ذلك سيئا ، وعلى الفور خصص وأعطى بيوتهم لغيرهم ليعيشوا فيها وكانوا من فرنجة الأرض ، رجال اخلاص وكانت له ثقة فيهم اكثر من غيرهم ، ثم أمر قواته أن تذهب لنهب المدن والضواحي الثائرة . وزود مدينة ليكيمونيا بالمؤن ، ووضع فيها قوات وامر باعمارها وتقويتها بكل طريقة تلزم.

واجتاحت جيوشه فاتيكا وهيلوس ونهبت الأرض حتى مونمفاسيا ، ثم أغارت على دراغاليوس ودمرتها مع كل تساكونيا ، وعاثت فسادا في الأراض. ومونوا المدينة وازدهر الناس الذين وطنهم الأمير في المدينة ، وهكذا قرر أن يمضي الشتاء هناك.

ولكن كما هي حظوظ ومصائر الرجال توقعوا شيئا وغلبهم شيء آخر ، والخطر الذي يحل لا يعرقل ولو قليلا ، ولم يمض شهر كامل حتى جاءت التقارير الى الأمير غوليوم بأن السكوتيذو قد ثاروا وانضموا الى الروم وأقاموا حصارا على قلعة أراكلوفون ووضعوا

قواتا من كاريتـــانيا بنية الاســـتيلاء عليهـــا لصـــالح الامبراطور ، وبسماع هذا ومعرفته به دون الامير مدينة ليكيمونيا بالقوات والسلع لاعاشـــتهم واخـــذ جيوشـــه وذهـــب الى فيلوغوستي ، واستدعى قادة كل جيشه ، وتشاوروا معا حول من اين يجـــب أن يدخلوا درونغـــوس ســـكورتا ، (٤٦) ٥٦٤٢ ـ ٥٦٨٠) لأن الأرض كانت وعرة مع جبال وممرات ومـــع شعاب قاسية جـدا ، واســـتدعى الأمير الجندي الداهية ، الســـير انسلين وتحدث معه بفكر نزيه قـائلا : إنك أيهـا الاخ والرفيق قـد فعلت الكثير من أجلي ، وبالمشورة والحكمة التـي حصـلت عليهـا منكم ، حققت انجازات عظيمة ومآثر عسكرية أفدت منها كما يعرف الجميع في الحرب التي كانت بيننا وبين الملك ، ولهـذا الســبب ، يا اخي وصديقي وقريبي اتوسل اليك مرة خرى واصلي كي تفعل هـذا لي بسبب الأذى والاساءة التي ارتكبت ضدي من قبـل ابـن أختـي أمير كارتيانيا الخائن الكبير الذي تخلى عن أرضه وعني أنا خـاله ومني أخذ ملكيته وذهـب يسـتعرض نفسـه في مملكة ابـوليا ، (٤٧) وايضا بسبب الشر وخيانة الاسكو ريتنو الغادرين ، أولئك الخونة الذين خانوني أكثر من مرتين الآن ، وجهوا الاتـراك الذين أصبحوا معنا مجددا ليدخلو الدرنغوس في سكورتا ويدمروا ويحرقوا البيوت والقرى وليذبحوا على الفور أي رجـل يأسرونه ويسـتبقون لأنفسهم كل ما يحوزونه منهم ».

وعليه لاحظ السير انسلين كرجل حـكيم أن الأمير كان مـكتئبا وقال ووعده بأنه سينفذ ما أمر فأجابه بلطـف : « لا تغضـب ايهـا الأمير ، وسأفعل ما تـريد ومـا يرضـيـك » ودعا القـادة : ملك أولا ، وروى له بالتفصيل أمـر الأمير ، وانه أمـرهم بـأن يدخلوا درنغوس اسكورتا وان اي غنيمة أو أسلاب يغنمونها هـو وأتـراكه هي لهم يحتفظوا بها ملكا لهم ، وعندما سـمع ملك هـذا ، ابتهـج واعطاه الجواب وهـو أنه سـيفعل ذلك بشـوق ، وابتهـج الجميع الصغير والكبير . ووزعهـم الى ثـلاث سرايا ، واعطـاه انسـلين مـرشدين محليين (٥٦٨١ ـ ٥٧٢٧) وغزا الأتـراك ســكورتا

وهيمذوا وأحــرقوا ودمــروا الارض والمدن ، وكل مــن أسروه مــع سلاحه قضوا عليه ، وكل من فر على أقدامه رحمــوه وأحضروه الى الأمير وسلموه له ، وعندما رأى قادة سكوتا هذا هربوا الى الجبال والقمم العالية ، وتشاوروا معا حول كيفية التقدم ، وأرسلوا رسولا الى الأمير وطلبوا منه الرأفة ، وانكروا أنهم ثاروا ، وكان كل مــا فعلوه بسبب مختلف ، وتشاوروا معا حــول مــا يجــب فعله حــول الحرب مع الروم ومع الامبراطور ، لأن أميرهــم ، أمير كاريتــانيا كان غائبا.

وعندما سمع الامير هذا لم يستقبلهم وتوسل الرجال العظام وكل القادة الذين تعاطفوا مع أمير كارتيانيا وصادقوه وهم راكعــون اليه ورجوه أن يعفو عن القوات طالما أنهم يطلبون الرحمة ، وفعل الامير ذلك وهو الرجل الداهية بسرور ، وأرسل على الفور رسولا الى ملك ليوقف غارته وأن يمثل أمامه ، وعندمــا ســمع هــذا ذهــب الى فيليفوستي وحيا الامير ، الذي اســتقبله جيدا . ثــم صرف الامير قواته ومضى كل منهــم الى راحتــه وذهــب الى المورة (٤٨) مــع حاشيته ، ورحل معه كل من كان من المورة وأيضا ذهب معه الأتراك وعندما وصلوا الى هناك طلبوا من الامير تسريحهم طبقــا للاتفــاق الذي ابرموه عندما جاءوا للمرة الاولى الى أندرافيدا وبدأ رحيلهم له محزنا جدا وأمر بأن يوفــوا أجــورهم كاملة وأعطــى ملك هــدايا وأحسن اكرامه ، وسأله أن يبقي معه ستة أشهر أخرى فقــط ثــم يترك ، فأجابه الآخر وهو يقول له يقول له في تــواضع :« ياســيدي ومليكي ، أرجوا أن تكون خدمتي قــد حققــت الفــائدة والكســب لك ، عندما أبرمت الاتفاق مع عدو الرب الدمســتق وهناك في المدينة وعدت أن أخــدمه عامــا واحــدا والآن مضى عامـــان وأنا بعيد عن أراضي ، وكل من معي وهم رفاقي ، لن يسمحوا لي بالبقاء هنا في هـــــذه الارض ، وأتـــــوسل اليك ياســـــــــــــيدي أن لا (٥٧٢٨ ــ ٥٧٥٨) تضــغط علي لأن علي قســما أن أعود الى املاكي » .

وبرؤية هـذا لم يزد الامير في الضـغط عليه ، واعطـاه الهـدايا وعطايا الصداقة واعاده مع المرشـدين وذهـب إلى والاشـيا ، وفي الحقيقة حدث أن بقي بعضهم عن رغبة في المورة ، وأمـر الامير أن يعمد الجميع وجعل من اثنين منهم فرسانا واعطاهم الاقطاعات بـل انه حتى زوجهما وانجبا اطفالا مازالوا في المورة ، في فونارفي ورنتا (٤٩) .

وعند هذه النقطة سأتحول عما كنت اخبركم به ، وساخبركم عن هذا الجندي ، أمير كاريتانيا وماذا كان يفعل وأين كان خلال فترة حرب الأمير ، ولم يكن في المورة خلال الحرب مـع الروم في الوقـت الذي أتحدث عنه فاستمعوا لما أقول : ! خلال الحرب التي كانت بين الأمير غوليوم والامبراطور مع أخيه ، وقع أمير كاريتـانيا (الذي كان يعد أحد الفـرسان القـادة في الدنيا وكان جنديا شـهيرا في كل المملكة) بالخطايا الشيطانية وحبه لامـرأة ـ التـي حلت بـكثير الدهاء الآخرين والجنود ـ لقد وقع في حـب زوجـة واحـد مـن فرسانه ، السيرجين كانافاس ° وهكذا كان اسمه ، واخذها مـن المورة وذهبوا الى أبوليا ، قائلين انهما سيحجان إلى الأديرة وإلى كنيسة القديس نيكولاس في باري ، وانهمـا سـيذهبان الى رومـا وأيضا الى كنيسة رئيس الملائكة العليا والدير العظيم الذي على قمة الجبل قرب مانفريدنا (٥٠) ، وفي ذلك الوقت(٥٧٥٩ ـ ٥٧٩٦) كان الملك مانفرد ملكا في ابوليا واميرا لصقلية وكل المملكة (٥١) ، وعندما علموا من أناس معينين جاءوا وأخبروه بأن أمير كاريتانيا قد جـاء الى أبوليا وهو ذلك الرجل الشهير بالسلاح في كل رومـانيا ، وقـد دهش جدا واستعلم ليعـرف هـدفه وقصـده ومـا الذي كان يريده هناك ، وأخبره بعض من سمع بهذا من حاشيته بأنه جاء للحج الى الأديرة المقدسة التي كانت في مملكته ، وليذهب الى رومـا ، وتـكلم شخص آخر ، وكان رجلا داهية ،(وكان خبيرا وسأل قـريبا معينا له ممن كانوا في حـاشيته أمير كاريتـانيا ، الذي أخبـره بـالسبب والهدف الحقيقيين) مـع الملك سرا وأخبـره بـالسبب والهـدف الحقيقيين وبكل الحقيقة ، أن أمير كاريتانيا الجندي الشهير قد وقع

في حب زوجة أحد فرسانه وأحضرها من الدورة وجاء هنا الى أبوليا (لأجل) أن تكون عشيقة له وليستمتع معها .

وبسماع هذا ، اضطرب الملك مانفرد جدا وأسف للعار الذي حاق بالجندي النبيل ، وأرسل فارسا مع مرافقة جيدة ، الى السيرجيوفري ، أمير كاريتانيا ، وتكلم معه نيابة عن الملك وطلب منه ان يذهب الى هناك لرؤيته ، لأنه كان بحاجة لأن يتكلم معه ، وبسماع هذا قفز الى حصانه وذهب مع كل حاشيته الى الملك .

ونهض الملك مانفرد عند رؤيته لتحيته وأخذ بيده وأجلسه بجانبه وبدأ يسأله لماذا جاء الى هناك ، وأجاب الآخر ، أنه قد جاء ليحج الى الأميرة التى نذر بزيارتها في ذلك الوقت في المدينة ، وهو في سجن الامبراطور في مدينة قسطنطين .

وأجابه الملك قائلا :« أني مندهش بشعوركم الطيب وبالثناء عليك ، ومن أنك كجندي شهير بالسلاح ، تخليت عن أميرك السيد غوليوم أثناء مثل هذه (٥٧٩٧ ـ ٥٨٤٤) الحرب العنيفة والحاجة الى الجيش ، والتي كان يتابعها مع امبراطور القسطنطينية .

ان النبيل يجب أن لايكون كذابا ، ولايحسن هذا بجندي مشهور مثلك ، وكل رجل نبيل يزعجه هذا ويحزن عندما يسمع بأنه مخطىء يا أمير كاريتانيا أريدك أن تعلم أني أعرف الحقيقة والسبب والهدف من مجيئك وهذا يحزنني بحق الرب ، بسبب شهرتك ، ان الأمر بشع وانا أكره أن أتحدث فيه ، ومع ذلك فإني حبا لك سوف أشجبه ، حتى تفهم بوضوح الخطأ الذي فعلته ، لقد تخليت عن الأمير ، السيد الذي تتبعه ، والذي يتحمل عبء حرب عنيفة مع الامبراطور وحنثت بقسمك بأن تكون مخلصا ، والذي أقسمته من قبل ، علاوة على شيء قبيح آخر وخيانة عظيمة ، اذ أنك أخذت

زوجة الفارس التابع لك وانت تهيم معهـا ، في حين أن هناك قسـم بينك وبينه ، وعليه وحيث أن الثناء عليك مشهور فـاني أعطيك مهلة طويلة ، خمسة عشر يوما لتخرج مـن أرضي وأن تـذهب الى المورة لتساعد سيدك الامير في الحرب التي يشنها على امبـراطور الروم ، فاذا وجدت في أرضي بعد مرور الاسبوعين فـاني أقسـم لك بتـاجي وبنفسي بأني سآمر بقطع رأسك على الفور »

وعندما سمع السيرجيوفري أمير كاريتانيا ان الملك قـد كشـفه بنفسه وأخبره بالجريمة وبـالخطأ الذي ارتـكبه ، ومـن الخجـل والشعور بالعار اللذان احس بهما امام الملك ، تلعثـم في قـوله ولم يجد مايقوله ، ولكنه أجاب الملك بـأفضل مـا اسـتطاع :« سـيدي الملك ، أتوسل اليك وأقع بين يديك انك في كل ماقلته لي كنت تتـكلم كالرب لاني أعرف بنفسي الجريمة التـي ارتـكبتها ، واني أبجـل جلالتكم وأشكرها على هذا ، وعليه فاني سأرحل وانطلق مـن هنا وسأذهب الى سيدي الأمير غوليوم » ٠

وطلب الأذن بالرحيل فأذن له الملك ، وعاد الى معسـكره وأخـذ حاشيته ورحل مسرعا من هناك ، ووصل الى برنديزي خلال ستة أيام ، حيث وجد سفينة مستعدة فصـعد الى ظهـرها ووصـل الى كلارنتزا خلال ثلاثة أيام وسأل أين يمكن أن يجد الأمير وأخبره بـه مـن يعـرف (٥٨٤٥ ـ ٥٨٩٠) أن الأمير غوليوم كان في أندرافيدا ، وكان يعقد اجتماعا عالي المستوى ، يحضره كل القادة والأساقفة والنواب والفرسان وكانوا يتشاورون معا حول الرسائل التي تلقـوها ، وكانت الرسـائل التـي احضرت ليسـت جيدة جدا (٥٢) فقد نزلت قوة كبيرة مـن الجيش في مـونفماسيا وكان الامبراطور قد أرسلها لتعزيز قواته الأرضـية التـي أحـاق بهـا الخطر .

وعندما سمع أمير كاريتانيا ماأخبرتكم بـه ، وأن الأمير كان في اندرافيدا مع كل قـادته وفـرسانه ابتهـج كثيرا على هـذا

الأمل ، ولأنهم كانوا يحبونه فانهم سيضعون جميعا ضغطهم على أمير آخيا ليعفو عنه ، وأعاره أصدقاؤه هناك جيادا ، فركب بسرعة وذهب الى أندرافيدا ، واستقبله الجميع بسرور عظيم ، وطلب منهم جميعا كأخوة وأصدقاء قائلا : « لنرى الآن من منكم ياأقاربي وأصدقائي وأخواني يحبني حقا ، فلتساعدوني في الجريمة التي ارتكبتها ، لأنكم تعرفون جيدا أني أخطأت خطأ خطيرا في حق سيدي الأمير غوليوم ».

ووعده الجميع الصغير والكبير بمساعدته بكل قوتهم ، وأخذوه وذهبوا رأسا الى الأمير غوليوم وكان الأمير غاضبا منه وأبدى له سخطا عميقا ، وكان له حق كبير ، لأن أمله كان فيه وكانت له أيضا ثقة في أن يحصل منه على مساعدة في كل مايحتاج اليه ، وقد تخلى عنه في وسط الجريمة التي ارتكبها ، فخلع نطاقه ووضعه حول عنقه ، وسقط بسرعة فوق البلاط طالبا الرحمة وقال للأمير في وجود الجميع :« إني ياسيدي قد ارتكبت جريمة وجئت لكي تحاكموني ،» وقال له هذه الكلمات وهو جاث على ركبتيه ، وخر الأساقفة وكل القادة والفرسان والآخرين بسرعة على ركبهم معه ، وهم يقولون للأمير في توسل : باسم المسيح أعف عن سيدنا ، واذا سقط في جرم مرة أخرى أقطع رأسه إنك تعرف يا سيدنا أننا في الحرب التي (٥٨٩١ ــ ٥٩٢١) نشنها نحتاج الى الآخرين ليساعدونا ، وأجابهم الأمير الحصيف والرحيم كما كان دائما قائلا :« أيها النبلاء اعرفوا هذا وافهموه جيدا ، ان أمير كاريتانيا هو ابن أختي وتابع لي وفي المقام الأول ، كلما أخطأ ، كلما كان حزني أكبر كثيرا لذلك ، ولنسامحه هذه المرة أيضا ،» وانحنى الجميع أمامه وشكروه ، وأعاد له أرضه وقلاعه ثم تكلم الأمير في حضور قواته :

« أيها القادة تعرفون جميعا الجريمة التي ارتكبها أثناء تجواله مع الأمير العظيم لقد حارب بالسلاح ضدي في الميدان ، وقد عفوت عنه كما تعرفون جميعا ، وأعدت له أرضه وأعطيتها له كمنحة جديدة

أبدية له ولأطفاله ، لأنه جـرد نفسـه بجـريمته ، وأريده الآن أن يملكها الان فصاعدا بالطريقة نفسها (٥٣) وطالما أنه قـد عفـي عنه ، فان أمير كاريتانيا جلس في المجلس مع القادة ، والأمير الذي كلمتكم عنه وكل الفرسان وطلب الأمير منهم النصيحة حـول قـوات الملك التي علم بقدومها « حيث أنهـا مشـيئة الرب والتيوتـوكوس المقدس وأن أمير كاريتانيا قد عاد الينا ، اعطوه الجيوش والقـوات حتى يمضي الى نيكلي ليتخذ موقعا للقتال هناك وليدافـع عن الأرض، و فيما بعد وعندما تـدعو الحـاجة سـوف نسـاعده جميعا (٥٩٢٢ ـ ٥٩٦١)

عند هذه النقطة ، اتخلى عن الكلام والرواية حول الأمير غوليوم وقواته وسأخبركم لاعرفكم كيف أن أخا ملك فرنسا الذي كان يدعى السيد شارل ، أمير بروفانس جاء (توجه البابا في الحقيقـة ملكا لصقلية) وكيف تصـاهر ودخـل في اتفـاقية مـع أمير المورة ، غوليوم ، واتخـذ ابـن الملك زوجـة شرعية له ابنة الأمير ، السيدة ايزابو ، مع معـاهدات واتفـاقيات أبـرماها مـع بعضهما بعضا والنتيجة أن ابـن الملك يرث الامـارة ويأخـذ الأمير أرضه من الملك .

وفي الوقت الذي اتحـدث عنه رزق الكونت الذي كان يدعى كونت دي انجو أمير بروفانس (٥٤) من زوجته الكونتيسه ثـلاث بنات جميلات تزوجت الكبـرى (وهـي الوريثـة) الأخ الأصـغر لملك فرنسا ، وكان يدعى السيد شارل الجندي الشهير ، الذي ورث مـع زوجته مقاطعة الكونت دي انجـو وكل ممتلكاتـه ، والآن أخـذ ملك فرنسا الأخت الثانية ابنه الكونت زوجة شرعية ، وبعـد ذلك بـوقت قصير أخذ ملك انكلترا الأخت الثـالثة للاثنتين اللتين ذكرتهمـا لكم كزوجة ، وجعل منها ملكة متوجة ، وبعد أن زوج كونت بـروفانس بناته الثلاثة كما أخبرتكم ، بوقت قصير ، تـوفي الكونت وبقـي في أرضه أميرا وارثا السير شارل أخو ملك فرنسا لأنه تـزوج كبـرى الأخوات الثلاثة .

وفي ذلك الوقت وفي تلك السنوات حكم الامبراطور فريدريك امبراطور المانيا مملكة صقلية والى جانبها امتلك ابوليا ، وأظهر العنف للبابا وأخذ منه كامبانيا اضافة الى روماغنا والسيادة على روما ونفي البابا الذي غادر روما (٥٩٦٢ ـ ٥٩٩٧) وهرب الى البندقية لئلا يقتله ، ومن هناك حرمة البابا والكنائس وكذلك حرموا اراضيه واتباعه ، ولم تعد التراتيل تنشر ولايحتفل بالقداس ولايعمد الأطفال وكذلك لم تعد تتلى الصلوات على الموتى ولايزوج الناس ، وحرم الى الأبد في كل الكنائس في كل الممالك في كل العالم النصراني ، وفي الأديرة ومن قبل الأساقفة في العالم كله (٥٥) .

وكان للامبراطور فريدريك ابن ذكي ، ويدعى مانفرد ، أمير سالرنو وكان له السيادة على كابوا وكل ماضمنها (٥٦) وتوفي الامبراطور فريدريك وتوج الملك مانفرد ملكا على صقلية وأصبح حاكما على ماكان والده يملكه ، وملك هو أيضا الاراضي والسلطة (٥٧) وكان طاغية دنس الكنيسة ، وعندما مر بعض الوقت كما أعتقد دعمت قضية البابا وعاد الى روما ، والآن عرف وفهم أن السيرشارل (كان يدعى الكونت دي انجو ، أمير بروفانس ، وكان أخا لملك فرنسا) كان جنديا مهيبا شهيرا في كل الدنيا ، وبالتشاور مع الأساقفة والكرادلة أرسل له رسالة ومثلها الى أخيه مع المباركة والتوسل والوعود الكبيرة بأنه اذا ذهب نيابة عنه ليحارب ضد الملك مانفرد (ذلك الطاغية الذي ملك الأراضي وممتلكات الكنيسة) وليخوض معه قتالا ويدمره ، ويستولي على أموال القديس بطرس كلها ويضعها تحت تصرفه لاستئجار الجيوش ، فان كل من يعتقدون بالمسيح وكل من عمدوا سوف يحملون شارة الصليب ويمضون،معه وسوف يسلم له صولجان الكنيسة له ولأولاده بالوراثة،وسوف يحيي الملك وسيوضع التاج على رأسه ، وسيكون ملكا على (٥٩٩٨ ـ ٦٠٢٤) صقلية ومملكة أبوليا (٥٨)

وعندما سمع السير شارل كونت بروفانس الشجاع ماوعد به

البابا بالغ التقديس وكتب له ، ولم يكن بأي حال ليقبل بأن يتولى هذه المهمة ، قائلا ومسوغا بأنه اذا تولاها فانه سيضطر ملك فرنسا وهو أخوه الى التنازع والدخول في حرب كبيرة مع الألمان وأيضا مع الفيبلليين (٥٩) وسيتحمل خطيئة المذابح التي ستحدث في الحرب وابادة الشعب المسيحي ، وعند هذه النقطة حدث هذا الأمر الذي أسجله لكم الآن (٦٠) وأراد ملك فرنسا أن يقيم احتفالا واستقبالا رائعا لأقربائه ، وأبلغ ابن حميه ملك انكلترا ، وكتب له حوله بطريقة ودية وسأله أن يحضر هو والملكة أخته ليجتمعوا معا في باريس لحضور هذا الاحتفال ، وقبل بمحبة خالصة وبدا له أجمل مايمكن ، أن يلتقوا ويمرحوا ، وعليه صحب الملكة مع حاشية جيدة وذهبوا الى باريس وحظيت الملكتان بسرور عظيم باجتماعهما معا ، وفي أحد الأيام وكان يوم أحد ، كانوا ينظمون احتفالا عظيما والتقت الأختان الملكتان معا الثانية ملكة فرنسا والثالثة ملكة انكلترا (٦١) (٦٠٢٥ ـ ٦٠٨٦) وبينما كن يجلسن في غرفة نوم الملك وصلت الأخت الأولى ايضا كونتيسة بروفانس التي كانت تحتفظ بأملاك أبيها واذ علمتا أنها قادمة نهضتا لتحيتها ، وهكذا معا كما هي طريقة النساء وحالما جلسن معا قالت ملكة فرنسا وكانت الوسطى للأخت الأولى وهي الكونتيسة : « انه ليس مناسبا لك ايتها الأخت الطيبة أن تجلسي معنا كما لو كنت مثلنا حيث أننا نحن الأثنتين ملكتين ، أي أننا من فئة متميزة ومنزلة مختلفة عنك » وعندما سمعت الكونتيسة النبيلة هذا ، نهضت من الخجل والمرارة وتركتهما على الفور وذهبت الى بيتها ودخلت غرفتها في فيض من الدموع ، وفيما بعد ظهر كونت بروفانس وسأل من الخارج أين كانت الكونتيسة ، وأجابه أحدهم وقال له « سيدي انها هناك في غرفتها وأعتقد أنها نائمة » فدخل الكونت عليها بهدوء وعندما أدركت السيدة النبيلة أن الكونت قادم مسحت عينيها بمنديلها (٦٢) وعرف الكونت بأن عيني الكونتيسة كانتا منتفختان من كثرة الدموع فقال لها في غضب ماالذي يبكيك ياكونتيسة ؟ وأرادت أن تنكر السبب ولاتبديه فأقسم على الفور

قسما رهيبا ، وقال « ان لم تخبريني بصدق على الفور لماذا تبكين فإني سأضربك حتى أجعلك تبكين حقا » .

وفي خوفها أخبرته بالحقيقة ، وهي انها ذهبت لترى أختيها وجلست معهما للحديث : « ولأني جلست معهما كما لو كنا من المنزلة نفسها ، ولم أبد لهما فرقا لأنهما كانتا ملكتين ، بدأت أختي ملكة فرنسا في الكلام معي وقالت لي : « ليس صوابا يا أختي الطيبة أن تجلسي معنا كند من المنزلة نفسها أو الجدارة عينها ونحن ذوات جلالة وجدارة أكثر من كونتيسة أو دوقة أو أي سيدة أخرى » . وأنا بسماعي هذا حزنت على الفور بصورة موجعة حتى أني من شدة حزني تركت المكان وجئت هنا إلى غرفتي وبكيت كثيرا ». (٦٠٦٩ ـ ٦١١٦)

وعندما سمع الكونت هذا نذر نذرا رهيبا ، وقال لزوجته الكونتيسة : أقول لك هذا بالمسيح وأمه ، إنى لن أستريح مطلقا ولن أرضى حتى تصبحي ملكة متوجة » .

وغادر على الفور وذهب إلى الملك ، أخيه ، ملك فرنسا وكان هناك يتحادث مع ابن حميه ، ملك انكلترا ، وانتحى جانبا وبدأ يتكلم معه : سيدي وأخي الملك ، يجب أن تعلم جيدا أن أبانا المقدس ، بابا روما قد أرسل لي بركات مرات عديدة جدا مع الطلب أن أذهب الى روما واني اذا أمسكت بالملك مانفرد في الحرب وقاتلته في الميدان بالسلاح فانه سيتوجني ملكا على صقلية ويعطيني الصولجان ، وسأكون حامي كنيسة روما . ولم أرغب مطلقا في تولي هذه المهمة ، والله يعلم ، بسببك أنت ، لئلا أدفع بك الى الحرب والمتاعب ، والقتال مع ملك ألمانيا وحزبه ، أي مع كل الفيبلليين حسنا يا سيدي ان العزم على فعل هذا قد جاءني لتوه ، لهذا أرجوك ، وانحنى أمامك كسيد وأخ لي ، أن أحصل أولا على أمر من جلالتك ، ثم المساعدة ، بالمال والجيوش ، حتى أمضي بشرف يوائم شرفك .

وعندما سمع الملك هذا وافق بحرارة وقال لأخيه : « أقدم شكري للملك الذي خلق الكون لأنه أعطاك الرغبة لفعل ذلك لانه أمـر مشرف وتحرير للعالم ، وفي هذا الشأن فاني أجعل شاهدا مجـد الرب الذي تمنيت أن يوحي لك بهذا الأمر بارادته وتتولى تلك المهمة . ولكني مرة أخرى خشيت أن يتصـادف أن تعتقـد بـأني أريدك أن تبتعـد عن صحبتي ، حسنا وحيث أن الرب قد أعطاك الارادة وأنك تريد بقرار منك أن تقوم بها ، فخذ من مالنا وأيضا من قواتنا واستأجر جيوشا جيدة لتكون من ورائك ، وليكن الرب وبـركات أبينا بـالغ القـدسية وبركاتي أيضا أنا أخوك عونا لك أينما ذهبت ، لأن أملي بـالرب وفي البابوية المقدسة ، وفي الحكمة وفي الشجاعة والمهارة الحربية التـي لديك بأنك ستقوم بفعل لشرف الكنيسـة أولا ولي ثـانيا ، ولك ولكل أقاربنا » (٦١١٧ ـ ٦١٥٩)

والآن شكر الكونت الحكيم البارع الملك كسيد له وأخ ، ثم استعد ، وأخذ مالا واستأجر جيوشا كثيرة مـن الرجـال ذوي الخبـرة مـن الفرسان والمشاة من الجنود الشجعان كلهم ، وودع الملك وذهب الى بروفانس وجهز سفنه وصعد اليها ووصل الى رومـا خـلال شـهر (٦٣) .

ويقع البحر على مسافة اثني عشر ميلا من رومـا ، وبعـد أن نزل ونزلت قواته الى البر أمر بأن تحمل الخيول والجياد والدروع ومواد الطعام والمؤن على عربات الشحن وبغال الحمـل ثـم انطلق ذاهبـا رأسا الى روما (٦٤) .

وعندما سمع البابا بالغ القدسية بأن السير شارل كونت بروفانس كان قادما بجيوش هائلة ، من زهـرة فـرنسا ، رفـع يديه وحمـد الرب ، والقديس بطرس وبولص اللذان قويا من عزيمته ليذهب لعون الكنيسة بالغة القدسية ضد الطغاة ، ولأنه قد ابلغ لتـوه (٦٥) وكان رجاؤه في الرب ان يختفي الطغاة واعداء الكنيسة ، وبـأنه سـيبقى على عرش روما. ركب البابا بناء عليه من السعادة التي شـعر بهـا

الكونت ، ولكي يشجعه بالشكل المناسب هــو بنفســه خــارجا مــع الكرادلة ومع نبلاء روما ، ومضى لاستقبال كونت بروفانس ، (٦٦) وقدم له تشريفا عظيما في هذا الاستقبال .

وبعد أن وصلوا الى روما نزل كل منهم في منطقة تمركزه ، وحــالما أسكنوا كما اخبرتكم أرسل البابا خمسة كرادلة ، وأربعة مطارنة ، واثني عشر أســقفا الى الكونت ، أرســلهم ليطلبــوا منه أن يأتــي لمقابلته والتحدث معه وعليه فقد صحبوه بتشريف كبير ، والآن نهض البابا بالغ التقديس لتحيته ، وأخذ بيده وأجلسه بجانبه .

مرحبا بالرجل النبيل ، ذو الدم الفرنسي حامي المسيحيين ، ابــن الكنيسة ».

وبدأ يسأله عن الرســائل مــن أخيه الملك ، ملك فــرنسا كمــا اخبرتكم (٦١٦٠ ـ ٦٢٠١) وبعد أن تلا عليه رسائل الملك شكره واثنى عليه آلاف المرات لأنه جاء وأجهد نفسه لحاجة الكنيسة وهــو أمر يشكل نبعا للفخــار والكســب له والراحــة للمســيحيين ولكل الكنيسة ، وبعد أن تحادثا وقالا كل ما يريدان ، عاد الكونت الى مقر اقامته ، ثم أمر البابا بــالغ التقــديس بــاستدعاء الجميع كبيرهــم وصغيرهم ، وعقد اجتماعا رهيبا ومجلسا أعلى للبلاط ودعا كل من جاء وقتها مع الكونت وكذلك نبلاء رومــا ، وأقــام البــابا قــداسا احتفاليا في كنيسة القديس بطرس ، وبعد تلاوة القداس وخروجه من المذبح المقدس ، توج البابا بنفسه الســير شــارل ملكا على صــقلية بتاجه المذهب ، وحياه كل الحضور صغارا وكبارا (٦٧) .

وبعد أن توج كونت دي أنجو ملكا على صقلية ، لم يرد بأي طــريقة أن يضيع وقته ، وذهب الى البابا وقال له : « سيدي الأب المقدس ، اني لم آت الى هنا لأجلس كامرأة ، والآن وقد توليت أمر الحرب مع الملك مانفرد والفيبلليين ، وهم أعداء الكنيسة ومجرمون فيها ، فاني

لا أريد لنفسي ، ولا أقــدر بنفسي على محــاربة الطغــاة . وأعداء كل الكنيســة ، ولكن حيث أنك تجلس على عرش رومــا ، وجعلت مني مدافعا عن الكنيسة ، فمر وابعث الى كل مكان والى كل الممالك بــأن على كل من يؤمن بالمسيح ويخضع لامرتك ، ان يساعدوك بجيوشهم كي تحارب أولئك الذين يعادون الكنيسة . وعندما سمع بــابا رومــا المقدس ذلك الذي قاله الملك بدا مغريا له . وأمر على الفــور بــكتابة الرسائل وارســـال الرســـل الى الممــــالك وأيضـــــا الى كل ايطاليا (يحملون) المباركة والدعوة كي يأتوا لعونه وليطردوا مــن مقاطعات وأراضي الكنيسة الطغاة العاقين الذين يدنسونها ، وجاءت جيوش هائلة من كل الممــالك وجــاء الى ايطــــاليا كل الغـــويلف (٦٢٠٢ ـ ٦٢٤٠) .

وبعد أن تجمعوا جميعــا في رومــا ، قســم الملك سرية كل رجــل وأمرهم بأن يخرجوا من مدينة روما وتسلح هو بما هــو مناســب له كملك ، ومضى الى البابا وسأله مبــاركته وهــو راكع على ركبتيه ، وباركه البابا وصلب فوقه ، وأمر بأن توضع طبعة الصليب المقــدس على الجانب الأيسر من صدره حتى تبقى معه ، وبارك جيوشه أيضا صغيرهم وكبيرهم ، وصلى من أجلهم جميعا وقال :كل مــن يمــوت بالسيف في هذه الحملة سينال عفو المســيح والبــابا أيضــا عن كل الخطايا التي ارتكبها أيا كانت في حياته تماما كما لو أنهم مــاتوا في أرض الشام لانتزاع قبر المسيح مــن أيدي غير المســيحيين ، عرق البرابرة ». وبعد أن تلقى الأمير البركة من البابا ـ كما أعطاها لكل الجيوش ـ انطلقوا رأسا الى أبوليا .

وعندما سمع الملك مانفرد التقارير بأن الملك شارل بنفسه كان قادما لحربه أرسل في طلب جيوش من ألمانيا ، وجاءته منهــا جيوش جيدة كثيرة ، وكلها من الرجال الشجعان ، ومثل هذا جاءته من لومبارديا ومن توسكانيا أيضا ، فمن هناك جاء الذين كانوا من حزبه ، وجاء كل الغيبلليين من صقلية وكذلك رجال كالابريا ، وهكذا جمع جيوشا كثيرة جدا فاقت الحصر .

- ٤٨٧٩ -
واتخذ لنفسه موقعا في بينفنتو وانتظر الملك ، وبقي في انتظاره حتى وصل .

وتحاربا هناك بكل جيوشهما ، وحيث أن مشيئة الرب قضت بأن يعطي لصاحب الحق الحظ الحسن وينيله النصر ، كسب الملك شارل المعركة (٦٨) وقتل الملك مانفرد وخسر المعركة ، وكل من بقي بعده ، أعني قواته ، قدم الطاعة للملك شارل العظيم ، وهكذا تركوه في راحة وسلام ، ملكا وسيدا لصقلية ولمملكة ابوليا . (٦٢٤١ ـ ٦٢٦٥)

وعند هذه النقطة سأتوقف عما كنت أرويه ، وسأعود مرة أخرى للأمير غوليوم ، لأقص وأروي الأعمال التي قام بها ، وهنا سأبدأ بالكلام وأخبركم عن أمير المورة ، غوليوم وماذا فعل وكيف تصرف في ذلك الوقت عندما عاد النبيل سيد كاريتانيا من مملكة صقلية هناك في أبوليا . وكما أخبرتكم أعلاه في كتابي ، عفا عنه الأمير غوليوم بنفسه ،(٦٩) وأعاد له أرضه ، التي كان قد ملكه اياها بمثل تلك الطريقة والاتفاقية التي رسماها ، وكان له أن يورثها فقط لابنه ، تماما كما أعادها له من قبل في نيكلي ، عندما كان الأمير يقاتل مع الأمير العظيم ، وكما هي العادة في الأعمال الحربية أينما كانت ، يتم كسب بعض المعارك ، وبعضها الآخر يجلب الكوارث ، وهي حقيقة تجلب لي متاعب عظيمة لوأني كتبتها كلها لكم في هذا الكتاب .

لكن كي أجعل الأمر أخف بالنسبة لي وأنا الذي أكتبها لكم وأنتم تسمعون وتقرأون ، بذلت جهودا عظيمة لانتقاء الأفضل وكتبت وتلوت الأعمال والمهام التي كانت مثمرة .

وعليه سأبدأ من هذه النقطة ، فاستمعوا فقد تتعلموا ! (٧٠)

عندما سمع الأمير وعرف أنه في ذلك الوقت ، هزم الملك شارل الملك (٦٢٦٦ ـ ٦٢٦٨) مانفرد في المعركة وقطع رأسه واستولى

على السلطة في كل مملكته .كان سعيدا جـدا (٦٢٦٩ ـ ٦٣٠٠) واقر له هذا السمو لأن العرق الفرنجي الذي ينتمي اليه هو ايضا قد اقترب اكثر من المورة والى ارضه ، وكنتيجة تـروى في فـكره كثيرا وتكلم محللا بهذه الطريقة التي اذكرها هنا ° وحيث أن امبـراطور مـديـنة قـسـطنطين قد تجذر في المورة وكانت سيادته تنتشر ، فانه لن يتمكن مطلقا مـن طرده من الأرض وحـده ، بنفسـه ، وبـالقوات التـي لديه ، إن لم يحصل على القوة من دولة مـا أخـرى ، وحيث أن الرب قـد أمـر واصبحت دولة الملك شارل قريبة الى ابوليا . (ان الرب لم يمنحـه ابنا يكون وريثا له ليتركه سيدا على الأرض ، عندمـا يأتيه الموت في ساعة منيته ، كان لديه فقط أطفال اناث كورثة) . ولئن استطاع أن يعقد مصاهرة مع ذلك الملك القوي شارل ، بحيث يأخذ الملك شـارل كما أخبـر كم ابنة الأمير غوليوم كنة له (٧١) وسـتوفر له القـوة والجيوش الشجاعة ليطرد الامبراطور من الامارة .

وبعد أن تأمل الأمير جيدا في نفسه ، أمـر بـدعوة كل القـادة ، وأولئك الأكثر حـكمة والأوائل بين مسـتشاريه . وتحـدث اليهـم وأخبرهم بما اعتزم عليه . وحالما سمعوه ، تناقشوا معا ، وبينوا له واقترحوا طرقا كثيرة ووسـائل يمـكنه بهـا تحقيق هـذا الشيء وانجازه ، لأنه كان نبيلا وقويا فـوق الطبيعـي ، في حين أن الأمير كان فقيرا في الوسائل فقد لا يقبـل بهـا وربمـا لن يعبـأ بها (٦٣٠١ ـ ٦٣٤٥) وعند هذه النقطة ، تكلم الاحكم مـن بين الموجـودين في مجلس الأمير في ذلك الوقـت ، والذي كان يدعى نيكولاس دي سانت أومر وكان أمير طيبة ، وكانت له معرفة واسعة وتكلم مع الأمير معطياً إياه هـذه المشـورة : « اذا شئت ياسيدي تحقق ذلك أنا اتعهد بالقيام بذلك بنفسي إذا أخذت بنصيحتي واتدبر الأمر بشكل قانوني مع الملك شارل ، وصـحيح كمـا يعـرف الناس جميعا أن أميرنا أبوك مع أهلينا هم الذين غزوا المورة ، التي تدعى الامارة ، وربحوا بالسيف كل ما نملك من اقطاعات ، وابوك وسيدك

لم يأخذ ارض المورة من أحد ، وقد حصل على السيادة من الرب وحده وبالسيف . وحالما توفي ابوه واميره ، فان أميرك وأخاك السير جيوفري اصبح سيدا وتزوج ابنة الامبراطور روبرت ، وكان قد أرسلها الى ملك اراغون زوجة له ، وعليه فقد تزوجها السير جيوفري كما يعرفً كل الناس ، وكتعويض للملك عن الجريمة التي ارتكبها ضده ، وليحل السلام بينهما وتستقر الأمور ، عقدت معه معاهدة واصبح رجله ، وله أن يحصل على أرضه من الامبراطور ، حسنا وطبقا للطريقة التي سوى بها أخوك الأمر في ذلك الوقت ، واصبح تابعا للامبراطور ، ولم يتمكن من خدمة أحد آخر وله وحده كان يقدم خدماته كلها ، وتماما كما فعل هذا لمصلحته الخاصة وليرضي رغبته وليحقق ربحا ، افعل الشيء نفسه وعلى الفور مع الملك شارل لتحقق رغبة ولتربح . واذا فعلت كما أقول فاني آخذ على عهدتي أن يصبح الملك قريبا لك وهو متلهف الى ذلك » .

وعندما سمع الأمير وأولئك الذين كانوا في مجلسه ذلك ، سر الجميع وحمدوه جدا ، وبعد اعطاء المشورة كما أخبرتكم ، تقرر الأمر وصمم عليه .

واختير أسقف أولينا مع السير بيير ، (وكان لقبه دي فو، وكان يعتبر في كل الإمارة رجلا حكيما (٧٢) ، ليذهبا كمبعوثين الى الملك ، واستعدا وعبرا مباشرة الى برنديزي ، وبعد ان نزلا الى البر ، اشتريا خيولا وأخذا الطريق المؤدي الى حيث كان الملك فوجداه (٦٣٤٦ ـ ٦٣٨٧) في نابولي ، وانحنيا أمامه ، وكانا يحملان له رسائل فقدماها له ، وكانت تحوي وتعلن أن له أن يصدق هذين الرجلين في كل شيء يقولانه وينطقان به .

وبعد أن تسلم الملك الرسائل وفهم التصريحات بأن يصدق هذين الرجلين امر بأن يستدعيا الى مكان جانبي وبدأ يستجوبهما حول ما كانا يريدان قوله ، وحيث انهما كانا حصيفين بدأا يتكلمان معه : وأخبراه بالتفصيل ما الذي كانا يريدانه وهو أن رغبة الأمير

ومشيئة الرب وارادة الملك أن يدخلا في مصاهرة ويصبحان كواحد ، وبعد أن استمع الملك جيدا لما أخبراه به ، اجابهم بأنه سيجري مشاورة ثم يعطيهم الجواب ، كما هو صحيح ومناسب .

وعليه أمر الملك بدعوة القادة ، الأوائل منهم والأفضل في مجلسه ، وأخبرهم مفصلا بأمر أمير المورة واقتراحه وما كتبه وأراد تنفيذه معه ، ثم بداوا يتكلمون ويتشاورون ، وبعد أن تناقشوا قالوا ما يلي أيضا : « انهم يريدون استدعاء المبعوثين واستجوابهما ليسمعوا ويعرفوا خصائصهما . وعليه فقد استدعوهما وبدأوا يستجوبونهما : كيف يملك غوليوم أمير المورة أرضه ، ومن هو سيده الأعظم ، وأي نوع من الأرض المورة وما هي ثرواتها ؟ ثم أعطى السير بيير الذي عرف وفهم كل شيء عن المورة الجواب ، وقال كل شيء من البداية الى النهاية (٧٣) .

وعندما سمع الملك وكذلك مجلسه ماتضمنه امارة المورة وثرواتها وقيمتها ، اشار عليه الجميع باتمام الامر ، لانهم رأوا وتحققوا انه كان لصالحه ، وصمم الملك على تنفيذ مشورتهم ، وبعد ان صمم الملك على تنفيذ المصاهرة مع امير المورة ، غوليوم اعطى توجيهه لاحد الاساقفة واثنين من قادة الفرسان ، وفارسين اخرين ممن كانوا معه بان يذهبوا كمبعوثين الى الامير غوليوم لحمل الجواب اليه مع رجاله ، والارادة والجواب اللذان اعلنهما الملك له (٦٣٨٨ ــ ٦٤٣٢).

وانطلقوا بناء على ذلك وذهبوا الى برنديزي ، حيث وجدوا السفن التي كانت مستعدة للابحار ، وصعدوا الى ظهورها معا وذهبوا الى كلارنتسا ووجدوا الامير غوليوم في اندرافيدا . وتكلم اسقف اولينا والسيربيير مع الامير واخبراه في خلوة ماحققاه ونفذاه مع المللك ، وبعد هذا استدعوا ايضا الرسل الذين جاءوا معهم من عند الملك شارل ، ثم رددا ماكان عليهم نقله من الملك شارل الى أمير المورة ؛ مما يسر الملك ، فرغب واراد قانونيا تحقيق

المصاهرة حسب الاتفاقات التي اعلنت للملك من قبل المبعوثين الذين ارسلهم الامير الى الملك ، والتي اشترطت ان يأخذ الامير ابنتــه ، التي كانت وريثته والتي كانت تسمى ايزابو وان يذهبوا الى نابولي للانضمام الى الملك وان يتزوج الاولاد ، فيأخذ ابن الملك ابنة الامير غوليوم ، وبعد ذلك يؤدي الامير الولاء ليأخذ ارضه من الملك شارل .

وعندما سمع الامير هذا اقــره بحــرارة ، ومنح تشريفــا عاليا وهدايا للذين اوفدوا وجاءوا اليه كمبعوثين ووجههــم بــالعودة الى الملك وحمــل جــوابه اليه وابــلاغه ان امير المورة كان راضــيا على الاتفاقيات وكان يستعد للمجيء لاتمام الامر ، وأرســل الامير على الفور الى يوريبــوس ، حيث احضرت له احــدى الشــوانى كبيرة وجيدة التجهيز ، وفي كلارنتسا امــر بتجهيز ســفينة اخــرى له ، واستعد كما ينبغي لمثل هذا الرجل العظيم ، وصعد الى السفن مــع ابنته ، التي كانت تسمى ايزابو وحاشيته ، واخذ معه من الفرسان العدد الذي يحتاجه ، وانطلقوا الى كلارنتسا ووصلوا الى برنديزي. وبعد ان نزلوا في برنديزي احضروا الخيول بسرعة وانطلقــوا على الطريق ، وهكذا ركبوا الى نابولى حيث كان مقر اقامته ، ووصلوا قبل الملك (٧٤) .

والان عندما سمع الملك وابلغ بان الامير كان يقترب من المدينة ، ركب بنفسه خارجا ومضى للقــائه ، وحياه هناك حيث اســتقبله بلطف واخذ بيده وركبا جنبــا الى جنب وقــدم له تشريفــا كبيرا ، دهش له الجميع .(٦٤٣٣ ـ ٦٤٧٩).

وبعد ذلك نزلا عند بيت الملك ؛ ثم امر بــان يســكن بتشريف كبير في المدينة ، ودعاه للعشاء في اليوم التالي ، وعلى شرف الامير دعا كل النبلاء الذين كانوا في المدينة ، وعقد المجلس الاعلى للبــلاد ، وكان هناك احتفال كبير ، وبعــد ان احتفلوا جيدا ذلك اليوم ، ذهــب كل الى مقره .

وفي الصباح التالي ذهب الامير الى حضرة الملك ليتحدث معه وامر الملك كل فرسانه بالمجيء ، وجلسوا للتشاور وبدأوا في الحديث ، ثم جاء المبعوثون الذين ذهبوا الى امير المورة وبدأوا الحديث وهم يريدون رواية كيف ذهبوا الى المورة الى الامير غوليوم مع امر الملك فيما يتعلق بالمصاهرة وماانجزوا والى اي نقطة تقدم الامر في هذا الشأن الذي ارسلوا فيه . وحيث ان جلالة الملك قد امر وان الامير قد جاء عند جلالتكم ، فان الامر متروك لسموكما لتنفيذه وتحقيقه بحكمتكما لما فيه تشريف لسموكما ولمجدكما ورخائكما انتما وقواتكما .

وحالما انتهى المبعوثون مما كان عليهم قوله حول المصاهرة ، بدأ الامير عندئذ الكلام حول الامر وبدايته ، والطريقة التي بدأ بها ، وبناء على امر وتوصية الملك جاء الى هنا واحضر معه ابنته ، وانه على استعداد لان يفعل كل مابحثه مبعوثو الملك معه في المورة وان ينفذ الاتفاقيات التي ابرمت وكل مايخصها (٧٥) .

ثم اجاب الملك بنفسه بان كل ماقاله الامير صحيح ، وانه رغب واراد ان ينفذ الامر كما اتفقا وشرعا ، وبعد ان انتهيا واعلنا التفاصيل امرا باحضار ابنائهما ومن ثم خطب رئيس اساقفة نابولي ، وكان مطرانا الابناء وبعد ان اعلن خطبتهما وعقد لواحد الزواج بمراسمه ، ادى الامير الولاء ، وبناء على ذلك قلد الملك ابنه السيرلويس الامارة (٦٤٨٠ ــ ٦٥٢٦) . فاعادها مرة اخرى الى حميه ليملكها ويديرها مدى حياته في هذه الدنيا .

وبعدما انجز هذه الاشياء التي اخبركم بها مكث الامير هناك خمسة عشر يوما مع الملك شارل ونظما احتفالات كبيرة ، ثم جاءت التقارير من المورة للامير بان احد ابناء اخيه قد جاء من عند الامبراطور الى مونمفاسيا ، واحضر معه الجيوش ؛ والكومان والترك والروم من منطقة نيقية والذين في المورة ، وكان اهل الارض خائفين وطلبوا من الامير العودة الى هناك . وعند سماع ذلك ذهب

الامير الى الملك واطلعه على هذه التقارير مفصلا ، وطلب منه الاذن للذهاب الى المورة لاسعاف وتقوية ارضه وقواته ، وللذهاب الى قلاعه لتموينها . وعندما سمع الملك هذا قال انه حسن ان يذهب الى ارضه لنجدتها وحمايتها من اعدائه ، وعليه استأذن الامير من الملك ، وركب بسرعة ووصل الى برنديزي ، حيث وجدا السفن جاهزة فصعد اليها ووصل خلال يومين الى كلارنتسا وركب من هناك ذاهبا الى اندرافيدا .

وعندما سمع كل اهل المورة بمجيء الامير ، كانوا سعداء جدا وشعروا بثقة قوية تجاه اعدائهم . وبعث باوامر مكتوبة الى امراء القلاع بان يحتفظ كل منهم بحراسة قوية من قواته لانه كان في طريقه لمساعدتهم وانهم يجب ان يمونوا قلاعهم وان يحشدوا القوات ليقفوا بثبات ويحموا الارض والحدود ، وبعد ان استراح نحو اربعة ايام ، كتب الى القادة والفرسان فجاءوا اليه وخرجوا راكبين على الفور ، واخذهم وجال على القلاع ، وامر بنشر الحراسة في كل الارض حتى يحتموا من اعدائهم .(٧٦)

وسأتوقف عند هذه النقطة لحظة عن الكتابة والكلام عن الامير غوليوم أمير المورة وسأخبركم بنبأ الملك شارل والفعل الذي قام به والعطف الذي اظهره في ذلك الوقت لامير المورة .

ومن عطف الملك الحكيم ، الملك شارل والعاطفة التي شعر بها تجاه نسيبه الامير غوليوم (٥٦٢٧ ـ ٦٥٤٥) ولانه ايضا كان خبيرا في الاعمال الحربية للجيوش ، (٧٧) فانه بعد ان تركه الامير ومضى مبتعدا عنه فكر ومحص انه طالما ان الامبراطور قد ارسل جيوشه الى المورة لمحاربة الامير الذي كان نسيبا له ، فان الامير سيكون بحاجة لعون بالجيوش والقوات ليحمي ارضه ، وعليه امر بدعوة احد فرسانه وكان جنديا خبيرا في الامور الحربية ، وكان يدعى السير غاليران ، وكان لقبه دي ايفرى ، (٧٨) وقال له اريدك ان تذهب الى المورة لمساعدة نسيبي الامير مع مائة من المرتزقة

بخيولهم وايضا مائتين من الجنود المشاة على ان يكونوا كلهم من النخبة ايضا وعلى ان يكون مائة منهم من حملة الاقواس العقارة والاخرين من حملة الدروع ، (٧٩) وان تدفع للجميع اجور ستة شهور وتكون عليهم كقائد ونائب لي ، استعد على الفور واذهب بسرعة ، ان السفن (٦٥٤٦ ـ ٦٥٨٨) جاهزة في برنديزي فاركبوا واذهبوا سريعا الى المورة لمساعدة الامير واهدائه تحياتنا الكثيرة عني،واخبره نيابة عني انه اذا احتاج لجيوش اكثر ، فليشعرني برسالة موجزة وسارسلها له على الفور .»

واعد الفارس الحكيم نفسه على الفور كما امر الملك ، وترك نابولى وذهب الى برنديزي وهناك وجد السفن مستعدة فصعد اليها ووصل خلال ثلاثة ايام الى كلارنتسا ، وحدث ان كان الامير في ذلك الوقت في فليزيري ، وارسل له السير غاليران ستة رسل ، وكان اربعة منهم سرجندية واثنان من الفرسان ، وابلغه بالتفصيل انه جاء من ابوليا بناء على امر الملك بالجيش الذي معه لتقديم العون للامير وتنفيذ جميع اوامره .

وعندما علم الامير بوصول نائب الملك هذا ، السير غاليران ، الذي جاء من عند الملك وجلب معه الجيش الرائع ، من الفرسان والمشاة كما اخبرتكم ، بدا له الامر بالغ الروعة وابتهج به . ولتشريف نائب الملك من اجل الملك ، وركب خارجا على الفور مع القوات التي لديه وذهب رأسا اليه في كلارنتسا ، ومن جانب اخر سمع الرجل الحكيم السيرغاليران وعرف ان الامير قادم اليه ، فركب لتلقيه بسرعة خارجا مع حاشيته بالدروع وعلى خيولهم ومنهم المشاة والفرسان وقابلوا الامير غوليوم عند نهر الياكوس عند نقطة تدعى كريفسا(٨٠) ، وهناك التقيا وابتهجا معا وحيا السير غاليران الامير نيابة عن الملك وقال له: لقد ارسلني الملك الى هنا ، وهو يبعث اليك بتحياته ، وقد ارسل لك معي كل هذه القوات لمساعدة ارضك ، وكمعونة في الحرب التي بينك وبين امبراطور اولئك الروم.

واذا احتجت للمزيد ايضا فاعلمه حتى يرسل اليك (٨١) وشكر الامير الملك بحكمة على المساعدة التي ارسلها وعلى المعونة أيضا .

والان بعد ان وصل الاثنان الى كلارنتسا ، امر الامير بايجاد خيول (من النوع) الذي يدعى خيول الحمل ، للمرتزقة ، واحد لكل رجل لاعطائهم الراحة بحمل ملابسهم (٦٥٨٩ ـ ٦٦٣٣) ودروعهم.

وبعد ان جهز الامير الفرنجة الذين جاءوا لمعاونته والذين ارسلهم الملك ، تشاور مع الذين كانوا في مجلسه حول الطريق الذي يجب ان يسلكوه ، وفي اي مكان يهاجموا اعداءهم العرق الرومى ، وعندما تشاوروا انطلقوا من هناك ووصلوا الى رافد الالفيوس عند مكان يدعى ايزوفا (٨٢) وجاء حكام القلاع مع قواتهم كما فعل قادة الفرسان ، واعطيت لهم الاوامر بان يستعدوا بمؤن من الخبز تكفي لشهرين ، وهناك تشاوروا حول مكان الاغارة ، وعليه فقد اشير عليهم بان يذهبوا الى نيكلي ، بفكرة وهدف ان هذا المكان كان متسعا بدرجة كافية تتيح لجيوشهم الاقامة والراحة ويمكنهم الاقتراب من جيوش الروم اذا رغبوا في الاغارة ، واذا توصلوا الى قرار القتال ، وكان الامير واثقا من جيوشه وفي ان الرب سيكون في عونه ليحرز النصر على الروم ، واذا سر الرب ان يمنحه النصر فانه سيستولي بسهولة على كل الامارة .

ثم ركبوا ووزعوا السرايا ، وغادروا ايزوفا ووصلوا في المساء الى كاريتانيا الى القلعة الرائعة ، وعندما علم امير كاريتانيا بان الامير قادم بجيوشه وانه كان قادما على طول الرافد في اتجاهه (٨٣) ، ركب بسرعة خارجا مع رجاله وذهب لمقابلة أمير المورة ، ومن جانب اخر جاء من اكوفا السير غوتيير سيد تلك القلعة مع الجيوش التي لديه (٨٤) ، وتجمعوا معا في كاريتانيا واستعرض كل منهما الجيوش التي لدى كل واحد منهما ووجدوا ان هذين الفارسين القائدين امير كاريتانيا وامير اكوفا كان لديهما مائة وخمسين خيالا ، كلهم من النخبة ومن الجنود ذوي الخبرة ، وكان لديهم مائتين من المشاة ، وكلهم مسلحون .

وبعد ان عسكروا في سهل كاريتانيا على شواطىء الرافـد . في تلك
المروج بالفة الجمال امر الامير بدعوة القادة : امير كاريتـانيا ،
وامير اكوفا والاخرين ايضا (٦٦٣٤ ــ ٦٦٧١) من قادة الجيش
وطلب من الجميع المشورة حول المكان الذي ينصحون جيوشه بشـن
الهجوم منه على اعدائه ، وبناء عليه تكلم امير كاريتانيا اولا ، ثـم
تكلم بعده امير اكوفا وتكلموا ونصحوه بان يذهبوا الى نيكلي كمـا
نصحوا ، في المقام الاول . واخبر امير كاريتـانيا القـادة انه عرف
القائد الذي وضعه الامبراطور على قواته ، وانه كان متغطرسا وذا
مجد ، وفخر عظيم بقواته التي كانت معه (٨٥) وهو يريد أن يأتي
بسرعة كبيرة للقتال حيثما ندعوه ، في السهول أو الجبال واذا وهب
الرب والقدر ورسم أن نحارب معا وأن نحـرز النصر ، سـنأخذ كل
المورة من ايدي الروم »

وعليه استعدوا ووزعوا السرايا وأعطوا التـوجيهات لجيوشـهم
أولا لعناصر الاغارة ، الذين توغلوا في غاردالبقـوس، وأغاروا على
تساكونيا ، لأن هؤلاء كانوا في ثـورة لصـالح الامبـراطور ، وقـد
جمعوا كثيرا من الغنائم وكانت تفوق الحصر ، ولخمسة أيام أغارت
تلك الجيوش ثم عادوا الى نيكلي وكان قائد الامبراطور مع جيوشـه
في ليكيمونيا ، ولم يخرج من هناك مرة ، ولو أن أحدا سـألني لأي
سبب تصرف بهذه الطريقة ، سأجيبه أنه كان بسـبب الامـر الذي
تلقاه ، لأن الامبراطور نفسه ، السيد ميكائيل اعطاه أوامر بأنه بعد
معركة برينتزا ومرة أخرى بعد المعـركة الثـانية وهـي معـركة
ماكري ــ بلاجي ، لم يكن للروم مطلقا أن يلتقوا في الميدان للقتـال
مع الفرنجة في المورة لأي سبب في العالم ، وأقسم الامبراطور وهكذا
أمر : في منطقة المورة لأي سـبب في العـالم الروم لن يلتقـوا مـطلقا
بالفرنجة في الميدان للقتال بالرماح لأن ثلاثمائة من الفرنجة فقط قـد
هزموا أخا الملك الذي لديه ستة آلاف من القوات الراكبة الجياد الى
جانب المشاة (٦٦٧٢ ــ ٦٧١٨) واذا كان لفرنجة آخـرين أكثـر
عددا أن يجدوا رومانيين في الميدان فان الامبراطور لن يحتفظ بعـد
ذلك بالمورة ، وأمر الروم أن يتخذوا موقعا في الجبال وان يحـرسوا

الأرض ، وكلهم مسلحون بأقواسهم وكلما وجدوا الفرصة وكانت لهم مصلحة ، فبالحيلة والاستراتيجية عليهم أن يقاتلوا الفرنجة .

وبعدما سمع الأمير بهذا دعا قادته ليشيروا عليه وتكلم بعض هؤلاء وقدموا له النصح بأن يأخذ جيوشه ويذهب رأسا الى حيث يكون قائد الامبراطور في ليكيمونيا لقتاله وهزيمته كلية .

ولكن الآخرين الأكثر حكمة والذين يفهمون الاستراتيجية لم يقروا عملهم بهذه الطريقة قائلين:ان امتداد الأرض من نيكلي الى ليكيمونيا كان منطقة مشجرة ، جبلية وذات شعاب وجروف تناسب رماة السهام ، حيث يمكنهم اتخاذ مواقع تمكنهم من اطلاق سهامهم علينا وعلى خيولنا في حين لانستطيع اصابتهم .

وعليه دعا الأمير السير غاليران وأمير كاريتانيا وأمير اكوفا اضافة الى كل القادة الآخرين ، وطلب منهم اسداء المشورة له حول كيفية العمل الواجبة ، وفي هذا قال بعضهم انهم يجب أن يبقوا في نيكلي وأن يحاصروا الروم في الأرض المحيطة بميسترا ، حتى لاتكون لديهم وسيلة للخروج والاضرار بالأراضي وأنهم يجب أن يتحكموا في الممرات ويحرسوا الأرض حتى لايمر قائد الملك لايقاع أي ضرر بأرض سكورتا أو أرغوس أو ميزاريا ، لأنه اذا كان لهم ان ينطلقوا من هناك ويتركوا الأرض مكشوفة وغير محروسة ، فان الرومان سيأتون ويهاجمون وينهبون وسيخربون الأرض ، والآن في النهاية لم يوافق الأمير والأكثر حكمة على العمل بهذه الطريقة ، قائلين مع الاحترام لسير غاليران والمرتزقة لأنهم لم يجدوا طعاما لهم ولخيولهم عليهم أن يجدوا بعضه ليشتروه كما هي طريقة الجيوش .

وعليه أمر الأمير بأن تمون نيكلي بكل الأشياء التي تحتاجها القلعة ، وترك السير جين دي نيفليت آمرا لها ومعه مائة من الخيالة مع مائة من حملة الأقواس ومائة من حملة الدروع وثلاثمائة من

رماة السهام ليبقوا معه ايضا وليقوموا بأعمال الدورية في القرى ، وحقول نيكلي ، حتى فيليفوستي وأماكن في هيلموس (٦٧١٩ - ٦٧٦٢) حتى لايمكن لاي من الروم أن يمر للاغارة أو القتال أو ايقاع أي ضرر بأراضي الفرنجة

وبعد أن نهض الأمير غوليوم بأعباء مهام حماية وحراسة أراضي نيكلي ، أخذ جيوشه وذهب الى كاريتانيا حيث صرف كل جيوشه ، ورحل الكلامانيانوا وأهل أرغوس ، وأمير ميزاريا وأمير أكوفا ، وكذلك فعل السكورتينوا ، والجنود من المشاة والفرسان ، وذهب أمير كاريتانيا مع حاشيته مع الأمير ومعهم السير غاليران الذي كان نائبا للملك ، وذهبوا عبر المورة الي كلارنتسا (٨٦) وبعد أن وصلوا وعسكروا أمر الأمير بدعوة الحاجب اللوغوثيت (٨٧) والسير ليوناردو الذي كان من أبوليا ، وأمير كاريتانيا وقال لهم :« لقد رأيتم العطف والتشريف اللذان أبداهما الملك نحوي وارساله السيرغاليران ومعه مرتزقة لمساعدة الامارة كلها . وعليه أقول أعطوني مشورتكم حول أي تشريف ونفع يجب أن نمنحه له ، لأنكم رأيتم بأعينكم أنه فقط بواسطة قواته ذهبنا نلتمس القتال مع قوات الامبراطور وقائده » ٠

وبعد أن أشاروا على الأمير غوليوم بالتشريف والمنفعة الواجب منحها له (كان يفكر على الأغلب في تشريف الملك) استدعى للمثول أمامه السير غاليران وقال له بصوت مرتفع في حضور الجميع :« أنت ياسيدي ، قد أرسلك الملك الى هنا مع القوات التي جئت بها لمساعدة الأرض ، وهو الأمر الذي اعتبرته تمجيدا عظيما لي وفائدة لي ولقواتي ، وعليه أرغب ياصديقي وأتوسل اليك ردا للجميل مقابل التشريف الذي قدمه الملك لي ، أن تقبل مني منصب النيابة وأن تكون نائب الأمير الحاكم على الامارة ، نيابة عن الملك أولا وعني ثانيا لحكم أراضي في كل الامارة من أجل شرفنا وتقدمنا نحن وأنتم أيضا »

وعند سماع هذه الكلمات كان السير غاليران ميالاً أن يعطي ذلك النوع من الجواب للأمير : انه ليس بامكانه أن يفعل هـذا حيث انه كان (٦٧٦٣ - ٦٨.٥) يخطط ويتوقع ان يعود الى أبـوليا ولكنه من جانب آخر فكّر قليلا وقال لنفسه طالما أن الأمير قد عينه نائبا له على أرضه من اجـل الملك ، فـانه شرفـا كبيرا له ، فقـال للأمير :« بأمرك ياسيدي سأقوم بكل ماتقوله لي بكل قوتي » وعليه أخذ الأمير على الفـور قفـازه وقلد السـير غاليران نائبـا على كل الامارة ، وأصبح نائبا للأمير لبقيه فترة حياة الأمير غوليوم .

ولي وقفة عند هذه النقطة عما كنت اخبركم به ، وسأتحدث اليكم عن الملك شارل والحرب التـي شـنها على كونرادين ابن أخـي الامبراطور فريدريك ، وأيضا ابن عم الملك مـانفرد (٨٨) والآن بعد أن غزا الملك شارل مملكة أبوليا وصقلية وقتـل الملك مـانفرد في المعركة أبقى ممالكه في راحة وسلام ، وعندما سمع وعلم أحد النبلاء العظام من ألمانيا وكان يدعى كونرادين ، وحيث أنه كان ابن أخـي الامبراطور فـريدريك وابـن عم الملك مـانفرد الذين أخبـرتكم عنهم ، بأن الملك شارل قد قاتل بجيوشه في الميدان ابن عمه ، وهزم الملك مانفرد واستولى على الولايات التي أرادها طلب بـالحاح مـن قريبه أن يخرج في حملة الى أبوليا لقتال الملك شـارل ، ولو أراد له الرب ربما أمكنه أن يثأر لابن عمه الملك مانفرد ، وعليه سافر عبـر ألمانيا وطلب من كل القادة والأمـراء الذين كانوا في حينه يحـكمون ألمانيا أن يسـ-------------------------اعدوه وأن يذهبوا معه الى أبوليا للقتال ضد الملك شارل وليثأروا معا للملك مانفرد ، والآن وعده الجميع بأنهم سيساعدونه ، وأعطاه بعضـهم قوات وذهب آخرون معه ، وجمع قـوات كثيرة مـن الجنود المشـاة والفرسان وخرج من أرضه هناك في ألمانيا وذهب الى لومبارديا حيث وجد الغيبلليين المسـتبدين بـالكنيسة ، والذين كانوا أعداء البـابا ودعاهم جميعا فذهبوا معـه (٦٨٠٦ - ٦٨٥٢) راغبين متلهفين للموت معه اذ كانوا يفضلون الألمان على الفرنجة ، وجمع جيوشـا كبيرة فاقت الحصر ، وبعد أن تجمعت جيوشه كلها ، قسـمها الى

سرايا بشكل مستقل عن مشاته ، وخرج من لومبارديا ذاهبا الى أبوليا .

وهنا عند هذه النقطة ، سأتوقف عن الكتابة واتحدث عن الألمان ، والجندي الشهير كونرادين الذي كان كما أخبرتكم ابن أخ للامبراطور فريدريك عدو الكنيسة ، وبدلا من ذلك سأعود لأخبركم بالفعل الذي قام به الملك العظيم شارل عندما سمع وعرف بالتقارير التي كانت تتحدث عن أن كونرادين كان قادما ليقاتله .

وعندما سمع الملك الشهير شارل أن كونرادين كان يحشد الجيوش ليأتي ليشن الحرب ضده ، وحيث أنه كان جنديا من الدهاة في كل شيء فانه لم يكن مهملا لدرجة أن يقدره بأقل من قدره ، فأرسل بسرعة الى أخيه الذي كان ملك فرنسا ليساعده بالجيوش من أرضه ، من الجنود ذوي الخبرة ، الذين يمكن أن يساعدوه في حربه ، وعندما سمع الملك بذلك ، دعا أخاه الكونت أرتوا (٨٩) وأخبره بتلك الرسائل وأمره بأن يأخذ على الفور ألفين من الفرسان الراكبين من زهرة فرنسا وأن يذهب الى ابوليا لمساعدة أخيهما الملك شارل الشهير .

والى جانب هذا أرسل الى أرضه هو في بروفانس ست شواني (ملأى) وسفن شحن وسفن تجارية ، تنقل القوات مع خيولها والمؤن والطعام لهذا الجيش وعلاوة على هذا أيضا استدعى بابا روما بالغ القدسية ، عندما سمع وعلم بالروايات التي تقول بأن كونرادين كان آتيا بالعديد من الجيوش ضد أراضي ومدن الكنيسة استدعى الملك شارل وقال له : « يابني الآن وقد علمنا وعرفنا أن كونرادين قادم حقا لحرب الكنيسة ، فاني أعطيك السلطة لتأخذ من خزانة القديس بطرس حواري كنيسة روما بقدر ماترغب وتأمر انها كلها تحت أمرك ، واستأجر الجيوش لنفسك بقدر مايمكنك أن تجد وأهم ممتلكات وأرض الكنيسة (٦٨٥٣ ــ ٦٨٩٠) »

وشكر الملك بالغ الحكمة البابا ، وانحنى بشدة أمامه وباركه البابا، وبعد هذا ، أمر بابا بالغ القدسية بأن تحرر الرسائل الى كل الممالك وأن يرسل الكرادلة والأساقفة مع بركاته مع طلب أن يقدم له الجميع المعونة ، وأن يرسلوا اليه الجيوش والقوات لتذهب في معية الملك شارل الذي كان يحمل لواء وصولجان الكنيسة ، لمساعدته وليحموا معا أرض وممتلكات كنيسة روما ، ولهم المباركة والعفو عن أي خطايا ارتكبوها من يوم ميلادهم كما لو أنهم قد ذهبوا حقا الى قبر المسيح لقتال الأعداء ، عروق البرابرة ، وأرسل له الجميع من كل الممالك الجيوش والعديد من المشاة ، والخيالة العديدين .

وأرسل الملك العظيم شارل علاوة على ذلك رسالة الى امارة المورة ، الى الأمير غوليوم يسأله بطريقة ودية أن يساعده بالقوات من أرضه وبالجيوش التي لديه (٩٠) وعندما سمع الأمير هذا اضطرب للرسالة ، لأنه كان خائفا جدا من كونرادين لأنه سمع بقوته وبأنه كان لديه جيوش كثيرة ، وقد يحدث بفعل الحظ السيء أن يكون النصر في جانبه ، ويفقد الملك شارل السيادة على أبوليا وعلى أي حال فانه ماأن سمع بهذه الرسالة بعث الأمير برسالة الى القائد الذي كان تابعا للامبراطور في المورة ، وكان ممثلا له ، وعقد معه هدنة وقف للحرب لمدة عام واحد ، على أن تبقى أرضه في راحة وسلام ، ثم استعد بعد ذلك ليأخذ معه أفضل وأحسن لا بل زهرة المورة ، لقد أخذ معه أولا أمير كاريتانيا وأخذ أيضا معه أمير أكوفا الحاكم العظيم لشدرون ، والسيرجيوفري دي تورناي والفرسان الآخرين ويعدون ٤٠٠ وكلهم بخيولهم ، ولم يتأخروا (٦٨٩١ ــ ٦٩٢٦) وعبروا من الامبراطورية وذهبوا رأسا الى برنديزي ، ووجدوا كل ماينقصهم من الخيل فاشتروه ، ثم ركبوا وخرجوا مسافرين حتى بلغوا بيذفينتو ، ووجد الملك هناك (٩١) .

وعندما سمع الملك وأبلغ بأن الأمير قادم ، خرج لاستقباله ، وحياه بلطف ، وتعانقا وأمسك الملك بيد

الأمير ، وعندما رأى القوات الرائعة التي جاء بها معه ، شكره بحرارة وابتهجا ببعضهما بعضا ، ثم تكلم معه وأبلغه أن كونرادين قد جاء ودخل ابوليا بقوة من وحدات عديدة ، كانت مساعدة له ، وراح يسأل في كل مكان وهو يبحث عن الملك ، والتمسه حتى وصل اليه وعندما اقترب الجيشان من بعضهما دعا الأمير (الذي كان خبيرا بأمور الحرب في رومانيا وبالكيد والمكر اللذان مارسهما الروم والاتراك واللذان علماه بكل مايتعلق بشؤون الأعمال الحربية) كل من أرادهم وفكر ليسيروا وراءه ، وركبوا جميعا وذهبوا معه ، وسافروا واخذوا طريقهم صعودا الى تل ليعرفوا ويلاحظوا ويستطلعوا قوات كونرادين والجيوش التي معه وبعد ان احصى عددها دهش جدا ودعا الفرسان الذين كانوا معه وقال لهم :« يارفاق تعالوا والقوا نظرة اني أرى جيوشا رهيبة عديدة وشجاعة ، واقدر أنها ضعف مالدي الملك » ٠

وعليه أخذهم وعاد الى الجيش وبعد أن وصلوا ، انتحى الأمير غوليوم بالملك جانبا وقال له :« أعلم ياسيدي الطيب وأبلغك بأني قد ذهبت الى مكان راقبت منه الجيوش وقوة القوات التي لدى كونرادين ولكي أحصيهم وأرى (٦٩٢٧ ـ ٦٩٦٦) أي جيوش عنده ، ولم أذهب وحدي حتى لاتؤنبني لقد كان معي جنود من الرجال ذوي الخبرة ومن الشواهد التي رأيناها وطبقا للاحصاء الذي أجريناه ، أقدر أن لدى كونرادين من الجيوش التي رأيتها ضعف مالدينا ، وبدت لي قواته رائعة وأقول الآن ياسيدي وهذا ليس سرا بالنسبة لك إن الالمان الآن في كل الدنيا لديهم قوات من الحمقى غير الجديرة بالثقة (٩٢) كلهم ، وعندما يذهبون للقتال في معركة ، لايتوفر فيهم الحماس ولا سلوك الجنود الجيدين ، وهكذا يدخلون المعركة كالمجانين ، حسنا وأقول لك ياسيدي اذا شئتم جلالتكم ، اننا يجب أن لانقاتلهم بالطريقة التي يقاتل بها الفرنجة ونخسر المعركة ، لأنهم أكثر منا بل لنقاتلهم بالمكر والحصافة كما يقاتل الترك والروم في رومانيا فاذا فعلنا كما

أقول ، وبأملي من الرب والحق الذي في جانبنا أن النصر سيكون لنا » ٠

وتكلم الملك كجندي بالغ الحكمة وأجاب الأمير قائلا :« أعلم أيها الأخ الأمير ، ياصديقي وقريبي أنه لايوجد شيء في عالمنا القائم اليوم من مكر أو حيلة أو مهارة مالم أمارسه ضد عدوي ، طالما أن ذلك يجعلني أهزمه واستولي على ولاياته ، وعليه حسنا ياقريبي الداهية ، طالما أنك قد اكتسبت الخبرة من حربك للرومان وتعرف أيضا الحيل التي يستعملها الأتراك هاك جيوشنا اليك بها وجهها كما تشاء » ٠

وعليه أجابه الأمير غوليوم : « ياسيدي طالما أنك تريد وتأمر أن أفعل هذا ، وأن نتصرف بالمكر والحيلة ، اسمع أولا الخطة التي أقترحها ، فإذا بدت لك حسنة فاني سأرتب الأمر هكذا »٠

وعليه بدأ في الكلام وراح يخبره أن الأتراك والروم ليسوا جنودا يقاتلون وجها لوجه كما نفعل نحن الفرنجة ، لأنهم ماكرون ويقاتلون بالخدع الحربية ، وحيث أنك تأمر بأن تعمل كما اقترح دعني أخبرك كيف سنعمل (٦٩٦٧ ـ ٧٠٠٧) إن هذه البلاد التي نحن فيها أرض غير مستقرة ، وليست سهلا مستويا للأعمال الحربية كما تجرى في فرنسا وكل المماليك ولهذا السبب دعونا نفصل بعض القوات الخفيفة عن كل سرايانا ، ولتكن من الجنود الدهاة ذوي الخبرة ولنزودهم بخيول خفيفة حتى يضربوا ويهربوا ولنوزعهم في ثلاث سرايا ، أو أربع ، ونوجههم لمهاجمة الألمان واعطاء الانطباع بأنهم سيقاتلون ، وهؤلاء بما أنهم متلهفون جدا في عملهم الحربي ، فإنهم سيواجهونهم بلهفة ، وعندما دعونا نسمح لهم بالمجيء ، وعندما يقتربون جدا دعوهم يعطوهم الانطباع بأنهم يهربون ، ويذهبون رأسا نحو المعسكر وعندما يقتربون منه لا يدخلوه ، بل يتابعون ركضهم ويندفعون مارين الى الجانب الآخر ، وليكونوا دائما في صفوف متراصة حتى لا يتشتتوا ، إني

اعرف بوضوح كبير الالمان واللومباريين كما اعرف ايضا المرتزقة ، إنهم حالما يرون خيامنا والملابس والأردية والأشياء الفاخرة التي تضمها معسكراتنا فإنهم سيكفون عن تعقب قواتنا وسيدخلون المعسكرات ليستولوا على ملابسنا . ولننفصل نحن الاثنان ياسيدي في فرقتين مع جيوشنا ولنوزع السرايا ولنضع الكمائن في أماكن مناسبة وإني لا أحتاج إلا الى قواتي التي جئت بها من المورة لتبقى معي ، لأني أعرفهم ، وعندما يرى مرا قبونا من على قمم التلال أن الالمان قد دخلوا المعسكرات ، وتشتت سراياهم في النهب ، لندعهم يطلقون البوكسيني حتى تفهم قواتنا ، ونخرج من مخابئنا ونهاجمهم ، فتأتي انت من جانب وأنا أيضا من الآخر مع الجيوش والقوات التي معنا ، وتلك السرايا الأربعة الخفيفة التي لنا ، وعند سماع البوكسيني سنحيطهم جميعا بنشاط وقوة وعندما نطردهم وتشتت سراياهم سيكونون بسهولة شديدة وبسرعة في خطر شديد » (٩٣) ٠ (٧٠٠٨ ـ ٧٠٥٣)

وعندما انتهى الأمير غوليوم مما كان يشرحه ويخبر به الملك ، استمع له الملك ثم امتدحه جدا لأن ما أخبره له بدا مرضيا له ، والتفت الى الأمير وقال له : « أتوسل إليك يا أخي أن توجه بأن يجري الأمر تماما كما أوجز لي ، لأنه يسرني كثيرا جدا ٠ وعندما سمع الامير هذا دعا القادة وأمار القلاع والقواد الذي كانوا يتولون قيادة السرايا ، ووجه هو الملك بأن توزع السرايا التي اخبركم عنها ، وانتحوا بالقادة والمقدمين جانبا وشرحوا لهم كيف سيتصرفون ، وأخذ هؤلاء القوات والسرايا الباقية واخفوها في كمين ، وأخفي هؤلاء في النقاط الضرورية والمناسبة ، وكانوا من البارعين المهرة ، ثم انطلقت السرايا الأربعة ومضت رأسا لمهاجمة كونرادين .

وعندما علم كونرادين أن الملك كان قادما نحو معسكره لقتاله ، أمر بأن توزع سراياه ولتقاتل كل جنسية بنفسها ، وانطلقوا ومضوا لملاقاة الملك ، حسنا لو أني كتبت لكم

بالتفصيل عن كل الافعال التي جرت في تلك المعركة ربما مللتم من كثرة الكتابة ، كما اني سأمل من كتابتها لكم مرتين ، ولكن كما سمعتموني أصفها بدقة لتوكم فإنه تماما كما شرحها الامير غوليوم دفنها وحققها . والآن ، لقد جرت هذه المعركة في بينفنيتسو حيث الارض غير المستقرة ، بمنحدراتها ووهادها التي بسببها كان الالمان مرتبكين ، لانهم لم يكونوا يرون قوات شارل بوضوح ، فجأة انقضت عليهم السرايا الاربعة التي خرجت لخداعهم ، وظنوا أن الآخرين كانوا قادمين أيضا ولهذا السبب انطلقوا على الفور في مهاجمتهم بسرعة ولهفة كما هي طريقة الجيوش ، وحالما أصبحوا على وشك الالتحام وتبادل رمي الرماح استدارت السرايا الاربعة للهرب ، وأعدوا أنفسهم للمضي رأسا الى المعسكر ، وعندما رأى الالمان أن الفرنجة كانوا يهربون اعتزموا القتال وبدأوا في ملاحقتهم ، ولاحقوهم حتى وصلوا الى المعسكر ، وتحلق الفرنجة حولهم (٩٤) وتفادوا المساكن (٧٠٥٤ ـ ٧٠٨٤) وأخذوا طريقا جانبيا ومضوا الى ماوراءها ، وعندما رأى الالمان الخيام التي وقفت على أذرع فاخرة ، والملابس والمال ، تخلوا عن ملاحقة الفرنجة الذين كانوا يهربون ، وانقضوا على المساكن فدخلوها وبدأوا يتبعثرون للاستيلاء على الملابس والصناديق التي تحتوى على المال ويكسرونها ليأخذوا كل ما وجدوه فيها ، وبدأوا يتعاركون فيما بينهم ويتدافعون بأسيافهم.

وإذ رأى مراقبوا الفرنجة ، ما كان يفعله التيديشي ٩٥ اطلقوا البوكسيني ، وفهم أولئك الذين كانوا مختبئين الاشارة وخرجوا من مخابئهم ، والأمير من جانب والملك من الآخر ، وأولئك الذين كانوا يهربون ، وقامت السرايا الاربعة بكرة راجعة نحو المعسكرات واحاطوا بكل الالمان من كل الجوانب ، ووصل الجنود المشاة و مع أقواسهم القاذفة وسهامهم ، وذبحوهم كما لو كانوا من الخنازير البرية ، ولم ينج في الواقع سوى القليل من الالمان ، ولكن نجا الكثير من التوسكان ومن اللومبارديين أيضا لانهم كانوا يعرفون البلاد ، وكان لآخرين أصدقاء أرشدوهم ، وأسر كونرادين وقطع

رأسه من قبل بعض الرجال من نابولي ممن كانوا خصوما له ، لأنهم كانوا مسرورين بحكم الملك ، وحملوا رأسه على طرف رمح وأحضروه الى الملك وقدموه له (٩٦) ولعن الملك مع أنه كان نبيلا وعاقلا بعنف وأسف بشدة وغضب من أولئك الذين قاموا بهذا الفعل ، وأعلن صراحة وسمعه الجميع إنه كان يريد ويفضل أن يفقد إحدى مدنه من الأفضل بينها من أن يقتلوا كونرادين لأنهم لو أخذوه حيا وهو يقاتل لاضفى عليه تشريفا عظيما ، لأنه (٧٠٨٥ ـ ٧١٣١) كان قبل كل شيء رجلا نبيلا وجنديا ، وقد جاء كجندي ليثأر لموت الملك مانفرد ، الذي كان ابن عم له ، ولم يكن يستحق أن يقطع رأسه ، والآن بعد أن انتهت المعركة ، أمر الملك أن يقسم أولئك الذين أسروا أحياء ويرسلوا الى القلاع ، ومن الغنائم التي كسبوها ، أمر أيضا أن يأخذ كل واحد ما كسبه أي كان ، واحتفظ الملك لنفسه بخيمة كونرادين وكان لها عشرة أعمدة والأسلحة الفاخرة ، والثياب والمال الذي كان في خيمته كحصة له ولم يكن في حاجة لما هو أكثر ، وأمر باعطاء سكن دوق كارنثيا (٩٧) وما كان لديه في خيامه من الاسلحة والأموال للأمير غوليوم كربح وحصة له من المعركة.

وبعد أن منح الفوائد لكل جنوده وقسم غنائمه والأسلاب التي ربحها . أمر بصرف جيوشه وذهب كل رجل الى حيث جاء واستبقى الامير وأخذه معه وذهب الاثنان الى نابولي رأسا ، وقال الأمير غوليوم أنه سيرى الملكة ، وأيضا ابنته إيزابو ، التي تزوجها ابن الملك ، وبعد وصول الأمير والملك الى نابولي كلاهما ، بدأ الملك يتحدث مع الملكة وطلب منها أن تمتدح الامير وتمجده ، لأنه بحكمته واستراتيجيته ربح المعركة وانتصر على اعدائه الالمان ، وشكرت الملكة النبيلة الأمير واضفت عليه تشريفا كبيرا وقدمت له الهدايا ، ومجد الملك بدوره الامير مثل هذا التمجيد وقدم له الهبات مما أدهش الجميع واستبقاه معه وسط احتفالات عظيمة لنحو ثمانية عشر يوما أو إذا شئت اثنان وعشرون يوما ، وكانت لديه

رغبة كبيرة ليبقيه نحو شهر أو اثنين إذا شئت حتى يفرحا ببعضهما بعضا (٧١٣٢ ـ ٧١٨١) ٠

وبعدها جاءت الرسائل الى الأمير من الدورة بأن خصومه الروم المتمردين قد حنثوا بقسمهم ، واستأذنوا الحرب وتخلوا عن شروط (الهدنة) التي عقدوها معه وبسماع هذا ذهب الأمير الى الملك وطلب الأذن بالذهاب الى الدورة حتى لا تتعرض أرضه للخطر وتعاني من الضرر ، وعندما سمع الملك بهذا لعن وشتم بعنف ولأنه عرف وعلم كما هي الحقيقة فعلا أنه كان بناء على توجيه أمير الدورة كسب المعركة مع كونرادين مع بقاء سلطته على مملكة أبوليا (التي أراد أولئك الالمان ، والغيبلليين ومعهم التوسكان واللومبارديين الاستيلاء عليها) ولأنه أدرك أن الأمير قد انفق كثيرا جدا على القوات التي جاء بها في ذلك الوقت من الدورة للمساعدة والخدمة ولمعونته ، أمر بأن يعطى من الخزينة قدرا كبيرا من الثروة ، من المال والذهب والفضة ، وأعطاه مائة من أفضل الجياد. ومع ذلك أعطاه أيضا خمسين رجلا مسلحا مع جيادهم وكلهم من نخبة الجند ومائتين من حملة الأقواس والسهام وكانوا كلهم مأجورين بأجر ستة أشهر ، اضافة الى الجند والفرسان ، ليأخذهم الى الدورةليقفوا معه ليساعدوه على حرب الروم المتمردين ، الذين لم يتمسكوا في حياتهم مطلقا بالصدق أو القسم ، وعليه بعد أن نظم أمير الدورة كل الأشياء التي أعطاها الملك له : القوات والاسلحة والخيول ، والخيام والاموال ، غادر نابولي وذهب الى برنديزي حيث وجد السفن مستعدة ، كما أمر الملك ، فصعد الى ظهورها مع قواته ووصل الى كلارنتسا في اليوم التالي.

وعندما سمع كل الدوريون أن الامير قد وصل الى كلارنتسا مع الجيوش والقوات التي كانت معه صحيحا معافى ولا ينقص منها أحد ومعهم الغنائم وثروة مرعبة كسبوها في المعركة التي خاضوها مع كونرادين ، أثنى الجميع على الامير وعلى البابا المقدس ، وأقام كل الناس في الدورة احتفالا كبيرا وأظهروا اخلاصهم للأمير وقادة

الفرسان وابتهج كل واحد بصديقه أو قريبه ، وحمد الجميع الرب عندما رأوا أنهم عادوا.

وطلب الامير أن يعرف الحقيقة حول كيف توفرت الذريعة التي أدت الى خرق السلام ، وأخبره أولئك الذين كانوا يعرفون انهم قد بدأوا الحرب وأصبحوا حانثين بالقسم الآن ، وكان بعض الناس قد أخبروهم وهم يتمنون أن يكون هذا صدقا ، بأن الامير قد قتل في المعركة التي خاضها الملك ضد الالمان (٧١٨٢ ـ ٧٢١٧) وعليه أجاب الأمير قائلا إن الذرائع لا تنقص أبدا الرومان الكفار ولأنهم مذنبون بالحنث بالقسم فإنهم مذنبون بنوايا شريرة أخرى ، وعليه استدعى الأمير ، أمير كارتيانيا وقال له : يا بن أخي الطيب ، خذ معك الفرنجة الذين احضرناهم معنا من أبوليا والذين كافأنا وساعدنا بهم الملك حتى يساعدونا ويحاربوا الرومان معنا وليكونوا معك في سكورتا على طول الجبهة ليحرسوا أرضنا وليربكوا الرومان.

وعند سماع ذلك وافق السير جيوفري أمير كاريتانيا عليه بحرارة ، وبدا له الأمر مغريا لأنه فكر ورجا أنه بهذه القوات سيلحق الدمار بالروم ويحمي أرضه (٩٨) وأخذهم ونهبوا الى أرض سكورتا ، وهناك وجههم أن يستقروا ويتخذوا مواقع لهم في القرية التي تدعى أراكوفا العظيمة (٩٩) والتي تمر عبرها جبهة سكورتا ضد الروم ، ليقاتلوهم ويحموا الأرض. وعليه حدث ربما بسبب الخطيئة أنه قبل مرور شهر أو شهرين وربما بسبب المياه البارنة في تلك البقعة اصيبوا جميعا باضطرابات معدية وتوفي معظم الفرنجة الذين كانوا في مدينة أراكوفا ، ولم يجد أمير كارتيانيا راحة ، حيث أنه أخذ كثيرا ممن بقوا ممن كانوا أصحاء بدرجة كافية لحمل السلاح والركوب ومضوا الى المعركة ومرة تلو الأخرى كانوا يواجهون الروم ويلحقون بهم قدرا كبيرا من الدمار.

وعليه بسبب خطيئة الأرض حاق بفرنجة المورة في ذلك الوقت

النحس وسقط أمير كاريتاينا الشهير صريع مرض رهيب وخطير وانتصرت طبيعة الانسان واخذه الموت ، أنظروا الضرر العظيم ، الذي حل (٧٢١٨ - ٧٢٥٣) بالمورة في ذلك الوقت وماتبعه من حزن عظيم ، وحزن الامير أيضا عليه وبكاه الجميع صغيرهم وكبيرهم ، وا أسفاه على المصاب الفادح الذي ألم بالمورة في ذلك اليوم ، ومن الذي لم يحزن؟ لقد كان للايتام أبا ، وللأرامل زوجا وكان أميرا وحاميا لجموع الفقراء ، لقد حمى كل الناس من الظلم ولم يدع فقيرا يعاني من صعوبات سوء الحظ ، ولا رجلا جديرا أن يحيق به الفقر ، أنظر سوء الحظ الذي وقع في ذلك اليوم ، أن يذهب مثل هذا الرجل والجندي الشهير وييتم كل من احبوه ، حسنا كما حدث لسوء الحظ ، أنه لم يكن له وريث ، فلم ينجب ولدا من صلبه ، ليتركه ليرث القلاع والمقاطعات التي كان يملكها في المورة ، وفي شعاب سكورتا والأماكن الاخرى قسمت الأرض قسمين ، أخذ الامير واحدا لأنه كان صاحب السلطة وأخذت الأخر زوجته كمهر وكان مستحقا لها (١) ، والآن كانت هذه النبيلة أخت السير غوليوم ، دوق أثينا ، وكان يدعي الامير العظيم ، وكان اسمي من الهيلنيين (٢) والآن بعد أن مر بعض الوقت ، الشهور والايام ، أرسل الامير العظيم الى مملكة أبوليا مبعوثين حصيفين الى كونت بريين ، وكان يدعى السير هوغ وكان كونت ليكس وعقدوا اتفاقا أن يأخذ (أخت الأمير العظيم) السيدة كارتيانيا زوجة ، وبعد أن توصلوا الى هذا الاتفاق قام الكونت بالعبور وذهب الى المورة ، الى مدينة اندرافيدا وذهب الامير العظيم أيضا اليها من مدينة طيبة ، وعندما التقيا توصلوا الى تفاهم مع بعضهما بعضا ، وأرسل الى سيدة كارتيانيا ، فجاءت ، وهناك (٧٢٥٤ - ٧٢٨٤) تزوجها الكونت هوغ بريين ، وبعد أن أنصرف الى القلاع والمدن التي كانت له في المورة من النبيلة ، أخذها وقاما بالعبور وذهبا الى أبوليا ، ولم يمر وقت طويل كما أراد الأمير قبل أن تحمل النبيلة من الكونت هوغ وتلد ابنا رائعا ، سمي غوتير ، أصبح مولعا بالسلاح والغزوات وشهيرا ومحمودا من كل ممالك الغرب (٣) ، وبعد فترة من الوقت توفي السيرغي دي

لاروش ، الملقب بالامير العظيم ، ودوق أثينا وانتقلت أرضه وسلطته الى الكونت غوتيير ، ابن الكونت هوغ ، الجندي الجدير بالثناء الذي أتحدث لكم عنه ، وكان ابن عم للسير جيوفري ، وهكذا جاء وتسلم الميغالومريت ، وأصبح دوق أثينا وأميرا بالوراثة وهكذا وجد في ذلك الوقت أن الكاتالان الذين كانوا يعرفون في ذلك الوقت الصحبة (العظام) (٤) قد جاءوا الى هاليروس ، حيث جاء بهم دوق أثينا السيرغي بتوقع وبالاتفاق على أنهم سيذهبون الى المورة ، ويغزون الأرض ويستولون على الامارة من أجل زوجته ، التي كانت الوريثة والتي كانت تدعى ماهوت - وكان أمير تارنتو يمسك املاكها ، امارة أخيا بطريقة غير مشروعة (٥) وعندما وجد الدوق السير غوتيير أن الصحبة قد جاءت وكانت تصحب معها ألفا أو أكثر من الترك (٧٢٨٥ - ٧٣٠٩) توصل الى اتفاق معهم مع معاهدات عظيمة لشن الحرب على رومانيا والاستيلاء على ولاشيا ، وحالما استولوا على قلعة دوموكس ، حل بينهم النزاع والقتال العنيف ، واعتذر الكاتالانيون في خنوع للدوق ، ولكنه بالغطرسة التي من شيم الفرنجة وبناء على المشورة الفاسدة التي اعطاها الآخرون له تولى حربهم وخسر المعركة ، وأسر خلالها وقطعوا رأسه أواخذوا أرضه وما زال الميغالوكريت ، والصحبة اليوم أمراء فيها ، ووقعت المعركة في يوم الاثنين الخامس عشر من آذار من السنة الجارية من السنوات ٦٨١٧ منذ خلق الكون وفي الخمس عشرية الثامنه (٦) .

وسأتوقف هنا عند هذه النقطة عن الكلام والكتابة حول كونت بيرين ، الذي كان دوق أثينا ، وسأخبركم بقصة أخرى ، حول ما حدث خلال الوقت الذي كان فيه الأمير غوليوم في السجن في القسطنطنية ، واطلاق سراحه بناء على الاتفاقات التي ابرمها في ذلك الوقت والتي سمعتم بها في الحقيقة في هذا الكتاب ، والآن في ذلك الوقت ، اعطى كرهينة لدى الامبراطور أخت خودرون (٧٣١٠ - ٧٣٢٦) وابنة أمير باسافا ، الذي كان مارشالا عاما للامارة كلها (٧) .

حسنا وبينما كانت هذه الشخصيات النبيلة رهينة مقـابل الأمير هناك في القسطنطينية حدث أن توفي أمير اكوفا (٨) ، السير غوتيير روربير ، ولم يكن له وريث من صلبه سوى ابنه المارشـال جين دي باسافا ، الذي كان قد اتخذ أخته زوجـة شرعية له ، وانجبـا ابنة كانت تسمى مدام مرغريت (٩) ولأنها كانت رهينة في ذلك الوقت في المدينة (وضعها الأمير هناك في مكانه) ، ولم يتصادف وجودها في المورة ، ضمن الشروط بأن تذهب الى الأمير لتتسلم منه اقطاعية اكوفا التي كانت وريثة لها .

واحتفظ الأمير بالاقطاعية لنفسة ، وعندمـا عادت النبيلة مـدام مرغريت مـن حيث (٧٣٢٧ ـ ٧٣٦٣) كانت رهينة مقـابل الأمير غوليوم وراحت تطالب باقطاعية اكوفـا اجـابها الأمير بهـذا الجواب : إنه بعد مرور السنة ويوم مـن وقـت امتـلاكها لهـذه الاقطاعية ولم تأت الى محكمته للمطالبة بها ، كما تشـترط اعراف الأرض وعاداتها ، فإنها تفقد مـا ملكتـه أيا كان وانه لن يعـطيها شيئا (١٠)

وعندما سمعت النبيلة هذا دهشت ، لأنها لم تتوقع مطلقا أن تجد لدى الأمير مثل هذا الجواب الذى اعطاه لها ، لأنها كانت في السجن كرهينة من أجله ، وفي الحقيقة أنه هـو نفسـه ، قـد وضـعها هناك ، وهى لم ترتكب عملا شريرا ، لأنها لو كانت في المورةمرتاحة لما وقعت مطلقا في ارتكاب خرق للعادات ، ولكن حيث أن الأمير قـد وضعها كرهينة وسجينة من أجله ، فانها لم تتوقع أن يقدم على مثل هذا الخداع وتلك الذرائع وذلك الجواب ، ومـع ذلك عندمـا ادركت السيدة مرغريت وأولئك الذين كانوا مؤيدين لها ومشاورين ان أمير المورة لن يعيد حقا اليها ، غادرت وعادت حزينة الى بيتهـا ، والآن وبعد مرور وقت قصير ، شهر واكثـر ، عادت النبيلة فـذهبت الى الأمير مع المشورة والرفاق الذين كانوا معها وطالبت بقلعـة اكوفـا وجوارها وكل البارونية وقـامت في الحقيقـة بـالمطالبة الثـانية

والثالثة ، وكان الأمير يعطيها الجواب نفسه واتبع خط السلوك نفسه كما في المناسبة الأولى .

وعندما سمعت السيدة مرغريت جيدا أنها لن تجد مطلقا حقا لدى الأمير طلبت من كل أصدقائها وأقاربها أن يشيروا عليها كيف تتصرف حتىَ لا تفقد حقها وتحرم ، وهؤلاء الا حكم الذين كانوا يحبونها أشاروا عليها بالزواج من رجل عظيم (٧٣٦٤ ـ ٧٤٠٩) داهية وذي نسب رفيع ، وهو بحكمته ومع أقاربه سيمكنونك من حق الانتفاع بممتلكاتك ، ، ووافقت البارونة الحكيمة في الحقيقة وقبلت الزواج ،وعليه عمل القادة في عائلتها معا فتزوجت زوجا نبيلا ذا نسب رفيع وهو أخو النبيل السير نيكولاس دي سانت أومر وأمير طيبة، وكان السير جين ايضا يحمل اللقب نفسه دي سانت أومر وكان لها أخ ثالث يدعى السير أوثون ، وعندما تزوجها حصل على لقب مارشال قابل للتوريث ، وكان هذا في الحقيقة من توابع تلك المرأة ، وكان آل سانت أومر من ذوي النبالة الرفيعة ، وكانت أمهم الأخت الشرعية لملك هنغاريا وأباهم السير بيلا وكانت هي الزوجة الشرعية ، وأنجب هذان الاثنان معا هؤلاء الأمراء الثلاثة وكان لدوق أثينا الأمير العظيم ثلاثة أخوة آخرون ، وكانوا أبناء عمومة مباشرين لآل سانت أومر اي ان قرابتهم كانت من الدرجة الأولى (١١) ، وبعد أن تزوج السير جين من السيدة النبيلة مرغريت ، لم يرغب بأي طريقة أن تتأخر مسألة أكوفا وأن لا يطالب بها في محكمة أمير المورة ورجا اخوته وذهبوا معا ، ووصلوا الى المورة ، وذهبوا مباشرة الى كلارنتسا ، وهناك وجدوا الأمير مع قادته ، وقد عقدوا برلمانا لمعالجة قضايا معينة كانت لديه وأمضوا يومين دون أن يتقدموا بأي طلب ، ولعبوا واحتفلوا مع الموريين (١٢) . حسنا ومضى يومان وجاء السير جين مع أخويه ، من آل سانت أومر ومع زوجته التي كانت الوريثة ، وذهبوا الى حضرة الأمير ، وقدمت نفسها كوريثة لكل أملاكهم ثم قدمت زوجها كوكيل وزوج ، كما تفترض العادات ، (١٣) وفي هذه اللحظة قال السير جين له على الفور : ايها الأمير سيد المورة ، أطلب وأتوسل اليكم وأنتم أميرنا ، وأنا

وريث ، أن تأمر بجمع قادتك ، وقادة فرسان المورة والفرسان التابعين ، ليسمعوا معك ما سأطلب به وأن تحكم (٧٤١٠ ـ ٧٤٥٢) لي بالعدل لأحصل على القرار الذي أريد بموجبه أن أنال الحق طبق أعراف المورة وأنا لا أطلب أي محاباة ، بل أطلب حقي.

وعليه أجابه الأمير بنفسه وقال له :« بكل سرور ، وطالما أنك تطلب الحق فاني مستعد أنا ومحكمتي كي نمن به عليك » .

وامر الأمير على الفور قادة الفرسان وأيضا التابعين من الامارة بالمجيء ،وجلسوا معا جميعا في سانت صوفيا ، حيث كان الأمير يقيم في اندرافيدا ، وبناء عليه نهض الأمير المسن السيد نيكولاس دي سانت أومر وامسك بيده اليمنى أخته ، وزوجة أخيه ، السيدة مرغريت وقال للأمير :« ياسيد المورة ، إنه الحق الذي يعرفه كل واحد في الامارة ، أن أختي التي تقف هنا في حضرة سيادتكم ، هي ابنة أخ أمير أكوفا ، السيد غوتيير ولقبه دي روزبير ، وأختي هذه هي ابنة اخته ، وحيث أنه توفي دون ولد يكون وريثا له من بعده ، فان الأرض وقلعة أكوفا آلت الى أختي ، وهي الوريثة ، وكما تعرف ياسيدي ، انها كانت رهينة عنكم في القسطنطينية ـ وأنت الذي وضعتها هناك بنفسك ولم تكن هنا خلال فترة السنة التي تلت وفاة أمير أكوفا ، حتى تأتي وتقدم نفسها الى حضرتك ، كما هو مشروط في أعرافنا في كل الامارة ، خلال الأربعين يوما وخلال العام ، وهي حقيقة لم تخطئك ، ولم تخطىء هي أيضا بأي شكل ، حيث أنها كانت في السجن ، حيث وضعتها وقد وضعتها رهينة وخرجت أنت من هناك .

وعندما أطلقت سراحها وجاءت الى الأرض هنا ، فهمت في الواقع على الفور وجاءت الى حضرتكم (١٤) كوريثة شرعية لأكوفا ، وقدمت نفسها اليكم وطلبت الحق منكم ، وأجبتموها بأنه لاحق لها ، واستمرت في الرجوع اليكم مرات عديدة وهي تطلب

الحق منكم ، ولم تعقدوا لها مطلقا محكمة ، ولكنكم بنفسكم فقط كنتم تقولون بأنه لاحق لها وهي كامرأة بدون من يشر عليها وبلا أصدقاء عادت الى بيتها يائسة ، وانتظرت أن يأتيها العون (٧٤٥٣ ــ ٧٤٩٥) من الرب واليوم برضى الرب ، تزوجت رجلا نبيلا ذا نسب عظيم ، يمكنه هكذا أن يحمي حقها ، كما يليق بأي رجل نبيل أن يفعل ، ولهذا السبب مثلا امام سيادتكم وجئت أنا ، أخوهم ، لأقدمهما كليهما لكم ، الواحد كوريث والثاني كوكيل عنها وهما يلتمسان حقهما ، وأنا أطلب منكم وأتوسل اليكم ، أن تمنحوهما الحق المتوجب لهما وتعطوهما حق المنفعة في القلاع والولايات في أراضي أكوفا . وهم مستعدون كي يقدموا لكم ماهم مدينون به من خدمات وولاء وتحالف » (١٥)

وعليه أجاب الأمير بنفسه وقال السير نيكولاس دي سانت أومر :« لقد استمعنا بدقة كما فعلت محكمتنا ، الكلمات التي نطقتم بها ولقضيتكم ونشهد ونعلن بأن ماقلتموه حق وأنه في ملاحقتي وفي قضيتي ، فقدت أختكم النبيلة وحرمت من أملاكها واقطاعتها ، أرض أكوفا.وعليه اجيبكم ، وأسألكم اذا ماكنتم ، تطلبون منا أن نعطيكم الحق حسب القانون أو أن تطلبوا منا منحة أمير أو حكمته ، لأنها أعيقت بسبب قضيتنا حتى لم تكن معنا في امارتنا وهي مرتاحة خلال المهلة المشروطة في أعرافنا لتجعل طلبها صحيحا وتلتمس الحق »

وعليه أجاب السير نيكولاس وتوجه الى الأمير بهذا الجواب :« سيدي امير المورة اتوجه لسيادتكم اذا كان لي الحق أن أعرف أن أختي التي هنا لم تطلب بحق ، القلعة والولايات ، وأرض أكوفا ، ثم أنه مما يناسبنا أن نطلب منة ، ولكن في هذه الحالة إن طلب الحق صحيح ، كما تعرفون أنتم لأن أختي كانت محتجزة في السجن بدلا منكم ولم تكن قادرة بأي وسيلة على أن تخرج من هناك لتأتي وتتقدم للمطالبة بأملاكها في أكوفا . وعليه فاني لاأطلب منكم منة بل حقا فقط كما يتطلب القانون ويقضي (٧٤٩٦ ــ ٧٣٥٢) .

وبناء عليه أجابه امير المورة ، وقال للسير نيكولاس دي سانت أومر :« طالما أنه لاحاجة لمنة مني ، وتريد المطالبة بالحق أمام محكمتي ، فأني أعلن وأشهد لك ، وأؤكد صدقا أن الشر سيحيق بي من الرب كما سيلحقني لوم كل الناس اذا حرمتك من هذا ، وعليه أريد تسوية الأمر باهتمام وتفريق وطبقا لأعراف الأرض حتى لاأرتكب خطأ يلومني عليه الرب والقديسون وكل الناس ، وأريد من قادة الفرسان والأساقفة والفرسان الأتباع في كل الامارة أن يجتمعوا حتى أقدم لهم القضية حتى يحكموا فيها بخوف من الرب طبقا لأعراف المورة ، التي أعطاها الامبراطور روبرت لأخي المبارك الأمير جيوفري عندما عقدا اتفاقا وجعل منه صهرا .

وعليه أمر الأمير بكتابة الرسائل لكل قادة الفرسان في كل الامارة وللأساقفة أيضا والفرسان وجاءوا وتجمعوا في كلارنتسا ، ودخلوا كنيسة سانت فرانسس في (دير) المينوريت وجلسوا للحكم ، كما هو العرف ثم قال الأمير للسير نيكولاس :« أريد أن أعرف منك من هو المحامي الذي يلزم أن يتحدث عن أختك ، ويقدم الدعوى ويخاطب المحكمة » (١٦) وأجابه أنه هو نفسه الذي سيتكلم ويجيب على كل مايخص المحاكمة حول مسألة قلعة أكوفا ، وأجاب الأمير على هذا قائلا : طالما أنك تتعهد بأن تكون المحامي في هذه المسألة المتعلقة بالسيدة مرغريت فحبا لك ولصحبتك ، سأصحبك وسأعين نفسي محاميا للدفاع والمحافظة على حقوق المحكمة (١٧))(٧٥٣٣ ـ ٧٥٧٨) .

وعليه استدعى الأمير المحكم وكان اسمه السير ليونارد وكان من أبوليا (١٨) وكان رجلا حكيما جيد الثقافة والعلم ، وكان يتخذ منه صديقا مؤتمنا وعنصرا رئيسا في مجلسه وأعطي الصولجان والعصا اللذان كان يحملهما في يده كما هي العادة بين القادة والأمراء في كل أنحاء الدنيا ، وقال له :« إني أسلمك السلطة التي أملكها حتى تقف في المحكمة لتحكم وتحافظ على الحق بالقانون

وبالمشورة والرفعة الموجودة هنا في هذه المحكمة ، واني أضعك أمام قسمك بالمسيح وأمام نفسك أنك انت وكل الذين يجلسون معك هنا في المحكمة سيحافظون جيدا على حق النبيلة السيدة مرغريت وكذلك على حق المحكمة»

ثم تولى السير نيكولاس وصف وتلخيص مسألة أكوفا ، وكيف أن السلطة على هذه الممتلكات انتقلت الى المارشالة السيدة مرغريت كما سمعتم هنا أعلاه في كتابي مما لاأميل للكتابة عنه لكم مرة أخرى لأنه سيكون مزعجا وسيتعبكم جميعا .

وعندما أنتهى مما كان عليه قوله ، بدأ عندئذ الامير بدوره ، الكلام ليقدم الأسباب والأعذار والدفاعات والبينات ضد ماأعلنه وقاله السير نيكولاس كما هو معروف في الدعاوى القانونية وفي كل المحاكم حيث يعلن كل انسان مايعرفه أنه معالجة ، وبعد أن قالا الكثير وكثر الكلام أمر الأمير بأن يقدم الكتاب الذي دونت فيه أعراف الأرض فوجدوا فيه مكتوبا الفصل الذي يشرح بالتفصيل ويفسر أن التابع ملزم بأن يفعل مايلي : اذا حدث أن أسر أميره من قبل عدوه واحتجزه في سجنه مقيدا بالأغلال ، فان السيد (الأمير) قد يتطلب منه (التابع) ويطالبه أن يدخل السجن كرهينة عنه ليحرر سيده من الأسر ، ويطلب منه بموجب الأعراف وطبقا لما يفرضه القانون أن يذهب بنفسه الى السجن بشخصه ، وعليه فان أميره ملزم بدوره بأن يعمل على اطلاق سراح (٧٥٧٩ ـ ٧٦٢٢) تابعه من السجن الذي دخله بدلا منه (١٩)

وكان كل من كانوا في المحكمة في ذلك الوقت ميالين للرأي التالي وقالوا بحكمة كبيرة بأن المارشالة كانت مخولة بأن تحصل على الأملاك ، واراضي قلعة أكوفا ، طالما أن الأمير بنفسه قد أرسلها وكانت رهينة في سجن المدينة بدلا عنه ، وعندما قدم الأمير كتاب القانون توقفوا وتمسكوا حصرا بهذا الفصل ، فقد بين

بالكتاب ، وبأعراف الأرض أنه بالحق الملزم كانت مرغريت ملزمة بهذا الفعل ، وأنه لم يخطىء بأي شكل معها ، لأنها في الحقيقة لم تظهر لتطالب بحقها في الأملاك ضمن المدد المشروطة بموجب الأعراف .

فالتزموا مرة أخرى وعادوا فقالوا حيث انها كانت ملزمة بهذا العمل بدخول السجن لأن سيدها الذي تتبعه قد طالبها بذلك وهو ماتقضي به الأعراف ، ولم يتصادف وجودها في المورة ضمن المدد المحددة للظهور في حضرة الأمير لمطالبته بالحق وانقضت تلك المدد ، فقد فقدت حقها ، وأعطوا القرار بأنها قد سعت بدون طائل .

ودعوا الأمير والسيد نيكولاس ومثل الاثنان أمام المحكمة وتكلم المحكم وهو من رجال الأمير موجها الكلام اليهما والقى الخطبة ، حول كيفية اتخاذ المحكمة للقرار ومانتهت اليه طبقا للقانون ، وبين لهما بالتفصيل الحق والأسباب التي أدت الى ربح البلاط لقلعة أكوفا مع ولائها والمقاطعات المحيطة بها، حسب أعراف المورة وكما يقضي القانون .

وبسماع هذا شكر الأمير كما هي العادة في المحاكم ، المحكمة لربحة القرار ، ولكن المارشال السير جين لم يكن ليقدم شكره بأي طريقة ، وبعد ذلك طلب النبلاء وقادة الفرسان من الأتباع الأذن بالرحيل وأعطاهم الأمير الأذن بذلك ، وغادر كل منهم الى حيث يريد ويرغب وهكذا تفرقت المحكمة وذهب كل منهم الى حيث يحتاج ان يذهب .

وبعد ذلك استدعى الأمير المحكم وقال له سرا بحكمة كبيرة « اقسم لك أيها المحكم (٧٦٢٣ ـ ٧٦٧١) بحضوركم ياسيدي بدا لي هذا الحكم الذي صدر محزنا ، وأن النبيلة السيدة مرغريت قد جردت من القلعة والاقطاعية وتوابع أكوفا كما وأخشى حقا

وأعرف أنه صحيح لأني وضعتها في السـجن حيث كانت ، ولهـذا السبب لم تجد الفرصة لتكون هنا خلال المدد والفتـرات التـي كان يفترض أن تأتي خلالها وتمثل في بلاطي للمطالبة بـأقطاعية أكوفـا التي كانت من أملاكها ، وسأخبرك كيف حدثت هذه الخطيئة ، ففي الوقت الذي أتوا الي فيه وأخبـروني بـأن أمير أكوفـا كان يمـوت (ولأن السيدة مرغريت كانت في السجن وهي التي كانت سـتؤول اليها الأملاك لأنهـا كانت وريثتـه وابنة أختـه) دفعتني نزوة الى تناول الكتاب ، ذلك الذي دونت فيه أعراف الأرض ، وتصادف أن وجدت الفصل الذي يبين ويثبت ، ويذكر ويفسر بأن الانسان التابع أيا كان هو ملزم بدخول السجن ، اذا طلب منه سيده ويفسر ذلك من أجل أن يتحرر هو نفسه من السجن ، وبعد ذلك يكون هـذا السـيد ملزم بتحريرة من أسره في هذا السجن ، وكما افترضت وكما وجدنا في القانون ، حيث ان المارشالة كانت في سجن المدينة رهينة عني ولم تكن قادرة على الظهور في محكمتي ضمن الفترات المشروطة بموجب القانون ، فانه كان حقا أن تحرم وأن تفقـد أمـلاكها ، ثـم ادركت وقلت في ذهني أنها طالما أنها كانت في السجن بدلا مني وأنها فقـدت الأملاك التي آلت اليها فان الذنب واللوم يقعان علي مع ذلك ، ولهذا السبب وصلت الى قرار وفيه أن أترك لهـا نصـف البـارونية وأن أعطي النصف الثاني لمرغريت ، ابنتي الاصغر لتكون ملكا لها ، وقد رأيت أن آل سانت أومر قد جاءوا الى هنا في تبجح وتعال وغطـرسة كبيرة ، وبدا هذا مؤسفا لي ، وغضب قلبي ولهذا السـبب سـألت السير نيكولاس في ذلك الوقت مالذي كان يلتمسه في بلاطي ؟ هل هو المنحة أم الحـق ؟ فـأجابني بغطرسـة كبيرة بـأنه لايريد ان يتلقى مني أي منحة بل الحق فقط ، الذي يخص السـيدة مرغريت ، ولهذا السبب أمرت بأن يؤتى بالكتاب الذي يحوي قانون المورة والذي دونت فيه الأعراف حتى نحاكم بها ، فقد تذهب بـذلك غطـرستهم لذا أحلت الأمـر الى (٧٦٧٢ ـ ٧٧.٤) حـكم القضاء »

حسنا والآن وقد حكم اتباعي بموجب القانون بتجريد السيدة مرغريت ، أريد أن أنعم عليها بمنحة ، تعرف لدى كل من يسمع بها وللذين لديهم الحكمة والمعرفة وفي هذا المجال لدى معرفة بما هو مكتوب في السجل (٢٠) ان بارونية أكوفا بكل توابعها تعادل استحقاق أربع وعشرين فارسا ، وعليه أريد منك اذا كنت تحبني أن تدعو كولنيت وهو المسؤول عن تسجيل المنح الاقطاعية لكل الامارة ، ودع الشيوخ في بارونية أكوفا يحضرون وليجلبوا معهم المحاضر التي يملكونها (٢١) وقم بهذا التقسيم لكل البارونية : اقسم ثلثا وأختر الأفضل له ، وعندما تصبح الحصص ثمانية أريد خمسة منها كلها من الأفضل ثمنا من الأرض ، وأفضل الثلاثة الأخرى عن الأولى بالعائدات واجعل لي مزية فرنجية مكتوبة تخولني منح هذه الحصص من أكوفا وهي في الحقيقة ثلث البارونية للسيدة مرغريت كمنحة وهدية جديدة لها ولأولادها (٢٢) •

ونفذ المحكم على الفور وبلهفة كبيرة أمر الأمير ، ووضع المحكم بنفسه الخاتم على هذا الامتياز وأحضره الى الأمير وقدمه له ، وقرأه الأمير وبدا له سليما ورفع ملاءة سريره ووضعه تحتها وقال للمحكم : « اذهب بنفسك وأحضر السيدة مرغريت هنا وقل لها أني في حاجة اليها وأود أن أتحدث معها » وذهب المحكم اللوغوثيت على الفور وأحضرها ، وعندما جاءت المارشالة قال لها الأمير :« اني استحضر الرب كشاهد (٧٧٠٥ ـ ٧٧٤٩) علي يابنتي الطيبة على الرغبة والنية اللتان شعرت بهما نحوك ، وأنا أقدم لك عملا على سبيل المجاملة والمنحة بالنسبة للأملاك التي كانت ستنتقل اليك بارونية أكوفا ولهذا سألت الشيخ السير المسن نيكولاس ذلك الوقت عندما جئتم الى المحكم : ماذا كان يفضل ويريد مني الحق أو المنحة ؟ وأي الاثنين يريد ، وهو بفطرسته وتعاليه قال انه ليس في حاجة لأن يقبل مني أي منحة ، بل يريد الحق من المحكمة ولهذا السبب أحضرت كتاب القانون : وقدمته للمحكمة وبعد ذلك حكمت بيننا ، وحيث ان المحكمة قد أعطت حكمها فليس على أن أقدم لك شيئا ولكني بفعل الانعام ، وأنا أعلم حقا أنه

كان لأجلي أنك وجدت نفسك رهينة في المدينة عندما آلت اليك بارونية أكوفا ، ولأن لدي شعور عميق بـالعطف نحـوك فقـد فصـلت ثلث البارونية أعطيها لك كهـدية جـديدة قـابلة التـوريث لك ولأولادك ، أرفعي أغطيـة السرير وهذا اللحاف وستجدين امتيازك فخذيه مـع مباركتي » .

وتقـدم المحـكم وأحضر الامتياز وأعطـاه للأمير ووضـعه بين يديه ، وخاطب الأمير السيدة مرغريت : « تعالي يابنتي حتى أنعم عليك » واقتربت منه فأعطاها الوثيقة ، وخلع قفازه ، وبه قلدهـا الانعام ، وهي كامرأة حكيمة تلقته بسرور وبانحناءة خفيفة وشـكر عميق ، ثم ودعته وذهبت الى بيتها ووجدت هناك السيد جين زوجها فأظهرت له سرورا عظيما وأخبرته بالتفصيل بما فعلتـه هناك حيث جاءت وبأمر الهدية التي تسلمتها والمنحـة التـي نالتهـا مـن امير المورة ، وهي ثلث أكوفا ، وعند سـماع هـذا رفـع السير جين يديه ، وكان سعيدا جدا وحمـد الرب لأنه لم يكن يأمـل مـطلقا ولم يتوقع ان يحصل على جزء من السيادة على بارونية أكوفـا ، والآن بعد أن فعل الأمير هذه الأشياء التي اكتبها لكم ، استدعى المحـكم وأمره أن يكتب امتيازا آخر بأحد الأجزاء الباقية من القلعـة وأرض بارونية أكوفا ، قائلا أنه قد أعطاه ملكا لابنته مـرغريت وكنت قـد أخبرتكم ان هذا كان اسمها (٢٣) (٧٧٥٠ ـ ٧٧٨٠)

فكتب وختم ودعاها وأعطاه لها ، وقلدهـا الانعـام على الفـور وأدخلها في حق الانتفاع ومنحها صلاته ، ودعواتـه بـأن تملكهـا وترثها ، ومع كل ماأخبرتكم به ، من كتابة ووصف وأخرى أيضـا كثيرة ومتعددة ، لايمكنني أن اكتبها لكم مما أنجـزه للأمير غوليوم ورتبه وأقامه ، وكما هي الحقيقة الطبيعية في الجنس البشري ان كل من يولدون يذوقون الموت ويموتون ، وجـاء الوقـت ليمـوت الأمير ليذهب الى الجنة ويغادر الدنيا ، فسافر الى كالامـاتا التـي أحس نحوها بحنين عظيم لأنه ولد هناك وكانت مـن أمـلاكه ملكا خـاصا مشروعا ، أعطـاها الشـامبني له ملكا مـوروثا عن أبيه السـير

جيوفري العجوز من ال فيلهاردين ، وهذا لقبه وبعث برسائل الى كل مكان ، لقادة الفرسان والأساقفة وأصحاب الحكمة في كل الامـــارة ليمثلوا أمامه ثم سقط في نزاع الموت الوشيك ، وتوسل اليهم جميعا أن يشيروا عليه بما هو الشيء اللائق الذي يمكن أن يفعله في النهاية الوشيكة لحياته.

وكتب وصيته بدقة عظيمة ، فعين خودرون حاكما عامـا وتـركه نائبا على الامارة (٢٤) وكتب للملك شارل وتوسل اليه بـأن يتـولى نقل بناته أولا ثم كل من في الامـــارة ، ســفيرا وكبيرا الى حفـظه وحمـــــايته وأن يحــــــكمهم جميعـــــا بــــــالعدل وبالنسبة الى اديرة الفرنجة وأديرة الروم أيضـــا ، التــي أسســها وأقـــامها حتــــى تتــــوسط لدى ملك الســــماء لكل النصرانية (٧٧٨٨ ـ ٧٨١١) باهداء صلواتها التي تنظمها بذلك الامتياز الذي منحه لكل منها ومثل ذلك يجب أن لايتدخل أحد فيها أو يثير أي متاعب في أي جزء مما أعطاه لها ، ومثله ليس لأي انســان حي على الاطلاق ان يسيء الى الهـدايا التـي قـدمها للناس الذين خدموه باخلاص وتفان ، وأوصى بأنه بعد موته ولكن ليس قبل مرور سنة كاملة أن توضع عظامه فقط في تابوت في كنيسة القديس يعقـوب المورة في اندرافيدا ، هذه الكنيسة التي بناهـا وقـدمها للهيكل وفي القبر الذي بناه والذي يرقد فيه أبوه وأخوه على أن يكون أخـوه الى يمينه ويكون هو عن يساره وأبوه في الوسط (٢٥) بينهمـا وقضى بايقاف مـال يصرف على أربعـة قسس يدعوهــم كل الرومـــان هيريز (٢٦) ليتابعوا دون تـــوقف فتــــرة بعـــد فتـــرة الانشاد ، والاحتفال بالصلاة الدائمة على أرواحهـم وأمـر بهـذا كوصية تحت طائلة التأثيم والحرمان الكنسي ، ودونت كتابة حتـى لايتدخل فيها أي رجل في الدنيا .

وعندما رتب كل هذه الأمور التي أخبرتكم بهـا وأمـورا أخـرى أيضا (لاأستطيع ادراجها لكم لأني تعبت من الكتابة بسبب الكتابة الكثيرة التي تتطلبها) أسلم روحه وأخـذتها الملائكة وحملتهـا الى

حيث يوجد الصالحون : خلدوا ذكراه كلكم فقد كان اميرا طيبا ، انظر الشر الذي حل والذي يجب أن يحزن له الصغير والكبير في المورة لأنه لم يترك ذكرا ، ابنا من صلبه ليرث الأرض التي كسبها أبوه بهذا العناء (٢٧) بل على العكس أنجب بنات وذهبت جهوده هباء لأنه لم يوجد أنه قد شرع أن الابنة الأنثى ترث تركة أمير ، لأنه من البداية الأولى كانت اللعنة تلقى على المرأة ، ولم يكن مطلقا في حياته لأمير ينجب بنات يخلفنه أن يبتهج ، لأن كل مجده وسلطانة اللذان أعطاهما الرب له سيأخذهما الأصهار اذا وهبه الرب أصهار (٢٨)

والآن بعد أن توفي الأمير غوليوم كتب السيد جين دي خودرون الحاكم العام (وهكذا كان يسمى في كل الامارة ، قد بقي في الواقع نائبا لأمير المورة) على الفور رسائل وبعث بالرسل الى نابولي حيث كان الملك شارل ، وأبلغه بتفصيل دقيق بموت الأمير وحالته (٢٩) وعندما سمع الأمير ذلك حزن على نحو موجع ، وأمر بدعوة قادة مجلسة ، وسألهم المشورة حول أرض المورة وكيف يحكمها ، وأشار عليه مجلسه ان يرسل رجلا بالغ الحكمة ، وجنديا خبيرا ليكون نائبا وحاكما في كل الامارة وان يعطي الأذن والسلطة وأن يحكم طبقا لرغبات وخير أهل الأرض ،

وعليه عين فارسا موثوقا واسمه روسو ولقبه دي سللي ، وكان رجلا نبيلا وجنديا خبيرا (٣٠) وأعطاه خمسين من المرتزقة (٧٨٤٠ _ ٧٨٧٩) بخيولهم ، و ٢٠٠ من حملة الأقواس قاذفة السهام وكلهم من أرفع الدرجات ومن الجنود الرائعين الذين أمره الملك بأن يضعهم نيابة عنه في حماية قلاع المورة : واصدر اليه الأوامر ، التي أخذها معه ، والى الأساقفة ، وقادة الفرسان والفرسان والزعماء الذين كانوا في المورة في حينه ، حيث حمل رسائل من جانب الملك ، وترك نابولي مع هذه القوات ووصل الى كلارنتسا في أوائل ايار ، والآن عندما وصل أرسل رسائل خطية الى أساقفة الأرض ، ولكل قادة الفرسان وللفرسان تضم كتبا من الملك كان قد حملها معه ، وفي الوقت نفسه كتب لهم من جانبه ان يجتمعوا

في كلارنتسا ليروا الأوامر التي أحضرها من الملك ، وجاءوا عند استلامهم الرسائل ، وحالما تجمعوا كبيرهم وصغيرهم ، فتحوا الأوامر وقرأوها ، لقد أمر الملك كل الناس في المورة بأن يقبلوا روسو دي سللي كنائب للملك ، وكل من كانوا من الاتباع ودانوا بالولاء عليهم أن يؤدوا ذلك لروسو عن أملاكهم تماما كما لو كان هو الملك نفسه .

وحالما انتهوا من قراءة هذه الأوامر تشاور قادة الفرسان والأساقفة والفرسان ايضا حول كيفية تحرير انفسهم ، وأغلقوا مطرانية باتراس ، وتولى السير بنوا الكلام عن الجمع وعليه تعهد بأن يخبر نائب الملك بأن كل رجال المورة صغيرهم وعظيمهم ، قد احترموا جميعا الأوامر والوصايا التي جاء بها من الملك وقبلوا به وتمسكوا به واحترموه كما لو كان الملك بنفسه ، ولكن الولاء وفعل التحالف اللذان أمرهم ، بأدائهما للنائب دي سللي لن يفعلوه مطلقا لأنهم بفعل ذلك انما يشردون عن الأعراف ، التي اشترطها قانون المورة والتي حصلوا عليها منذ زمن الاستيلاء والتي جرى اداء القسم عليها وكتبها الذين غزوا امارة المورة وملكوها (٧٨٨٠ ـ ٧٩٢٦) بالسيف ، (٣١) لأن قانون المورة وأعراف الأرض يشترطان أن الأمير ، السيد الحقيقي ، أيا كان عندما يتولى السلطة ، يجب أن يأتي بشخصه الى الامارة ليقسم قبل كل شيء للقوات التي في المورة وهو يضع يده على انجيل المسيح ، بأن يحميهم ويعدل بينهم ، وفق الأعراف التي تسود بينهم ، وأن لايزعجهم في الاعفاءات التي يملكونها ، وعندما يقسم الأمير بالطريقة التي أخبرتكم بها ، يبدأ عندئذ كل التابعين في الامارة بأداء الولاء للأمير لأن فعل التبعية الذي جرى عندما يتبادلون القبلة في الفم ، أمر مشترك بين اثنين ، وهكذا فان الأمير مدين بولاء طيب للتابع كما هي الحالة بين التابع وبينه ، وليس هناك فرق بصرف النظر عن المجد والتشريف الذي يلقاه كل امير ، ولكن اذا كان الأمير في أرض أخرى ويرغب في تعيين بعض الممثلين الآخرين ليتقبلوا الولاء الذي يدين التابع به،ان الاتباع في

المورة غير ملزمين بأداء الولاء والاخلاص لأي انسان آخر غير الأمير بنفسه ، وضمن حدود الامارة ، وعلية ان الاتباع في المورة يطلبون منك أن لاتاخذ هذا انعكاسا عليك ، لانهم يفضلون أن يموتوا ويجردوا من ممتلكاتهم على أن ينحرفوا عن اعرافهم، وعلى اي حال فليتم مايلي من اجل جلالة الملك ولاتدعوه يعتقد باي حال بانهم يفعلون هذا تحديا بل بما ان سلطة الامير قد تبدلت ، إننا يمكن ان نصبح تحت سلطة سيدنا الملك ، إذا كانت لدينا السلطة على تقديم الولاء ، إننا نحن الموجودين هنا في حضرة سموكم ليس لدينا هذه السلطة ما لم يكن الآخرون هنا : الأمير العظيم قبل كل شيء ، دوق اثينا ، وأمراء يوريبوس الثلاثة ، ودوق ناكسوس وأيضا ماركيز بودونيتزا . وعلى أي حال لتفادي المناقشة الطويلة ، إذا كانت هذه رغبتكم ، بينما انتم اليوم نائب الملك ، ولديكم تلك السلطة ، ولستم اميرا شرعيا حتى يقدموا لك الولاء ، وحتى تكون لديك ثقة في اهل الأرض ، وهم بدورهم تكون لهم الثقة فيك ، وفي أنك ستحكمهم بالعدل ، فلتكن هناك تسوية بخوف الرب ، وهي أن تقسم لهم على انجيل المسيح بأن تحكم وفق أعراف الأرض ، ثم بعدك يقسم هؤلاء لك بأن يكونوا مخلصين للملك ولك ، كممثل للملك (٧٩٢٧ ـ ٧٩٥٩)

وعندما سمع روسودي سللي بأن قسما لابد أن يكون ، أذعن على الفور للاقتراح وقبل به . وبناء عليه أمر باحضار الانجيل المقدس واقسم نائب الملك أولا ثم الرجال من الاتباع ، بأن يكونوا اتباعا مخلصين أولا للملك شارل وبعده لورثته ، كما هو العرف.

وبهذا تسلم روسو النيابة وشرع في مباشرة مهام منصبه التنفيذية فأخذ يغير الموظفين ويضع آخرين جددا بدلا منهم ، فغير المسؤول عن تسجيل المنح الاقطاعية وأمين الخزينة أيضا ومتعهد المؤن للقلاع وكل امار القلاع ، ووزع حملة الأقواس بين القلاع ثم عين العمال المأجورين (٣٢) .

وهكذا بعد أن بدأت سيادة الملك في الانتشار تحت اسم الأمير السير لويس الذي كان ابن الملك وزوج ايزابو ، ابنة الأمير غوليوم لم يكد يمضي وقت طويل عندما لذنوب الموريين الكثيرة ولأنه لم يكن لهم الحظ ليكون لهم أمير طيب توفي السير لويس أمير المورة ٣٣ ، انظر الشر الذي حل بموته لأنه وعد وبدا أنه أمير طيب وكان الأخ الأصغر للملك شارل ، وهو ذلك الأعرج ، والد الملك روبرت ، وبعد أن توفي السير لويس آلت السيادة على المورة الخاطئة الى يد وسلطة الملك شارل (٣٤) .

وعند هذه النقطة إني سأتوقف عن الكلام ، للحديث عن الملك شارل واخيه الذي كان يسمى السير لويس أمير المورة ولسوف أحكي عن الأمير العظيم السير غوليوم دي لاروش الذي كان دوق أثينا وكان أميرا طيبا أيضا ، وسأحدثكم أيضا (٧٩٦٠ ـ ٧٩٩٥) عن كونت بيريين ، وكان اسمه السير هوغ ، وكان كونت ليكس التي حصل عليها من ابوليا من الملك شارل (٣٥) ، وفي تلك السنة وذلك الوقت الذي اخبرتكم عنه اعلاه في هذا الكتاب الذي تقرأونه ، عندما عاد دوق أثينا من فرنسا وجد أن الأمير غوليوم قد اسر في بيلاغونيا ، وكان في المدينة حيث كان الامبراطور يحتجزه في سجنه.

ولم يكن دوق أثينا في ذلك الوقت متزوجا وبعد ذلك توصل الى اتفاق مع السير تيودورس أمير والاشيا وأخذ ابنته زوجة له ، وأنجب هذان الزوجان ابنا هو الذي كان يدعى السيرغي دي لاروش ، والذي عاش في الواقع بعد وفاة أبيه وأصبح دوق أثينا ، وكان يسمى الأمير العظيم لرومانيا ، وعندما ارتقى وأصبح فارسا عقد اتفاقا مع الأميرة السيدة ايزابو ، وحيث أنه حصل على أرضه منها فقد أصبحت سيدته ، واتخذ ابنتها زوجة له ، وكانت تدعى ماهوت وكانت في الحقيقة ابنة الأمير فلورنت . والآن عاش غوليوم دوق أثينا أباه ، سنوات عده بعد موت غوليوم أمير المورة . وعندما آلت المورة للملك شارل كان أول نائب أرسله الملك الى المورة

هو روسو دي سللي ، وبعده أصبح دوق أثينا غوليوم نائبا للملك ، ووكيلا عاما على كل الامارة (٣٦) ، أرسل الملك أمره إليه من أبوليا أو البراءة كما كان الفرنجة يدعونها ومن ثم تسلم منصب النيابة وأصبح نائب الملك لبقية حياته ، وفي هذا الوقت في أيامه (٧٩٩٦ ـ ٨٠٣٣) بنى قلعة ديماترا التي كانت في سكورتا ، والتي دمرها الرومان ، (٣٧) ، واتخذ الأمير العظيم نفسه مركزه هناك حتى اكتملت قلعة ديماترا . وبعد فترة قصيرة توفيت الكونتيسة زوجة كونت بيريين والتي كانت أخت دوق أثينا السير غوليوم ، وكانت أولا زوجة الجندي الرهيب أمير كارتيانيا كما أخبرتكم ، والآن أنجبت هذه الكونتيسة من الكونت ابنا رائعا أسموه غوتيير الذي عاش وأصبح فارسا جديرا ، جنديا شهيرا حقا في كل الممالك وقتل في هليمروس من قبل الصحبة (٣٨) .

والآن بعد أن ماتت هذه الكونتيسة بوقت قصير وتوفي أيضا ، غوليوم ، دوق أثينا ، أعقب موته فوضى عظيمة ودمارا لأنه كان أميرا حكيما وانسانيا مع الجميع ، وحدث حزن عميق في كل الامارة .

وحدث بعد ذلك ما يلي : اسمع ما حدث / (٣٩) : كان الكونت هوغ دي بيريين مسرورا بالعبور من أبوليا حيث ذهب الى الموره ومن هناك سافر بدوره رأسا الى طيبة قائلا إنه يريد الدوقه ليعزيها ، لأنها قد أصبحت حديثاأرملة للسير غوليوم دوق أثينا أخي زوجته ، وبعد وصوله الى هناك ، رآها وتحدث معها وبقي أياما عديدة قائلا إنه يواسيها ، واختلوا معا كثيرا حتى أصبح كل منهما يرغب في الآخر ، وباتفاق طيب تزوج الكونت عندها دوقته القانونية ، واتخذ زوجة الزوجة التي كانت زوجة أخيه ، وبعد اقتران الاثنين كما حكم الحظ ، حملت النبيلة ووضعت ابنة اسموها جانيت ، وحالما بلغت السن القانوني وأصبحت امرأة زوجوها الى السير نيكولاس وكان لقبه سانودو (٨٠٣٤ ـ ٨٠٧٣) وكان دوق ناكسوس ، ولم يكن بين هذين

الاثنين اتفاق مطلقا ولسوء الحظ أنهما لم ينجبا طفلا كوريث يرث القلاع والأراضي التي كان يملكها السير نيكولاس.

وآلت المقاطعة الى الكونت هوغ دي بيريين بعد أن تزوج دوقة أثينا وملك السيادة على كل أراضي الامارة العظيمة ، وكان تحت وصايته غي دي لاروش طيلة فترة حياة والدته الدوقة ، والآن بعد مضي سنتين أو نحوهما ، توفيت الكونتيسة وذهب الكونت هوغ الى أرضه في ابوليا ، وعندما بلغ غويوت سن الرشد تسلم ولاياته : الامارة العظيمة واصبح فارسا وكان اميرا طيبا ، وكان يسمى الامير العظيم وهو لقب هيليني ، وكان دوق اثينا ، وكان له اسم عظيم ولكن بسبب الاثام ، حيث انه امضى عمره في الشر ، لم يأذن الرب ان ينجب وريثا من صلبه ليحكم الارض والمقاطعة التي كان والداه يملكانها (٤٠) .

وساتوقف هنا عند هذه النقطة ، عن الكلام عن السيرغي دي لاروش ، الامير العظيم وساتكلم عن السير نيكولاس دي سانت اومر وكيف تزوج واتخذ زوجة له اميرة المورة ، التي كانت زوجة الامير غوليوم . والان بعد ان توفي الامير غوليوم فان الاميرة زوجته (وكانت اخت الامبراطور كيرنقفور صاحب ارتا) بقيت ارملة ، وكانت في المورة وتملك عددا كبيرا من المدن ، وكانت تملكها وتديرها من سهل المورة ، وايضا في مقاطعة كالاماتا كانت تملك مدن نياتوكوري ، وبلاتانوس وغليكي ومدنا اخرى اضافة الى جانب هذه التي كانت لها السيادة عليها (٤١) .

وبعد ذلك حدث ان السيد نيكولاس دي سانت اومر العجوز ، وكان رجلا نبيلا وعظيما لديه قدرا كبيرا من المال ، حيث توفيت زوجته الاولى التي كانت في الحقيقة اميرة مدينة انطاكية) ومنها حظي بثروة شهيرة ومال ، حدث كرجل نبيل ثابت الفكر ان توصل الى تفاهم مع اميرة المورة وتزوجها ، ولهذا السبب ذهب الى المورة وبقي معها (٤٢) وبثروته العظيمة ومقاطعاته التي كان يملكها

شيد قلعة سانت اومر التي كانت في طيبة ، وبنى هذه القلعة لتــكون قوية للغاية ، وبنى ضمنها مساكن تصلح لملك حقا ، وأنشأها وبناها وكسا جدرانها من الداخل بلوحات جدارية زيتية تصــور كيفية غزو الفرنجة لسورية ، ودمر الصحبة بعد ذلك هذه القلعة بسبب خــوفهم من الامير العظيم ، دوق اثينا ، الذي كان يسمى غوتيير (الثــاني) لئلا يستولى عليها ويحيط نفسه بالخنادق هناك ويتخذ منها مــوقعا دفاعيا قويا ، وبمساعدتها يغزو الميغالو كيريت ، انظــر الشر الذي ارتكبه الكاتالانيون الخداعون ، لتدمير مثل هذه القلعة ومثــل هــذا الحصن !

وبنى السير نيكولاس ايضا في مدينة مافيا تخوري قلعة صــغيرة لتحمي ارضه ضد البنادقة ، وبعد ذلك بنى قلعــة افــارينو مــع نية وتوقع ان يهيمن على الملك ليعطيها له كاقطاعية قــابلة للتــوريث له ولابن اخيه المارشال الكبير وكان اسمه السير نيكولاس .

ثم مر الوقت بعد ذلك وتوفي الامير العظيم الذي كان نائبا للملك في المورة وعين بعــده الســيرغي الذي كان يدعى تـــــريمولاي امير كالندريتسا نائبا للملك وحاكما عامــا ، وبعــدذلك تــوفي تــريمولاي ايضا ، وبعث الملك باوامر من ابوليا الى السير نيكولاس دي سانت اومر ليكون نائبا للملك

وبعد ذلك تسلم منصب النيابة وبدا يتصرف ، ويحق الحق وينشر السلام في الارض (٨١٠٨ ــ ٨١٤٥) كرجل نبيل وحكيم تجــاه كل الناس (٤٣) وخلال زمن حكم الســيرنيكولاس دي ســانت اومــر العجــوز ، امير طيبــة ، الذي كان نائبــا للملك في المورة خــلال تلك الايام ، كان هناك فــرنجي نبيل مـــن شـــامبنين ، وكان يدعى السيرجيوفري دي بروبير ، وكان ابن عم الامير كاريتانيا ، وعندما سمع وعرف بان امير كاريتانيا الذي كان ابن عم له قد تــوفى ، وانه لم يعقب ولدا كوريث له فتحت شهيته وراودتــه فــكرة الذهــاب الى المورة ، باعتباره في الواقع اقرب الاقــرباء لامير كاريتــاينا ، لينال

تركته (٤٤) فرهن أراضيه واقترض هيبربورا واستاجر ثمانية من السرجندية ذهبوا معه ، وجلب معه من الاساقفة والفرسان شهادات خطية مختومة تشهد بانه كان ابن عم امير كاريتانيا ، السير جيوفري دي برويير ، وقام بتحضيرات نبيلة ، واخذ السرجندية ، وغادر الارض وبدا رحلته ، ووصل الى نابولي ووجد الملك شارل ، وابرز له الشهادات التي يحملها والتي تقول بانه ابن عم امير كاريتانيا وانه جاء حسب الاعراف الفرنجية كوريث لتركه الاملاك ، وقريب ليطالب بحقه الموروث ٠

وقدم ولاءه كما هو العرف . وامر الملك عندما سمع ورأى الشهادات ان يكتب للعجوز السير نيكولاس دي سانت اومر وكان في الواقع نائب الملك في المورة بان يستدعي كل الاتباع في المورة والاساقفة والحكماء من كل الامارة ليحضروا لعقد محكمة عليا لفحص الشهادات التي اتى بها السير جيوفري من فرنسا ، واذا وجدوا انه قد التمس بحق قلعة كاريتانيا وتوابعها ، فانه سيعطيه حق الانتفاع وسينعم عليه بها (٨١٤٦ ـ ٨١٩٠)

والان نظرت المحكمة التي انعقدت في كلارنتسا الامر الذي ارسله الملك وقرات الشهادات التي احضرها معه ، وبعد ان تناقشوا مطولا وتكلموا ودعوا الناس للشهادة نوهوا بالعمل الذي قام به امير كاريتانيا في الوقت الذي ثار فيه وذهب الى طيبة ، وقاتل وركب الى جانب الامير العظيم ضد الامير غوليوم ، الذي كان اميره الشرعي ، الذي حصل منه على قلعة كاريتانيا وكل اراضيه . واخل بالثقة مع سيده واصبح متمردا ، ونتيجة لذلك حرم هو وسلالته وعندئذ توسل كل رجال الامارة لدى الامير ليعيد له ارضه شريطة ان يعيطها له كمنحة جديدة تورث فقط لاولاده من صلبه اذا انجب ، وعليه فقد استدعوا هذا الفارس ، السير جيوفري فمثل امام القضاء ، والقى اسقف اولينا خطابا واخبره بتفصيل كبير بقرار المحكمة ، وعن الفعل الذي ارتكبه امير كاريتانيا وكيف حرم وكل سلالته بموجب الاعراف السائدة في كل الممالك : وكل من تبين انه ملحد وخائن

يحرم هؤلاء ومن بعده سلالته ، من اي ارض او مقـاطعات يملكهـا ويحكمها » وعليه ياصديقنا الطيب نقول الحق ، ان الحق ليس معك فيما تطالب به »

وبسماع انه تلقى قرارا مخالفا لتوقعاته عاد السير جيوفري دي برويير هذا الى معسكره وجلس وحده يبكي وينوح كمـا لو انه فقـد مملكة فـرنسا ، لو انهـا كانت له ، والان بعـد يومين اسـتغرق في التفكير وبعدما ثارت في ذهنه افكار حول ما يمـكنه فعله لانه لو عاد الى فرنسا ولم يتدبر بطريقة ما البقاء في رومانيا ليبني ثروة ، فـان كل الناس وسيضحكون منه وسـيوبخونه يسـبونه لأنه عاد دون أن يحقق شيئا ودون أي كسب ولهذا السبب قال لنفسه أنه من الأفضل أن يموت من أن يبقى دون أي انجاز أو كسب.

ووجد رجلاً من الأرض تصادق معه ، وطلب منه أن يعلمه بـدقة عن القلاع التي كانت في سـكورتا ، وعن أراكلوفـون (٤٥) وكيف قامت وأيضا عن (٨١٩١ ــ ٨٢٢٧) كارتيانيا وكيف بنيت ، وأي الاثنتين كانت أقوى وأي قوات فيهـا ، ووصـفهما له الآخـر الذي عرف حالة القلعتين بالتفصيل وأعلمه بالنواحي التي تقـومان فيهـا وبالقوات التي كانت فيهما ، وعندما سمع هذه الأشياء وضع خطته وخرج من المورة وذهب الى زينوخوري (٤٦) ، وحـالما وصـل الى هناك ، قال إنه يشعر بالدوار وأن علة في معدته قد تملكته وتكلم مـع الناس وسأل أين يمكن أن يجد مياه بئر ، لأن مثل هذه المياه قابضة وتوقف الزحار وأخبره شخص كان هناك وهو من أهل المكان بـأن هناك ابارا جيدة في أراكلوفون وتركه يرسل لهم ليعطوه بعضـا مـن هذا الماء حتى يشفي من الدوخة . وعليه استدعى أحـد السرجندية من اتباعه ، ممن كان لديه فكرة حسنه عنه ، وكان يثق بـه جـدا في خطته السرية وقال له : « خذ قوارير واذهب الى القلعة القريبة مـن أراكلوفون وأخبر آمر القلعة أنى اطلب منه أن يوجه بأن تعطى مـاء من البئر ، إذ أني احتاجه لعلاجي ، لأن الطبيب قد وصفه لي وقال انه مفيد لي ، وخذ ملاحظات دقيقة عندما تدخل القلعـة ، عن كيفية

بنائها وكم عدد حراسها حتى يمكنك أن تخبرني بها عند عودتك وأن تشرحها كلها لي ، وإياك أن تجرؤ على أن تخبر أي شـخص حـي بذلك ».

وعليه ذهب السرجندي الى القلعة ، فوجد آمرها ، وحياه بلطف وسأله نيابة عن أميره ، أن يأمر بأن يعطى ماء من البئر ، وأعطـى آمر القلعة على الفور الأذن له فدخل هو نفسه القلعـة واسـتطلعها وعاد الى السير جيوفري واخبره بكل ما رآى ، واستمر نحو عشرة أيام على القول بأنه يشعر بـالدوار وكان سرجنديه يذهـب بشـكل متكرر الى القلعة ويحضر له الماء بشكل متكرر ، ليشربه ، ثـم طلب من آمر القلعة متوسلا بـالحاح أن يأتـي (٨٢٢٨ ـ ٨٢٧٧) إليه بغية أن يتكلم معه ، وجاء آمر القلعة الى الفارس على الفور.

وعندما رآه السير جيوفري استقبله بلطف وتحدث اليه عن مرضه وطلب منه أن يستقبله في قلعته مع واحد من حجبته وأن يعطيه غرفة واحدة يرقد فيها حتى يستطيع شرب الماء المفيد من البئر وسـتكون بقية حاشيته في المدينة.

وقال له أمر القلعة على الفور وهو لايتوقع منه اي خداع واكد له انه سيستقبله في القلعة ، وبعد ذلك وفي اليوم التالي اخذ السير جيوفري خيمته وذهب الى القلعة ودخل القلعة واعطي غرفة ؟ وكان فـراشه معدا فرقد عليه وكان معه سرجندي واحد فقط وبقيت بقية حـاشيته في المدينة وامر باحضار ثيابه الى القلعة وكان بينها ايضـا اسـلحة وكان يرقد على الفراش كل الوقت ؛ وطلب آمر القلعة وتناول العشاء معه وكان يبدي الاحترام والانس نحوه حتى يثق به ويمكنه خـداعه وحالما حاز على ثقته ووجد الفرصة ، اسـتدعى سرجنديتـه الذين كانوا بمثابة تابعين له وقال انه سـيكتب وصـيته لان كان يخشى أن يموت من المرض الذي يعانيه ، وجعلهم يقسمون له سرا من غرفتـه بان يبقوا كل ما سيقوله لهم سرا وان يتعاونوا معه اذا فعل ماخطط له واراد تنفيذه ، وعندما اقسموا بدأ يقول لهم : يارفاقي واصدقائي

واخوتي يامن جئتم معي الى اراضي رومانيا ، انتم تعرفون السبب الذي جعلني اسرع برهن ارضي لآتي بشرف بأمل وتوقع اخذ كاريتاينا مع الاراضي المحيطة بها التي اقامها اقاربي وبنوها والتي استولى عليها اقاربي بالسيف ، ولقد سمعتم ورايتم كيف حرمني الجلانون الموريون وابعدوني عنها وانا حزين وخجل واشعر بمرارة عظيمة وعليه فقد وضعت خطة بناء على ثقتي فيكم لو انكم ساعدتموني ، ولدي آمال بأنكم ستفعلون امورا عجيبة سنسمع بها انكم ترون هذه القلعة والقوة التي فيها ان عددا قليلا من الرجال يلزم لحمايتها طالما ان المؤن متوفرة فيها وهي محصنة وتقع في ارض سكورتا ونتحكم فيها فلنملكها لانفسنا لنتحكم فيها ولنقل باننا سنبيعها الى قائد امبراطور الروم ، واتوقع انه عندما يسمع نائب الملك (٨٢٧٨ ــ ٨٣٢٢) في المورة ذلك سيكون سعيدا جدا عندما يتوصل الى تفاهم معنا وسوف يعطني قلعة كاريتانيا مع ارض سكورتا وسيفضل ان احصل عليها من الملك بدلا من ان اعطي قلعة اراكلوفون للروم لانه اذا اخذ الروم هذه القلعة الصغيرة ، فانهم سيربحون كلا من سكورتا وكل الامارة » .

وعندما سمع سرجنديته هذا اتفقوا مع بعضهم بعضا وبدأو يفكرون كيف يمكن تنفيذ ذلك وتحقيقه ؟ ثم رتب السير جيوفري الامر وقال لهم : « لقد سمعت أن هنا في الخارج حانة يباع فيها النبيذ وان آمر القلعة يخرج ويجلس هناك عدة مرات ليشرب مع الاخرين ويبدو لي اننا يجب ان نفعل كما سأقول لكم :

وحيث أن لدينا خبز وبسكويت ونبيذ وماء واسلحة هنا بقدر مانحتاج ، فاخرجوا للحديث معه هناك في الحانة ، اثنان أو ثلاثة منكم كما تفضلون وليكونوا من امهركم وادعوا آمر القلعة وحاكمها والسرجندية معهم وكل العناصر القيادية ولديكم ديناري كثيرة فاعطوها لصاحب الحانة واشتروا كمية من النبيذ واشربوا معهم واعطوهم كثيرا جدا ليشربوا حتى يثملوا ولكن احرصوا على ان لاتشربوا كثيرا من النبيذ معهم حتى لايسكركم فنخسر مانأمل في

إعداده ، وعندما تتأكدون من انهم مخمورون دعوا واحدا منكم قائدكم يتسلل بسرعة من هناك ويأتي مسرعا الى القلعة وبعد ذلك دعوا آخر يأتي أيضا ويمسكوا بحارس الباب ويلقوا به خارجا ويأخذوا مفاتيحه ويغلقوا الباب ثم يصعدون بسرعة فوق اسوار الباب ليحرسوا الباب ، لئلا يشعلوا فيه النار ويحرقوه ويقتحمونه ويأسروننا ونخسر ما نأمل وما نخطط لتنفيذه.

وفعلت الحاشية والفرنجة تماما كما أمر السير جيوفري ولخص ، وقام الفرنجة واستولوا على القلعة ، ثم اطلق السير جيوفري سراح المساجين (من الحجز) ، وكان هناك اثنا عشر رجلا فيه ، من الفلاحين والروم. ودعا اثنين من الروم وأمر بكتابة الرسائل لهم ، وكان واحد أو اثنان ممن يعرفون الكتابة يقومون بذلك ، وأرسلها معهما الى قائد الامبراطور وكتب فيها معلنا أنه يجب أن يأتي مسرعا الى القلعة التي استولى عليها والتي تسمى أراكلوفون (٨٣٢٣ ـ ٨٣٦١) وأنه قد يبيعها بالهيربورا ويسلمها له . وعندما سمع بهذا ابتهج : وجمع جيوشه كلها بسرعة وانطلق بأسرع ما يمكنه ، وسافر حتى وصل الى مخاضة في نهر الألفيوس عند نقطة من وادي الألفيوس تدعى أومبلوس (٤٧) ، وهناك نصبوا خيامهم وآوى الجيش الى الفراش.

والآن بعد الاستيلاء على اراكلوفون بعث آمر القلعة فيلوكالوس (٤٨) ، وكان هذا اسمه بمبعوثين على الفور الى السير سيمون وهذا اسمه وكان لقبه دي فيدوني (٤٩) وكان في اراكوافا يسمى العظيم ، وكان مع قواته في سكورتا حيث كانوا يقومون بواجب الحماية في ذلك الوقت وشرحوا له الامر والخيانة التي ارتكبها السير جيوفري دي بروبير ، والتي استولى فيها في الواقع على اراكلوفون وكان سيبيعها لقائد الامبراطور ، الذي بعث له برسالة ليأتي ويعطيه الهيربورا ويأخذ القلعة ٠

وعند سماع هذا ركب السير سيمون خارجا مع كل الرجال الذين

تصادف وجودهم معه هناك في ذلك الوقت . وبعث برسالة في كل مكان الى قواته لتاتي ووصل بسرعة الى قلعة اراكلوفون ، واحاط بها كلها بالقوات التي معه واستولى على كل الممرات والطرق والشعاب حتى لايتمكن احد من الدخول او الخروج من القلعة ليحمل اي رسالة من او الى الروم ، والان عندما وصل السير سيمون الى اراكلوفون مع القوات التي معه ، ارسل الرسل على الفور الى نائب الملك الى السير نيكولاس دي سانت اومر ، الذي كان في كلارنتسا ، وابلغه واعلمه بالحدث ، الذي جرى من ان السير جيوفري دي بروبير قد استولى على قلعة اراكلوفون وبعث برسالة الى قائد الامبراطور الرومي ليحضر له الهيربورا ليعطيه القلعة ، وانه جاء مسرعا مع كل جيوشه للمساعدة لئلا يعقدوا القلعة ، وقبل ان ياتي الروم ويحتلوها .(٨٣٦٢ ـ ٨٤٠٢) .

والان عندما سمع نائب الملك بهذا ، انطلق على الفور باي قوات تصادف وجودها معه ، وبعث برسالة الى كل مكان لتأتي الجيوش ، وعندما جاء الى اراكلوفون ووجد الشحنة السير سيمون (يحاصر بقواته ويستولى على الطرق حتى لاياتي احد من الروم ويدخل اراكلوفون ويحضر لها رسالة) شكر نائب الملك الشحنة بحرارة .

وبدات جيوش الفرنجة في الدخول من كل الجوانب واستولوا على كل درنغوس سكورتا وكانوا يحرسونها ، وجاءت رسائل جديرة بالثقة الى نائب الملك بان جيوش الروم وصلت الى رافد الالفيوس عند نقطة تسمى اومبلوسي .

وعليه امر باستدعاء السيرسيمون شحنة سكورتا وامره بان ياخذ قواته وقوات درنغوس سكورتا وقوات كلماتا وبيرغاردى وكالندريتزا وايضا قوات فوستيتزا وان يذهب الى ايزوفا الى مخاضه بيتر على رافد الالفيوس ليتخذ موقعا ويحميها حتى لايمر الروم الى درنغوس سكورتا (٥٠)

ثم تولى السير سيمون ، كنائب للملك القيادة ، وأخذ جيوشه وذهب الى هناك ووقف وجها لوجه مع الروم ، والآن فان نائب الملك الرجل الحصيف استجابة للمشورة التي تلقاها استدعى فارسين وأمرهما بأن يذهبا الى أراكلوفون ليطلب القلعة من السير جيوفري وأن يعيدها الى سلطة الملك كما وجدها ، وسيعفى عنه لما فعله . « ولكنه اذا خطط بأي طريقة ليستولي على القلعة ليتملكها أو ليعطيها لأي شخص آخر ، فأبلغه لعلمه أنه يجب أن يأخذ بصدق بأني سألقى الموت أولا وأنتم جميعا معي ولا أبرح هنا مع الجيوش التي معي قبل أن أدمر أسوار قلعة أراكلوفون وسأحاصره بداخلها وأقتله » .

وعليه ذهب الفارسان واقتربا من القلعة وطلبا هدنة وناديا من مكان بعيد حتى لا يطلق عليهما السهام (٨٤٠٣ ـ ٨٤٤٧) بأن نائب الملك قد أرسلهما كرسولين لمناقشة أمر مع السير جيوفري من أجل خيره وشرفه لو فعله .

وبسماع هذا بات السير جيوفري بالغ السرور ووقف فوق الأسوار وسألهما ماذا يريدان فقالا له : « ان نائب الملك يبلغك ، وهو يحييك كصديق أنه قد صدم لأنك في وجه المجاملة والعناية البالغة التي لقيتها والتشريف الذي وجدته في قلعة الملك استوليت عليها وتمسكت بها وستبيعها لقائد الروم كما أبلغته ، وعليه فانه يتوسل اليك ونحن جميعا منضمون اليه أن لا تنخدع بتوقعات الشهرة العالمية الواسعة ، لأن الكل دهش مما فعلتم ، ولا ينبغي لك كرجل نبيل لهدف خياني أن تفكر في هذا أو تضعه موضع التنفيذ ، لأننا نحن الفرنجة فوق كل شيء قد خجلنا بسببك وأسفنا ، ونحن نعرف مع ذلك أنك فعلت هذا بدافع المرارة ، لأنك كنت تأمل وتتوقع الحصول على بارونية كاريتاينا في سكورتا وخاب أملك ، ونعلم حقا بأنك قد ندمت على ما فعلت ، وعليه نقول لك ونشير عليك بطيبة وشوق أن تعيد القلعة ، وستنال هبة وتشريفا عفوا ولكن اذا كنت تخطط بشيء على سبيل التحدي فاحترس لأنك لا تستطيع الوقوف ضد الكثير

جدا ، لأن نائب الملك قد أرسل للنجارين ليحضروا ، والحرفيين البنادقة ، وستحاصرون جميعا وتقتلون » .

وعليه بدأ السير جيوفري يتحدث اليهما « أيها النبلاء لقد أخطأتم في حقي بمنعي ممتلكاتي وحرماني من ميراثي بذرائع وأعذار جوفاء ، أيها الموريون ، وأنا من الأسى والأسف اللذان أشعر بهما وقد فعلتم ما ترون ، ومن المرارة التي عندي فعلت ما فعلت ، وأنا أعرف أن هذا لا يشرفني .

ومع ذلك طالما أنكم تخبروني وتنصحوني فاني سأعيد القلعة مع التفاهم والاشتراط بأن توضع قضيتي أمام محكمة الملك وأيا كان قرارها فاني أوافق على قبول سلطتها ، والآن طالما أني جئت الى أرض المورة ، فاني أصبحت أحبها وأريد أن أبقى معكم هنا ، فأعطوني أرضا أملكها ولأجد فيها معيشتي ، لأني أشعر بالحزن والعار أن أذهب الى فرنسا لأقاربي وأصدقائي وجيراني ليضحكوا مني لأني ذهبت الى (٨٤٤٨ ـ ٨٤٧٠) رومانيا وتصرفت كولد » .

حصنا ولو أني كتبت ما قال هذان الفارسان للسير جيوفري وما قاله لهما (٥١) ، فمن الذي سيقرأه؟ ولكني سأوضح لكم بأني سأكتب هذا لكم وأرويه بايجاز ، فقد توصل السير جيوفري الى تفاهم
وسلم القلعة وأعطوه كملك لا يورث اقطاعة مورانينا وهي موجودة في سكورتا مع المدن الأخرى ـ كما زوجوه السيدة مرغريت ، التي كانت ابنة عم أمير أكوفا وكانت تملك ملكا قابلا للتوريث اقطاعه ليساريا (٥٢) . وبعد زواجهما واجتماعهما معا ، أعطاها الرب ابنة أسموها هيلين ، تزوجت فيما بعد السير فيلان دي أدفوي أمير أركارديا (٥٣) ، وكان لهما بدورهما ولد وبنت ، وكان اسم الابن ايرارد ، والابنة أغنسس ، وقد تزوجها السير اتيين ولقبه مور فوضعت بدورها أبناء وبنات ، وبقي منهم وريث واحد وهو ايرارد

أمير أركاديا(٥٤) واغتنى الايتام وسعدت الأرامل واقتنى الفقـراء والمعوزون مالا كثيرا (٨٤٧٩ ـ ٨٥٠٧) في الزمـن الذي اتحـدث عنه وهو زمن أمير أركارديا .

فخلدوا ذكراه جميعا، لأنه كان أميرا طيبـا ، وعند هـذه النقـطة سأتوقف بعد ذلك لأتحدث عن السير جيوفري وميراثه وسأخبركم ، بأني سأتكلم وأكتب عن ايزابو المبـاركة (التـي كانت ابنة الأمير غوليوم ، والتي كانت تخاطب وتسـمى في تلك الأيام أميرة المورة) وكيف جاء بها الرب وعادت الى أملاكها وأصبحت أميرة آخيا .
في الوقت الذي أخبركم عنه ، كانت الأميرة ايزابو في نابـولي مـع الملك شارل .

وكان الملك في الواقـع يملك السـيادة على المورة ، بفضـل تلك الاتفاقات التي أبرمها الأمير غوليوم مـع الملك شـارل ، الأكبـر ، والده ، وأيضا من خلال أخيه الأمير ، السير لويس ، زوج ايزابو . حسنا وفي حين أن الملك كان يملك السيادة على المورة ، كان هناك في ذلك الوقت فارسان من القادة . كان أحدهما يدعى خودرون ، وكان الحاكم الكبير لامـارة المورة وكان الآخـر السـير جيوفـري ، دي تورناي (٥٥) وكان الملك يحبهما ويقدرهما عاليا ، وكان الحـاكم في الحقيقة أميرالا عظيمـا لكل المملكة وبينمـا كان هـذان الفـارسان يمضيان جيئة وذهابا من والي بلاط ملك نابولي ، كان أخو الكونت دي هينوت هناك ، وهـو الذي يدعي السـير فلورنت دي هينوت (٥٦) .

وكان حاكما عاما على كل الامارة ، وكما هي العادة العامة للجنس البشري ، توصلا الى اتفاقات مع بعضهما بعضا وعقدا صـداقات ، وكان السير فلورنت (٨٥٠٨ ـ ٨٥٥٤) سعيدا بهذين الفـارسين الموريين ، السير جان دي خـوردون ، وسـير جيوفـري وفي هـذه الصداقة التي كانت بينهما قـال السـير فلورنت الرجـل الحـكيم لهما : أيها النبـلاء الاخـوة والأصـدقاء اذا كان لي أن أكون لكم

صديقا ورفيقا في المورة فان علي أن اقسم لكم بـأننا لن ننفصـل ، وسنكون كالاخوة ونعيش معا . اني أرى بعيني بـأن الملك يحبـكما وأنه يعتمد عليكما كمرشدين وقادة في مجلسه ، حسـنا فـاذا كنتـم تكنون لي الحب كما امل ، كلموه حول أخذي للسيدة ايزابو ، زوجة وبينوا له الاسباب الحقيقية التي تجعل أرض المورة تجد نفسـها في حرب وفي خطر الضياع بفعـل رجـاله ، النواب الذين يرسـلهم إلى هناك ، أنهم مأجورون ويسـعون دائمـا وراء مـكاسبهم الخـاصة والارض تتسرب دائما من بين أيدينا ، وتضيع وهي في خطر ويتحمل الملك كل التكاليف ويأخذ الآخرون الربح ، وأنه حقـا لأمـر شـديد بالنسبة له أن يبقي الوريثة هنا ، انها تعيش كسجينة تقريبا وهـذا ما يدهش العالم وسيفعل شيئا لتحرير روحـه ولمجـده بـأن يزوج السيدة ايزابو من فارس ، من رجل نبيل من منزلتها ، سوف يشعر بأرض المورة ويحميها قبـل أن تفلت تمـاما مـن أيدينا ويفقـدها الفرنجة ، ولماذا اذكر كل التفاصيل وا شرحها لكم نقطة نقـطة لهـذا عجلوا ايها الحـكماء وكلمـوا الملك لانكم تـؤثرون عليه ليسـتجيب لرغبتـكم ، لان عقلي يقـول لي وفـكري يدلني على انكم اذا كنتـم تريدون ذلك ، وانتم الرجال اصحاب الحكمة ، فان الامر سـيتحقق وستكتسبون الامارة لانفسكم وسأكون رجلكم . وسألقب بـالأمير وستكونون أمراء . وبسماع هذه الأشـياء سر خـودرون والسـير جيوفري جدا ، ووعداه بأنهما سيحققان رغبته في انجاز هذا الأمـر ورجوا من الرب أن يحققا نجاحا طيبا ، وعليه التمسا فرصة ليجـدا الملك في لحظة مزاج طيب ليكلماه . وعندمـا وجـدا اللحـظة كلمـه الاثنان ، فوجداه في مزاج حسن في غرفته ، وذكرا له الاسباب وبينا له أسباب أن أرض المورة وامارة آخيا كانتا تتسربان ضائعتين وفي خطر ، بسـبب أن الامير ، الذي كان دائمـا سـيدا عليهـا لم يكن موجودا . « انكم تبعثـون الى المورة (٨٥٥٥ ـ ٨٥٩٤) نوابـا ومرتزقة يستعبدون الفقراء ، ويؤذون الأغنياء ويسعون فقـط وراء مكاسبهم ، والأرض تنزلق مـن بين أيدينا ، فـاذا لم تعينوا رجـلا يكون وريثا ليبقى بشكل دائم وليحكم الجميع ويضع في فكره وهـدفه أن يقدم مصالح الأرض فانكم ستفقدون الامارة ، حسنا يا سـيدي

الامبـراطور (٥٧) ، انكم تحتجـزون ذلك الوريث ، وهـو السـيدة ايزابو ابنة الأمير ، فزوجوها من رجـل عظيم ونبيل يأخـذ بـزمام الامارة من جلالتكم ، وبذلك تفعلون شيئا لتحرير نفسـكم ولنفعـكم العظيم وسيثنى عليكم كل من يسمع به » .

لماذا أروي لكم كل التفاصيل ولماذا علي أن أكتبها ؟ لقد قـال هؤلاء الفرسان للملك أشياء كثيرة جـدا كلمـا أمـكنهم التحـدث اليه ، واستحثوه كثيرا حتى رتـب لاجـراء الزواج ، وأن يتخـذ السـير فلورنت السيدة ايزابو زوجة له ، وأن يملك الامارة وأن تصـبح ملكا موروثا له ، وكتبت الاتفـاقيات والمواد بـالتفصيل ، ومـا كان على الأمير ليقدمه الملك تجاه الأمير ، كل منهما نحو الآخر ، وكتبت مادة واحدة في هذا الامتياز ، كانت عملا خاطئا وخطأ عظيما ، وهـي أنه اذا وصلت الامارة الى وريثة انثى ، الى امرأة تحرز السلطة ، فانها ليس لها أن تقدم على الزواج من أي رجل في العالم بدون علم وأمـر من الملك أيا كان ، ولكن اذا تصادف أن فعلت ذلك ، فانها تحرم من أملاكها ومن السيادة على المورة وكل الامارة ، انظر الشر الذي وقع بسبب هذه الفقرة ، وجردت الأميرة ايزابو لأنها في الحقيقة تزوجت فيليب دي سافوا عندما ذهبت الى اليوبيل الفضي في الواقع ، وقتهـا في روما (٥٨)

والآن بعد كتابة هذه الاتفـاقات ، أمـر الملك على الفـور بعقـد الزواج ، وبناء عليه تزوج السيد فلورنت السيدة ايزابـو ابنة الأمير غوليوم (٨٥٩٥ ـ ٨٦٤٣) وتم الزواج في أبهة كبيرة ، وفي بهجـة واحتفالات ، تكلف نفقات طائلة وهناك في الكنيسـة حيث زوجهمـا مطران نابولي بنفسه ، منح الملك الأميرة مـرغريت الامـارة ، كملك شرعي موروث ، واستدعى بعد ذلك السـير فلورنت بـدوره ومنحـه الوكالة وجعله وريثا أيضا وتوجه كأمير ليسمى أميرا .

وبعد انتهاء مراسم الزواج وزفاف الأمير ، بدأ يتخـذ تـرتيبات

الرحيل من ابوليا ليذهب الى المورة في تشريف وأبهة ، وانحنى أمام الملك واستأذن في الانصراف وودعا الكونتات والفرسان وزاد من مكانته واستأجر آخرين أيضا ، وحصل على مزيد من الفرسان الراكبة والمشاة من السرجندية في الحقيقة أكثر من مائة ، وثلاثمائة من حملة الأقواس القاذفة . ووصل الى برنديزي فوجد سفنه وصعد اليها وذهب الى كلارنستا .

وكان نائب الملك في المورة في ذلك الوقت السير نيكولاس العجوز مصادفة في أندرافيدا وبسماعه للرواية ركب على الفور وذهب الى كلارنتسا وقدم الولاء للأمير ومثله فعل كل من كانوا معه وأقام له الأمير استقبالا حسنا ، وحالما وصلت قواته الى الكنيسة حيث كان المينوريت معه ، أمر بأن يجتمع الكبير والصغير ، وعرض الأوامر والوثائق التي كان يحملها وقدم الى نائب الملك أمر الملك.: لقد أمره الملك وكلفه كتابة أن يقدم الامارة ، امارة المورة ، والقلاع والولايات في كل الامارة . وبعد هذا سحب أمرا كلف به الملك في اعلان مكتوب الى الموريين ، والأساقفة وقادة الفرسان والفرسان ، والسرجندية وجميع البرجوازية سكان المدن وكل من هناك كبيرا وصغيرا أن يقبل السير فلورنت كأمير وسيد ، أما الولاء في الحقيقة والاخلاص التي كان يدين به كل الاقطاعات والأملاك التي ملكوها فليؤدوه له باستثناء القسم والاخلاص والولاء الذي يدينون به للملك . وعليه أمروا باحضار الأنجيل المقدس ثم قالوا للأمير : « عليك أن تقسم لنا أولا أن تحمينا وأن تحكم بيننا بأعراف الأرض وأن لا تزعجنا في الاعفاءات التي لدينا من التكاليف ، وبعد ذلك فاننا بدورنا سنقدم لك الولاء ، لأن هذه هي العادة التي ورثناها عن ابائنا » (٨٦٤٤ ـ ٨٦٨٨) .

واقسم الأمير على الأنجيل المقدس بأن يحكم كل أهل المورة وفق أعرافهم وأن يبقي على اعفاءاتهم وبعد ذلك تقدم قادة الفرسان أولا ثم الفرسان والآخرون فقدموا الاخلاص والولاء الذي يدين به كل منهم لقاء الاقطاعية التي يملكها طبعا باستثناء أداء قسم الملك

(٥٩) وبناء عليه سلمه نائب الملك الاقطاعية والقلاع والسيادة ، ليأخذها عن الملك .

وبعد أن تقبل الأمير الولاءات . غير جميع المناصب ، أولا أمار القلاع وكل السرجندية في القلاع وعين جماعته . فعين مسؤولا عن تسجيل المنح الاقطاعية ، وخازنا أيضا ومسؤولا عن المؤن للقلاع وكل أصحاب السلطة ، وهكذا بدأ بمشورة من السير نيكولاس العجوز والسير جين دي خوردون الحاكم الكبير والسير جيوفري دي تورناي وباقي الاتباع كبيرهم وصغيرهم ، في ترتيب الأمور والمشكلات المتعلقة بالأرض ، والآن وجد الأمير الأرض في الامارة مخربة من قبل المرتزقة وسلطات الامبراطور التي عاثت فيها فسادا ، وطلب مشورة الجميع حول كيفية العمل المتوجب ، وقال كل الأكثر حكمة وأشاروا أنه اذا شن حربا مع امبراطور الروم فان الأرض ستنوب وتتبدد بشكل أسوأ حتى ، ولكنه اذا كان يريد أن يحيي الأرض فلندعه يجري تسوية معه ، سلمية وقوية ، وأن يقسم مع الامبراطور بأن السلم سيدوم كل الوقت ..

وبهذه الطريقة أعطيت المشورة وأيدها الجميع وبعث الأمير برسولين الى القائد الأعلى للامبراطور الذي كان عندئذ في المورة في تلك الأيام ، فقلنا انه جاء الى هنا كأمير سيد على المورة ، وعلى كل ما يملك الفرنجة ، ووجد أن الأرض قد دمرت تماما ، وأنه علم وأخبر بأن الأمر كان كذلك بسبب الحرب التي كان الامبراطور يتابعها مع الامارة ، لأن أعمال الحرب تعطي مثل هذه النتائج وحتى في أفضل الأراضي التي في العالم ، إن الحرب في الحقيقة تخرب وتدمر تماما ، وعليه اذا أراد وسره أن تعقد هدنة فليرسل اليه بجواب ليعرف رغبته .

وعندما سمع القائد هذا بدا له مقبولا ، وأثنى على الأمير كسيد حكيم (٨٦٨٩ , ٨٧٢٨) وكنبيل جدا . وحصيف بعث بجواب للأمير : بأن الفترة كانت قصيرة حتى يمكن استبداله ، وأن يأتي

قائد آخر ، وأن يذهب هو كما هي عادة الامبراطور ، الذي يغير في كل عام قائد المورة ، ولكن طالما أن الأمير كان يسره أن يعقد هدنة تكون ثابتة ومخلصة لأكبر عدد يلزم من السنوات ، فانه حبا له ومن اجل رخاء الأرض فانه سيعلنه لسيده الامبراطور لأن رجاءه في الرب أنه هذا سيرضيه كثيرا . وهكذا أرسل القائد في حينه مبعوثا الى الامبراطور في القسطنطينية ، وبتفصيل كبير شرح له شفويا وكتابيا أن الأمير فلورنت الذي جاء الى المورة سعى لعمل هدنة معه ، حتى ينال رجاله من الفرنجة والروم فترة راحة ويعيشون في سلام .

وما أن سمع الملك هذا أقره بحماس وأكده أمام القائد الذي أرسله في حينه إلى المورة (٦٠) وكان رجلا عظيما موثوقا من القصر ، كان يدعى فيلانثروبينوس والذي كان من البيوت الاثني عشر (٦١) ، وأعطى له في الواقع الأوامر بأن يجيب السير فلورنت الأمير سيد المورة ، وعندما جاء فيلانثروبينوس هذا الى المورة ، أرسل مبعوثا للأمير وبعث اليه بجواب من الملك ، بأنه جاء في هذا الوقت كقائد للمورة وكان رهن الأوامر للقاء معه ليفاوض من أجل الهدنة التي كان الأمير يطلب ابرامها ، وأرسل له الأمير رسالة بواسطة الفارسين ، كتبت في صورة قسم (٦٢) . بأن يأتي الى أندرافيدا .

وبناء عليه أخذ القائد معه بعض أحكم النبلاء الذي كانوا عنده ، ومع رفقة مشرفة ذهب الى اندرافيدا ، حيث كان هناك الأمير مع قادته الذين كانوا في المورة في ذلك الوقت ، ومن أحكمهم ، والآن بعد أن التقى هو والأمير ، تفاوضا وابرما هدنة كما أرادا كتابة في الحقيقة ، ووضعا مواد الهدنة وأقسما عليها الأمير أولا (٨٧٢٩ ـ ٨٧٦٩) ثم قائد الامبراطور ، ثم قال الأمير للقائد : « أتوسل اليك يا صديقي أن لا تعكس على نفسك ما سأخبرك به وأكشفه لك ، إنك ترى أني سيد وأمير في المورة ، أفعل ما اريد وسيكون ثابتا لايهتز على كل السنين والأزمنة التي سأملكها ولا أحتاج لأحد ، ولكن أنت ، ونبالتك يا أخي لك السلطة لفترة ولا يمكنك ولا تقدر على التوصل الى اتفاق يمكن أن يستمر أكثر من

زمانك ، حسنا ومثلي وأنا أمير وسيد في أرضي قد أقسمت على هذا ، وهكذا ان على الامبراطور شخصيا أن يقسم ، وأن نتوصل الى ميثاق يمكن أن أحفظه وأن أحافظ على هذه الأشياء كضمانات للهدنة ، تماما كما تعتبر رسالتي ، وهي تحمل خاتمي » .

وبناء عليه تكلم القائد وأجاب الأمير : « انه صحيح هكذا قال : « يا أميري يا صاحب السمو ، اني أقر وأشهد ، بأن ما قلته حق ، حسنا اذا شئت أن يحدث شيئا ما مثل ما أمرت ، وجه باثنين من فرسانك ليذهبا معي وسأجعل اثنين من النبلاء الشبان يذهبان معهما ، وسأكتب للامبراطور الى سيدي المقدس ، بالامر والاقتراح كما عبرت عنه نبالتك ، بأن يأمر بأن تكتب اتفاقات الهدنة وتختم بخاتمه الذهبي وبأن يقسم الامبراطور هذا القسم المكتوب في حضور الفرسان ، مبعوثيك °

وعندما سمع الأمير هذا بدا له جيد جدا ، ووجه خودرون الحاكم الكبير والسير جيوفري دي ادنوي ، أمير أركاديا بأن يذهب الاثنان الى الامبراطور هناك في بيزنطة ، في مدينة قسطنطين ، وذهب فيلانثروبينوس أيضا معهما وعند رؤيتهم ، استقبلهم الامبراطور جيدا ، وبدت تلك الهدنة(٦٣) وذلك السلام الذي سيكون له مع أمير المورة مقبولا بسبب نفقاته الباهظة على الجيوش التي كان يبعث بها الى المورة ، والتي شن بها الحرب على الفرنجة ، وأمر على الفور بأن تكتب شروط المعاهدة وأقسم قسما ، وختمها بخاتمه الذهبي (٨٧٧٠ - ٨٨١٠) وأقسم الامبراطور نفسه على هذا في حضور الفرسان ثم قدمها لهما ، فأقسما وذهبا الى المورة وسلماها للأمير وقدماها له ، فتسلمها الأمير وبدت له جيدة .

وبعد ترسيخ السلام والهدنة بين الامبراطور وأمير المورة ، بدأ الأمير كأمير حصيف يحكم أرضه ويزيد من الخدمات ، وتعامل بهدوء مع قوات الملك ، واغتنى كل الناس من الروم والفرنجة .

وعندما رأى الامبراطور ذلك وحالما أخبر بأنه قد حصل على هدنة

طيبة مع الأمير رغب وأراد تجديد الحرب مع امبراطور أرتا السير نقفور (٦٤) فاستأجر ستين من الشواني تعود للجنويين ووجهها بالابحار ، وعبور البحر ، عن طريق مياه المورة لدخول الخليج ، وفي زيرو ميرون ، هناك قرب أرتا (القوات التي حملوها) لاجتياح ونهب كل المنطقة (٦٥) ومثل هذا أمر الجيوش (بأن تذهب) عن طريق البر : ٠٠٠ ر١٤ على خيولهم ، و٠٠٠ ر٣٠ من الجنود المشاة وأحصى الكثير ، وذهبوا من رومانيا عبر والاشيا ، ووصلوا الى يانينا ، وأمام القلعة الرائعة عسكروا هناك في حصار حولها ٠

وكانت القلعة رائعة وتقع في بحيرة لأن أوزيروس العظيمة تحيط كلها بالقلعة ، (٦٦) ويدخل السكان الى القلعة بوساطة جسر ويدخلون المؤن الى القلعة بمراكب شراعية صغيرة . وتعتبر الدنيا كلها قلعة يانينا لايمكن أن تؤخذ بالهجوم ، طالما أنها تستطيع الحصول على التموين .

وهنا اقفل المناقشة عند هذه النقطة حول الملك وسأخبركم بتصرفات الامبراطور ، فحالما سمع امبراطور أرتا وعرف أن الامبراطور باليو لوغوس ، كان يستعد بالجيوش ليأتي لمواجهته برا وبحرا ، استدعى قادته وأخذ مشورتهم وطلب منهم بأن يشيروا عليه بدقة بأي طريقة يمكنه أن يحمي أرضه (٨٨١١ ـ ٨٨٦٠) وعليه نصحه أحكمهم هكذا ، أن يتوصل الى تفاهم مع أمير المورة ، مع فلورنت ، هذا بهدف أن يأتي بجيوشه ليحارب في جانبه وعليه عندما أعطيت هذه النصيحة أرسل مبعوثيه ، اثنين من النبلاء الحصيين من الطليعة في مجلسه ، وأصدر لهما الأوامر وأعطاهما تفويضه كتابة ، مزودا إياهما بسلطة إبرام كل ما يمكنهما ، واستطاعا مع فلورنت أمير المورة الذي تزوج من ابنة أخته وكانت تدعى ايزابو .

وخرج المبعوثان بعد ذلك من أرتا وعبرا الى المورة وذهبا الى أندرافيدا ووجدا الأمير قد عقد مجلسا مع قادته للنظر في بعض

الشؤون التي لديه . فقدما الكتابات التي كانت معهما . وأعطياها للأمير وحيياه نيابة عن سيدهما الامبراطور وتحدثا اليه مفصلا ، شفاها حول السبب والهدف الذي جاءا من أجله ، حسنا سوف استبعد التفاصيل حتى نصل الى الهدف ، لقد توصلا الى هذا الاتفاق : يعطي الامبراطور للأمير كرهينة يحتفظ بها فقط ابنه السيد توماس ، حتى يتمكن الأمير من العودة الى أرض المورة بجيوشه ، بلا خديعة أو احتيال ويأتي الأمير بأكبر ما يمكنه من الجيوش التي يمكنه جمعها ويتلقى الأجر من الامبراطور .

وبعد أن رتبا كل اتفاقاتهم عاد المبعوثان الى الامبراطور وأخبراه بأنهما قد رتبا ليحضر الأمير فلورنت مع خمسمائة من الطليعة والأفضل في كل الامارة ، لمساعدة ونجدة عمه الامبراطور ، وعليه جهزوا السير توماس ابن الامبراطور من أجل رحلته بتشريف عظيم وأرسلوه الى المورة والى اندرافيدا ، وأعطوه للأمير ليفعل مايريد به ، وأرسله الأمير الى قلعة خاوموتسي ليبقى رهينته بشرف في القلعة حتى يعود الأمير الى المورة ، واحضروا أيضا للأمير أجور قواته ، ودفع لهم ثلاثة شهور فقط ، وخلال تلك السنوات والأزمنة وفي تلك الأيام ، عندما بدأ الملك باليولوغوس العظيم تلك الحرب الساخنة مع امبراطور أرتا ، انطلق ليدمره في كل من البر والبحر ، وعليه صمم بدوره عندما سمع (٨٨٦١ ـ ٨٩٠٢) الامبراطور بهذا ، وقرر بإرادة عظيمة أن يحمي نفسه منه بكل طريقة ووسيلة (٦٧) ٠

وتماما كما توصل الى تفاهم مع فلورنت ، أمير المورة الذي تزوج ابنة أخته ، فقد فعل مثله مع الكونت ريتشارد ، الذي كان أميرا وكونتا لسيفالونيا في ذلك الوقت ، وأعطاه كرهينة ابنته الأولى ليحتجزها كضمان وكان عليه هو نفسه أن يأتي شخصيا بالفعل هو وكل جيشه الى الامبراطورية ليساعده في الحرب التي بدأها الامبراطور معه ، وسيحصل أيضا على أجره هو وقواته عن الوقت الذي سيمضيه في الحرب ، (٦٨) وبعد أن توصلوا الى التفاهم ،

قام الكونت بالعبور مع مائة من الخيالة ، من الجنود الحقيقيين ، كلهم من خيرة الرجال والجنود المسلحين (٦٩) وبطريقة مماثلة عبر أمير المورة من باتراس ومضى الى أرتا ، وعندما علم الامبراطور في حينه وسمع أن الأمير قادم ، خرج للقائه وتقابلا في لسيانا (٧٠) وأقاما احتفالا كبيرا خاطبه به : « مرحبا أيها الأمير مرحبا يابن أخي ، إني أرى الآن وأدرك مدى تعاطف الأقارب » وعندما شبعوا من القبل الرومية ، انطلقوا وذهبوا رأسا الى أرتا وجاء كونت سيفالونيا من الاتجاه الآخر .

من الذي يمكن أن يكتب لكم بالتفصيل حول السرور الذي شعر به ؟ عندما رأى الامبراطور الفرنجة الذين جاءوا في ذلك الوقت ، وبدا له انه قد قهر كل رومانيا ، واتخذ الأمير مراكز في منازل الامبراطور ، الذي ذهب في الواقع الى القلعة ثم أعطى القادة أولا مراكز مشرفة تليق بكل منهم ، ثم الفرسان والسرجندية من النبلاء ، وبعد أن استراحوا ذلك اليوم ، ذهب الامبراطور في الصباح التالي مع قادته وكل النبلاء رأسا الى الأمير ، حيث كان يسكن ، فوجده جالسا مع الكونت ريتشارد ، والمارشال دي سانت اومر وأيضا مع قادة الفرسان وكل الفرسان وكانوا يتناقشون فيما بينهم ويتشاورون حول أي تصرف يمكن أن يقوموا به فيما يتعلق (٨٩٠٣ ـ ٨٩٥١) بالحرب التي جاءوا لمساعدة الامبراطور فيها ، وعندما رأوا الامبراطور نفسه قد جاء ، قاموا على الفور لتحيته وأجلسوا بعضهم بعضا ، وبدا جيد جدا للامبراطور في ذلك الوقت عندما وجد الأمير مع مجلسه يجلس للتشاور حول كيفية التصرف في الحرب التي جاءوا لمساعدته فيها . والآن بعد أن اجلسوا بعضهم بعضا كما سمعت بدأ الامبراطور بنفسه في الكلام وقال للأمير ثم للكونت وأيضا لمارشال المورة ثم لقادة الفرسان وللفرسان أيضا أنه يشكرهم كأصدقاء وأخوة ، للتعاطف الذي أبدوه والمحبة الخالصة فقد جاءوا بلهفة لمساعدته في الحرب التي يشنها الملك ضده . وعليه طلب منهم وتوسل اليهم كجنود وكرجال

نبلاء وحكماء أن يشيروا عليه ، حتى يقوموا بعمل حكيم ويتصرفوا كجنود ويحصلون على الحمد ، كما يحصلون على المجد « حيث أنه إذا شاء الرب أن ننتصر فلا يفكر أحد منكم أو يتصور أن الحمد سيكون لي من قبل الفرنجة أو الرومان ، لأن المهمة لي ، وهذه الحرب حرب الامبراطور ، لا إن الشرف والثناء سيكون لكم لأن كل الناس في رومانيا يعرفون أنه ليس أفضل في كل الطرق الحربية من فرنجة المورة ، كما تعرف كل الدنيا ، لأن لديكم الحكمة والمؤهلات العسكرية من أعلى نموذج »

والآن بعد أن أتم الامبراطور ماكان يقوله ، بدأ الأمير يجيبه هكذا :« ياسيدي وامبراطوري وعمي الحبيب ، أشكرك على كلماتك وعلى الثناء الذي عبرت عنه لهؤلاء الجنود النبلاء الذين معي اليوم هنا في صحبتي ، فلتعلم هذا ولتأخذه كحقيقة ، أنه حبا لك وتلبية لدعوتك ، جاء هؤلاء الرجال الى هنا من أجل شرفهم ، ولاتفكر لدقيقة أنهم قد جاءوا كمرتزقة لخدمتك من أجل الحاجة الى الأجر حتى ترسلهم الى المورة ، لأن الأجر الذي تلقوه كان يكفيهم فقط ليدفعوا من أجل الأسلحة والخيول التي اشتروها ليأتوا هنا بشرف عند حاجتك ، لأني أتكلم عن نفسي وآخذه كحقيقة ، أنه من منطلق محبتكم ولقرابتنا ، ولأننا جيران ، وينبغي علينا أن يساعد أحدنا الآخر في كل مايحتاج اليه ؛ وأيضا (٨٩٥٢ ـ ٨٩٩٦) وبسبب عادة الفرنجة دائما ، أن يهرعوا بالسلاح الى حيثما يسمعون أن هناك حاجة للحرب أو القتال ، لأنهم جنود وعليهم أن يبينوا ويظهروا أنهم جنود ، وهم يفضلون أن يكون لهم الشرف وثناء الدنيا ، على أن يعطوا الغنائم أو الأموال أو الأجر ، وبهذا التسويغ بالواقع جئنا اليكم وصدقوا ياعمي العزيز ، وأنا أقول لكم الصدق : لو أن هؤلاء كانوا قادرين ، إن معظم هؤلاء الذين جاءوا الى هنا كما رأيتم ، هؤلاء المحاربين النبلاء كانوا سيدفعون كل نفقاتهم من أموالهم ، ولم يكونوا ليأخذوا حتى إبرة منكم ، فقد جاءوا كأصدقاء لكم ومحاربين نبلاء ليخدموكم فيما تحتاجون اليه وعليه أننا نعدكم هم وأنا معهم أننا لن نرحل من هنا ، من

الامبراطورية ، قبل أن نحارب تلك الجيوش التي جاءت ، وتقف في أراضيكم ، جنود الامبراطور سواء ذقنا الموت أو أن يموتوا هم بدلا منا »

وعليه أجاب الامبراطور الأمير ، فشكره بحرارة هو ونبلاءه ، على كل ماقاله كرجل نبيل ، ثم تشاوروا حول كيف يجب أن يتصرفوا ، وكانت الكلمات كثيرة تلك التي قالوها ، ولكنهم في النهاية أعلنوا بأنهم سيعدون الجيوش ، ويغادرون أرتا في وقت مبكر جدا في الصباح التالي ، وأن يذهبوا رأسا الى يانينا ، لأنهم علموا أن الجيوش كانت هناك ، (٧١) فاذا بقي الرومان من جماعة الامبراطور فانهم سيقاتلون ولتكن مشيئة الرب .

وأعطى مارشال المورة الأوامر ، وأعلنت على الفور باسم الامبراطور ، والأمير باسمه وباسم مارشالة ، أن تكون السرايا على استعداد ، فرنجة وروم ليتبعوا طلائع سانت أومر مارشال المورة ، حيثما تذهب ، ثم في الصباح التالي انطلقت سرايا الجيش وذهبت الى يانينا

والآن ذهب الدمستق الكبير ، الذي كان القائد الأعلى على جيوش الامبراطور ، ذهب وأبلغه أن أمير المورة وكونت سيفالونيا قد جاءا بكل جيوشهما وقد وصلا الى أرتا بأجر من الامبراطور وأنهما كانا قادمين رأسا لملاقاته ومحاربته فدعا قادته والصفوة من مجلسه (٨٩٩٧ ـ ٩٠٤١) وتشاوروا معا حول كيف يتصرفون ، وكان الكلام الذي تبادلوه كثيرا ، وفي النهاية على أي حال قرروا وأعلنوا وأكدوا أنهم لو انطلقوا من القلعة التي كانوا يحاصرونها ، بسبب الشائعات والروايات ، فأنهم يفعلون شيئا يستحق اللوم الكبير ، والأحرى بهم أن يبقوا هناك حتى يعرفوا الحقيقة .

وفيما بعد وصلتهم تقارير صحيحة بأن الفرنجة قد وصلوا الى

أرتا ، وانطلقوا منها قادمين رأسا الى يانينا ، وعندما سمع الدمستق الكبير وكل جيوشه هذا ، وأن الفرنجة قد وصلوا وكانوا في أرتا (٧٢) لم يتوانوا ولو قليلا في التشاور وقال المقدمون في الجيش أن الامبراطور نفسه لو كان معهم فلن يجرؤ على البقاء لمقابلة الفرنجة وأنه كان أشرف لهم أن يتركوا ، بدلا من أن يؤخذوا بالغلبة ويقتلون ، وحالما سمعوا أن الفرنجة قد جاءوا الى أرتا لم ينتظروا لحظة للتشاور بأي شكل وقوضوا خيامهم على الفور وهدموا المعسكر وبمثل لمح البصر انطلقوا مغادرين ولم يرفعوا علما أو يشكلوا سرايا ولكن كما لو أن الفرنجة كانوا يطاردونهم برماحهم ، هكذا وأسوأ عمدوا للفرار من الطريق نفسه الذي جاءوا منه من والاشيا .

وعندما رآهم الذين كانوا في القلعة من داخل يانينا ، عرفوا وفهموا أن الروم كانوا يهربون ، وبعثوا بالرسل على الفور الى الامبراطور :« اعلم ياسيدي الامبراطور ، أن الرومان هربوا » وعندما سمع الامبراطور وعرف أن الروم قد خرجوا من قلعة يانينا ، غمره السرور ، وبسرعة ذهب بنفسه الى حيث كان الأمير وأبلغه بالأخبار ، وبسماع هذا قال له الأمير :« لماذا تنتظر ؟ » فدعا مارشال سانت أومر وأمره :« لتصدح كل أبواقنا ولتوزع السرايا حتى تذهب بسرعة مباشرة الى يانينا ، حتى نجتاح الروم قبل أن يبتعدوا كثيرا عنا ونقع في مزيد من المتاعب » وانطلقوا مسافرين ووصلوا ذلك المساء الى يانينا الى معسكر الذين هربوا اي جيوش الملك ، وأمر مارشال المورة بأن (٩٠٤٢ ــ ٩٠٨٥) يوزعوا ، وفي معسكرات الروم اتخذ الرومان مواقعهم ومضى الامبراطور وقادة الفرسان أيضا وقادة الجيش الى خيمة الامير وتشاوروا معا حول ماعليهم أن يفعلوا ، وفي النهاية اتفقوا على أن يلاحقوا الذين هربوا ، على أمل أن يلحقوا بهم ويقاتلوهم وينتصروا وحتى لو لم يلحقوا بهم فانهم سينهبون أرض الامبراطور هناك في رومانيا .

وعليه في الصباح التالي ، انطلقوا وذهبوا وسافروا راسا في أثر أعدائهم ودعا الأمير وجاء الامبراطور ، وقال له إن عليه أن يوجه بعض قواته على أفراس خفيفة ليلحقوا بالروم وليخبروا الدمستق ، قائد الجيش نيابة عن الأمير ، وباسمه والامبراطور أيضا ، ويدعوهم لانتظارهم ليمضوا بعض الوقت معا في الميدان : لأنه لم يكن يوائم مثل هذا الجندي أن يأتي باحثا عن الاغارة بهدف القتال ، وبعد أن وجد المعركة مهيأة ، أن يهرب .

وعجل الذين أمروا بالذهاب الى الروم ولحقوا بهم في وقت قصير ، بينما كانوا يجتازون أرض والاشيا ، ونادوا عليهم من بعيد بأنهم كانوا رسلا وأن عليهم أن يستقبلوهم ليخبروهم بما أمروا به ، وأمر الدمستق الكبير بإعطائهم الأمان فاقتربوا معه وقالوا له :« إن سيدي أمير المورة والامبراطور أيضا يبعثان بتحياتهما الى نبالتكم كصديق لهما وأخ ، لقد جئت من عند الامبراطور بالجيوش التي معك تسعى لشن الحرب والقتال مع الآخرين ، والآن وقد وجدت ماتسعى اليه ، وماتبحث عنه فانهما يطلبان منك أن تبقى في المكان المناسب حتى يأتيا بجيوشهما ، لخوض المعركة ، وكرجل ونبيل ، انتبهوا لشرفكم لئلا يسود عليكم غيركم فتتخلوا عن شرفكم وتسقطوا في اللوم ويغضب الامبراطور ».

فأجاب وقال لهم :« اني أبعث بتحيات كثيرة الى أمير المورة ، والى الامبراطور أيضا كأخوة وأصدقاء لي ، وأخبرهما باسمي أنه اذا كانت قوات الملك التي عندي تحت تصرفي ، فسأفعل مايريدان ، ولكن هنا يوجد أتراك وكومان لهم قادتهم (٩٠٨٦ ـ ٩١٢٩) وهم لايلقون الي بالا »

وعند سماع الجواب انطلقوا عائدين ، وخلال عودتهم وجدوا رجالا كثيرين خيولهم منهكة وآخرين شردت خيولهم ، وأسلحة وخيام كثيرة أخرى تخلى عنها أصحابها وهم يهربون ، فأخذوا كل

ماأمكنهم ومضوا الى الجيش وسلموا جواب الدمستق الكبير ، وعندما سمع الأمير والامبراطور أنهم ذاهبون ، وهم يولون الأدبار بقدر مايمكنهم أعطوا الأوامر لجيوشهم ، وانطلقوا ينهبون وخربوا ودمروا أرض الامبراطور وغنموا كثيرا من الأسلاب وأسروا كثيرا من الرجال ، وكانت الأرض آمنة وتشجع الرجال بوجود الجيوش التي كانت تقف أمام قلعة يانينا ، وانقضوا عليهم انقضاضا وألحقوا بهم ضررا عظيما .

والآن أن الغزوة والنهب الذي أتحدث لكم عنهما لم يدوما طويلا ولاحتى يومين لأن التقارير وردت الى الامبراطور في ذلك الوقت أنه قد وصل الى خليج أرتا ستين من الشواني الجنوية (والقوات التي تحملها) قد نزلت في بريفيسا (٧٣) ، وكانت تنهب المدن ، وكانت تستعد للذهاب رأسا الى أرتا ، وبسماع ومعرفة هذا كان الامبراطور خائفا جدا وأسف كثيرا ، لأنه شك مباشرة أن تكون الشواني هي نفسها التي استأجرها الامبراطور أي شواني الجنوية ، لتأتي لقتاله وتدميره ، وعليه سأل على الفور :« أين الأمير ؟ وانطلق من سريته وذهب اليه وأخبره وروى له الروايات التي تقول بأن الشواني الجنوية ، قد جاءت ونزلت منها القوات في بريفيسا ، وكانوا ينهبون المدن ، وكانوا يستعدون للذهاب رأسا الى أرتا ، وخوفي يفوق التقدير من أنهم قد يستولون على المدينة »

وعليه أجابه الأمير وقال :« اعلم أيها العم ، ويا امبراطوري ، حقا أقول لك أني جئت لهذا السبب وتركت المورة ، لأساعدك في الحرب التي تخوضها حسنا ، وطالما أني هنا في الامبراطورية فمر بما تحتاجه مني وسأفعله »

وعليه شكره الامبراطور بحرارة ، وأمر الأمير مارشاله على الفور ، فصدحت الأبواق (٩١٣٠ ــ ٩١٧٠) باشارة أن عليهم أن يعودوا (٧٤) وبسماع هذا ، عادت سراياهم وهناك حيث كانوا يعسكرون توزعوا في ثلاث سرايا فيها ألف خيال ، وأمروا بأن

يذهبوا سريعا لنجدة أرتا « قبل وصول أسطول الشواني ، لأننا قادمون رأسا خلفكم » وعليه فقد انطلقوا وسافروا بلا توقف ولكن قوات الامبراطور التي كانت في السفن والشواني مع الجنويين نزلت الى الأرض وأسرت بعض الرجال وطلبوا منهم أن يخبروهم عن مكان وجود الامبراطور وعما اذا كانت معه اي قوات ، أي قوات أجنبية ، وأخبروهم وأعلموهم بأن الأمير ، أمير المورة قد جاء ومعه كونت سيفالونيا ، مع كل جيوشهما ، وعلى الفور عند وصولهما الى هنا وسماعهما بالروايات بأن الدمستق الكبير قدم بجيوشه وقد ألقى الحصار على قلعة يانينا ، وأنهم استعدوا وتوجهوا رأسا اليهم ، واذ سمع الدمستق الكبير بذلك انطلق هاربا ، فذهبوا يلاحقونه ليدركوه ، والآن بالضبط ان بعض الناس قد خبرونا بأنهم قد قضوا عليه وعلى قواته وبأنهم عائدون مبتهجين وسيصلون قريبا »

وبسماع هذا عاد قادة الشواني بسرعة مرة أخرى الى سفنهم وأعادوا المنجنيقات والسلالم التي افرغوها ليذهبوا لمهاجمة أرتا ، وعليه جاءتهم ايضا الروايات بأن الجيوش الفرنجية قد وصلت ، فأرسلوا من أجل القوات التي أرسلوها للنهب وكانت هذه قد اجتاحت المدن واحرقت الأرض والأماكن في فاجينتيا التي كانت قريبة من البحر (٧٥) لقد وقع بالأسر جميع الذين ذهبوا للنهب ، وقعوا بالحال بعد وصول اتباع الامبراطور ، أعني أولئك الرجال الألف من الخيالة ممن كانوا قد أرسلوا ، وكل من امكنهم أسره على الأرض ، من الروم والجنويين ، قضوا عليه كما وأسروا أعدادا سواهم .

وعليه فكر أولئك الذين في الشواني وتشاوروا حول كيفية الاضرار بالامبراطور بطريقة ما ، وقال ذوو الخبرة البالغة والأكثر حكمة :« انكم تعرفون (٩١٧١ ـ ٩٢١٦) جيدا ويجب أن تتذكروا أمر الامبراطور بأنه قد وجه الدمستق الكبير ليذهب مع جيوشه ويغزو الامبراطورية من البر ونذهب نحن عن طريق البحر

(للفزو) لنساعدهم ويساعدونا ، طالما أن الوضع في البر موات ، حسنا وطالما أنه قد هرب دون قتال وأخذ جيوشه ، التي كان أملنا فيها ـ وترون أن الأمير والكونت معه قد جاءا بجيوشهما وهما مع الامبراطور ـ فكيف يمكننا نحن الجنود المشاة أن نلحق أي ضرر بالأرض ؟ لقد رأيت أننا قد فقدنا الجنود المشاة الذي اجتاحتهم قوات الامبراطور التي هي من الفرسان وعلى أي حال دعونا ننتظر حتى يأتي الامبراطور حتى يمكن أيضا أن نرى الأمير وأي جيوش لديه لأخذ هذه المعلومات الى الامبراطور المقدس »

وبينما كانوا يجرون هذه المشاورات وصل الامبراطور والأمير بجيوشهما ، وعندما سمعا وعلما أن الجذويين لم يدخلوا قلعة أرتا بالمرة ، اعتبر الامبراطور نفسه ذلك جيد جدا ولم يلق بالا الى نهب المدن بالمرة عندما سمع أن الشواني بقيت في الميناء وعند سماع ذلك قال الأمير للامبراطور « طالما أن الشواني ماتزال راسية في الميناء علينا بعدم الترجل ، بل دعونا نذهب الى هناك معا بجيوشنا ، وبالجنود المشاة والفرسان ولننصب خيامنا هناك قبالة الشواني لنحمي الأرض خشية أن ينزلوا الى البر ويلحقوا بعض الأضرار فيكون ذلك عارا علينا »

وكما وجه الأمير جرى ، فنفخوا أبواقهم وانطلق الجيش وذهب رأسا الى حيث كان الميناء ، حيث كانت ترسوا الشواني شواني الجنويين ، وهناك نصبوا خيامهم واتخذوا مراكزهم ، واذ رأى الجنويون هذا ابتعدت الشواني وسحبت مراسيها وانطلقت الى المياه العميقة ،

والآن طلب الامبراطور المشورة من الأمير حول ماكان يعتقد انه سيحدث وماذا يفعلون ، وقال الأمير وهو الرجل الداهية للامبراطور :« يبدو لي ياعمي الطيب اننا يجب ان نتخذ مواقعنا هنا حيث تمركزنا لئلا يلجأوا الى البر سواء للحصول على الماء أو لايقاع الضرر ، ولنرسل الجيوش الى الأحواز لنحمي هذه الأرض

ايضا لئلا يوقعـــوا بهـــا ضررا » وكمـــا أمـــــر الأمير جرى (٩٢١٧ ـ ٩٢٣٥) ٠

وعندما رأى الروم والجنويون الذين كانوا في شواني الامبراطور هذا تحيروا بدرجة عظيمة من أين وجد الامبراطور مثل هذه القوات الرائعة والجيوش التي كانت لديه ، وأثنوا على الأمير بدورهم جدا وقالوا : ان الرجل الذي ضمن السند العســكري وسـلوك الجيش كان رجلا متمرسا في تدريب الفرنجة ومؤهلات الغرب ، وعليه فقـد تشاور الذين كانوا على ظهور الشواني أنه مـن حينه فصـاعدا لن يمـكنهم ايقـاع أي ضرر هناك حيث اتخـذ الأمير والامبـــراطور مواقعهم ، ولكن دعونا نتحول عن هنا ولنذهب إلى مكان أخـر إلى خارج رومانيا ، حيث ربما يمـكننا بـدون خـوف ان نحـدث بعض الأضرار لأرض الامبراطور ونربح شيئا ما ٠

وبعدما اجتمعوا للتشاور نفـذوا ، فـرفعوا المراسي ، وحـركوا المجانيف ووصلوا في وقت قصير إلى أراضي فونوتزيا (٧٦) ٠

الهوامش والحواشي

حواشي تاريخ المورة

١ ـ تبدأ هـ مع ١ / ١٠٥ من ب ، الاوراق الثلاث الاولى من المخطوطة مفقودة .
وهذه وثغرات أخرى في النص قد ملئت بالسطور المتعلقة من ب . من أجل المحافظة على استمرار الرواية ـ وكل من هذه الاضافات مذكورة . والأرقام بين حاصرتين عند رأس كل صفحة تدل على سطور النص المترجم فيما يلي .

٢ ـ إن خلق العالم حدث في ٥٥٠٨ قبل المسيح طبقا للترتيب الزمني البيزنطي وعليه فإن التاريخ المبين في النص سيكون بناء عليه ١١٠٤ للميلاد ، وقد حدثت الحملة الصليبية الاولى خلال اعوام ١٠٩٦ ـ ١٠٩٩ ، ومثل هذه الاخطاء ، تقع في ل .

٣ ـ زعم بطرس الناسك (١٠٥٠ ـ ١١١٥) أنه قد زار الاماكن المقدسة في ١٠٩٢ أو ١٠٩٣ ـ ١٠٩٤ وهام بعد مجمع كلير مونت ١٠٩٥ عبر شمال شرق فرنسا يبشر بالحروب الصليبية ويدعو لها .

٤ ـ إن تفاصيل الحملة الصليبية الاولى كما هي معطاة في ٢ / ١٨ / ١٠٤ مأخوذة من رواية وليم الصوري .

٥ ـ أوربان الثاني الذي أقلع بالحملة الصليبية الاولى في مجمع كلير مونت .

٦ ـ العبارة في النص لاتعني الأناضول الحديثة بل آسيا اليونانية الصغرى . انظر فهرس س . للاسماء الجغرافية ص ٦٣١ .

٧ ـ اليكسيوس الأول كومينوس . كانت الرسم الهجائي لاسماء الاشخاص والاماكن المذكورة في الحولية مشكلة مستمرة ، خاصة حيث أن هناك نقصا في الترابط في كل عمل رجعت إليه . وقد اتبعت هذه القاعدة العامة :
إن الأسماء اليونانية ترجمتها عن اليونانية ، والاسماء الفرنسية معطاة بالفرنسية ، والايطالية الخ ..
وكلمة بازيليوس بالطبع هي الكلمة اليونانية المقابلة لكلمة ملك .

٨ ـ يعطي فهرس ك هذه الكلمة معنى ميراث ويترجمها شمت على أنها (ممتلكات اسرة إقطاعية) .

٩ ـ استولى الفرنجة على نيقية في ٢٠ حزيران ١٠٩٧ وسلموها لاليكسيوس .

١٠ ـ تشير رومانيا للامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة) في أوربا في مقابل الاناضول التي تعني امبراطورية آسيا الصغرى .

١١ ـ هذا لفظ قديم مفرد للقب رجل نبيل أو موظف في البلاط ، والتعبير يستخدم كثيرا في الحولية للدلالة على النبالة اليونانية في المورة ولكنه يعطي أيضا معنى عاما وقد فضلت صيغة ارخون على ارخونت من أجل العذوبة .

☆ المقصود بأرمينية هنا ليس جغرافيا بل دولة أرمينية الصغرى التي قامت في كليكية أيام الحروب الصليبية .

١٢ ـ سقطت انطاكية في أيدي الفرنجة بعد حصار طويل في ٣ حزيران ١٠٩٨ ، وحوصر المنتصرون انفسهم بعدئذ في المدينة من قبل أمير الموصل كربوقا .

١٣ ـ يعتقد بوشون في كتابه **(ابحاث تاريخية)** ٢ / ٥ حاشية ـ ان هذا يشير إلى كتاب وليم الصوري (تاريخ أعمال انجزت فيما وراء البحار) وهو يوحي اكثر بأن حولية المورة قد صيغت على غرار التاريخ الاقدم كنوع من السرد الموازي لمآثر الفرنجة ، وإذا كان الأمر كذلك فمن المهم أن

يشار إلى كتاب وليم الصوري على أنه كتاب الاستيلاء ، وهو نفسه لم يسمه هكذا . والاستدلال هو أن مؤلف الرواية اليونانية للحولية ، ولديه علم بكتاب الغزو ، الذي وضع كموازٍ لكتاب وليم الصوري ، وقد نقل العنوان معيداً إياه إلى العمل الأقدم .

وتبدأ الترجمة الفرنسية بالقول : جاء في كتاب الاستيلاء على القسطنطينية » وهذا يوحي بالاشارة نفسها إلى كتاب الاستيلاء وإنني أرى أن الرواية اليونانية والفرنسية أيضاً قد استمدتا من هذا المجلد الأقدم . إن قانون رومانيا (مادة ٣) يلمح إلى بلدوين الثاني ويقول (كما روى بوضوح في كتاب الاستيلاء) . ثم يمضي ليكرر القصة المختلفة لزواج جيوفري الثاني دي فيلهاردين من ابنة الامبراطور روبرت ، التفاصيل هي نفسها بالضبط المعطاة في الحولية في الأسباب التالية للبيت ٢٤٧٢ ، وكثيراً ما تكون الكلمات هي نفسها ولامجال للتساؤل أن كتاب الاستيلاء المشار إليه في القانون هو إشارة إلى حولية المورة ، مع أن هذه الحولية غير معروفة بهذا الاسم وبناء عليه يبدو أنه لامفر من أن كتاب الاستيلاء ليس الرواية اليونانية ، ولا الفرنسية ، مع أنه يستعمل التعبير في عنوانه بل متأثراً بلا شك بتاريخ وليم الصوري .

١٤ ـ غود فري دي بوليون (١٠٥٨ ـ ١١٠٠) انتخب دوقاً للورين الأدنى حامياً للضريح المقدس في ٢٥ تموز ١٠٩٩ .

١٥ ـ تبدأ هـ عند هذه النقطة .

١٦ ـ ١٢٠٨ م هذا التاريخ غير صحيح ، حيث أن التحضير القديم للحملة الصليبية الرابعة قد بدأ في ١١٩٩ .

١٧ ـ إن روايات الاستعدادات للحملة الصليبية الرابعة كما وردت في الحولية مشوشة والأكثر أنها غير صحيحة ، والمجلس الذي تتحدث عنه الحولية يحتمل أنه يشير إلى الدورة التي نظمها ثيبود الثالث الشامبيني ١١٩٧ ـ ١٢٠١ في أكمي سور . على نهر الايسن في ٢٨ تشرين الثاني ١١٩٩ وفي تلك المناسبة انتهز كاهن نويلي على نهر المارن لينفذ المهمة التي خوله بها أنوسنت الثالث ووعظ بحملة صليبية ضد الكفار ، وبين الذين انضموا إلى الحملة في هذا الوقت ثيبول الشامبيني وجيوفري دي فيلها ردين ، ابن أخيه ، مارشال شامبين وفيما بعد أمير المورة ، ولويس ، كونت بلوا ، وفيما بعد في ٢٣ شباط / ١٢٠٠ / انضم بولدوين التاسع (١١٩٦ ـ ١٢٠٥) كونت فلاندرز الى الصليبيين . وعقد اجتماع لمناقشة الحملة في سواسون ، ولكن حيث لم يتقرر شيء ، عقد اجتماع ثان في شامبين ، حيث عينت لجنة لوضع الخطط الضرورية ، وبين الذين عينوا كان جيوفري دي فيلها ردين العم . واختارت المجموعة البندقية على اعتبارها أفضل نقطة تمركز ووصلت إلى هناك في شباط ١٢٠١ لوضع الترتيبات مع الدوج . ووقعت معاهدة كان بمقتضاها على البندقية أن تعد بحلول نهاية حزيران ١٢٠٢ ، مراكب كافية لنقل ٤٥٠٠ فارس مع خيولهم و ٩٠٠٠ من حملة الدروع و ٠٠٠ ر ٢٠ من المشاة وإمدادات لاعالتهم لمدة عام كامل ، وفي مقابل هذا كان على الصليبيين أن يدفعوا ٠٠٠ ر ٨٥ ماركاً فضياً ، وقرروا أن تكون مصر غاية الحملة ، ولكن هذا أبقي سراً ، وعند عودتهم وجد المبعوثون كونت شامبين مريضاً جداً ، وتوفي في ٢٤ أيار ١٢٠١ وكان قد اعتبر من قبل الجميع قائداً طبيعياً للحملة من جهة بسبب نسبه ، ومن جهة بسبب علاقات الصداقة بينه وبين الملك فيليب ملك فرنسا ، وكان موته تهديداً خطراً للانطلاق الناجح للحملة ، وعندما التقى الصليبيون في سواسون لانتخاب قائد ، رشح جيوفري فيلها ردين بونيفيس مونتفرات وبعد نقاش مطول أضفي عليه هذا الشرف .

١٨ ـ كان تصرف كونت طولوز في الواقع منافياً تماماً للذوق بغيابه ، وكان في هذا الوقت منشغلاً بالكاثاري ، وكان الكونت الثالث هولويس بلوا .

اشتقت هذه الكلمة من واحدة اقدم تعني العلم او الراية .

١٩ ـ منزلة أعلام الفرسان دون منزلة علم الكونت ولكن فوق منزلة أعلام الفرسان الآخرين .

٢٠ ـ جيوفري فيلها ردين (١١٦٤ ـ نحو ١٢١٦) وهو المؤلف الرئيسي للنص الأدبي عن الحملة الصليبية الرابعة (الاستيلاء على القسطنطينية) .

٢١ ـ وكان المارشال الوراثي ، الذي قاد في الدورة قوات الأمير وكان الحاكم العسكري الأعلى . انظر المؤسسات الاقطاعية ص ١٢٣ .

٢٢ ـ كذا بالأصل .

٢٣ ـ كان بونيفيس الأول مركيز مونتفرات من (١١٩٢ إلى ١٢٠٧) وملك سالونيك من (١٢٠٤ إلى ١٢٠٧) في نحو الخمسين من عمره عندما أصبح قائدا للحملة .

٢٤ ـ خلص ليوبولدو أوسيفليو بعد تفكيرجاد في المشكلة بشكل مقنع أن هذا يشير إلى كاستانيول بيلا لانز وهي قلعة في جوار آشي في بيدمونت • انظر كتابه مركيز مونتفرات الأول : ٢ / ١٧٩ .

٢٥ ـ تقع جميع روايات الحولية في هذا الخطأ نفسه ، وربما كان هذا نتيجة لتشوش بين بونيفيس وشارل دي أنجو الذي كان أخا وأيضا عديلا للويس التاسع ملك فرنسا حيث تزوج الاثنان من ابنتين لكونت بروفانس . وقد قام شارل بزيارة لأخيه طلبا للنصح والموافقة قبل القيام بحملته إلى إيطاليا بناء على أمر من البابا كليمنت الرابع .

٢٦ ـ هذه الفترة غامضة نوعا ما ويبدو أن المعنى هو أن الملك يفترض أن القيادة عرضت على بونيفيس كقريب لملك فرنسا القوي ، وبناء عليه فإن الحملة ستلقى مساعدة كبيرة من الملك ، وهذه الحادثة كلها بالطبع مختلقة .

٢٧ ـ سلطة المتحدث باسمهم أو العمل من أجلهم .

٢٨ ـ انريكو داندولو (١١٢٠ ـ ١٢٠٥) انتخب دوقا للبندقية في ١١٩٢ وحسب الأساطير ، بينما كان في بعثته سملت عيناه بناء على أمر من الامبراطور ، إما بأشعة الشمس المكثفة بمرايا خاصة أو بالنحاس الساخن . وبسبب ذلك كان يضمر كراهية مريرة للاغريق ، وفي الواقع أن عماه كان نتيجة لمرض ، وباعثه في حرف الحملة الصليبية عن غايتها الأصلية وهي مصر إلى زارا والقسطنطينية لم يكن بدرجة كبيرة لكراهيته للاغريق بقدر ما كان لتوسيع ممتلكات البندقية وتجارتها .

٢٩ ـ ترجم شمت هذه الكلمة بأنها السفن الجبيرة بالبحر علما أن هناك آراء أخرى مغايرة .

٣٠ ـ انطلق اسطول تحت قيادة جين دي نسل من فلاندرز بقصد الانضمام إلى الآخرين في البندقية ، ولكنه لم يصل مطلقا إليها . وأبحر آخرون من مرسيليا بينما ترك آخرون أيضا الطريق نحو البندقية عند بياسنزا ليذهبوا إلى أبوليا مع غوتير دي برين وليبحروا من برنديزي ، وذهب جيوفري دي فيليها ردين ابن الأخ مع المجموعة الأخيرة . مع أن الحولية لا تذكر هذه الموافقة ، وليس هذا مدهشا إذ أن الحولية تلوم الذين لم يذهبوا إلى البندقية وبالكاد أمكنها أن تدرج واحدا من أبطالها في هذه المجموعة ، ويدعي ك . ص ٢. حاشية حول : ١ / ٣٩٥ ، أن كثيرا من الصليبيين رفضوا الابحار من البندقية لأن سادتها قد جرفوا الحملة عن هدفها الحقيقي من أجل غاياتهم . وهذا يبدو غير محتمل ، حيث أن الهدف من حرف الحملة قد أصبح ظاهرا فقط عندما ظهر بالقدر نفسه أن ليس جميع الصليبيين سيصلون إلى البندقية .

٣١ ـ تتميز الرواية التالية للاحداث التي أدت إلى انحراف الحملة الصليبية إلى زارا والقسطنطينية بتحيز قوي وعدم دقة ، وكان الدوق بعيدا عن عدم الرضى عن النزاع ، وكان فقط سعيدا جدا أن يتمسك به كفرصة ليؤدب مدينة زارا المسيحية بسبب طريقتها الوقحة تجاه البندقية .

٣٢ ـ أبحر الاسطول من البندقية في تشرين أول ١٢٠٢ وبعد اخضاع تريستا ومغيا في الطريق وصلو أمام زارا في ١٠ تشرين الثاني . وسقطت المدينة في خمسة أيام .

٣٣ ـ اسحق الثاني انجيلوس امبراطورا من (١١٨٥ إلى ١١٩٥) ومرة أخرى في ١٢٠٣ ـ ١٢٠٤ مع ابنه الكسيوس الرابع .

٣٤ ـ اليكسيوس الثالث انجيلوس حكم من (١١٩٥ ـ ١٢٠٣) وكان الأخ الأصغر لاسحق .

٣٥ - تزوج فيليب سوابيا ايرين ابنة اسحق وكان الابن اليكسيوس ابن حمى وليس ابن اخ فيليب . وقد اعتقل اليكسيوس الثالث اسحق وابنه اليكسيوس في ١١٩٥ والقي بهما في السجن ، وهرب الابن وفر إلى المانيا في أواخر ١٢٠١ وأوائل ١٢٠٢ وعليه كان في بلاط فيليب في الوقت الذي كانت فيه الترتيبات النهائية للحملة تتخذ . ومن الممكن جدا أن وجوده والظروف قد أثرت عليهم .

ومن المعروف على سبيل المثال أن بونيفيس مونتفرات قد زار فيليب قبل الذهاب إلى البندقية ، والأمر غامض ، ولكن من المؤكد أن مصالح الكسيوس ومصالح فيليب الذي كان معجبا به والذي ربما كان أيضا لديه طموحات في الشرق ومصالح البندقية التي كانت بالتأكيد تأمل في التوسع هناك ، كلها بالتساوي ، قد أفادت جيدا من انحراف الحملة الصليبية . وكان الكسيوس في الواقع سبق له أن بدأ المفاوضات مع الصليبيين عندما كانوا لايزالون في البندقية بينما كانوا بدورهم قد أرسلوا الرسل إلى بلاط فيليب للوقوف على مزيد من التفاصيل . وتعقد الأمر أكثر بسبب موقف البابا ، الذي بصرف النظر عن كونه عارض بشدة نهب الاراضي المسيحية فإنه نظريا وعمليا مع ذلك قد أمكنه بالكاد أن يعارض بصلابة كبيرة فرصة رأب الصدع بين الكنيسة الشرقية والغربية ، وعنصرا آخر في الحالة كان طبيعة الحملة الصليبية نفسها .

وقد انطلقت كمباراة مشتركة ، المباراة من أجل الرب ، وكان لها نكهة الرومانسية الفروسية من البداية ، وكانت صورة أمير مطرود ، أخرج من ميراثه الشرعي ، يناشد الأمراء الفرسان في الغرب المعونة لاسترداد ما هو حق شرعي له ، وطرد طاغية مغتصب بكل تأكيد تروق أصحاب المراتب والألقاب في الجيش ، ومن المحتمل أن التفاصيل الكاملة لانحراف الحملة الصليبية لن تعرف مطلقا ، لكن على اي حال في أيار ١٢٠٣ لحق الكسيوس بالحجاج ووقع معاهدة معهم ، وفي مقابل مساعدتهم على أخذ القسطنطينية وعد بدفع الأموال المستحقة للبندقية ، وأن يقدم المال والمؤن اللازمة لحملة غزو مصر ، وأن يرسل ٠٠٠ ر ١٠ رجلا ليساعدوا في هذه المهمة ، وأن يحتفظ بخمسمائة فارس لحراسة الارض المقدسة . وفي النهاية بأن يحقق الوحدة الدينية مع روما ، ولاحاجة للقول بأن رواية هذا الأمر محرفة تماما في الحولية .

٣٦ - يضيف ل (فقرة ٣٠) تفاصيل أن الملك انتزع قسما من الكسيوس ، وتذكر ل ن ف (فقرة ٣٢) أن الكسيوس نفسه ذهب إلى روما .

٣٧ - هذه الرواية زائفة تماما فقد حرم أنوسنت الثالث في الواقع الصليبيين لاستيلائهم على زارا .

٣٨ - يشار إلى القسطنطينية بمدينة قسطنطين أو القسطنطينية أو بمجرد كلمة المدينة .

٣٩ - ترك الصليبيون كورفو بالمراكب في ٢٤ ايار ووصلوا أمام القسطنطينية في ٢٣ حزيران ١٢٠٣ . مندهشين من أن الناس لم يهللوا لولي العهد الشرعي الذي أعيد معهم الى الوطن ، وقرر الفرنجة الاستيلاء على المدينة بحصار نموذجي للقرون الوسطى يليه هجوم . وطهروا الضواحي بسرعة وشنوا هجوما عاصفا على برج غاستالا ، وعسكروا في سكوتاري ، في حين اقتحم البنادقة السلسلة الممتدة عبر الميناء . وهجمت القوات المشتركة من البر والبحر في ١٧ تموز ١٢٠٣ وإنهارت بسرعة معنويات مغتصب العرش اليكسيوس الثالث الذي لم يكن ابدا واثقا من موقفه وهرب ، وأعيد اسحق إلى العرش وفي الأول من آب توج ابنه كامبراطور مساعد .

٤٠ - هذه فقرة غامضة جدا . والاسماء المستخدمة في الحولية لمختلف السفن في تلك الفترة تشكل مشكلة دائمة .

٤١ - وكان العمى قد جرد بحكم العادة اسحق من الأهلية لأن الامبراطور البيزنطي كان عليه أن يكون بلا شائبة . وكنتيجة كانت إزالة عينية أو لسانه أشد الطرق فعالية للتخلص من منافس أو مدع للعرش .

٤٢ - وبناء على الحاح البنادقة ، قرر الصليبيون تمضية الشتاء في ضواحي المدينة ولم يكن الكسيوس قادرا على مواجهة مطالبهم ، التي كانت تتزايد دائما ، ولا كان قادرا على إرضاء حزب

وطني برز في المدينة . وخلال الشتاء كان هناك توتر بين الاغريق والفرنجة ، مع أحداث عديدة ملتهبة ، لم يكن أقلها حريق أشعله اثنان من النهابين الفلمنك ، الذين ثاروا دون ضابط لمدة يومين ، وبداخل المدينة أدى الشغب وقتال الشوارع في النهاية في شباط ١٢٠٤ إلى ثورة بقيادة البطل الشعبي الكسيوس (دوكاس مور تزفولوس صهر الكسيوس الثالث). وخنق الكسيوس في السجن واستولي مورتزفولوس على العرش وقرر الفرنجة أنه فقط بالاستيلاء على المدينة نفسها يمكنهم أن يحققوا آمالهم العظيمة ، وفي نيسان بدأ الهجوم .

٤٣ ـ تعني هذه الكلمة نفسها (رومانيا) ولكن الكتاب البيزنطيون قد استخدموها للدلالة على الرعايا الروم الشرقيين أو الامبراطورية البيزنطية التي كانت تابعة للكنيسة الارثوذكسية وكانوا يتكلمون الرومية وهكذا .

٤٤ ـ ولحماية جناحهم المواجه للضواحي الاوربية المدينة .

٤٥ ـ تدل الكلمة على تجريدة عسكرية صغيرة ولكن معناها واصلها غامض . إن مناورة فصل السرايا هي المقدمة لكل معركة موصوفة في الحولية .

٤٦ ـ تقع أدرنة على نهر مارتيسا في تراقية وهي على أقل من ١٥٠ ميلا من القسطنطينية ، وكان الكسيوس الثالث في هذا الوقت قد حشد قوة ما ، واستولى على أدرنة .

٤٧ ـ يشبه شمت هذه بهرقلية بونتيكا في بيثينيا التي يحدد مكانها على ساحل البحر الاسود حوالي ٢٠٠ ميلا عن القسطنطينية ، مع أنه يبدى أكثر احتمالا أنه يشير الى هرقلية التي تقع على الساحل الشمالي لبحر مرمرة ، وهي على طريقهم نحو مصر ، ولا يمكنني ان أفهم لماذا أبحروا في البحر الاسود للوصول لمصر .

٤٨ ـ الكسيوس ف . دوكاس صهر الكسيوس الثالث الموثوق ولقب مورتزوفلوس فيه إشارة إلى حاجبيه السوداوين الكثيفين .

٤٩ ـ من الغريب أن أخبار هذه الانفجارات المضادة للروم لم ترد في ب . ل : ٠٠ / ٧٦٦ ، ٨٨١ ، ١٢٤٥ ؟ ٣٩٣٢ الخ ...

ومثلث ها بثغرة في المجموعة الاخرى ، وحذفت سطور فردية حول العداء للروم والطبيعة المناهضة للارثوذكس أيضا . علاوة على أن هذه المحذوفات كلها تبدأ في وسط خطبة مسهبة عنيفة أو حتى جملة ، وهذا يبين أن ب . هـ من عمل كاتب متأخر رغب في أن يخفف من التحيز العنيف المناهض للروم في الحولية وأن هـ . من جانب آخر ، من الواضح أنها من عمل كاتب إما أن يكون من الفرنجة كما يفترض كالوماروسي (ك ص ٣٤ حاشية ٧٥٤) أو فرانكو فيل . ويجب أن نبين أن الترجمة الفرنسية من الحولية تحوي قليلا من المشاعر المناهضة للروم في هـ .

٥٠ ـ يمكن أن يعني هذا السطر : أنهم يقولون بأنهم وحدهم يؤمنون بالمسيح .

٥١ ـ فقرة مشوهة والقراءة البديلة ، أنهم يجلسون كما لو كانوا يسيرون على الشوك ، أو أنهم يجلسون كأنما على الشوك ، أو أنهم يجلسون كما لو كانوا في المراحيض .

٥٢ ـ كذا بالاصل .

٥٣ ـ هذا غامض وربما تقرأ لنبحث عما ليس لدينا .

٥٤ ـ المنجنيق آلة لقذف الأحجار على المدينة المحاصرة .

٥٥ ـ القوس والنشاب كان قوسا معقدا كثيرا ما يصنع من الصلب ويزود بذراع أو وسيلة آلية أخرى لليد ويقوم الرامي عادة بتشغيل الآلية وهو مستلق على ظهره ويطلق السلاح وهو في هذا الوضع ومع أن لسهمه قوة اختراق عظيمة فإن عوائقه الواضحة كانت ثقله وبطء معدل إطلاقه .

٥٦ ـ حدث الاستيلاء الاول على المدينة في ١٧ تموز ١٢٠٣ وليس في ٤ تشرين الثاني وحدث الثاني في ١٣ نيسان ١٢٠٤ والحولية بشكل ذي معنى لاتاتي على ذكر أي من المشاهد البربرية التي صاحبت الاستيلاء الثاني على المدينة ولا الاسلاب الهائلة التي جمعت .

٥٧ ـ هرب مورتزو فلوس في البداية نحو الشمال إلى تراقية ، ثم بعد ذلك وبسبب خيانة حميه الكسيوس الثالث وبسبب المضايقة من قبل القوات الفرنجية هرب إلى آسيا الصغرى حيث هام

مهجورا بائسا مع حاشية صغيرة حتى أسر في النهاية من قبل الفرنجة في وقت ما من تشرين الثاني ١٢٠٤ .

٥٨ - إن ب . توجز في هذه النقطة .

٥٩ - إشارة إلى ليو السادس الحكيم (٨٨٠ - ٩١٢) .

٦٠ - فقرة مشوشة . ومن الواضح أن المؤلف أراد أن يذكر شيئين في وقت واحد : إن ليو كانت له نبوءات كثيرة - تحقق بعضها في وقتها في حين لم تتحقق الأخرى بعده وإنه قد أنشأ أيضا كثيرا من النصب التذكارية في المدينة ، وكان أحدها العمود موضوع الكلام .

٦١ - ل . ع . ص ٦٩ يعرف هـذا بـأنه عمـود (ثيوديزيوس في ســاحة ثيوديزيوس الثاني - ساحة توري) .

٦٢ - يبدو أن هذه هي الطريقة التي لقي بها مور تزوفولس مصرعه فعلا ، حيث أن كل المصادر تصف المشهد . وانظر ما جاء عند روبرت كلاري حوله .

٦٣ - إن حسم مسألة الامبراطورية ، كان قد تم من قبل في معاهدة وقعت من قبـل الصـليبيين ورجال البندقية أن يتقاسموا الغنائم بالتساوي ، وكان على لجنة مشكلة من ستة من البنادقة وستة من الفرنسيين أن ينتخبوا الامبراطور والطرف الذي لاينتخب الامبراطور منه يقدم البـطريرك الذي سيشغل كنيسة سانت صوفيا . وكان للامبراطور أن يحصل على ربع الاراضي المستولى عليها .

ومن الباقي يذهب نصف إلى البندقية ونصف للصـليبيين . واشـترطت البندقية علاوة على ذلك المحافظة على كل ترتيباتها التجارية في الشرق وأن تحصل على حصة الأسد من الغنائم بتـأمين لما زال مستحقا لها مقابل مصاريفها في الحملة الصليبية .

٦٤ - هذا هو التعبير المستعمل للامبراطور في كل الحولية ، ولكن استخدمت كلمـة امبـراطور للدلالة على الفرنجة وأبقيت كلمة « بازليوس » لليونانيين وقد انتخب بلدوين في ٩ أيار ١٢٠٤ وتوج باحتفال بيزنطي كامل في ١٦ أيار في سانت صوفيا وأن رواية الحـولية مفعمـة بـالحيوية ولكنهـا مختلفة .

٦٥ - هذه محاولة لوصف المراسم البيزنطية لتتويج امبراطور جديد وكانت العباءة رمزا للملكية وكان الهتاف والتهليل والتعظيم في المراسم بينما كانت الجماهير ترجو لامبراطورها الصحة وطول العمر .

٦٦ - بعد الاحتفال بعيد الفصح الذي تصادف في ٢٥ نيسان ، اجتمع الصليبيون معـا لاختيار الناخبين الستة . وبدا بسرعة أن بونيفيس وبلدوين المتنافسان الرئيسيان على المنصب وأشياعهما قسما الجيش إلى فئتين ، وتم التوصل إلى تسوية بهـا كان للذي لم ينتخـب أن يعـوض بـأراض مناسبة في آسيا الصغرى أو المورة ، واجتمع الناخبون أخيرا في ٩ أيار ١٢٠٤ .

ووصل التشاور الى طريق مسدود لبعض الوقت حتى ألقى البنادقه أخيرا بدعمهم وراء بلدوين ، ربما لأنهم لم يكونوا يريدون أن يزيدوا من قوة جارهم المخيف من قبل مركيز مونتفرات ، وفي اليوم التالي للتتويج طلب بونيفيس ، أن يعطى مملكة ســالونيك . التـي فضـلها على أراضي في آســيا الصغرى .

وكان لتوه قد تزوج أرملة اسحق انجاوس الثاني ، ماري أو مـارغريت أخـت ملك هنغـاريا ، واضطر بلدوين الى الاذعان في النهاية .

٦٧ - لم يكن هناك كونت طولوز في ذلك الوقت ، وهذه هي المرة الثانية التي تدرج فيها الحـولية كونت طولوز بين الصليبيين ، ويحتمل أن المقصود هو كونت بلوا .

٦٨ - في خريف ١٢٠٤ عينت لجنة من ٢٤ عضوا ، ١٢ من البنادقة و١٢ من الصليبيين لتوزيع أراضي الامبراطورية بعد استبعاد تلك التي أعطيت من قبل بونيفيس حسب المخطوط التي وضـعت في اتفاقية آذار واعتبرت الامبراطورية بكل مكوناتها المختلفة ، تلك التي غزيت من قبل ، وتلك التي تنتظر الغزو وقسم كل جزء كما اشترطوا ، وعملت البندقية بـالطبع على أن تحصـل على الاراضي التي ستقوي مصالحها التجارية . وبالنتيجة ربحت أهم حصة إن لم يكن أكبرها في المنطقة بالفعل ،

واستخدمت أيضا حقها في انتخاب البطريرك وحافظت من خلاله على نفوذ قوي في شؤون المملكة اللاتينية ، وحصل الدوج على لقب رفيع احتفظ حتى ١٣٦١ .

٦٩ - والاشيا كانت ومازالت منطقة بلا حدود دقيقة في شمال وسط اليونان ، تضم معظم سيسالي وتمتد في اتجاه الشمال في أراضي غير يونانية وأرتا في الجنوب ويانينا وهي الاسم الشعبي لجوانينا في الشمال كانتا المدنيين الرئيسيتين في أبيروس وكانت في ذلك الوقت أكبر بدرجة طفيفة منها الآن .

وكان هيلاس هو اسم منطقة وسط اليونان البيزنطي القديم الذي يضم بواتيا ولفيكا وبوبا وأجزاء من أتبوليا ، ووضع في القرن الثالث عشر كثيرا من هذه المنطقة تحت سيطرة ميكائيل كومنيوس دو كاس وخلفائه ولقد كان ميكائيل ابن سيفا ستوكراتور يوانس دوكاس ، الذي كان مرة حاكما مهيبا للمنطقة ، وتخلط الحولية بين اسمه الذي توره مصحفا يوانس فاتاتزس وبين جوها نيتزا الذي لقب نفسه قيصر اللاشيين والبلغار والذي يعرف باسم مختلف هو كالوجون ، أوروما يوكلوندوس ، أو جون الاول ليس الخ . ، وقد حكم بلغاريا المستقلة من ١١٩٧ إلى ١٢٠٧ . وكان في البداية محبا للامبراطورية اللاتينية الجديدة ، وسرعان ما وجد اللاتين خصوما له ، وشن هجوما بربريا على المناطق المحيطة بسالونيك وهزم اللاتين في معركة أدرنة (١٤ نيسان ١٢٠٥) وأسر بلدوين ، الذي اختفى بعد ذلك ، واغتيل جوها نيتزا اخيرا أمام اسوار سالونيك من قبل القديس الراعي للمدينة ، القديس ديمتريوس نفسه طبقا للاول الشعبي في ذلك الوقت .

٧٠ - أرض الكومان ، وهم شعب شرس محارب كان يسكن المنطقة الواقعة شمال البحر الاسود .

٧١ - شعب أسيوي من جيران الكومان كثيرا ما كانوا يتخذون كمرتزقة من قبل الاباطرة البيزنطيين .

٧٢ - (الجريد) هو الرمح وهو عصا بطول ٢٦٠ سم ذات رأس حديدي وكانت تستخدم من قبل العرب والفرس .

٧٣ - عندما جاء الربيع .

٧٤ - إن الترتيب الزمني للحولية غير صحيح هنا ، وفي الواقع قتل بونيفيس من قبل البلغار في ٤ أيلول ١٢٠٧ بعد أكثر من عامين بعد معركة أدرنة .

٧٥ - نوع من السلاح التركي ، وربما كانت الكلمة تعني قضيبا شائكا ، وهي مشتقة من كلمة يونانية معناها يهز .

٧٦ - كان الدوج داند لو في الواقع مايزال حيا ، في القسطنطينية في ذلك الوقت ، وتوفي بعد المعركة بأيام قلائل ودفن في سانت صوفيا ، وبقي قبره هناك حتى (١٤٥٧) حيث خربه الاتراك .

٧٧ - كان أخو بلدوين وخليفته هو هنري دعي هنيوت (١٢٠٦ - ١٢١٦) الذي لم يرد ذكره في الحولية ، وتزوجت أخته يولاند ببير دي كورتناي ورزقت منه بابنه دعيت أيضا يولاند ، تزوجت من أندرو الهنغاري ، وعندما توفي هنري لم يترك وريثا مباشرا وتحولت الخلافة إلى اخته ، رغم التفكير في أندرو للمنصب ، ولكنه عرض على يولاند حتى القسطنطينية وتولت الحكم لصالح زوجها المختفي ، وبعد عامين مات . وفي ١٢١٩ عرض التاج على أكبر أولاد يولاند فيليب الذي تنازل لصالح أخيه الأصغر روبرت دي كورتناي ، وهو روبرت المذكور في الحولية .

٧٨ - نيمفيوم قرب ازمير سيمرنا في آسيا الصغرى .

٧٩ - بلدوين الثاني ١٢٢٨ - ٦١) كان أخا لروبرت ، وقد وصل الى العرش في سن الحادية عشرة ، وكان جون بريين وصيا عليه حتى ١٢٣٧ .

٨٠ - الملك جيمس الثاني .

٨١ - انظر أدناه ص ١١٧ الحاشية ٢٤ .

٨٢ - إن هذه الكلمة مستعملة في النص لتدل على إمارة البلبونيز بكاملها وناحية اليس المقصود هنا هو إيليس .

٨٣ ـ جيوفري الثاني دي فيلها ردين ١٢٢٨ او (٣٠ ـ ٤٦) كان الاخ الاكبر لخليفته غوليوم (١٢٤٦ ـ ١٢٧٨) ومن اجل التفاصيل حول الزواج انظر ادناه ص (٢٦ / ٢٤٧٦) حاشية ٨٩ .

٨٤ ـ تبدأ الحولية عند هذه النقطة في البحث حول حكام امبراطورية نيقية ، تزو · تيودور الاول لاسكارس (١٢٠٦ ـ ١٢٢٢) من انا ابنة اليكسوس الثالث وليس اسحق انجيلوس . وكانت زوجته الثالثة ابنة الامبراطورة يولاند ماريا كورتناي وخلفه ابن من زوجته الثانية وهي اميرة ارمنية ، هو يوانس الثالث دوكاس فاتاتزس (١٢٢٢ ـ ١٢٥٤) وخلفه بدوره ابنه تيودورس الثاني لاسكارس وهو تيودورس الذي يشار إليه في الحولية ، وقد توفي في ١٢٥٨ مصابا في عقله وبدنه وكان في السادسة والثلاثين من عمره تاركا ابنه ايوانس الرابع لاسكارس وكان بالكاد قد بلغ الثامنة من عمره ، وتحت عناية وصي لم يقبل به النبلاء واستبدلوه بميكائيل بالايولوغوى ، وهو سليل مباشر لانجيلي ، وسمي ميكائيل وصيا ثم اميرا واخيرا امبراطورا شريكا في ١٢٥٩ وبقي ايوانس في الخلفية ، وعندما دخل ميكائيل القسطنطينية تحت اسم ميكائيل الثامن سملت عيناه والقي به في السجن .

٨٥ ـ كان اللان شعبا بدويا رحالا يعيش في منطقة القوقاز وكان الزيخوي أو اليوزز يعيشون على شواطيء البحر الاسود .

٨٦ ـ وعندما قسمت الامبراطورية من قبل اللاتين بعد الاستيلاء على القسطنطينية ، خصصت نسب كبيرة من آسيا الصغرى للامبرطور بلدوين الاول الذي وهب بدوره إقطاعات كبيرة في هذه الاراضي لاتباعه ، وبين هذه كانت دوقية نيقية ، التي خصصت للكونت لويس بلوا ، ودوقية فيلادلفيا ، التي خصصت للكونت ستيفن بيرس ، ولم يضع اي من هؤلاء الدوقات يده مطلقا على هذه الاراضي ، وبعد محاولات متكررة من قبل الفرنجة لفرض سلطانهم على آسيا الصغرى ،وسقطت الاراضي في يد الامبراطور الرومي لنيقية ، ولم يحكم روبرت فلاندرز في فيلادلفيا ، مع أن هذا قد يكون اشارة لهنري ، أخو الامبرطور بلدوين ، الذي كان قاد حملة الى اسيا الصغرى في ١٢٠٤ ـ ١٢٠٥ وقد خلط بين روبرت وهنري في كل الحولية كما في ١ / ١٢٢١ أعلاه .

٨٧ ـ هذه الفقرة ٢ / ١٢٤٩ ـ ١٢٥٥ مفقودة في ب .

٨٨ ـ يشتق شميث معنى هذه الكلمة من كلمة لاتينية معناها يسكن أو يتخذ مراكز ، والكلمة مستعملة في الحولية في مكان اخر بمعنى (٢ / ٥٠٤٧ ، ٦٤٣٥) حيث تعني ليمون الاحباء ، وهنا تستخدم الكلمة إضافة أو عطفا على كلمة معناها مدينة صغيرة أو كما هنا حي ومع ذلك فإنها تعني احيانا (النزول إلى البر أو يرسي السفينة) وكثيرا ما كانت تعني النزول إلى البر في لاتينية القرن الرابع عشر . انظر أنتونينو ما نفو (العلاقات بين فريدريك الثالث صاحب صقلية وجيوفاني الاول صاحب نابولي باليرمو ١٩١٥ ل ص ١٦ و س .) والميناء المشار إليه في هذه الفقرة هو القرن الذهبي .

٨٩ ـ هذه الكلمة مع مكافئها اللاتيني دللت على ضريبة تجارية مفروضة كضريبة على المبيعات ، وكرسم جمركي ، ووقعت المعاهدة في نيمفيوم في ١٣ آذار ١٢٦١ وبموجبها تنتقل السيادة التجارية في الشرق من البندقية لجنوا .

٩٠ ـ يبدو أن معنى هذه الكلمة بشكل دقيق اجر الجندي والفعل منها استئجار مرتزقة .

٩١ ـ لجأ بلدوين أولا الى قصر بلاشيرين ثم عندما رأى المدينة تلتهب ، هرب من المدينة إلى القصر الكبير البوكوليون ، ومن مينائه الصغير أبحر في النهاية من المدينة .

٩٢ ـ نزل الفارون أولا في يوبوا ثم ذهبوا بعد ذلك إلى اثينا ثم أبحروا من بيرابوس ، ومونمفاسيا ، ثم غادروا أخيرا إلى أبوليا . وكان الامير غوليوم خلال تلك الفترة سجينا في أراضي ميكائيل الثامن .

٩٣ ـ كان انسلان توسي أخا لفيليب وتوسي ، بابللي ، أي نائب الامبراطور بلدوين وكان لقب

قيصر عادة محفوظا من قبل البيزنطيين للامراء الذين يحملون الدم الملكي ولكن يبدو انه قد استعمل من قبل اللاتين لذواب القسطنطينية . واسر انسلان في بلاغوينا ، ولكن ميكائيل ، اطلق سراحه ، بأمل ان يستخدمه في هجومه على القسطنطينية ، ومن اجل مناقشة مطولة حول اسره ، انظر نيقوجينا كوبلوس اوراق دمبارتون اوكز . رقم ٧ (كمبردج ١٩٥٣ الملحق ب ص ١٣٧ ـ ١٤١ .

٩٤ ـ كان فيلان دي اودوي ابن عم غوليوم دي فيلها ردين وتلقى منه إقطاع اركاديا ، التي اقتطعت من مقاطعة الامير ، واركاديا هواسم من العصور الوسطى اطلق على كيبارسيا القديمة والحديثة ، وهي مدينة هامة على خليج بهذا الاسم .

٩٥ ـ انظر اعلاه .

٩٦ ـ في طبعة بوذشون تنتهي المقدمة ب ١ / ٣٣٢ ، ولكن شميت يضيف ستة ابيات كي ينهيها بالعبارة الدالة على النهاية ، والبيت ١٣٣٩ استخدم كعنوان للقسم الثاني والرئيسي من الحولية .

٩٧ ـ إن هذه الفقرة بكاملها غامضة ، ولايمكنني على اي حال ان افهم تفسير شمث (س ٣٧) . من أجل بيان ان مؤلف الحولية كان على صلة بالناس الذين كانوا احياء خلال الفترة ، التي تغطيها الحولية ويعلن شمث ان ١ / ١٣٤٤ (لايشير كثيرا الى روايات الغزاة القدامى بقدر ما يشير إلى روايات المسنين من الناس الذين جاؤا معهم) ، الامر الذي يمكن ايضا ان يفسر بيونانية العصور الوسطى نقلا عنهم ... وقد يكون هذا صحيحا جدا ، ولكن بصرف النظر عن كيف يلوى المرء الجملة ، إنه لمن المستحيل إلى حد ما أرى أن استمد منها الاهمية التي وجدها شمث هناك . إن العبارة موضوع البحث تقرأ بسهولة فهي ليست معقدة كما وجدها .

٩٨ ـ ثيبود الثالث انظر اعلاه ، لم يكن غوليوم أخاه بل قريبا بعيدا .

٩٩ ـ كان يودس لي شامبنوس دي شامبليت واخاه غوليوم ابنان ليودس ابن هوغ صاحب شامبين والبيزابيت بورغاندي ، وقد حصلا على اسم شامينوس من اهلهما واسم شامبلين من المكان الذي هربت إليه اليزابيت عندما تبرأ منها زوجها ، والاسم سالون نقلا عن شمث هو تصحيف لشامبليين وورد في سائر روايات الحولية . ويجادل شمث بأن الترجمة الفرنسية يجب بناء عليه أن تكون مستمدة من اليونانية ، لانه لو أن فرنسيا هو الذي كتب الحولية الاصلية لكان على معرفة والفة باسم شامبليين بينما يمكن أن لايعرفه في صورته المصحفة ولكن هل يمكن أن نتاكد من ان سالوت وسالوس وسالوت هي حقا صور مصحفة من شامبليين الم يكن هناك ربما اسم مثل ذلك كان يعرف به فقد بالنسبةلنا ؟ ٥

١ – كان وصول شامبليين إلى المورة تحت ظروف مختلفة تماما . وكان غوليوم في الواقع قد ذهب الى الشرق مع الحملة الصليبية الرابعة . وكان مع بونيفيس ملك سالونيكا ، عندما ذهب الى اليونان ليطالب بمملكته ويخضع شبه الجزيرة .

وفي خريف ١٢٠٤ ، وصلت فرقة من القوات الى الشرق قادمة من الغرب ، ويحتمل أن المؤلف قد خلط بين هذا الوصول ووصول جيوفري دي فيلها ردين ابن أخي المؤرخ الذي وصل مصادفة الى المورة في الوقت نفسه من وصول شامبليين وبونيفيس إلى اتيكا . واصبح جيوفري منغمسا في الشؤون المورية المحلية في خريف وشتاء ١٢٠٤ ، ورؤية فرصة عظيمة في الحالة غير المستقرة في المنطقة ، ركب للقاء شامبليين ، الذي كان مشتركا في حصار نوبليا في ذلك الوقت ، وليقنعه بالعودة معه ويقود غزو المورة ووافق شامبليين ، وعاد مع جيوفري .

٢ – إن هذه الكلمة مشتقة من اللاتينية بمعنى سلم ، ويعطيها شمث أيضا معاني محطة وممر جبلي . .

٣ – إن لخيا المشار إليها هنا هي كاتو – لخيا الحديثة التي تقع الى الغرب من باتراس .

٤ – كانت أندرا فيدا المدينة الرئيسية لايليس وتقع في سهل المورة المنطقة التي يجري عبرها نهر بينويس في المرحلة الادنى من رحلته ، وأصبحت المدينة الاثيرة لدى أمراء المورة وعاصمتهم .

٥ – مازال أهل أندرا فيدا يدعون بهذا الاسم ويؤكد اوغنيون في كتابه / الاستيلاء على إمارة المورة – تاريخ المورة – ١٢٠٤ – ١٣٠٥ باريس ١٩١١ . من اسم أندرا فيدا سلافي ويعني مكان الفقاعات (مقالب الماء) ويجادل درا غوميس في هذا في كتابه/ تاريخ المورة / (أثينا ١٩٢١ ص ٦ الحاشية) .

٦ – لقد كانت هذه هي الطريقة البيزنطية المعتادة لتحية السيد الاكبر ، ورحب شعب اليونان الذين كانوا مضطهدين من قبل السادة المحليين ومتعبين من حروبهم الصغيرة المستمرة بالفرنجة كمنقذين وكانت حالة الامور في اتيكا في وقت وصول بونيفيس قد وصفت خطيا من قبل ميكائيل كونيايس اكوميناتوس في مذكرة إلى الكسيوس الثالث .تحقيق سب لامبروس اثينا ١٨٧٩ – ١٨٨٠ . وأخيه نيستوس كونياتس (اكومينا توس) مؤرخ الفترة ، ولاحظ بمرارة بان بونيفيس استقبل من قبل الروم المحليين (الشخص يعود الى وطنه بعد غياب طويل) .

٧ – ترجمة هذه الكلمة بعيد أقوى من اللازم ، ويبدو أن الفعل منها في تلك الفترة كان الطريقة اليونانية للتعبير عن الخدمة الاقطاعية ووضع الرجل المرتبط بعهد الولاء للسيد الاقطاعي في حينه ، وربما تترجم بشكل افضل (كاتباع) .

٨ – فوستيثا ميناء على خليج كورنث شرق باتراس .

٩ – كان ليون سغورس طاغية صغير وكان يزعج المدن في اليونان خلال الاضطرابات التي صاحبت الحملة الصليبية الرابعة وكان ابوه نوعا من أنواع السادة القليلي الشأن وحاكما نظريا باسم الملك في مدينة ذوباختوس ، وعندما خلفه ليون في السلطة .

استغل سقوط أثينا العاصمة فسعى إلى مد سلطانه إلى كورنث وارغوس ، وصد ميكائيل أكوميناتوس ، حاكم أثينا القوي هجماته على أثينا ، ثم تحرك ليستولي على طيبة .

وعندما بدأ بونيفيس سيرته في اليونان في ١٢٠٤ قرر ليون سغورس مقاومته في ترموبيلي ، ولكن كما يقول تكستاس ساخرا بنظرة واحدة الى الفرنجة استدار وركض . وتراجع الى قلعة كورنث حيث صمد حتى (١٢٠٨) عندما انتحر في يأس بأن قفز بحصانه من فوق أسوار القلعة .

١٠ – بدأ الهجوم على كورنت من قبل بونيفيس نفسه ، الذي بنى حصنا صغيرا أسماه مونت أسكوفيه ، وكان أن وصل جيوفري دي فيلها ردين في الايام الأولى من الحصار ليجلب مساعدة شامبليين .

١١ – تعني الكلمة في اليونانية القديمة (دنس) أو ملطخ بالجريمة ، والاخير منهما هو المعنى

الذي يعطيه شمت ، وهذا الانعكاس المفاجىء والتام في الراي حول سفورس الذي كان يدعى الرجل العظيم في ل ١٤٤٦ والامير الشرعي في ل ١٤٦٦ ، والذي يذكر في النساء .

١٢ ـ كانت ناماللا وهي طروادة القديمة ، قرب شبه جزيرة أغوليبسب مقر أسقفيا هاما في العصور الوسطى وكانت هاغيون أوروس وتدعى الآن أجيوفوريون تقع الى الجنوب من كورنث حوالي منتصف الطريق إلى أرغوس .

١٣ ـ إن هذه الرواية كما نبه القارىء أكثر من مرة خليط من عدم الدقة .

١٤ ـ تستعمل هذه الكلمة خلال الحولية لتعني مدينة كبيرة أو مدينة صغيرة .

١٥ ـ هذا اللقب يعود تماما الى أصل من القرون الوسطى وليس له إشارة من أي نوع الى اليونان القديم ، والاصل التقليدي المفترض للقب كان على أي حال مفترضا من كل من دانتي وبوكاكسيو الذي أطلقه على تيسوس البطل الاسطوري لأتيكا القديمة .

١٦ ـ إن رواية « ثي » غير صحيحة . ولم يمنح بونيفيس أية أراضي شامبليت ، وفيما بعد في (١٢١٠ ـ ١٢١٢) فإن أوتون دي لاروش أمير أثينا (١٢٠٤ ـ ١٢٢٥) عاون جيوفري دي فيلها ردين في حملته لاخضاع منطقة كورنث ـ أرغوس ومنح في المقابل حكم أرغوس ونوبليون وبهذا يصبح تابعا لجيوفري ، وأصبحت بودونيستا وبوبيا تحت سلطة جيوفري الثاني بعد ذلك بوقت طويل في ١٢٣٦ .

١٧ ـ مع تقدم بونيفيس خلال اليونان في ١٢٠٤ ، وزع أراض وقلاع على أتباعه وأعطيت المنطقة حول ممر تيرمو بيلي للمركيز غويدو بالافيسني ، الذي احتفظ خلفاؤه بلقب مركيز بودو نتيزا وأعطيت أثينا وطيبة مع الاراضي المحيطة للنبيل البورغاندي أوتون دي لاروش الذي أخذ لقب ميغا سكير ومرتبة دوق . وقسمت أرض يوبيا (يوريبوس ونيغروبونت) .

قسمت من قبل بونيفيس بين ثلاثة نبلاء من فيرونا .

١٨ ـ تخلط الحولية هنا بين جيوفري المؤرخ وابن أخيه ، ويبدو ايضا أن هناك الماع في عبارة (يعتبر اميره الشرعي) الى شامبليت كمطالب بمقاطعة شامبنين ، كما تدعوه الحولية خطأ في ٢ / ١٣٧٩ ـ ١٣٨٠ .

١٩ ـ تقع كورون عند مدخل خليج مسين على الساحل الجنوبي للبلبونيز .

٢٠ ـ وبكلمات أخرى في مقابل ان يحافظوا على أوقافهم على نبلاء أليس في أن يؤثروا على نبلاء البلبونيز كي يقدموا البيعة للفرنجة .

٢١ ـ كذا بالاصل .

٢٢ ـ لاحظ أن الحولية تضع تحديدا بين نبلاء أليس ونبلاء وسط البلبونيز ، وميزاريا اسم من العصور الوسطى لاركاديا .

٢٣ ـ تذكر ل أن التخمين والتوزيع قد عهد به لجيوفري دي فيلها ردين ولكثير من النبلاء الاخرين وأيضا لحكماء الروم ونبلائهم .

٢٤ ـ تدعى هذه القلعة المدمرة والتي تقع خارج ميناء كاتاكولدن الحديث اليوم بونيكو كاسترو أو قلعة موز ، ويعطي المؤرخون الحديثون لتلك الفترة الاسم مثلما تفعل ل . دي ، ف . (فقرة ١١) ويضيف هذا العمل الاخير معلومات بأن القلعة كانت قلعة قديمة مستصلحة من قبل الفرنجة وأعيد تسميتها بلفير أو بيوفوار وتدعوها ل . بيدفوار . (فقرة ٧٥ ، ١٧٨) .

٢٥ ـ انظر أعلاه .

٢٦ ـ انظر اعلاه .

٢٧ ـ تقع كالاماتا عند رأس خليج مسين ، ومازالت احدى المدن الرئيسية في البلبونيز .

٢٨ ـ إن علامات الترقيم في هذه الفقرة كما هي لدى شمث ، وكالونا روس تجعلها غامضة وقد ترجمت المفرد على انه امكنه ، ومع ذلك فإن المعنى قد يكون لاخذ تلك القلاع التي لها موانىء في اي

وقت يناسبنا ونجده ملائما .
٢٩ ـ كذا بالاصل .

٣٠ ـ تقع بوثون وكثيرا ما تدعى مودون في نقطة جنوبية غربية من مسينا ، ويذكر فيلها ردين في تاريخه أنه عندما ترك شامبليت فيلها ردين الأصغر جيش بونيفيس تقدما حتى ميثون التي وجداها في حالة خراب . فقاما باصلاحات فورية مرتجلة للأسوار ، لأن ميكائيل دوكاس الحاكم الأول لأرتا قد جهد في الايقاع بهم ، وكان يحضر للهجوم ، والتقى الفرنجة بالروم بعد مسيره يوم واحد وهزموهم وجلبوا غنائم وفيرة معهم إلى ميثون ، ثم استولوا بعد ذلك على كورون بمساعدة ، وأخيرا على كالاماتا (الاستيلاء على القسطنطينية فقرة ٣٢٨ ـ ٣٣٠) .
٣١ ـ هذا التعبير غامض ، والكلمة على ما يبدو لاتحمل معناها المعتاد وهو كهف لاهناولا في ٢ / ١٧٧٠ ، ١٧٧٣ ، ٢٨٠٤ و ٣٠٠٥ ، إنما تعني صخرة أو صخرة منحدرة السطح ، ولايعلق شمث على هذا في فهرسه ، ٣٢ ـ يذكر فيلها ردين في (الاستيلاء على القسطنطينية فقرة ٣٣٠) أن قلعة كالاماتا كانت قوية وفاخرة ، وأنه قد تم الاستيلاء عليها من قبل الفرنجة فقط بعد حصار صعب وطويل وكتبت كلمة كالاماتا كاليمنت من قبل فيلها ردين ، وكاليمين في ل . وبشكل مختلف كالوماتا .
٣٣ ـ نيكلي أو أميكوليون وتقع في اركاديا في سهل تيجيا القديمة ، وتبين هذه الفقرة أن المدينة تسبق الغزو الفرنجي في التاريخ ومع ذلك فإن دراغو نهب ميست في تحليل معقد إلى أنها مدينة بناها غوليوم الثاني فيلها ردين في (١٢٤٨ ـ ١٢٥٠) ويوحي بأنها كانت تقع قرب المدينة الحالية ستيذو شمال تريبولست ، ودمرت في ١٢٩٦ (انظر ل دى في فقرة ٢٦٧ ، ٤٨٥) من قبل البيزنطيين واستبدلت بقلعتين في التلال إلى موكلر وسبيانا ، ويحدد دراغوس هذه بأنها تسبيانا غرب جبل أرتمريوس وبالايو ـ موكلي على السفح الشمالي لجبل بارتينوس . ويحدد لونيون موقع موكلي في بالايو ـ أبيسكوبي ـ الحديثة ، ويحدد كالوناروس موقعها في بيالي ، وعلى أي حال ففي المناقشة المتعمقة جدا لدرا غوبيس مع ذلك ، يمكن تحديد موقع المدينة على نحو أفضل قرب تيجيا أو تريبوليس الحديثة .
٣٤ ـ فيليفوستى بالفرنسية طبقا لبحث بوشون (جزيرة المورة الاغريقية) باريس ١٨٤٣ ص ٤٨٠ تقع فيليفوستي إلى الغرب من ليونداري وقرب مدينة سمار التي دعيت في الحقيقة فيليفوستي منذ ١٢١٨ ، وقد تحرى درا غوميس هذا التحديد .
٣٥ ـ ليكيمونيا هي سبارطة العصور الوسطى .
٣٦ ـ إن المعنى الاصلي للكلمة هو (نير) ولكنها هنا تعني منحدر أو متن أو سلسلة . وكانت الميلنغز ، إحدى أهم قبائل السلاف في البلبونيز ، وقد ذكروا في وقت مبكر يعود إلى القران العاشر من قبل قسطنطينية السابع بورفير جينتوس (إدارة الامبراطورية ٣ / ٢٢٠) عندما كان يصف أحداثا من القرنين الثامن والتاسع . وتمتد الارض التي سكنوها عبر النصف الشمالي من لاكونيا وأسفل جبال تايجيتوس من ميسترا الى باسافا ، ويبدو أن الحولية تتناول شبه جزيرة مين في ارضهم . ويخلط دوروثيوس ومنقاسيا (بزيدود دوروثيوس) ب (مين) (البندقية ١٨١٤ ـ ص ٤٧٦) وبلا شك أن مين تشمل كامل شبه الجزيرة جنوب ميسترا في ذلك الوقت .
٣٧ ـ يقتبس شمث في فهرسه من بوشون ، الذي يعرف لاكوس بأنها إما واد في مسينا يمتد من ماكري ـ بلاجي إلى كالاماتا أوسهل واسع قرب ماكري بلاجي . ومن السياق هنا يبدو أن التعريف الأخير هو الصحيح ، ولم أكن قادرا على التعرف على كريزوريا ، مع أن الحولية ، تذكر هنا بأنها تقع في مكان ما بين قرى لاكوس وكابسكيا ذوس ، وبيستان زيتونها القريب يصعب تحديدها بالضبط .
مع أنها طبقا للحولية ، تقع ضمن مسيرة يوم عن كالاماتا .

٣٨ ـ هذه كانت المعركة الضارية الوحيدة في الغزو الفرنجي ، وقد قررت مصير الدورة اليونانية ، وهزم الموريون اليونان بمساعدة حليفهم ميكائيل الأول حاكم أرتا بشكل حاسم .
وذكر فيلها ردين (انظر أعلاه) أن المعركة وقعت قبل الاستيلاء على كوروف وكالاماتا ويحتمل أن الحولية محقة في وضع المعركة بعد هذه الاحداث .

٣٩ ـ ألا كلوفون أو أوراكلوفون (قفص الجبل) تقع شمال كارتيانيا ناحية سكورتا في بلاد جبلية تقع بشكل رئيسي في غرب أركاديا وتقع ضمنها قلعتا كارتيانيا ، وأكوفا .
عسكرية (٢) كومة أو مجموعة (باللاتينية) من الكلمة الجرمانية

٤٠ ـ كانت الفوتسارادز إحدى العائلات الكبيرة في الدورة وكان من ممتلكاتها أراكلوفون قبل الغزو . وأصبح دوكسا باتريس أحد أبطال المقاومة اليونانية ويذكر ل دي ف ، إنه كان الاقوى ويحمل أقوى الأسلحة ، والدروع وهراوة مربعه (فقرة ١١١) .

٤١ ـ وتجنب الفرنجة قلعة أركاديا في مسيرتهم على طول الساحل (انظر ٢ / ١٢٧٩) وتذهب ل إلى أن أسوارها (عمل العمالقة) (فقرة ١١٥)

٤٢ ـ توفي لويس دي شامبليت الأخ الأكبر لغوليوم في ١٢٠٩ ، ولم يكن كونت شامبنين بل أمير شامبليت في بور غاندي .

٤٣ ـ القدماء ؟

٤٤ ـ تبدو الحولية هنا مشوشة نوعا ما ، لأنها ذكرت من قبل أن الاراضي قد قسمت من قبل لجنة مكونة من ستة من الروم وستة من الفرنجة تحت توجيه فيلهاردين (انظر اعلاه : ١ / ١٦٤٩) .

٤٥ ـ هنا مرة أخرى التشويش في الحولية بين فيلها ردين المؤرخ والآخر وبين تيبولت كونت شامبنين ، وأخ أكبر لغوليوم دي شامبليت .

٤٦ ـ يدعى فيلها ردين في تاريخه أن ابن أخيه قد أعطي كورون (فقرة ٣٣٠) ، ولكن كما يبين لوغنون (ل غ ص ٧٣ حاشية ٣) كانت كالاماتا واحدة بين الاثنتين من الاقطاعيات الاكثر ملاءمة والتي يمكن بها مكافاة جيوفري على دوره الهام في الاستيلاء وهو يبين ايضا بأنه إذا ما كان قول فيلها ردين مقبولا فإن علينا أن نفترض أنه بعد أن استولى البنادقة على كورون في حملة (١٢٠٦ ـ ١٢٠٧) أعطى إلى فيلها ردين كالاماتا ، لأنهم بقوا سادة تلك الاقطاعية خلال الاحتلال الفرنجي (ل . ع ص ٧٣ ، ٩٠)

٤٧ ـ غادر غوليوم الى فرنسا في وقت ما حوالى ١٢٠٨ ، وتوفي بعد ذلك بوقت قصير وقبل مغادرته عين كنائب له وسمى ابن أخيه هوغ دي شامبليت ، وليس فيلها ردين ، وعلى أي حال فقد توفي هوغ بعد ذلك بوقت قصير وأصبح جيوفري نائبا ، ويحتمل أنه قد انتخب من قبل البارونات المحليين ، ولم يعين من قبل شامبليت ، كما تجعلنا الحولية نعتقد .
وقد اصبح نائبا في وقت ما قبل أيار ١٢٠٩ ، لأنه ظهر في مجلس رافينكا كممثل عن الدورة ، وهناك أكد الامبراطور هنري منصبه وإقطاعيته (انظر ل . غ ص ١١١)

٤٨ ـ ويتبع هنا سجل البارونات الكبيرة الاربع للمورة الذي كثيرا ما يدعي سجل أراضي الدورة ، وهناك اختلاف كبير بين الروايات المختلفة للحولية حول عدد الفرسان والاراضي المخصصة لكل إقطاعية .

٤٩ ـ أكوفا وكارتيانيا كانتا القلعتين الرئيسيتين في سكورتا أو أركاديا والأخيرة لم يبنها هوغ ولكن كما يروى بشكل صحيح في ١ / ٣١٥٥ أنشاه بناها ابن جيوفري ، وأطلق على أكوفا اسم ميتفريفين (أي أوقف أو اقتل يونانيا) من قبل الفرنجة ، وتقع على نهر صفير اسمة لادون ومازال بالامكان رؤية بقاياها قرب قرية غالاتس الحالية ، وتوجد دراسة عامة للقلاع الفرنجية في اليونان في كتاب ك . أندروز (قلاع الدورة ـ برنستون ١٩٥٣) . وفي كتاب أ . بون (قلاع العصور الوسطى ـ دورية الدراسات الهيلينية : ٦١ ـ ١٩٣٧) ١٣٦ ـ ٢٠٨ . وفي كتاب ر .

تراكوبير (قلاع العصور الوسطى) وفي حولية المدرسة البريطانية في أثينا العدد ١٢ (١٩٠٥ ـ ١٩٠٦) ص ٢٥٨ ـ ٢٧٦ والمكملة في العدد ١٣ (١٩٠٦ ـ ١٩٠٧) ص ٢٦٨ ـ ٢٨١ .

٥٠ ـ ماثيو دي د الذكورت دي موذس اسمه الكامل .

٥١ پ وكان هذا هو غوليوم دي مور لاي .

٥٢ ـ بنيت غير الي لامن قبل غي ، بل من قبل ابنه جان (انظر ١ / ٣٣٦٥ أدناه) ومازالت خرائبها باقية وتحوي بعض الفروسكات البيزنطية الجملية وكانت تاسكونيا في حينه أكبر اتساعا بكثير من المنطقة في أركادي االتي تسمى بهذا الاسم اليوم ، وكانت تمتد من جبال بارفون في اركانياباتجاه الجنوب الى فاتيكا ، وهكذا تضم غيراكي ومونمفاسيا ، وكثيرا ما كان (اسم) تاسكونيا يستخدم كاسم للاكونيا في العصور الوسطى ، وكان التساكونيون اذاسهم شعبا محبا للحرب من أصل مختلف عليه ، يظهر في المصادر من زمن قسطنطين بورفيرو جينيتس ، وقد هلك تدريجيا وتعتبر ، وهم ممثلون اليوم بمجموعة صغيرة مازالت تشكلهم بلهجة تختلف عن كل لهجات اليونان ، وهم لم يكونوا من السلاف بالتاكيد ، وكانت لغتهم تسمى (الدويك الجديدة) (انظر م . ص ٤) .

٥٣ ـ فوستينا في لخيا على خليج كورنت شرق باتراس ، وتقع كالافرينا في شرق الخيا جنوب فوستيتزا ، وأصبح مألوفا من قبل البارونات الكبار أن يسقطوا ألقابهم الفرنسية ويستبدلوها بالقاب ترتبط بأملاكهم الجديدة في المورة ٠

٥٤ ـ من أجل وادي لاكوس انظر أعلاه ، وكانت غرتيسينا مدينة في مكان ما من الوادي ، ربما على المنحدرات الجنوبية من جبل تايغيتس ويدعى السير لون خطأ كوكا في الترجمة الايطالية من الحولية لوكادي سيربي .

٥٥ ـ باسافا أو باسا فانت كانت قلعة رائعة مبنية على ساحل خليج لاكونيا ، نحو منتصف الطريق بين مين وهيلوس . واسم باسافانت يفترض أنه مشتق من كلمة تعارف قوات شامبين .

٥٦ ـ يعطى شمث اسمه أندبرت دي تريمو لاي . وكانت كالاندريتزا مدينة صغيرة جنوب باتراس مباشرة .

٥٧ ـ وكانت هذه بالطبع هي المنظمات الدينية الكبيرة للفرسان ، منظمة فرسان سانت جون الاسبتارية (فيما بعد مالطة) منظمة فرسان المعبد والمنظمة التيوتونيه للفرسان .

٥٨ ـ كان هناك أربعة أقاليم كهنوتية في اليونان الفرنجية : باتراس وكورنت في المورة وأثينا وطيبة في اليونان القارية ، وكان لرئيس أساقفة باتراس ، ورئيس أساقفة المورة أربعة أساقفة مساعدين ، هم أساقفة أولينا الذين كانت مقراتهم في اندرا فيدا كورون ، ميثون ، وكفالونيا ، وكان لرئيس أساقفة كورنت كمساعدين أساقفة أرغوس ، ليكيمونيا ، ومونمفاسيا التي كانت تحت سلطة الفرنجة .

وكان تحت رئاسة رئيس أساقفة أثينا ، أساقفة نيرموبيلي ، الذين كانت مقراتهم في بودنتيزا ، وسالونا ، ودافليا ، وذفرد بونت ، وإيجنيا واندرس . وتحت رئاسة أسقفية طيبة ، كان هناك أسقفان مساعدان فقط ، هما أسقفا كاستوريا وزاراكوريا .

وبين الأربعة ، كان رئيس أساقفة باتراس بلا جدال الأقوى ، وفي الحقيقة في وقت ما حوالي منتصف القرن الثالث عشر حصل من غوليوم الالمان على بارونية باتراس ، الذي أضيفت حصصه الأربع والعشرون الى الثمانية التي حصل عليها من قبل ، وقد جعلت هذه منه السيد الاقطاعي الرئيسي لكل المورة ، وهذه الحقيقة ظاهرة من كثرة ظهور اسمه في الوثائق في رأس قوائم النبالة المورية أو كممثل لها وناطق باسمها (انظر لغ ص ٢٠٥ وز : ٢ / ٢٧٠ ـ ٢٠٩) .

٥٩ ـ تعني كلمة سيرجند ، شخصا ما يلي مباشرة الفارس في المراتب الاقطاعية ، وقد ترجمنا الكلمة على أنها حامل الدرع في كل الكتاب سوى ي : ١ / ١٩٨٨ حيث حافظت على عبارة سرجندية الاستيلاء حيث يبدو أن لها بعض الدلالة

كفنوان للحولية (ل : ١ / ١٩٨٥ ـ ١٩٩٠) وفقرتان ٦٧ و ٨٩ من قوانين رومانيا (طبعة ريكورا ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ـ ٢١٩ ، تبين أن اثنين من حملة الدروع يعادلون فارسا في تخمين الرسوم الاقطاعية ، وتبين صياغة الفقرة أعلاه (١ / ١٩٦٥) أن لكل من الفرسان إقطاعية عامة من حصة واحدة ، ولكن بعض السرجندية فقط كانوا يعطون ، والفقرات من القوانين المذكورة أعلاه تتحدث عن إقطاعات السرجندية المدنيين بالخدمة كسرجندية من المشاة أو حامل درع .

٦٠ ـ كذا بالاصل .

٦١ ـ إن هذا القسم من السنة يتعلق بالمادة ٧٠ من قوانين رومانيا ، حيث فيها يتعلق بالشهور الاربعة الثالثة تذكر : وسيبقى لاربعة شهور في منزله أو في أي مكان يبدو له أنه أكثر ضرورة من أجل الوفاء بخدماته في الامارة السابق ذكرها ، وتذكر ل . ف . إنه يمكن للتابع أن يترك الامارة للحج ، ولكنه مع ذلك يبقى عليه أن يعود خلال سنة ويوم واحد وإلا فقد دخل سنة واحدة أو خلال عامين ويومين أو يفقد الاقطاعية تماما (الفقرة ١٤٠) والقانون واضح تماما حول غياب التابع (مقاطع ٣٦ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ١٠١ ، ١١١) وبشكل عام إذا غادر التابع بدون إذن ، وقدم وريثه في الاقطاعية نفسه للأمير خلال سنة ويوم واحد ، قد يستخدم الامير الوريث ومع ذلك فالتابعة له الحق في أن يطلب التغيب ، وينتظر عموما من الامير أن يعطي الاذن ، وتحت هذه الظروف يكون لدى التابع عادة سنتان ويومان ليعود إلى إقطاعيته . ويجب أن يلاحظ أن التراجم المختلفة للحولية لاتتفق في تعداد الاقطاعات وواجبات الاقطاعيين . ل . ف . تعطي تفاصيل أكثر خاصة فيما يتعلق بوضع الهرم الكهنوتي والتنظيم الاقطاعي في الامارة (فقرات ١١٧ ـ ١٤٠) .

٦٢ ـ مشتقة من الكلمة الايطالية (خنزيرة) وهو اسم شائع للمثقب وغلافه الخشبي ، الذي كان يستخدم لزعزعة الاسوار خلال الحصار انظر كتاب شارل أومان (تاريخ فن الحرب في العصور الوسطى) نيويورك ١٩٢٣ / ١ / ١٣٣ .

٦٣ ـ هيلوس ناحية في لاكونيا حوالي مصب نهر اليوروتاس وتحف بخليج لاكونيا وفاتيكسا هي قمة الجبل التي تمتد في راس ماليا ، وتقع مونمفاسيا على الساحل الشرقي لهذه القمة ، نحو الشمال قليلا ، وكانت مونمفاسيا إحدى أهم مدن المورة خلال العصور الوسطى ، ولم تبن قلعتها فقط فوق صخرة ضخمة في البحر ، وتتصل بالبر ببرزخ ضيق فقط اعتبر منيعا ، بل إن ميناءها كان رائعا ، وكان الميناء الرئيس للدخول للتجارة البيزنطية في البلوبونيز ومونمفاسيا وهي من كل المدن المورية قد بذلت أكثر المقاومات بطولة وجاعت حتى خضعت فقط بعد حصار مدته ثلاث سنوات (انظر أدناه ٢ / ٢٩٣٠ .

٦٤ ـ المعنى هنا أولئك الذين اقطعوا المدن بوساطة الجنود أو المدن للجنود .

٦٥ ـ موقف متساهل من الفرنجة تجاه روم المورة ميز الغزو ، وقد سمح للاقطاعيين من اليونانيين بالاحتفاظ باقطاعاتهم (٢ / ١٤٤٢ ـ ١٦٤٧) ومزاياهم ، وهنا أعلاه نعرف أنهم لم يزعجوا في عقيدتهم وعاداتهم وقوانينهم ، وينعكس هذا الموقف في مجموعة القوانيين الرومانية (فقرات ٧١ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ١٩٤) حيث يتساوى الروم والفرنجة تقريبا في ظل القانون ، وإلى جانب هذا بالطبع كانت هناك التزامات متساوية ونجد اشارات مستمرة في الحولية إلى القوات اليونانية والنبلاء المغيرين مع الجيوش الفرنجية .

٦٦ ـ وهنا تتبع قصة رومانسية وإن كانت مسلية ، ترمي إلى الاحاطة بترفيع جيوفري إلى رتبة أمير مع تعليق مناسب ، ومن وجهة نظر الحقيقة كما وضحت أعلاه ترك غوليوم دي شامبليت ابن أخيه كنائب له وليس جيوفري وتولى هوغ بعد ذلك بوقت قصير ربما خلال ثلاثة أو أربعة شهور ، وأصبحت الامارة بلا أمير ، وهذه الحقيقة معروفة من رسائل انوسنت الثالث .
(١٣ / ١٧٠ . ب . ل : ٣ / ٣٤٢) ، مع أن الامر غير واضح ، وعلى ما يبدو أصبح جيوفري نائبا لورثة شامبليت بعد وفاة غوليوم وهوغ ، ومن المؤكد أنه كان يعمل كاقطاعي رئيس في المورة بحلول أيار (١٢٠٩) ، لانه في تلك السنة ظهر في رافيشنيكا بهذه الصفة ، وهناك صدق الامبراطور منزلته الجديدة واعترف هنري بملكية جيوفري الشرعية الاقطاعية المورة وأضاف إليها

منصب نائب أمير رومانيا ، وبذلك اصبح جيوفري التابع المباشر للامبراطور ، علاوة على انه في الشهر التالي حزيران (١٢٠٩) دخل جيوفري في معاهدة مع البندقية أوقفت التوتر الذي كان قائما بين الجمهورية والمورة منذ (١٢٠٤) ، وبشروط هذه المعاهدة اعترف جيوفري نظريا بانه تسلم كل المورة كاقطاعية من البندقية ، وبكلمات اخرى اصبح تابعا للبندقية بالنسبة للاراضي نفسها ، التي تسلمها من قبل من الامبراطور ، وحتى هذه النقطة لم يكن قد اخذ رسميا لقب امير اخيا ، ولهذا قد يفترض أنه كان مايزال يعمل كممثل لورثة شامبليت وفي وقت ما من خريف (١٢٠٩) في ايلول (١٢٠٩) طبقا ل « لوغنون » (ص ١١٣) او في وقت مبكر من (١٢١٠) اصبح اميرا بالاسم والواقع ، لان الرسائل من انوسنت الثالث المرسلة بين ٢٢ ليار و٢٤ ليار (١٢١٠) موجهة إليه كامير لخيا (الرسائل ١٣ / ٢٣٠٦ ، ٢٤ ، ٢٥ ب . ل : ٣ / ٢٠١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢) ورسالة ٢٢ ليار معطاة أيضا في بوتسات وريجيستا (برلين ١٨٧٤ ـ ١٨٧٥) حيث أعطيت رقم ٣٩٣٩ وهو نفسه يستعمل اللقب لاول مرة في وثيقة مؤرخة في (١٢١٠) (مقتبسة من لوغنون ص ١١٥) وعلى ما يبدو جيوفري قد انتظر المهلة القانونية وهي سنة ويوم وعندما لم يظهر وريث ليطالب بالاقطاعية ، فإنه إما تملكها او أنه انتخب من قبل البارونات كامير ، وليس محتملا بالمرة أن الامبراطور قد صدق مثل هذه الحيلة المفضوحة ، كما تصفها الحولية ، ولا كان للبندقية أن تدخل في معاهدة مع رجل كانت مطالبته باللقب تقوم على مثل هذا الفعل غير الشرعي الواضح ، ومع ذلك فإن جزءا من الحقيقة يلوح في القصة ويعلق فيليب دي ايلين في قوانين القدس على الاجراءات التي يمكن النصح باتباعها خلال سن قصور الورثة ، بسبب الخطر الذي قد يحيق بهم (مجموعة راشيت لتاريخ الحروب الصليبية ، تحقيق بيفونت ، لويس : ٢ / ٤٠١) .

كما وقع فعلا في المورة لاطفال الشامبني من السيرجيوفري دي فيلهار ، التي بقيت في يديه ، وقد يدل هذا على أن وريثا خاصا قد طرد ، أو ربما يكون ببساطة تعليقا على حقيقة أن ورثة غوليوم كانوا صغارا جدا على تسلم الممتلكات في وقت وفاته ، وإن جيوفري اخذ اللقب واحتفظ به (من اجل مناقشة كاملة انظر لغ : ص ١١١ ـ ١١٥) ٦٧ ـ إن كونت شامبين هنا بالطبع هو غوليوم دي شامبليت .

٦٨ ـ هناك نصف سطر مفقود في ها . عند هذه النقطة ، وإن عبارة التي اضبها كثيرا ماخوذة من ت .

٦٩ ـ عيد الحصاد او اسبوع العنصرة وهو يوم الاحد السابع بعد عيد الفصح وكان عندما اعتاد الملك على جمع اتباعه في كور بلييز .

٧٠ ـ ك (صفحة ٩٢ حاشية على : ١ / ٢١٥٨) توحي بان غوليوم قد توفي في رحلته نحو الوطن أو بعد وصوله بوقت قصير ، وارسلت أرملته احدهم كممثل عنها في المورة وربما كان روبرت دي بونتايير ومن ثم كان ظهور اسم روبرت في الحولية .

٧١ ـ ويترجم شمث هذه في فهرسه مالك سفينة ، ومع ذلك أنها تعني ببساطة قبطان سفينة ومقابلاتها .

٧٢ ـ كذا بالاصل .

٧٣ ـ كانت كليرنتسا وغلارنتسا الميناء البحري لاندرافيدا ، وتقع على الساحل الايلي ناحية كيلين القيمة ، وقد بناها جيوفري الاول فيلها ردين ، واصبحت الميناء الرئيسي للتجارة مع أوربا ، وربما يقصد بسانت رخارياس كنيسة مهجورة أو دير كان يقع على الشاطيء على مقربة من المكان حيث كانت تقوم المدينة .

٧٤ ـ كذا بالاصل .

٧٥ ـ ل . ف تضيف أن أحد أصدقاء الشامبني قد نصحوا روبرت في حينه سرا أن يتقدم الى أمر قلعة اندرا فيدا في حضور كثير من الشهود ليسجل علنا وكتابه حقيقة وصوله الى المورة قبل انتهاء الأجل المشترط وهو بالفعل ما نفذه روبرت (فقرتا ١٦٦ ـ ١٦٧) .

٧٦ ـ كانت فليزيري طبقا ل (١ / ٥٢٤٨) على مسافة أقل من مسيرة يوم من أندرافيدا ،

وتقع في الجنوب الشرقي وكانت على مسافة قصيرة من الشمال الشرقي لبنيكوس . انظـر (اثناه ١ / ٢٤٨٤) وتقول لنا ل إنها اصبحت المنتجع الصيفي المفضل ومكان الاستجمام لامـراء اخيا (الفقرات : ٨٣٦ ـ ٨٣٧ ، ٩٥٧) .

٧٧ ـ وتلتقي ل مع الروم في طريق انه يفترض ان روبرت جاء بعدهم وعلى اي حـال تختلف ل ٠ ف نوعا . وتذكر مدنا أخرى توقف فيها ، وتذكر انهما تلاقيا في ليكيمونيا بعد ثمانية ايام من لعبة القط والفار (ل . ف الفقرات : ١٦٨ ـ ١٧١)

٧٨ ـ كذا بالاصل .

٧٩ ـ كذا بالاصل .

٨٠ ـ هذه هي أولى المناسبات الكثيرة التي ينتهزها المؤرخ ليعطي تفاصيل مطولة للاجـراءات القضائية ، وليظهر إعجابه الكبيرة ببلاغة قاعات المحاكم ومعرفته الوثيقـة بـالاعراف القـانونية وتوحي بانه هو نفسه كان متمرسا في القانون او انه على الاقل قد اكتسب معرفة وثيقة بـه ككاتـب قضائي ، وقد تبين أيضا عند هذه النقطة ان اسلوبه يتحسن بدرجة كبيرة في هذه الفقرات ، وخاصة في الاحاديث التي يقدمها كاقتباسات مباشرة وفي كل الحولية في الواقع يجـد المرء ان كل الاحـاديث فيها حيوية دراماتيكية مفقودة تماما في الفقرات الوصفية الصرفة التي تتعلق بـالاماكن والاحـداث ويبدو ان المؤرخ كان لديه اهتمام شديد بالشخصيات بصرف النظر عن الاجراء القانوني ،لانه مـن المؤكد انه كان لديه ميل أكبر بكثير لوصف الشخصية منه بالتاريخ ٠

٨١ ـ تقرأ طبعتا كل من شمث وكالوناروس عند هذه النقطة (اتـوسل واقسـم) ولكن هـذا لامعنى له ، واعتقد انها يجب ان تقرأ : (اتوسل وامر) وهي معقولة ، وسواء شمث (لانه بشكل عام فإن كالوناروس اتبع طبعة شمث بالضبط) او كانت أقدم منه قد اخطأ بـاخذالواحـدة بـدل الاخرى .

٨٢ ـ ان هذه العبارة الاخيرة مفقودة في ها ٠ ومأخوذة من ب .

٨٣ ـ تذكر ل ؤ ان روبرت وصل متأخرا ما يزيد على اسبوع ، ولكن بعضهم كان يعتقد انه قـد وصل في الوقت المناسب لاستلام السلطة ومع ذلك فإن اللجنة حـكمت ضـده لان الاتفـاقات تـاخذ بالاجرءات قبل القانون انظر : ل . فقرة ١٦٧ وتضيف ل . ف تفصـيلات أكثـر ، تشـمل الرواية المشهورة لوصوله والتي رسمها روبـرت لامـر قلعـة اندرافيدا (ل د ى ف فقـرة ١٧٠ و ١٧٧ ـ ١٨١) انظر اعلاه ص ١٣٨ حاشية ٧٥ .

٨٤ ـ حفلة في الهواء الطلق ، حيث كان يجري تناول المشروبات ، أو ندوة .

٨٥ ـ إن هذا لحق في بيان مكتوب ومختوم لقرار المحكمة مع نسـخة مـن الادلة المقـدمة اثناء عرض الدعوى ـ مذكور بوضوح في المواد ١٦٨ و ١٩١ من قوانين رومانيا .

٨٦ ـ غامضة نوعا ما ، ولكن يحتمل انها مجرد عبارات مهذبة للانصراف .

٨٧ ـ كانت الاقطاعات الاصلية التي وزعت فورا بعد الاستيلاء دائمـا في زمـرة خـاصة وكان المالكون على سبيل المثال قادرين على ان يورثوها كما يريدون ، في حين ان الاقـطاعات الاخيرة ، كانت خاضعة لشروط المنح الفردي ، وبعد ان اصبح جيوفري اميرا بوقت قصير ، ارسـل في طلب زوجته ايزابو وابنه المراهق جيوفري ، الذي كان بقي في فـرنسا ، ووصـلا في وقـت مـا في اوائل (١٢١٠) لانها مذكورة في وثيقة في تلك السنة (لغ . ص ١١٥) ويذكر ل . فـان الابـن الثـاني (غوليوم) ولد في كالاماتا (فقـرتا ١٨٧ ـ ١٨٨) وتقـوم ب في : ١ / ٢٤٤٩ بإعطـاء التـاكيد نفسه ، وقد ولد في (١٢١١)

٨٨ ـ إن التاريخ التقليدي المعطى لموت جيوفري هو/ ١٢١٨ / ومع ذلك يتمسـك لوغنون بـان جيوفري الذي تورط في الصراع مـع الكنيسـة خـلال اعوام/ ١٢١٩ ـ ١٢٢٣ /انظـر اثناه (٢ / ٢٦٥٦ ـ ٢٦٨٠) كان جيوفري الاول وليس ابنه ، جيوفري الثاني ، وهـو يلخص كثيرا ، حتى انه يقول في كتابه :

« مشاكل تاريخية لامارة المورة » مجلة دي سوانت (١٩٤٦) ص (١٥٧ ـ ١٥٩) ولاجـدال

أن هناك تشويش كبير في الحولية ، جيوفري الثـاني فعـلا ، يذكر أنه حضر الاجتمـاع الثـاني في رافينكا في حين ان من الواضح أن هذا كان جيوفري الاول وأنه توفي في نحو الوقت نفسه مـع غي ، أمير أثينا العظيم ، وكانت هذه الرواية دائما تعتبـر زائفـة على اسـاس : أولا أن الامير العظيم ـ موضوع البحث ـ لم يكن غي ، بل عمه أوثون ، وثـانيا ان أوثـون تـوفي في فـرنسا في / ١٢٣٤ / بينما توفي جيوفري في / ١٢١٨ / فإذا كان لوثيون مع ذلك مصيبا ، فـان الرواية ليسـت بعيدة الاحتمال ، كما كان يدعى بشكل عام ، وقد غادر أوثـون أثينا في وقـت مـا خـلال / ١٢٢٥ /سوتوفي في / ١٢٣٤ /

وإذا كان جيوفري قد توفي بين / ١٢٢٨ و ١٢٣٠ / فإنهما يكونان قد توفيا في نحو الوقت نفسه ، والخطأ الخطير الوحيد في الرواية هو الخلط بين اسمي غي و أوثون .

٨٩ ـ لاصحة هذه القصة الغريبة التي سلف الالماح إليها في ٢ / ١١٨٦ مـن أي نوع تقـريبا ، والسيدة موضوع البحث غير المسماة في الحولية هـي أغنس دي كورتناي ، ابنة بيير دي كورتناي وأخت روبرت الذي لم تكن لديه ابنة ، وحول رحلتهم النهائية مـن بـرنديزي الى القسـطنطينية في / ١٢١٧ / ، توقفت اغنس وامها يولاند ، في مونريكوي ، حيث تم تكريمهما بلباقة وذوق حسـن ، من قبل جيوفري الاول ، وإذ تأثرت يولاند تماما بما رات ، وافقـت على طلب جيوفـري يد ابنتهـا لابنه ، وتزوج الاثنان قبل ان تغادر الام القسـطنطينية ، وكان ملك أراغون في ذلك الوقـت جيمس الثاني الذي كان في / ١٢١٧ / في التاسعة من عمره ، وتشـير ل . ف إلى اغنس أحيانا على أنهـا أخت وأحيانا على أنها ابنة الامبراطور ، ولكنها لاتسمي الامبراطور (الفقـرات ١٩٣ ـ ٢٠٠) مادة ٣ من القوانين الرومانية تحوي القصة نفسها مع تفاصيل مماثلة .

٩٠ ـ المقصود هو اليس .

٩١ ـ انظر أعلاه وربما كان مقر هذه الاسقفية في الاصل في أولفيا وهي مـدينة في شـمال شرق بيرذوس في إيليس ، ولكن في زمن الفرنجة انتقلت الى اندرافيدا ، التي كان اسقفها يحتفظ بالاسم في لقبه .

٩٢ ـ ان هذا النمط من العلاقة كان له دائمـا أهمية أكثـر جـلالا في الشرق منه في الغـرب ، وبموجب الميثاق فإن كل أعضاء أسرة العريس يصبحون مرتبطين مع كل أعضاء اسرة العـروس ، ويمتد هذا بعيدا فيتعدى الاسرة المباشرة الى الاعمام وابناء الاعمام ومن في حكمهم ، مـن أقـارب الدرجة الثانية ....الخ . وعلاقة أخرى مماثلة كانت تدعى في الحولية ، وهي بالضبط النوع نفسـه من الرابطة بين اسرتين ، إلا أنها تقوم على تعميد الطفل ، وهي علاقة أقوى بكثير من قـرابتنا عن طريق الام بالتعميد .

٩٣ ـ لاشك في أن هذا الاجتماع اشارة الى البرلمانات المعقودة في رافينكا من قبل الامبـراطور هنري في / ١٢٠٩ و ١٢١٠ / وقد سار هنري متوغلا في شمال اليونان ليعزز النفوذ الامبـراطوري على النبلاء الثائرين ، وبدعة كبيرة لومبارد سيالي وتراقية ، وقد وجـد أن حملة واسـعة النطـاق كانت تتكون ، فدعا لمعاونته نبلاء وسط وشمال اليونان ، وكان جيوفري دي فيلهاردين وأوثون دي لاروش مشتبكين في حصار كورنت عندما تلقيا الاستدعاء ، الذي استجابا له على الفـور ، وكان في مقابل ولائه ان هنري اعترف بجيوفري كامير على المورة ، وعينه نائبا للامبراطورية .

وكانت الاجتماعات ذات أهمية رئيسة للامبراطور لانه كان قادرا على تأكيد النفوذ الامبراطوري على بارونات اليونان ، وكانت مهمة لجيوفري في أن ادعاءه في المورة كان معترفا به رسميا وأنه قـد عين في احد أعلى المناصب الامبراطورية ، ومن الاجتماعات خرج ميثاق وقع عليه علاوة على ذلك في أيار / ١٢١٠ / وكان قد رتب لحماية مصـالح الكنيسـة في الامبـراطورية ، وبشروطـه كان على البارونات أن يعيدوا الى الكنيسة أية ممتلكات كنسية استولوا عليها بصورة غير مشروعة ، ووافق الكهنة بدورهم على ان يحتفظوا بتلك الممتلكات كاقطاعات خاضعة للضرائب ، وأن يرفعـوا عنهـا ضريبة الارض ....الخ .

ولم تقرر السلطة على سيكلاوس (وتسـمى في الحـولية الدوديكاينز : في هـذه الاجتمـاعات ،

ولكنها أعطيت لجيوفري الثاني في وقت متاخر جدا في / ١٢٣٦ / من قبل بلدوين الثاني في مقابل تقديم خدمات محددة .

وحق ضرب العملة منح أيضا في وقت متاخر جدا في / ١٢٥٠ من قبل لويس التاسع ملك فرنسا لغوليوم الثاني في المورة ولم أكن قادرا على تحديد موقع قلعة لاريسوس ، وقد احتل هنري القلعة في لاميا (زيوتون) والتي كانت تابعة لفرسان المعبد ، وكان في وقت سالف قد هاجم حصن لاريسا ، وعلى ما يبدو أن المؤرخ قد خلط بين هذه الاسماء .

واعتقد أن لارسا كانت الاولى في ذهنه لانه كلما استعملت الكلمة في الحولية فإن لاريسوس التي تنتهي بنهاية تدل على المذكر تظهر دائما باداة تانيث .

٩٤ ـ تعني هذه الكلمة ضابطا حربيا في البلاط الامبراطوري وهي في الحولية تعادل نائب امير وكان لتورنوا النموذج الذي صاغ عليه غوليوم عمله ووضع دار السكة في قلعة كلومتسو التي اصبحت فيما بعد تعرف بقلعة كوريتز الاسم الايطالي للتورنوا وعلى ما يبدو ان الديز الفرنسي هو مرادف للتورنوا .

٩٥ ـ الاعراف المشار اليها هنا هي القوانين الرومانية ، في حين ان اعراف القدس تشير الى قوانين القدس ، وتدعي المادة الثانية من القوانين الرومانية أن بلدوين ومستشاريه أرسلو الى الملك وبطرك القدس من أجل أعرافهم وقوانينهم لتساعدهم في حكم الامبراطورية الجديدة ، امبراطورية رومانيا ، وهذه القصة مشكوك فيها جدا .

٩٦ ـ إن جيوفري الاول كوريث وأغوس ، ونوبليون قد اخذها خلال السنوات / ١٢١٠ ـ ١٢١٢ / كانت مونفاسيا القلعة الوحيدة الباقية في أيدي اليونانيين عندما اصبح جيوفري الثاني أميرا .

٩٨ ـ المقصود بالمورة هنا إليس وتقع كلوموتسي أو كليرمونت على الساحل جنوب كلارينتسا .

(ويذكر شمث بشكل غير صحيح أنها قد بنيت من قبل جيوفري الثاني انظر الفهرس) لقد بنيت دون شك كحصن ضد قوات الامبرطور البيزنطي في ابيروس مباشرة عبر الخليج من المورة ، وكانت اجمل حصن في الامارة ، وأصبحت مقر إقامة الامير ، ومن أجل كلوموتسي انظر ابوشون

٩٩ ـ لغة هذه الفقرة من بقايا طقوس الروم الارثوذكس ، وقد يفترض المرء تقريبا أن المؤرخ كان في ذهنه الكهنة والمرتلين .

١ ـ تولى جيوفري الثاني في / ١٢٤٦ / وكان غوليوم في نحو الخامسة والثلاثين من عمره عندما اصبح أميرا ، والكنيسة والدير موضوع البحث هي كنيسة سانت جاكوب (سانت جيمس) في اندرافيدا التي دفن في سردابها آل فيلهاردين الثلاثة فعلا ، واعطت حفريات المنطقة في ١٨٩٠ آثارا طفيفة للكنيسة وبضع عظمات وانظر ل . ص ٣١٥ الحاشية على ١ / ٧٧٩٠ .

٢ ـ ومرة أخرى يجب ملاحظة انه في هذا الوقت بقيت مودفاسيا فقط في أيدي اليونانيين ، ويناقش المؤرخ احداث حكم جيوفري الاول ، وينسبها الى فترة تالية .

٣ ـ معنى هذه الكلمة المؤن التي كانت تقدم للقوات لاعالتها أثناء الحملة ، ويبدو أن المعنى هنا أن عليه اطعام الرجال ، ولكنه لن يدفع لهم أي اجور نقدية وكانت كورون وفيشون في أيدي البنادقة ، من / ١٢٠٦ ـ ١٢٠٩ / ، وخلال تلك السنوات طرد البنادقة حامية الفرنجة الصغيرة التي تركت هناك منذ الغزو الاول لشبه الجزيرة ويحتمل ان الرواية التي في الحولية تدل على أن غوليوم قد تخلى عن كل مطالبه في هذه الاماكن واعترف من جديد بمطالب البندقية في مقابل الشواني .

٤ ـ تحت شروط التقسيم الاصلية للامبراطورية اليونانية ، تلقت البندقية لقبا عن كل الجزر الايجية ، ومع ذلك لعدم الرغبة في جلب نفقة احتلالها تركت الجمهورية هذه المهمة لمواطنيها المقدامين الخاصين ، وطبقا لذلك فإن مجموعة بقيادة ماركوسانودو أبحرت بين الجزر وبحلول / ١٢٠٧ / أخضعت على الاقل سبع عشرة منها واحتفظ ماركو بناكسوس لنفسه ، ووزع البقية بين اقاربه والاتباع الآخرين ، أما يوبوا التي أخذت في الاصل من قبل جاك دي افنس في / ١٢٠٥ / فقد قسمت بعد موته الى ثلاث ، إقطاعيات ، ومنحها يونيفلمي . دي مونتفرات لثلاثة نبلاء من فيرونا ، الترزيري أو التريارکس ، وبعد ذلك بوقت قصير مع ذلك بقي واحد من الثلاثة هو رافاذو دال كار سيدي الامير الوحيد وعلاوة على ذلك في / ١٢٠٩ / اعترف بسيادة البندقية على اقطاعاته ، وبعد موته في / ١٢١٦ / أصبحت البندقية حاكمة للجزيرة نظريا ان لم يكن في الواقع ، وحصار كورنث الموصوف في هذه الفقرة هو بالطبع حصار / ١٢١٠ / الذي قام به جيوفري الاول .

٥ ـ عند لونغنون (ص ٧١) تسمى هذه القلعة مونت اسكو فيه مونت نيذونيه ويعطي شمث (فهرس ص ٦٣٨) الصورة اليونانية ويقول ان الاسم متصل بالاسم المجرد مونت اسكيو أو اسكيوه وهو أيضا يقترح ان هناك صلة بين الاسم والكلمة الغربية (الفطرسة) التي تظهر في ٧٩٠٧ من الحولية ويسمى أو . ميللر (ص ٣٦٠) القلعة مونتسكيو ، وبحث دراغوميس . في فقرة طويلة شأن هذه القلعة مطولا .

وقال اشتق الاسم من كلمة فرنسية قديمة كانت تعني الغطرسة والازدراء والاسم الحديث بنتسكوف أو بنتو سكوفيا وهو متأثر تحريف للاسم الفرنسي ، وهوبكلمة متأثر بكلمة ايطالية وتعني القلانس الخمسة .

٦ ـ كورون وميثون غير متباعدتين جغرافيا ، عادة معا في الوثائق وفي هذه الفقرة يبدو أنهما عوملتا كاقطاعية واحدة .

٧ ـ تم الاستيلاء على ذوبليوم وأرغوس في / ١٢١٠ ـ ١٢١٢ / من قبل جيوفري الاول ولم يقدم فقط هاتين الاقطاعيتين لاوتوندي لاروش بل ايضا جعالة سنوية فوق مكوس كورنث (انظر م . ص ٦٢)

٨ ـ كانت سيفالونيا قد فقدت من اليونانيين سابقا قبل عشرين سنة من الاستيلاء الغربي أو عندما غزا النورمانديون شبه الجزيرة من صقلية احتل أميرا لهم مرغريتون ، صاحب برنديزي سيفالونيا وزانت وايثاكا وفي أيام الحملة الصليبية الرابعة كانت هذه في حوزة ما ثيو (ماتيو) أورسيني وهو عضو في الاسرة الرومانية ، ولكن هو نفسه يحتمل ان يكون من أبوليا ، وقد حكم هو وابنه روبرت الذي خلف والده الجزر الايونية خلال القرن الثالث عشر .

٩ ـ تتفق كل المصادر على ما يبدو على أن الحصار دام ثلاث سنوات وان القلعة سقطت في / ١٢٤٨ / ومع ذلك فان زكيشينوس في كتابه (ص ٢١) يعطي السنوات (١٢٤٥ ـ ١٢٤٨ /

ولوغذون (ص ٢١٧) يقول : إن غوليوم بدأ الحصار بعد ان اصبح أميرا في / ١٢٤٦ / وا ستولى على القلعة في / ١٢٤٨ / ويلاحظ (ص ١٢٢ ـ الحاشية على ١ / ٢٩٢٣) ويعطي التاريخ على انه / ١٢٤٨ ـ ١٢٥٠ / وتاريخ كمبردج للعصور الوسطى (المجلد الرابع ٤٤٠) ويعطي التاريخ على انه مجرد ثلاث سنوات بعد ان أصبح غوليوم أميرا ، وهناك ادبيات واسعة حول مونمفاسيا وسقوطها .

واضافة الى البحوث التي سلف ذكرها انظر اداماينتوس وكالوناروس . (اثينا ، ١٩٣٦) ص . ٥ ـ ٥٧ .

١٠ ـ هناك ثغرة في ل . تتعلق بالابيات ٢٠ / ٢٩٣٢ ـ ٣٠٢٣ من الحولية اليونانية (فقرة ٢٠٥ .

١١ ـ هذه الكلمة مشتقة من كلمة لاتينية ويناقش شمث في فهرسه (ص ٦٠٥) الكلمة مطولا ويعطي معناها على انه إعفاء ، او تمتع بالحصانة او حقوق خاصة معينة تمنح كمزايا ، وكان الموخنا سون مدينين فقط بالخدمة بمراكبهم ومن اجل هذه الخدمة علاوة على ذلك كان لهم أن ياخذوا اجرا وهبات كما لو انهم كانوا مستاجرين كمرتزقة ، ومن اجل الاجور والهبات انظر أعلاه .

١٢ ـ كانت هذه العائلات الكبيرة الثلاثة بارزة في الشؤون المورية في كل الفترة الفرنجية وما بعدها ـ وعائلة مامونا س في الواقع ماتزال باقية في اليونان ، وا سم سوفيانوس اسم عائلة شائع نوعا ما ، وتاريخ عائلة مامونا س من / ١٢٤٨ / إلى حوالي / ١٩٠٠ / كتبه انتوني ميليا راكس في كتاب نشره في (اثينا ١٩٠٢)

١٣ ـ انظر اعلاه ص ١٣١ حاشية ٦٣ .

١٤ ـ المصدر نفسه .

١٥ ـ انظر اعلاه ، وكانت هذه جولات طويلة لان المدن كانت مبعثرة من عشرين الى اربعين ميلا عن نياليكوديمونيا .

١٦ ـ بنيت سيزثيسرا س او ميسترا كما تسمى عادة فوق نتوء تايجتيوس ، على بعد نحو ثلاثة اميال من اسبارطة ، وكان الهدف منها السيطرة على الممرات الى شعاب الميلنفز ، وضرواتهم موصوفة بشكل غريب في حولية دور يثوس موغناسيا (ص ٤٧٦)

وا شتقاق الاسم كان موضع اهتمام الدارسين ، فاعتبره من اصل سلافي (مقتبس من م . ص ١٠٠) ، مع أن اي دارس يوناني لم يتفق معه ، والتفسير المعتاد للكلمة انها مشتقة من صلمة اغريقية معناها صنف من اجبن مايزال رائجا بين اليونانيين ، ويميل شمث (فهرس ص ٦٣٨) ولوغذون (ص ٢٩٨) وميلر (ص ١٠٠) الى الاتفاق مع هذا التفسير ، ويعطون إشارات الى الادبيات التي حول الموضوع ، ويوافق كالورناروس أيضا ويضيف الراي ، بان الاسم قد اطلق على الناحية حتى قبل بناء القلعة (ص ١٢٥، الحاشية على / ٢٩٩٠)

وفي هذه الحاشية الذيلية يضيف مراجع ثلاثة اخرى من المراجع المطولة حول ميسترا .

١٧ ـ من الصعب تماما تعيين موقع قلعة مين بالضبط ومع انه يحتمل انها انشئت في وقت مبكر يعود الى زمن جستينان واول ظهور للحصن البيزنطي في المصادر كان في كتاب كونستانتين بورفير وجنتوس (إدارة الامبراطورية) تحقيق غي مورا فتسك مع ترجمة انكليزية من قبل ر . ج هـا جنكنز . (بودابست ١٩٤٩) ص ٢٣٦ ـ ٧) حيث يعطي بعض اشارات غامضة الى مواقع القلعة ، والطبيعة الشرسة للسكان ، وهي سمعة احتفظوا بها باستمرار حتى اليوم الراهن .

ويقوم على هذه الفقرة مقال ل . ب . افوركيس وهو يضعها على شبه جزيرة تيغني (هكذا سميت لشكلها الذي يشبه المقلاة) ، قرب ميناء ميغابون والى الحد الذي يمكنني تاكيده ، ان هذا يضعها غير بعيد الى الشمال من راس ماتابان وعلى الساحل الغربي من شبه الجزيرة (ويحددها شمث في فهرسه أيضا في الزاوية الجنوبية الغربية من مين) .

ومع ذلك فإن لوغذون وميلر يضعانها في خرائطهما على الساحل الشرقي ، انظر زاكثيسنوس ص

٢٢ ـ ٢٣ ، وحاشيته نيلية طويلة جدا في كالوناروس ص ١٢٦ ، حاشية على ١ / ٣٠٠٤ وانظر ايضا ميلر ص ١٠٠ ورقم ٢ .

١٨ ـ تحدث كونستانيدس بـوفيرو جنتـوس (إدارة الامبـراطورية ٣ / ٢٢٤ عن سكان الدرونغوس من المبلنغز . وعليه فان أهل مين كانوا ايطاليين لهم باستمرار عاداتهم المألوفة تحت الادارة البيزنطية .

١٩ ـ قام شمث باتباع بوشون وفيليبسون بتعيين موقع غيسترنا خطا قرب راس ماتابان (انظر فهرسه تحت غيسترنا وليفترو ص ٦٣٤ و ٦٣٧) ، ويقتبس كالوناروس ، في حاشية نيلية طويلة (ص ١٢٨) من كل المصادر ، ويعطي الموقع الصحيح ويبين كيف نشأ الخطأ في الاصل ، وغيسترنا (الكيذسترنا البيزنطية) كانت تقع في شمال غرب لاكونيا ، حدودها الغربية على طول ساحل شبه الجزيرة ، جنوب كالامات ليفترو (كانت تسمى بوفرت بـالفرنسية) كانت تقع على الساحل قرب كيفكرو جنوب كالاماتا ، وهي محددة بشكل صحيح على خريطة لوغنون . (ص ٢٠٠ ـ ٢٠١) مع الغموض حول موقعها في نصه (ص ٢١٨) وتذكر « ل » أن ليفترو تقع على الساحل بين كالاماتا وغراند ما غن (فقرة ٢٠٧) وعليه فان ليفترو تقع على الساحل الغربي ، شمال غراندمين ، التي كانت بدورها شمال ماتابان .

٢٠ ـ إن اصطلاحات « مين القديمة » وغرانذنين كلاهما مستعمل في الحولية ويبين كالوناروس (ص ١٢٩ ، حاشية) ان الاصطلاحان مترادفين ولايدلان كما اعتقد بعض الدارسين على مدينتين منفصلتين وتستعمل « ل » اصطلاحا واحدا فقط باستمرار هو غرانْد مين وورد اصطلاحا « غراندمين » و« مين » القديمة » لتمييز مين ليس عن مدينة أخرى بالاسم ذاته بل عن مدينة ميكرومين في ميسينيا (انظر أدناه ٢ / ٨٠٦٩ و ٨٠٩٤) .

٢١ ـ هذا المقطع غامض ... ربما ينبغي ان يقرأ : « سار وفق العواطف الطيبة لجميع الامارة ، كما لو .....

٢٢ ـ وضعت هذه الاحداث في نهاية الفصل الثاني ١٢١٠ ـ ١٢٤٤ ، انظر ما تقدم حاشية ٨٤ وذلك من اجل التاريخ الصحيح والاسماء .

٢٣ ـ إن انجيلوس كالوانس كوتزولس شخصية خيالية ، لان ايا من حكام ابيروس لم يحمل ايا من هذه الاسماء ، ويبدو ان المؤرخ يخلط مرة اخرى بين كالوانوس البلغار وامبر أبيروس (انظر أعلاه ص ٩٧ : ٢ / ١٠٣٠ وحاشية ٦٩)

إن انشاء خط كوميذوس دوكاس في ابيرس هو موضوع مقاله ل : لوسن سيترذون . في دورية الدراسات البيزنطية ، ١٧ (١٩٥٩) ص ٩٠ ـ ١٢٦ بعنوان « أصل إمارة أبيروس » حيث يبين ان الحكام الاوائل كانوا امراء ، ولكن ليسوا أباطرة ، وتوبعت اعمال ميكائيل الاول بعد موته في / ١٢١٤ / من قبل أخيه ثيودروس الاول وبقسوة وسع ولاياته على حساب البلغار والفرنجة ، وفي النهاية وضع نهاية لمملكة سالونيك في / ١٢٢٤ / واذ شعر ان دولته تضم الان تقريبا كل اليونان القارية وأجزاء من بلغاريا ، ووالاشيا وتراقية . وكانت تعادل في حجمها وقوتها امبراطورية ، قرر أن يدعى لقب امبراطور ، وقد عجل هذا في قيام منافسة فورية مرة مع امبراطور نيقية ، ومع انه كان حقا في موقف قوي ، فان ثيودروس كان مدفوعا بالطموح لمهاجمة قيصر بلغاريا جون آسن / ١٢٣٠ / وفي المعركة التي تلت هزم واخذ اسيرا ، واستولى اخوه مانويل على الامبراطورية ، ولكن في / ١٢٤٠ / قاد ثيودروس وقد تحرر من الاسر ثورة ضد أخيه واجلس ابنه ايوانس على العرش وكان هذا الابن الضعيف مكرسا ليكون راهبا ، ولكنه مع ذلك لم يكن يجاري القوة الهائجة لامبراطور نيقية ، وفي / ١٢٤٦ / سقطت سالونيك في يد ايوانس فاتاترس الملك الثاني لنيقية ، وفي هذه الاثناء ثار في أبيروس ميكائيل الثاني ، الابن غير الشرعي لكن الوحيد لميكائيل الاول في / ١٢٣٧ / ضد عمه في سالونيك وأقام امارة مستقلة ضمت ابيروس وكورفو وتساليا ، وتزوج تيودور بترا ليفالس الرائعة التي مجدت واعترف بها وانجب منها ابنة نقفور وابنتين : هيلين التي

زوجت مانفريد صاحب صقلية وانا التي تزوجت غوليوم الثاني دي فيلها ردين في / ١٢٥٩ / وادخل هذا التحالف الموره على الفور في خصومات يونانية ، عندما تفجرت الحرب في الشمال بين ميكائيل الثاني وميكائيل باليو لوغوس ، وقاد غوليوم قوة مورية ليساعد حمه الجديد ، وكانت °

نتائج المعركة التي وقعت في بيلا غونيا في / ١٢٥٩ / مفجعة للمورة ، فقد حددت هزيمته غوليوم مع اسره نقطة التحول في تاريخ المورة ، وهي السبب الرئيسي لكل الفواجع التالية التي لحقت بالفرنجة في البلبونيز .

٢٤ ـ إن الترتيب الزمني هنا مشوش بالطبع ، لقد سقطت القسطنطينية في / ١٢٦١ / وشن باليولوغوس حملته في / ١٢٥٨ / وكما تبين في الملاحظة المتقدمة نصب غوليوم كحليف وليس كمرتزق .

٢٥ ـ كيرايوانيس هنا هو في الحقيقة ميكائيل الثاني الذي توفي في / ١٢٧١ / وخلفه ابنه الشرعي نقفور ، وحكم في / ١٢٩٦ / وابنه غير الشرعي جون (ايوانيس) والذي يدعى ثيودروس في الحولية حصل على لقب شياستوكراتور وحكم والاشيا ونيوباترا من / ١٢٧١ / الى / ١٢٩٥ / .

وخلط الفرنجة باسمة كوفينوس دوكاس واشاروا اليه على انه دون نيوباتراس ، وقصة هذه الحرب بين الاخوة وتدخل باليولوغوس خرافية تماما .

٢٦ ـ تقع باتراس الجديدة (نيوباتراس ، هايبات الحديثة) في تساليا على مسافة قصيرة الى الغرب من لاميا .

٢٧ ـ يبدو أن سوفا ستوكراتور كان لقبا تشريفيا صيغ من الكلمات اغسطس و (امبراطور) . كتاب جيبون (الانحدار والسقوط) (طبعة مود ، ليب) ٢ / ٨٥٤ ـ ٨٥٥ اقتباسا من انا كومينا التي ادعت ان اليكسيوس كومينوس ، قد احدث اللقب ، واحتفظ به للامراء من السلالة ، ولم يكن اللقب يستتبع واجبات خاصة في البلاط ، وإنما كان يمنح كتشريف عظيم للنبالة الرفيعة .

٢٨ ـ كانت كلمة تعني العملة الذهبية المعيارية لبيزنطة ، وكانت سابقا تدعى البيزنط ، والسوليدوس ، وكان لها قيمة تعادل وزنها المجرد من الذهب ويعادل تقريبا باوندا انكليزيا .

٢٩ ـ سمى ميكائيل باليولوغوس في الواقع لتجنب الصراع مع ميكائيل الثاني ولكن الاخير بتشجيع من احلافه الاخيرة مع مانفرد وغوليوم حيث لم يكن اشتهاؤه للتاج في إطار التسوية التي في الفكر ، ودخل غوليوم هذا الحلف ليرضي رعاياه من اليونانيين ويحتمل ان يكون بسبب الطموح الى احياء مملكة سالونيك ، وكانت لنا في كلمات الحولية دوروثيوس مونمفاسيا ، وبدون ان تكتسي باثواب سلف ان زانت جمالها وفتنتها ، لانها رائعة الجمال وساحرة في الرأس والجسم وكهيلين ثانية لمينيلاس وقد اقترح أنها كانت مثال هيلين في فاوست غوته ، كما كان غوليوم لفاوست في الجزء الثاني على الاقل .

وان اسبارطة مينيلاس في الفصل الثالث هو وصف للامارة الفرنجية في العصور الوسطى ، في المورة ، ومن أجل اراء مختلفة ، انظر شمث المقدمة ص ٥٨ ـ ٦٦ . كتاب بارون ديان دي غولدكرون حيث كان أول شرح لفاوست ، وكتابه غ . موراڤسكي .

٣٠ ـ والان نتبع تكرار للمعلومات من السجل المعطى في ٢ / ١٩١١ ـ ١٩٥٠ . انظر اعلاه والسبب .

٣١ ـ أعطيت التفاصيل المشكوك في صحتها في الصراع بين غوليوم وغي دي لاروش وليس غوليوم دي لاروش كما هو مذكور في : ١ / ٣١٧٧ ، والاميرين الاخيرين في وسط اليونان ، يمكن أن يوجد بسبب نزاع حول ميراث ، وكانت الزوجة الثانية لغوليوم هي كارنتانا دال كارسبري التي كانت تنتسب الى العائلة الكبيرة ليوروبوس ، والبارونات على الثلث الشمالي من الجزيرة ، بحكم لقبها عندما توفيت في / ١٢٥٥ / وقد طالب غوليوم ببارونيتها كوريث ، وعارض البارونات

المحليون والبنادقة طلبه واعلنوا الحرب ، واتخذ غوليوم خطوات قوية ، ناجحة لهزيمتهم عندما انتشر الصراع الى الارض الرئيسية ، وضم غوليوم دي لاروش أخو غوي الامير العظيم لاثينا مع أنه تابع لامير اخيا ، قواته الى اليوربيين ، وهيمن على أخيه في رفض طلب فيلهار دين ، للمساعدة ولكونه تابعا له من اجل ارغوس وذوبليون اضطر للاستجابة لدعوة سيده وشكل رفضه جريمة ، واصبح الصراع ثورة بارونية ضد مطامح امير اخيا ، وسويت القضية في / ١٢٥٨ / في معركة مونت كاريدي ، التي انتصر فيها غوليوم فيلهار دين ، واسر غي دي لاروش ، واجبره على العودة الى فرنسا ، ليحاكم امام ملك فرنسا ، وبينما كان غي في فرنسا اسر غوليوم خلال معركة بيلاغونيا / ١٢٥٩ / وتغيرت الحالة في كل اليونان الفرنجية ، انظر م ص (١٠٢) .

٣٢ ـ تزوج جيوفري دي بروبييرس من ايزابو دي لاروش ، وهي ابنة (وليست أخت) غي دي لاروش ، وكانت امه اخت غوليوم دي فيلها ردين .

٣٣ ـ الطريق الذي يعبر البرزخ ويسير على طول ساحل خليج سالونيك ليؤ دي الى ميغارا ومازال يدعى « طريق الشر » بسبب طبيعته الضيقة الصخرية ويقع ممر مونت كاربري (جبل الجون) في نحو منتصف الطريق على الطريق من ميغوا الى طيبة .

٣٤ ـ العبارة الافتتاحية في هذه الجملة قد تقرأ : وقتل هناك في المعركة قائد فرسان جديد يدعى .... وكانت مرغريت باسافا ابنة جين الثاني دي نويلي ، من ابنته غوتيير الاول دي روزيير اكوفا وكان زوجها الثالث هو جين دي سانت أومر وكان والدهر غريت مارشال المورة بالوراثة ، وانتقل اللقب عن طريق ابنته الى زوجها ، ثم الى ابنها نيكولاس الثالث دي سانت اومر امير طيبة .

٣٥ ـ في وقت ما بين / ١٢٣٠ و ١٢٤٠ / تزوج بيلا دي سانت ـ اومر من بون ، أخت غي الاول دي لاروش . واحضرت كمهر لها نصف اقطاعية طيبة ، وبقي النصف الاخر في يد أخيها وكان ابناؤهما نيكولاس الثاني ، الشريك في إقطاعية طيبة ، ونائب أمير المورة / ١٢٨٧ ـ ١٢٨٠ / وكان أوتون الشريك الاخر فيها مع جين الذي اصبح مارشال المورة بزواجه من مرغريت باسافا .

٣٦ ـ اقيمت بارونية سالونا من قبل بونيفيس دي مونتفرات في / ١٢٠٠ / عند غزوة الاول اليونان ، ومنحها لاحد أتباعه ، توماس دي ستروموندكورت ، الذي بنى في سالونا ، الامفيز القديمة ، التي تقع عند السفح الغربي لبرناسوس القلعة العظيمة التي مازالت بقاياها المؤثرة باقية ، وامتدت البارونية وقت عظمتها تقريبا من سالونا في اتجاه الجنوب حتى ساحل خليج كورنث بين أتيا وغالاكسيدي في الشرق وذوباكتوس . في الغرب ، وتخبرنا حولية غالاكسيدي الغربية التي وضعت في / ١٧٠٣ / ان الاسم امفيسا قد غير الى سالونا على شرف ابو نيفيس ملك سالونيك والمؤسس الثاني للمدينة (حولية غلا كسين طبعة ساثاس (اثينا ١٩١٤) ص ٢٠٧) وتدعوه حولية المورة ببساطة أمير في حين ان حولية غلاكسيدي كثيرا ما تدعوه كونت .

٣٧ ـ إن هذا الوصف من أداء الولاء يتفق مع الصورة الموصوفة في مجموعة القوانين الرومانية ، الفصل ٣ (ريكورا ص ١٥١ ـ ١٥٣)

٣٨ ـ كانت بالفعل المحكمة البارونية لغوليوم هي اتخذت هذا القرار ، واتخذ البارونات هذا القرار ،ربما تحت تأثير حاشية غوليوم وربما لا دراكهم الشك والرفض الذي دعاهم لمقاومة عدوانية غوليوم فقد أعلنوا بما انهم لم يكونوا معادلين له فهم بذلك كانوا غير قادرين على محاكمة غي وبناء عليه توجب ان يمثل في المحكمة امام لويس التاسع للمحاكمة ، وكان على غوليوم قبول هذا القرار انظر م . ص ١٠٦ .

٣٩ ـ تقول المادة ١٩٧ من القانون الروماني انه « عندما يتخلى شخص عن أميره في المعركة ويهرب قبل فقدان المعركة ، فإنه يستحق ان يحرم من أرضه بحكم قضاء أميره . (ريكورا ص ١٦٥)

٤٠ ـ منحت الاقطاعيات التي وزعت في الدورة في وقت الاستيلاء للمالكين الاول ، امراء الاستيلاء ، مع كامل الحق في التوريث ، اعني انها يمكن ان تورث لاي وريث يسميه الامير في وصيته ، ومع ذلك فان الاقطاعيات التالية منحت بحقوق محدودة في التوريث ، اعني انها يمكن ان تورث فقط لوريث الدم ، وإن لم يكن هناك مثل هذا الوريث تعاد الاقطاعات الى الامير الذي منحها او إلى وريثه ، وهكذا في هذه الحالة انتزع غوليوم اقطاعية جيوفري بسبب جريمته ثم اعادها اليه كاقطاعية جديدة يتملكها مدى حياته مع حق توريثها فقط لابن او ابنة .

٤١ ـ تقول ل : أنه ما أن جاء الربيع حتى انطلق الامير العظيم بسفينتين كبيرتين من ريفا دسترون ثم ذهب الى برنديزي (٢٤٤) ل . فـ تعلمنا أنه ترك اخاه (أوتون) كنائب له في تيبسيس (فقرة ٢٢٤٥) وكانت ريفا دسترون ميناء طيبة خلال هذه الفترة ، واسمها الحديث ليفا دسترو وتقع عند الطرف الشرقي لخليج كورنت على خليج ليفا دسترو ، والاكثر شيوعا هو انه يعرف ببحر الكيونيون .

٤٢ ـ حسب شمث (انظر فهرسه) فإن الكلمة مشتقة من الكلمة التركية داغ التي تعني جبل .

٤٣ ـ انظر اعلاه ص ١٣٤ الحاشية ٦٩ .

٤٤ ـ لم يكن لويس التاسع السيد الاعظم لا لغوليوم دي فيلهاردييه ولا للامير العظيم ، بالنسبة لاقطاعايتهما في اليونان ، وكان قرار إرسال الاخير إليه بناء على ذلك عملا من أعمال المجاملة ، وتعبيرا عن الاحترام لسمعة لويس كمحقق عظيم للعدل ، وجرى اجتماع للمحكمة العامة الفرنسية في ذلك الوقت(ربيع ١٢٥٩) ومع أن السبب الرئيسي هو تسوية الشؤون الشرقية بشكل عام ، ويحتمل ان امور الامير العظيم قد سويت في هذه الجلسة ، ومن المعروف أيضا ان غي كان في فرنسا في هذه الاونة ، انظر بوشون ـ ابحاث تاريخية : ١ / ١١١٥ حاشية ١ و م : ١٠٦ ـ ١٠٧ .

٤٥ ـ كانت هذه القبعة غطاء رأس يلبسه الجنسان ، وكان الاصطلاح يستعمل بشكل خاص للغطاء الذي يلبسه فارس بلباسه الكامل .

٤٦ ـ إن هذه التعابير ، بيزنطية نموذجية موصوفة في الاجراءات القضائية ، ويظهر هذان الاثنان في ل .

ويعلن شمث انه حيث ان الاصطلاح الشائع لمخاطبة الملك بين الفرنجة ببساطة : مولاي فان وجود مثل هذه الالقاب الطنانة المعقدة الكثيرة الشيوع في اللغة اليونانية ، في تلك الايام في النص الفرنسي تدل على ان الفرنسية لابد ان تكون ترجمة لنص يوناني اصلي ، ومع ذلك ففي رأيي ان هذا ليس نتيجة بالضرورة ويكفي الاستنتاج ان مثل هذه الاصطلاحات قد اصبحت قيد الاستعمال العام بين الفرنجة المورييين من خلال تماسهم المباشر مع اليونانيين المحليين كما كان بالنسبة لكلمات اخرى عديدة وانظر مقدمة شمث ص ٣٣ وا دامانتيوس ص ٦١٠ .

٤٧ ـ إن الالماح لسابقة قديمة حول اللقب زائف فالكلمة اللاتينية هنا كثيرا ما كانت تستعمل من قبل البيزنطيين كمقابل لكلمة (جنرال) ولكن لم يكن هناك مطلقا في اثينا موظف يحمل هذا اللقب (انظر م . ص١٠٧) وليس من المحتمل أن غي منح لقب دوق في تلك الجلسة من القضاء بل بعد عودته من فرنسا ، وربما يكون قد خوطب بلقب (سير) وربما أنه استعمل بشكل غير رسمي لقب دوق (انظر بوشون ـ ابحاث تاريخية ١ / ١١٦ حاشية ١ و ٢ / ٣٨٥ ـ ٣٨٧) .

٤٨ ـ ل : ١ / ٣٠٥٠ ـ ٣١٣٧ اعلاه ، إن الامبراطور كوترولس وثيودور دوكاس هما ميكائيل الثاني وابنه الطبيعي ايوانس ، امير والاشيا ويلاحظ مرة اخرى أن هذه الرواية من الخيال بين ابيروس وولاشيا زائفة تماما ، انظر حولية غلاكسيري ص : ١٤٢ ـ ٥٢ من المقدمة وص ٢٠٩ ـ ١٠ من النص .

٤٩ ـ ايباكتوس اسم من العصور الوسطى لنوباكتوس وهي مدينة تقع على الشاطىء

الشمالي من خليج كورنث مقابل رأس دراباذون وهذه الكلمة هي الصيغة العائدة للقرون الوسطى لدراماذون .

المضيق بين النقطتين ، وكل خليج كورنث أصبح يعرف ببحر باكتوس من الاسم (ايباكتوس (انظر ما يلي ١ / ٣٦٢٦) وهو اليوم مدينة عاملة تربط بين النقطتين .

٥٠ ـ تعني والاشيا هنا أراضي ايوانس دوكاس (الدعو ثيودروس) والمعروفة ايضا باسم دوقية باتراس الجديدة .

٥١ ـ تذكر ل . (فقرة ٢٦٠) أن الامبراطور طلب ٤٠٠ فارسا راكبا من ابوليا ومن المؤكد ان ابن اخيه ما نفرد قد ارسل هذا العدد من الفرسان وهناك حتى ايحاء من المؤرخ غريغوراس بأن مانفرد نفسه جاء معه . انظر م ديزياص : « الملك مانفرد صاحب صقلية ومعركة بيلا غنيا » في ذكرى شارل ديهل (باريس ١٩٣٠) ١ / ٥٥ ـ ٦٠ وكتاب رنسمان « العشاء الصقلي » (كمبردج ١٩٥٨) ص ٢٩٩ حاشية ص ٤٧ حيث حذف هذا وقدم اشارات للمعركة .

٥٢ ـ يضيف ل . أن غوليوم وجه أوثون دي لاروس ، نائب واخا غي الذي كان لايزال في فرنسا ، واقطاعيه الاخرين ان يكونوا مستعدين لحملة الربيع (فقرة ٢٦٢) .

٥٣ ـ ترتبط هذه الاسماء بالاسر الحاكمة للاباطرة البيزنطيين للقرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر ، ووصلت اسرة أمير ابيروس اثنين منها ، إن حملة ميكائيل باليولوغوس ضد ميكائيل الثاني في ابيروس لم تكن بقيادة ايوايذس ابن الاخير . بل ايوايذس باليولوغوس أخو الملك .

٥٤ ـ كان ميكائيل الثامن في / ١٢٣٤ / على هذا فقط في الخامسة والعشرين من عمره ، وقت معركة بيلاغونيا ، وفي الواقع ان إحدى النواحي النبيلة في ولايته هو السن المبكر الذي حقق فيه نجاحه ، ووصفه بانه يمكن أن يعني فقط ان المؤرخ كان حيا خلال السنوات الختامية من حكمه ، وعليه فقد عرفه « كميكائيل المسن » أو أن مخبريه عرفوه هكذا ، ويناقش شمث في مقدمته للحولية مثل هذا التعبير والالماعات (ص ٣٩ ـ ٣٨) ولكن يبدو أنه قد تجاوز عن هذا بشكل خاص .

٥٥ ـ تشير كلمة بيرغوس هذه الى ثباثوبيرغوس وهي مدينة قرب راس دريباذون .

٥٦ ـ سايدروبورث (البوابة الحديدية) ، او هرقلية القديمة ، وهي نقطة محصنة تقع في الجبال التي تفصل دوقيات أثينا ونيوباتراس ، قرب قرية الفيثروكوربون الحالية على الطريق العام اثينا ـ لاميا ، في إقليم فيثوتس وماتزال بقايا قلعة (سايدروكاسترو) • التي كانت تحمي البقعة ظاهرة للعيان ويحتمل ان سهل سالاثيذوس يقع قرب ليانو كلا دي الحالية ، وهي قرية قرب نهر هيلاس (سير جنيوس) بين لاميا . زيتوني) وهيبات (نيوباتراس) انظر ل . ص ١٥٦ حاشية ١ / ٣٦٣٤

٥٧ ـ بلا شك ان نيوباتراس هي المعنية هنا ، وكانت زيتوني (بالفرنسية غريبتون أو غيتون) اسما من العصور الوسطى للاميا ، ومن أجل زيتوني ونيوباتراس راجع فهرس م .

٥٨ ـ من الواضح أن هذه الفقرة بكاملها زائفة ، إذ أن أمير المورة جاء إلى والاشيا كصديق وقريب وحليف .

٥٩ ـ كانت كاتا كولون نقطة محصنة ، وربما ممرا على الحدود بين تساليا ومقدونيا ، ويحتمل أنها لم تكن بعيدة عن مدينة سارانتو بوروس الحالية ، ويدين الاسم بأصله الى أرض مجاورة كانت مملوكة لاحد أعضاء الاسرة البيزنطية العظيمة كاتا كالوا ويحتمل أيضا أن هذا أصل كاتا كالون ايليس وانظر ك . ص ١٥٨ الحاشية على ١ / ٣٦٧٤ .

٦٠ ـ ماتزال خرائب هذه القلعة من الممكن مشاهدتها في سرفيا التي تقع الى الغرب والى الشمال قليلا من أوليمبوس .

٦١ ـ هذه فقرة غامضة بشكل خاص ، ولكن هذه القراءة يبدو أنها معقولة أكثر .

٦٢ ـ بيلا غونيا ناحية في الشمال الغربي من مقدونيا ، والمدينة الرئيسية فيها هي مونا ستير وهي في الاصل حوض تملؤه بحيرة مثل أوكريدا وبرسبا وقد انصرفت مياهها في أعالي غابة شيرنا

تاركة منطقة من الحقول الواسعة ، وفي هذه الحقول عند نقطة قرب مونا ستير وتدعى حاليا فوريلا . حدثت معركة بيلاغونيا في تشرين أول / ١٢٥٩ / وكانت مونا ستير في العصور الوسطى مقرا للمطران الذي يحمل لقب بيلا غونيا ويبدو أن هذا اللقب قد أطلق فيما بعد على المنطقة ككل (انظر ك . ص ٥٩ الحاشية على ١ / ٣٦٩٤) . وقد تمت تغطية المعركة نفسها من قبل مؤرخين يونانيين معاصرين ومتأخرين ، بينهم أكروبوليت . وباكيميروس وغريغوراس واسفرانتزس انظر أيضا م . ص ١١١ ــ ١١٢ ، ز ص ١٥ ، ١٩ ، ٤٢ ودراسة دنديا س (الملك مانفريد) وأفضل الاعمال الحديثة عن الموضوع هي أعمال ديذوح ، جينا كوبلوس ولاسيما كتابه الامبراطور ميكائيل باليولوغوس والغرب (كمبردج ١٩٥٩) ص ٥٩ ويعطي رنسمان صورة للمعركة في كتابه . العشاء الصقلي) ص ٣٩

٦٣ ــ قدم هذه الطرائق الاستراتيجية جورج اكروبوليتس في تاريخه (تاريخ ١٠ الاوبرا) طبعة هايزنبرغ (لايبزغ ١٩٠٣) الفصول ١٦٥ ــ ١٧٠ .

٦٣ ــ هذه العبارة الاخيرة مأخوذة من ب .

٦٥ ــ تظهر هذه الرواية أيضا في ل . (الفقرات ٢٨٢ ــ ٢٨٤) وفي ل . ف (الفقرات ٢٦٣ ــ ٢٦٤) وتوجد القصة أيضا في كتاب غريفوارس (تاريخ بيزنطة ب ك ٣ ــ فصل ٥ ــ ٣٦) حيث تختلف التفاصيل تماما ◦ وطبقا له هيمن الجاسوس على ميكائيل حتى يترك حلفاءه في منتصف الليل ، بأن أخبره بأنه كان في خطر من هؤلاء الحلفاء أنفسهم ◦

٦٦ ــ إن القول إنهم كانوا أصحاب لسان واحد قول غريب ، لان الحولية نفسها تبين أنه كان هناك يونان موريون في صفوف الفرنجة ولاتقول شيئا عن القوات اليونانية من الامبراطورية ، وقد اقترح كالوناروس أن الرواية مفارقة تاريخية من جانب المؤرخ ، ومن الواضح أن هناك أدلة وافرة على هذه ، ففي الزمن الذي كتبت فيه حولية المورة أصبح الفرنجة ناطقين باليونانية ، وقد أسقط المؤرخ على الماضي ببساطة حالة كانت حقيقية في زمانه . إن هذا التفسير مقبول على ما أعتقد أكثر من اقتراح أنه في وقت مبكر يعود الى ١٢٥٩ كان يمكن القول إن الفرنجة واليونانيين كانوا يتكلمون بلسان واحد وهو أمر واضح السخف ولو كان كالوناروس مصيبا فإن الرواية مع ذلك تدل على تمثل سريع مدهش لدى الفرنجة ، ويمضي خطوة أخرى أيضا ليذكر أن حولية المورة التي كتبت في الاصل بالفرنسية ، كان لابد أن تترجم الى اليونانية حتى يتسنى للفرنجة فهمها إن كل هذا البيت من الحولية تضعفه حقيقة أنه في الفقرات التي تبدأ م٢ / ٣٩٨٦ و ٤٧٢١ ، فإن أعداءهم يوصفون بأنهم متعددو الالسن وغير متجانسين ، في حين أنهم يقولون عن أنفسهم بأنهم من عرق واحد وواضح أن هذا لايشمل اليونانيين والفرنجة ، بصرف النظر عن مقدار التزاوج الكثير المتبادل الذي وقع ، وهذا يوحي بامكانية أن هذه الاقوال راجعة الى انحياز المؤرخ الشديد للفرنجة البادي في كل حولية ، وقد يعني المؤرخ أنهم كانوا جميعا يتكلمون الفرنسية متغاضيا عن الفرق اليونانية في رغبة منه لتأكيد الأعمال الفرنجية . انظر ك . ص ١٦٥ الملاحظة على ١ / ٣٨٤٠ .

٦٧ ــ إن أسباب الارتداد المفاجيء لميكائيل عشية المعركة غامضة ، حيث أن المصادر ليست متفقة دائما والتفسير الأكمل والأكثر احتمالا يعطيه باخيميرس الذي يتمسك بأن المتاعب نجمت عن نزاع بين ايوانيس الابن غير الشرعي لميكائيل وفيلهاردين وشكاايوانيس من أن زوجته قد أهينت من قبل بعض فرسان الفرنجة وعندما تعرض لتلميحات مهينة حول مولده لجأ الى الاعداء ، وقد حذر أبوه مما كان يخطط ابنه ، وهرب الى أراضيه (بـاخيميرس ١ / ٨٣) ويقبل ميلر (ص ١١١) هذا التفسير .

٦٨ ــ كالعادة إن هذا النقد الساخر للروم قد حذف من ب . حيث إن / ٣٩٣١ و ٣٩٣٤ ٣٩٣٩ مفقودين ، ومن أجل أخوة الدم أو الاخوة بالتبني انظر س . كيرياكيدس في دائرة المعارف اليونانية الكبيرة ١ / ٥٦٩ ــ ٥٧٠ .

٦٩ ــ انظر ل (فقرة ٢٩٤) حيث قراءة مختلفة .

٧٠ ــ أشير الى دوق كارنثيا ثلاث مرات في الحولية : هنا كقائد للالمان ، وفي ٢ / ٤٠٢١ حيث

توصف وفاته وفي ١ / ٧١٠٣ حيث يصور كواحد من رفاق كونرادين في معركة تاجليا كوز . ويفترض شمت ان كل هذه الابيات تشير إلى الرجل نفسه مع أنه لايفسر ظهورة في تاجليا كوزو بعد موته بتسع سنوات في بيلاغونيا . ويعرفه بوشون في (أبحاث تاريخية : ١ / ١٣٥ حاشية ٣) على أنه أولريش الثالث صاحب كارنثيا ، ولكن كما يبين كالوناروس (ب١٧ حاشية ١ / ٤٠٢١) من المعروف أن هذا الرجل كان حيا حتى ١٢٦٩ . ويضع كالوناروس في الحاشية نفسها تفسيره القب « دوق كارنثيا » ويدعى أن دوق كارنثيا الذي حضر معركة بيلاغونيا لم يكن شخصا حقيقا بالمرة ، بل شخصية زائفة ، اصطنعها المؤلف كرمز للشجاعة الاستثنائية . ويبين أن اسم لورد كارتيانيا في ل . هو « سيد كارتيانيا » وفي الفقرة المتعلقة بالشخص موضوع البحث هنا (الفصل ٢٠٧ وماليه) ، يوجد تشويش بين أمير كارتيانيا الذي يدعى سيد كارينا ، وهذا الدوق دوق كارنثيا ، الذي يدعى « دوق كارتيانيا . إن دوق كارنثيا في نظره شخص خيالي ، وقد أعطي هذا اللقب تحت تأثير الاسم المألوف أكثر كارتيانيا .

٧١ - هناك فاصل في ها . عقب ١ / ٤٠١٥ ، وهذه العبارة مأخوذة من ب . حيث تحل محل ٢ / ٤٠١٦ - ٤٠١٨ ، وبعد الفاصل مباشرة في ها . عبارة منفصلة مع أنها لامعنى لها في ذاتها ، ويبدو أنها توازي المعنى في السطر المقابل من ب .

وقد حذفت هذه العبارة . وقد يلاحظ القارىء مع ذلك أن معنى العبارة يدل على أن المؤرخ يقدم نفسه إلى إلى مستمعين من الفرنجة ، وليس من اليونانيين .

٧٢ - تظهر هذه العبارة التصويرية ايضا في ل . (فقرة ٢٩٧) ول دي ف (فقرة ٢٧٦) .

٧٣ - يفسر شمت (فهرس ، ص ٦١٧) هذه الكلمة « زخة من السهام » ويبين كالوناروس مع ذلك (ص ٢١٢ حاشية ١ / ٥٠٨٧) أن هذا غير صحيح .

٧٤ - تعطي المصادر اليونانية الرئيسية الثلاثة حول المعركة : اكروبوليت (ص ١٧٠) باخيميريس (١ / ٨٦) وغريغوراس (١ / ٧٥) رواية أكثر تفصيلا عن استسلام غوليوم . وعندما رأى أن المعركة خاسرة عمل على انقاذ نفسه بالاختفاء في كومة قش أو في بعض الادغال الكثيفة ولكنه اكتشف وأسر من قبل بعض القوات اليونانية التي عرفته من سنه الامامية البارزة وكانت هذه سمة مميزة مشهورة له حتى إنه كان يسمى بذي « السن الطويلة » وأسر اخرون من خيالة الفرنجة من منطقة بعيدة تصل الى بلاتامون وأماكن أخرى ، نقرا : « وتحدث الامير غوليوم بكل شجاعة وطلاقة وحكمة ... (فقرة ٣٠٨)

٧٦ - يستمد ساثاس هذه الكلمة من جاكتاريوس « جندي من المشاة يحمل رمحا » وتأخذ الكلمة معنى بائس أو تعس .

٧٧ - إن ل ١ / ٤١٨٣ مأخوذة من ب .

٧٨ - من الواضح أنه خطأ من جانب المؤرخ لان القسطنطينية في ذلك الوقت ١٢٥٩ كانت ماتزال في أيدي الفرنجة . ويعرض اكروبوليتس معلومات أن الجرحى قد عولجوا في لامباسكوس على الدردنيل بحضور الملك .

٧٩ - بسبب التثبيط بفعل حياة سنوات السجن الثلاثة وسقوط القسطنطينية في ١٢٦١ صمم غوليوم في نهاية ١٢٦٢ أن يحصل على حريته باي ثمن ، وفي هذا الوقت كان موقف ميكائيل قد لان نوعا ما على هذا أبرمت في تلك السنة معاهدة بينهما ، وكان تأثير المعاهدة الدائم على تاريخ المورة التالي موضع نقاش مفصل من قبل زاكيثينوس (ص ١٥٠ - ٢٥) وطبقا لشروطها سلم غوليوم مايلي : القلاع الثلاثة في مونمفاسيا ، ومين الكبرى ، وميسترا ، وكما تذكر كل المصادر ، فإن كورنث التي تذكرها ل . ف قد وعد بها ، ولكنها لم تسلم (فقرة ٣٠٧) ، وغيراكي » وجميع مناطق البند حول كنستزيا أضيف الى القائمة من قبل باخيميرس وعلاوة على ذلك اصبح غوليوم تابعا للامبراطور ، وكان عليه أن يحمل لقبا يدل على تبعيته . وفي مقابل كل هذا منح غوليوم حريته ومرتبة دمستق أو « المارشال العظيم » كما ذكر في ل دي ف (فقرة ٣٠٥) ، ويبدو أن اتفاقية أخرى قد أبرمت لتنظيم مستقبل العلاقات بين المورة والامبراطورية ، ومع الغموض نوعا ما يبدو

أن شروطها قد وطدت سلطة الامبراطور على غوليوم والمورة ، وعززت المعاهدات بتوكيد الصداقة الابدية ، وجعل ميكائيل من غوليوم عرابا لابنه ، وهكذا حصل ميكائيل على موطىء قدم في المورة لاعادة الغزو في النهاية لشبه الجزيرة من قبل اليونانيين . ملاحظة في ١ / ٤٣١٩ ذكر الحرس الفارنجي الذي يحتمل أنه قد أعيد تأسيسه في نيقيا بعد ١٢٠٤ . انظر جينا كوبولوس (امبراطورية ميكائيل باليولوغوس ص ٤٣ وحاشية ٥٧)

٨٠ ـ لقد كان في الواقع ابن حميه ، انظر أعلاه ص ١٦٧ حاشية ٣٢ .

٨١ ـ وطبقا للوغذون (ص ٢٢٩) ترك غي دي لاروش لدى سماعه عن كارثة بيلاغونيا فرنسا على عجل ووصل الى اليونان في ربيع ١٢٦٠ وعاون الأميرة في المجلس الذي جمعته والذي كان « نوعا من أنواع مجالس الحرب » ، وشخص ميلر مع ذلك الحالة بصورة مختلفة (ص ١١٤ ـ ١١٧) وبعد بيلاغونيا ، كتبت الاميرة اناكومينا دو كابنا الى غي وكان لايزال في فرنسا وعرضت عليه منصب نائب اخيا الذي قبله ، وعندما سمع بأخبار اتفاقية غوليوم مع ميكائيل جمع برلمانا ، كما كان واجبه لمناقشة الامر . وفي كلتا الحالتين عقد برلمان في ١٢٦٢ على ما يبدو برئاسة الاميرة (ز . ص ٣٠) وكان مؤلفا مع استثناءين كله من النساء إن هذه الحقيقة الاخيرة مثال مذهل على غياب القانون السالي في المورة لأن السيدات كن هناك كوريثات أو ممثلات للامراء الذين قتلوا أو أسروا في بيلاغونيا ، وتوقشت أهمية البرلمان النسائي في كل التواريخ حول تلك الفترة وبشكل أكثر تسلية في كتاب المركيز تيريردي اوراي « برلمان السيدات في القرن الثالث عشر » أكاديمية العلوم والاداب والفنون الجميلة في بيسانكون (بيسانكون ١٨٨١) ص ٢٠٥ ـ ٢١١

٨٢ ـ كان ليوناردو أوف فيرولي مستشارا في المورة وخادما مجتهدا للاميرة . مثل غوليوم في مجلس فيتربو في ١٢٦٧ وشهد المعاهدة ، وأخذ دورا فعالا في القضية المشهورة لمرغريت باسافا ونظم معاهدة أورفيتو في ١٢٨١ ، وجمع ثروة كبيرة خلال فترة عمله في مهنته ، ومكتبة صغيرة ، مخزونها ليس قليل الاهمية (انظر م . ص ١٥٣) وكان بييردكاثو (الذي سماه نبتيون فانت في فهرس طبعته من الحولية) رجلا محترما من الحاشية في المورة وحليفا وثيقا للامير . ويشار اليه دائما في الحولية بعبارة « الرجل الحكيم » أو الاكثر حكمة .

٨٣ ـ أخفق المؤرخ في ذكر السبب الحقيقي في ان شروط الفدية قبلت ، مما أقلق النساء على أزواجهن ، وتذكر ل دي ف أن النساء عندما سمعن انه اذا لم تسلم القلاع فإن الامير ورجاله لن يطلق سراحهم أبدا ، « وبدأت الاميرة وزوجات البارونات اللاتي كان أزواجهن في السجن بالصياح بصوت عال » قائلات انهن يردن عودة أزواجهن ، وانهن يردن تسليم القلاع موضوع البحث للامبراطور » (فقرات ٢٩٨ ـ ٣٠٤) . ويدعى سانودو من جانب اخر ان غي ناضل لاقناع السيدات بأن الأمير سيفتدى بأي ثمن (انظر ز)

٨٤ ـ على مايظهر ان هذه كانت نوعا من المذكرة التي كان عليه أن يبرزها لأمري القلاع ، والتي تعطيه سلطة تسليم القلاع باسم الامير ، وبعد هذه الكلمة في ه . يوجد انقطاع في المخطوط . وهناك صفحة مفقودة بكاملها ل ١ / ٤٤٦٩ ـ ٤٥٣٥ مأخوذة من ب . انظر ادناه ص ٢١٣ حاشية ١٢ .

ها

٨٥ ـ كانت مرغريت باسافا ابنة جان الثاني دي نويلي المارشال بالوراثة وبارون باسافا الذي تزوج ابنة لفوتيير الأول دي روزييراكوفا ، وكانت متورطة في القضية الشهيرة الموصوفة في ٧٣٠١ ـ ٧٧٥٢ . وكان جان دي خودرون أيضا ابن أخ الامير غوليوم .

٨٦ ـ تضيف ل دي ف . أنه ذهب أولا إلى يوربيوس ، حيث استقبل بتشريف ثم الى طيبة حيث قدم له الأمير حسن الوفادة وصحبة الى نيكلي (فقرة ٣٠٩) ، وبينما كان في طيبة وقع معاهدة مع البندقية (انظر م . ص ١١٧) .

٨٧ ـ هذا الكانتاكوزينوس كان ميكائيل كانتا كوزينوس وكثيرا ما يكتب « كانتا كوزين » وهو عضو في أسرة بيزنطية قديمة وهامة استوطنت في ميسينا في زمن الغزو الفرنجي ، والاكثر احتمالا

أنه جد الامبراطور فيما بعد جون كانتا كوزين (١٣٧٤ ــ ١٣٥٥) ويشار الى ميكائيل في هذه الفقرة على أنه الحاكم الامبراطوري لميسترا ويحتمل لمونمفاسيا في ١ / ٤٥٤٨ بينما في ١ / ٤٦٣٥، يذكر أنه أرسل إلى المورة مع قوات بعد تفجر المشكلات . انظر ادناه ، ١ / ٤٦٢٩ والملاحظة في الحاشية .

٨٨ ــ بالنسبة للبواعث التي قادت غوليوم الى خرق معاهدته مع ميكائيل بسبب ردود فعل الامبراطور . انظر المناقشة الرائعة في ز . ص ٢٧ ــ حيث ربط موضوع الحرب بالحالة الدولية لتلك الفترة .

٨٩ ــ إن هذا هو الاسم المعطى للقائد العسكري أوكابتن وايضا للحاكم البيزنطي الامبراطوري في المورة .

٩٠ ــ تذكر ل . والحولية اليونانية أنه قد أرسلت حملتان واحدة بقيادة ماكرينوس والثانية تحت قيادة كوستانيتوس باليولوغوس . ويذكر باخيميرس (١ / ٢٠٥ ــ ٢٠٦) أن الامبراطور قد أرسل على الفور حملة بقيادة أخيه كونستانتيوس بصحبة الباراكو مومنيوس ماكرنيوس والكسيوس فايليس ، ويقترح ملر (ص ١٢٢) ربما تحت تأثير جاء في الحولية من روايات أن تعزيزات قد أرسلت في حملة ثانية تحت قيادة ميكائيل كانتا كوزنيوس ، ويتبع زاكيثيوس « باجيميريس الذي يجد أن معلوماته » أكثر احتمالا ، ويذكر فقط حملة واحدة ويضع كانتاكوزنيوس حاكما في مونمفاسيا كل فترة تفجر الحرب (ص ٣٢ ــ ٣٣ وحاشية ٣ ص ٣٣) وطبقا لزاكيثيوس (المصدر نفسه حاشية ٢) ، احتلت عائلة ماركينوس مركزا ذا اهمية كبيرة تحت اباطرة الباليولوغوس ، ومع انه كان الباراكوا مومنيوس أو (الحاجب الكبير في البلاط) ، ويبدو أنه ليس هناك صدقفي رواية ان ماكرنيوس كان ابن عم الامبراطور .

٩١ ــ درنغوس عرق كبير قد يشير إما إلى درنغوس سكورتا أو إلى درنغوس الميلنغز ، وفي هذه الحالة في رأيي إنها تشير إلى الأخيرة وعن موقع غادر اليغوس من قبل شمث (فهرس ص ٦٢٤) على أنه مكان في لاكونيا شمال فاتيكا ومونمفاسيا وهيلوس ويذكر كالونارس (ص ١٩١ حاشية ١/ ٤٥٧٦) أن الاسم مستمد من الدراغاليغوس الحالية وهي مدينة في جوار تساكونيا وقرب هاغيوس بتروس .

٩٢ ــ انظر اعلاه ص ١٥٧ حاشية ١١ .

٩٣ ــ كانت التاريت نوعا من المراكب التجارية ، مراكب البضائع وتظهر الكلمة في اللاتينية تاريدا أو تاريتا في كتاب دوكانج التي يستمدها من الكلمة العربية طريدة . ويصفها يوجين بيرن في كتابه « ملاحة الجنوية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (كمبردج ١٩٣٠) ص ٥ على انها سفن أثقل وأبطأ من الشواني مزودة بمجاذيف وطاقم كامل من الاشرعة على صاريين ، ونقل الجيش في سفن جنوية ووصل الى مونمفاسيا على التوالي مستهل ١٢٦٣ ، وفي الوقت نفسه احتل الاسطول البيزنطي تحت قيادة فيلانثروبينوس بعد نهب السيكلاد السواحل الجنوبية للاكونيا انظر ز . ص ٣٣ والملاحظات .

٩٤ ــ كانت هذه من القاب البلاط ، والاخير ربما مستمد من الكلمة التركية « شاويش » ، وذلك طبقا لكالوناروس .

٩٥ ــ تقدم ل دى ف . عند هذه النقطة قصة غريبة لاتظهر في الروايات الاخرى ، وتذكر ان يونانيي كاريتاينا بقوا مواليين لأميرهم الفرنجي وساعدوه في ايقاع شديد بالقوات الامبراطورية ، وكي يتمكن القائد اليوناني من إجبارهم على التخلي عن الفرنجة حرر بعض الرسائل المحرجة على صورة أجوبة على مراسلات متقدمة من يونانيي كارتيانيا واسقط هذه الرسائل في غرفة قصر أمير فرنجي ، كما لو كانت قد سقطت بالصدفة وكان الامير جيوفري على اي حال داهية جواد شديد الثقة في ولاء تابعيه حتى لاينخدع بهذه الحيلة الفجة ، واستدعى اليونانيين واطلعهم على الرسائل ، فبدأوا بالبكاء وأخرجوا مناديلهم التي اعتادوا مسح وجوههم بها ، ووضعوها حول أعناقهم واقسموا على براءتهم ونصبوا معاقفا . وتظاهر الاتباع اليونانيون بالتفاوض مع القوات

الامبراطورية وفي النهاية قادوهم الى كمين حيث قتل كثير منهم (فقرات ٣١٢ ـ ٣٣٠) ثم تتابع الحولية فتذكر ان جيوفري دي برويير وقع في حب زوجة تابعه جان دي كانافاس وهرب معها الى ايطاليا (فقرات ٣٣٢ ـ ٣٣٤) ، وبلا شك ان غيابه في تلك اللحظة الحرجة ، والثورة الناجحة للسلاف لصالح اليونانيين كانت ضربة خطيرة لامير الدورة (انظر ابناه ٢ ، ٥٦٥٣ و ٥٧٣٩) .

٩٦ ـ يدعي سانودو (ص ١١٦) ان فرقة اثينية قد وصلت .

٩٧ ـ وكما ذكر اعلاه في كل الاحتمالات ارسلت حملة واحدة ، وهذه كانت تحت قيادة كونستانتيوس وتذكر دي ف . أن اليونانيين طلبوا المساعدة وأن الامبراطور أرسل اخاه وكانتا كوزينوس الذي كان ، صهر الامبراطور كانتا كوزينوس الذي يحكم اليوم (فقرة ٣٣٥) .

وكان كانتاكوزيتوس امبراطورا من ١٣٤٧ الى ١٣٥٥ .

٩٨ ـ عند هذه النقطة هناك انقطاع خطير في ل . حيث تختفي ست صفحات تتوافق مع ٢ ، ٤٦٦٤ ـ ٥٠٤٥ من النص اليوناني .

٩٩ ، إن هذا ليس جبل هلموس في اسيابل قمة اكثر انخفاضا في الجبال الواقعة بين

ليكيمونيا وأركاديا وتقع قرب ميليفوستي . وهي في اعالي نهر اليوروتاس حوالي منتصف الطريق على الطريق ما بين ليكيمونيا وكاريتانيا .

- ٤٩٧٩ -

١ ـ تميز الحولية هنا بين القلعة والمدينة المحيطة او القرية (الربض) انظر اعلاه : ١ / ١٦٨٧ والحاشية .

٢ ـ إن هذه إشارة إلى رافد نهر الفيوس . ويذكر كالوناروس في حاشية مطولة ومفصلة جدا (حاشية ١ / ٤٦٦٧ ص ١٩٦) أنه بفضل نظام الصرف المعقد في المنطقة ، كان المؤرخ والسكان على ما يبدو في المنطقة ايضا ، عاجزين عن التمييز بين المجرى الرئيسي والروافد العديدة ، وكنتيجة كان المجرى الرئيسي يسمى خطأ بالرافد كما هنا في ١ / ٤٦٦٨ في حين ان اكبر الروافد وهو اللادون كان يظن انه المجرى الرئيسي ، واللادون هو ذلك الجزء من الالفيوس الذي تحت موضع الاتصال وكان يدعى الروفياس في اليونانية العامية ، وهو تحريف لالفيوس في حين أن اسمه الفرنسي كان شاربون وبكلمات اخرى كان اليونانيين يتبعون المجرى الرئيسي للالفيوس ، بينما يذكر المؤلف انهم اتبعوا رافدا من كاريتانيا الى ليودورا (١ / ٤٦٦٩) النقطة التي يلتقي عندها اللادون بالالفيوس . واسم ليودورا مستمد من لادون ويدل على بلدة ، والمنطقة المحيطة بها وهي تقع قرب ناحية هيرايا القديمة .

٣ ـ إن خرائب الدير اللاتيني لسيدة ايزوفا ماتزال باقية ، وتشرف على الالفيوس قرب مدينة ميزمباردي الحالية .

٤ ـ إن هزيمة بيزنطة والتي وقعت في برنيتسا ليست موضع شك ، لان كل روايات الحولية تذكرها ، وهي مؤيدة من قبل سانودو (ص ١١٨) ، ومع ذلك فإن التفاصيل كما هي واردة في الحولية اليونانية واضحة الاختلاف ، ولاتتفق الحوليات نفسها حول ما حدث بالضبط ، ويبقى بلا تفسير حتى اليوم كيف هزمت مثل هذه القوة المتفوقة المهيمنة على يد ٣٠٠ أو ٣١٢ فارسا .

٥ ـ لقد كان مرضه بلا شك السبب في هرب زوجته مع أمير كاريتانيا (انظر أعلاه ص ٢٠٥ الحاشية ٩٥) .

٦ ـ يحدد ليك (بدلوبونير ياركا ص ١٤٤ ، ١٥٥) هنا بانه ممر ضيق في حوض نهر الالفيوس بين كريستينا وبرنيتسا . ولا يضيف دار غوميس (ص ١٣٣ حاشية ١) شيئا اكثر تحديدا بالنسبة لموقعها .

٧ ـ يدخل كالونارس هذا البيت من ب . في هـ . ويعطيه رقم ٧٣٧ ب . ولايعطي تفسيرا ولايشير شمت إلى اي فراغ مع انه يشعر انه من الضروري من اجل اكتمال معنى العبارة التي تليه .

٨ ـ قرية برنيتزا لم تعد موجودة ، وكانت تقع قرب مدينة فيليزا الحالية قرب أوليمبيا .

٩ ـ إن شمت كما أعتقد محق في بيان دلالة هذه العبارة . وهي تستعمل دائما مرتبطة مع اسم قريب او شخص معروف جيدا ممن ماتوا في فترة حياة المتكلم او قبله بوقت غير طويل . انظر مقدمة س ٣٨ .

١٠ ـ هذه الكلمة لقب يوناني للسباب تعني أحمق في متى ٥ / ٢٢ ، يحظر المسيح على اتباعه استعماله .

١١ ـ يدعي دراغوميس الذي يحدد برينتزا قرب مدينة بيرى الحالية (ص ١٣٦) إن ليفتزا تتعلق بمدينة فيرفيتزا قرب غورتيميا في اليس وكابيل ناحية مشجرة في المنطقة نفسها .

١٢ ـ هذه عبارة مزعجة وقد فسرتها لتعني انهم هربوا تجاه معسكر ذلك الجزء من الجيش ، الذي كان يحتفظ به كاحتياطي ، ولم يشترك في المعركة ، وهذه النقطة تعلم فراغا كبيرا اخر في ها . ل ١ / ٤٨٥٤ ـ ٤٨٧٤ ، ماخوذ من ب ومع ذلك فإن فراغا يتبع ١ / ٤٨٧٤ في ب . ايضا . وكنتيجة مع ان السطر الاول في هل . بعد انقطاع قد أعطى الرقم ٤٨٧٥ للابقاء على توالي السطور فإن هناك شيئا ناقصا بعد السطر الاخير من ب قبل الفراغ الذي هناك ، والبيت الاول في ها ، بعد متابعة النص . ويفسر شمت في حاشية بإن هذه الثغرات (ص ٣٢٠) تدل على ان صفحتين كاملتين ناقصتان من المخطوط ، وهو يقترح أن هذا قد يدل على ان اليوناني الوطني ، وقد غلبه الغضب من الملاحظات المحطة بالقدر حول اليونانيين في هذه الفقرات ، مزق الصفحتين في

غضب ، ومع ذلك يبين كالوناروس بوفاف نقاطه (ص ٢٠٤ حاشية ١ / ٤٨٥٣) انه إذا كانت هذه هي الحالة فإن كل الروايات الموجودة للحولية باليونانية إما مدمرة او مشوهة . ومن المهم ان الثغرات تظهر في وصف معركة برنيتزاليس فقط في النصوص الثلاث للرواية اليونانية بل في الروايات الفرنسية والايطالية ايضا .

١٣ ـ مدينة في مكان ما بين برينتزا واندرفيدا (انظر أدناه ص ٢٢٢) ومن اجل فليزيري انظر أعلاه ص ١٣٨ حاشية ٧٦ .

١٤ ـ إن هذا يعلم نهاية الفقرة المأخوذة من ب . واستئناف هـ . ومعنى العبارة الاخيرة غامض ، لان بداية الجملة ناقصة وعلى ما يظهر ان ما احزن الأمير ان الدمستق قد هرب ، وانه عندما هزم ، كان حتما أكثر خطرا من قبل .

١٥ ـ يحتمل انها معادلة ل « كل ما يزرعه الانسان ، يحصده ايضا » .

١٦ ـ إن سهل سبيكوس هو سهل آسيا القديم ، وهناك كلمات طبقا اشمت (فهرس ص ٦٣٩) وتدل على منطقة مرزغية ، وهنا يشير إلى الارض المرزغية المسماة فرانكو فريزيز اليوم والتي تقع في وسط السهل الذي يدعى الان سابوليفا دو المراعي الفتنة ومنابع الالفيوس في هذا المستنقع (انظر ز . ص ٣٦ والحاشية . ك : ص ٢٠٩ حاشية ١ / ٥٠٢٢ درا غوميس ص ٦٨) .

١٧ ـ إن الاشارة هنا يبدو انها الى آلة حربية او قوس كبيرة ، او عرادة وطاقمها لان القوس كان مثل هذه الالة .

١٨ ـ من اجل سيرجيانا انظر أدناه ص ٢٢٢ حاشية ٢٤ .

١٩ ـ يجب تذكر أن كلمات مثل سرايا وفيالق يقصد بها تقريب الاصطلاحات اليونانية الصعبة الترجمة بدقة . ومن اجل مناقشة هامة للجيش البيزنطي انظر كتاب أومان « تاريخ فن الحرب » وهو عمل موثوق في تنظيم الجيش البيزنطي .

٢٠ ـ تفسر ل دي ف . موت كانتا كوزينوس بصورة مختلفة فتذكر (فقرة ٣٤٢) انه كان يقود قوات المقدمة وركب في الامام ليقوم بالاستطلاع ، وفي طريق عودته تعثر حصانه في حفرة وسقط ، فقفز الفرنجة عليه وقتلوه قبل أن يتم إنقاذه . وهذه الرواية للحادثة أكثر تمشيا مع طبيعة شخصيته من القصة الواردة في الرواية اليونانية والفرنسية للحولية . ويجب ايضا ملاحظة ان ل دي ف تضع الحادثة في سرجيانا قبل معركة برينتزا . وتبرز (ص ٣٩ حاشية ٢) أن الترتيب الزمني في ل دي ف مشوش وان الحادثة دون شك وقعت بعد معركة برنيتزا كما تذكر الحوليات الاخرى .

٢١ ـ تذكر ل دي ف ان الامير تعقب اليونانيين حتى هربوا في الجبال (فقرة ٣٤٤) . وتذكر ايضا انه بعد هذا الانتصار بنى الامير كنيسة سانت نيكولاس في ميسيكي والكنائس الاخرى في اندرا فيدا (فقرة ٣٤٦) .

٢٢ ـ لاتتفق الحوليات فيما يتعلق بثورة الترك الموصوفة في الفقرة التالية ، وتضع ل دي ف المواجهة في ميسيكلي قبل معركة برينتزا ، وتذكر انه قبل معركة برينتزا تخلى ملك ومعه ١٥٠٠ من الاتراك عن اليونانيين وذهبوا الى غوليوم وتوطن هؤلاء بشكل رائع في المورة مع قائدهم الذي تزوج السيدة بالفيدسا (فقرات ٣٥٩ ـ ٣٦٣) ويعطي سانودوا (ص ١١٨) الرواية نفسها للاحداث ، بما في ذلك القول بانها وقعت قبل معركة برينتزا ، وكما حدث من قبل إن المعلومات المعطاة من قبل ل دي ف قد تكون صحيحة ولكن الترتيب الزمني خاطىء ، ومن المؤكد تماما على اي حال انه بعد ان انشق عنه الاتراك ، ترك كونستانتيوس قيادته بين يدي فيليس وماركيفوس وعاد الى القسطنطينية ، وصحيح إذا انه لم يؤسر في معركة ماكرس ـ بلاجي التي تلت ، لا لانه هرب كما تقول ل دي ف (فقرة ٣٧٢) بل لانه لم يكن موجودا (انظر ز . س ٣٩ ـ ٤٠ ، وم . ص ١٢٣ ـ ١٢٥) .

٢٣ ـ كذا بالاصل .

٢٤ – يبدو أن الطريق الذي اتبعه الاتراك كان واضحا نوعا ما ، ولكن الاماكن المسماة في هذه الفقرة صعبة التحديد بدقة ، وغادر الاتراك نيكلي وعبروا الى كاريتانيا . ثم سايروا الالفيوس احتمالا حتى مصب الاريمانثوس ، ثم اتجهوا شمالا عابرين بطريق فليزيري في اتجاه اندرافيدع ، ويبدو أن بيريفاردي كانت تقع بين الفيوس وفليزيرى ° وعلى اي حال يقترح « شمت » (الفهرس ص ٦٩٩) أن بيرغاردس وبوذنيكوس هما الشيء نفسه ولكن اقتباسا من بوشون نجده قد وضع بريفاردي قرب ناحية اليس القديمة على نهر البينوس ، واعتقد أن ٢٠ / ٥٢٠٤ ... في النص أعلاه يوضح أنه لا شيء من هذه التعاريف صحيح ، وواضح أيضا أن سيرفيا تقع بين فليزيرى واندافيدا ، مع أن موقعها الدقيق يصعب ايجاده . ويدعي شمت أنها قرب برنيتزا ، وأن سيرجيانا هو اسم لفرالمدينة نفسها وهذا لايمكن ان يكون لان المدينة كانت تقع على مسافة أقل كثيرا من ركوب يوم من اندرافيدا . ويحتمل أنها تقع قرب بالايوبوليس ناحية اليس القديمة على البينويس ، في المنطقة التي تسمى سيرجيانا في الحولية وكانت سرجيانا في الواقع هي المنطقة التي تقع في الشرق والجنوب الشرقي من اندرافيدا ، وتنصرف مياهها الى البينوس . ويذكر النص (١ / ٥٠٤٦) أن اليونانيين ذهبوا الى ميسيكلي التي كانت تماما شرق سيرجيانا . وتذكر ل دي ف (فقرة ٣٣٩) أنهم ذهبوا الى بالايوبوليس التي كانت على الابينوس ، قرب ناحية إليس القديمة ولامجال للتساؤل إذا أن ميسيكلي وبالايوبوليس كانتا كلتاهما قرب سيرجيانا والاولى منهما إلى الشرق . وسيرفيا أيضا لابد أنها كانت قريبة ، ويتبع إذا أن سيرجيانا ، وسرفيانا ، وسيرفيا لايمكن أن تكون المكان نفسه كما يؤكد شمث لانه يدعي أن ميسيكلي كانت مكانا قرب سيرفيانا (وليست بعيدة · عن اندرافيدا ، بينما يقول إن سيرجيانا وسيرفيا كانتا قرب بيرنتزا ، ومن الواضح أنه قد ضلل بإصراره على أن سيرفيانا وسيرجيانا هما الكلمة نفسها) .

٢٥ – من أجل شؤون دخول دي توسي الى قضايا المورة انظر ٢ / ١٣٠٨ أعلاه وتقول ملاحظة ل . (فقرة ٣٥٧) إنه قد اختير لانه ربي في القسطنطينية ، وكان يعرف عادات ولغة اليونانيين ، وحقيقة أنه كان يعرف التركية (انظر أدناه ١ / ٥٢٤٢) يحتمل أنها كانت عاملا مهما تقول ل دي ف أن ملك قد تصادف أنه عرف دي توسي في القسطنطينية وأنهما قد توصلا إلى تفاهم في سلسلة من الرسائل (فقرتا ٣٦٠ – ٣٦١) .

٢٦ – إن نهر بنيذوس يدعى الياكوس لانه يتدفق على إليس . ويحتمل أنهما التقيا في بالايوبولس . وتسمي النهر « نهر اندرافيدا » (فقرة ٣٥٩) .

٢٧ – ومن هذه النقطة وما بعدها إن الفقرة التالية ٢ / ٥٢٧٢ – ٥٢٨٠ غير مقروءة تقريبا في هـ . وأي كلمات غير محذوفة تتماشى مع ذلك باحكام تام في ب . وعليه فقد استعملت ب ، وحذفت الكلمات المستبعدة والعبارات من تلك الفقرة في هـ .

٢٨ – يذكر ل دي ف أنهم بعد أن عسكروا تلك الليلة اخذ ملك القائد التركي سهمين وأدى بهما بعض فنون السحر التي عرف منها انه ستكون هناك معركة ينتصرون فيها (فقرة ٣٦٥) .

٢٩ – تتعلق كوبرونتيزا بمدينة كوبانتيزا الحالية ، قرب خرائب فيفالا القديمة وفي الغرب والجنوب قليلا تقع مدينة مونترا أو موندرا التي ما تزال تحمل اسمها الذي يعود الى القرون الوسطى ، وتقع كلتا المدينتان على مسافة قصيرة في الشمال الشرقي من سيدروكاسترو .

٣٠ – عند هذه النقطة يبدأ فراغ طويل في هـ . حيث أن صفحة كاملة مفقودة « : ١ / ٥٣٢١ – ٥٣٥٤ مأخوذة » بناء عليه من ب .

٣١ – كما هو مبين أعلاه ، ترك كونستانيذوس المورة قبل معركة ماكرس بلاجي . وكل ما جاءت روايته في الحولية بناء عليه حول وجوده في المعركة إلى الخ .... يجب أن يفهم بأنه يرتبط بفيليس ، وماكريذوس أو كان لاريوس ،ساو كافالارتيسيس

٣٢ – إن كالامي أووا دي كالامي (وا دي كلامسي طبقا ل ل . فقرة ٣٦٧ ، ٧٣٦ ، ٧٤٣ ، ٨٣٠) كان اسم القسم الشمالي من سهل ميسين في العصور الوسطى . وكانت في هذه المنطقة

قرية لاكوس المذكورة في : ١ / ١٧١٩ (انظر اعلاه ص ١٢٠ ، وحاشية ٣٧ (ويبدو ان هذه كانت تعلقت حول مدينة اوفرو (باللاتينية لوترا فقرة ٧٣٦) . ولا تشير كالامي بالقطع الى مدينة بهذا الاسم قرب كالاماتا .

٣٣ ـ ماكري بلاجي (سفح تل عريض) هو الممر الاهم بين وسط البلبونيز ومسنا ويقع الشعب الضيق على مسيرة ساعة من مدينة كورتاغا ، قرب ميغالوبوليس . ويبدأ الممر نفسه عند شاني ماكر يبلاخيو وينتهي عند شاني تسكونا على بعد ساعة واحدة ، وفي الجوار توجد بالابوكاسترو ، نوكلا او نوكالا قرب مدينة ليريني الحالية ، وهذه تعتبر ناحية أوفيا القديمة ، وايضا قلعة القرون الوسطى غاريكي ، وبين الخرائب الكثيرة في الجوار بعض الكنائس البيزنطية .

٣٤ ـ ل . ٥٣٧٩ وهو ناقص في هـ . وقد ادخلت البيت المتعلق عن ب .

٣٥ ـ كذا بالاصل .

٣٦ ـ ل ١ / ٥٤١٢ ـ ٥٤١٤ منب .

٣٧ ـ كان فيليب دي توسي نائبا للامبراطور في كثير من المناسبات بعد ١٢٤١ ، وكان لقبه قيصر (انظر اعلاه ص ١٠٥ حاشية ٩٣) . والمصدر الوحيد حول اسرته في القسطنطينية في زمن ماكري ـ بلاجي هو الحولية . ولكن إذا كان هذا صحيحا يبدو انه قد استبدل بماكرينوس . ١٢٧١ عين فيليب اميرا عظيما من قبل شارل انجو وهو منصب تولاه حتى وفاته في ١٢٧٧ (انظر لغ ص ١٨٢ ـ ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٣٤ ، ٢٥٣ ، ز . ص ٤٢) .

٣٨ ـ لم اتمكن من العثور على ذكر لهذا الرجل خارج هذه الاشارة إليه كسر جندا و تابع فارس لانسين دي توسي .

٣٩ ـ من اجل قلعة غاريكي (غاريخي ل فقرة ٣٧٥ ، ٨٣٠ وغاريسكو ، ل دي ف . فقرة ٧١٤ ـ ٧٢٢) انظر دراغوميس ص ٢٢٧ رقم ٣٣ (ص ١٨٦ ـ ١٨٨ و ١٩٠ ـ ١٩٦) ويناقش مطولا الناحية المحتملة لغاريكي في علاقتها بالجون والمذكورين في النص .

٤٠ ـ من المهم ان اسم نيلس مفقود هنا كما هو في هذه الفقرة . ويميل هنا إلى تاكيد حقيقة ان نسقانتينوس . لم يكن في المعركة ، بل عاد الى القسطنطينية وانه ترك فيلبس نمستقا كبيرا وقائدا للجيش ل ١ / ٥٤٣٠ ـ ١٢ / ٥٤ التي تروي قصة اسر القادة اليونانيين ناقصة في ب . وهنا يبين مرة اخرى انها قد نقلت في وقت ما من قبل كاتب موال لليونانيين .

٤١ ـ وكان الاسرى هم : فيلبس الدمستق الكبير ، الذي توفي بعد ذلك في قلعة كلومودس ، حيث سجن (١ / ٥٥٨١) واليكسيوس كفا لاريوس (ويدعى ايضا كفا لاريتس) الذي اطلق سراحه في وقت ما لانه قاد فيما بعد الجيش البيزنطي (باكيميرس ١ / ٣٢٤) وباراكيمومنيوس ماكرينوس الذي يحتمل انه قد استبدل فيليب دي توسي والذي اتهم بالخيانة وسملت عيناه عند عودته الى القسطنطينية ، وكل الاشارات إلى كونستانتيوس في هذا المجال زائفة ، بما في ذلك قصة انه رشا اسريه ، المروية في ل دي ف . (فقرة ٣٧٧) والاعداد الفعلية كما اعطيت في الحولية هي بالطبع زائفة ، ولكن ان خسائر البيزنطيين كانت كبيرة لايمكن إنكارها ، والمشكلة المعقدة للترتيب الزمني والحوادث الواقعية في معركة ماكري بلاجي نوقشت مطولا في ز . من ٤٠ ـ ٤٣ .

٤٢ ـ ل ٥٥١١ من ها .. يقرأ : إن هذه الامور التي رواها او قالها للدمستق والبيت التالي مختفي وعليه استعملت ٢ / ٥٥١١ و ٥٥١٢ من ب لملء الفراغ .

٤٣ ـ حدث هذا الاحتفال في ١٢٦٢ بعد تحرر غوليوم من السجن . انظر جيانوكوبوليس ، ميكائيل باليولوغوس ص ١٥٥ والحاشية ٧٥ ، .

٤٤ ـ ل : ١ / ٥٥٩٥ ـ ٥٦٢٥ ماخوذين من ب . حيث انهم غير موجودين في ها .

والترقيم الاصلي للاوراق مع ذلك لايدل على اي ثغرة وقد ادى هذا بشمت . (ص ٣٦٤) إلى اقتراح ان ها . لم تكن كاملة عندما رقمت ، او انها لم تحو مطلقا الرواية الكاملة التي في المخطوطات الاصلية .

٤٥ ـ تذكر ل . خطأ أن جين دي سانت أومر قد كلف بحصار ميسترا (فقرة ٣٨٦) . إن هذه مفارقة تاريخية لأنه لم يدخل في الشؤون المورية من زواجه من مرغريت دي تـويلي (باسافا) انظر ٢ / ٧٣٧٠ وز ص ٤١ ـ أدناه .

٤٦ ـ من أجل سكورتا انظر اعلاه / ص ١٢١ حاشية ٣٩ ، لقد كانت القلعة الرئيسة هي كاريتانيا وكانت هناك قلاع اقل شانا وهي اكوفا واراكلوفون (بيوسيليت) ومن أجل يونانيي كارتيانيا انظر أعلاه ص ٢٠٥ حاشية ٩٥ .

٤٧ ـ من أجل مغامرة الامير الجاهل لكاريتانيا انظر أدناه .

٤٨ ـ المعني بالمورة هنا ايليس .

٤٩ ـ يقترح كالوناروس إن هذه المدن تتعلق بالمدن الحالية فونارغون قرب ليتـرينا ورتنتـو قرب أولينا وكلاهما في إيليس . ويوحي أيضا إنه إذا كانت ل . ف . صحيحة في ذكر أن ملك بقي في المورة (فقرة ٣٦٣) . ويحتمل أن مدينة ماليكي قد سميت باسمه وأفراد أسرة ملك هم سلالته (انظر ل . ص ٢٣٦ حاشية ١ / ٥٧٣٨) . وفي مواجهة ص ٢٠٩ من ك . صورة فوتوغرافية لحجر الاساس لجسر كان في العصور الوسطى فوق الالفيوس قرب كاريتاينا . وفي الاهـداء هناك إشارة الى مانويل ملك على أنه المؤسس أو مالك جديد للاقطاعة ، ربما إشارة الى ملك الحولية أو واحد من سلالته .

٥٠ ـ كانت كنائس سانت نيكولاس في بـاري والتـي كانت تضـم جسـد ذلك القديس بعد ١٠٨٧ وكنيسة كبير الملائكة ميكائيل على جبل غارغانو كانتا بعد تلك التـي كانت في روما أهم غايات الحج في إيطاليا العصور الوسطى ، وقد أسس مـانفر مـانفريدونيا في ١٢٦٣ التي تقع إلى الجنوب من جبل غارغانو على الخليج الذي يحمل الاسم نفسه .

٥١ ـ كان مانفرد (١٢٣٢ و ١٢٣٣) الابن الطبيعي للامبراطور فريدريك الثـاني وحسـب شروط وصية أبيه كان ممثلا في إيطاليا لأخيه غير الشقيق كونراد الرابع . وبعـد ١٢٥٤ أصـبح وصيا على العرش لكونرا دين ابن كونراد الطفل . وفي ١٠ اب ١٢٥٨ وبناء على إشاعة كاذبة بأن كونرا دين قد مات ، توج ملكا للصقليين . وبعد ذلك رفض التنازل عن العـرش وبقـي ملكا حتـى وفاته في معركة بينفنتو في شباط ١٢٦٦ ، انظر أعلاه ص ١٧٥ ـ الحاشية ٥١ من أجـل علاقـاته السالفة مع قضايا المورة .

٥٢ ـ ل . ١ / ٥٨٥١ ـ ٥٩٣٤ مفقودة من ب .

٥٣ ـ حول الجريمة السالفة لاميع كارتيانيا إنظر أعلاه ٢ / ٣٢٢٠ و ٣٣٤٨ ومن أجل « الهبة الجديدة » انظر اعلاه ص ١٣١ حاشية ٤٠ ، وفي مناسبة محاكمته القديمة ، لبس حبـل مشـنقة حول عنقه ، وهنا لبس نطاقه . وايضا إنظـر أعلاه ص ٢٠٥ حـاشية ٩٥ حيث وصـف بـونايفو كاريتانيا وهم يعلقون مناديلهم حول أعناقهم ، إن تعليق حبل أو نير حول العنق كان بلا شك علامة على الخضوع والمذلة ، ومن المهم ملاحظة أنه في مين وهي منطقة في اليونان كانت لها سمعة شبيهة بسمعة تلال كنتكي ، كانت هذه العلامة على الخضوع تستعمل حتى وقت قريب نوعا ما مـن قبـل الاعداء المهزومين في الضغائن الدموية التي ساءت سمعة المنطقة بسببها ، وعندما جـاءوا في طلب الرحمة (انظر ك ص ٢٤٢ حاشية ١ / ٨٩٢ وأداماننتيوس (ص ٦٣٠ ، ٦٥٦ ـ ٦٥٧) وهناك أثر قديم في عادة المانويت هو استعمال كلمة مشابهة من أجل الهدنة أو توقف الحزازات الدمـوية وفي كل الحولية تستعمل هذه الكلمة مع المعنى نفسه كما في ١١ / ٦٨٨٢ .

٥٤ ـ كان ريموند ـ بيرنغار الرابع (١١٩٨ ـ ١٢٤٥) كونت بـروفانس والفـور كالكيير وليس أنجو كما تذكر الحولية خطأ ، وكان له أربعة بنات من زوجته بياتريس سافوى مرغريت التي تزوجت لويس التاسع ملك فرنسا في ١٢٢٤ ، واليانور التي تزوجت هنري الثالث ملك انكلترا في وسكاكنا التي تزوجت ريتشارد ، ايرل كورونوول في ١٢٢٤ ، وبياتريس الصـغرى ، وعينت هذه الأخيرة وريثة له من قبل أبيها ولقـب كونتيسة وفي كانون الثـاني ١٢٤٦ تـزوجت أخـا لويس التاسع شارل دي انجو وهكذا جعلت منه كونت بروفانس.

٥٥ ـ هناك مصادر موسعة حول حكم فريدريك الثاني (انظر تاريخ كمبردج العصور الوسطى : ٦ ٨٦٩ ـ ٨٧٤) إن التفاصيل كما هي في الحولية كالعادة غير صحيحة ولكن فيها بعض الحقيقة ، وجرى حرمان فريدريك من قبل غريغوري التاسع في ٢٩ أيلول ١٢٢٧ الحنث بقسمه بالذهاب في الحملة الصليبية ، وروجع الحرمان في يوم الخميس المقدس ٢٣ آذار ١٢٣٩ ووعظ غريغوري يوم اثنين عيد الفصح ضد فريدريك ولكن الرومان الغاضبين طردوه من كنيسة القديس بطرس ، وكان عليه أن يغادر روما لمدة عامين .

٥٦ ـ من أجل مانفرد إنظر أعلاه ص ٢٣٨ حاشية ٥١ .

٥٧ ـ ل : ١ ٥٩٧٧ ، ٥٩٧٩ ، ٥٩٨٠ مفقودة في ه . وقد أُخذت الابيات المتعلقة من ب .

٥٨ ـ جرت محاولات متكررة من البابوات لاقحام شارل في الشؤون الايطالية وتلك المحاولات جرت في ١٢٤٠ ـ ١٢٤١ من قبل غريغوري التاسع ، وفي ١٥٢٣ من قبل انوسنت الرابع كانت غير ناجحة بسبب معارضة لويس التاسع ، وفي ١٢٦٣ ـ ١٢٦٤ كسب البابا الفرنسي اوربان الرابع تأييد لويس التاسع واتفاقية مع شارل كانت مكتملة تقريبا عند وفاة البابا ، وأنجز خليفته وهو فرنسي آخر كليمنت الرابع المعاهدة في النهاية مع شارل في نيسان ويمكن ايجاز شروط المعاهدة في تاريخ كمبردج العصور الوسطى : ٦ ١٨٣ ـ ١٨٤ .

٥٩ ـ بحلول منتصف القرن الثالث عشر أصبحت الاسماء التسكانية مثل غولف وغيبللين داخلة في الاستعمال الشائع للدلالة على البابوية والامبراطورية في إيطاليا .

٦٠ ـ توجد هذه الحادثة في حوليات أخرى تغطي الفترة نفسها ، على سبيل المثال في الفصل ٣٢ من تاريخ مونتابز (الترجمة الانكليزية من قبل الليدي هنريتا مرغريت غودنوغ مجلدان ، لندن ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ وفي الكتاب ٦ فصل ٩٠ من كتاب فيلاني تاريخ فلورنسة (تحقيق موراتوري المطبوعات الملكية الايطالية : ١٣ ـ ميلان ١٧٢٨) والتفاصيل متماثلة تماما . وقد يكون هناك القليل من الحقيقة في القصة وعليه حتى مع ان شخصية شارل كانت بحيث لايتوقع أن يجد انه بشكل خاص متأثر بزوجته ولاسيما هذا الأمر .

٦١ ـ انظر أعلاه ص ٢٤٢ حاشية ٥٤ .

٦٢ ـ تعني الكلمة بالاصل (شيء يطفو اوله اجنحة) منديل أو كم طويل ؟

٦٣ ـ ابحر شارل في ١٥ ايار ١٢٦٥ ونزل إلى البر في ٢١ ودخل روما في ٢٤ .

٦٤ ـ كليمنت الرابع الذي كان بابا من (١٢٦٥ ـ ١٢٦٨) .

٦٥ ـ في حلم ؟

٦٦ ـ ل : ١ ٦١٤٣ ـ ٦١٤٥ غير موجودة في ل . ويقترح شمث (ص ٢٩٨ الحاشية) بأنها استيفاء في ب .

٦٧ ـ تو ج شارل أولا في اللاتيران في ٢٨ تموز ١٢٦٥ من قبل كردينالين ثم توج مرة أخرى مع زوجته في ٦ كانون الثاني ١٢٦٦ قبل بضعة أيام من معركة بنفنتو .

٦٨ ـ جرت معركة بنوفنتو في يوم الجمعة ٢٦ شباط ١٢٦٦ . وكنتيجة لانتصاره الكاسح بقي شارل سيدا بلا منازع في إيطاليا وأقام في نابولي كملك . وأعطي اسم بيذفنتو في الحولية بصيغة ترجمة مختلفة للاسم كما يلفظ بالفرنسية على هذا دلالة أخرى على ان الحولية اليونانية قد كتبت من قبل رجل فرنسي .

٦٩ ـ إن ل : ٦٢٥٠ . مأخوذ من ب .

٧٠ ـ إن الرواية التالية حول دخول الانجوفيين الشؤون المورية ، وعن معركة تاجليا كوز وعن زواج ابن شارل من ابنة غوليوم وعن معاهدة فيتربو ، مشوشة تماما وغير دقيقة ، ولاسيما في ترتيبها الزمني ، فعندما هزم شارل ما نفرد في بيذفنتو أصبح وريثا ليس فقط لأراضي هوهنستوفن في ايطاليا ، بل ايضا لمصالح مانفرد في الشرق . وكانت خطوته الاولى هي المطالبة بجزر الايونيين

التي جعلتها هيلين لبيروس مهرا لها . وبحلول اوائل ١٢٦٧ كانت هذه من ممتلكاتـه ، ويبدو ان مشروعه كان استعمال هذه لكل اليونان ، ثم الى امبراطورية انجيفينة فخمة في الشرق وطبقا لذلك وفي وقت متاخر من ١٢٦٦ بدأ مفاوضات طويلة مع الامبراطور المخلوع بلدوين الثاني امبراطور القسطنطينية وغوليوم دي فيلهاردين ، وفي ١٧ شباط ١٢٦٧ أصدر جواز مرور لغوليوم الذي انطلق الى روما بعد ذلك التاريخ بوقت قصير وعندما وصل وجد البلاط الروماني في اضطراب بشأن المسالة الشرقية ، وكان اسقف نيغروبونت والاسقف المنتخب لليكيمونيا قد وصلا لتوهما الى روما وجاءا بمشكلتهما معهما ،وكان مبعوثون من ميكائيل باليولوغوس يتفاوضون على توحيد الكنيستين . ووصل بلدوين الثاني ليقابل شارل بعد محاولة غير ناجحة لتجنيد الدعم الغربي لاعادة غزو القسطنطينية .

ويعتقد زاكينوس (ص ٤٦) ان غوليوم لم يشترك في تلك المناقشات وانه لم يكن موجودا عندما وقعت اتفاقية فيتربو ويبين انه لو كان هناك لوقعها وما كان ليجعل ليوناردو دي فيرولي يوقعها كممثل عنه ، ومن جانب آخر ، يعجب المرء كيف انه قد تمكن من المغادرة وسط مثل هذه المفاوضات الهامة التي كانت حيوية في الحقيقة بالنسبة لمستقبل المورة . ويذكر بوشون (أبحاث ومسائل : ١ / ١٩٣ ، وأبحاث جديدة : ١ / ٢٠١) انه بقي وانه كان حاضرا عندما وقعت الاتفاقية مع انه لايفسر لماذا لم يوقع هو بنفسه ، وقد أعطى لوغنون أفضل تفسير للاحداث (إنظر الحاق إمارة المورة بمملكة صقلية في ٢٦٧) مجلة دي سوانت (١٩٤٢) ول . غ ص ٢٣٦) .

وطبقا له وصل غوليوم الى روما في حوالي نهاية شباط ، ووصل شارل في نحو آخر نيسان . وكانت المفاوضات طويلة ومريرة ، وكان شارل مدركا تماما ان كلا من بلدوين وغوليوم كانا في حاجة لمساعدته وكان مصمما على أن يحصل على أكثر ما يمكن في المقابل ، وتحققت النتيجة الاولى في ١٨ أيار ففي ذلك اليوم تم انجاز معاهدة كان بموجبها على فيليب دي كورتناي الابن الاكبر لبلدوين ان يتزوج بياتريس ابنة شارل ، ثم في ٢٤ أيار تم ابرام معاهدة بين شارل وغوليوم وكانت بنودها غريبة ففي مقابل وعد بالمساعدة من شارل يتخلى غوليوم بموافقة من سيده الاكبر بلدوين عن إمارة المورة وتوابعها لشارل على هذه الشروط : ان يتزوج أحد ابناء الملك من إيزابو ابنة غوليوم ، ويبقى غوليوم أميرا طيلة حياته ، وعندما وفاتهْ تنتقل المورة الى يد زوج ايزابو أو إذا توفي قبل غوليوم الى شارل نفسه ، وإذا ولد لغوليوم ابن - وكان في نحو الخامسة والخمسين وقت توقيع الاتفاقية - فإن للابن ان يرث اقطاعية تصل فقط الى خمس ممتلكات أبيه وإذا توفيت ايزابو دون عقب ، فإن آل فيلهاردين يجردون تماما لصالح شارل أو وريثه .

وبعد ذلك بثلاثة أيام في ٢٧ أيار ١٢٦٧ ، تم إبرام معاهدة ثانية بين بلدوين وشارل تخلى بموجبها بلدوين عن كل ممتلكاته تقريبا بما فيها المورة لشارل الذي كان عليه أن يتعهد باعادة الاستيلاء على الامبراطورية اللاتينية خلال ست أو سبع سنوات وأن يمنح بلدوين ثلث كل ما سيسترد ، وكان رباط المعاهدة هو زواج أولادهما .

ولم يكن زاكينوس وميلر عارفين بالمعاهدة المبرمة في ١٢٦٧ بين شارل وغوليوم ، ولقد تكلما عن معاهدة الزواج ويذكران أنها قد أبرمت مباشرة بعد معركة تاغليا كوز (ز . ص ٤٧ ، م . ص .١٢٩) وتضع الحولية الزواج نفسه قبل المعركة ، وهذا غير دقيق بالمرة .

وبعد توقيع المعاهدات عاد غوليوم الى المورة . ويذكر زاكينوس ان مبعوثين جاءوا إليه في أوائل ١٢٦٨ من شارل ليتعامل مع الامير وأن يحصل على موافقة الاميرة والبارونات على ما يتم الإتفاق عليه (ص ٤٦ - ٤٧) . وقد اخطا في هذا التاريخ ومع ذلك فإن لوغنون يضع هذه البعثة في حزيران ١٢٧٠ (ل غ ص ٢٤٠) . وفي آذار ١٢٦٨ عاد غوليوم الى ايطاليا ، واشترك في معركة تاغليا كوزو (٢٣ آب ١٢٦٨) وعليه يبدو أنه بقي في خدمة شارل على الاقل حتى آذار ١٢٦٩ . وخلال ما تبقى من ١٢٦٩ انشغل شارل بالثورة في جنوب ايطاليا ، ولكنه تدبر أمر إرسال بعض المساعدة الى المورة وفي حزيران ١٢٧٠ وصلت البعثة التي تحدثنا عنها الى المورة . وضغط المبعوثون ايضا على غوليوم في أمر زواج ايزابو وبموجب شروط المعاهدة المبرمة قبل ذلك بثلاث

سنوات كان لابد من أن ترسل الى البلاط النيابوليتاني على الفور ، ولكن بعد ذلك بثلاث سنوات كانت ماتزال في المورة . وتم الزواج في ٢٨ أيار ١٢٧١ .

٧١ ـ ل : ١ / ٦٢٨٧ ـ ٦٢٨٨ ماخوذة من ب .

٧٢ ـ إنظر اعلاه ص ٢٠٠ حاشية ٨٢ .

٧٣ ـ البيت ٦٣٧٥ من ب .

٧٤ ـ ل ٦٤٢٤ مفقود في هـ . وللمحافظة على الاستمرار استخدمت ٢ / ٦٤٢٤ ـ ٦٤٢٧ من ب .

٧٥ ـ كذا بالاصل (الفصول ، والنقاط الرئيسية ، والتفاصيل) .

٧٦ ـ ل : ٦٥١٩ من ب .

٧٧ ـ ل : ١ / ٦٥٢٥ ـ ٦٥٢٨ هم من ب .

٧٨ ـ يبدو ان زاكينيوس قد شوش الترتيب الزمني لهذه الاحداث . وهو يقبل رواية الحولية في ان غاليران دي ايفري قد أرسل ولكنه يدعى أنه ارسل كنائب للملك وان هذا جرى في ١٢٦٨ (ص ٤٨ ـ ٤٩) . ويمضي في القول انه قد استبدل بفليب دي لاغونيز في السنة نفسها ، ثم يذكر (ص ٥١) أنه في ١٢٧٢ جاء دروغون دي بلمونت الى المورة كنائب للملك على رأس القوات الخ . ويتبع كالوناروس بالطبع هذا التفسير (ص ٢٦٧) . ولوغنون مع ذلك يمكن الاعتماد عليه أكثر ، وطبقا له فإن أول نائب للملك أرسل الى المورة من قبل شارل كان غاليران دي ايفري نائب أمير صقلية ، وجرى التعيين في ٢٦ آب ١٢٧٨ بعد وفاة غوليوم دي فيلها ردين (ص ٢٥٤) وهذا هو فقط التفسير الممكن لانه لم يكن لديه حق في إرسال نائب ملك حتى أصبح اميرا على المورة .

٧٩ ـ هناك صفحة ناقصة في ل . عند هذه النقطة ويقابل السقط ٢ / ٦٥٤٣ ـ ٦٦٠٤ من الحولية . ومع ذلك في ١٢٧١ والسنوات التالية ارسل شارل قائدا عاما الى المورة ، وكان أول هؤلاء دروغون دي بلمونت (انظر اعلاه) الذي جاء مع قوات في ١٢٧١ ، ولكنه لم يكن نائبا للملك ، وقد خلطت الحولية بين دروغون والنائب الاول ، ل : ١ / ٦٩٣٥ ثم تعاملت مع دروغون دي بلمونت وليس مع غاليران دي ايفري . (انظر ايضا م ، ص ١٣٠ حاشية) وهويف ، ، تاريخ بلاد الاغريق ، (لايبزغ ، ١٨٦٧ ـ ١٨٦٨) ١ / ٢٩٢) ٠إن التهجية اليونانية لاسم غاليران دي فري ، ويدعى شمث (ص ٦٢٤) بأن هذا برهان على أن الحولية الفرنسية تعتمد على اليونانية أولا لان اسقاط حرف من هذا النوع (أعني بين ايفري وفرى) شائع في اليونانية ،ولكنه بالكاد ممكن في الفرنسية ٠

٨٠ ـ كريفة أو كريسايفا كما يظهر في ب .) ، لم يعد لها وجود . ويحتمل انها كانت تقع جنوب اندرافيدا على نهر بينيوس في مكان ما بين كفاسيلا وبالايوبولس .

٨١ ـ ل : ١ / ٦٥٨٣ و ٦٥٨٥ من ب .

٨٢ ـ من أجل ايزوفا إنظر اعلاه ص ٢٠٣ حاشية ٣ .

٨٣ ـ من اجل الرافد إنظر اعلاه ص ٢٠٣ الحاشية ٢ .

٨٤ ـ غوتيير الثاني دي روزيير .

٨٥ ـ يقترح زاكينيذوس (ص ٥٢) إن ابن الاخ هذا الميكائيل الثامن ، كان اليكسيوس فيلا ـ نثروبينوس ، ووصلت القوات الامبراطورية الى المورة في وقت ما في ١٢٧٠ ولكنهم تعلموا درسهم في معارك اقدم مع الفرنجة ورفضوا القتال . وقوات الفرنجة من جانب آخر لم تكن قوية بدرجة كافية ، للمحافظة على حصار ميسترا . وقد دام هذا الموقف الحر ٠حتى شتاء ١٢٧١ عندما وصل دروغون وهذا القسم أحد أكثر الفقرات تشويشا وأقلها قابلية للفهم في الحولية ، كما هو مبين في حاشية مطولة من قبل زاكيثيفوس (ص ٥٣ حاشية ٤)

٨٦ ـ مورما هنا تعني اليس .

٨٧ ـ كان حامل هذا اللقب أحد أرفع الوزراء الاربع في البيروقراطية البيزنطية ، وتستعمل

الكلمة دائما في الحولية للدلالة على الحاجب ، من أجل ليوناردو إنظر أعلاه ص ٢٠٠ حاشية ٨٢ .

٨٨ ـ ل : ١ / ٦٧٧٤ ـ ٦٧٧٦ من ب . وهناك فراغ في ل يقابل ٢ / ٦٧٨٣ ـ ٦٩٠٤ من الحولية (فقرة ٤٧٥) وكان كونرادين بن كونراد وريث فريدريك الثاني وابن أخ مانفرد . وعندما جاء كونرادين الى ايطاليا كان في نحو السادسة عشرة من عمره ولكنه كان يلقى تأييداً حماسيا من طرف الهيليني ، وقد التقت قواته بقوات شارل دي انجو فرنا جاسيا كوزو في ٢٣ اب ١٣٦٨ واسر كونرادين بعد المعركة وقطعت راسه .

٨٩ ـ روبرت الثاني كونت أرتوا ، الذي كان حقا ابن أخ لويس التاسع وشارل وليس أخوهما .

٩٠ ـ لم يستدع غوليوم لانه كان صديقا بقدر ما استدعي لانه كان واجبه الاقطاعي أن يذهب طالما أنه قد أصبح تابعا لشارل بحكم شروط معاهدة فيتربو وقد صحبه جيوفري دي برويير ، أمير كاريتاينا ، وغوتيير دي روزيير أمير اكوفا وجان شودرون ، ابن أخيه والامير العظيم ، وجيوفري دي تورناي ، أمير كالا فريتي .

وكان في أبوليا بحلول آذار ١٢٦٨ بناء على رسالة من كليمنت الرابع الى ممثلة كتبت في هذا الشهر توصي بأن يوكل الى غوليوم القوات المتجمعة في فوغيا (إ . جوردان ، رسائل كليمنت الرابع ـ رقم ١٦٣٦ ص ٤٢٧) .

٩١ ـ التقى الاثنان في تغليا كوزو وليس في بيذنتو . والوصف الذي يتبع لدور غوليوم في المعركة شديد التحيز . إن ما تعزوه الحولية اليه ينسب الى ايرارد دي فاليري من قبل دانتي .

٩٢ ـ كذا بالاصل .

٩٣ ـ يصف أومان معركة تاغليا كوزو في كتابه تاريخ فن الحرب : ١ / ٤٨٨ ـ ٤٩٨ وانظر أيضا ملاحظات ه . ديلبس « التكتيك في القرن الثالث عشر » : ١ / ٤٥٤ ـ ٤٥٦ .

٩٤ ـ كذا بالاصل .

٩٥ ـ إن هذا أول ظهور لهذه الكلمة من الحولية للدلالة على أن اسم الالمان ومن الواضح انه مشتق من الكلمة الايطالية « تدتشي » .

٩٦ ـ حاول كونرادين من البداية الاولى للمعركة ان يهرب مع صديقه فريدريك صاحب النمسا . وعرف الاثنان واسرا بعد ذلك بوقت قصير وأحيلا إلى شارل لقاء مكافأة (ل دى ف فقرات ٤٠٦ ـ ٤٠٩) . وقدمهما شارل للمحاكمة في نابولي وحكم عليهما بالاعدام . .

وقطع رأساهما معا في ٢٩ تشرين أول ١٢٦٨ ، وهو إعدام (بسبب شبابهما ونسبهما) . صدم أوروبا كلها .

٩٧ ـ إن هذا يشير بلا شك الى فريدريك صاحب النمسا صديق كونراد وحليفه ، وهو ليس دوق كارنثيا المذكور في : ٢ / ٤٠٢١ .

٩٨ ـ في أعقاب الحملة غير الحاسمة في ١٢٧١ (انظر أعلاه) استمرت الحرب مع اليونانيين بطريقة منقطعة . وتسللت قوات ميكائيل ببطء الى اراضي الفرنجة تستولي عليها إقطاعية بعد اقطاعية وحدثت هذه الواقعة الموصوفة أعلاه في ٢ / ٧١٩٥ في ١٢٧٥ . وبعد فقدان الامير كاريتانيا المهيب أصبحت الاقطاعية بلا حول وسقطت في أيدي اليونانيين في ١٢٧٧ .

٩٩ ـ أركوفا العظيمة (ل فقرة ٤٩٥) هي مدينة أراكوفا التي تقع تقريبا على الحدود بين أركاديا ولاكونيا على طريق تريبوليس ـ سبارطة . وكانت تدعى العظمى تمييزا لها عن خمسة أركوفات أخرى على الاقل في المورة في ذلك الوقت .

١ – ومما يذكر انه بعد خيانة جيوفري دي برويير لغوليوم خلال الحرب في يوبوا اعيدت إقطاعته له كمنحة جديدة مقصورة على ورثته من صلبه (انظر اعلاه ٢ / ٣٣٦٣ ، ٥٩٠٤) وعند وفاته وحيث انه لم يكن له ورثة مباشرون آلت الاقطاعية الى أمير المورة ، الذي احتفظ بنصفها لنفسه واعطى النصف الآخر للارملة ايزابلا دي لاروش ، ابنة غي الاول امير اثينا . ومن اجل نصيب الارملة الاقطاعي في المورة انظر كتاب توبنغ المؤسسات الاقطاعية ص ١٥٠ – ١٥٢ ، والعبارة الاخيرة في : ١ / ٧٢٣٩ اعلاه « وكان مستحقا لها » وربما كان الافضل ان تقرأ هكذا « الذي كان لها » .

٢ – في وقت موت جيوفري كان جين الأول دوق اثينا (١٢٦٣ – ١٢٨٠) وخلفه اخوه غوليوم (١٢٨٠ – ١٢٨٧) . وكانت ايزابيل اختا لهما وكانت عمة لغي الثاني (١٢٨٧ – ١٣٠٨) ابن غوليوم .

٣ – تزوجت ايزابيل هوغ دي بريين كونت ليكس في ١٢٧٧ ، وكان مقدرا لابنهما غوتيير دي بريين أن يخلف ابن عمه غي الثاني ويصبح اخر دوق فرنسي لاثينا (١٣٠٨ – ١٣١١) وتوفيت ايزابيل بعد مولده بوقت قصير .

٤ – قبل ميلر (ص ٢٢٨) من جانب التفسير كما هو معطى في الحولية في ٢ / ٧٢٧٠ حول دخول صحبة الكاتالان المعظم في شؤون اليونان الفرنجية ، ومن أجل فترة الكاتالانيين انظر ك . م . سيتون ، هيمنة الكاتالانيين على اثينا (١٣١١ – ١٣٨٨) ، واعمال روبي دي لوس وهي أساسية في هذه المرحلة من تاريخ اليونان ، و س . س . بيرنز صحبة الكاتالانيين والقوى الاوروبية ١٣٠٥ – ١٣١١ – سيكليوم ٢٩ (١٩٥٤) ٧٥١ – ٧٧١ .

٥ – ما هوت دي هينون (١٢٩٣ – ١٣٢٥) ، كانت ابنة يزابودي فيلها ردين من زوجها الثاني فلورنت دي هينوت ، وادعت ماهوت بحقها في الامارة بعد وفاة والدتها ولكنها آلت الى فيليب تارنتو بن شارل الثاني صاحب انجو انظر ادناه ٢ / ٨٥٠٠) وتزوجت ماهوت أولا غي الثاني دي لاروش ثم لويس دي بورغوني ، ثم هوغ دي لاباليس ، واخيرا تزوجت جون غرافينا .

٦ – بعد بداية دخول الكاتالانيين إلى اليونان وجدوا انفسهم في وضع غير مستقر . وهم مطوقون تقريبا بشكل كامل باليونانيين المعادين ، فشقوا طريقهم نحو دوقية اثينا .

وفي (١٣٠٦ – ١٣٠٩) قاموا ببعض المناوشات ، وخاضوا معركة ضارية واحدة على الاقل .

وفي تلك الاثناء أصبح غوتيير اميرا على اثينا وبدا حملة قوية ضد اليونانيين ، في ١٣١٠ استأجر الكاتالانيين كمرتزقة لفترة ستة أشهر . وبدأوا على الفور في نهب تساليا ، واستولوا على اكثر من ثلاثين قلعة بما فيها دوموكوس . وفي نهاية الشهور الست قرر غوتيير التخلص منهم وطالب بعجرفة بالقلاع وحاول طرد معظمهم . وعندما رفضوا الذهاب قرر استعمال القوة . فاستجار بكل حلفائه ، وجمع جيشا ضخما وفي آذار ١٣١١ تقدم نحو الكاتالانيين ، والتقوا في جوار سكريبو (أوركوميذوس) قرب مكان دخول نهر الكيفيزوس بحيرة كوبايس . وكانت المعركة التي تلت في السباخ كارثة بالنسبة للفرنجة . والتاريخ الدقيق للمعركة كان موضع تساؤل ، وتحدده الحولية (٢ / ٧٢٩٦ – ٧٣٠٠) بالاثنين ١٥ آذار ١٣٠٩ وتحدد ل (فقرة ٥٠٠) السنة على أنها ١٣١٠ . وعلى كل فإن الوصية التي كتبها غوتيير قبل المعركة بالضبط مؤرخة في ١٥ آذار ١٣١١ وحيث أن اليوم الخامس عشر كان يوم الاثنين في ١٣١١ فإن هذا يبدو أنه التاريخ (إنظر م . ص ٢٢٩ حاشية٣) وتحدد كل الحوليات المكان على انه هلميروس . ولكن هذا يجب أن يدل ببساطة على مستنقع ملحي قرب كوبايس وليس على مدينة بهذا الاسم في تساليا .

٧ – إنظر اعلاه ٢ / ٤٥٠٢ – ٤٥١٢ .

٨ – يبدو أن هناك شيئا مشوشا حول تاريخ وفاته والمعركة المشروحة التي تلت .

في ٢ / ٦٦٢١ اعلاه يذكر انه اشترك في الاحداث التي حدثت في ١٢٧٠ أو بعدها ويضع لوغنون (ص ٢٤٧) تاريخ وفاته (بعد قليل) من وفاة جيوفري دي برويير ١٢٧٥ . وتوفي غوليوم نفسه

في ١٢٧٨ ، وعليه فإن المحاكمة لابد ان تكون قد جرت في وقت مابين التاريخين ويحتمل في ١٢٧٦ . وهذا يعني ان مرغريت كانت رهينة من ١٢٦٢ إلى ١٢٧٦ ، وهو بالتاكيد وقت طويل ، علاوة على انه من المعروف ان زوجها الاول غويبرت دي كورس توفي في ١٢٥٨ في معركة كاريدي (انظر اعلاه ١ / ٣٢٧١) ومن المعروف انها ايضا تزوجت بعد ذلك غوغليلمو الثاني دال كارسيري فيرونا ترارل (حاكم) نيغروبونت الذي قتل في المعركة البحرية في ديميترياس في ١٢٧٥ . ومن الواضح إذا انها قد تزوجت غوغليلمو في وقت ما بين ١٢٥٨ و ١٢٦٢ وذهبت كرهينة ولم يتزوجها بعد ذلك . وهناك تعقيد آخر هو انه يجب ان نفترض من التاريخ ان غوليوم قد حقق إطلاق سراحها تقريبا مباشرة بعد وفاة عمها ، وهو بالكاد يبدو معقولا بالنظر لحقيقية انه بعد أن توفرله أربع عشرة سنة ليفعل ذلك ، فانه قد فعله في النهاية فقط عندما كان قادرا على أن ياخذ أملاكها لنفسه ، وباختصار إن كامل الترتيب الزمني يبدو خاطئا وتضع ل دي ف . (فقرة ٢٨٤ ـ ٣٩٦) الحادثة بكاملها بعد هرب امير كارتيانيا وقبل دخول شارل دى انجو في الشؤون الايطالية . ولكن هذا مخالف للاشارة في الحولية إلى أن غوتيير روزيير كان حيا بعد ١٢٧٠ . ويبدو إلزاميا تقريبا افتراض زمن أكثر بين وفاته والجلسة النهائية للمحاكمة ولكن أيا من المصادر والوثائق التي عدت إليها لايلقي مزيدا من الضوء على الامر .

٩ ـ كانت مرغريت باسافا ابنة جين الثاني دي نويلي المارشال الوريث وبارون باسافا الذي تزوج اختا لغوتيير الثاني دي روزيير بارون أكوفا وحيث ان قانون سالك لم يسد ، وحيث أن الاقطاعية كانت قابلة للنقل لكل الورثة . في حال غياب الوريث المباشر ، كانت مرغريت وريثة للاقطاعية كابنة اخ .

١٠ ـ في المادة ٣٦ من مجموعة القوانين الرومية (ريكورا ص ١٨٤) تذكر ان الوريث يجب ان يطالب بالاقطاعية خلال اربعين يوما او يفقد حق الانتفاع لمدة سنة واحدة ؛ ويجب ان يطالب بالاقطاعية خلال سنة واحدة ويوم او انه يفقدها حتى لو ان بعض العوائق حالت بينه وبين ذلك ولو كانت مشروعة . وإذا كان الوريث خارج الامارة فأمامه سنتان ويومان للمطالبة بالاقطاعية . وقضية باسافا بشكل خاص مذكورة في هذه المادة . وكما بين تونبغ ، (ص ٣٨ ـ الحاشية) أن فترة عامين ويومين ربما تكون قد اضيفت كنتيجة لهذه القضية بالذات . وايضا فإن العبارة المقتبسة أعلاه تبدو كما لو كانت تشير بشكل خاص لما حدث لمرغريت .

١١ ـ للتفاصيل حول ال دي سانت اومر ، إنظر أعلاه ص ١٦٩ حاشية ٣٥ .

١٢ ـ ل ٧٣٩٧ ماخوذ من ب . فهل أسقط عن عمد من هـ .

١٣ ـ تبحث المادة ٧٥ من مجموعة القوانين الرومانية (ريكورا ص ٢١٢) مذكور أن كل امرأة تملك اقطاعية عليها ان تقدم على الفور زوجها إلى أميرها كوصي . مادة ١٠٢٩ المصدر نفسه ص ٢٤٢) تذكر أن الزوج الذي يتزوج امرأة تابعة يصبح تابعا . بحكم ارضها .

١٤ ـ قد تعني هذه الفقرة : وفي الحقيقة ، فور الوصول ، جاءت إلى حضرتكم .

١٥ ـ تقوم هذه القضية حصرا على المادة ٧٥ ، ١٢٩ من مجموعة القوانين الرومانية وايضا المادة ٣٨ على أساس العائق المشروع .

١٦ ـ إنه يفترض أن مرغريت كانت غير قادرة على مواجهة المتطلبات التي تحتاج إلى براعة في متابعة إجراءات المحاكمة وأنها يجب أن تزود بمستشار هو المحامي ؛ المادتان ١٤٥ و ١٤٦ من مجموعة القوانين الرومانية (ريكورا ص ٢٥١ ـ ٢٥٢) تعالج موضوع المحامي .

١٧ ـ المادة ٨ من مجموعة القوانين الرومانية (ريكورا ص ١٦٣ ؛ تونبغ ص ٣٦ ـ ٣٧) تذكر بوضوح بانه للأمير ان يوفد احد تابعيه مكانه عندما يكون متورطا في عمل قضائي مع احد تابعيه . « ويطلب من الامير ان ينهض ليعطي لوفده العصا وان يترك المجلس طبقا للعرف » .

١٨ ـ من أجل ليونارد دو دي فيرولي انظر أعلاه ص ٢٠٠ حاشية ٨٢ وص ٢٥٠ حاشية ٧٠ .

١٩ ـ مادة ٣ و ١٥ من القوانين الرومانية (ريكورا ص ١٥٥ ـ ١٥٩ ، ١٦٧ ـ ١٦٨) .

٢٠ ـ إنظر أعلاه ص ١٢٥ والحواشي ٤٨ ـ ٥٩ .

٢١ ـ هكذا أشير إلى الامير شامبرلان كولينيت في ل . (فقره ٥٧٦) ، ولكني كنت غير قادر على التعريف به أكثر ، وهو يسأل عن شيوخ أكوفا ليحضروا لانهم يعرفون تاريخ البارونية والحدود ، والمحاضر المذكورة هي محاضر المحاكم البارونية وهي اللازمة لبيان الحالة الحقيقية للاقطاعات .

٢٢ ـ هذه التفاصيل واردة أيضا في ل . (فقرات ٥٢٥ ـ ٥٢٧) ومن أجل تحديد مكان الحصص الثمانية إنظر درا غوفيس ص ٢٣٣ ـ ٢٤٣ ، ومن أجل الهيئة الجديدة إنظر أعلاه .

٢٣ ـ مرغريت دي فيلها ردين ، (١٢٦٥ ـ ١٣١٥) واختها الاكبر ايزابو وكانتا من بنات غوليوم من أنا انجيلا كومينا ، ابنة امبراطور ابيروس ، إنظر أعلاه ، وتزوجت مرغريت في أيلول ١٢٩٤ اسناردي سابران .

وفي ١٢٩٩ تزوجت ريتشارد سيفالونيا ، ومن زوجها الاول انجبت ايزابو التي تزوجت فرديناند امير مايوركا ، ويذكر كالوناروس بدون اصرار (ص٣١٣ ـ حاشية ١ / ٧٧٤٩) إن زوج مرغريت الاول كان برترانردي بو .

٢٤ ـ هنا يشير إلى جين دي غودرون الامير العظيم السابق .جيوفري دي جودرون وأخو السيدة التي نهبت كرهينة ثانية مع مرغريت باسافا ، وكحقيقة واقعة ، لم يكن نائبا ، ولكن فقط ليشرف على أمور الامارة حتى وصل نائب الملك شارل ملك نابولي . وتذكر ل دي ف . (فقرة ٤١٨) أنه كان جيوفري الأب ولكن ل (فقرة ٥٣٣) تذكر أنه كان جين الابن .

٢٥ ـ إنظر أعلاه ٢ / ٢٤٦١ و ٢٧٥٥ من أجل كنيسة القديس يعقوب والقبر .

٢٦ ـ هذه كلمة يونانية تعني مقدس أو تعني رجلا مقدسا .وهي الكلمة التي تستعمل بشكل عام لتعني قسيسا ويمكن أن تعني كاهنا .

٢٧ ـ كذا بالاصل .

٢٨ ـ تتعارض الاراء في هذه السطور مباشرة مع كل ما نعرفه عن قانون الدورة . وهي بشكل واضح تعكس رأي الكاتب اليوناني الذي كتب ب .

٢٩ ـ يجب تذكر أنه بموجب اتفاقية ٢٤ أيار ١٢٦٧ كانت الدورة لابد أن تنتقل إلى ايزابو وزوجها ثم إلى وريثها ، وإذا لم يكن لها وريث أو إذا مات زوجها قبل غوليوم ، فإن الدورة تذهب إلى شارل دي انجو . وتوفي فيليب دي انجو في الواقع قبل غوليوم في (١٢٧٧) في نابولي .

٣٠ ـ عين هوغ درو دي سللي في آب ١٢٧٩ وكيلا عاما في البانيا ولم يكن مطلقا نائبا في الدورة ، وكان نواب الامارة خلال الفترة ١٢٧٨ ـ ١٢٨٩ هم :

غارلان دي ايفري عين في ٢٦ آب ١٢٧٨ .

فيليب دي لاغونيذس عين في آب ١٢٨٠ .

نارجوت دي توسي عين في تشرين أول ١٢٨٢ .

غي دي تريمولاي عين في تشرين أول ١٢٨٢ .

غوليوم دي لاروس عين في ١٢٨٥ .

نيكولاس الثاني دي سانت أوم عين في ١٢٨٧ .

وتخطيء كل من ل . (ص ١٧ الحاشية) وز . (ص ٤٩) حول غارلان دي ايفري : حيث تضعان بداية نيابته في ١٢٦٨ . ومن أجل القائمة أعلاه انظر ل غ ص ٢٥٤ ـ ١٢٦٣ وفي أماكن كثيرة .

٣١ ـ يظهر هنا البيان الواضح عن الحقوق التي ادعاها البارونات الموريون في كل الحوليات . (ل . فقرات ٥٤٠ ، ٨٦١ ـ ٨٦٢ . و ل دي ف : فقرة ٥١١ وانظر ايضا أدناه في ٢ / ٨٦٣٩ من الحولية .) إنظر المواد : ، ١ ، ٣ ، ١٣٦ الخ في مجموعة القوانين الرومانية ، وتوبنغ « المؤسسات الاقطاعية » ص ١٠٥ ..

ـ ٣٢

٣٣ - المقصود باويس في الحولية لويس فيليب دى انجو الذي توفي قبل غوليوم بعام وليس بعده ، ومن المفارقة ان فيليب قد دفن في الكنيسة نفسها اي كاتدرائية ترانى ، حيث جرى زواجه ، قبل ذلك بست سنوات فقط . وتركت ايزابو ارملة شابة في الرابعة عشر من عمرها (م . ص ١٤٧) . او السادسة عشر في (ل . ص ٣٢١ حاشية ١ / ٢٩٤٧) او الثامنة عشر (ل . غ ص ٢٤٩) .

٣٤ - كان الانجـويين شـارل الاول ملك نابـولي (١٢٦٦ - ١٢٨٥) ، امير المورة (١٢٧٨ - ١٢٨٥) وابناؤه ، شارل الثاني ملك نابولي (١٢٨٥ - ١٣٠٩) ، امير المورة (١٢٨٥ - ١٢٨٩) وفيليب (ت : ١٢٧٧) . وكان ابناء شارل الثاني : روبـرت ملك نابـولي (١٣٠٩ - ١٣٤٣) وفيليب الثاني تارنتو امير المورة (١٣٠٧ - ١٣١٣) .

٣٥ - من اجل دوقات اثينا ، وهوغ دي بيرين ، إنظر اعلاه ص ٢٧٥ حاشية ، وكان امير اثينا الذي ذهب إلى فـرنسا في ١٢٦٠ غي الاول دى لاروش (١٢٢٥ - ١٢٦٣) (إنظـر اعلاه ٢ / ١٥٥٣ ، ١٥٥٥ ، ٣٣٠٢ ، ٣٣٧٥ ، ٣٣٩٢ و ٣٤٥٥) وترك ابنين اصبحا بدورهما دوقـان لاثينا : جين الاول (١٢٦٣ - ١٢٨٠) وغوليوم (١٢٨٠ - ١٢٨٧) وتخلط الحـولية بين جين الاول وابنه غوليوم (٢ / ٧٩٦٤) . وكان غوليوم قد تـزوج هيلين ابنة جـون امير ولاشـيا الذي يخلط بينه في الحولية وبين ثيودروس ، الابن غير الشرعي لميكائيل الثاني امبراطور ارتـا (انظـر ٢ / ٣٤٦٩ ، ٣٥٠٤ ، الحواشي) وكان ابن غوليوم من هيلين هوغي الثاني دى لاروش الذي تزوج ماهوتي ابنة ايزابودي فيلهاردين والامير فلورنت دي هينوت .

٣٦ - إنظر اعلاه ص ٢٩١ - الحاشية ٣٠ من اجل نواب الملك ، وتسمى ل ١ دي ف . بشـكل صحيح (فقرة ٤٢٠ - ٤٢٣) غوليوم نائبا اولا للمورة وبديلا لجيوفري خودرون .

٣٧ - ل . (ص ٣٢٤ حاشية ١ / ٧٩٩٧) تكشف مناقشة طويلة لدروغوميس تعرف بـديمترا (فقرة ٥٤٧) على انها مدينة نيما نتر الحالية من ناحية دوربون اقليم تريفيليا .

٣٨ - (إنظر اعلاه ص ٢٧٦ حاشية ٣ و ص ٢٧٧ حاشية ٦ (ت : ١٢٨٧)

٣٩ - فقد هوغ دي بيريين زوجته الاولى ايزابودي لاروش ، وتزوج ارملة غوليوم دي لاروش ، هيلين ابنة جون لورد والاشيا وتزوجت منهما جين (ل فقرة : ٥٥) فيمـا بعـد ، نيكولاس الاول سانودو دوق ناكسوس .

٤٠ - وتظهر هذه المعلومات ايضا في ل دي ف (فقرة ٤٥٢) ولكنها تـروى بعـد قصـة زواج ايزابو دي فيلها ردين وفلورنت دي هينوت .

٤١ - من اجل زواج غوليوم من انا ابنة ميكائيل الثاني امبراطور ارتا ، واخت كيرنقور انظر اعلاه : ٢ / ٣١١١ والحواشي ، والمدن المذكورة التي كانت جزءا من مهرها تقـع في شـبه جـزيرة بيلوس جنوب غرب كالاماتا ، والوحيدة من الثلاثة التي لاتزال باقية هي بـلاتانون ، وتقـع قـرب مدينة بيلا وهي في الشمال الشرقي قليلا من بيلوس ومانيا توخوري مذكورة في وثائق بندقية متاخرة على انها مدينة رائعة في الجوار .

٤٢ - انشا نيكولاس الثاني دي سانت اومر من الاموال التي اخذها مـن زواجـه مـن مـاريا صاحبة انطاكية على الكادميا في طيبة قلعة سانت اومر الشهيرة التي دمرت فيمـا بعـد مـن قبـل الكاتالانيين وعندما تزوج نيكولاس الثاني . انادي فيلها ردين في ١٢٨٠ حصـل على مهـرها مـن كليرمونت ، وكالاماتا التي بادلها شارل دي انجو ببعض الاقطاعات مـن المورة وصـقلية اليوناردو ودي فيرولي الذي توفي في ١٢٨١ ، وبعد أن اصبح نائبـا الملك في المورة ، تـابع نيكولاس اعمـال التحصين التي بدأها سلفه وبنى قلعة صغيرة في ماينا تـوفوري والقلعـة الشـهيرة في نافـاريذو القديمة . وبنى ابن أخيه نيكولاس الثالث أيضا قلعة مازالت بقاياها ظاهرة في مدينة سانتا ميري ، شمال شرق اندافيدا . وبعد استيطان الكاتالانيين في وسط اليونان ، انتقـل ال سـانت اومـر إلى اراضيهم في البلبونيز .

٤٣ - إن الفقرة التي تضم ٢ / ٨١١٠ - ٨٤٧٣ في ب . كانت في وقت ما ماخوذة مـن مـكانها الصحيح في الحولية وموضوعة في النهاية بعد ١ / ٩١٣٠ . ويبـدو أنه ليس هناك تفسـير لهـذا ،

وأعادها شمث إلى مكانها الصحيح في هذه الطبعة (انظر س . ص ٥٢٧) .

٤٤ ـ حدثت هذه الواقعة في وقت مبكر من عام ١٢٧٥ ، خلال نيابة غاليران دي ايفري والت كاريتانيا إلى أمير كاريتانيا ، الذي كان يملك اقطاعاته ، كمنحة جديدة ، وقد تولى دون وريث مباشر . انظر ل . غ ص ٢٢٥ وحاشية ٣ ، حيث يقتبس لوغنون من وثيقة دمرت الآن من الارشيف النيوبولتاني .

٤٥ ـ إنظر أعلاه ص ١٢٥ حاشية ٣٩ ، من اجل اراكلوفون . ويناقش دراغومس ناحية هذه القلعة مطولا ويحدد مكانها شمال غرب مدينة بلاتيانا واليفيرا واوليمبيا الحالية .

٤٦ ـ اكزنيوكورس (ساليكور . ل فقرة ٥٦٣) تتوضع قرب مدينة كزينوخورس الحالية قرب اندريتسينا .

٤٧ ـ كانت لومبلوس على الالفيوس قرب مدينة أوميرا الحالية بجوار كرستاينا .

٤٨ ـ فيلوكلاندوس ، الأمر اليوناني لاراكلوفون (فيلو كالو ، ل فقرة ٥٦٤) دراغوميس عائلته واتصالاته مع عائلة الفوتساراد ص ٢٦ و ٢٧ إنظر أعلاه من ١٢١ ـ حاشية ٤٠ .

٤٩ ـ كذا بالاصل

٥٠ ـ من أجل بير غاردي إنظر أعلاه ص ٢٢٢ حاشية ٢٤ ومن أجل كالندريتزا إنظر أعلاه ص ١٢٧ والحاشية ٥٦ وايضا درا غوميس ص ٨٨ ، وادامانتيوس ص ٥٨٨ . إن فوستينا هي الميناء الحالي لايجيون شرق باتراس على خليج كورنث . ومخاضة بتير كانت مخاضة عبر الالفيوس ، في مكان ما قرب ايزوفا ٥١ ـ ل ٨٤٥٠ هو من ب .

٥٢ ـ تزوج جيوفري من مرغريت دي كورس وريثة إقطاعة ابيها في ليساريا قرب كلاندرينا وأرملة باين دو ستيناي ، وكانت اقطاعته مورانيا قرب اندرتسينا وقد جلبتها لزوجها الجديد ، ول د . ي . ف . (فقرات ٤٢٨ ـ ٤٤٦) يعطي تفاصيل هذه القصة بصورة مختلفة تماما .

٥٣ ـ تزوج فيلين الثاني دي اوذوب أمير أركاديا (كيباريسيا) هيلين دي بروبير سيدة مورانيا ، وكان أبناؤهما : ايرارد الثاني الذي كان أمير أركاديا والذي توفي قبل ١٣٨٨ ، وأغنس التي تزوجت ايتين لومور أمير سانت سافير (فقرة ٥٨٥) .

٥٤ ـ إن هذا البيان الاخير والفراغ الذي يليه قد أثار خلافا كبيرا ومناقشات حول التاريخ الذي كتبت فيه الحولية . ويظهر أن الملاحظات المتعلقة بالنسب حول ايرارد الثالث أضيفت عندما نسخت هـ . أو ترجمت أو على الاقل استمدت من نص أقدم .

ولم تكن أسرته لها مثل هذه الاهمية حتى تسوغ مثل هذه التفاصيل ما لم يكن لدى المؤلف سبب خاص لتأدية هذا التقدير والاجلال له ، ويميل هذا إلى التدليل على أن ايرارد كان حيا عندما كتبت ها . وفي ١ / ٨٤٦٩ هناك دلالة (في رايي طفيفة جدا) أن هذا كان كذلك فمن المعروف أن ايرارد الثالث توفي في ١٣٨٨ ، وهذا يعني أن هـ . يعود تاريخها الى ما قبل هذه السنة بعد ١ / ٨٤٦٩ هناك فراغ من اربعة ابيات ها ملاته بالابيات المتعلقة من ب . وتبين هذه الابيات بشكل تأكيد أن ايرارد كان متوفيا عندما كتبت مما يثبت أن ب . كتبت بعد ١٣٨٨ . انظر ل . ٣٥٢ حاشية ١ / ٨٤٦٨ وادا ما نيتوس ص ٥٢١ ، طبعة لوغنون من ل . المقدمة ص ٥٣ ـ ٥٦ و س . ص ٦٢٤ ، تحت ايرارد الثالث .

٥٥ ـ كان هذان هما جين دي خودرن ، الامير الكبير ، وجيوفري دي تورناي ابن اوتون الاول دي تورناي ، أمير كريستاينا ، والرواية التي تلي تعطي بصورة مختلفة تماما في ل دي ف . (فقرات ٤٤٧ ـ ٤٤٩) . وطبقا لهذه الراوية عندما تحرر شارل الثاني من أسره ١٢٨٩ ، رغب عند عودته في مكافاة الوصي على عرشه روبرت دي اوتوا من أجل خدماته . ورفض الاخير أي مكافاة شخصيته ، ولكنه قدم نسيبه البعيد بالزواج فلورنت دي ميذوت كفارس ليس لديه أرض ولا مال ولكنه يستحق أن يكون فارسا وطلب من شارل أن يعطيه يد ايزابو ، وفي الواقع إن الروايتين ليستا بالضرورة متقاربتين ، وانهما معا قد ترويان كامل القصة .

٥٦ ـ كان فلورنت الاخ الاصغر لجين دي افنس ، كونت هينوت ١٢٨٠ ـ ١٣٠٤ .
ولعدم رضى فلورنت ، بممتلكاته الصغيرة لجا إلى المحكمة النيوبوليتانية ليطالب بثـروته وكانت مكافاته الاولى جعله حاكما عاما لمملكة صقلية .
٥٧ ـ بالاصل استعمال غير واع لاصطلاح بيزنطي في الخطاب .
٥٨ ـ يحتمل أن فلورنت قد تـوفي في ٢٣ كانون الثـاني ١٢٩٧ . وكانت ايزابـو في حينه فـوق الاربعين واتخذت زوجا ثالثا لها فيليب دي سافوا وكان في الثانية والعشرين في وقتها ، وتم الزواج في اربعاء الرماد ، ١٢ شباط ١٣٠١ في روما . (اربعاء الرماد أول أيام الصوم الكبير) .
٥٩ ـ تذكر ل (فقرة ٥٩٥) رواية أخرى .
٦٠ ـ تتوقف ب عند هذه النقطة بعبارة ساخرة . ولكنهما لم يحققا شـيئا لهـذه الهـدنة كمـا ساخبركم فيما بعد وستسمعون ، ول ١ / ٨٧١٠ ـ ٨٨٠٤ مفقودة من ب .
٦١ ـ انظـر أعلاه ص ٢٦١ حـاشية ٨٥ البيوت الاثنى عشرة كانت عائلات قـديمة بيزنطية نبيلة . وفيلانثروبينوس على ما يبدو هو الشخص نفسه الذي ثار فيما بعد وأعلن نفسه امبراطورا (م . ص ١٧٨) . وكان الامبراطور في ذلك الوقت بالطبع أندرونيكوس الثاني .
٦٢ ـ يبدو أن هذه العبارة الفجة تعني « أمان » أو « عهد أمان » .

٦٣ ـ انظر ما تقدم حاشية ٥٣ في المجموعة المقدمة على هذه

٦٤ ـ إن هذا في الواقع كان السبب الرئيس لرغبة اندرونيكوس في الهدنة في المورة وجرت الحملة في ١٢٩١ أو ١٢٩٢ .
٦٥ ـ إن هذه الفقرة غامضة نوعا ما . والخليج بلا شك هو خليج أرتا على الساحل الغربي من ايتوليا ـ اكارنانيا . وزيرويدون أو زيرويدا ، هي المنطقة حول هذا الخليج وتحمل أرتـا بـالطبع الاسم نفسه اليوم .
٦٦ ـ كان اسم اوريزوس العظيمة اسما من القرون الوسطى لبحيرة يوانيا (بامبوتيس) .
٦٧ ـ من أجل تفاصيل الحرب انظر م . ص ١٧٨ و ل غ ص ٢٦٨ .
٦٨ ـ بعد الحرب أعيد الابن ولكن الابنة لم تعد . فقد زوجها ريتشارد لابنة جون ، مما أغضب اباها (ل فقرات : ٦١٨ ـ ٦١٩ ، ٦٥٢ ـ ٦٥٥) .
٦٩ ـ هذه العبارة الأخيرة (١ / ٨٨٧٦) مأخوذة من ب .
٧٠ ـ لاتشير لسيانا إلى أي من المدن الاربعة التي تحمل الآن هذا الاسم ولكني غير قادر على تحديدها أكثر .
٧٢ ـ هذه العبارة (١ / ٨٩٧٩) هي من ب .
٧٣ ـ تقع بريفيا عند مدخل خليج أرتا .
٧٤ ـ بعد ١ / ٩٠١٠ تصـبح ب . مجـزأة نوعا حتـى تتـوقف في ١ / ١٩٣٠ عن الرواية كليا لتسجيل قصة جيوفري دي برويير (٥ ٢ / ٨١١٠ ـ ٨٤٧٣)

٧٥ ـ تقع فاجنيتا قرب أرتا في جنوب أبيروس (ل : فقرات ٦٤٢ ـ ٦٥٨)
٧٦ ـ فونوتزيا هي في أيامنا فونتا ، وهي ميناء في خليج أرتا ، ولقد توقف المؤرخ فجاة هنا ولم يتابع .

اهم المصادر والمراجع

THE ITALIAN CHRONICLE

Istoria della Morea, ed. Charles Hopf. In his *Chroniques gréco-romanes inédites ou peu connues.* Berlin, 1873.

Byzantine Sources

Acropolites, Georges. *Historia.* In *Opera*, vol. I, ed. A. Heisenberg. Leipzig, 1903.

Chronicle of Galaxidi ; *Χρονικὸν ἀνέκδοτον Γαλαξειδίου*, ed. K. N. Sathas. Athens, 1865.

Dorotheos of Monemvasia. *Βιβλίον ἱστορικόν περιέχον ἐν συνόψει διαφόρους καὶ ἐξόχους ἱστορίας.* Venice, 1814.

Gregoras, Nikephoros. *Byzantina historia*, ed. L. Schopen. 3 vols. Bonn, 1830-45.

Michael Choniates. *Τὰ Σωζόμενα*, ed. S. Lampros. 2 vols. Athens, 1879-80.

Niketas Choniates. *Historia*, ed. I. Bekker. Bonn, 1835.

Pachymeres, George. *De Michaele et Andronico Palaeologis*, ed. I. Bekker. 2 vols. Bonn, 1835.

Sphrantzes, George. *Chronicon minus*, in Migne, *PG*, vol. 156, 1025-80. Bonn, 1838. On the longer version of this work, by the "Pseudo-Sphrantzes," see R. J. Loenertz, "Autour du Chronicon Maius attribué à Georges Phrantzes," *Studi e Testi*, CXXIII (Miscellanea G. Mercati, III), Città del Vaticano (1946), 273-311.

Western Sources

Assises de Jérusalem, ed. Comte de Beugnot. (*Recueil des historiens des croisades: Lois, I-II*). 2 vols. Paris, 1841-43.

Buchon, J. A., ed. *Chroniques étrangères relatives aux expéditions françaises pendant le XIII^e siècle.* Paris, 1875. Contains: 1. Anonyme grec; 2. Ramon Muntaner; 3. Bernard d'Esclot; 4. Anonyme sicilien.

—— *Collection des chroniques nationales françaises.* 47 vols. Paris 1824-29. Vols. I and II are Ducange's *History of the Latin Empire of Constantinople.* Vol. IV is 1st edition of Codex Parisinus.

—— *Recherches historiques sur la principauté française de Morée et ses hautes baronnies.* 2 vols. Paris, 1845. Vol. I is *Livre de la Conqueste*; Vol. II is 1st edition of Codex Havniensis.

Hopf, Charles. *Chroniques gréco-romanes inédites ou peu connues.* Berlin, 1873.
Contains: 1. Sanudo's *Istoria del Regno di Romania*; 2. Italian Chronicle of Morea.

Innocent III. *Epistolae.* In Migne, *PL*, vols. 214-17.

Jordan, E. *Les registres de Clément IV.* Paris, 1893-1945.

Muntaner, Ramon. *Chronik des edlen en Ramon Muntaner*, ed. K. Lanz. Stuttgart, 1844.

Potthast, A., ed. *Regesta pontificum romanorum (1198-1304).* 2 vols. Berlin, 1874-75.

Recoura, G. *Les Assises de Romanie.* Paris, 1930. For translation, see Topping, *Feudal Institutions.*

Robert of Clari. *Conquest of Constantinople*, tr. E. H. McNeal. New York, 1936.

Villani, Giovanni. *Historia universalis...*, ed. A. Muratori. In *Rerum Italicarum Scriptores*, vol. XIII, cols. 9-1002. Milan, 1728.

Villehardouin, Geoffroy de. *La Conquête de Constantinople avec la continuation de Henri de Valenciennes*, ed. Natalis de Wailly. Paris, 1882.

William, Archbishop of Tyre. *History of Deeds Done beyond the Sea*, trans. E. Babcock and A. C. Krey. New York, 1943.

Secondary Works

Adamantiou, Ad. "*Τὰ Χρονικὰ τοῦ Μορέως,*" *Δελτίον τῆς Ἱστορικῆς καὶ Ἐθνολογικῆς Ἑταιρείας τῆς Ἑλλάδος*, VI (1906), 453-675.

Alexopoulos, N. K. *Μοραΐτου Ἱστορία τῆς Τεγέας.* Athéns, 1896.

Amantos, C. "*Τσακονία*-Sclavonia," *Ἀφιέρωμα εἰς Γ. Χατζιδάκιν.* Athens, 1921.

—— "*Σαλωνα-Τσάκωνες,*" *Ἑλληνικά*, X (1938), 210-12.

Andrews, Kevin. *Castles of the Morea.* Princeton, 1953.

Bees, Nikos A. "Zur Chronik von Morea," *Archiv für Kulturgeschichte*, XIII (1916), 122-24.

Bon, A. "Forteresses médiévales de la grèce centrale," *Bulletin de correspondance Hellénique*, LXI (1937), 136-208.

—— *Le Péloponnèse byzantine jusqu'en 1204.* Paris, 1951.

Buchon, J. *La Grèce continentale et la Morée.* Paris, 1843.

—— *Histoire des conquêtes et de l'établissement des français dans les états de l'ancienne Grèce ...* Paris, 1846.

—— *Nouvelles recherches historiques sur la principauté française de Morée et ses hautes baronnies....* 2 vols. Paris, 1843-45.

—— *Recherches et matériaux pour servir à une histoire de la domination française aux 13e, 14e, et 15e siècles dans les provinces démembrées de l'Empire grec à la suite de la quatrième croisade.* 2 vols. Paris, 1840.

Burns, R. I. "The Catalan Company and the European Powers, 1305-1311," *Speculum*, XXIX (1954), 751-71.

Byrne, Eugene H. *Genoese Shipping in the Twelfth and Thirteenth Centuries.* Cambridge, 1930.

Cambridge Medieval History, ed. J. R. Tanner, C. W. Previté-Orton, and Z. N. Brooke. Vol. IV: Eastern Roman Empire, 217-1453. Cambridge, 1936. Chapter XV, "Greece and the Aegean under Frank and Venetian Domination, 1204-1571" (pp. 432-77), was written by William Miller. See also extensive bibliography, pp. 852-66. (A completely new edition of this volume is now in press.)

Cerone, Francesco. "La sovranità napoletana sulla Morea e sulle isole vicine." *Archivio storico per le province Napoletano*, XLI (Naples, 1916), 5-64, 193-266; XLII (1917), 5-67.

Chapman, Conrad. *Michel Paléologue, restaurateur de l'empire byzantin* (1261-1282). Paris, 1926.

Delpech, H. *La Tactique du XIIIe siècle.* 2 vols. Montpellier, 1855.

Dendias, M. "*Ἑλένη Ἀγγελῖνα Δούκαινα Βασίλισσα.*" *Σικελίας καὶ Νεαπόλεως,*" *Ἠπειρωτικὰ Χρονικά*, I (1926), 219-94.

—— "Le roi Manfred de Sicile et la bataille de Pélagonie," *Mélanges Charles Diehl*, I, 55-60. Paris, 1930.

Dölger, F. "Chronologisches und Prosopographisches zur byzantinischen Geschichte des 13. Jahrhunderts," *Byzantinische Zeitschrift*, XXVII (1927), 291 ff.

—— "Die neuentdeckte Quelle zur Helenaszene in Goethes Faust. Die Prophyläen," *Beilage zur Münchner Zeitung*, XXVIII (1931), 289-90.

Dragoumis, S. N. "*Χρονικοῦ τοῦ Μορέως λέξεις,*" *Ἀθηνᾶ*, XXIII, 73-87 ; XXIII, 363-71 ; XXVI, 26-32, 223-28.

—— *Χρονικῶν τοῦ Μορέως : Τοπονυμικά, Τοπογραφικά, Ἱστορικά.* Athens, 1921.

Gay, J. *L'Italie méridionale et l'empire byzantin* (867-1071). Paris, 1904.

Geanakoplos, Deno J. *Emperor Michael Palaeologus and the West.* Cambridge, 1959.

Gregorovius, F. A. *Geschichte der Stadt Athen im Mittelalter.* 2 vols.

Stuttgart, 1889. *Ἱστορία τῆς Πόλεως Ἀθηνῶν* is a modern Greek trans. and enlarged ed. by S. Lampros in 3 vols., the 3d consisting of new documents. Athens, 1904-6.

Guilland, R. "Contributions à l'histoire administrative de l'empire byzantin: Le dragonaire et le grand dragonaire de la ville," *Byzantinische Zeitschrift*, XLIII (1950), 340-65.

—— "Études de titulature et de Prosopographie Byzantines, Les Chefs de la Marine: Drongaire de la Flotte, Grand Drongaire de la Flotte, Duc de la Flotte, Megaduc," *Byzantinische Zeitschrift*, XLIV (1951), 212-40.

Guldencrone, D. *L'Achaie féodale*. Paris, 1886.

Hatzidakis, G. *Einleitung in die neugriechische Grammatik*. Leipzig, 1892.

—— *Γλωσσικαὶ Μελέται*. 3 vols. Cairo, 1904-06.

—— *Μεσαιωνικὰ καὶ Νέα Ἑλληνικά*. 2 vols. Athens, 1905-07.

—— "*Περὶ τοῦ ἐτύμου τῆς λέξεως Μεσαρέας*," *Ἀθηνᾶ*, VI, 3-64.

—— "*The Chronicle of Morea* by John Schmitt, 1904," *Ἀθηνᾶ*, XVI, 253-54.

Hopf, Charles. *Geschichte Griechenlands vom Beginn des Mittelalters bis auf unsere Zeit*. 2 vols. Leipzig, 1867-68. Published as vols. 85-86 of Ersch and Gruber, *Allgemeine Enzyklopädie der Wissenschaften und Kunste*.

Iliopoulos, K. *Τὸ Τοπωνυμικὸν τῆς Ἠλείας*. Athens, 1948.

Iorga, N. *Histoire de la vie byzantine*, 3 vols. Bucharest, 1934.

—— *Notes et extraits pour servir à l'histoire des croisades au XVe siècle*. Bucharest, 1915.

Jal, A. *Archéologie navale*. Paris, 1840.

Kalomenopoulos, S. N. *Ἡ Στρατιωτικὴ Ὀργάνωσις τῆς Ἑλληνικῆς Αὐτοκρατορίας τοῦ Βυζαντίου*. Athens, 1937.

Kalonaros, P. *Ἐθνογραφικὰ Μάνης*. Athens, 1935.

—— *Λουλούδια τῆς Μονεμβασιᾶς καὶ τοῦ Ταϋγέτου (Εἰκόνες ἀπὸ τὴν Πατρίδα μας)*. Athens, 1936.

Kandeloros, T. *Ἱστορία τῆς Γορτυνίας*. Athens, 1931.

Kolias, C. *Ἱστορικὴ Γεωγραφία τοῦ Ἑλληνικοῦ Χώρου*. Athens, 1948.

—— "*Σιδεροκάστρο*," *Ἐπετηρὶς Ἑταιρείας Βυζαντινῶν Σπουδῶν*, X, 72-82.

Kontoglos, Ph. *Ταξείδια*. Athens, 1938.

Koukoules, Ph. *Βυζαντινῶν βίος καὶ Πολιτισμός*. 5 vols. in 8. Athens. 1948-52.

Krumbacher, K. *Geschichte der byzantinischen Litteratur*. Munich, 1897.

Lampros, Sp. "Ἔκφρασις τῶν ξυλοκονταρίων τοῦ κραταίου ἡμῶν αὐθέντου καὶ βασιλέως," *Νέος Ἑλληνομνήμον*, V, 3-18.

—— *Ἱστορία τῆς Ἑλλάδος*. 6 vols. Athens, 1886-1908. Volume VI deals with Frankish period.

—— "John Schmitt, *The Chronicle of Morea*," *Νέος Ἑλλήνομνήμων*, I, 245-50.

Lane, F. C. *Venetian Ships and Shipbuilders of the Renaissance*. Baltimore, 1934.

Laurent, V., "La croisade et la question d'orient sous le pontificat de Grégoire X," *Revue historique du sud-est européen*, XXII (1945), 106-37.

—— "Grégoire X et le projet d'une ligue antiturque," *Échos d'Orient*, XXXVII (1938) 257-73.

Lehman-Haupt, C. "*Τζακωνες*," *Εἰς μνήμην Σπυρίδωνος Λάμπρου* (Athens, 1935), pp. 353 ff.

Lekos, M. *Περὶ Τσακώνων καὶ τῆς Τσακωνικῆς Διαλέκτου*. Athens, 1920.

Longnon, Jean. *L'Empire latin de Constantinople et la principauté de Morée*. Paris, 1949.

—— *Les Français d'Outre-mer au moyen âge. Essai sur l'expansion française dans le bassin de la Méditerranée*. Paris, 1929.

—— "Problèmes de l'histoire de la principauté de Morée," *Journal des Savants*, (1946) 77-93; 147-61.

—— "Le rattachement de la principauté de Morée au royaume de Sicile en 1267," *Journal des Savants* (1942) 134 ff.

—— *Recherches sur la vie de Geoffroy de Villehardouin suivies du catalogue des actes des Villehardouin*. Paris, 1939.

Loray, Terrier de. "Un parlement de dames au XIII^e^ siècle," *Académie des Sciences, Belles-Lettres et Arts de Besançon*, 1880 (Besançon, 1881), pp. 205-11.

D. Loukopoulos. *Ποιὰ Παιγνίδια Παίζουν τὰ Ἑλληνόπουλα . . .* Athens, 1926.

Meliarakes, A. "*Μεσαρέα*," *Ἱστορικαὶ ἔρευναι περὶ τοῦ Ὀνόματος τούτου ὡς Γεωγραφικοῦ*. Athens, 1893.

—— *Οἰκογένεια Μαμωνᾶ*. Athens, 1902.

—— *Ἱστορία τοῦ Βασιλείου τῆς Νικαίας καὶ τοῦ Δεσποτάτου τῆς Ἠπείρου* (1204-61). Athens, 1898.

Meyer, Ernst. *Peloponnesische Wanderungen; Reisen und Forschungen zur antiken und mittelalterlichen Topographie von Arkadien und Achaia*. Zurich and Leipzig, 1939.

Miller, William. *Essays on the Latin Orient*. Cambridge, 1921.

—— *The Latins in the Levant: A History of Frankish Greece* (1204-1566). London, 1908.

Millet, Gabriel. *Le monastère de Daphni*. Paris, 1899.

Moravcsik, G. "Zur Quellenfrage der Helenaepisode in Goethes Faust." *Byzantinische-neugriechische Jahrbücher*, VIII (1931), 41-56.

Nicol, D. "The Date of the Battle of Pelagonia," *Byzantinische Zeitschrift*, XLIX (1956), 68-71.

—— *The Despotate of Epiros*. Oxford, 1957.

Nouchakes, I. E. *Ἑλληνικὴ Χωρογραφία*. Athens, 1901.

Oman, C. *A History of the Art of War in the Middle Ages*. 2 vols. New York, 1923.

Orlandos, A. K. *Ἀρχεῖον τῶν Βυζαντινῶν Μνημείων τῆς Ἑλλάδος*. 4 vols. Athens, 1936-38.

Ostrogorsky, G. "Agrarian Conditions in the Byzantine Empire in the Middle Ages," *Cambridge Economic History*, I (1941) 194-223.

—— "Le système de la Pronoia à Byzance et en Serbie médiévale," *Comité français des études byzantines. Acts du VI^{e} Congrès International. École des Hautes Etudes*, Sorbonne, I (1950), 181 ff.

—— *Pour l'histoire de la féodalité byzantine*, tr. H. Grégoire. Brussels, 1954.

Paparregopoulos, K. *Ἱστορία τοῦ Ἑλληνικοῦ Ἔθνους*. New ed. in 8 vols. Athens, 1932.

Petit, E. *Histoire des ducs de Bourgogne de la race Capétienne*. 9 vols. Dijon, 1885-1905.

Phourikis, P. A. "*Παρατηρήσεις εἰς τὰ τοπωνύμια τῶν Χρονικῶν τοῦ Μορέως . . .*," *Ἀθηνᾶ*, XL (1928), 26-59.

Polites, N. G. *Λαογραφικὰ Σύμμεικτα*. Athens, 1920.

Rodd, Ren. *The Princes of Achaia and the Chronicles of Morea: a Study of Greece in the Middle Ages*. 2 vols. London, 1907.

Romanos, I. A. *Περὶ τοῦ Δεσποτάτου τῆς Ἠπείρου*. Corfu, 1895.

Sarres, I. "*Τὰ τοπονυμικὰ τῆς Ἀττικῆς*," *Ἀθηνᾶ*, XL (1929), 129.

Schlumberger, G. *L'expédition des "Almugavares,"*.... Paris, 1902.

—— *Récits de Byzance et des Croisades*. Paris, 1916.

Schmitt, John. "La 'Théséide' de Boccace et la 'Théséide' Grecque," *Études de Philologie Néo-Grecque* (*Bibliothèque de l'École des Hautes Études*, XCII). Paris, 1892.

Setton, K. M. *Catalan Domination of Athens*, 1311-1388. Cambridge, Mass., 1948.

Soyter, G. *Byzantinische Dichtung*. Heidelberg, 1929.

—— *Byzantinische Geschichtschreiber und Chronisten.* Heidelberg, 1929. See especially pp. 18-28, 51.

Stiernon, L. "Les origines du despotat d'Épire," *Revue des Études Byzantines*, XVII (1959), 90-126.

Tarsoulis, A. *Κάστρα καὶ Πολιτεῖες τοῦ Μωριᾶ.* Athens, 1934.

Topping, P. *Feudal Institutions.* Philadelphia, 1949. Includes a translation of Recoura's *Les Assises de Romanie.*

Trauquair, R. "Medieval Fortresses," *The Annual of the British School of Athens*, XII (1905-6), 258-76; XIII (1906-7), 268-81.

Usseglio, L. *I Marchesi di Monferrato in Italia ed in Oriente durante i Secoli XII e XIII.* Turin, 1926.

Wolff, R. L. "The Organization of the Latin Patriarchate of Constantinople, 1204-1261. Social and Administrative Consequences of the Latin Conquest," *Traditio*, VI (1948), 33-60.

—— "Politics in the Latin Patriarchate of Constantinople, 1204-1261," *Dumbarton Oaks Papers*, No. 8 (1954), pp. 223-303.

Xanthoudides, S. "*Διορθώσεις εἰς Χρονικὸν Μορέως . . .*," *Ἀθηνᾶ*, XXXII, 205 ff.

Zakythinos, D. *Le Chrysobulle d'Alexis III Comnène.* Paris, 1932.

—— *Le Despotat grec de Morée.* 2 vols. Paris, 1932-53.

—— *Οἱ Σλάβοι ἐν Ἑλλάδι.* Athens, 1945.

Zerlentis, P. *Μηλιγγοὶ καὶ Ἐζερῖται, Σλάβοι ἐν Πελοποννήσῳ.* Hermoupolis, 1922.

—— *Τάξις ἱεραρχικὴ τῶν ἐν Πελοποννήσῳ ἁγίων τῶν θέων Ἐκκλησιῶν.* Hermoupolis, 1922.

المحتوى